

في

معاني الأسماء وبيان الأعلام

بتفسير القرآن

للدكتور

محمد محمود سعيد



الناشر دار الغد العربي

النفيس

في معانى الأسماء ـ وبيان الأعلام

وتفسير القرآن

قام عليه وأعـدَّه

خادم الكتاب إن شاء الله

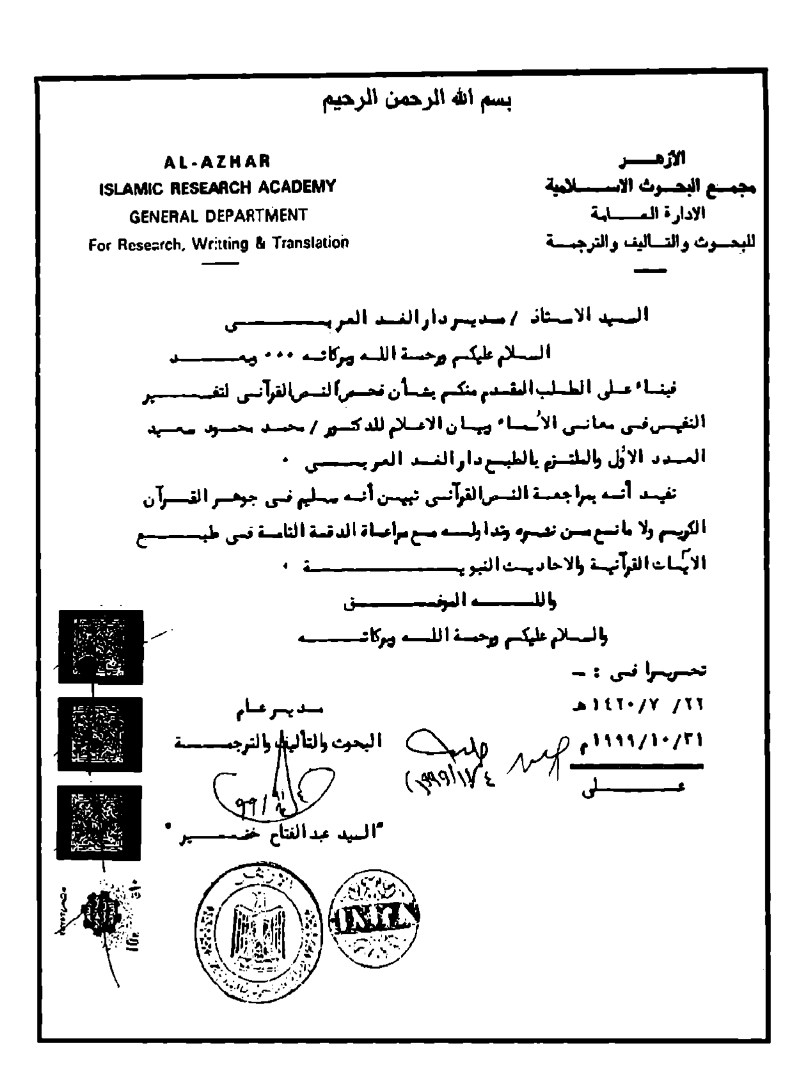
الدكتور/ محمد محمود سعيد

الناشر

دار الغد العربي

٣ ش دانش ـ العباسية ـ القاهرة

ت: ٢٨٥٦١٢٢ ـ ٢٨٤٣١١٥ ـ ٤٨٢٤٣٢٩



بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر
مجمع البحوث الاسلامية
الادارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation

السيد الاستاذ / مدير دار الغد العربي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد

فبناء على الطلب المقدم منكم بشأن فحص النص القرآني لتفسير النفيس في معاني الأسماء وبيان الاعلام للدكتور / محمد محمود سعيد العدد الأول والملتزم بالطبع دار الغد العربي .

نفيد أنه بمراجعة النص القرآني تبين أنه سليم في جوهر القرآن الكريم ولا مانع من نشره وتداوله مع مراعاة الدقة التامة في طبع الآيات القرآنية والاحاديث النبوية .

والله الموفق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحريرا في :-

٢٦/ ٧/ ١٤٢٠ هـ

٣١/ ١٠/ ١٩٩٩ م

مدير عام
البحوث والتأليف والترجمة

"السيد عبد الفتاح خضير"

حقوق الطبع محفوظة

شعبان ١٤٢٠ / نوفمبر ١٩٩٩ م

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية

١٦٧٠١/ ٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

كلمة الناشـــر

الحمد لله حمدًا لا ينبغـى إلا له. ســــبحانه له الحمد والشكر، والصـلاة والسلام على ســـيد الخلـق و إمـام الأنبيـاء وحبيب الحـق سيـدنا ونبينـا محمـد ﷺ وعلـى آله الطيبيـن الطاهرين.

وبعـــد :

فإنــه لمن دواعى ســرورى وسعادتى أن تقوم دار الغـد العربى التـى هى منارة مـن منارات الثقافة فى مصر والعالم العربى والتى حملــت مسئولية حفظ العلم ونشر تراث أمتنا الإسلامية الخالد المشرق والمشرف فى صورة ميسرة ليسهل حفظه ويبقى خالدا ونورًا يهدينا إلى طريق القوة والرفعة .

ويتحقق الحلم علـى أرض الواقع بحمد الله وفضله وعونــه لعمل عظيم فريد من نـوعه لم يصدر مثله من قبل وهو كتاب :

النفيس فى معانى الأسماء وبيان الأعلام

فى تفسير القرآن

وهو تفسيـر ميسر لآيات القرآن الكـريم وشرح معانـى الأسماء الواردة فـى آياته وبيـــان الأعلام .. تفسير يحيط بما ورد فـى أمهات كتب التفاسير فى لغة عصريـة سهلة يفهمها عامة المسلمين.

لقد كانت فكرة نشر هـذا التفسير بناء على رغبة الجماهير المؤمنة فى مسـاعدة أبنائهم فى فهم القرآن ومعرفة معـانى الأسماء فى آياته وبيان الأعلام بطريقـة سهلة مبسطة يستفيد منها الكبير والصغير والعالم والمتعلم.

نسأل الله أن ينفعنا بالعلم وأن يكرمنا بالحلم وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن يوفق المسلمين لما فيه الخير وأن يشفع فينا نبيه محمدا ﷺ .. آمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

الناشر

■■■■■

تقـــديم

﴿ بسم ٱلله ٱلرحمن ٱلرحيـــم ﴾

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد النبىِّ الأمين، المبعوث رحمة للعالميـن، وأحمد ربى وأشكـره وأثنى عليه بمـا هو أهلـه على ما هـدانى إلى صحيـح الملة والديـن، لاأُحصى عدد نعمةٍ مـن نِعمٍ أنعم بها علـىَّ فنعمتُ وتنعَّمت، أجلها أن فتـح بصرى وأنار بصيرتـى بنور اليقين، وشرح قلبـى فامتلأ بلألاء الحـق المستبين. وأسأله سـؤال مسكين مستكين أن يصلح خاتمة أعمالى فيميتنى مسلما ومن الصالحين .

■■■■

أما بعــد :

فلقد كنت تائها فى بيداء المعارف أتخبط فى كثبـان جهالاتها بين ما صلب من جلمودها وما لان، أتطلع إلى قلل جبالها لعلى أجد نارا فـأجد على النار هدى، ثـم كانت مشيئة من إذا شاء كان أن أقبـع فى أمان إلى سفح ثور، فمـددت يدى إليه فلم تدرك إلا مـا حسبته حصى، فلما لزمته زمنا أدركت أن حصاه در لايدانيه اللؤلؤ والمرجان، ودخل نوره بإذن ربه قلبى فكان به الأمان. فلمـا رفعت عينى إلى ذراه قيل لـى «الزم» فعلمت أنه لا يتطلع إلـى الذرى إلا من سلـك طريـق العارفيـن، وأننى لا أزال محسـوبا بيـن الغفـاة الجـاهلين، وأنـه علىَّ أن ألـزم الطـــور الشامـخ الذى حوى العالـم والعالمين، لا أبرح و إلا صرت من الهـالكين. فلزمت ما أُلزمت لا أبرح حتى تراءى لى الطريق المستقيم، فنظرت لا أجرؤ على الخطو فرأيت ثم رأيت، وتمنيت ثم دعوت، لعلى أن أكون من السالكين.

■■■■

فأما بيداء الجهالـة التى تخبطت زمنا فى كثبانها فهى المعـارف والعلوم حرصت على أن

ألمَّ بها وأحيط، وأما الجبل أو الثور أو الطور الذى ضم العالم والعالمين فهو القرآن العظيم، ولعله الجبل الذى رآه من قبل نبوخذ نصَّر ملك بابل فى رؤياه التى عبرها له دانيال النبى فقال عنه إنه ملك لا يبلى إلى يوم الدين، كمال الدين وخاتم المرسلين. حسبتُ فى مبتدأ اقترابى منه واتصالى أنى أدرسُ علما من العلوم أو أحصِّل معارف من المعارف فاستقام به لسانى وجنيت حسن البيان غير مدرك حقيقته ولا واع، فلما لزمته زمنا واقترنت به هدانى ربى أن به أهتدى حتى حسبتنى له، فلما تجرأت على الاعتقاد ظانا أننى أصبحت من أهله أُمرت ألا أتجاوز قدرى ومكانى، وأن أقنع بما يفىء به ربى علىَّ من مكنون أسراره، فلما كان ما كان ولزومى المكانة والمكان، كان أنى رأيت أنى أقوم على تفسير القرآن بادئا بشرح معانى الأسماء الواردة فى آياته وببيان الأعلام، ملتزما فى ذلك بما ورد فى شأن معانى الأسماء فى القواميس وفى لغات قبائل العرب، وفى شأن الأعلام بما ورد فى كتب التفسير ومؤلفات المؤرخين العرب، وفيما خصَّ الأقدمين منهم ـ إلى جانب هؤلاء ـ بما ورد بشأنهم فى التوراة والإنجيل، والعهدين: القديم والجديد الموجودين بين أيادينا اليوم، ثم منتقلا إلى تفسير الآيات على هَدْيٍ من معانى الأسماء وبيان الأعلام تفسيرا يحيط بما ورد فى أمهات التفاسير فى إيجاز غير مُخلٍّ، فى لغة عصرية تسهل على القارىء، ويلمُّ بأنواع المعارف والعلوم المتصلة بها والمرتبطة معانى آيات القرآن العظيم وتفاسيرها فى غير ما إطالة ولا إطناب، حتى ليجد كل ذى ثقافة خاصة بغيته فى المعرفة مع تيسير ذلك على غيرهم.

ولقد أسميته «النفيس» لا أدعى أن عملى هو النفيس، لكنه كلام الله جل علاه الذى يحوى هذا السفر بين دفتيه هو النفيس الذى عز على العالمين أن يأتوا بمثله، ولقد هيأ الله لهذا العمل نفوسًا زكية جُبلت على الخير فى الله فعملت على خدمة كتابه فكان منها أن أوسعت له سبيل الظهور، لم تبتغ نفعًا ولا كسْبًا غير رضاه وإن أنفقت فى سبيل ذلك ما أنفقت، فهى بين النفوس ـ وأغلبها أمَّارة بالسوء ـ فريدةٌ.

أسأل الله لها ولقارئيه نعم الثواب والأجر، ولهم ولنفسى أن نكون من آخذى الكتاب بقوة، الذاكرين ما فيه، وأن نكون من المتقين .

المؤلف



سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ①

أولا : الأسماء والأعلام :

١ ـ «اسـم» : قيل إن لفظ «اسم» مشتق من «السموّ» بمعنى العلو والرفعة، وذلك لأنه بغير الاسم يكون الشخص أو الشىء فى حضيض الجهالة والخفاء، فإن أُطلق عليه اسم ارتفع إلى قمة الظهور والجلاء، أو لأن الاسم يعلو على كل من الفعل والحرف ويسمو. وقيل إن لفظ «اسم» مشتق من «السِّمَة» بمعنى الصفة أو العلامة، لأنه يكون علامة على صاحبه أو له.

٢ ـ ٱللَّه : لفظ الجلالة، اسم علم لأنه يوصَف ولا يوصف به. قيل إن أصله «إلاه» وأدخلت الألف واللام بدلا من الهمزة مثل لفظ «الناس» أصله «أناس». وهذا الاسم هو أكبر أسماء المولى سبحانه وتعالى وأجمعها ولا يطلق على غيره، كما يبين من قوله تعالى: ﴿**هل تعلم له سميًّا**﴾، وقيل ـ فى معناه ـ إنه «المقصود من العبادة» فيكون معنى « لا إله إلا الله» أنه لا معبود بحق غير الله .

٣ ـ الرحمن : من الأسماء المختصَّة بالمولى سبحانه وتعالى؛ ولهذا لا يجوز القول «الله رحمٰن بعباده» كما يقال «الله رحيم بعباده»، وقيل إنه لا اشتقاق له، وقيل إنه مشتقٌ من «الرحمة» مبنى على المبالغة بمعنى «صاحب الرحمة الذى لا نظير له»، واستدل القائلون بهذا بقول رسول الله ﷺ عن ربِّ العِزَّة قوله فى الحديث القدسى: «أنا الرحمن، خلقت

الرحم، وشققت له اسما من اسمى، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته » .

وقيل فى معناه أن «الرحمن» تفيد زيادة الرحمة ولذلك فإنها تعنى أنه سبحانه وتعالى رحمٰن الدنيا والآخرة، أو أنه رحمٰن الدنيا لأنه يعم فيها المؤمن والكافر برحمته؛ ولهذا قيل إن لفظ «الرحمن» خاص الاسم، عام الفعل، فلا يطلق على غير الله سبحانه وتعالى، حين يشمل فعل الرحمة المؤمن والكافر فى الدنيا، أو الدنيا والآخرة.

٤ ـ الرحيم : اللفظ مشتق من «الرحمة»، قيل إنه «عام الاسم، خاص الفعل»، فهو لكونه «عام الاسم» جاز أن يكون صفة للمخلوقين؛ ولذلك قيل إنه ـ فى معنى الآية ـ صفة لسيدنا محمد ﷺ، كما أن المولى سبحانه وتعالى وصفه بأنه ﴿**بالمؤمنين رءوف رحيم**﴾، فكأن معنى «بسم الله الرحمن الرحيم» فى فاتحة الكتاب هو «باسم الله الرحمن، وبالرحيم محمد» بمعنى: «باتِّباع محمد».

وقيل فى معنى اللفظ أنه يفيد معنى كونه تعالى رحيم الآخرة يخص برحمته فيها المؤمن دون الكافر، وقيل إنه يفيد معنى كونه تعالى رحيم الدنيا، لأن النعم الأخروية عظيمة حين أن النعم الدنيوية عظيمة وصغيرة.

ثانيا : التفسـير:

بالنظر إلى أن حرف «الباء» فى مبتدأ الآية قد يفيد «الاستعانة» أو «المصاحبة» فيكون معنى الآية: «مستعينا باسم الله، أو متبركا باسم الله أبدأ» .

ـ وهو استفتاح لباب الرحمة يتضمن نفى الحول والقوة عن القائل، والإقرار بالحاجة إلى الاستعانة بالله ـ وقد يكون المعنى هو: «مستعينا بالله أبدأ» لأن الاسم قد يطلق على الذات كما فى قوله تعالى: ﴿**سبح اسم ربك الأعلى**﴾ ، لأن التسبيح يتوجه إلى ذات الله جل وعلا. ويجىء بعد ذلك ذكر صفتيه سبحانه وتعالى الرحمن والرحيم، أو يكون المعنى مستعينا بالله الرحمن وباتِّباع محمد ﷺ استفتح أو أبدأ .

وروى أن رسول الله ﷺ كان يكتب «باسمك اللهم» حتى أُمر أن يكتب باسم الله فكتبها، ثم نزلت آية ﴿**قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن**﴾ فكتب باسم الله الرحمن، فلما نزلت آية ﴿**إنه من سليمان و إنه باسم الله الرحمن الرحيم**﴾ كتبها، فكان مبتدأ كتابتها نزول آية سورة النمل.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾

أولا : الأســـماء والأعلام :

١ ـ **الحمـد** : معنى «الحمد» الثنـاء الكامل، وجاءت الألف واللام لبيـان الاشتمال على جميع المحامد لأنه سبحـانه وتعالى مستحق جميع الحمد. والمحمَّد هـو من كثرت صفاته المحمودة، وقيل إن «الحمـد» أعم فى المعنى مـن «الشكر» لأن معناه هو: الشكـر لله إذْ كان منه الامتنان على تعليمنا إياه حتى حمدناه.

وإنه بهـذا يختلف عن الشكـر الذى يعنى الحمـد على نعمة مـن النعم. وقيل فـى تعليل عمومية معناه: «لأنه يشمـل معنى الشكر ومعنى المدح»؛ ولهذا يوضع الحمـد موضع الشكر ولا يوضـع الشكر موضع الحمـد، وتكون «الحمد لله» هـى كلمة كل شـاكر. وقد قال المـولى سبحانه وتعالـى لنوح عليه السلام ﴿**فقل الحمد لله الذى نجانـا من القوم الظالمين**﴾، وقال إبراهيم عليـه السلام ﴿**الحمد لله الـذى وهب لـى على الكبـر إسماعيـل وإسحاق**﴾، وقال سبحانـه وتعالى فـى شأن ما كـان من داود وسليمان عليهمـا السلام ﴿**وقالا الحمـد لله الذى فضَّلنا على كثير من عباده المؤمنين**﴾، وقال سبحانه وتعالى لرسوله الكريم ﷺ ﴿**وقل الحمد لله الذى لـم يتخذ ولـدا**﴾، وقـال أهل الجنـة ﴿**الحمد لله الـذى أذهب عنـا الحزَنَ**﴾، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

٢ ـ **ٱللَّه** : سبق بيانه .

٣ ـ **رب** : الربُّ هو المالك، وهـو اسم من أسماء الله تعالى لا يطلق على غيـره إلا بالإضافة كأن يقال «رب السيف والقلم». والـربُّ ـ فى معنى آخر ـ هو السيد كما جاء فـى قوله تعالى: ﴿**اذكرنى عند ربِّك**﴾. والربُّ هو الجابر والمصلح، فيقال لمـن يصلح الشيء إنه ربُّه. والربُّ أيضا هـو المدبِّـر والمربِّـى ومنه لفـظ «ربائبكـم» فى قـوله تعـالى: ﴿**وربائبكم الـلاتى فى حجوركم**﴾ .

٤ ـ **العالمين** : قيل إن «العالمين» ـ فـى الآية ـ جمع «عالَم»، وإن العالم هـو كل موجود سوى الله. وقيـل إن أهل كل زمان عـالمٌ، وبهذا المعنى ورد اللفـظ فى قوله تعـالى: ﴿**أتأتون الذكران من العالمين**﴾. وقيل أيضـا إن العالمين هـم الإنس والجـن واستدلَّ القائلـون بهذا

بقوله تعالى ﴿ليكون للعالمين نذيرا﴾ ، وقيل إن العالمين هم كل ذى روح دبَّ على الأرض.

ثانيا : التفســـــير :

يكون معنى الآيـة: هو تكريس الثناء والحمد لله المستحـق جميع الثناء بذاته، مـالك كل موجود سواه، وسيِّده المدبر شئونه ومربِّيه .

﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣﴾

أولا : الأســـــماء : سبق بيانها .

ثانيا : التفســـــير :

قيل إنه تكرر ذكـر «الرحمن الرحيم» بعد ورودهمـا فى البسملة لدى القائلين إنهـا آية فى الفاتحة ــ وذلك بعد ذكر لفـظ «رب» مرة واحدة إنما كان لإعـلام الخلق أن العناية بـالرحمة أكثر منها بسائر الأمور.

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ مالك : قرىء اللفـظ على عـدة قراءات أو لغـات كما يقـال، أشهرهـا قراءة كثيـر من الصحابة وفيها يقرأ «مالك» كفاعل، وقرىء «ملك» على وزن فَعِل فى قراءة كثير من الصحابة والتابعين، وقرىء مليك، وقـرىء «مَلَكَ» فيكون فعلا ماضيا، وقرىء «مالـك» بالإمالة. وأشهر القراءات هى «مالك» و «ملك»، وقيل إن «ملك» أعم مـن «مالك» وأبلغ لأن كل ملك مالك وليس كـل مالك ملكـا، وقيل إن «مـالك» أبلغ مـن «ملك» لأن المالـك يملك النـاس وغير الناس وهـو الذى يجرى القوانيـن والشرائع وعنده التملك. وقيـل إن «مالك» أبلغ فـى مدح الخالق من «ملك» وإن «ملك» أبلغ فى مدح المخلوقين من مالك، ولأن الله هو المالك فإنه يلزم أن يكون ملكا، أما المالك من البشر المخلوقين فإنه لايلزم أن يكون ملكا.

٢ ـ يوم : اليوم هو الفترة الزمنية من وقت الفجر إلـى وقت غروب الشمس، وقد استعير ـ فى نص الآيـة ـ للتعبير عن الفتـرة ما بين مبتَدأ القيـامة إلى وقت استقـرار كل من أهل الجنـة فى

الجنة ، وأهل النار في النار.

٣ ـ الدين : هو الجزاء علـى الأعمال والحساب بها على مـا جاء في قولـه تعالى: ﴿**يومئذ يوفيهم الله دينَهم الحق**﴾. فيكون معنى «يوم الدين» هو يوم الجزاء .

ثانيا : التفســـــير:

يكون معنـى الآية: أنه سبحـانه وتعـالى مالـك جميع الأمر يـوم الديـن وأن هذا ثابـت له سبحانه وتعالى منـذ الأزل وإلى الأبد لأنه من الصفات الذاتية الثابتة لـه جل وعلا، وأنه لما كان يـوم الدين محقـق الوقوع فـإنه يكون مثـل الموجـود في الحال والـوقت فيكون سبحـانه وتعالـى مالكه منذ الأزل، كـذلك فإنـه لما كان يوم الـدين هو يـوم الجزاء فإنه يشمـل جميع الأحوال ابتداء من النشور إلـى السرمد الدائم فضلا عن النشأة الأولى التـى استوجبت الجزاء يوم الدين .

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥

أولا : الأســــماء :

١ ـ إياك : ضمير نصب منفصل للمخاطَب، فيكون مفاده فـى الآية هو التوجه لله بالخطاب أو أنه سبحانه وتعالى الذى تقدم له الأفعال اللاحق ذكرها.

٢ ـ التفسير : يكون معنى الآيـة قول المؤمنين «إننا نعبـدك يا الله» ولما كانـت العبادة هى أعلى مراتب الخضوع وأنها لاتجوز إلا لله فإن عبارة «إياك نعبد» تفيد الإقرار بالألوهية لله كما تفيد توحيده لقوله تعالى ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾، ويكون معنى الآيـة أيضا أن المؤمنين يقولـون ـ من بعد إقرارهم بعبـادة الله وتوحيده ـ «إننا نستعين بـك يا الله» للتدليل على أن عبـادتهم الله لـم تكن فعلهـم الناتج عن إرادتهـم وإنما كانت بـإذنه تعالى وبعـونه، والراجح أن المـؤمن الفرد يقول إياك نعبـد وإياك نستعين ولا يقول إياك أعبـد وإياك أستعين لأنه يقصـد كونه واحـدا من العابـدين واحدا مـن المستعينين بالله ولا يقصـد أنه العابـد وأنه المستعين، وعلى هذا النحو كـان قول إسماعيل عليه السلام إنه واحد من الصابـرين فى قوله تعالى: ﴿**ستجدنى إن شاء الله مـن الصابرين**﴾ ، وكان قول مـوسى عليه السلام كما فـى قوله

تعالى: ﴿ستجدنى إن شاء الله صابرا﴾ فجاء لفظ «صابرا» نكرة بما يفيد كونه واحدا من كثرة.

ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦

أولا : الأســـماء :

١ـ نـا : فى اهدنا. ضمير متصل مبنى على السكون فى محل نصب مفعول به.

٢ ـ الصراط : هو الطريق، وأصله «السراط» بالسين بمعنى «اللقم»، وذلك لأن الطريق يبتلع السائر فيه كما يبتلع الآكل اللقم، أو لأن السائر فى الطريق يبتلعه جزءا جزءا كلما سار فيه كما يبتلع الآكل اللقم .

٣ـ المستقيم : بمعنى الذى لا اعوجاج فيه ولا انحراف .

وفى معنى «الصراط المستقيم» فى الآية قيل إنه طريق الحق، وقيل إنه ملة الإسلام، وقيل إنه القرآن، وقيل إنه العبادة لقوله تعالى: ﴿وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم﴾ .

ثانيا : التفســـير:

يكون معنى الآية أن المؤمن يدعو لنفسه باعتباره واحدا من المؤمنين أو يدعو لنفسه ولمن حضر مجلسه من الحفظة الكرام ومن الناس بأن يهديَه الله، وفى دعائه هذا إقرار بأن الهداية لا تكون من النفس وإنما تكون من الله، ويدعو أن تكون الهداية إلى الطريق المستقيم طريق الحق، وهو الإسلام، واتباع القرآن والعمل به، وأداء العبادة لله. وليس ثمة شك فى أن اتباع القرآن طريق مستقيم يكون له الدعاء بالهداية لقوله تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم﴾ وأن الإسلام الذى دعا إليه رسول الله ﷺ طريق مستقيم لقوله تعالى لنبيه الكريم ﴿وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم﴾. ولكن يبقى أن نقول إن المؤمن المهتدى يدعو بهذا الدعاء سائلا الله أن يثبته على الدين، وقد ورد فى القرآن قوله سبحانه وتعالى فى دعاء المؤمنين ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ كما أنه يدعو به ليزيده الله هدى على هدى، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾ فيكون دعاؤه بتثبيته على ملة الإسلام ـ بالمعنى الخاص ـ وإلى طريق الحق ـ بالمعنى العام ـ كما يكون بطلب اجتناب الباطل لأنه خلاف الحق .

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾

أولا : الأســـماء :

١ـ **صراط** : سبق بيان معناه.

٢ـ **الذين**: اسم موصول يدل على جمع الذكور العقلاء، وعلى جمع الذكور والإناث العقلاء تغليبا.

٣ـ **هم ـ فى عليهم ـ** : ضمير متصل بحرف جر .

٤ـ **غير** : من الأسماء المتوغلة فى الإبهام، وهى فى الآية صفة «الذين» مبيِّنة أو مقيِّدة . وقيل إنها بمعنى «سوى»، وقد لايكون ذلك صحيحا لأنه لايكون جائزا أن يعطف عليها بـ «لا» لأنها نفى وجحد، ولا يعطف الجحد إلا على مثله.

٥ـ **المغضوب عليهم** : الغضب ــ فى الأصل ـ هو الشدَّة، وقيل إن غضب الله سبحانه وتعالى يعنى إرادة الانتقام من العصاة ومعاقبتهم بما فعلوا، وقال البعض إن «غضب الله» صفة له جلَّ وعلا تليق بجلال ذاته لاتدرك حقيقتها ولاكيفيتها العقول والأفهام. وفى تعريف «المغضوب عليهم» «قيل إنهم اليهود لقوله سبحانه وتعالى فيهم» ﴿**وباءوا بغضب من الله**﴾، وقوله أيضا: ﴿**وغضب الله عليهم**﴾. وقيل إنهم المشركون أو إنهم أصحاب البدع.

٦ـ **الضالُّون** : فى قوله تعالى: ﴿**ولا الضالين**﴾، اسم فاعل من «ضل»، وأصل الضلال الهلاك ومنه قوله تعالى: ﴿**أئذا ضللنا فى الأرض**﴾ أى هلكنا وغبنا فيها وصرنا ترابا، والضالُّون ـ فى اللغة هم الذين ذهبوا عن سنن القصد وطريق الحق. وقيل إن «الضالين» فى الآية هم النصارى لقوله تعالى فيهم: ﴿**قد ضلُّوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل**﴾ .

ثانيا : التفســـير:

يكون معنى الآية إنه ـ بعد أن يدعو المؤمن ربه ملتمسا الهداية إلى صراط من ثبت إنعام الله تعالى عليه وتحقق ــ أن يكون منه البيان ـ لمن لايحتاج إلى بيان ـ أن هذا الصراط الذى

يلتمس الهداية إليه يغاير صراط المغضوب عليهـم وصراط الضالين الذين يرى البعض أنهم اليهود والنصـارى ـ علـى ما سبـق بيانه ــ ونرى أن المغضـوب عليهم والضـالين هـم جميع الكفارعلـى العموم على ما يستفـاد من قوله تعـالى: ﴿**ولكن من شرح بـالكفر صدرا فعليهم غضب مـن الله**﴾، وقوله تعـالى: ﴿**إن الـذين كفـروا وصدُّوا عـن سبيل الله قـد ضلُّوا ضـلالا بعيـــدا**﴾ .

إجمـــال :

تعدَّدت أسماء «سـورة الفاتحة» منها أنها : فـاتحة الكتاب، وأنها فاتحـة القرآن، وأنها أم الكتاب، وأنها أم القرآن، وهي السبع المثانى. تتضمن الثنـاء على الله سبحانه وتعالى بما هو أهله، وتتضمن التعبّد بالأمـر والنهى، وتتضمن الوعد والوعيد. وتشتمل علـى أربعة أنواع من العلوم هى مناط الدين، فهى تشتمل على علم الأصول وقوامه «معرفة الله تعالى» وصفاته التى يشيرإليها قوله تعالى: ﴿**رب العالمين * الرحمن الرحيم**﴾، وكذا معرفة «النبوات» المستفادة من قوله تعالى: ﴿**أنعمت عليهم**﴾، ثم معرفـة «المعاد» الذى يشيرإليه قولـه تعالى: ﴿**مالك يوم الدين**﴾. وتشتمل علـى علم الفـروع وقوامـه العبادات المقصـودة بقولـه تعالـى: ﴿**إياك نعبد**﴾ شاملـة العبادات البدنية والعبـادات المالية التـى تستلزم تنظيم أمور الحيـاة والمعيشة بقواعد تحكم المعامـلات ونظم الحكم، وأمور الزواج، وغيرها مما تحتـاجه شئون الحياة فى مجتمع، وهـى المعتبرة من الفـروع المؤسسة علـى الأصول. وتشتمل علـى علم ما يكـون به كمال الأمـر وهو علم الأخـلاق، وأعظم مـا فيه الوصـول إلى الحضرة الإلهيـة وسلوك طـريق الاستقامة الذى يشيرإليه قوله تعالى: ﴿**و إياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم**﴾، وتشتمل أخيرا على علم القَصص والإخبـارعن الأمم السابقة سعيدها وشقيها وما تعلـق بها من الوعد والوعيد، وهو المقصود من قوله تعالى: ﴿**أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾.

وفى الحديـث المروى عن أبى هـريرة رضى الله عنـــه أن رسول الله ﷺ قال لأُبىٍّ بـن كعب: «تحب أن أعلمـك سورة لم ينـزل فى التوراة ولا فـى الإنجيل ولا فى الزبــــور ولا فـى القرآن مثلها» ؟ قال: نعم يارسول الله فقال رسول الله ﷺ: «كيف تقرأ فى الصلاة»؟ فقال: بأم القرآن، فقـــال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده ما نـزل فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى القرآن مثلها، و إنها للسـبع من المثانى» .

سورة البقــرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ①

أولا : الأســـماء :

١ ـ ألـــــف : اسم حرف «أه» بمعنى أن مسماها هو الحـرف. بهذا قال الخليل بن أحمد النحوى المعروف .

٢ ـ لام : اسم حرف « له » .

٣ ـ ميــم : اسم حرف «مـــه» .

وفى شأن ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنـه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ حرفـا من كتاب الله فله بـه حسنة، والحسنة بعشر أمثـالها، لا أقول الٓمٓ حـرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف، فإنه يفسَّر بأنه يعنى أن مسمَّى ألف حرف، ومسمَّى لام حرف، ومسمَّى ميم حرف، أو أنه يفسَّـر بأنه ﷺ سمَّى كلا منها حرفا على سبيـل المجاز لكونه اسما لحرف، ويجوز فـى اللغة إطلاق أحد المتلازمين علـى الآخر، لذلك لما كان هنـاك تلازم بين اسم الحرف وبين الحرف ذاته جاز أن يطلق اسم الحرف على الحرف .

ثانيا : التفســـير:

حاول بعض العلماء تفسير هذه الأحرف أو أسماء الأحـرف، فروى عن ابن عباس أنه قال: «إن الحروف المقطعة فـى القرآن اسم الله الأعظم، إلا أنـا لا نعرف تركيبه منهـا»، وقال آخرون إنها إشارة إلى حروف الهجاء أعلم الله بها العرب حيـن تحداهم بالقرآن المؤتلف من حروف هى ذاتهـا التى منهـا بناء كلامهـم، وقال غيـرهم إنهـا حروف دالة علـى أسماء أخـذت منها

وحذفت بقيتهـا، فالألف من الله، واللام من جبـريل، والميم من محمد، وقيل غيـر ذلك وهو كثير.

والراجح أن هـذه الحروف وجميع الحروف التى فـى أوائل السور من «المتشابه» فـى قوله تعالى ﴿**هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هـن أم الكتاب وأخر متشابهات**﴾، وأنه لا يعلـم تأويلها إلا الله، وقـد روى عـن أبى بكر رضى الله عنـه أنه قال: «لكل كتـاب سرٌّ، وسرُّ القرآن أوائل السور»، وقال آخرون ـ دون أن يبعـدوا كثيرا عن ذات المعنى ـ «أنه لا يعرف سرَّها ـ بعد رسول الله ﷺ ـ إلا الأولياء الورثة، فهم يعـرفونه من تلك الحضرة». أما نحن فنؤمن بها ونقرأها كما جاءت .

ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢

أولا : الأســـماء :

١ ـ **ذلـــك** : اسم إشارة إلى البعيد للمفرد المذكر، وهو فى الآية يشير إلى ما بعده ـ وهو الكتاب ـ وقيـل إن «بُعد الكتاب» هو بُعـد الرتبة والمقام رغـم قرب الكتاب ذاته. كمـا قالت امرأة العزيز وهى تشير إلى يوسف عليه السلام لصواحباتها ـ على قربه منهن ـ ﴿**فذلكن الذى لمتنَّنى فيه**﴾ وذلك لبعد رتبتـه ومقامه. وقيل إنه ـ فـى الآية ـ بمعنى هذا، وقيل فـى معناه فى الآية إنه إشارة إلى الكتاب الذى وُعـد به رسول الله ﷺ بقوله تعالى: ﴿**إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا**﴾ .

٢ ـ **الكتــاب**: مصدر الفعـل «كتب»، ويطلـق على المكتوب، ويقـال «كتاب» لكـل ما يُضَم بعضه إلى بعض بالقول ولو لم يكن قد تم نظمه بالخط: ولهذا يقال «كتاب الله». وقيل ـ فى معناه فى الآية ــ إنه الكتاب الذى كُتب على خلق الله بالسعـادة والشقاء والأجل والرزق، وقيـل إنه مـا كتـب الله علـى نفسه مـن أن رحمتـه تغلب غضبـه أو تسبقـه، وقيـل إنه اللـوح المحفوظ، والراجح أنه القرآن عموما أو أنه القرآن الذى كان ـ وقت نزول الآية ـ فى السماء لم

ينزل بعدُ، لأن الله تعالى كان قد وعد أهل الكتاب أن ينزل على رسول الله ﷺ كتابا، فكانت الإشارة إلى ذلك الوعد.

٣ ـ ريب : الريب هو الشك، وهو التهمة، وهو الحاجة، ومعناه فى الآية هو الشك.

٤ ـ هدى : الهدى هو الرشاد والدلالة، وهذا هو «الهدى» الذى تقدر عليه الرسل ومن اتبعهم بإحسان؛ ولهذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿**ولكل قوم هاد**﴾ ، وهناك «الهدى» الذى تفرَّد به الله سبحانه وتعالى وهو هدى التأييد والتوفيق، «والهدى» هو خلق الإيمان فى القلب، ومنه قوله تعالى: ﴿**أولئك على هدى من ربهم**﴾ «والهدى» هو الإرشاد إلى المسالك والطرق سواء أكانت طرق خير، كما جاء فى قوله تعالى عن المجاهدين: ﴿**فلن يضل أعمالهم * سيهديهم...**﴾ الخ ، أم كانت طرق شر كما جاء فى قوله تعالى فى المجرمين: ﴿**فاهدوهم إلى صراط الجحيم**﴾ .

٥ ـ المتَّقون : فى قوله تعالى: ﴿**هدى للمتقين**﴾، التقوى ـ فى الأصل ـ قلة الكلام، وهى الاحتجاز دون شيء مكروه، والمتَّقِى ـ بهذا المعنى الأخير، وفى الآية ـ هو من يتَّقى بصالح أعِماله وبخالص دعائه عذاب الله، وقيل إن «المتَّقين» هم الذين إذا قالوا كان قولهم لله، وإذا عملوا كان عملهم لله، وقيل إنهم الذين نزع الله عن قلوبهم حب الشهوات.

ثانيا : التفسير:

يكون معنى الآية أن ذلك القرآن هو الكتاب الكامل، الذى لا يضاهيه ـ فى جنسه ـ آخر يكون حقيقا أن يسمى كتابا، لا يرتاب عاقل فى كونه وحيا من عند الله، أو أنه لا يرتاب فيه المتَّقون لكونه هاديا، فهو يهدى المهتدين بتثبيتهم على ما هم عليه وبإرشادهم إلى الزيادة فيه، أو أنه لاهداية للمتقين عذاب الله إلا بكتاب الله، فإذا كان القرآن هدى للناس جميعا كما يبين من قوله تعالى: ﴿**شهر رمضان الذى أُنزل فيه القرآن هدى للناس**﴾، فإن «المتَّقين» فى الآية هم الذين اهتدوا به وانتفعوا، فجاء ذكرهم فى الآية مدحا لهم .

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ الــذين : فى الآية صفة للمتقين .

٢ ـ الغيب : قيل فـى معنى «الغيب» فى الآيـة إنه الله سبحانـه وتعالى، وقيل إنـه القضاء والقدر، وقيل إنه القرآن ومـا فيه من الغيوب، وقد يكون الصحيح أنه مـا أخبر به رسول الله ﷺ فى حديث جبريل عليه السلام، وهو الله تعـالى، وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشـرُّه. وقيل إن معنـى ﴿**يؤمنون بالغيب**﴾ أنهم يؤمنـون بضمائرهم وبقلوبهـم بخلاف المنافقين الذين يؤمنون بأفواههم، ويكفرون بضمائرهم وقلوبهم.

٣ ـ الصـلاة : الصلاة ـ فى اللغة ــ هى الدعاء، وقول الله سبحانه وتعالى لـرسوله الكريم ﴿**وصلِّ عليهم**﴾ معناه «ادع لهم». والصلاة هـى «الرحمة» فى قولنا «اللهم صـلِّ على سيدنا محمد»، والصلاة هى «العبادة» كما فـى قوله تعالى: ﴿**وما كان صلاتهـم عند البيت** ﴾ الخ، والصلاة هى التسبيح كما فـى قوله تعالى: ﴿**فلولا أنه كان من المسبِّحين**﴾ ومعناه فـى الآية ـ على الراجح ـ أنها الفرائض أو الفرائض والنوافل، وأولاها صلاة المسلمين .

ثانيا : التفســـير :

تصـف الآية المتَّقيـن بأنهـم ﴿**الذيـن يؤمنـون بالغيـب ويقيمون الصـلاة ومما رزقنـاهم ينفقون**﴾ فهـم المصدِّقون بمـا أنزل على رسول الله ﷺ، وهـم المؤمنون لأن الإيمـان ـ كما قال سيدنا على بـن أبى طالب كرَّم الله وجهه ــ معرفة، والمعرفة تسليم، والتسليـم تصديق. وهذا التصديق يتعلـق بما أخبر به رسول الله ﷺ فى حـديث جبريل عليه السلام مـن أنه رب العزة سبحانـه وتعالـى، وملائكتـه، وكتبه، ورسلـه، واليوم لآخـر، والقدر خيـره وشرّه، وهـو يتضمن الإذعان للمشيئة الإلهية لأنه من دواعى الإيمان بالقدر خيره وشرّه، وهذا هو الغيب الذى يؤمن به المتَّقون. وهم الذين يقيمون الصلاة وينفقون ممـا رزقهم الله، وكلا الأمرين «عمل» وهو من الإيمان، فـالإيمان هـو المعرفة بـالجنان، والإقـرار باللسـان، والعمل بالأركـان. فهم الـذين يعبدون الله ويسبحونه ويدعونه ويؤدون فرائض الـدين ونوافله، وهـم الذين ينفقون أى ينفدون

بالصرف فى أوجه الطاعة لا المعصية من المال الذى رزقهم الله، وقد تكون «من» التبعيضية فى قوله تعالى ﴿ومما رزقناهم﴾ للتدليل على أن الإنفاق الذى يثيب هو الإنفاق من الرزق الحلال لأن الإنسان قد يرزق من حلال وقد يرزق من حرام، فجاءت «من» للتدليل على أن الإنفاق الذى يثيب هو ما يكون من رزق حلال، وقد تكون للتدليل على أن الإنفاق يجب أن يكون ببعض الرزق وليس به جميعه حتى يتجنب المؤمن الفاقة والفقر. لأن من يتَّقى عذاب الله يحرص على أن يكون رزقه جميعه حلالا. ورأى البعض أن الإنفاق المذكور فى الآية هو الزكاة، والراجح أنه صدقة التطوع ومنها النفقة فى الجهاد.

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ الذين : فى قوله تعالى: ﴿**والذين يؤمنون ... الخ**﴾ . والواو فى جملة الآية واو العطف «فالذين يؤمنون» معطوف على الموصول الأول «الذين يؤمنون بالغيب». وقيل إن المقصود مؤمنو أهل الكتاب وإن الأولين هم مؤمنو العرب الذين لم يكونوا من أهل الكتاب، وذلك لأن لهؤلاء أجرين أحدهما لإيمانهم بنبيهم عليه السلام والآخر لإيمانهم بمحمد رسول الله ﷺ، وقد طولب أهل الكتاب بالإيمان بالقرآن وبرسول الله ﷺ كما يبين من قوله تعالى: ﴿**وآمنوا بما أنزلت مصدِّقا لما معكم**﴾، وقيل إنهم المؤمنون جميعا بالقرآن وبالرسول ﷺ .

٢ـ ما : فى قوله تعالى: ﴿**بما أنزل إليك.... الخ**﴾ . اسم موصول لغير العاقل مذكرا كان أو مؤنثا، مفردا كان أو مثنى أو جمعا. والمقصود بما أنزل إليك هو القرآن الكريم، وفى قوله تعالى: ﴿**وما أنزل من قبلك**﴾ جميع ما أنزل الله على أنبيائه ورسله من الصحف والكتب، ومنها ما نزل من صحف على شيت وعلى أخنوخ وعلى إبراهيم وعلى موسى عليهم السلام ومنها الزبور الذى أنزل على داود عليه السلام، ومنها الكتاب الذى أنزل على موسى

وهو التوراة، والكتاب الذى أنزل على المسيح عيسى ابن مريم وهو الإنجيل. ويكون الإيمان بنزولها جميعا من عند الله تصديقا لقول رسول الله ﷺ فى حديث أبى ذر: قلت يارسول الله كم كتابا أنزل الله؟ قال مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة، وعلى أخنوخ ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان»، كما يكون الإيمان بما جاءت به فى شأن العقيدة من إيمان بالله وبتوحيده مما لا يتصور فيه نسخ ولا تبديل، وبما لم ينسخ من أحكام المعاملات فيها بإقرار القرآن به أو بالنص على ذات حكمه.

٣ ـ الآخرة: الأصل فيها أنها تأنيث «الآخر» من الفعل «أخر»، و «الآخَر» بفتح الخاء اسم تفضيل منه، ويقصد بها فى معنى الآية «البعث، والنشور». وكما ورد ذكرها فى القرآن الكريم باسم «الآخرة» فقد ورد ذكرها باسم «الدار الآخرة» كما فى قوله تعالى ﴿**ولدار الآخرة خير**﴾، كما ورد باسم «النشأة الآخرة» فى قوله تعالى: ﴿**وينشىء النشأة الآخرة**﴾ .

ثانيا : التفسير :

بعد أن وصف المولى سبحانه وتعالى «المتَّقين» الذين يصفهم القرآن كتابه الكريم بأنهم الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقهم ينفقون ـ وهم مؤمنو العرب من غير أهل الكتاب ـ فإنه أضاف إليهم ـ فى رأى ـ من آمن بالإسلام دينا وبالقرآن الكريم كتابا وبمحمد عليه الصلاة والسلام نبيا رسولا من أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى مؤمنى العرب ذلك أن اليهود منهم كانوا يؤمنون بالتوراة الكتاب الذى أنزل على موسى عليه السلام، وأن النصارى منهم كانوا يؤمنون بالتوراة ويؤمنون بالإنجيل الذى أنزل على المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وأنهم بإيمانهم بالقرآن الكريم وإسلامهم يكونون قد آمنوا بالقرآن وهو ما أنزل على رسول الله ﷺ، وقد كانوا قبل هذا مؤمنين بكتابهم فلما آمنوا بالقرآن الكريم أصبحوا المؤمنين بما أنزل إلى رسول الله ﷺ وبما أنزل من قبله، وفى رأى آخر أنه سبحانه وتعالى أضاف إلى مؤمنى العرب جميع المؤمنين بالإسلام دينا وبالقرآن كتابا منزلا من الله وبمحمد نبيا رسولا، وإنه لما كان القرآن الكريم قد أوضح أنه سبحانه وتعالى قد أنزل صحفا وكتبا

على أنبيائه ورسله منها التوراة والإنجيل وكان رسولـه الكريم قد فصَّل هذه الكتب والصحف وعيَّن من أنزلت عليه من الأنبياء والرسل، وكان المؤمن حقا هو من يعرف أن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهـوى، فإن كل من آمـن بالإسلام دينا وبالقـرآن كتابا منزلا وبمحمـد عليه الصلاة والسلام نبيا رسولا أنزل إليه القرآن يكون من بين مـن أضيف إلى الأولين فى نص الآية ولولم يكن مـن قبل مـن أهل الكتاب. ويبيـن نص الآيـة أن من صفات هـؤلاء أنهم يعلمـون علم اليقين أن البعث حق، والنشر حق، والحساب حق، لا يعتريهم فى هذا شك، وإذا كان الأصل أن يكون اليقين هـذا وليد علم يستفاد مـن معرفة كتاب الله الـذى ذكر البعث والنشر، فـإنه قد يكون حصوله بنظر أو حسّ أو غريزة أو بتواتر أو دليل .

أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **أولئـك** : اسم إشارة لجمع المذكر مبنى على الفتـح، يغاير الشائع من صيغ الجموع. ورد فى النـص كأنه إعـادة للموصوف بصفـاته المـذكورة، أى إعادة للمتقيـن الذين يـؤمنون بالغيب ... الخ.

٢ ـ **الهـدى** : هو الارشاد كما فى قـوله تعالى ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾، وهو «الميل» فإذا نسب إلى الله سبحانه وتعالى كان معناه الميل إلى الحق .

٣ ـ **المفلحون** : الفلاح هو الفـوز ونيل المراد، وأصله فى اللغة الشـقُّ والقطع، والمفلحون فى الآية هم الفائزون بالجنة والباقون فيها.

ثانيا : التفسـير :

يكون معنى الآية إن مـن سبق ذكرهم وهم المتَّقون الـذين يتَّصفون بأنهم يؤمنـون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقهم الله ينفقون، والذيـن يؤمنون بالقـرآن الكريـم الذى أنـزل على رسول الله ﷺ وبما أنزل الله مـن قبل من كتب على أنبيائه ورسله، ويعلمون عـن يقين لا يناله

شك أن هناك بعثا ونشورا وحسابا وجنة وجحيمـا، أن هؤلاء قد تمكنوا من الهدى لأنه من الله ربهم الحـق، ولأنه لمـا كان مـن الله فإنهم قـد استقروا عليـه وتمسكوا بـه فكان تعبيـر النص القرآنى عن حـالهم بأنهم «على هدى» مشبِّهـا حالهم هذه بحال من اعتلـى شيئا وركبه كما يستفاد من حرف «على» فـى قوله تعالى ﴿على هدى﴾، ثم كرَّر النص القـرآنى اسم الإشارة «أولئك» للتعبير عـن اختصاصهم بالفـلاح كاملا كما اختصـوا بالهدى كامـلا، أو لأن الهدى إنما كان لهم فى الدنيا ولأن الفلاح يكون لهم فى الآخرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ **الذين كفروا:** هم الذين علـى الكفر، «والكفر» نقيض «الإيمان»، وأصله المـأخوذ منه «الكَفْر» بفتح الفاء ومعنـاه «الستر»، وقد غلب استعماله فى ستر النعمـة على وجه الخصوص وفى مقابل الإيمان لأن فيه ستر الحق.

٢ ـ **سواء** : اسم مصدر بمعنى الاستواء، لا يثنَّى ولا يُجمع .

ثانيا : التفســـــير:

يستأنف النص القرآنـى بيانه بتمييز حال الكفرة من بعد بيان أحـوال المؤمنين أضدادهم، فيصف الكفار بأنهم يصرُّون على الكفر والضلال مما لا يجدى معهم إنذار، فالمولى سبحانه وتعالى يقول لرسولـه الكريم: إنه مستوٍ على الكفار إنذارك إياهم وعـدمه. وقد قيل إن الكفار المقصودين فـى هذه الآية هم الـذين حقَّت عليهم كلمـة العذاب وسبق فى علـم الله أن كلا منهم يموت علـى الكفر، فأراد سبحانه وتعالـى أن يعرف الخلق أن من الناس مـن يكون هذا حاله، وذلك دون تعيينه أحدا. وقيل إن هذه الآية نزلت فى بعض رؤساء اليهود ومنهم حي بن أخطب وكعب بن الأشرف.

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ⑦﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **القلب**: الأصل ـ فى اللغة ـ أنه مصدر الفعل قلَبَ، يقلب قلبا،بمعنى يرد الشىء على بداءته، ونقلت العرب هذا المصدر للعضو الذى فى الصدر وفخمت قافه لتفرق بينه وبين أصله، وهو لديهم معتبر أشرف الأعضاء لأنه ـ فى المعنى ـ موضع الفكر؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم يا مثبِّت القلوب ثبِّت قلوبنا على طاعتك»، ويقول المولى سبحانه وتعالى ﴿**واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه**﴾، وزعم أن القلب هو أشرف الأعضاء وملكها فإنه يتأثر بأعمالها على ما يبين من قول رسول الله ﷺ : «إن الرجل ليصدق فتنكت فى قلبه نكتة بيضاء، و إن الرجل ليكذب الكذبة فيسودّ قلبه» .

٢ ـ **السمع** : السمع ـ فى اللغة ـ مصدر الفعل «سمع، يسمع سمعا وسماعا»، وهو أيضا اسم الجارحة المسموع بها سمِّيت بالمصدر. ورأى البعض أن السمع يفضل البصر لتقدمه عليه فى نص الآية ولأنه يدرك به الجهات فى النور والظلمة حين لا يدرك بالبصر إلا من الجهة المقابلة وبواسطة الضوء. والسِّمع بكسر السين هو ذكر الإنسان بالجميل، والسمع أيضا ولد الذئب من الضبع، وليس أى من هذين هو المقصود فى الآية.

٣ ـ **الأبصار** : جمع بصر، وهو فى الأصل بمعنى إحساس العين وإدراكها، وعبَّر به عن القوة المودعة الأعصاب الواصلة بين الدماغ والحدقتين التى من شأنها إدراك الأشكال والألوان. وعبَّر به عن العين التى هى محل البصر.

٤ ـ **الغشاوة** : هى والغشاء بمعنى واحد هو الغطاء، وهى مرض من أمراض العين معروف، بينه وبين العشا صلة فهو ظلمة تعرض للعين تعجزها عن الرؤية، ويقال «عشى عن» بمعنى «عمى»، ومنه قوله تعالى ﴿**ومن يعش عن ذكر الرحمن**﴾ .

٥ ـ عــذاب : العذاب فى الأصل هـو الاستمرار، وتوسع فى معناه فسُمِّـيَ به كل استمرار ألم، ورأى كثير من اللغـويين أن أصلة «المنع» فيقال عذبت الفـرس إذا امتنعت عن العلف، ثم تُوسِّع فيـه فأطلق على كل مؤلـم شـاق. وقيل إن العذاب مأخوذ فى الأصـل من التعذيب، وأصله إكثار الضرب بعذبة السوط، ثم جرى استعماله بمعنى الإيلام.

٦ ـ عظيــم : العظيم هو الكبير، وقيل إنه ما فـوق الكبير لأن الكبير يقابله الصغير، والعظيم يقابلـه الحقير وهو دون الصغيـر، ولما كان الصغير والحقيـر خسيسان وكان الحقيـر أخسَّهما، وكان الكبير والعظيم شريفـان فقد لزم أن يكون العظيم أشرفهما. وقيل إن الكبيـر هو الكبير فى ذاته سواء استكبره غيـره أم لا، أما العظيم فهو من يكون بحيث يستعظمـه غيره. وقيل إن أصل عظيم هو «عظم الرجل» أى كبر عظمه، ثم استعير لكل كبير.

ثانيا : التفســـــير:

توضح الآيـة بجلاء أن الله سبحانه وتعالـى هو خالق الهدى والضـلال، والإيمان والكفر، فهى تنسب الختـم على القلوب والطبع عليها وعلـى السمع، كما تنسب إيجـاد غشاوة على الأبصار إلى الله سبحانه وتعالى، فليس لمن كان هـذا ـ من الله ـ شأنه أن يهتدى بعد أن أضلَّه الله وأصمَّه وأعمـى بصره أن يهتدى، وقـد قال المـولى سبحانـه وتعالى أنـه الذى ختـم على قلوب الكافرين وطبـع جزاء لكفرهم ﴿**بل طبع الله عليهـا بكفرهم**﴾، والمقصود بالختم على القلوب والسمـع ووضع الغشاوة على الأبصـار هو معنى يخلقـه الله يمنع من الإيمان بـه كما يبين من قوله تعالى ﴿**كذلك نسلكه فى قلوب المجـرمين * لا يؤمنون .... الخ**﴾ الآية، ومن قوله تعالى: ﴿**وجعلنا على قلـوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا**﴾، فالمعنى هـو أن الذين كفروا هم الميسَّرون منذ الأزل للعذاب جزاء على كفرهـم؛ ولذلك طبع الله على قلوبهم فكان أنهـا لا تعى، وطبـع على سمعهـم فصمَّت عـن سمـاع كلمة الحـق، وأعمى أبصـارهم عـن مشاهـدة الآيات فكان منهـم أنهم لا يؤمنـون وكان إصرارهـم على الكفر، وليـس الإيمان ولا الكفر فى حد ذاته هو سبب التنعيم الحقيقى أو التعذيب، وإنما هما علامتان لهما، فمن كان فى علـم الله من أهل السعـادة المستعدَّة لها نفســه فإنه يُيسَّـر بمقتضى رحمة الله لعمـل أهل

السعادة، ومن كان فى علم الله من أهل الشقاوة فـإنه يُيسَّر بمقتضى القهر لعمل أهل الشقاوة، وقد قال رسول الله ﷺ «اعملوا فكلٌّ ميسَّر لما خُلـق له»، ذلك أن علم الله الأزلى بما يكون من شأن العبد يسبق كل شىء، ثم إن مشيئة الله تكون تـابعة لعلمه فتكون مشيئته سبحانه وتعالى تنعيم العبد أو تعذيبه تبعا لما علم منذ الأزل ما يكون عليـه فعله على ما يبين من قوله تعالى: ﴿ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم﴾، ثم يكون فعل العبد الذى يأتيه مختارا بغير قهر ليحاسب به فيكون من أهل النعيم أو من أهل الجحيم، فيكون التكليف من الله وسيلة لاستخراج ما فى النفس من استعـداد للطاعة أو العصيان والكفـر؛ ولذلك قال سبحـانه وتعالى فـى المعذَّبين بكفرهم ﴿وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾، كما قال سبحانه وتعالى مبينا خبث ذوات الكافـرين وثبوت الخبـث فيها ﴿ولو رُدُّوا لعـادوا لما نهـوا عنه﴾. ويدل على هـذا قول إبليس اللعين لهؤلاء فى قوله تعالى: ﴿فلا تلومونى ولوموا أنفسكم﴾. ولا يمنع من قبول هذا أن من يتـوب من الكفر يتوب الله عليـه ليكون من أهـل النعيم، لأن ظهور الإيمان بعـد الكفر دليل علـى نجابة الـذات فى ذاتها وطهـارتها فـى معلوميتها، فكـان لها أن تتمتع بـرحمة الله القائل فـى كتابه الكـريم ﴿ورحمتى وسعت كـل شىء فسأكتبها للـذين يتقون﴾، أما أهـل الشقـاوة الكافـرون باختيـارهم فسيكـون لهم العـذاب العظيم الـذى قد يكـون عظمه لـدوام استعارنار جهنم الذى يبيِّنـه قوله تعالى: ﴿كلما خبت زدنـاهم سعيرا﴾، وقد يكـون لاستمرار تعذيبهم وتجدُّده كما يبين مـن قوله تعالى: ﴿كلما نضجت جلودهم بدَّلنـاهم جلودا غيرها﴾ وقد يكون لخلودهم فى النار أو لغير ذلك من الأسـباب .

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **النـاس**: أصل اللفـظ عند كثيريـن من اللغويين «أنـاس» وهو جمع أو اسـم جمع لإنسـان، ويؤيـد هـذا «إنسان، وإنـس، وأنـاسىّ»، وقيـل إنـه مأخـوذ مـن «الأَنَس» نقيـض «الوَحشة»، وقيـل إنه مأخوذ مـن «آنس» بمعنى أبصر كمـا فى قوله تعـالى ﴿آنس من جانب

الطور نارا﴾ وقيل إنه مأخوذ من نسى بالقلب لقوله تعالى فى آدم عليه السلام **﴿فنسى ولم نجد له عزما﴾**. ويقصد بهم فى الآية البشر الذين ليس لهم صفة تميزهم غير الصورة الإنسانية وهم المنافقون ـ على الراجح ـ الذين ستروا الكفر وأظهروا الإيمان، لأن الله سبحانه وتعالى ذكر المؤمنين أولا ثم ذكر الكافرين، ثم عقَّب بالمنافقين، وذكر نصُّ الآية أنهم كانوا يعلنون إيمانهم بالله وباليوم الآخر فقط مع أنهم كانوا يعلنون بأفواههم إيمانهم بجميع ما جاء به نبى الله ﷺ وذلك لأنهما المقصود الأعظم من الإيمان لأن من يؤمن بالله تعالى إيمانا يليق بجلال ذاته يكون شأنه أن يؤمن بكتبه ورسله وشرائعه. وفى النص إشارة إلى أن المقصودين به يبطنون الكفر ولذلك أوضح سبحانه وتعالى أنهم ليسوا بمؤمنين. وقيل إن البعض من الناس الذين ورد فيهم النص كانوا يهودا يؤمنون بالله وباليوم الآخر على ظنهم، كانوا يدَّعون للمؤمنين أن إيمانهم بهما، يماثل إيمان المؤمنين؛ فجاء نص الآية ليبين أنهم ليسوا مؤمنين لأنهم لم يؤمنوا بنبوة رسول الله ﷺ ولا بالقرآن العظيم كتابا منزلا .

٢ ـ الله، واليوم الآخر، والمؤمنون : سبق بيانهـــا .

ثانيا : التفســـير :

يذكر المولى سبحانه وتعالى حال المنافقين من بعد ذكره حال المؤمنين ثم حال الكافرين فيقول إنهم يعلنون بأفواههم إيمانهم بالله وباليوم الآخر للتدليل على إيمانهم بجميع ما أنزل الله على رسوله الكريم لأن الإيمان بالله وباليوم الآخر هو المقصود الأعظم من الإيمان بما يستوجب الإيمان بكتب الله ورسله وشرائعه، لكنهم يبطنون الكفر فى دواخل نفوسهم فهم ليسوا بمؤمنين، ولا يمنع هذا أن يكون النص القرآنى قد نزل فى شأن اليهود الذين كانوا يعلنون للمؤمنين أنهم مثلهم ـ بظنهم ـ يؤمنون بالله وباليوم الآخر، فنزل قوله تعالى مبينا أنهم ليسوا مؤمنين، وذلك لأن الإيمان لا يكمل إلا بالإيمان برسول الله ﷺ نبيا رسولا، وبالقرآن العظيم كتابا منزلا من الله سبحانه وتعالى على نبيِّه الكريم، والعمل بما عليه الإيمان .

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ الذين آمنوا: المؤمنون بالله ربا وبمحمد ﷺ رسولا نبيا وبالقرآن كتابا منزلا من الله فكان إيمانهم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكان لهم ـ وقت نزول الآية ـ أمر الحكم فجاز أن يحاول المنافقون خداعهم ليصيبوا منهم منفعة أو ليصيبوهم بمكروه.

٢ ـ الأنفس : فى قوله تعالى: «إلا أنفسهم»، والنفس ـ فى اللغة ـ حقيقة الشىء وعينه، لا تختص بالأجسام بدليل قوله تعالى: ﴿**كتب على نفسه الرحمة**﴾، وقوله تعالى: ﴿**ويحذركم الله نفسه**﴾، ونطلق على الجوهر اللطيف غير المرئى الحامل قوة الحياة والحسِّ والحركة الإرادية فى الحيوان عموما .

ثانيا : التفسير:

يقول المولى سبحانه وتعالى إن المنافقين يخادعونه فى أنفسهم أو فى اعتقادهم، لأنه سبحانه وتعالى لا يُخدع، ومعنى يخادعون الله أنهم يظهرون الطاعة والإيمان ـ اعتقادا فى أنفسهم ـ أنهم يوقعون فى علمه جلَّ وعلا خلاف واقعهم وما يضمرون من الكفر، وهذا محال لأنه سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية، وقد يكون معنى قوله تعالى «يخادعون الله» هو يخادعون رسول الله، فيكون المولى سبحانه وتعالى قد جعل خداعهم رسولَه ﷺ خداعا له لأنه ﷺ إنما دعا برسالته سبحانه وتعالى، كذلك فإنهم يخادعون المؤمنين فيحاولون إيهامهم بأنهم مؤمنون لعجزهم عن إظهار كفرهم المكتوم، قاصدين تعظيمهم عند المؤمنين والتطلع إلى أسرارهم. وإذا كانت «المخادعة» تعنى أن يفعل كل طرف من أطرافها بطرفها الآخر مثل ما يُفعل به من أفعال الخداع، وكان سبحانه وتعالى لا يَخدع ولا يُخدع، غنيا عن طلب منفعة لنفسه وتحصيلها، متعاليا على استحضار المقدمات لنيل الأوطار، فجاز أن يكون صنيعه مع المنافقين المقابل فعلهم هو أمره سبحانه وتعالى أن تسرى عليهم الأحكام التى يخضع لها المسلمون رغم أنهم عنده أهل الدرك الأسفل من النار، كذلك فإنه لما كان

المؤمن أكرم من أن يَخْدَع فقد جاز أن يكون فعل المـؤمنين مع المنافقين ـ المستدل عليه من لفظ يخادعون ـ هـو الامتثال لأمر الله تعالى وتطبيق أحكام المسلمين عليهـم. ويوضح النص القـرآنى أن المنـافقين لايخـدعـون فى حقيقـة الأمر إلا أنفسهـم، وذلـك لأنه ــ وان كانـت المخادعة لاتكون إلا بين اثنين ـ فإن دائرة الخداع ترجع إليهم ليعود عليهم ضررها، فلا يكون الخداع منهم إلا إضرارا بأنفسهم وحدهم، ولأنهم خدعوا أنفسهم عندما غرَّوها اعتقادا أنهم يقـدرون على خـداع الله وخـداع المؤمنيـن، وخـدعتهم أنفسهـم عنـدما أوهمتهـم بـأمانـى المكاسـب التى أملـوا أن يحصلوهـا أوبالخلـوص مما كـان مفترضـا أن يُضرب عليهـم من الجزية، وبيَّن نص الآيـة أنهم وقت فعلهم مخادعة الله والمؤمنين لم يشعـروا أنهم إنما كانوا يخدعون أنفسهم. أو أنهم وقت مخادعتهم أنفسهم كانوا غير شاعرين بذلك، وأنهم لو شعروا لما خادعوا.

﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ مرض: حالـة تعرض للمخلوق أو تكون بـه تخالف الطبـع من شأنها إحـداث الضرر، وهى ضـد «الصحَّة» وفى اللغـة يجوز أن يطلق المـرض على أثـره وهو الألم، وعلـى الظلمة، ويطلق مجـازا على ما يعـرض للمرء مما يخـلّ بكمال نفسـه مثل البغضاء والغفلـة والحسد لأنها تـؤذى الروح كما يؤذى المـرض العضوى الجسد، وقـد استعير اللفظ فى الآيـة للفساد الذى يشوب عقائد المنافقين، الذى قد يكون شكًّا ونفاقًا وقد يكون جحدا وتكذيبا.

٢ ـ عـــذاب: سبق بيانه .

٣ ـ أليـــم : يمعنى مؤلم أى موجع .

ثانيا التفســـــير:

يصف المولى سبحانه وتعالى قلوب المنافقين بأنها مريضة ـ فى إشارة إلى مرض سائر أعضاء أجسادهم أو إلى مرض نفوسهم ـ لأن مرض القلب مرض لسائر الجسد، أو لأن القلب ـ فى المعنى ـ هو النفس الناطقة المفكرة التى لولاها ما كان الإنسان إنسانا، ومرض هذه القلوب هو فساد عقائدها التى انطوت على الشك والنفاق، وعلى الجحد والتكذيب، مع خلوها من العصمة والتوفيق والرعاية والتأييد، وهذه جميعها من الخبائث التى منعت أصحاب القلوب من الإيمان وهوت بهم إلى الدرك الأسفل من النار، ثم يدعو المولى سبحانه وتعالى عليهم بزيادة مرضهم أو يخبر عن زيادتهم فيه وهو ما قد يكون بتضعيف حسدهم بزيادة نعمه تعالى على رسوله ﷺ وعلى المؤمنين، أو بتجدد كفرهم بما ينزله من الآيات والذكر الحكيم، وتنسب الآية الزيادة فى المرض إليه سبحانه وتعالى وهذه حقيقة وإن كان سببها طبع الكفار والمشركين لأنه سبحانه وتعالى فاعل كل شيء بالأسباب وبغيرها، ثم توضح الآية مصير هؤلاء المتمثل فيما أعدَّ لهم من العذاب الأليم فى الآخرة وتبيين سببه أو علته وهى الكذب وليس النفاق كما يبين من باء السببية فى قوله تعالى: ﴿**بما كانوا يكذبون**﴾ ليتجنب المؤمنون الكذب وقد علموا أن شدة العذاب إنما كانت جزاء على الكذب وليس على النفاق.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾

أولا: الأســـــماء:

١ ـ **الأرض**: أحد كواكب المجموعة الشمسية، مؤنثة وتفيد معنى كل جزء من الأرض، أو كل ما سفل. والأرض هى النفضة والرعدة، وهى الزكام، والمقصود بها فى الآية جنس الأرض أو المدينة المنورة بالنظر إلى أسباب النزول.

٢ ـ **مصلحون**: اسم فاعل من «أصلح» والصلاح ضد الفساد، والمصلحون هم من اقتصر فعلهم على الإصلاح المحض أو الذى يصلحون بين الناس بعضهم والبعض.

ثانيا التفسـير:

قد تكون جملة الآيـة معطوفة على قوله تعـالى «ومن الناس من يقول... الـخ» الآية لبيان حالهـم المتمثل ــ فى وجـه أول ـ فى ادعـائهم الإيمـان وكذبهم فيـه، ثم لبيـان حالهـم فى الانغماس فى الباطل ورؤية الفساد صلاحا، ومعنـى «وإذا قيل لهم» أنه قد قيل لهم بالفعل، والقائل قـد يكون رسـول الله ﷺ بعد أن عرَّفـه ربُّه حقيقـة أمرهم أو بعـد أن بلغه ذلـك عنهم فنصحهم فأجـابوه بأنهم مصلحـون، وقد يكون بعض المـؤمنين أو بعض من يحـادثونهم ولا يقبل منهم حديثا فيعظهـم، ويتمثل الـوعظ فى نهيهـم عن الفساد الـذى هو الكفـر والنفاق وإثارة الفتن، وقد كان ردّ المنافقين «إنما نحـن مصلحون» وتفيد «إنما» معنى الحصر بمعنى أنهم مقصورون على الإصـلاح المحض لا يشوبه شيء من الفساد، وقولهـم هذا إمعان منهم فى الكذب وعلى القول بأفواههم ماليس فى قلوبهم.

أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾

أولا: الأسـماء:

١ ـ **المفسدون:** مرتكبو الفساد وفـاعلوه، وناشروه بين الناس، وهـو الكفر، والنفاق، وإثارة الفتن بين الناس بعضهم والبعض. كله أو واحده.

ثانيا التفسـير:

الآيـة هى ردّ المـولى جـل وعلا علـى قولهـم وادعائهـم أنهم مقصـورون على الإصـلاح وجـاءت «ألا إن» فى بـدايـة الآية لتـأكيد المعنـى لأن «ألا» تتـركب مـن همـزة الاستفهـام الإنكارى ـ وهو نفى معنى ـ ومن «لا» النافيـة، فتكون نفى نفيٍ فتفيد الاثبات، و«إن» ـ بعدها ـ تفيد تحقيـق الحكم وتـأكيده، فيكـون ردّ الله سبحانـه وتعالـى عليهم هـو القطع بـأنهم هـم المفسدون، ثـم يبين سبحانه وتعالى أنهم لا يدركـون أنهم مفسدون لأنهم كانوا يرون فسادهم صلاحا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ السفهاء: السفه هـو الخفة والاضطراب، وشـاع استعماله للتـدليل على خفـة العقل وسقم الرأى، فالسفيه هو من يصدر رأيه عن عقل مضطرب فلا يحسن التقدير.

ثانيا التفســـير:

قيل فى تفسيـر هذه الآية أنه قيل بالفعـل للمنافقين: «آمنوا كما آمن النـاس» وكان القائل من المؤمنين، وأنهـم لما كانوا يخفون كفرهم ولا يظهرونـه ـ فإنهم أجابوا بقولهـم «أنؤمن كما آمن السفهاء» سـرا فيما بينهم، وقيل إن «إذا» فى الآيـة بمعنى «لو» فيكون المعنى أنـه لو كان قيل لهـم «آمنوا كمـا آمن النـاس» لكانـت إجابتهـم «أنؤمـن كما آمـن السفهاء» ، وقيـل إن «الناس» الـذين نُصـح المنافقـون أن يؤمنـوا مثل إيمـانهم هـم رسول الله ﷺ ومـن معه مـن المؤمنيـن. وقيل إن المقصوديـن بنص الآية هـم اليهود و إن «النـاس» الذين طلـب منهم أن يؤمنـوا مثل إيمانهم هـم الذين آمنـوا من اليهود مثـل عبد الله بن سلام، وأن ردّ المنـافقين أو اليهود الذى أخفوه عن المؤمنين وتحدثوا به فيما بينهم أو الذى كان مفترضا أن يجيبوا به فيما لو كان قـد قيل لهم «آمنوا كما آمن النـاس» هو جواب فى صورةسؤال استنكـارى مبطل يفيد معنى عدم حـدوث ذلك على القطع، وذلك لأن المؤمنيـن ـ فى نظرهم ـ هـم ذوو الخفة فى العقل والفساد فى الـرأى وأنهم ما آمنوا إلا بهذا القصور فى العقل والفسـاد فى الرأى. وتنتهى الآية بردّ الله تعالى على قولهم بإثبات إنهم ـ القـائلون أو الذين كان مفترضا أن يكونوا قائلين ـ هم السفهاء ذوو الخفـة فى العقل والجهل بالأمور؛ ولـذلك وصفهم سبحانه وتعالـى بأنهم «لا يعلمون» لأنه لما كان السفـه نقصا فى العقل مؤداه قصور العلم، فقد جـاء وصفهم بأنهم

الجهلاء الذين لاعلم لهم لتحقق كونهم سفهاء .

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ الشياطين: جمع تكسير مفرده شيطان، فعله «شطـن» بمعنى «بعد» ويقصد بـه البعد عن طـاعة الله والامتثال لأوامـره، وروى عن ابن عبـاس رضى الله عنـه أنه قال «الشيطـان كل متمرد من الجن والإنس والدواب» والأصل أنه من الجن، والمقصود بـ «شياطينهم» فى الآية هؤلاء الذيـن كانوا يأمرون المنـافقين بالتكذيب مـن اليهود أو من الكهنة، وسُمُّوا بـالشياطين لتمردهم وتحسينهـم القبيح وتقبيحهم الحَسن، أو لأنهم قـرناء شياطين الجن وأشبـاههم فى الفعل.

٢ ـ المستهـزئون : جمع مـذكر سالـم، فعله «استهزأ» بمعنـى «هزأ» وأصله مـن «الخفة» فيقال «ناقته تهزأ به» أى تسرع وتخف، والاستهزاء هو الاستحقار والاستهانة والاستخفاف وهو ما قـد يكون بطريـق التقليد والمحاكـاة مع التـركيز على العيـوب وتضخيمها على وجـه يثير الضحك فيكون معنى المستهزئين فى الآية هو «المستخفِّين بالمؤمنين».

ثانيا التفســـير :

تشرح الآية أمر المنافقين مع المؤمنين ثم أمرهم مع آمريهم بالتكذيب من بنى جلدتهم أو الكهنة، فهم إذا استقبلوا المؤمنين قالوا لهم «آمنَّا» «استهزاءً» بهم، ويختلف قولهم «آمنا» فى هذا الموضـع عن قولهم السابق «آمنـا» المذكور فى الآية الثـامنة، فقولهم السابق كـان لدفع المؤمنيـن عن أنفسهم أى أنـه كان خـداعا، أما قـولهم ـ فـى الآية ـ «آمنا» فقد صـدر منهم استهزاءً بالمـؤمنين بمعنى أنه جمـع بين الخداع وبين الاستهـزاء. وقيل إنهم ـ بقـولهم هذا ـ كانوا يقصـدون أنهم آمنوا بالله واليـوم الآخر، وقيل إنهم كانـوا يقصدون أنهم آمنوا بمـا آمن به

المؤمنون. أما شأن المنافقين مع شياطينهم من الإنس فإنه على نحو آخر، ذلك أنهم متى خلوا إليهم وانفردوا بهم قالوا لهم» إنا معكم على دينكم، إنما نحن مستهزئون بأصحاب محمد ﷺ، ساخرون منهم».

ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **الطغيان**: أصله تجاوز المكان الذى وقف فيه، فعله «طغى» بمعنى تجاوز الحدّ المعروف له، واستعير لوصف فعل كل من أضلَّ بحكم شرعى ثابت أو بالمعروف عقلا فلم يرعه، فيقال «إنه طغى».

٢ ـ **العمه**: هو التردد والحيرة، ويستعمل فى «الرأى» على وجه الخصوص، وقيل إن مقصوده هو العمى عن الرشد.

ثانيا التفسـير:

يقرر المولى عز وعلا أنه يستهزىء بالمنافقين الذين يقولون لشياطينهم إنهم يستهزئون بالمؤمنين والمقصود باستهزائه سبحانه وتعالى بهم هو تحقيرهم، أو هو تحقيرهم على وجه يجعل من يطلع عليه يسخر منهم ويضحك فيكون جزاؤهم من جنس عملهم، وقيل إنه يكون باستهزاء المؤمنين بهم يوم القيامة عندما يفتح لهم باب جهنم من جهة الجنة فيدخلون سابحين فى النار حتى إذا انتهوا إلى الباب سُدَّ عنهم، فيضحك منهم المؤمنون. ويبين سبحانه وتعالى أنه يطيل لهم مدة كفرهم وضلالهم ويمهلهم ويملى لهم فيكون تمكنهم من العصيان وترددهم والعمى عن الرشد، لأنه لما كان المنافقون مصرِّين على الكفر غير متردِّدين فيه ولا متحيِّرين فإن التردد لا يكون إلا فى أمر آخر هو الرشد والهدى .

أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **أولئك**: اسم إشارة للبعيد، يشير فى الآية إلى المنـافقين الموصوفين بأنهم المفسدون الذين نسبـوا السفه للمؤمنين وهم السفهاء، والـذين قالوا إنهم يستهزئون بهـم وهم المستهزَأ بهم، أشير إليهم باسم إشارة إلى البعيد للتدليل على بعد منزلتهم فى الشر.

٢ ـ **الضلالة**: هى الحيرة، ويُسمَّـى النسيان ضلالة لما فيـه من الحيرة وهو معناه فـى قوله تعالـى «فعلتها إذًا وأنـا من الضاليـن»، ويُسمَّى الهلاك ضـلالة وهـو معناه فى قـوله تعـالى: «وقالوا أئذا ضللنا فى الأرض».

٣ ـ **التجــارة** : هى التصرف فى رأس المـال طلبا للربح، ولا يقصد بها ــ فى نص الآية ـ التجارة علـى حقيقتها بمعنـى المعاوضة بمـا فيها مـن بيع وشراء، وذلـك لأن المشركيـن لم يكونوا مؤمنين فيبيعـون إيمانهم، وإنما جاء لفظ «اشتروا» للتدليـل على أنهم استحبوا الكفر على الإيمان لأن الشراء إنما يكون لما يحبه المشترى.

ثانيا التفســـير:

يشير المولى سبحانه وتعالى إلى المنافقين باسم الإشارة «أولئك» لإثبات بعد منزلتهم فى الشر ويصفهم بأنهم استحبوا الكفر على الإيمـان أو أنهم اختاروا الكفر وفضَّلوه على الإيمان الذى فطروا عليه شأن كل مـولود، ومنه الهدى الذى كانوا عليه سلفا إيمانـا منهم بما جاء فى التوراة من التبشير برسول الله ﷺ، «فلما جاءهم ما عـرفوا كفروا به فلعنة الله على الكـافرين». ثم صوَّر المولى سبحـانه وتعالى صنيعهم هذا بأنه الخسار لحق بهـم «فما ربحت تجارتهم» وذلك لأنــه فوَّت عليهم الفوائد المتـرتبة على الهـدى والتى هى كـالربح فكان مثـال تضييع الهدى تضييع رأس مال التاجر فجاء تصويره بصورة خسارة التاجر وفواته الربح حتى كأنه هو

على سبيل الاستعارة التمثيلية، وأوضح سبحانه وتعالى أنهم فيما فعلوه من شراء الضلالة لم يكونوا مهتدين أو أنه قد سبق فى علمه أنهم غير مهتدين.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **المثـل**: المثل بفتحتين هو النظير والشبيه، كالمِثل بكسر الميم والمثيل، ويطلق كما هو للمفرد المذكر والمفردة المؤنثة والمثنى بنوعيه، والجمع بلفظ واحد.

٢ ـ **النـار** : جوهر لطيف مضيء محرق، مشتقة من «نارَ، ينور، نورا» إذا نفر وتفرق، لأن فيها ـ على ما يشاهد ـ حركة واضطرابا .

٣ ـ **النـور**: هو الضياء وهو الإشراق، أو هو منشأ الضياء ومبدؤه، فالضياء هو ظاهر النور، ولهذا فإنه ينتفى بانتفاء النور؛ ولهذا وصفت شريعة الإسلام بالنور «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين»، ووصفت شريعة اليهودية بالضياء «ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين».

٤ـ **الظلمات** : جمع الظلمة وهى عدم الضوء عما من شأنه أن يكون مستضيئا، وهى لا تعنى العدم فهى مجعولة كما يجعل الموجود بدليل قوله تعالى «وجعل الظلمات والنور»، ويلاحظ أن «الظلمة» لم ترد فى القرآن العظيم إلا مجموعة «ظلمات»، أو «الظلمات» حين أن «النور» لم يرد فيه إلا مفردا، وقد يكون السبب أن الظلمة وإن قلَّت تستكثر على حين أن النور وإن كثر يُستقل، وأنه كثيرا ما يشار بهما إلى الكفر، والإيمان، ذلك أن القليل من الكفر كثير، والكثير من الإيمان قليل .

ثانيا التفسـير:

يوضح المولى سبحانه وتعالى حال المنافقين السابق وصفهم ــ تشبيها ـ بقوله تعالى «أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى» فى الآخرة، وهو جل وعلا يوضح هذه الحال بضرب مثال لها ليسهل إدراكها هذا المثل هو حال الذين استوقدوا نارا فى ليلة مظلمة فاستضاءوا بها ورأوا ما ينبغى أن يروه درءا للمخاطر وطلبا للأمن فإذا ما طفئت النار بقوا فى حيرة وأدركهم ما كان يخشون من الأذى، والمعنى المقصود أن المنافقين بإظهارهم الإيمان يثبت لهم ـ فى الدنيا ـ ما يثبت للمسلمين من أحكام الغنائم وأحكام الإرث والزواج كما يأمنون على أموالهم وأولادهم ولا يدفعون الجزية، وهذه جميعها خيرات تماثل ما ينتفع به من أوقدوا نارا فى ليلة مظلمة ليأمنوا مخاطر الظلمة، ثم إنه يكون حالهم فى الآخرة حال هؤلاء الذين أوقدوا النار ليأمنوا بنورها ما يخشون من المخاطر عندما تطفأ هذه النار ويذهب نورها إذ يعانون الحيرة آنا وينالهم ما كانوا يدفعون من الأذى بنور النار، إذْ يعانى المنافقون هذه الحيرة ثم ينالهم العذاب، ويلاحظ فى شأن النص أنه عبّر عن المنافقين بقوله «كالذى» وهو يفيد معنى «كالذين» كما جاء فى قوله تعالى «والذى جاء بالصدق وصدَّق به أولئك هم المتقون»، فهو يدلُّ على المفرد ويدل على الجمع، وقيل إن الذى أوقد النار كان واحدا من جماعة استضاءت بها؛ ولذلك عُبّر عن موقد النار بـ «الذى»، وعبر عن الذين ذهب الله بنورهم بالضمير المتصل «هم» «لكونهم جماعة»، كذلك يلاحظ أن قوله تعالى «وتركهم فى ظلمات لا يبصرون» يفيد معنى سبق «الظلمة» على وجود النور المتولد من النار لديهم ولذلك فإنهم بذهاب النور عادوا إلى حال «الظلمة» التى تُركوا عليها.

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾

أولا: الأسـماء:

صم، بكم، عمى أوصاف جموع كثرة على وزن «فُعْل».

١ ـ صـمٌّ: جمع كثرة لأصم، والأصم هو الذى لا يسمع فيكون به «صمم» والصمم داء

فى الأذن يمنع السمع. وأصل «الصمم» هو الانسداد، فيكون الأصم هو من انسدت مسامعه.

٢ - بُكْمٌ: جمع كثرة لأبكم، والأبكم هو الذى لا يتكلم فيكون به «بُكم». والبُكم داء فى اللسان يمنع الكلام. ويطلق لفظ «أبكم» مجازا على من لا يفهم ولا يهتدى للصواب.

٣ - عميٌ: جمع تكثير لأعمى، والأعمى هو من لا يبصر فيكون به «عمى». والعمى هو عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيرا .

ثانيا التفسير:

فى هذه الصفات استعارة تبعية مصرحة، أو تشبيه ذوات المنافقين بذوات الأشخاص الصم، البكم، العمى. فهم صمٌّ عن استماع الحق، بكمٌ عن التكلم به، عميٌ عن الإبصار له. وهم لا يرجعون إلى الحق ولا إلى الهدى الذى باعوه، أو عن الضلالة التى اشتروها .

أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ صيِّب : الصيِّب هو المطر، من «صاب، يصوب»، وهو اسم جنس، أو صفة بمعنى نازل أو منزل. وقيل إن المراد به فى الآية السحاب .

٢ ـ السماء: السماء كل ما علا، ومنه السقف. لها معناها الخاص لدى العلماء على اختلاف تخصصاتهم مثل علماء الفلك، وعلماء الطبيعة ودارسيها، ويراها العامة على نحو ما يرونها، مشتقة من «السمو» وهى مؤنثة. والمراد بها فى الآية «الأفق» .

٣ ـ **الرعـــد** : هو الـدوىّ الذى ينتـج عن التقـاء شحنات مـوجبة بشحنـات سالبـة فى السحاب ينتج عنه قـوة كهربية هائلة. ويستغرق وصـوله إلى الآذان وسماعه وقتا يقـدر بسرعة الصوت، والشائع أنه صوت زجر الملك الموكل بالسحاب .

٤ ـ **البـــرق** : هو الضوء النـاتج عن النار المنبعثة عن التقـاء شحنة موجبة بأخـرى سالبة فـى السحاب المـولدة كهـربا، والشـائع أنه لمعـان مخـاريق الملـك الموكـل بالسحـاب، والمخاريق جمع مخراق وهو ثوب يلف يلهـو الصبيان بضرب بعضهم بعضا به، ويعرف عند عامة المصريين باسم «الطُّرَّة» .

٥ ـ **الأصـابع** : جمع إصبع، والمقصود بها فى الآية الأنـامل، أو الأنمل من كل سبابة، أو من إصبع .

٦ ـ **الآذان** : جمع أذن، مؤنثة، وهى أداة السمع .

٧ ـ **الصواعق** : جمع «صـاعقة»، قيل إنهـا صفة من «الصعق» وهـو الصراخ، وتاؤهـا تاء تأنيث إذا اعتبرت صفة لمؤنث، أو للمبالغة مثل «راوية» إذا لـم تعتبر كذلك، وقيل إنها مصدر كالعافية، و إنها اسـم كل هائل مسموع أو مرأى. والصاعقة أيضا هـى صيحة العذاب على ما يبين من قوله تعالى «فأخذتهم صـاعقة العذاب الهون»، ويقال «صعق الرجل صعقة» بمعنى غشى عليه، كما فى قولـه تعالى: «وخرّ موسى صعقا»، أو بمعنى «مات» كما فـى قوله تعالى: «فصعق من فـى السمٰوات ومن فى الأرض». والصاعقة شحنـة كهربية هائلة يصـاحبها رعد، ومن صفاتها أنها حارقة مهلكة.

٨ ـ **الموت** : هو زوال الحيـاة عما يتصف بها، ويقـال «الموات» بالضم بنفـس المعنى، ويطلق على مـن زالت عنه الحياة «ميِّت» و «ميْـت» ويجمع على: موتـى، وأموات، وميِّتون، وميْتون .

٩ ـ **محيـــط**: اسم فـاعل للفعـل «أحاط» بمعنى «أخـذ الشىء حاصـرا من كـل جهة»،

وإحاطة المولى سبحانه وتعالى بالكافرين ـ فى الآية ـ مجاز تشبيها لحال قدرته الكاملة عليهم، وقيل فيها استعارة تمثيلية تعبيرا عن كون الكافرين فى قبضته سبحانه وتعالى، وقيل إن قوله تعالى «والله محيط بالكافرين» يعنى أنه سبحانه وتعالى عالم بهم لقوله تعالى: «وأن الله قد أحاط بكل شىء علما»، وقيل إنه يعنى أنه سبحانه وتعالى مهلكهم لقوله تعالى: «إلا أن يحاط بكم» .

ثانيا التفسير:

بعد أن مثَّل المولى سبحانه وتعالى المنافقين بمن استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون مشبهًا إياهم بالصم البكم العمى الذين لا يرجعون عن الضلال فإنه سبحانه وتعالى ضرب بهم مثلا آخر وطلب من المؤمنين أن يختاروا أى المثلين تشبيها لحال المنافقين كما يبين من «أو» فى مبتدأ الآية وهى للتخيير. وقيل إن «أو» فى مبتدأ الآية جاءت بمعنى الواو، فيكون ما فى الآيات بمعنى واحد. أما المثل الذى جاءت به الآية فيخلص فى قوم أصابهم صيّب من السماء أى تعرضوا لمطر غزير وسحاب قاتم أخذ بالآفاق كلها فملأت عليهم الظلمات الآفاق، وهى ظلمات ثلاث، ظلمة تكاثف المطر وتتابعه، وظلمة غمامه، وظلمة الليل، وتمثل بالنسبة لحال المنافقين ما يعتقدونه من الكفر، وتصف الآية هذا الصيِّب بكونه مصحوبا بالرعد والبرق، وهما مثل لما يخوِّف به المنافقون مما ورد فى القرآن العظيم من الوعيد والزجر الذى يفصح عنه «البرق» مثلا مضروبا لما فيه من النور والحجج الباهرة، أما موقفهم من هذا فهو وضع الأصابع فى الآذان تحاشيا لسماع دوى الرعد المصاحب للصواعق بمعنى أنهم يحاولون التخلص ـ وقد أظهروا إيمانهم نفاقا ـ من تكاليف الشرع من الجهاد والزكاة وغيرها مما يكرهون، وهم فى فعلهم هذا مدفوعون بالخوف من الموت فيحاولون اتقاءه، ومعناه أن المنافقين يصمُّون آذانهم عن سماع القرآن خوفا من أن يؤمنوا به وبرسول الله ﷺ، وهو عندهم كفر، والكفر موت، وتنتهى الآية بالإبلاغ عن إحاطة علم الله بشأن المنافقين ما يفعلون وما يبطنون .

﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **الأبصار** : جمع بصر، وهو حاسة الرؤية. والمقصود به فى الآية إدراك الحق؛ وذلك لأن الآية مثّلت لحجج القرآن العظيم بالبرق للتدليل على أنها تبهر المنافقين بما تضمنت من أدلة وبراهين ساطعة، وللتدليل ـ من جهة أخرى ـ على أن من شأن هذه الأدلة والبراهين أنها تخيف المنافقين كما يخيف البرق ناظره .

٢ ـ **شـــىء** : الشىء فى اللغة هو كل ما يصحُّ أن يُعلم ويخبر عنه، وهو بهذا المعنى يشمل الموجود والمعدوم، ويُعلم المقصود به من القرائن المستمدة من العبارة الوارد بها، مثال ذلك أنه قد يفيد جميع أفراده فيشمل مثلا الفرض والواجب والمندوب والمحرم والمكروه... الخ، ويشمل الموجود والمعدوم والممكن والمحال.. الخ وغير ذلك مما لا حصر له كما فى قوله تعالى ﴿**والله بكل شىء عليم**﴾، وقد يكون المقصود به الممكن الخارجى الموجود فى الذهن كما فى قوله تعالى ﴿**ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله**﴾.

وقد يراد به الموجود الخارجى بمعنى الظاهر فى الخارج كما فى قوله تعالى ﴿**ولقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا**﴾ .

٣ ـ **قـــدير** : أى ذو قدرة، فهو سبحانه وتعالى قادر مقتدر، والقـــدير أبلغ فى الوصف من القادر، وقد يكون ذكر قدرة الله سبحانه وتعالى فى الآية على وجه الخصوص من بين

صفاتـه جلّ وعلا لأنه سبقـه ذكر فعل مضمونـه الوعيد والإضافـة فكان ذكر القدرة مناسـبا ذلك.

ثانيا التفسـير:

يصف المولـى سبحانه وتعالى حال هـؤلاء السابق ذكرهم مـع البرق فيقول ﴿**يكاد البرق يخطف أبصارهم**﴾ أى أنه يـوشك أن يحـدث الأمر المخبر بـه وإن كان لـم يقع فعـلا، وهذا الأمر المخبر عنـه هو استلاب أبصار هؤلاء الموصـوفين، ويبين من قولـه تعالى: ﴿**كلما أضاء لهم مشوا فيه**﴾ أن استلاب أبصارهم أو خطفها متجدِّد، وأنهم فى حالة وميض البرق يغتنمون القدرة على الإبصار فيمشون فإذا أظلم توقفوا مترصِّـدين، ثم يقول سبحانه وتعالى إنه لو أراد إذهاب سمعهم بقصـف الرعد وأبصارهم بوميـض البرق لفعل فلا يغنيهم ما فعلـوا من وضع الأصابع فـى الآذان والمشىء فى وميض البرق، وتختتم الآيـة بتقرير ينطق بقدرتـه جل وعلا على إذهـاب سمعهم وأبصارهم لأنـه القادر على الكـل، والسمع والأبصار بعض هـذا الكل فلزم أن يكون قادرا عليه.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾

أولا: الأسـماء:

١ ــ **أىُّ**: فى قولـه تعالى ﴿**يأيها الناس**﴾ منادى مفـرد مبنى على الضـم لأنه منـادى فى اللفظ.

٢ ـ **الناس**: سبق بيان المعنى العـام، أما المراد بهم فى الآية فقد قيـل إنهم عموم الناس مؤمنين وكافرين، وقيل إنهم الكافرون، كذلـك قيل إنهم الموجودون فى زمن الوحى وحدهم، وقيل إنهم جميع الناس إلى يوم القيامة لأن رسول الله ﷺ مرسل إليهم.

٣ـ الذيـن من قبلكم : الذين تقـدموا المخاطَبين بالنـص القرآنى فى الوجـود من الناس، والذين هم أعلى منزلة من الناس.

ثانيا التفســـير:

يأمر المـولى سبحانه وتعالـى الناس إلى يوم الديـن بعبادته وهو مـا يكـــون بتوحيــــده والتزام شرائع دينه بمـا يتضمن الطاعة والتعبد، ذاكرا لهم إحدى نعمـه المستفادة من إحدى صفاته وهى أنه خـالق بقوله ﴿**الذى خلقكم**﴾ أى أنشأكم واختـرعكم، مذكرا إياهـــم أنه خلق من سبقهـم من الناس وأماتهم ليعلمـوا أنه كما خلقهم فـإنه سيميتهم ليأخـــذوا من ذلك عظـة وليعتبروا، ثم يقول لهـم سبحانه وتعـالى ﴿**لعلكم تتقون**﴾ حثًّا لهم علـى الترجى والتوقع. بمعنى افعلـــوا ذلك على الرجــاء منكم أن تعقـلوا والطمــــع أن تتقوا عــذاب الله .

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ فراشـــا : الفراش واحد الفُرُش، وفرش الشىء يفرشه أى بسطه، ومعنى قوله تعالى فى الآية ﴿**جعل لكم الأرض فـراشا**﴾ معناه جعلهـا كالفراش صـالحة للقعود والنـوم عليها دون سعى منكـم لذلـك، وهو مـا كان ببـروز بعضها علـى الماء وبجعلهـا متوسطـة بين الصـلابة واللين.

٢ ـ بنـــاء : مصدر، فعله «بنى يبنى» أطلق على المبنى سواء أكان قبَّة أم خباء أم غيرهما، ومعنى أن السماء بناء أنها مثل القبة المضروبة أو مثل السقف بالنسبة للأرض.

٣ـ **السـماء** : سبق بيان معناها، ويقصد بها فى الآية جهة العلو أو السحاب.

٤ ـ **مـاء** : عرَّفه البعض بأنه جوهر سيَّال به قوام الحيوان، وهو السائل العديم اللون والطعم والرائحة المكون من الأوكسجين والإيدروجين الذى تمتلىء به البحور والأنهار وينزل فى صورة المطر.

٥ ـ **الثمرات** : جمع ثمرة ويقصد بها فى الآية الثمرات المختلف ألوانها والنباتات المختلفة أنواعها .

٦ ـ **الـرزق** : هو ما يصح الانتفاع به وهو فى الآية ما يصح الانتفاع به طعاما للناس وعلفا لدوابهم .

٧ ـ **الأنـداد** : جمع «نِـد» والأنداد هم الأكفاء والأمثال والنظراء .

ثانيا التفسـير:

بعد أن أمر الله الناس بعبادة ربهم قال فى كتابه الكريم ﴿**الذى جعل لكم...**﴾ الخ الآية فجاء الاسم الموصول «الذى» صفة «ربكم» فى الآية السابقة أو بتقدير «أخصّ» أو «أمدح» فذكر بعضا من نعمه أولاها فى الذكر خلقه الأرض كالفراش صالحة للجلوس والنوم عليها، ثم ذكر خلقه السماء فوقها كأنها السقف أو القبة المضروبة فوق الأرض ومن يحيون عليها، ثم ذكر إنزاله الماء من السحاب من علٍ بعد أن ينشئه كما أرادت مشيئته ليرتوى منه النبات والأشجار فتخرج ثمراتها التى منها ما ينتفع به طعاما لبنى البشر وعلفا لدوابهم ذلك أن «من» فى قوله تعالى ﴿**من الثمرات**﴾ ـ وهى للتبعيض ـ تفيد هذا المعنى، كما تفيد ما خرج من الثمرات دون ما لم يخرج بعدُ ولم يعرف، ثم إنه سبحانه وتعالى ينهى الناس ـ بعد أن أمرهم بعبادته ـ عن أن يجعلوا له ندا، فجملة «لا تجعلوا لله أندادا» معطوفة على «اعبدوا» وهى بنهيها عن اتخاذ الأنداد تأمر بإفراده وحده بالعبادة لأنه لا ربَّ سواه، وربما لهذا جاء نص الآية بلفظ «أندادا» وهو للجمع للتدليل على شدة جهلهم بجعلهم أندادا متعددين لمن يستحيل أن يكون له ند واحد، ويجىء قوله تعالى: ﴿**وأنتم تعلمون**﴾ توبيخا لمن يفعل ذلك

وهو من أهل العلم والمعرفة إذا تأمل الخلق لتيقَّن من أن خالقه واحد لا مثيل له.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٢٣﴾

أولا : الأســماء :

١ ـ **عبــدنا** : العبد ـ فى اللغة ـ ضد الحر، وفى ذكـر رسول الله ﷺ ـ فى الآية ـ بالعبد مع إضافته إلى ضمير الجلالة تشريف له ﷺ وتنويه بقدره للتنبيه على عظم قدره.

٢ ـ **سورة** : السورة هـى القطعة من القرآن التـى أقلُّها ثلاث آيـات، وفى إيرادها فـى نص الآية فى صيغة التنكير بما يعنى «ائتوا بـأى سورة» أو «بسورة ما» تبكيت للمخاطبين وتخجيل لهم على ارتيابهم .

٣ ـ **الشهداء** : فى قوله تعالى ﴿**وادعوا شهداءكم**﴾، جمع شهيد أو شاهـد، والشـهيد هو كل مـن يعتدُّ بحضوره ممن لـه الحل والعقد، ويستعمل بمعنـى الحاضر والقائم بـالشهادة. وقيـل إن المراد بهم فى الآيـة الأصنام، وذلك لأن المشركين كانوا يعتقدون بمكـانتهم عنـد الله وأنه تنفعهـم شهادتهم، فكأنـه قيل لهم «هؤلاء مـلاذكم فادعـوهم لهذه النازلـة المحيقة بكم».

٤ ـ **صادقين** : الصادق هو القائل الصـدق وفاعله، والصدق خلاف الكذب. ومعنـى قوله تعالى ـ فى الآية ـ إن كنتم صادقين ـ هـو: إن كنتم صادقين فيما زعمتم من أن هذا القرآن هو قول بشر، أو إنكم تستطيعون أن تعارضوه وأن تأتوا بمثله.

ثانيا التفســير:

يلاحظ لـدى تفسير هذه الآية أنها وردت متصلة بـالآية التى سبقتها، وفيها سـاق المولى سبحانه وتعالى الدليل على وحدانيته وعلى قدرته، فذكر جل وعلا فى هذه الآية الدليل على

نبوَّة نبيِّه ﷺ بأن دعاه عبده فنسبه إليه تشريفا له ﷺ، كما دلّل على أن القرآن العظيم منزل من لدنه على نبيِّه الكريم، فالخطاب ـ في الآية ـ موجَّه إلى المشركين الذين قالوا ـ لما سمعوا القرآن ـ «ما يشبه هذا كلام الله، وإنا لفي شك منه» فتحداهم المولى سبحانه وتعالى أن يأتوا بسورة من مثله ليثبتوا أنه يتصور أن يكون من كلام البشر، ثم ليستعينوا في سبيل ذلك بمن شاءوا من علمائهم أو ليحضروهم ليشاهدوا ما يأتون به ليكون الردّ متمثلا في امتناع المماثلة بين ما يأتون به وبين القرآن العظيم هو الحجة عليهم، وفي ذلك الدليل على كذبهم فيما زعموه من أنهم يقدرون على أن يأتوا بمثل القرآن ولهذا تحدّاهم المولى سبحانه وتعالى أن يفعلوا هذا بقوله تعالى: ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ أي فيما زعمتم، عالما أنهم لن يفعلوه فيثبت كذبهم وتقوم عليهم الحجة .

فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ **النار** : سبق بيانها، والمقصود بها في الآية النار التي يُعذَّب فيها الكافرون والمذنبون الموجودة والمخلوقة عذابا يعذب الله بها من يشاء.

٢ ـ **الوقود** : بفتح الواو هو ما يوقد به النار أو هو الحطب، وبضمها هو «التوقد» .

٣ ـ **الحجارة** : جمع كثرة لحجر، وجمع القلّة أحجار. وقيل إنها حجارة الكبريت على وجه الخصوص وذلك لأن فيها شدَّة الحر، وكثرة الالتهاب، وسرعة الإيقاد، والالتصاق الزائد بالأبدان، ونتن الريح، وكثرة الدخان، فهي الأنسب ملاءمة لحال المعذَّبين في النار. وقيل هي حجارة الأصنام التي كان يعبدها الكفار في الدنيا على ما يوضحُه قوله تعالى: ﴿**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم**﴾ ، وقيل إنها الذهب والفضة .

ثانيا التفسير :

بعد أن تحدى الله المشركين أن يأتوا بسورة مَّا تماثل إحدى سور القرآن العظيم وأن يدعوا شهداءهم من دون الله إن كانوا صادقين فإنه ـ فى هذه الآية ـ يقرر أنهم عجزوا فى الماضى عن فعل هذا لأن «إن» فى الآية قائمة مقام «إذا»، وينبىء عن أنهم لن يفعلوا ذلك فى المستقبل؛ ولذلك جاءت جملة «فاتقوا النار» جواب شرط، وهو ما يكون بإيمانهم بالنبى ﷺ وبطاعة الله سبحانه وتعالى، فإن لم يؤمنوا كانوا وقودا للنار هم والحجارة التى كانوا يعبدونها أو هم وحجارة الكبريت لأن النار المخلوقة والقائمة معدَّة للكافرين، وليس معنى ذلك أنه لا يدخلها غير الكافرين، فالثابت أنه يدخلها المذنبون من غير الكافرين كما تدل على ذلك أحاديث الشفاعة لكنهم لا يخلدون فيها .

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ **الصالحات** : جمع الصالحة، وهى ـ فى الأصل ـ مؤنث الصالح، اسم فاعل من صلح صلاحا وصلوحا، خلاف فسد. وغلب استعمالها فى شأن التمسك بأحكام الشريعة والتزام أوامر الدين ونواهيه.

٢ ـ **جنات** : جمع قلَّة «لجنة» مصدر الفعل «جن» بمعنى ستر، فالجنة هى المستور، وقد يكون المستور أرضها سترتها أشجارها .

٣ ـ **الأنهـار** : جمع النهر، بفتح الهاء، وسكونها، أصلـه الشق الواسع، ويطلق على مجرى الماء أو الماء نفسه الجارى فى الشق .

٤ ـ **متشابها** : حال يبين هيئة الثمر فـى الآية، ومعناه ـ فى قول ـ إنه يشبـه بعضه بعضا فى الشكل ويختلـف فى الطعـم، وقيل انه يشبـه ثمر الـدنيا فـى شكله ويختلف عنـه فى بـاقى صفـاته، وقيـل إنه يشبـه ثمـر الدنيـا فى الاسـم فقـط ويختلف عنهـا فيمـا عـــدا ذلك مـن الصفـــات .

٥ ـــ **أزواج** : جمع زوج وهـو واحد كـل اثنين مـؤتلفين،فـالمرأة زوج الـرجل والـرجل زوج المرأة.

٦ ـ **مطهـــرة** : صفة لـلأزواج فى الآيـة، ومعناها طـاهرة إلاأن مطهـرة أجمع فـى المعنى وأبلغ، والمراد بطهارة الأزواج طهارتهن من الإخراج من حيض وبصاق وبول وغوط .

٧ ـ **خالـــدون** : أى باقون، فالخلود هو البقاء؛ ولذلك يقال «جنة الخلد» .

ثانيا التفســـــير:

بعد أن ذكر المولى سبحـانه وتعالى حال الكفار فيما سبق من آيـات للتخويف والترهيب فإنه عقب بالمؤمنيـن فذكر حالهم ليكون الترغيب من بعد الترهيـب، فأمر البشير النذير ﷺ أن يبشِّر المؤمنين بما لهم من خيرات، وصـدور التكليف بالإبلاغ إلى رسول الله ﷺ مقصود، لأن المولـى سبحانه وتعالـى مدحه مـن قبل بوصفه عبـدا له فناسـب ذلك أن يكلفه ـ مـن بعد ـ بتبشير المؤمنين ليزدادوا حبًّـا له، ثم إن نص الآية أضاف إلى الإيمان عمـل الصالحات ليبين من ذلك أن الإيمان بالقلـب يستوجب العمل بالجوارح على شاكلتـه، وأن من آمن بقلبه ولم يعمل الصالحات بجوارحه لايُعَدُّ من المبشَّريـن الذين وردت فيهم الآية. أما موضوع البشارة فهو تمتع المؤمنين عاملى الصالحات فـى الجنات التى أعدَّت لهم التى تجرى من تحتها أو من تحت أشجارها أنهار أو مياه أنهار ليست كأنهـار الدنيا فقد قيل فى وصفها إنها تجرى فى غيـر أخدود علـى سطح الجنـة، حصبـاؤها الـدر واليـاقوت. ويكـون من المـؤمنيـن عاملـى الصالحات فى هذه الجنات أنهم يتمتعون بصفـة أخرى من صفات هذه الجنات أنهم كلما

رزقوا رزقا من ثمرها يؤكل أن يقولوا «هذا الذى رزقنا من قبل» بمعنى إن هذا الثمر يشابه الثمر الذى رزقناه فى الدنيا، حتى إذا أكلوه تبينوا اختلافه فى الطعم عن ثمر الدنيا، أو إنهم يقصدون مشابهة ما يأكلونه لما أكلوه فى الجنة أول النهار ثم يتبين لهم بعد أن يذوقوه أنه يختلف عنه، وقيل إن المقصود من القول أن ما رزقوه من قبل هو الطاعات والمعارف وأن ما رزقوه فى الجنات هو الجزاء عليه وذلك لقوله تعالى «ذوقوا ما كنتم تعملون» ، وتضيف الآية تعقيبا على ما يكون من أمر المؤمنين حين يرزقون من ثمر الجنة فيقولون «هذا الذى رزقنا من قبل» ـ قولها «وأُتوا به متشابها» لتأكيد معنى ما سبق بيانه، ثم تضيف بعد ذلك صفتين أخريين من صفات هذه الجنات أولاهما أنه يكون لهم فيها أزواج مطهرة، والأخرى أنهم يخلدون فيها، فيكون للرجال منهم نساء لا يشارك أحدهم فيهن غيره، مطهرات من الإخراج لأنهن خلقن على الطهارة إن كن من الحور، ومطهرات إن كن من المؤمنات، وجاءت الصفة الثانية المتعلقة بخلود أهل الجنة لإذهاب الخوف من نفوس المؤمنين من زوال هذه النعم، فقال عزَّ من قائل «وهم فيها خالدون».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ مـا : بمعنى شىء، يوصف به النكرة فيفيد الزيادة فى الإبهام .

٢ ـ بعوضـة: هى الواحد من البعوض وهى حشرة معروفة ، وردت فى الآية صفة لـ «ما» أو بدلا منها.

٣ ـ **الحــق** : خلاف الباطل، وهو مصدر «حقَّ ـ يحقُّ»، وقيل إن أصله الاعتقاد المطابق للواقع، ويطلق على الأقوال والعقائد لاشتماله عليها.

٤ ـ **الفاسـقون** : جمع مذكـر مفرده الفاسق اسم فـاعل من «فسق يفسق» فسقـا وفسوقا، بمعنى فجَرَ، وأصل الفسق في اللغة الخروج عن الشيء ، فيقال فسقت الرطبة بمعنى خرجت عن قشرتها، ويكون معنى قوله تعالى «فسق عن أمر ربه» أنه خرج عنه.

ثانيا التفســـير:

قيل إن هذه الآية متصلة بمـا قبلها من قوله تعالى «فلا تجعلـوا لله أندادا»، وأنه لما ضرب المولى سبحانـه وتعالى المثل بالصيِّب والمستـوقد نارا قال المنافقون أو قـالت اليهود إن الله تعالى أعلـى وأعظم من أن يضرب الأمثال بهـذه الأشياء، فردَّ الله عليهم في هـذه الآية، وقيل إنها غيـر مرتبطة بمـا قبلها لأنـه لما ضرب الله تعـالي الأمثال فـي كتابـه الكريم بـالعنكبوت والذباب مما يستحقر قـالت اليهود إن الله تعالي أعز وأعظم من أن يضـرب الأمثال بمثل هذه المخلوقات الحقيرة، فردّ عليهم سبحانه وتعالى بهذه الآية.

وقيل إن معنـى قوله تعـالى « لا يستحى» أنـه لا يخشى أو لا يترك أو لا يمتنـع، والأصل أن الاستحياء هو الانقبـاض عن الشَيء والامتناع منه خوفـا من مواقعة القبيح. وهـذا محال على الله جل وعلا؛ ولذلك فالراجح أن المراد بالحياء عنده سبحانه وتعالى هو الترك أو أن يترك أمر علمها ويوكل ـ بعد تنزيه المولى ـ إلى عالم الغيب والشهادة، والمعنى إنه سبحانه وتعالى لا يدع ضرب الأمثال بالبعوضة الدقيقة الحجم فما فـوقها بمعنى ما يزيد عليها حجما أو ما يقل عنها حقـارة، وحائـذ فإن حال المـؤمنين يكون هـو العلم، حيـن يكون حال الكـافريـن هو الجهل، فالمـؤمنون يعترفون بحقيَّة القرآن وبمـا أنعم الله عليهم من النعم ومـن أعظمها نزول القرآن العظيم المشتمـل على هذه الأمثال، وهذا علم. أمـا الكافرون فإنهم لجهلهـم يسألون «ماذا أراد الله بهـذا مثلا» وهو استفهام إمـا أن يكون لعدم العلـم وإما أن يكون للإنكـار، وكل منهما يدل على الجهل، ويجـيء قوله تعالى «يُضل به كثيرا ويهدى به كثيـرا» لمزيد في بيان حال الفريقيـن المؤمنين والكافـرين فبيَّن أن كلا منهما مـوصوف بالكثرة، فـردّ على استفهام الكافرين بأنه يزيدهم جهلا على جهل لأن الضلالة جهل يزداد بها الكافرون تخبطا في ظلمة

جهلهم، حين يزداد المؤمنون نورا إلى نورهم لأنهم عرفوا الحق فكانوا على علم ثم زادهم الله هدى فازدادوا نورا إلى نورهم، وتنتهى الآية ببيان أن إضلال الكافرين لم يكن فى مبتدأ أمرهم وإنما جاء تثبيتا لهم على ماكانوا عليه من الضلالة على ما يبين من قوله تعالى «وما يضل به إلا الفاسقين» بمعنى الخارجين عن طاعة الله ومنهم الكافرون .

ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **عهـد الله** : العهد هو المـوثق، ويقال «عهد إليـه فى شىء» بمعنى أوصـاه ووثقه عليه. وقيل إن المقصود بعهد الله ـ فى الآية ـ العهد المأخـوذ بالفعل، فالأدلة العقلية تثبت وحدانية الله وصدق رسله، فيكـون شأن منكرها أنـه ناقض العهد. وقيـل إنه العهد المأخـوذ على أهل الكتاب من أنه إذا بعث الله إليهـم برسول مصدق با لآيات أن يصدقوه ويتبعـوه وألا يكتمـوا ما ذكر بكتابهم عنه، فيكون ناقضو العهد من أهل الكتاب ومنهم المنافقون. وقيل إن العهد هو الأمانة التى حملها الإنسان، وقيل إنه العهد الـذى أخذ على بنى إسرائيل ألا يسفكوا دماءهم ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم .

٢ ـ **الميثاق** : هو العهد المـوثق باليمين، والمـراد به ـ فى الآية ــ هو ما وثق الله تعـالى به عهده من الآيات والكتب، أو ما وثقه به العباد من قبوله والالتزام به.

٣ ـ **ما أمر الله بـه أن يوصل** : قيل إن المراد بـه ـ فى الآية ــ صلة الأرحام ـ وقيـل إنه وصل الإيمان بالعمـل، وهو ما قطعه المنافقـون بأن قالوا آمنـا ولم يعملوا عمل المؤمنيـن، وقيل إنه التصديـق بجميع الأنبياء، وأن قطعه تمثـل فى تصديق بعضهـم وتكذيب البعض، وقيـل إنه إقامة الشريعة وحفظ الحدود فهو شامل كل ما أمر الله به أن يوصل.

٤ ـ **الخـاسرون** : جمع مـذكر، مفـرده خاسـر، وهو فـى الأصل مـن ضاع منـه رأس المال

والربح. وهذا حال يشابه حال ناقضى عهد الله الذين تتكلم عنهم الآية فقد أهملوا إعمال العقل واشتروا نقض العهد بالوفاء به، والفساد بالصلاح والقطيعة بالصلة والثواب بالعقاب فحصل لهم الخسران المبين والضرر الجسيم .

ثانيا التفسير:

تتحدث الآية عن الخاسرين ويتصور أن يكونوا هم الفاسقين المذكورين فى الآية السابقة، ويتصور أن يكونوا غيرهم، فيقول المولى عز وعلا إنهم ينقضون عهد الله أى إنهم يفسخونه من جانبهم، وهذا العهد ــ هو على الراجح ــ ما أخذ على أهل الكتاب من عهد تمثل فيما ورد من كتبهم من أنه متى بعث رسول الله ﷺ المبشّر به فى كتبهم أن يبينوا نبوته ولا يكتموا أمره وأن يؤمنوا به وهو ما توثق بإيمانهم بكتبهم أو بما أيد الله تعالى نبيه به من الآيات، ويتمثل نقضهم له فى عدم الإيمان برسول الله ﷺ وبما نزل عليه من القرآن والذكر الحكيم، ويقول المولى جل وعلا عنهم أيضا أنهم يقطعون ما أمر الله به أن يوصل من صلة رحم، أو قرن الإيمان بالعمل، أو التصديق بجميع الأنبياء والرسل، كما أنهم يفسدون فى الأرض بالعمل على نشر الكفر بالترغيب فيه حينا، وبحمل الناس عليه حينا آخر، أو بارتكاب المعاصى والعمل على نشرها فى الأرض متجاوزين أماكنهم فيها، وتمثل الآية فى نهايتها هؤلاء الفاسقين أو الكافرين بالتاجر الذى فاته الربح وخسر رأس المال فكان له الخسران المبين.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٢٨﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ **الأموات** : سبق بيانها: والمراد بالموت الأول ـ فى الآية ـ المستفاد من قوله تعالى «وكنتم أمواتا فأحياكم» هو العدم السابق، والمراد بالموت الثانى هو الموت المعروف فى

الدنيا، وقيل إن المراد بـه هو الوقت بين استقرار النطف فى الأرحام وبيـن وقت نفخ الروح فى أحد أطوار الجنين فى الرحم.

ثانيا التفســــير:

تبدأ الآيـة الكريمة بـ «كيـف» وهى سؤال عن الحـال، فيها معنى الاستفهام الـذى معناه التعجب، وقيـل إن الآية بـدأت بلفظ استفهام وليـس بها استفهـام وإنما بها تقـرير وتـوبيخ. والاستفهام أو التقرير والتوبيـخ موجَّه فيما يبدو لأهل الكتاب الذيـن أنكروا نبوَّة رسول الله ﷺ وزعموا أن القـرآن العظيم كـلام البشر؛ ولـذلك وصفهـم الله بأنهـم كفروا بـه، فيقول المـولى سبحانه وتعـالى ـ مدلِّـلاً على بعدهم عـن إعمال العقل ـ «كيـف تكفرون بالله وكنتم أمـواتا فأحيـاكم» أى كيف تكفـرون بالله وقد خلقكـم؛ لأنه مخلوق فـى العقول أنه لا مخلـوق بغير خالق، وأن الخالق هو الله، ولذلك فإنه لا يتصبـور ـ بإعمال العقل ـ أن يجتمع العلم بوجود الله الخالق مع الكفر. ثم تستأنف الآية الحديث بقوله تعالى «ثم يميتكم ثم يحييكم» بمعنى أنه سبحانـه وتعالى يقضـى عليهم المـوت عند انتهاء آجـالهم فى الـدنيا ثـم يحييهم ثانيـة يوم القيامة، وذلك لأنه إذا صدَّق الكافرون بأنهم كانوا أمواتا أو عدما فى مبتدأ الأمر ثم خلقهم الله أو أحياهم، ثـم أماتهم فقد وجب عليهـم ـ فى منطق العقل ـ أن يصدقوا بإحيائه إيـاهم فى الآخرة، ويكون جحـدهم هذا مما لا دليـل عليه، ولهذا يتصور أن يكـون قوله تعالـى «ثم إليه ترجعـون» موجها إلى الكفـار بمعنى أنهم يرجعـون إلى عذابـه. وقيل إن الخطاب موجـه إلى المؤمنين والكـافرين لأن مبدأ الخطاب كـان «يأيها الناس»، ثـم تبعه بيان النبوة بقولـه تعالى «وإن كنتم... الخ»، ثم أوعد سبحانه وتعالى بقوله «فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا»، ثم وعد بقوله تعالـى «وبشِّر الـذين آمنـوا»، ثم عـدَّد عليهم النعـم العامـة من قـوله تعـالى «وكنتـم أمواتـا فأحياكـم» إلى قوله تعـالى فى الآية ٣٩ ـ كما سيلى ـ «هـم فيها خالدون»، فيكـون المعنى «إنكم ترجعون إلى الحياة».

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ هـو : يرى بعض المتصوِّفة أنه إسم من أسماء الله تعالى ينبىء عن كنه حقيقته؛ وربما لهذا السبب يردِّدونه فى أذكارهم، وجاء ـ وهو ضمير ـ مبتدأ فى جملة الآية، وجاء الموصول [الذى] خبرا دلالة على الجلالة .

٢ ـ عليم : الأصل أن اسم الفاعل من الفعل «علم ـ يعلم» هو عالم، وفى «عليم» مبالغة ليست فى عالم، ولا يتصور أن يكون مرجع ذلك بالنسبة لله جل وعلا هو «الصفة» لأن علم الله واحد لا زيادة فيه ولا نقص، فيبقى أن نقول إنه سبحانه وتعالى وصف نفسه بما دلّ على المبالغة .

ثانيا التفسـير :

يقول المولى سبحانه وتعالى أنه الذى أوجد من العدم جميع ما فى الأرض للناس لينتفعوا به «هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا»، وهذا القول يتضمن التوحيد لقوله «هو الذى خلق» ويبعث على الاعتبار لأنه تعالى خلق كل شىء للناس فيكون ما خلق منعما به على الناس لينتفعوا به، ولا يتعارض هذا مع كون بعض الثمار ضارة أو سامة ولا مع تحريم الشرع تناول بعض المطعومات، ولا مع خلق بعض الهوام والزواحف التى يبدو لنا أنها ضارة مثل العقارب والثعابين. فمن جهة المحسوس أثبت العلم الحديث أن من الثمار السامة ما يطرد أنواعا من الحشرات أشد ضررا، وأنه يمكن الاستفادة من الخنزير ـ وهو من المحرم أكله ـ فى الوقاية من الإشعاعات الذرية، وأن أمصالا تستخرج من سم الثعابين لعلاج بعض أنواع الجلطة الدموية. ومن جهة غير المحسوس ماديا فإن الانتفاع يتحقق بالاعتبار لأن كل مؤذٍ ضار فى الدنيا سيكون بعضا من عذاب الكافرين فى الآخرة، فيكون للمرء أن يعتبر بهذا فيحسن إيمانه ويترك المعاصى ـ ثم يقول سبحانه وتعالى «ثم استوى إلى السماء فسوّٰهن

سبع سموات»، وقيل إن «ثم» تفيد التراخى فى الوقت بما يعنى أن خلق الأرض سبق خلق السماء، وأنكر هذا آخرون قالوا إن خلق السماء سبق خلق الأرض لقوله تعالى: «أم السماء بناها، رفع سمكها فسواها، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها، والأرض بعد ذلك دحاها، أخرج منها ماءها ومرعاها، والجبال أرساها»، وقيل إن «ثم» تفيد ترتيب الأخبار وليس لترتيب الأمر فى نفسه تعالى ولا فى الخلق والإنشاء. ومعنى «استوى إلى السماء» ارتفع عليها، فتكون «إلى» بمعنى «على»، ويبين معنى «الاستواء» وهو الارتفاع والعلو على الشىء من قوله تعالى «فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك»، ومن قوله تعالى «لتستووا على ظهوره»، وعلى المؤمن أن يؤمن بالاستواء وألا يسأل عن كيفية حدوثه، وفى معنى قوله تعالى «فسوٰهن سبع سموات»، فقد قيل إن السماء كانت دخانا عندما استوى عليها سبحانه جل وعلا، على ما يبين من قوله تعالى «ثم استوى إلى السماء وهى دخان»، فجعلها سماء واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع سماوات فى يومين، ولا يمنع تخصيص العدد «سبع سموات» بالذكر أن تكون هناك زيادة عليه. وتنتهى الآية بتذييل مقرِّر لما سبق من خلق الأرض وما فيها وخلق السماوات تمثل فى قوله تعالى «وهو بكل شىء عليم» لأنه سبحانه وتعالى وقد خلق كل ما سبق ذكره كما خلق كل شىء فإنه تعين أن يكون بكل شىء عليم.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ الملائكة : جمع «ملَك»، ويرى أغلب المسلمين أنها أجسام نورانية قادرة على التشكل والظهور بأشكال مختلفة بإذن الله تعالى، وأنها تنقسم قسمين، قسم شأنه الاستغراق فى معرفة الحقّ جلّ وعلا والتنزه عن الاشتغال بغيره، وهم الذين وصفهم الله تعالى بقوله

«يسبحون الليل والنهار لا يفترون»، وهؤلاء هم العليُّون والملائكة المقربون، وقسم يدبر الأمر من السماء إلى الأرض على ما سبق به قضاء الله وجرى به القلم، وهم «المدبرات أمرا»، منهم سماوية ومنهم أرضية، ولا يعلم عددهم إلا الله، وهو الذين ورد فيهم قوله تعالى: «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» .

٢ ـ خليفة : الخليفة من يخلف غيره وينوب عنه، وقيل إن المراد به ـ فى الآية ـ هو آدم عليه السلام، وأن المعنى أنه خليفة الله فى أرضه، وقيل إنه عليه السلام وذريته، وهذا ما يؤيده ـ فى الآية ـ ظاهر قول الملائكة، وقيل إن خلافة هؤلاء هى خلافة من كان يسكن الأرض قبلهم من الجن، أو من إبليس ومن بعث معه من الملائكة لمحاربة هؤلاء، وقيل إن معنى الخلافة أنهم يخلفون بعضهم بعضا .

٣ ـ الدماء: جمع «الدم» وهو السائل الذى يجرى فى العروق المغذى أعضاء جسم الحيوان عامة، والمراد به ـ فى الآية ـ كل مأمور بصيانته ومحرم الاعتداء عليه أو النيل منه إلا بحقٍّ، ومنه «النفس» التى حرم الله إزهاقها بغير الحق بمعنى «القصاص» .

ثانيا التفسير:

بدأت الآية بقوله تعالى «وإذ قال ربك للملائكة»، و «إذْ» حرف توقيت للماضى، كما أن «إذا» حرف توقيت للمستقبل، والمعمول به أن توضع إحداهما موضع الأخرى، فيكون المعنى أن خطاب الله للملائكة الذى قال لهم فيه إنه جاعل ــ بمعنى خالق ــ فى الأرض خليفة هو خطاب مقرَّر قديم فى الأزل، ومعنى قوله «إنى جاعل فى الأرض خليفة»، إنه سبحانه وتعالى يخلق آدم عليه السلام وذريته ليخلفوه فى عمارة الأرض أو ليخلفوا من سكنوها قبلهم من الجن أو من إبليس ومن كان معه من الملائكة الذين قاتلوا الجن ساكنيها من قبل فطردوهم منها إلى شعاب الجبال والجزائر، وقد جاء قوله تعالى للملائكة تعليما للناس وجوب التشاور، أو تعريفا للملائكة قدر آدم عليه السلام، وكان رد الملائكة قولهم «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء»، ويلاحظ على قول الملائكة هذا أنه ليس اعتراضا على قضاء الله ولا إنكارًا له كما أنه ليس استفهاما عن الخلق والاستخلاف، وذلك

لأنهم قد علموا ذلك جميعه من قبل أعلمهـم به الله، ولكنه جاء متعلقا بحكمة خلق الخليفة ولإزالة الشبهة لديهم إذْ كانوا قد علموا مـن شأن الجن الذين سكنوا الأرض من قبل أن منهم من أفسد في الأرض وسفك الدماء فكان معنى سؤالهم: هل يكون أمر هذا الخليفة هو أمر من سبقه من الجـن أم لا؟، أو أنه لما كان الله سبحـانه وتعالى قـد أعلمهم أنه سيكون مـن ذرية الخليفة فـي الأرض من يفسـد فيها ويسفك الـدماء، كـان قولهم تعبيـرا عن تعجبهـم من أن يستخلف الله تعالى من يكون منه من يعصاه استعظاما منهم لأن يكون مقابل الاستخلاف هو العصيان وقد أضـافت الملائكة إلـى ذلك قولها «ونحـن نسبح بحمدك ونقدس لـك» وهذا القول صدر تعبيرا عن حالهم لايتضمن عجبا ولـم يصدر افتخارا، وقد أوضحوا إنهم قائمون على تنزيهه عمـا لايليق بصفاته وهذا هو التسبيـح منهم يخلطونه بحمده تعالـى ويصلونه به مثنين عليه وهـو المحمود في الهدايـة، كما ذكروا أنهم يقدسـون له سبحانه وتعـالى بتعظيمه وتمجيده وتطهير ذكره مما لايليق به، وذلك ابتغاء مرضـاة وجهه الكريم جلّ وعلا. ثم إنه كان قوله تعالى لهم «إني أعلم ما لاتعلمون». ذلك أنـه لما قالت الملائكة عن نفسها إنها تسبح بحمد الله وتقـدس له وأنهـا لاتعصى لـه أمرا كانـت تجهل أمـر إبليس ومـا سيكون منـه من العصيان ـ وهو منهـم ـ فقال لهم المولى إنـه يعلم ما لايعلمون، أو أنه لما كـان الله عالما أنه سيستخلف مـن بين مـن يستخلف فـي الأرض أنبياء وأوليـاء وأهل طـاعة وهـو ما لـم يُعلمه الملائكـة فإنه قال لهـم «إني أعلم ما لاتعلمـون»، ولايمنع ذلك عموميـة معنى قوله تعـالى وأبديته فهو سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون مما لاتعلمه الملائكة.

وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾

أولا : الأسـماء والأعلام :

١ ـ آدم : اسم علم، يكنى أبا البشر، وقيل إن كنيته في الجنة أبو محمد ـ وهو خاتم الأنبياء ﷺ ـ وفي الأرض أبـو البشر، قيل إن الاسم مشتـق من أدمة الأرض وأديمها وهـو وجهها، وقيل

إنه مشتق من الأدمـة وهى السمرة، وزعم البعض أنها البياض، سمِّى آدم لأنـه خلق من أديم الأرض، وسمى إنسانا لأنـه نسى، روى الترمذى عن أبى موسى الأشعـرى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عـز وجلَّ خلق آدم مـن قبضة قبضها مـن جميع الأرض فجاء بنـو آدم على قدر الأرض، جـاء منهم الأحمر، والأبيض، والأسـود، وبين ذلك، والسهل والحـزن، والخبيث والطيب». وفى التوراة أنه بعد أن خلق الله السماوات والأرض فإنه تعالى «جبل الرب آدم ترابا من الأرض ونفخ فـى أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفسا حيَّـة، وغرس الرب جنة فى عـدن شرقا ووضح هناك آدم الذى جبله» .

٢ ـ الأسـماء: قيل إن المراد بـالأسماء فى الآية هو المسميات ذواتهـا، فيكون المعنى أن الله سبحانه وتعـالى علَّم آدم عليه السلام جميع أنـواع خلقه، وقيل ـ وهو الراجـح ـ أن المراد بها أسماء جميـع الأشياء من كبير وصغير وجليـل وحقير، وقيل إن المراد بها أسمـاء الملائكة واستدل القائلون بهذا علـى صحة قولهم بقوله تعالى «ثم عرضهـم على الملائكة»، وقيل إن المراد بها اللغات كلها.

٣ ـ هـؤلاء : اسـم إشارة يشيـر إلـى المعروض علـى الملائكـة، وقيـل إن المعروض كـان الأشخاص أو المسميات بـدليل قوله تعالى «ثـم عرضهم» وفيها جاء الضميـر المتصل دليلا علـى ذلك، وجـاء تـذكيرة لتغليـب ما اشتملـت عليـه المعروضـات مـن العقلاء، وقيـل إن المعروض إنما كان الأسماء، وقد يكون الصحيح أن المشار إليه هو المسميات أو المخلوقات لقولـه تعالـى «أنبئونـى بأسماء هـؤلاء»، فلو كـانت الأسماء هـى المعروضـة لقيل «أنبئـونى بهؤلاء».

٤ ـ صادقـون : الصادق خلاف الكاذب، والصدق يكون فى القول والفعل، والمـراد بـ «صادقين» فى الآية هو «إن كنتم صادقيـن فيما رأيتم أنكم أحق بالاستخلاف من بنى آدم» أو «إن كنتم صادقين فيما اعتقدتم أنى لا أخلق مـن هو أعلم منكم وأفضل»، وقد يكون معنى صادقيـن فى الآية هـو «عالمين» فيكـون معنى قولـه تعالى هـو «إن كنتم عالميـن أن بنى آدم يفسدون فى الأرض ويسفكون الدماء». وهذا ما يوافقه رد الملائكة على ما سيأتى .

ثانيا التفسـير:

إن الله سبحانه وتعالى علَّم آدم أسماء جميع الكائنات، الحية وغير الحيَّة ـ ومنها مصنوعات البشر، ما كان موجودا قد خلق وما كان غائبا ومقدرا له الوجود فى زمن من الأزمنة، ثم عرض جميع هذا على الملائكة بأن اطلعهم عليها أو على صورها وهيئاتها وطلب منهم إخباره جل وعلا بأسمائها ليقدِّموا الدليل على أن اعتقادهم أحقيتهم بالاستخلاف فى الأرض أو بأنهم أفضل من بنى آدم وأعلم هو اعتقاد صحيح، أو ليثبتوا أن لديهم العلم الصحيح بأن بنى آدم سيفسدون فى الأرض ويسفكون الدماء كما قالوا .

﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ سبحان: مصدر، فعله سَبَحَ بمعنى نزه، ويرى بعض اللغويين أنه علمٌ للتسبيح بمعنى التنزيه وليس مصدرا للفعل سبح .

٢ ـ علم : العلم مصدر الفعل علم ـ بكسر اللام ـ يعلم ومعناه عرف، والعلم خلاف الجهل.

٣ ـ العليم : هو العالم، يجيء على وزن فعيل للمبالغة، وقيل للتكثير فى المعلومات فى خلق الله، وقد سبق القول إن علم الله تعالى لا يرد عليه زيادة ولا نقص فيكون المعنى هو العالم مع المبالغة .

٤ ـ الحكيم : بمعنى الحاكم، جاءت على وزن فعيل للمبالغة، وقيل إن معناه المحكم، كما قيل إن معناه المانع من الفساد.

ثانيا التفسـير:

جملة الآية مفتتحة بالقول «قالوا» ولم تبدأ بحرف، وعبارتها الأخيرة مرتبة على عبارتها

الأولى كما أن جملتها كاملة ـ وهى رد الملائكة ـ كانت جوابا عن قوله تعالى «أنبئونى» وهذا يفيد الترتيب الزمنى، وقوله تعالى وإن كان أمرا إلا أنه لا يتضمن معنى التكليف لعلمه تعالى أنهم لا يعلمون إلا ما أعلمهم به؛ ولذلك كانت إجابتهم بقولهم «سبحانك» لتتضمن اعترافهم بالعجز عن أمر الخلافة والقصور عن معرفة الأسماء حتى لكأنهم قالوا «لا علم لنا إلا ما علمتنا ، ولم تعلمنا الأسماء، فليس لنا أن نعلمها». ثم أتبعوا ذلك بقولهم «إنك أنت العليم الحكيم» وهو تأكيد لمضمون الجملة السابقة، ذلك أنهم وقد نفوا العلم عن أنفسهم فإنهم أثبتوه لله تعالى وزادوا عليه وصفه بالحكمة لما تبين لهم أنهم دون الاستخلاف، وجاء قولهم «أنت» لتأكيد الحكم وقصره على الله جلّ وعلا .

قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ غيب السموات والأرض: سبق بيان معنى «الغيب»، وقيل إن المراد «بغيب السموات» فى الآية هو أكل آدم وحواء من الشجرة، وبغيب الأرض قتل قابيل هابيل، وقيل إن المراد بالأول هو ما قضى الله تعالى فى أمور خلقه، والمراد بالثانى ما فعله الخلق بعد القضاء .

ثانيا التفســـير:

نادى المولى سبحانه وتعالى آدم عليه السلام باسمه، وأمره أن ينبىء الملائكة بأسماء المعروضات، بمعنى أعلمهم بأسمائهم، وفى هذا دلالة على أن آدم عليه السلام يعلم، وأنه حقيقٌ أن يُعلِمَ غيره، ولذلك قال له «نبئهم» ولم يقل «نبئنى»، وقد كان من آدم عليه السلام أن أعلم الملائكة بأسماء المعروضات، فقوله تعالى «فلما أنبأهم بأسمائهم» يفيد أنه عليه

السلام أنبأهم بها ليعلموا أنه أعلم منهم بما سئلوا عنه فى إشارة إلى فضله وعلو شأنه، ثم كان قوله تعالى للملائكة «ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض» وهى عبارة تدل على أن أحدا لا يعلم من الغيب إلا ما أعلمه الله به لأنه سبحانه وتعالى وحده عالم الغيب كما يبين من قوله تعالى: «وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو»، وكان قوله تعالى للملائكة «وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون». بمعنى أنه سبحانه وتعالى يعلم ما يبدونه قبل أن يبدوه، ويعلم ما هم مستمرون على كتمانه، ويلاحظ أن فى الإخبار عن المكتوم فى الماضى ما يفيد العلم بالمبدى فى كل آن وحين بما فى ذلك ما سيبدى فى المستقبل، لأن كل ما يُبدى إنما كان مكتوما من قبل. معلوما له سبحانه وتعالى.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾

أولا : الأسـماء والأعلام:

١ - إبليس : قيل فى الاسم إنه أعجمى ممنوع من الصرف، وقيل إنه عربىٌّ مشتق من الإبلاس وهو اليأس من رحمة الله، وقيل فيه اللعين إنه كان من الملائكة، وإن معنى «كان» فى قوله تعالى «إلا إبليس كان من الجن» هو صار، فيكون المعنى أنه لما فسق عن أمر ربه مسخه الله فجعله من الجن، وإنه لا يمنع من ذلك أنه مخلوق من نار وأن الملائكة مخلوقون من نور لأن النار والنور متحدان فى المادة مختلفان فى العوارض. وقيل إنه من الجن ودليل ذلك قوله تعالى «إلا إبليس كان من الجن»، وأنه استكبر حين أن الملائكة لا يستكبرون، ولأنه خلق من مادة الجن وهى النار وليس من مادة الملائكة وهى النور على ما يبين من قوله تعالى عنه «قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين»، واستدل على ذلك أيضا بأنه تعالى بعد أن أمر الملائكة بالسجود لآدم أمر إبليس بالسجود لآدم لأنه لم يكن من الملائكة كما يبين من قوله تعالى «ما منعك ألا تسجد إذْ أمرتك». والمشهور أنه اسمه كان «عزازيل» أو الحارث، وكنيته أبا مرة، وأنه لما لعنه الله دعاه إبليس.

ثانيا التفســـــير:

معنى قولـه تعالى «إذ قلنا للملائكـة» هو: واذكر إذْ قلنا للملائكـة اسجدوا لآدم فسجدوا، وقيل إن السجود إنما كان لآدم بالفعل للتدليل على أفضليته، وأن السجود لغير الله كان جائزا إلى عصر رسـول الله ﷺ الذى نهى عن ذلـك بقوله ﷺ «لا ينبغى أن يُسجـد لأحد إلا لله رب العالمين»، واستدل على ذلك بسجود أسباط بنى إسـرائيل ليوسف عليه السلام على ما يبين من قولـه تعالى «ورفع أبويـه على العرش وخرُّوا لـه سجدا». وقيل إن السجود إنما كـان ـ من الملائكة ـ لله تعـالى مستقبلين وجه آدم عليه السلام، وذلك كما يسجـد المسلمون لله تعالى مستقبلين الكعبة المشرفة، وقيل ـ فى أسباب الأمر بـالسجود ـ إنه كان تكريما لآدم، وقيل إنه كان عقابا للملائكة لقولهم «أتجعل فيها مـن يفسد فيها» وقيل إنه كان لبيان أفضلية آدم على الملائكة، وقد أطاعت الملائكة أمره سبحانه وتعـالى إلا إبليس الذى امتنع عن فعل ما أمر به مستعظما أن يكون لآدم حق أن يُسجد له، مسفها أمره تعالى فكفَّره الله بهذا، وقد كان فى علم الله السابق إنه سيكفر ولهذا قال سبحانه وتعالى «كان من الكافرين» وكونه منهم يفيد أنه كان قبله كافرون وهـم الجن الذين سكنوا الأرض قبل خلق آدم. والمستدل عليه من الآية أن العبرة بالإيمان الـذى يوافى العبد عليـه ويتصف به فى آخر حيـاته، أو إنها ليست بـالإيمان الحال وإنما بالإيمان الحقيقى المعتبر عند الموت وختم الأعمال.

وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾

أولا: الأســـــماء:

١ ـ **زوجك**: سبق بيان معنى «زوج»، وزوج آدم عليه السلام هـى حواء، وهو الذى سمّاها بذلك بعد أن خلقت مـن ضلعه دون أن يشعر بألم، فلما انتبه سألته المـلائكة من هذه؟ قال

امرأة، قالت الملائكة ما اسمها؟ قال: حواء، قالت الملائكة: ولم سميت امرأة؟ قال لأنها من المرء أخذت، قالت الملائكة: ولم سميت حواء؟ قال: لأنها خلقت من حى. وقد روى أن الملائكة سألته «أتحبها يا آدم» قال: نعم، ثم سألت حواء «أتحبينه يا حواء؟» قالت: لا، وفى قلبها أضعاف ما فى قلبه من الحب؛ ولهذا تخفى المرأة حبها ولا تظهره أو لا تعلنه.

٢ ـ **الجنــة** : سبق بيان معناها، وقيل إنها ليست جنة الخلد التى وُعِد المتقون وإنما كانت جنة فى الأرض، قال البعض أنها كانت بأرض عدن وقال آخرون كانت بأرض عند خط الاستواء، واحتج القائلون بهذا بعدَّة حجج منها أن آدم خلق فى الأرض ولم يذكر القرآن العظيم أنه انتقل إلى السماء، وأنه تعالى يقول فيها «لا لغو فيها ولا تأثيم»، وقال «لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا»، كما أن أهلها لا يخرجون منها كما جاء بقوله تعالى «وما هم منها بمخرجين»، وإنه لما كان الثابت من القرآن العظيم أن إبليس قد لغا فى الجنة وكذب، وأن آدم وزوجه قد خرجا منها فإنه تعيّن ألا تكون هى جنة الخلد. وقيل إنها هى جنة الخلد، وردَّ القائلون بهذا على حجج الفريق الأول بقولهم إنه سبحانه وتعالى ذكر «الجنة» معرَّفة بالألف واللام فتكون هى جنة الخلد، وأن موسى قد لقى آدم عليهما السلام فقال له «أنت أشقيت ذريتك وأخرجتهم من الجنة» ذاكر «الجنة» معرفة بالألف واللام فدل على أنها جنة الخلد، وأن مفاتيح الجنة كانت بيد إبليس ثم انتزعت منه بعد المعصية فلم يكن ممتنعا عليه دخولها، وأن المقصود بعدم خروج أهلها منها إنما يكون لداخليها بعد يوم الحساب ولأن المعروف أن الملائكة يدخلون الجنة على أهلها ويخرجون منها.

٣ ـ **رغــدا** : الرغد هو الهنيء الذى لا تعب فيه، وهو الواسع، وقيل إن اللفظ جاء فى الآية «حالا» فيكون بمعنى راغدين، وقيل إنه صفة لمصدر محذوف، أى أكلا رغدا.

٤ ـ **الشجرة** : هى نبتة لها ساق تتفرع منه أغصان وعيدان، ولا يمنع أن تستعمل بمعنى عام يدل على كل ما ينبت من الأرض لقوله تعالى «شجرة من يقطين» مع ما هو معروف من أنه ليس لليقطين ساق تتفرع عنه أغصان. والمراد بها فى الآية مختلف عليه فى النوع، فقيل إنها الحنطة، وقيل إنها النخلة وقيل إنها شجرة الكافور، وقيل التين، وقيل الحنظل، ويتصور أن تكون شجرة معينة بذاتها واحدة، كما يتصور أن تكون نوعا من الشجر. ولعل الأوجب هو عدم

القطع بماهيتها لأنه تعالى لم يعينها باسمها، ولأنه لا يضير عدم تعيينها.

٥ ـ الظالمين : الظلم أصلـه وضع الشيء في غيـر موضعه، والظلـم هو الشرك بالله تعـالى لقوله تعـالى: «إن الشرك لظلم عظيـم»، ويطلق على الكبائر، وقـد يكون المراد بقولـه تعالى «فتكونا من الظالميـن» في الآية بمعنى فتكونا من الذين ظلمـوا أنفسهم بارتكاب المعصية، وأن الكبيرة هي مـا ترتكب من العبد عـن إرادة وتصميم، ولم يكن هذا حـال آدم عليه السلام لأنه عصى ربه ناسيا على ما يبين من قوله تعالى: «فنسى ولم نجد له عزما» .

ثانيا التفسـير:

يقول المـولى سبحـانه وتعـالى أنـه خاطـب آدم عليه السـلام قائلا «يـا آدم اسكن أنـت وزوجك الجنة» بمعنـى أنه تعالى نادى آدم في بـداية الخطاب وذلك لتنبيهه إلـى ما سيلقى إليه من الأمـر، ثم كان منه تعـالى أن أمره أن يسكن الجنـة وزوجه حواء بمعنى أن يتخـذها له مسكنا ـ وقد سبـق بيان الاختلاف في ماهية هـذه الجنة وما إذا كانت هي جنـة الخلد أم أنها جنة كـانت في الأرض ـ ثـم إن الأمر تضمن إبـاحة الأكل ممـا في الجنة من صنـوف الطعام والثمار يـأكلانه هنيئـا بلا تعب ولا نصـب راغدين مـرفهين، وجاء لفـظ «حيث» لبيان إبـاحة الأكل من أي مكان في الجنـة،ثم أتبع ذلك بنهي عن القرب من شجـرة أو نبتة معينة والمراد هو النهي عن أكلها وجاء التعبير عنه بالقرب للمبالغة، أو لأن الأكل مترتب على القرب، وكما نهى تعالـى عن القرب من الشجرة فـإنه نهى عن أن يكونـا من الظالمين على مـا يستفاد من جزم «فتكونا» بحذف النون معطوفة على «تقربا» المجزومة ـ لأنها فعل طلبي ـ بحذف النون، أو إنه تعـالى وقد نهاهمـا عن القرب مـن الشجرة وهو سبـب الظلم المخل بالعصمـة أوضح أنهما إن لم ينتهيا عن ذلك سيصيرا ممن ظلموا أنفسهم بارتكاب المعصية.

فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ الشيطان : سبق بيان معناه، والمراد به فى الآية إبليس اللعين، قيل إنه دخل الجنة فى جوف الحيَّة وحادث آدم وزوجه، وأن الحية كانت لها قوائم فلما أعانت إبليس أدخل الله قوائمها فى جوفها لتزحف على بطنها ولتكون بينها وبين بنى آدم عداوة، وهذا يوافق إلى حد كبير ما جاء فى سفر التكوين من التوراة التى بين أيدينا عن القصة، وقيل إنه تمثل بصورة دابة فدخل الجنة، وقيل إنه اللعين وسوس لآدم وزوجه بمعنى أنه أثار فى نفسيهما الهواجس والخواطر التى أفضت إلى أكلهما من الشجرة.

٢ ـ بعض : فى قوله تعالى «بعضكم لبعض عدو» بعض الشىء هو جزؤه، ويقال بعَّضه تبعيضا أى جزأه فتبعض. وقيل إن الخطاب كان موجها لآدم وحواء، وقيل إنه وجه إليهما ولذرياتهما، وقيل إنه وجه لهما ولإبليس .

٣ ـ عــدو : العدو ضد الولى أو الصديق، وهو من «عدا» بمعنى ظلم، والمراد به فى الآية «أعداء»، فمعلوم أن «بعضا وكلاًّ» يخبر عنهما بالواحد فقد قال تعالى «وكلهم آتيه يوم القيامة فردا»، كما قال «وكل أتوه داخرين»، كذلك فإن «عدوا» يفرد فى موضع الجمع كما جاء فى قوله تعالى «وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا»، وفى قوله تعالى «يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو» ؛ ولذلك قيل إن «العدو» اسم جامع للواحد والاثنين والثلاثة، وقد يجمع.

٤ ـ مستقر : بمعنى موضع استقرار، وقيل إنه يعنى ـ فى الآية ـ القبور.

٥ ـ متــاع : المتاع هو ما يستمتع به، وهو السلعة، والمنفعة، ومنه متعة الحج لأنها انتفاع، ومتعة النكاح، واللفظ فى الآية يفيد عموم الانتفاع فيشمل كل ما يستمتع به من مأكل ومشرب وملبس وحديث وأنس وغيره.

٦ ـ حيــن : الحين اسم كالوقت يصلح لجميع الأزمان طالت أم قصرت، والحين يوم القيامة، وهو الغدوة والعشية كما جاء بقوله تعالى «فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون»، وقيل إنه مدة ستة أشهر على ما يستفاد من قوله تعالى «تؤتى أكلها كل حين بإذن

ربها»، وقيل إنه سنة لأن الحين المعلوم هو الذى تتعلق به الأحكام ويرتبط به التكليف، وأكثره سنة. والمراد به فى الآية هو الموت لدى من يرى أن «المستقر» هو المقام فى الدنيا، وهو قيام الساعة لدى القائلين إن المستقر هو القبور.

ثانيا التفسير:

تروى الآية ما كان من أمر الشيطان مع آدم وحواء من حملهما على الزلل، وذلك بمعنى أن زلتهما كانت بسبب الشجرة كما يبين من الضمير المتصل فى «عنها»، وهو ما كان بكذبه عليهما و إغوائهما مشافهة على ما يبين من قوله المروى فى قوله تعالى «وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين»، فكان إخراجهما من الجنة إلى الأرض، ولم يكن هذا هو مراد إبليس من إغوائه آدم وحواء بل كان مراده هو إسقاط آدم من مرتبته، وجاء تعبيره تعالى عن إخراج آدم وحواء من الجنة بقوله «فأخرجهما مما كانا فيه» للتعبير عن أنه خروج من النعيم الذى كانا عليه فى الجنة أو الذى كانا يرفلان فيه، وخاطب سبحانه وتعالى كلا من آدم وحواء، والحية، والشيطان بقوله «اهبطوا بعضكم لبعض عدو» لتكون العداوة بينهم مقدَّرة على الأرض، وقيل إن الخطاب كان لآدم وحواء لقوله تعالى «قلنا اهبطا منها جميعا» فتكون العداوة بين البعض من ذريتهما والبعض فى الأرض التى ستكون لهم موضع استقرار ينتفعون فيها بشتى صور المتع والمنافع إلى أن يقضى الله عليهم الموت فتفنى آجالهم، أو إلى أن تقوم الساعة.

فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

أولا: الأسماء:

١ ـ **كلمات**: جمع مؤنث مفرده «كلمة»، والكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير، و «الكلِم» جمع كلمة لا يكون أقل من ثلاث كلمات. وقيل إن الكلمات التى تلقاها آدم من ربه وقبلها هى: «ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين»، وقيل إنها «سبحانك اللهم لا إله إلا أنت ربى، ظلمت نفسى فاغفر لى إنك أنت الغفور الرحيم»، وقال

البعض إنه عليه السلام رأى مكتوبا على ساق العرش «محمد رسول الله» فتشفع بذلك، فهى الكلمات، وقيل إنها الندم والاستغفار.

٢ ـ التـــواب : وصف الله تعالى نفسه بالتَّواب فى القرآن العظيم مرات عديدة ورد فى بعضها معرَّفا، وورد فى الآخر منكرا، وهذا الوصف لا يمتنع أن يطلق على العبد، ويجوز دعاؤه به سبحانه وتعالى، وهو وصف حقيقى له جل شأنه لأن توبة الله على العبد هى رجوعه من حال المعصية إلى حال الطاعة، أو لأن توبة الله على العبد هى قبول توبته.

ثانيا التفســـير:

تقول الآية إن آدم تلقى وحيًا من ربه فهم معناه وقبله على ما يبين من قوله تعالى «فتلقى آدم من ربه»، وكان هذا الوحى كلمات ذات معنى تفيد الإقرار بالذنب، وطلب المغفرة منه جل شأنه والرحمة، والإقرار بأنه تعالى ما لم يغفر له عصيانه أمره بمقارفته ما نهاه عنه، وما لم يشمله برحمته فإنه سيكون من الخاسرين، ومعنى قبول آدم هذه الكلمات أنه قبلها بقلبه وردَّدها بلسانه، ويجوز أن تكون هذه الكلمات هى «محمد رسول الله» فيكون معنى قبول آدم إياها إيمانه بمعناها فى قلبه وتشفعه بها لدى ربه ليغفر له ويرحمه، والذى لا شك فيه أنه كان فى هذه الكلمات تعليم لأبناء آدم لماهية التوبة عن الذنب وكيفيتها، ثم تبين الآية أن الله تعالى قبل توبة آدم فتاب عليه لأنه سبحانه وتعالى قابل التوب يتوب على العبد فيقبل توبته إن صحَّت، وهذا من فضائل رحمته «إنه هو التواب الرحيم» ويلاحظ أن نص الآية قد تحدث عن آدم وحده ولم يذكر حواء، ولعل سبب ذلك أنها كانت تابعة له فيشملها النص دون ذكرها صراحة، وذلك كما كان ـ فى القرآن العظيم ـ فى شأن فتى موسى الذى لم يذكر مع موسى عليه السلام فى قوله تعالى «ألم أقل لك» .

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ جميعـا : فى جملـة الآية حال مـن فاعل «اهبطـوا» بمعنى مجتمعين، والمخـاطبون بـالقول هـم ـ علـى ما سبـق القـول ـ آدم وحـواء، والحية، والشيطـان، أو آدم وحواء ليشمـل الخطاب ذريتهما فى الأزمنة المختلفة .

٢ ـ هـــدى : سبق بيان معنـاه، وقد ورد فى الآية نكـرة لبيان أن المراد هو مطلـق الهدى وقيل إنه الكتـب المنزلة فيكون أى كتاب منزل هـدى، وقيل إنه الرسل، وقيـل إنه محمد ﷺ. وقد ذكر اللفظ ثانية فى الآية منسوبا إليه سبحانه وتعالى «هداى» لأنه إذا كان الهدى فى حد ذاته أو بالنظـر إليه مجردا واجب الاتبـاع فإنه إذا أضيف إليـه سبحانه وتعالـى يكون أحقّ أن يُتبع.

٣ ـ خـــوف : الخوف هو الفزع والذعر فى المستقبل .

ثانيا التفســـير:

كـرّر الله سبحانـه وتعـالـى أمره لآدم وحـواء، والحيـة، والشيطـان، أو لآدم وحواء شـامـلا ذرياتهمـا بالهبوط إلى الأرض لتغليـظ الأمر وتأكيـده. أو لأن الأمر الأول كان متعلقا بـالعداوة التى ستكون بين المخاطبين بالنص بعضهـم والبعض أو بين بعض ذرية آدم وحواء وبعضهم الآخر، حيـن أن الأمر الثـانى جـاء متعلقا بـإتيان الهـدى. وقال مـن رأوا أن آدم كان فـى جنة المأوى أن الهبـوط الأول كان من الجنة إلـى السماء وأن الهبوط الثـانى كان من السمـاء إلى الأرض. ثم قـال تعالى للمخاطبيـن «فإما يأتينكـم منى هدى» وهـى تفيد أنه سيأتـى من الله تعالى هدى، لأن «فإما» مكونة من «إنْ» الشرطيـة، و«ما» الزائدة للتأكيد، ثم زاد تأكيد الفعل بعدهـا بالنون «يـأتينَّ»، وهذا الهـدى الذى سيكـون من الله منزل الكتـب السماوية، بـاعث الرسل، الذى اصطفى محمـدا ﷺ خاتم المرسلين، هو أمر واجب الاتبـاع. وتبين الآية حكم من يتبعون الهدى الذى نسبه الله إليه بقوله «هداى» لبيان أنه أحقُّ أن يتبع فتقول إنه «لا خوف عليهـم ولا هم يحـزنون» أى أنهـم لا خوف عليهـم أن يحل بهـم مكروه ولا أن يفـوتهم خيـرٌ محبـوب فيحزنـوا لذلـك، أو أنهم لا خـوف عليهم مـن الضلالـة فى الـدنيا ولا حـــزن مـن

الشـقاوة فى الآخرة، وهذا القول يتضمن إشارة إلـى أنه تعالى يدخلهم الجنة فهى دار الأمن والسرور التى لا خـوف فيها ولا حزن، كما يتضمن إشـارة إلى أن غيرهم ممـن لا يتبعون الهدى يحزن .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ الذين كفروا وكـذبوا بآياتنا : هم المكلفون ممَّـن بلغتهم الدعوة فلـم يتبعوا هدى الله فكانوا كافـرين، كما أنهم أنكروا بقلوبهم آيـات الله الدالة على وحدانيته وأنكـروا نبوة رسوله الكريم ﷺ، والقرآن العظيم كتابا منزلا من لدنه تعالى، وكذبوها بألسنتهم .

٢ ـ آياتنــا : الآية فى الأصل هـى العلامة، ومنها جاءت «آيات القرآن» لكـونها علامات لانقطاع الكلام. والمراد بهـا فى الآية هو الكتب المنزلة، أو الأنبياء، أو القـرآن، أو كل ما يدل عليه سبحانه وتعالى من البينات والأدلة شاملة المكتوب والمعقول .

ثانيا التفســـير:

يبين مـن ورود واو العطف فى مبتـدأ الكلام أنه معطوف علـى «فمن تبع هـداى»، فيكون الكلام متعلقـا بمن لم يتبـع هدى الله، ولما كـان من هـؤلاء من لم تبلغـه الدعوة ومنهـم غير المكلف فكان إخراجهم من مطلق من لم يتبعـوا هدى الله ببيان أن من يتعلق بهم حكم الآية وهو مصـاحبة النار والخلـود فيها هم الـذين كفروا منكـرين آيات الله الـدالة عليه ومنهـا كتبه ورسله، فلم يؤمنوا بمحمد ﷺ رسولا نبيا وبالقرآن العظيم كتابا منزلا .

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **بنو إسـرائيل** : إسرائيل هو نبـى الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيـم عليهم السلام جاء فى التوراة أن الله تعالى قال له «لا يدعى اسمـك فيما بعد يعقوب، بل يكون اسمك إسرائيل، فدعا اسمه إسرائيل»، وهو اسم أعجمى مكون مـن «إيل» وهو من أسماء الله تعالى فى التوراة «وإسرا» بمعنـى العبد، وبنو إسرائيـل هم أبناؤه من صلبـه ونسلهم، وأبناؤه عليه السـلام اثنا عشر وهم أسباط بنى إسـرائيل، فقد أنجب من ليئة ـ زوجه الأولـى ـ راؤبين «بكره» وشمعون، ولاوى، ويهوذا، ويسَّـاكر وزبولـون. وأنجب من راحيل ــ زوجه الثانيـة. يوسف عليـه السلام وشمعون. وأنجب من «بلهة» ـ جارية راحيل ـ دان ونفتالى. وأنجب من «زلفة» ـ جارية ليئة ـ جاد، وأشير. وأم يعقـوب عليه السلام ـ وهو إسرائيـل ـ هى «رفقة» بنت بتوئيـل الآرامى أخت لابان الأرامى حملت فى يعقوب وعيسو فى بطن واحدة خرج الأول أحمر اللون فأسماه والداه عيسو ثـم خرج الآخـر ويده قـابضة بعقـب أخيه فـأسمياه يعقـوب. وإذا كان الأصـل أن بنى إسرائيل هم نسله من الصلـب. فإنه لا يمكن الجزم بأن من يدعون اليوم بنـى إسرائيل هم من نسل يعقـوب أو إسرائيل عليه السـلام فمنهم كثيرون من الجنـس القوقازى وآخرون مـن أبناء حام، حين أن إسرائيل من نسل سام بن نوح عليه السلام .

٢ ـ **النعمــة** : وهى فى الآية «نعمتى التى أنعمت عليكـم» وقد جاءت «النعمة» فى الآية اسم جنس مفردة بمعنى الجمع كما فى قولـه تعالى: « وإن تعدُّوا نعمة الله لا تحصوها»، وقد تعدَّدت نعمه تعالى على بنى إسرائيل ومنها أن أنجاهم من آل فرعون، وأن جعل منهم أنبياء، وأنزل عليهم المـن والسلوى فى سيناء زمن التيـه، وفجر لهم الماء من الأرض اثنـى عشر عينا ليختص كل سبـط من أسباطهم بعين، واستـودعهم التوراة وفيها خبـر رسول الله ﷺ ووصفه

وطلب الإيمان به، ولا يزال موجودا فى التوراة التى بين أيدينا اليوم من ذلك الكثير فى سفر التثنية.

٣ـ عهد الله: وهو « عهدى » فى قوله تعالى: « وأوفوا بعهدى» وقيل إنه قوله تعالى «خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه » ، وقوله تعالى « ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا» ، وقوله تعالى «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننَّه للناس ولا تكتمونه»، ويبين من قوله تعالى « واذكروا ما فيه »، وقوله تعالى « لتبيننه للناس» أن العهد الذى عهد به المولى جل وعلا لبنى إسرائيل هو الإيمان بمحمد رسول الله ﷺ واتباعه وإظهار ما جاء مخبرا عنه فى التوراة للناس ، وعدم كتمانه.

٤ ـ عهد بنى إسرائيل: المعبر عنه بقوله تعالى « أوف بعهدكم » هو ضمان الجنة لهم إن هم أوفوا بعهده سبحانه وتعالى .

ثانيا التفسـير:

يخاطب الله سبحانه وتعالى فى الآية بنى إسرائيل الذين عاصروا رسول الله ﷺ وبلغتهم دعوته فلم يستجيبوا لها رغم أنهم أمروا فى كتابهم باتباعه بعد أن أُعطوا البيان الواضح الدال عليه، ولا يزال الخطاب قائما لأن دعوته ﷺ قائمة إلى يوم الدين. وفى الآية يخاطب الله تعالى اليهود باسم بنى إسرائيل لحثهم على طاعته بذكره الاسم الذى اختاره لأبيهم الذى إليه ينتسبون، فيقول لهم « اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم » ومعنى ذكر النعمة هو شكر الله عليها والقيام بحقوقها خاصة وقد شرَّفها المولى بنسبتها إليه بقوله « نعمتى» ، فلا يكفى ذكرها باللسان والإحساس بها فى القلب، بل يتعين القيام بحقوقها بأداء وبعمل لعلّه تنفيذ أمره تعالى « وأوفوا بعهدى » أى بالإيمان بمحمد رسول الله ﷺ واتباعه ، وإظهار ما جاء بالتوراة من تبشير به وأمر باتباعه وعدم كتمانه، ثم يجىء جواب الأمر وهو ضمانه سبحانه وتعالى الجنة لهم إن هم فعلوا ما أمرهم، وتختتم الآية بأمر آخر بقوله تعالى « وإيَّاى فارهبون» وهو أمر يتضمن وعيدا بالغا ومعناه ارهبونى فى جميع ما تأتون وما تتركون، أو ارهبونى فى نقض العهد. ويتمثل الوعيد فيه فى أن تكون الرهبة من أن ينزل بهم ما أنزل من قبل بآبائهم الذين

عصوا عن أمره من النقمات التى عرفوها .

وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **ما أنزلـــت :** فى قوله تعـالى «وآمنوا بما أنزلت» هو القرآن العظيـم، وفى التعبير «بما أنزل الله» تعظيم لشأنه.

٢ ـ **مصدقا لما معكم :** المصدِّق هو الذى يصدِّق المتحدث فى حديثه. والمراد بتصديق القرآن لما مع بنى إسـرائيل أنه نزل حسبما وصف فيها فيكون دليلا علـى صدقها فيما ذكرت بشأنه، أو أنه مطابق لها فى أصل الدين والملَّة.

٣ ـ **الثمـن :** فى قـوله تعالـى «ثمنا قليلا». هـو فى الأصل العـوض عن البيع فهـو ثمنه، ويقال: أثمنت الرجل متاعه وأثمنت له بمعنى حـدَّدت له عوضا. وفى المراد به فى الآية قيل هو المقـابل المـادى أو الرشـوة التى كـان يأخـذها الأحبـار لتغيير صفـة محمد عليـه الصلاة والسلام، وقيل هو المقابـل المادى الذى كانوا يتلقونه نظير تعليمهـم دينهم، وقيل إن المعنى هو متاع الدنيا وزينتها التى كانوا يقبلونها نظير التفريط فى أوامر الله تعالى ونواهيه .

ثانيا التفســـير:

قيل إن الآية نزلت فى بعض علماء اليهود ورؤسـائهم ومنهم كعب بن الأشرف وأصحابه، والخطاب قائم دائم وفيه الأمر بالإيمان بالقرآن العظيم الـذى أنزله الله رغم اندراجه فى الوفاء بالعهد الذى سبق الأمر به، وجاء تخصيصه بالأمر للحث عليه على ما يستفاد من قوله تعالى «مصدقا لما معكم» بمعنى مصدقا للتوراة التى معكـم بنزوله حسبما ورد فيها بشأنه ومطابقته لها فى أصل الدين والملة وهو ما كان يستوجب منهم أن يكونوا أول من يؤمن به على ما كانوا

يقولـون قبل بعثته ﷺ إنه متـى جاء النبى المبشَّر بـه فى التوراة فـإنهم يكونون أول مـن يتبعه؛ ولذلـك نهاهم الله تعـالى عن أن يكـونوا أول من يكفـر به من أهـل الكتاب وليس مـن عموم الناس، لأنه معلوم أن كفار مكة قد سبقوهم إلـى الكفر فلا يتصور أن يكون المخاطبون بالنص هم أول من يكفر، ولأن كفار مكـة لـم يكن معهم كتاب صدَّق به القرآن العظيـم. ثم إنه تعالى أمرهم ألا يقبلوا متاع الحياة الدنيا وزينتها وأموالها مقابل إخفائهم حقيقة محمد عليه الصلاة والسلام وتغيير أوصافه التى لديهم فى كتابهم، وإنكار كتابه المنزل من ربه، ووصف الله تعالى متاع الدنيا بالثمن القليل لأن مصيره إلى زوال أقصاه زوال حياتهم، ثم إنه تعالى أمرهم بتقواه وهو مـا يكون بالإيمـان بكتابه المنـزل وبرسولـه ﷺ اتباعا للحـق، وبالإعراض عـن الاشتراء بآيـات الله الثمن القليـل، وكان أمـره لهم بـالتقوى بعد أن أمـرهم بـالرهبـة لأن الرهبـة تورث التقـوى .

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **الحــــق** : المراد بـالحق فى قـوله تعالـى «ولا تلبسوا الحـق» هو الحق المنـزل فى التوراة. والمراد بالحق فى قوله تعالى «وتكتموا الحق» هو محمد رسول الله ﷺ .

٢ ـ **الباطــل** : هو فى اللغة خلاف الحق، ومعناه الزائل، والباطل هو الشيطان .

ثانيا التفســـير:

ينهى الله تعالى بنى إسرائيـل عن خلط ما فى التوراة من حق بالباطـل الذى اخترعوه، وهو نهى التغيير والتبديل الذى أحدثوه بالتوراة فكان مـن شأنه الخلط بين ما أنزله الله ـ وهو الحق ـ بما دوَّنوه ــ وهو الباطل، وينهاهم سبحانـه وتعالى أيضا عن كتمان الحق وهـم يعرفونه أى عن كتمانهـم أمر النبى ﷺ وهم يعرفـونه ويعرفون صفاتـه. وقد استدل بالآية علـى أن العالم بالحق يتعيَّن عليه إظهاره.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **الصـلاة** : سبق بيان معناها، والمراد بها فى الآية صلاة المسلمين.

٢ ـ **الزكـاة** : هى فى الأصل النماء والزيادة، فيقال زكا الشىء أى نما وزاد. ونقلت إلى زكاة المسلمين لأنها تزيد بركة المال أو لأنها تكون فى المال النامى الزائد. والمراد بها فى الآية زكاة المسلمين، وقيل صدقة الفطر.

٣ ـ **الراكعـون** : فى قوله تعالى «واركعوا مع الراكعين» هم المصلُّون صلاة المسلمين لما فيها من ركوع تخلو منه صلاة اليهود .

ثانيا التفسـير:

كان طبيعيا ـ بعد أن أمر الله تعالى اليهود أن يؤمنوا بالقرآن الذى أنزل مصدِّقا لما معهم من التوراة وبمحمد عليه الصلاة والسلام ونهاهم عن كتمان أمره ـ كان طبيعيا أن يوجب عليهم صلاة المسلمين على ما يفيد قوله تعالى «وأقيموا الصلاة»، وأن يوجب عليهم إيتاء الزكاة وهى الركن الثالث من أركان الإسلام، لأن مقتضى إيمانهم بالقرآن وبالرسول ﷺ هو شهادتهم ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ثم جاء قوله تعالى ـ بعد ذلك ـ مفصحا عن أن الصلاة المقصودة هى صلاة المسلمين بقوله تعالى «واركعوا مع الراكعين» وذلك لأن صلاة اليهود تخلو من الركوع حين أنه أحد أركان صلاة المسلمين، كذلك فإن اليهود كانوا يصلُّون فرادى فجاء أمره تعالى بالصلاة مع المصلين أى بصلاة الجماعة وهى صلاة المسلمين.

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ البــــر : هو الصدق، وهو أيضا ولد الثعلب، وسوق الغنم. والمراد به فى الآية الطاعة والعمل الصالح .

٢ ـ الكتـــاب : المراد به فى الآية التوراة .

ثانيا التفســـير:

تبدأ الآية الكريمـة باستفهام يفيد التوبيخ، وهـو موجَّه إلى علماء اليهود فـى المدينة وقت نزول النص الذين كانوا يقولون لمن تربطهـم بهم صلة من قرابة أو مصاهرة أو رضاع أو صداقة من المسلمين «اثبتـوا على ما أنتم عليـه، وما يأمركـم به هذا الرجـل فإن أمره حق» قـاصدين رسول الله ﷺ، وكـانوا يمتنعون عن اتبـاعه، أو الذين كـانوا يأمرون أتبـاعهم من اليهود بـاتباع التوراة ـ وفيها التبشير بـرسول الله ﷺ وبيان صفاته ـ ثم ينكرون هم أنـه النبى المبشَّر به، فكان توبيخه تعالـى شأنه إياهم على فعلهم هذا إذْ يـأمرون أتباعهم باتباع الحق ثـم يتركون العمل بالبرِّ الذى يأمرون به: ولذلك جاء تعبير النص القرآنى عن تركهم العمل بما يأمرون به بالنسيان لبيان عدم المبالاة والغفـل فيما كان ينبغى أن يفعلوه. ثم إنـه تعالى يوبخهم ويقرعهـم بقوله تعالى: «وأنتـم تتلون الكتاب أفلا تعقلون»، ففى إشـارته تعالى إلى أنهم يتلـون الكتاب وهو التوراة تـوبيخ عظيم لأن تـلاوة التوراة تستوجب اتبـاعها، والاتباع يستـوجب البدء بـالنفس، ولماكان أمرهـم خلاف ذلك وهو أمرهم أتباعهم بالإيمان بما أمرت التوراة بالإيمان به وبشَّرت ثم إنكارهم هذا فى أنفسهم وعدم العمل به وهو ممـا يأباه العقل السليم، فقد ورد قوله تعالى «أفلا تعقلون» بمعنـى أليس لكم عقول تمنعكم عـنِ فعل ما تعلمون سوء عـاقبته. والخطاب فى هذه الآيـة ـ إن كان موجها إلـى علماء بنى إسرائيلَ ـ إلا أنه عام المعنى لكل واعـظ يأمر

الناس بالبر ولا يأتمر به وينهى الناس عن الباطل ولا ينتهى عنه.

﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ الصبـر : هو حبس النفس على ما تكره، وهو المراد به فى الآية، وقيل إن المراد به هو الصوم.

٢ ـ كبيـرة : المراد بها فى الآية أنها ثقيلة وصعبة .

٣ ـ الخاشعون : فى قوله تعالى «إلا على الخاشعين» جمع خاشع وهو المتواضع. والخشوع هيئة فى النفس يظهر منها فى الجوارح سكون وتواضع .

ثانيا التفسـير:

أمر الله تعالى بالاستعانة بالصبر والصلاة، والاستعانة بالصبر مفادها الصبر على الطاعة والصبر عن المعاصى، وفيه ـ بهذا المعنى ـ انتظار الفرج من الله تعالى والتوكل عليه، وجاء تقديم الصبر على الصلاة بالذكر لأن الصلاة لا تكمل إلا به، والاستعانة بالصلاة إنما كان لما فيها من تقرب إلى الله تعالى، فالعبد يكون أقرب ما يكون من المولى سبحانه وتعالى وهو ساجد، والثابت أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمر أو أصابه همٌّ فزع إلى الصلاة. وقد وصفها الله تعالى بأنها كبيرة بمعنى ثقيلة وصعبة لما فيها من سجن النفوس حيث تكون جوارح المصلى جميعها مقيَّدة بالصلاة عن جميع الشهوات، وهى لا تكون كذلك على الخاشعين المتواضعين المستكينين لله وهم الذين يوافق سكون جوارحهم فى الصلاة وغضهم أبصارهم ما فى قلوبهم من خشوع لله؛ ولذلك قال سبحانه وتعالى «قد أفلح المؤمنون * الذين هم فى صلاتهم خاشعون» .

ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ ملاقوا ربهم : اللقاء وصول أحد الجسمين إلى الآخر، والمقصود بملاقاة الرب ـ في الآية ـ هو ملاقاة جزائه، ويرى البعض أنها رؤيته سبحانه وتعالى أو النظر إليه يوم الدين.

٢ ـ راجعون : المراد بها في الآية راجعون إلى جزائه سبحانه وتعالى، فيكون في العلم بالرجوع إلى جزاء الله تعالى إقرار بالبعث والجزاء وبالعرض عليه جل وعلا .

ثانيا التفسير:

جاء قوله تعالى في مبتدأ الآية «الذين يظنون» نعتا للخاشعين، ومعنى «يظنون» هو متيقنون كما في قوله تعالى «إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه» لأن الخاشعين يثقون في البعث والنشور وملاقاة الجزاء ويؤمنون بذلك، وقال البعض إن الظن ـ في الآية ـ لا يعني اليقين وإنما مجرد التوقع وإنه يتعلق برؤية وجه الله الكريم يوم القيامة وهو ما لا يستطيع المؤمن أن يتيقن منه لعدم علمه ما يكون عليه ختام عمله. ويبين من عطف «أنهم إليه راجعون» على ما قبله أن الظن في الآية يعني اليقين، لأن الخاشعين يوقنون أنهم راجعون إلى جزاء الله يوم القيامة .

يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾

أولا : الأسـماء : سبق بيانها .

ثانيا التفسـير:

كرَّر سبحانه وتعالى تذكيره بنى إسرائيل بمـا أنعم عليهم من قبل أى بما أنعم على آبائهم من تنجيتهم من آل فرعـون «وإذ نجيناكم من آل فرعون» وبما جعل فيهـم من أنبياء «وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا». وقد تكرر هذا التذكيـر للتأكيـد ولبيان مـا بعده مـن الوعيـد لتكون الـدعوة بـالترغيـب ببيان سـوابق النعـم وبالترهيب من العقاب اللاحق. ثم إنه تعالـى خصَّ إحدى هذه النعم التى أنعم على آبائهم بالذكر بقوله تعالى «وأنى فضلتكم على العالمين» بمعنى أنه فضَّل آباءهم على العالمين فى زمانهـم فلا يعنى تفضيل بنـى إسرائيل على العـالمين تفضيلهم على رسـول الله ﷺ ولا على أمته. وجدير بالملاحظة أن الله سبحانه وتعالى أشهـد بنى إسرائيل فضل أنفسهم بقوله تعالى «وأنى فضلتكم على العالمين» وأنه أشهد المسلمين فضـل نفسه بقوله تعالى «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا».

وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **شفاعة** : الشفاعة هى ضم الغير إلى الشخـص أو إلى وسيلته، مأخوذة من الشفع وهو الاثنان والشفيع هو من ينضم إلى الطالب فى تحصيل ما يطلب .

٢ ـ **عـدل** : العدل هو ما يساوى الشىء قيمة وقـدرا و إن لم يكن من جنسه، والعدل هو الفدية ـ وهذا هو المراد به فى نص الآية ـ وهو أيضا البدل .

ثانيا التفسـير:

بدأت الآية الكريمة بأمر معناه الوعيد «واتقوا يوما» والمعنى «اتقوا عذاب يوم القيامة» وفيه لاتجزى نفس عن نفس شيئا فلا تؤخذ نفس بذنب أخرى، ولا تدفع عنها شيئا مما قُدِّر عليها من العذاب، ولاتقبل شفاعة نفس لنفس كافرة، فلا يستفاد من قوله تعالى «ولا يقبل منها شفاعة» العمومية بحيث تشمل كل ظالم وآثم، لأن القرآن يفسِّر بعضه بعضا وقد أثبت الله تعالى الشفاعة لأقوام ونفاها عن آخرين فقال تعالى فى إثباتها لمن ارتضى «ولا يشفعون إلا لمن ارتضى» وقال «ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له». ويبين انحصار عدم قبول الشفاعة فى المنافقين والكافرين من قوله تعالى «إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون». كذلك فإنه لا يقبل فى يوم القيامة من نفس أى فداء تقدمه لتفتدى به من عذاب يومذاك، ولا يُنصر الكافرون بدفع الضرر عنهم، ولا يمنعون من عذاب الله عزَّ وجلَّ .

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾

أولا : الأسـماء والأعلام :

١ ـ **آل** : قيل إنه بمعنى الأهل، وقيل إنه من يؤول إلى آخر فى قرابة أو رأى أو مذهب فهو أعم من الأهل المحصور فى القرابة .

٢ ـ **فرعـون** : لقب حاكم مصر القديمة سواء أكان من المصريين أم من غيرهم من الأقوام الأسيويين الذين غزوا مصر فى التاريخ القديم، وهو من بينهم فرعون موسى سواء أكان هو من تربى موسى عليه السلام فى بيته أم كان فرعون الخروج، والشائع أنه رمسيس الثانى أو ابنه منفتاح، وهو عند مؤرخى العرب من الأقوام الأسيويين الذين حكموا مصر وقيل إن اسمه

هو الوليد بن مصعب، وقيل إنه قنطوس، وقال أهـل الكتاب هو قابوس. ويثبت التاريخ إنه لم يكن مصريـا بل كان من ملوك الـرعاة أو الهكسوس الذيـن حكموا مصر فترة من الـزمان وأنه سادس ملوك الأسـرة الهكسوسية الأولى التـى عاصر دخول إبـراهيم عليه السلام مصـر بداية حكمها الذى قام عليـه ستة ملوك منها، مع ما هـو معلوم من أنه بين موسـى و إبراهيم عليهما السلام ستة أجيال على عمود النسب .

٣ ـ سوء العذاب : السوء مصـدر الفعل «ساء، يسوء»، ويستعمـل فى كل ما يقبـح، وسوء العذاب هو أفظعه وأشدُّه بالنسبة إلى سائره .

٤ ـ بـــلاء : البلاء هو الامتحان والاختبـار، وهو ما قد يكون من الله للعبـد بالنعمة والخير ليختبر شكره، وقد يكون بالمحنة أو البلوى ليختبر صبره. وفى المراد به فى الآية قيل إنه تذبيح الأبناء واستحياء النساء بما يعنى أنه كان محنة، وقيـل إنه بعث موسى عليه السلام وتخليصه بنى إسرائيل بفضل الله بما يعنى أنه كان نعمة .

ثانيا التفســـــير:

الكلام فى الآية معطـوف على قوله تعالى الـذى خاطب به بنى إسرائيـل «**اذكروا نعمتى**» فكأن المعنـى هو واذكروا إذ نجينـاكم من قـوم فرعون الـذين كانـوا بأمر منـه يسومونكـم سوء العذاب أى يمارسـون عليكم أسوأ صور العـذاب، وقيل إن فرعون كـان قد سخَّر بنى إسـرائيل خدما صنفهم فى أعماله فمنهم من يبنون له ومنهـم من يحرثون و يزرعون ومنهم من يخدمونه وجنوده، ثم قال تعالى «يذبحون أبناءكـم و يستحيون نساءكم» وورود الجملـة بغير واو يفيـد أن تذبيح الأبناء الذكور والإبقاء على البنات المعبر عنهن بـالنساء بحكمَ المآل إنما كـــان مـن صور أسـوأ العـذاب وأفظعه، ثـم إن الآيـة تبين أن مـا كان مـن فـرعون وقـومـه مع بنـى إســـرائيل آباء المخاطَبين بالنص إنما كـان بلاء منه لهم ليختبر صبرهـم، أو أن ما كان من بعثه موسـى عليه السلام وتخليصه إياهـم من فرعون وقومـه إنما كان منه تعالـى نعمة ليختبر شكرهم، ووصـف سبحانه وتعالـى هذا البلاء بأنه عظيـم ليعظم لدى المخاطـب وفى سمع السامع .

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ البحـــر : ضد البر، وجمع بحر أبحر، وبحار وبحور، ويقال ماء بحر أي ملح، وكل نهر عظيم بحر، ويسمى الفرس الواسع الجرى بحرا. والمراد بالبحر فى الآية هو بحر القلـزم ـ وهو البحر الأحمر ـ وقيل ـ وهذا ضعيف ـ إنه النيل، ويدل على أنه البحر الأحمر قوله تعالى فى فعل قوم فرعون «فأتبعوهم مشرقين» أى متجهين ناحية الشرق، والبحر الأحمر فى الشرق من وادى النيل، ومن عاصمة حكام الهكسوس «أواريس» التى كانت فيما يعرف بالشرقية حاليا من محافظات مصر، والاتجاه منها شرقا إنما يكون للبحر الأحمر.

ثانيا التفسـير:

يقول المولى تعالى ـ والحديث معطوف على ما قبله ـ «وإذ فرقنا بكم البحر» أى فلقنا البحر وفصلنا بين بعضه وبعض، وقوله تعالى «بكم» قد تعنى «لكم» أو «لأجلكم» والمراد لأجل آبائكم، وقد تعنى أن فلق البحر إنما كان بسيرهم فيه وسلوكهم إياه، غير أن هذا الأخير يدحضه قوله تعالى «أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم»، ثم يشرح باقى الآية ما كان من الأمر بعد أن فرق الله البحر لأجل آباء المخاطبين من بنى إسرائيل إذْ أنجاهم الله من الغرق ومن إدراك آل فرعون الذين تبعوهم إياهم وأغرق آل فرعون وهو على رأسهم بينما كان بنو إسرائيل آباء المخاطبين ينظرون ويشاهدون ما يحدث .

****

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾

أولا : الأسماء والأعلام:

١ ـ موسى : هو نبى الله موسى عليه السلام ابن عمران «أو عمرام» بن قاهاث بن لاوى ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام. ولد فى مصر خلال فترة وجود بنى إسرائيل فى مصر التى بدأت بمجىء يعقوب عليه السلام وزوجه وأبنائه مصر بدعوة من يوسف عليه السلام، وانتهت بخروجهم من مصر مع موسى .

٢ ـ العجل : هو ولد البقرة الصغير، وقيل إن المراد به فى الآية عجل حقيقى من لحم ودم وله خوار، وقيل ـ وهذا هو رأى الجمهور ـ إنه إنما كان مصنوعا على هيئة العجل وشكله وأن نسبة الخوار إليه مجاز، أو أن الهواء كان يدخل من فتحة فيه ويخرج من أخرى فيصدر عنه صوت شبيه بالخوار .

ثانيا التفسير:

كان من أمر بنى إسرائيل بعد أن جاوزوا البحر أنهم سألوا موسى عليه السلام أن يأتيهم بكتاب من عند الله فوعده سبحانه وتعالى أن يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا يعطيه إياها خلاله، أو فى العشر الليالى الأواخر منه أو عند انتهائه وهو أربعين ليلة قيل إنها ليالى ذى القعدة وعشر من ذى الحجة وقيل إنها ليالى ذى الحجة وعشر من المحرم، واصل موسى صيامها وأيامها، وكان قد خرج فى سبعين رجلا من خيار بنى إسرائيل إلى الطور وصعد موسى الجبل بعد أن ولّى عليهم أخاه هارون فكان منهم ـ على ما تروى الآية ـ أنهم اتخذوا العجل من بعد مغادرته إياهم، وفى معنى اتخاذهم العجل يتصور أن يكون صناعتهم العجل ويتصور أن يكون اتخاذهم العجل إلَهًا، ويؤيد المعنى الأول أنه لم يرد نص صريح فى هذه القصة فى القرآن يقرر اتخاذهم العجل إلٰها، فيكون ذمُّهم على صناعته المعبَّر عنها «بالاتخاذ» لما يترتب عليها من العبادة. ويؤيد المعنى الثانى أن بنى إسرائيل عندما مروا

على قوم يعكفون على أصنام لهم على صور البقر قالوا «اجعل لنا إلٰها كما لهم آلهة». وأن السامرى قال لهم «هذا إلٰهكم وإلٰه موسى»، وأنه عندما قال لهم هارون «يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى»، قالوا «لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى»؛ ولهذا روى فى الخبر أنه لم يطع هارون فى عدم عبادة العجل إلا اثنا عشر ألفا، ويؤيده أيضا أنه تعالى وصفهم ـ فى فعلهم هذا ـ بالظلم فقال «وأنتم ظالمون» وقد وصف الله تعالى الشرك بأنه ظلم عظيم «إن الشرك لظلم عظيم»، وهو ما يفيد أنهم أشركوا بالله بعبادتهم العجل أو باتخاذه إلها .

ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾

التفسير:

بدأت الآية بقوله تعالى «ثم عفونا عنكم» وجاءت «ثم» فى بداية القول لبيان التفاوت بين فعل المخاطبين ـ بمعنى فعل آبائهم ـ على قبحه، وبين فعله تعالى معهم ولطفه بهم بالعفو عنهم، فلا يعتبر قوله تعالى «من بعد ذلك» تكرارا لمعنى «ثم» التى تفيد التتابع الزمنى فى الأصل، وقد جاءت «ذلك» بمعنى ذلكم، وقوله تعالى «لعلكم تشكرون» إنما يعنى طلبه تعالى أن يشكروه، وإذا كانت «لعلّ» تفيد «الترجّى» فإنه إنما كان مجازا عن طلب الشكر، ولا يستوجب طلبه تعالى منهم الشكر أنهم يشكرونه فعلا، فمعلوم أنه قد يطلب الله من الناس ما لا يفعلونه .

وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ الكتاب : هو التوراة. وهى ـ لدى أهلها ـ الخمسة الأسفار الأولى من العهد القديم وهى: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية.

وكلمة «توراة» عبرية معناها التعليم أو الشريعة .

٢ ـ الفرقــان : يطلق على كل فارق بين أمرين، وغلـب استعماله على ما يفرق بين الحق والباطل، أو بين الحلال والحـرام. وهو ـ في الآية ـ التوراة جاء معطوفـا على الكتاب من قبيل عطف الصفات فكأن للتوراة صفتين:

إحداهما : كونها كتابا جامعا.

والأخرى: أنها حجـة تفرق بيـن الحق والبـاطل . وقيل إن المـراد به هـو القرآن نـزل ذكره لموسى فآمن به .

ثانيا التفســـير:

يستمر خطابه تعالى إلـى بنى إسرائيل قائلا إنه أنزل على موسى عليـه السلام التوراة كتابا جامعـا وحجة تفرق بين الحـق والباطل لعلهـم يهتدون، وجاء قـوله تعالى «لعلكـم تهتدون» مناسبا ذكره كتاب مـوسى ووصفه بالفرقان لأن شأنه أن يهدى إلى الحـق فكان متوجبا عليهم أن يهتدوا إلى الحق لو كانوا ممَّن ألقى السمع وهو شهيد .

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ القـــــوم : فى قوله تعالى «وإذ قال موسى لقومه» هـم أهل المرء وعشيرته أو الجماعة من الرجال والنساء. وهـم ـ لموسى عليه السلام ـ بنو إسرائيـل أو يعقوب نبى الله عليه السلام الجد المشتـرك لهم . والمـراد بقوم موسـى ـ فى الآيـة ـ الـذين خاطبهـم هم عبـدة العجل، وكانت مخاطبته إياهم بأمر من الله .

٢ ـ البـــارىء : فى قولـه تعالى «فتوبوا إلـى بارئكم» وقوله تعـالى «ذلكم خيـــر لكم عنـــد بارئكم» هـو الخالق بمعنـى المبدع المحدث أى الـذى أنشأ من العدم، فهـو معنى خاص للخالق الذى قد لا يكون مبدعا محدثـا و إنما مجرد ناقل صانع على هيئة المخلـوق، أو محوِّلٍ من هيئة إلى أخرى أو من حال إلى حال، وبهذا المعنى لا يكون البارىء إلا الله .

ثانيا التفســـير:

تقول الآية الشريفة إن مـوسى عليه السلام خاطب عبدة العجل من قـومه فقال لهم إنكم ظلمتم أنفسكم بمعنى أسأتـم إليها باصطناعكم العجل وعبادته، ثم أمـرهم أن يتوبوا إلى الله وبيَّن لهـم وسيلة التـوبة وهـى أن يقتلوا أنفسهـم «فاقتلـوا أنفسكم»، وقـد قـال البعـض إن القتـــل المأمور به إنما كان تذليل النفـس بالطاعات، وهذا مرجوح، والصحيح أنه كان قتلا على الحقيقـة فقتل بعضهـم بعضا حتى قيـل لهم: كفُّـوا فكان ذلك شهـادة للمقتول وتـوبة للحيِّ. وحرَّضهم موسى عليه السلام على فعل ذلـك بقوله لهم «ذلكم خير لكم عند بارئكم» بمعنى إن قتلكـم أنفسكم خير مـن العصيان والإصرار علـى الذنب ومـن ثمرته وهـى عذاب الآخرة، ثم أضاف قائلا «فتـاب عليكم» بمعنى إنكم إن فعلتم ما أمرتم بـه فقد تاب عليكم، ولما كان من شـأن التوبة أن تغفر الذنب رحمـة من الله تعالى فقد وصف مـوسى عليه السلام البارىء الخالق بـأنه هو التواب الذى يتوب عليهم ليتـوبوا، وبأنه الرحيم الـذى يقبل برحمته توبتهم.

وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ جهـــرة : مصدر الفعل «جهـر يجهر» جاء فى جملـة الآية فى موضـع الحال بمعنى

علانية. والجهر يقال لظهور الشىء بحاسة البصر أو بحاسّة السمع.

٢ ـ الصاعقـة : سبق بيانها، وقيل إنهـا ـ فى الآية ـ نار من السماء أحـرقت القائلين، وقيل إنهم جند سماوى سمع القائلون حسّهم فماتوا .

ثانيا التفســـير:

تروى الآيـة قصة السبعين رجلا الـذين اختارهـم موسى عليـه السلام معه من صفـوة بنى إسرائيل لدى خروجه إلـى الطور، وقد كانوا مؤمنين بموسى نبيا مرسـلا، فلما نزل إليهم موسى بعد أن كلمه الله وأعطاه التوراة قالوا له «يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة» بمعنى أننا لن نؤمـن بأن الله أعطاك التوراة أو أنه كلمـك إلى أن نشاهد الله أو إلى أن يظهـر الله لنا، فكان قوله تعـالى لهم: «إنكم أخـذتكم الصاعقة فقتلتكم أو أمـاتتكم وأنتم تنظرون مـا تفعله بكم جزاء على طلبكـم أن تروا الله». وقد اختلف فى مـاهية موت هؤلاء فقيل إنـه موت حقيقى إذ مات هؤلاء ثم أحياهم الله رجلا بعد رجل وهـم ينظرون بعضهم إلى بعض، وقيل إنه نوم شبيه بنوم أصحاب الكهف، وقيل إنه كان غشيانا .

ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾

التفســـير:

يقول المولى تعالى مخاطبا بنى إسرائيل ـ والمعنـى متعلق بآبائهم ـ إنه تعالى أحياهم أى ردّ إليهم أرواحهم لاستيفاء آجالهم، لعلهم يشكرون نعمة الله عليهم بالإحياء بعد الموت .

وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

أولا : الأســـماء :

١ ـ الغمــام : اسم جنس وهو السحاب، وقيل إنه الأبيض منه .

٢ ـ المــنُّ : اسم جنس لا واحد له، قيل إنه شيء من مادة تشبه الصمغ حلو الطعم وفيه شيء من الحموضة، وقيل إنه الخبز الرقاق، وقيل إنه كل ما منَّ به الله تعالى على بنى إسرائيل فى التيه بغير تعب منهم ومنه الكمأة وهى فطر ينبت من بعض الأرض عقب المطر يشبه طعمه طعم الكستناء (أبى فروة) .

٣ ـ السـلوى : طائر يشبه السمانى أو هو السمانى ذاته كان يأتيهم من السماء فيختارون منه ما يفى حاجتهم ويتركون الباقي، وقيل إنه كان يأتيهم مطبوخا ومشويا .

٤ ـ الطيبـات : فى قوله تعالى «كلوا من طيبـات ما رزقناكم» الطيبات هى المستلذات أو الحلالات وهى فى الآية متعلقة بالمأكول .

ثانيا التفسـير:

يذكِّر المولى سبحانه وتعالى بنى إسرائيل بإحدى نعمه عليهم فى سنوات التيه فى سيناء، عندما شكوا حر الشمس فجعل الغمام فوقهم ليحميهم وهجها، وأنزل عليهم المن والسلوى دون جهد منهم طعاما، وأمرهم أن يأكلوا منه، وقد وصفه بأنه طيبات الرزق؛ ولما كانت «من» تفيد التبعيض فإن معنى الأمر أو الإباحة أنه ينصرف إلى بعض ما رزقهم الله وهو ما يكفيهم دون ادخار، فلم يكن مباحا لهم الادخار إلا يوم الجمعة يدخرون فيه حاجتهم ليوم السبت الذى لا يعملون فيه، ووصف الله تعالى ما رزقهم به من الطعام بأنه الحلال الطيب المستلذ طعما، ثم تبيِّن الآية الشريفة أنهم بما قارفوا من صنوف العصيان لم يضروا الله شيئا ولكنهم كانوا يؤذون أنفسهم إذ يعود عليهم وحدهم جزاء مقابلتهم النعم بالمعاصى.

■■■■

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **القـرية** : هى المدينة إن قلَّ عدد ساكنيها فإن كثروا قيل لها مدينة. وفى المراد بها فى الآية قيل إنها بيت المقدس، وقيل إنها أريحا، وفى التوراة التى بين أيدينا اليوم هى «أريحا» كان دخولها بعد موت كلٍّ من موسى وهارون في برية سيناء، وفتحها يوشع بن نون .

٢ ـ **البـاب** : المراد به فى الآية أحد أبواب بيت المقدس، قيل إنه المعروف باسم باب حطة، وقيل هو المعروف باسم باب التوبة، وقيل هو باب القبة .

٣ ـ **سـجَّدًا** : بمعنى خاضعين متواضعين بما يلائم حال المذنب التائب، وقيل بمعنى ساجدين السجود الشرعى شكرا لله .

٤ ـ **حطَّـة** : قيل إن معناها «حطَّ عنا ذنوبنا حطة»، وقيل هى من ألفاظ اليهود لا نعرف معناها فى العربية .

٥ ـ **خطـايا** : فى قوله تعالى «نغفر لكم خطايـاكم» قيل إنها جمع «خطيئة» بالهمزة وهى الذنب، وقيل إنها جمع «خطيَّة» بلا همز، كما تقول هديَّة وهدايا، والمراد بها ما ارتكب بنو إسرائيل من ذنوب بعصيانهم أوامر الله وبطلبهم رؤيته جهرة .

٦ ـ **المحسنون** : فى قوله تعالى «وسنزيد المحسنين»، جمع «محسن» والمحسن هو فاعل الحسنة، اسم فاعل من أحسن، وقيل فى معناه الخاص إنه من صحَّح عقد توحيده، وأحسن سياسة نفسه، وأقبل على أداء فرائضه، وكفى المسلمين شرَّه. وفى حديث جبريل عليه السلام سئل ما الإحسان؟ قال «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

ثانيا التفسير:

صدر أمر الله لبنى إسرائيل على لسان موسى عليه السلام ـ لدى القائلين إنه كان فى سنوات التيه فى سيناء ـ وعلى لسان يوشع بن نون ـ لدى القائلين بأنه كان بعد التيه ـ بدخول بيت المقدس أو أريحا، وبالإقامة فيها والسكنى على ما يبين من قوله تعالى فكلوا منها حيث شئتم رغدا ـ وفيه ما يعنى حل جميع أماكنها لهم وهو ما لا يكون إلا بسكناها ـ والترخيص لهم بأن يأكلوا منها رغدا وليس فقط بما يسدُّ الجوع، وقد يكون فى قوله تعالى «رغدا» وعد لهم بكثرة الطعام والمحاصيل فيها، وأن يكون دخولهم القرية من أحد أبوابها متسما بالتواضع والخشوع، أو أن يدخلوه ساجدين أو راكعين ـ وهم لم يفعلوا ذلك وإنما دخلوه يزحفون على أستاههم ـ أو أن يقولوا «حطة» أو أن يسألوا الله تعالى أن يحط عنهم ذنوبهم، وأعلمهم أنهم إن فعلوا ذلك فدخلوا الباب ساجدين وقالوا «حطة» فإنه تعالى سيغفر خطاياهم وعصيانهم أمره وسيزيد المحسنين منهم إحسانا على إحسانهم .

فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ **القول** : فى قوله تعالى «فبدَّل الذين ظلموا قولا» مصدر من الفعل «قال يقول» وهو التعبير باللفظ ينطق به اللسان فى الأصل، وقد يكون بغيره ـ مثل الإشارات وحركات الجوارح ـ تعبيرا عن المراد الإفصاح عنه .

٢ ـ **الرجز** : فى قوله تعالى «فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء»، هو العذاب، والرجس بالسين هو النتن والقذر.

ثانيا التفسير:

تصف الآية الشريفة ما كان من بعض بنى إسرائيل الذين أمروا أن يدخلوا الباب سجدا

وأن يقولوا «حطة» فنعتهم بأنهم «الذين ظلموا» للتدليـل على أنهم كانوا فئة منهم ولم يكونوا جميعهم، وقد تمثَّل فعلهم فى تبديلهم بالقول الذى قيل لهم قولا غيره، فقالوا كلمة أخرى أو كلمات بدلا من «حطة» التى طلب منهم قولها وهذا هـو الثابت من نص الآية، أما غير الثابت بدليل فهو ما قيل عـن الكلمة التى قالوها بدلا من «حطة» فقيل إنهـا «حنطة»، وقيل «حبَّة فى شعيرة». وقيل «حطـا سمقاثا» وهى عبرية بمعنـى حنطة حمراء. ثم تبين الآيـة أن فعلهم هذا كان سببا لمـا نزل بهم من رجـز أو عذاب، وكرر سبحانه وتعـالى لفظ «ظلموا» ظـاهرا تعظيما للأمر وللمبـالغة فى تقبيح أمـرهم و إشعارا بأن وضعهم غيـر المأمور به (اللفـظ الذى نطقوه) موضع المأمور به (حطة) هو سبب إنزال الرجز بهم.

وقد اختلـف فى ماهيـــة هذا الـرجز أو العذاب فقيـل هو الطـاعون أصاب الـذين بـدلوا القـــول منهم أربعين ليلة ثـم ماتوا به، وقيل هـو ثلج نزل عليهم مـن السماء قتل منهـــم سبعين ألفـا، وتفصح نهـاية الآيـة عن العلاقـة بين مخـالفة الظالميـن أمره تعـالى وبيـن ما حـــاق بهم من العذاب بقوله تعالى «بما كانوا يفسقون» بمعنى أن فسقهم كان سببا لإنزال عـــذابه تعالى بهم، كما أنها تفيد معنـى آخر هو أن حال هؤلاء كان الاستمرار على العصيان «بمـــا كانوا»، ووصـف فعلهم بالفسـق بعد أن وصفه بـالظلم من قبل لأن الفســـق من الكبائر واستمـرارهم على العصيـان ردا على نعمه تعالـى ومنها غفر الخطـايا هو مـن الفسق المستبين .

﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٦٠)

أولا : الأســـماء :

١ ـ العصـــا : فى قوله تعالى «اضرب بعصاك» هـى القطعة من الخشب تؤخذ من فرع

الشجرة أو تصطنع من جذعها، وهى اسم مؤنث، الألف فيه منقلبة عن الواو. وفى التوراة التى بين أيدينا اليوم أنها كانت بيد موسى عليه السلام عند خروجه من مدين . وهو ما رجح قول القائلين إنه أخذها من شعيب الحفيد حميه على قول البعض أنه أخذها من زيتونة من مصر قبل هروبه منها .

٢ ـ **الحجر** : جسم صلب من مكونات الأرض قد يتواجد تحت سطحها وقد يتواجد فوقه وقد يتكون منه بعض أجزاء سطحها، وهو اسم مفرد، جمعه أحجار، وحجار، وحجارة. وقيل إن المراد به فى الآية أى حجر ضربه موسى عليه السلام، وقيل إنه كان حجرا معينا حمله معه من الطور، وقيل إنه حجر كان عند آدم وصل مع العصا إلى شعيب فأعطاه موسى.

٣ ـ **العين** : فى قوله تعالى «فانفجرت منه اثنتا عشر عينا» هى سحابة تقبل من ناحية القبلة، وهى مطر يدوم خمسا أو ستة لا يقلع، وهى الثقب فى المزادة، وهى من الأسماء المشتركة، فيقال عين الماء، وعين الإنسان، وعين الشمس، والعين من الماء مشبهة بالعين من الحيوان لخروج الماء منها كخروج الدمع من عين الحيوان. والمراد بها فى الآية هو عين الماء أو منبعه. والسائر بين العامة اليوم أن الاثنتى عشرة عينا هى هذه الموجودة فى مصر فى المنطقة المعروفة باسم «عيون موسى» على البحر الأحمر وقد ردمت بالرمال والأتربة بفعل الرياح إلا ما يتم تطهيره منها و إزالة الرمال والأتربة عنه كل فترة زمنية .

٤ ـ **أناس** : المراد بهم فى الآية أفراد كل سبط من أسباط بنى إسرائيل الاثنى عشر.

٥ ـ **المشرب** : فى قوله تعالى «قد علم كل أناس مشربهم» يجوز أن يكون اسم مكان بمعنى محل الشرب، ويجوز أن يكون مصدرا ميميا بمعنى الشرب.

٦ ـ **رزق الله** : المراد به المرزوق به من الطعام مـن المن والسلوى، ومن المشروب من ماء العيون.

٧ ـ **الأرض** : قيل إن المراد بها فـى الآية أرض التيه فى سيناء، وقيل هـى كل أرض يصلون إليها.

ثانيا التفســـــير:

يذكِّر المولـى سبحانه وتعالى ـ فى الآيـة ـ بنى إسرائيل بنعمة عظيمة أنعـم بها عليهم فى التيه فـى سيناء بعد ما كـان من أمرهـم من الشكوى مـن حرِّ الشمس ووهجها فظلـل عليهم بالغمـام، وتساؤلهـم عن الطعـام من أيـن يأتون بـه فى صحـراء جرداء، فـأنزل عليهـم المن والسلوى، ثـم كان منهم السؤال عن الماء أين يجـدونه فأمر الله موسى عليه السلام أن يضرب بعصاه الحجر فضربه بها فكان انفجار الماء، بدأ بـانبجاسه فى مبتدأ خروجه ثم كان انفجاره، فكأن معنى «اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه» هـو: «إنا قد حكمنا بترتيب الانفجار على ضربك» وجاء انفجـار الماء فى شكل عيون عددهـا بعدد أسباط بنى إسرائيل فكـانت اثنتى عشرة عينـا لاثنى عشـر سبطا ليشـرب أفراد كـل سبط مـن عين منهـا فلا يحـدث تنازع بيـن الأسباط بعضهم والبعض، ولهذا قال تعالى «قد علـم كل أناس مشربهم»، وأباح لهم المولى أن يأكلـوا وأن يشربوا من الـرزق أضافه إليه سبحـانه وتعالى تعظيمـا لما منَّ به عليهـم وقدَّم الأكل علـى الشرب لأن به قـوام الجسد ولأن الاحتياج للشـرب ينتج عنـه، أو لأنه تعالـى قد رزقهم بـالمأكول مـن المن والسلوى قبـل أن يرزقهم بـالمشروب من مـاء العيون، ثـم أمـرهـم سبحانه وتعالى ألا يعثوا فى الأرض مفسدين، وقد يكون ذلك لأنه من شأن احتفاظهم بقوِّتهم من جراء المأكل والمشرب أن تأمرهم أنفسهم بالفساد فنهاهم سبحانه وتعالى عن ذلك، وقد يكون أمره تعالى بمعنـى لا تتمادوا فى الفساد الذى أنتم عليه على مـا يستفاد من «مفسدين» وهى حال تبين هيئة الفاعل .

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

أولا : الأسـماء والأعلام :

١ ـ **البقـل**: هو ـ فى الأصل ـ كل نبات ليس لـه ساق، والشائع إطلاقه على جنس من النبات يندرج فيه النبات الرطب مثل الفاصوليا والبازلاء .

٢ ـ **القثـاء** : نوع من النبـات من العائلة النباتية المعـروفة «بالقرعية» ومنهـا الخيار شبيه القثاء إلى حد ما .

٣ ـ **الفـوم** : الشائع أنه الحنطة، وقيل إنه كل حب يختبز فيصير خبزا، وقيل هو الثوم.

٤ ـ **العدس** : هو المعروف وهو من جنس النبات البارد اليابس .

٥ ـ **البصـل** : نبات من جنس الحار الرطب. وعند البعض أنه إذا طبخ صار باردا رطبا.

٦ ـ **أدنـى** : الأصل فيـه أنه بمعنى الأقـرب لأن «الدنو» يعنـى القرب المكانـى، فتكون استعارته بهذا المعنى لبيان الخسّة كما استعير البعد لبيان الشرف كما فى قوله تعالى «فذلكن الذى لمتنَّنى فيه». وقد يكون مأخوذا من «الدناءة» أبـدلت فيه الهمزة ألفا، وهو ما يؤيده قراءة زهير والكسائى «أدنأ»، فيكون مقابلا الذى هو خير وهو المن والسلوى .

٧ ـ مصـــر : المصر البلـد العظيم، وقيل المقصـود بها هى مصر البلـد، ويؤيده أنـه فى مصحف ابن مسعـود مصر وليس مصرًا. وقد سمِّيت مصـر بهذا الاسم نسبة إلى مصـرايم بن حام بن نوح، جاء فى الأثر أنه لما نادى نـوح عليه السلام على أبنائه ليوصيهـم ويباركهم قبيل وفاته، امتنع عليه ابنـه حام ولم يجب نداءه وحضر ابنه مصرايم، فـدعا الله على حام أن يكون أبناؤه سود البشرة وأن يخـدموا أبناء إخوتهم إلا مصرايـم فقد دعا له ولنسله ألا يكونـوا كذلك وأن ينزل أرضا خصبة يجرى بها نهر كبير فنزل مصـر فاشتق اسمها من اسمه، وقيل إن اسم ابن حام كان بيصر وأن مصـرايم هو ابن بيصر، ولم يعمـر بيصر طويلا فى مصر وعمّـر بها مصرايم فاشتق اسمها من اسمه.

٨ ـ الذلـة: هى الذُّل والصغار.

٩ ـ المسكنة : هى الفقر.

١٠ ـ غضب من الله : المراد به فى الآية صور البلاء والنقم فى الدنيا، والعذاب فى الآخرة.

١١ ـ آيات الله : قيل إنها المعجزات، أو إنها التسع المعجزات التـى أتى بها موسى عليه السلام، أو إنهـا هى وغيرها ممـا أتى به، وقيـل هى التوراة أو الآيـــات التـى فيهـــا تبشِّر برســول الله ﷺ وتصفه، وقيل هى القرآن العظيم .

١٢ ـ النبيُّون : فى قوله تعـالى «ويقتلون النبيين» قيل إن «النبىّ» مشتق مـن «نبا ـ ينبو» إذا ظهر، فيكون مشتقا من النبوة وهى الارتفاع، لأن منزلة النبى رفيعة.

١٣ ـ الحـــق : فى قـوله تعالـى «بغير الحق»، المراد بـه ـ فى الآيـة ـ كون القتـل ظلما؛ وذلك لأن النبى لايقتل بحقٍّ، ولكن يقتل على الحق، فلم يأت نبىٌّ بما يوجب قتله.

ثانيا التفســـير:

تحكى الآية الشريفة عن بطر بنى إسرائيل وتمردهم على ما أنعم الله به عليهم من المأكل والمشرب فى سنوات التيه فى برية سيناء، إذْ ملُّوا المن والسلوى واشتاقوا إلى ما كانوا يأكلون فى مصر فقالـوا لموسى «لن نصبر على طعـام واحد»، وقد دَعُوا المن والسلوى طعـاما واحدا

رغم أنهما اثنان لأنهما كانا يؤكلان معا فكانا بمثابة الطعام الواحد، ولا يمنع وصفهما بالطعام الواحد لدى من رأى أن «المنَّ» كان عسلا يشرب لأن الطعام يطلق على ما يؤكل ويشرب. ثم إنهم طلبوا منه أن يدعو الله طالبا منه أن يخرج لهم مما تنبت الأرض «فادع لنا ربك يخرج لنا ممَّا تنبت الأرض»، بمعنى أن يخرج لهم الله من الأرض بعضا ممَّا تخرج مما يؤكل، ثم خصَّصوا المطلوب منه ليكون من بقل الأرض وقثَّائها وفومها وعدسها وبصلها، وردَّ عليهم موسى عليه السلام ـ من ذاته أو بأمر من ربه ـ قائلا فى صيغة استفهام للإنكار «أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير» بمعنى هل تسألون أو تطلبون أن يبدل بالخيرات التى أنزل عليكم ما هو أدنى منها فى مرتبة الخيرية أو ما هو دنىء إذا ما قورن بها. ثم استمر قائلا فى صيغة الأمر «اهبطوا مصرا»، وهو أمر قد يكون للتعجيز ـ إن كان المقصود من قوله عليه السلام «اهبطوا مصرا من الأمصار» ـ لأن التيه فى سيناء كان عقوبة ضربت عليهم من الله تعالى فليس من سبيل إلى التخلص منها قبل انقضائها بتقديره تعالى، وكذلك إن كان المقصود منه اهبطوا مصر البلد المعروف، لأنهم يخشون ما يفعله بهم أهلها، ثم إنه عليه السلام ذكر علة الأمر بقوله «فإن لكم ما سألتم» أى إنكم ستجدون بالمصر الذى تهبطون ما سألتم من أنواع الطعام الذى سألتم، وجاء التعبير بـ «ما» عن أنواع الطعام التى سألوها للاستهجان بذكرها. ثم تذكر الآية أنهم قد قضى عليهم من لدنه تعالى الذلة والمسكنة وألزموهما فهم أذلاء دائما، خاضعين لغيرهم «وضربت عليهم الذلة والمسكنة»، كما أنه لزمهم غضب الله تعالى فتحل عليهم النقم فى الدنيا ويكون لهم العذاب فى الآخرة «وباءوا بغضب من الله». ثم توضح الآية سبب ضرب الذلة عليهم والمسكنة وبوئهم بغضب الله كما يبين من باء السببية فى قوله تعالى «بأنهم كانوا»، وهذا السبب هو أنهم كانوا يكفرون بآيات الله فيكذِّبون بكتابه وبمعجزات أنبيائه ومنهم موسى عليه السلام الذى جاءهم بتسع آيات من الله بيِّنات، وبالتوراة وفيها التبشير برسول الله ﷺ وبيان صفاته فكفروا بهذا جميعه. ومن هذا السبب أيضا ـ وهو جامعٌ أسبابا ـ أنهم كانوا يقتلون النبيِّين بغير الحق لما كانوا يزعمون من أن هؤلاء النبيِّين كاذبون ويقتلونهم بهذا السبب الذى هو غير الحق، وممن قتلوا من النبيين إشعياء وزكريا عليهما السلام. ثم يجىء قوله تعالى فى نهاية الآية «ذلك بما عصوا

وكانوا يعتدون» موضحـا ومبيِّنًا السبب الذى حملهم على الكفر بآيـات الله وعلى قتل النبيِّين وهو سبق عصيانهم واستمرارهم على مجـاوزة الحدود، فمن شأن العصيان ومجاوزة الحدود وهما من الذنوب أن يدفعا إلى ذنوب أخرى، كانت الكفر بآيات الله وقتل النبيِّين .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ الذين آمنـوا : قيل إن المراد بهـم ـ فى الآية ـ الذين آمنوا بمحمـد ﷺ. وقد لا يكون هذا صحيحا لأن قوله تعـالى ـ بعد تعداد المذكورين فى الآية ـ «من آمن» يقتضى أن يكون المراد من قـوله «من آمن» خـلاف المراد من قولـه «الذين آمنوا»؛ ولـذلك فالأرجح لـدينا أن المراد بهـم الذيـن آمنوا بـألسنتهم ولـم تؤمن قلـوبهم بمعنـى أنهم المنـافقون. وقيـل إنهم الحنيفيون من لم يلحق منهم برسول الله ﷺ كزيد بـن عمرو بن نفيل، وقسّ بن ساعدة، وورقة ابن نوفل ـ وهؤلاء كانوا يوحدون الله تعالى لا يشركون به شيئا ـ ومن لحق به كأبى ذر، وبحيرة. وقيل إنهم المـؤمنون بالمسيح عليه السلام قبـل بعثة محمد ﷺ أو إنهم الذين آمنـوا بموسى إلى أن جاء المسيح عليهما السلام فآمنوا به أيضا .

٢ ـ الذين هادوا : الذى صاروا يهودًا باعتناقهم اليهوديـة، قيل إنها مشتقة من اسم «يهوذا» بكر يعقوب عليه السلام وهـو إسرائيل وقلبت الذال دالا. وقيل إن معناها هـو «الذين تابوا» أو الذين سكنوا لأمر الله واستكانوا .

٣ ـ النصارى : هم أصحاب المسيح عيسى ابن مريم سمُّوا كذلك لأنهم ناصروه أو ناصر بعضهم بعضـا ـ فى قول ـ وفى قول آخـر إنهم أتباعـه والمؤمنون به سمُّـوا كذلك نسبـة إلى

«الناصرة» التى أقام بها المسيح عليه السلام بعد رجوعه مع أمه من مصر.

٤ ـ الصابئون : فى قوله تعالـى «والصابئين»، هم قوم الراجح فى أمرهـم أنهم يؤمنون بالله ويقرُّون بوحـدانيته لكنهم يتخذون إليه وسطاء هـم بالنسبة لبعض فرقهم الكـواكب، ولأخرى الأصنام، ولغيرها الملائكة. وقيل إنهم يُصلُّون إلى الكعبة، وقيل بل إلى الجنوب .

ثانيا التفســــير:

بعد أن تضمنـت الآيات السابقة مـن الوعيد ما تضمنـت لليهود من أهل الكتـاب جاءت هذه الآية بالـوعد ليكون الترغيب كما كان التـرهيب فجاء قوله تعالى فـى الآية متعلقا بفئات معينة هى: الذين قالوا آمنا بأفواههم، والـذين هم على اليهودية، والنصارى أو الذين هم على النصرانية، والصـابئون مخبرا سبحانه وتعـالى عن أن من يؤمـن منهم بالله تعالى ــ ومن شأن الإيمان به تعالـى الإيمان بصفاته وكتبه ورسله، ويـؤمن باليوم الآخر أو بالنشـأة الأخرى وشفع ذلك بعمل الصالحات فإنه يكون له الثواب مـن الله الذى وعد به أجرًا على ذلك وإنه لذلك لا يكون ثمة خوف عليه من عذاب الله لأن ثواب الله دخول الجنـة، ولذلك فإنه لن يحزن لأنه ليس فى الجنة حزن. فكـأن الآية اشترطت لاستيفاء ثواب الله والأمن من عذابـه وحزنه للذين ذكرهـم النص أن يـؤمنوا بـالقرآن الكـريم كتابـا وبمحمد ﷺ رسـولا نبيا مـع إيمانهـــم بالله واليــوم الآخر وعمل الصالحـات، وفى ذلك ترغيب لمن لم يؤمن منهم بـالقرآن الكريم كتابا وبمحمد ﷺ رسولا نبيا على أن يفعـل لينال ما نال السابقون. ويؤيد هذا النظـر ويدعمه قوله تعالى «ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منـه وهو فى الآخرة من الخاسرين». ولا يمنع هذا من صحة قـول القائلين إن من كـان من اليهود أو النصارى أو الصـابئين على دينه أو عقيـدته قبل أن ينسخ أو تنسخ مصدقـا بقلبه بالله وباليوم الآخر عاملا بمقتضى شريعتـه فإنه يكون من بين الذيـن لهم أجرهم عنـد ربهم ولا خوف عليهم ولا هـم يحزنون، وإن كان هنـاك تحرز فى شأن الصـابئين لأنهم ليسوا مـن أصحاب الأديان. وعلى هـذا يصحُّ القول إن من كـان على اليهـودية مـؤمنا بهـا عـاملا بشـريعتها ومـات قبـل بعثة عيسـى عليـه السلام يكـون من بيـن الموعـودين بثـواب الله والأمن من العـذاب والحزن، وكـذلك من كـان على اليهـودية وأدرك المسيح عيسى ابن مـريم وآمن به وبكتابه وعمل بـالشريعة الموسوية ــ لأن الإنجيل لم يأت

بشريعة ـ ومات على ذلك قبل أن يدرك بعثة محمد ﷺ، فأما من أدرك بعثة محمد ﷺ سواء أكان على اليهودية أم النصرانية أم كان من الصابئة فإن شرط دخوله فى عداد الموعودين بثواب الله والأمن من العذاب والحزن هو أن يؤمن بالإسلام دينا وبالقرآن كتابا وبمحمد ﷺ رسولا نبيا، وأن يعمل بشريعة القرآن. وهذا هو ذات حال المنافقين الوارد ذكرهم فى مبدأ الحصر فإن شرط دخولهم فى عداد الموعودين بالثواب وبالأمن هو أن يؤمنوا بقلوبهم وأن يعملوا بالشريعة .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ الميثـــاق : فى قوله تعالى «وإذا أخذنا ميثاقكم» هو الميثاق الذى أخذه الله على بنى إسرائيل ألا يضيّعوا التوراة، ذلك أنه بعد أن نزل موسى عليه السلام من عند الله بالألواح عليها التوراة قال لبنى إسرائيل «خذوها والتزموها» فرفضوا إلا أن يكلمهم الله أو أن يشاهدوه، فصعقوا ثم أحيوا، فقال لهم «خذوها» فرفضوا، فأمر الله الملائكة فرفعت جبلا فوقهم كأنه ظلة وجُعل البحر من خلفهم ونار من قبل وجوههم وقيل لهم «خذوها وعليكم الميثاق ألا تضيعوها وإلا سقط عليكم الجبل» فسجدوا توبة لله وأخذوا التوراة وأعطوا الميثاق، وقيل إنه الميثاق الذى أخذ على كل منهم بالانقياد لموسى عليه السلام .

٢ ـ الطـــور : قيل إنه اسم الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام وأنزل عليه فيه التوراة، وقيل إن «الطور» هو الجبل الذى ينبت به النبات، وقيل هو أى جبل، وقيل هو اسم كل جبل بالسريانية.

٣ ـ القـــوة : فى قوله تعالى «خذوا ما آتيناكم بقوة»، القوة ضد الضعف، وهى الطاقة. والمراد بها فى الآية الجهد والاجتهاد أو النيّة والإخلاص .

ثانيا التفســـــير:

يذكّر الله تعالى بنـى إسرائيل بنعمة أخرى أنعم بها عليم أو على آبائهـم هي أخذه ميثاقهم الذى كـان لنفعهم ومصلحتهـم، وقد رأى البعض أن إعطـاء بنى إسـرائيل العهـد أو الميثاق وتكليفهم إنمـا كانا باطليـن لصدورهما عن إكـراه، والرد على هـذا أنهم لما شاهـدوا الجبل مرفوعـا بغير عمد أقروا بـأن السماء مرفوعـة بغير عمد فآمنـوا فأعطوا الميثاق عـن رضا وصدر إليهم التكليف وهم مكتملـو الإرادة والتمييز أو الاختيار. وقد كان تكليفهم بمـا تضمَّنه الأمر «خذوا ما آتيناكم بقـوة واذكروا ما فيه» ومعناه خذوا التوراة بجد واجتهـاد ـ والمستفاد من هذا أنه كـان لديهم القـوة المطلوبة لأنـه لا تكليف إلا بمقدور ـ وادرسوا ما فيهـا وتدبروا معـانيه واعملوا بأحكامها. ثـم قال تعالى «لعلكم تتقون» بمعنى «على أن تكونـوا حال أخذكم التوراة وعملكم بها راجين أن تتقوا بذلك عذاب الله» .

ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ **فضل الله** : الفضل هو الزيادة على الواجب، والمراد بفضـل الله ـ فى الآية ـ هو التوفيق للتوبة، وقيل هى قبولها .

٢ ـ **رحمـة الله** : سبق بيـانها، والمراد بها فـى الآية عفوه سبحانـه وتعالى، وقيل هـو قبـول التوبة .

٣ ـ **الخاسرون** : فى قوله تعالى «لكنتم من الخاسرين» جمع خاسر، وهو من فاته الكسب وخسر رأس المـال، والمراد بالخـاسرين ـ فى الآية ـ الهالكين بـالانغماس فى المعـاصى والتخبط فى مهاوى الضلال .

ثانيا التفسير :

يستمر خطابه سبحانه وتعالى موجها إلى بنى إسرائيل يقصُّ عليهم ما كان من أمرهم بعد أن أخذ منهم ميثاقهم أن يأخذوا التوراة ويتدبروا معانيها ويعملوا بأحكامها، وهو إعراضهم عن الوفاء بالميثاق ومخالفته، وأنه لولا تفضله سبحانه وتعالى عليهم بتوجيههم إلى التوبة من الذنب، ورحمته بهم بقبوله توبتهم لكانوا من الهالكين بعذاب بئس جزاء على التمادى فى العصيان والتهاوى فى الضلال .

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ **الذين اعتدوا** : المراد بهم الذين خالفوا ما جاء بالتوراة من جعل السبت يوم راحة لا عمل فيه أو ما أجاب به موسى عليه السلام مطلبهم أن يكون لهم يوم راحة بتعيينه يوم السبت، وتمثلت مخالفتهم فى قيامهم بصيد الأسماك فى هذا اليوم فى زمن داود عليه السلام أو فى زمن غيره، إذ كانت الأسماك تظهر لهم على سطح الماء فى هذا اليوم فكانوا يتحايلون على نهيهم عن العمل فيه بحفر الحياض على الساحل حتى إذا غمرها ماء البحر دخلتها الأسماك، فإذا ما انحسر الماء عن الحياض بقى السمك فيأخذونه يوم الأحد، فلما رأوا أنهم لم يصبهم على فعلهم عقاب من الله تمادوا فى فعلهم فقاموا بالصيد فى يوم السبت هاتكين حرمته. ومعنى قوله تعالى «ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت» قد يفيد العلم بأشخاصهم أو بهم أعينهم، وقد يفيد العلم بأحكامهم أو بما كانوا من أمرهم .

٢ ـ **السبت** : اسم اليوم المعروف، مأخوذ من «السبت» بمعنى القطع وفيه كما تقول التوراة التى بين أيدينا انقطع العمل بعد أن تم خلق السماوات والأرض فى ستة أيام. وقيل

إنه فى حكم يوم السبت، لأن أسماء أيام الأسبوع المعروفة إنما كانت بعد ميلاد المسيح عليه السلام، وقبل ذلك كانت: أول، وأهون، وجُبار، ودبار، ومونس، وعَروبه، وشُبار.

٣ ـ قــردة : جمع قرد وهو الحيوان المعروف، وتنقسم عائلـة القردة إلى فرعين: فرع القردة الكبرى وهـى الشمبانزى، والغوريـلا، والأورانج أوتان المعروف بـاسم «إنسان الغابـة»، وفرع القردة الصغرى، وهى البابون والجابون .

٤ ـ خاسئين : بمعنى مبعدين، والخاسىء أيضا هو الصاغر القمىء أو الذليل .

ثانيا التفســـــير:

يخاطب المولى سبحانه وتعالى بنى إسرائيل ــ على ما يبين من قوله «منكم» ـ فيقول لهم «ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبـت» بمعنى و إنكم لتعلمون أشخاص الذين اعتدوا منكم يوم السبت أو اليوم الذى هو فى حكمه بأن قـاموا بصيد الأسماك فيه مخالفين بذلك ما جاء فى التوراة من نهى عن العمل فيه أو مخالفين أمر موسى عليه السلام بالانتهاء عن العمل فى ذلك اليوم، أو بمعنى إنكـم لتعلمون حكمهم وما كان من أمرهم، وتبيِّـن الآية الكريمة ما كان من أمرهم بقوله تعالى «فقلنا لهم كونـوا قردة خاسئين»، ولما كان أمره سبحانه وتعالى أن يقول للشىء كن فيكون، فإنه يكون محققا أنه تم مسخ هؤلاء قردة على الحقيقة، ولذلك كان علم بنى إسرائيل بهم أو بحكمهم، والمشهور أنه كان من بنى إسرائيل قاطنى قرية «أيلة» التى على ساحـل البحر من احترم السبت فلـم يعمل فيه، وكان منهـم من لم يحترمه فـاصطاد فيه السمك مخالفـا أمر موسى عليـه السلام أو النص التوراتـى فكان أن مسخ الله الآخريـن منهم قردة لثلاثة أيام لم يأكلوا فيها ولم يتناسلوا ـ على المشهور ـ ثم ماتوا، وقيل إنهم عاشوا سبعة أيام وماتوا فـى اليوم الثامن، وضعيف قول مـن قال إن القردة الموجودة اليوم هـى من نسلهم لأن القردة كانت موجـودة من قبل واقعة المسخ هذه. ومن قبل وجـود إسرائيل عليه السلام ـ وهو يعقوب ـ ذاته. ووصفه تعالى القردة بالخاسئين إنما كان لبيان حطتهم وذلهم بما مسخوا عليه وهو ما أبعدهم ونأى بهم عن بنى جلدتهم.

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **النكـــال** : فى قوله تعالى «فجعلناها نكالا» هـو القيد، وهو العقوبة، وهذا هو المراد به فى الآية، وقيل إن المراد به هو القرية.

٢ ـ **ما بيـن يديها** : فى قولـه تعالى «لما بيـن يديها»، المراد بـه ما اقترفه الممسـوخون من الذنب قبل المسخ .

٣ ـ **مـا خلفها** : بمعنى الـذنوب التى يرتكبهـا غير الممسوخيـن، إذْ يكون لهم فى عقـوبة المسخ التى أنزلها الله بمخالفى أمره ما يرهبهـم من ارتكاب المعاصى خشية أن يحل بهـــم عقـاب مـن الله شبيه بمـا حـل بـالممسوخيـن، ولا يلـزم أن يكـون مثلـه، وقيل إن المـراد بـه معصيـةصيد الأسمـاك بتقديـر أن «مـا بين يديهـــا» هـو ما قبـل ذلـك من الـذنوب التـى ارتكبـــوا.

٤ ـ **موعظـــة**: الوعظ هو النصح والتذكير بالعواقب، والعظة هى الاسم وهى الموعظة.

ثانيا التفســـير:

يقول المـولى سبحانه وتعـالى إنه جعل المســخ الذى أوقعه بمخـالفى أمره أو أمر رسـوله عقوبة عما سبق أن اقتـرفوه من الذنوب قبل مفارقتهم عصيان الأمـر بعدم العمل يوم السبت، وعقوبة علـى مخالفة هذا الأمر، أو أنـه تعالى جعل المسخ هـذا عقوبة أنزلها بـالممسوخين جزاء علـى ما اقتـرفوا من آثـام وذنوب منها صيـدهم الأسمـاك فى السبت، وكـذا لمن يـأتى بعدهم من الأقوام أو لغيرهم من أهل القرى تكون لهم عبرة يعتبرون بها فتكون خشيتهم لله فلا يقترفـون مثلما اقترف السابقـون خوفا من أن يحـل بهم مثل مـا حل بسابقيهم الممسـوخين. وتبين الآية الكريمة أنه سبحانه وتعالى جعل فـى هذه العقوبة موعظة خصَّ بها المتقين رغم أنها موعظة للعالمين، لبيان أنه سيكون هناك أقوام كافرون معاندون ينأون عن قبول الموعظة،

وأن المتَّقين هم الـذين سيجدون فيما أصاب الممسـوخين من العقاب موعظـة لهم، واللفظ يعمُّ المتقين من جميع الأمم .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **بقـــرة** : البقر اسـم جنس، والبقرة تقع علـى الذكر والأنثـى، وقيل إنها اسم لـلأنثى وجمعها بقرات، وان اسم الذكر هو الثور كما يقال ناقة وجمل.

٢ ـ **الهزو** : فى قوله تعالى «قالوا أتتخذنا هزوا» هو اللعب والسخرية.

٣ ـ **الجاهلون** : فى قوله تعالـى «من الجاهلين» جمع مذكر مفرده «الجـاهل» اسـم فاعل من «جهل: يجهل» والجهل نقيض العلم والجاهل خلاف العالـم .

ثانيا التفســـير:

يبين الله سبحـانه وتعالـى فى هذه الآيـة نوعـا من مساوىء بنـى إسرائيل، فجـاءت الآية معطوفة على ما قبلهـا من آيات تتحدث عن النعم التى أنعم الله بهـا عليهم كما تتحدث عن مساوئهم، والآية تروى ما كـان من بعد وقوع قتيل فى بنى إسرائيل لـم يعـرف قاتله وما كان من موسى عليه السلام معهم لتعيين القاتل، و إن جاء ذكر ما كان من موسى عليه السلام قبل ذكر ما كان عـن واقعة القتل رغم مخـالفة ذلك للترتيـب الزمنى للأحـداث على ما جاء مثلـه فى بعض القصص فى القرآن. وقد قيل فى تفسير ذلك ـ فى القصة موضوع الآية ـ إن موسى عليه السلام أمرهـم ـ مـن الله ـ أن يذبحوا البقرة قبل أن يقع القتل ليكون أمرهـم من بعد أن يضربوا القتيل ببعضها ليحيا ويخبر عـن قاتله. والقصة أن رجلا قُتل من بنى إسرائيـل لـم يعرف قاتله قيل قتلـه ابنا عم له ليـرثاه، وقيل قتله أخـوه وقيل قتله ابن أخيـه وكان وارثه الوحيـد، وقيل إن

الرجل كان اسمه عاميل وكان تحته بنت عم ذات حسن وجمال فقتله ذو قرابة ليتزوجها، فكان من موسى عليه السلام - لتعيين القاتل - ما ذكرته الآية من قوله لبنى إسرائيل «إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة» فردُّوا عليه مستخفِّين به ومستبعدين أثر ما أمر به «أتتخذونا هزوا» بمعنى أتهزأ بنا وتلهو، وفي قولهم هذا ما يدل على سوء اعتقادهم بنبيِّهم وتكذيبهم له حتى لكأنهم كفروا به، أو ما يدل على ما جبلوا عليه من غلظ الطبع ومن العصيان. وقد كان ردُّ موسى عليه السلام عليهم هو قوله «أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين» وجاء بالاستعاذة بالله فى أول الحديث تأدبا مع ربِّه وتواضعا له، ثم نفى عن نفسه الاستهزاء فى مقام الإرشاد وهو ما يكاد أن يكون كفرا كما كان من القائلين «أتتخذنا هزوا» من تكذيب له وكفران، ولذلك جاء قوله «أن أكون من الجاهلين» بمعنى أن أكون منكم جاهلى الحق.

قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾

أولا : الأسـماء :

١ - **فـارض** : اسم للمسنَّة التى انقطع حملها والولادة من كبر السن، ويقال فارض لكل ما طال به الزمن وقدم .

٢ - **البكر** : فى قوله تعالى «ولا بكر» البكر من النساء التى لم يمسّها الرجال ولم تفض بكارتها، وقيل هى التى لم تحمل، والبكر من الأولاد الأول؛ ولذلك يقال عن إسماعيل إنه بكر إبراهيم عليهما السلام، وعن راؤبين إنه بكر يعقوب عليه السلام .

٣ - **عـوان** : العوان النصف فى سنِّها فى كل شىء، وفى قوله تعالى «عوان بين ذلك» ما يعنى أنها ليست فارضًا مسنَّة ولا بكرا صغيرة، فتكون متوسطة السنِّ، وقيل هى التى ولدت بطنا أو بطنين؛ ولذلك قالوا «حربٌ عوانٌ» أى اشتعلت لمرَّة ثانية. فكأنها كانت

بكرا ثم ولدت نارا مرة أو مرتَّين .

ثانيا التفســـــير:

تفصِّل الآية ما كان مـن أمر بنى إسرائيل مع موسى عليه السلام ومـا كان منه معهم بعد أن أمرهم بـأمر الله أن يذبحوا بقرة بـلا تعيين فكان منهم قولهـم له «ادع لنا ربَّك يبيِّن لنـا ما هى» بمعنى أنهـم طلبوا تمييز هـذه البقرة عن غيرهـا من جنس البقـر بصفات لها، فكـان ردُّه عليه السلام عليهم إن ربَّه يقول إنها بقرة ليست بالمسنَّـة التى انقطع عنها الحمل والولادة لكبرها، وليست بالبكر التى لـم تحمل ولم تلد، وإنما هى نصفة فى السـنِّ ولدت بطنا أو بطنين. وقد قيل إن موسى عليه السلام أمرهم أول الأمر بذبـح بقرة مطلقا، وأنه كان يجزيهـم أن يذبحوا أى بقرة، لكنهم شدَّدوا على أنفسهم فنسخ قوله السـابق بكونها أى بقرة لتكون بقرة ذات صفات خـاصة معينـة، وقيـل إن هذا لا يعـدُّ نسخـا لأن البقرة المطلقـة تضـم البقرة ذات الصفـات الخاصة، فيكون فى ذبح ذات الصفات الخاصـة ذبحا للبقرة مطلقا، وهذا امتثال للأمر الأول فلا يكون قد نسخ. ثـم إن موسى عليه السلام جدَّد لهم أمره تعالى لهـم مؤكدا عليهم وجوب تنفيذه ومنبِّها إلى وجوب ترك التعنت بقوله لهم «فافعلوا ما تؤمرون».

قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ اللـــــون : مفرد، جمعه الألوان، وهو هيئة للشىء، واللون هو النوع، والمقصود به هو ما تراه العيـن الناظرة للشىء من هيئة مثـل السواد والبياض، وهو ما يعكسه الشـىء من ألوان الطيف التـى تقع عليه إذْ يمتـص بعضها ويعكـس غيره فيكون مـا تراه عين النـاظر مـن هذه الألوان فيدعوه لون الشىء .

٢ ـ صفـــــراء : صفة للمـؤنث على وزن فعلاء تتعلـق بلون البقرة فهى صفـراء، وقيل إن المراد بـه فى الآية أنهـا سوداء اللون لأن العرب استعملـت الأصفر بمعنى الأسـود، ورُدَّ على القائلين بهذا بأنه إنما كان فى الإبل على وجه الخصـوص على ما يبين من قوله تعالى «كأنه جمالات صفر».

٣ ـ فـــاقع : هو أشد ما يكون من الصفرة .

ثانيا التفســـير:

لم يكتف بنو إسرائيل بما خص به البقرة المـأمور بذبحها من الصفات ردًّا على طلبهم بل زادوا على ذلك طلبهم منه أن يسأل ربه عن لونها فأجابهم قائلا إنه سبحانه وتعالى يقول إنها بقرة صفراء اللون، ولم يكتف بذلك بل أضاف قوله «فاقعٌ لونها» لبيان شدة الصفرة فى لونها، ثم إنه عليه السلام لم يكتف بهذا أيضا بل أضاف إليه صفة أخرى مطلوبة فيها وهى أن يكون من شأن صفرتهـا أنها تسرُّ الناظرين بمعنـى أنها تحدث فى القلب أو الشعور لـذة ، أو إنه بها ينشرح القلب .

قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ البقـــــر : اسم جنس جمع مفرده «بقرة» وتجمع أيضا بقرات .

ثانيا التفســـير:

أعاد بنـو إسرائيـل سؤال مـوسى عليه السـلام أن يكشف لهـم المزيـد من صفـات البقرة المأمورين بذبحها بما يعنى عدم كفاية مـا سبق بيانه، وقد أبدوا تعليلا لطلبهم هذا فيما يبدو

أنه اعتذار منهم لتكرار السؤال فقالوا «إن البقر تشابه علينا» ـ وفى قراءة يشَّابه علينا ـ بمعنى أنه يشبه بعضه بعضا، والحقيقة هى أن وجوه البقر تتشابه ولكن هذا التشابه بين أوجه البقر لا أثر له على تعيين بقرة منه بصفاتها وليس بذاتها، ثم كان منهم قولهم المقرُّ بمشيئة الله «وإنا إن شاء الله لمهتدون» بمعنى مهتدون لمعرفة البقرة المأمور بذبحها، أو مهتدون لمعرفة القاتل، وقد قال ﷺ «لو لم يستثنوا لما تبيَّنت لهم آخر الأبد» بمعنى أنهم لو لم يقولوا إن شاء الله لما عرفوا البقرة إلى الأبد .

قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ **لا ذلول** : جاءت «لا» فى عبارة الآية بمعنى «غير» وهو اسم. والذلول هو المروض، أو الذى ذلّله العمل، فيكون معنى «لا ذلول» إنها غير ذلول، والمعنى المضمر أنها لم تفقد ما فطرت عليه من شدة الطبع من فرط شدة ما أجبرت عليه من العمل .

٢ ـ **الحرث** : هو الأرض المهيأة للزراعة، وهو شق الأرض لوضع البذور فيها أو الشتلات، ويطلق على الزرع أيضا .

٣ ـ **مسلَّمة** : أى سليمة من العيوب، وقيل إن معناها فى الآية سليمة من الحرام أو مطهرة منه.

٤ ـ **شية** : مصدر الفعل «وشى، يشى وشيًا، وشية» بمعنى «وشْى» مع حذف فائه وهو وضع خطوط أو رسومات على الشىء بلون يخالف لونه، ويقال «ثور أشيه، وموشَّى» بمعنى أن فيه

لونا يخالف لونه الغالب.

٥ ـ الحقُّ: المراد بـه فى الآيـة «الحقيقة» أى حقيقـة ما أمـرنا بـه، أو الأمر المقضـى، أو المطابق للواقع.

ثانيا التفســــير:

تتضمن الآيـة الشريفة ــ فى مبدئهـا ـ ما أجـاب به مـوسى عليه السـلام طلب قومـه بنى إسرائيل أن يدعـو ربه أن يبين لهم المزيد مـن صفات البقرة التى أمروا بذبحهـا مع اعتذارهم عن طلبهـم بتشابه البقـر بعضه والبعض، وليهتـدوا بإذن ربهـم إلى البقرة المطلـوب ذبحها، فتقول الآية إن موسـى عليه السلام قال لهم ـ نقلا عـن ربه ـ إنها بقرة لم يـذللها العمل، تثير الأرض بغير الحرث لهوا ومـرحا على عادة البقر عندما يضرب الأرض بحـوافره لهوا وبطرا، ولا تسقى الزرع بمعنى أنها لاتستخـدم فى الرى بأى طريق من الطرق التـى تستخدم بها البهائم فى الريِّ، وقد قيل إن معنى تثير الأرض هو أنها تحرث الأرض، ومعنى «ولا تسقى الحرث» أنها لا تستخدم فى السقـى والريِّ. والرأى أن هذا القـول ينافى سبق التقـرير بأن البقرة غيـر ذلول، لأنها لو كانت تحرث الأرض لكانت ذلولا ذلَّلها الحرث. ثم أضاف موسى عليه السلام وصفا آخر للبقرة فقال إنها مُسَلَّمَة بمعنى أنها سليمة مـن العيوب، وأنها «لا شية فيها» بمعنى أنه لم يوشـى لونها الأصفر الفـاقع بلون آخر. وتتضمـن الآية أيضا ما قـال بنو إسرائيل ردًّا علـى قول موسى عليه السلام وما فعلوا، وكان قولهم «الآن جئـت بالحق» ومعناه إنه «بقولك الأخير هذا بيَّنت لنا حقيقـة هذا البقرة وميَّزتهـا لنا على الوجه الصحيـح»، وفى هذا القول مـا يفيد ضمنا قولهم «إنك من قبل هذا لـم تكن قد بينـت ما بينت، أو إنك لـم تبينه إلا الآن». أما فعلهم فهو ذبحهم البقرة، وهو ما يعنـى طلبهم إياها وبحثهم عنها ثم حصولهـم عليها ثم ذبحها، وتقول الآية «وما كـادوا يفعلون» والراجح فـى معناه أنه «وما كـادوا يذبحون» وذلك لغلـو ثمنها فيما قيل، وقيل إن معنـاه «وما كادوا يضربون الميت ببعضهـا». وقيل إن المعنى هو أنهم مـا قاربوا ذبح البقرة حتى انقطعت حججهـم فذبحوها باعتبار ذلك الملجأ الأخيـر لهم الذى ليس منه مفر.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ النفـس : فى قـوله تعالى «وإذ قتلتـم نفسا»، هى الـروح، فيقال خرجت نفسـه بمعنى خرجت روحـه، والنفس هى الدم، ونفـس الشيء عينه. والمراد بنفـس ـ فى الآية ـ شخص، بمعنى وإذ قتلتم شخصا.

٢ ـ مُخْـرِجٌ: اسم فاعـل من الفعل المزيد «أخـرج يخرج»، والمراد به فـى الآية مُظهر أو كاشف.

ثانيا التفســـير:

هذا القول لموسى عليه السلام مقدَّم فى تسلســل الأحداث على قوله «إنا الله يأمركم....» وإن ورد فى النص بعـده، وفيه نسب القتل إلـى بنى إسرائيل فـى مجموعهم وهم الـذين وقع بينهم القتل موضحا مـا كان منهم بعد أن قتل من بينهم شخص بقولـه «فادارأتم فيها» بمعنى فتدافعتـم فى شـأن القتل بـأن أصبح كل منكـم ينفيه عـن نفسه ويتهـم به غيـره، وذلك لأن «الدرء» هو الدفع ويجـوز أن يكون التدارؤ ـ فى معنى الآية ـ مجـاز عن الاختلاف والاختصام، ويعود االضمير المتصل فـى «فيها» على النفس فيكون المعنى أنكم اختلفتـم فى شأن تعيين قاتـل هذه النفس. ثـم كان كلامـه عليه السلام «والله مخـرج ما كنتم تكتمـون» بمعنى إن الله مظهر ما كنتم تكتمونه من أمر القتيل، كاشف عن قاتله .

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ بعض : مفرد جمعه أبعاض، وهو الجزء من الشيء، والمراد به فى قوله تعالى فى الآية «اضربوه ببعضها» قيل إنه أى بعض منها مادام لم يتم تعيين البعض، وقيل إنه لسان البقرة أو لسانها وقلبها، وقيل إنه ذيلها أو بالعظم الذى يليه.

٢ ـ الموتى : جمع الميت وقد سبق بيان ذلك. ويقال موتى، وأموات، وميِّتون.

٣ ـ الآيات : فى قوله تعالى «ويريكم آياتـه» سبق بيان معنى الآيات، والمراد بها فى الآية الأدلـة الدالَّـة على أن الله تعـالى قـادر على كـل شىء. ويجـوز أن يكون المـراد بها «إحيـاء الميت»، وعبِّر عنها بالجمع لاشتماله على عـدة آيات هى: ترتيب الحياة على الضرب، وكون أداة الضرب عضو ميت، و إخبار القتيل بقاتله، وجميع ذلك من غير المألوف المعلوم .

ثانيا التفســـــير:

ينسب المـولى سبحانـه وتعالى القول لنفسـه باعتباره القـائل «فقلنا» ولما كـان الخطاب موجهـا إلى بنـى إسرائيـل وكان الثابـت أنه جـل وعلا لم يخـاطبهم وكـان الذى يخـاطبهم ويحادثهم هو مـوسى عليه السلام، فإن الناطـق بالقول يكون هو موسـى عليه السلام، ويكون المعنى أنه لم ينطـق به من عنده و إنما نطق بمـا أوحى به الله إليه أو بما ألقى فـى جوفه فقال لهم آمرا «اضربـوه ببعضها» أى بجزء منها معين ـ فـى قول ـ وغير معيَّن فى قـول آخر، ثم ورد قولـه تعالى «كـذلك يحيى الله المـوتى ويريكم آيـاته» ليدلَّ علـى تحقق تنفيذ الأمـر بضرب الميت بجزء من البقـرة المذبوحة وتحقق إحيائه و إخباره عمَّن قتلـه، وعلى أن تحقق الآيات أو المعجزات كان مترتبا علـى تنفيذهم أمر ربهم بضرب الميت بجزء من البقـرة، وقوله تعالى «لعلكم تعقلون» ومعناه المباشر هو «لكى تعقلوا أنه بعد الموت حياة، وبعث وحشر» لأن من أحيا نفسا بعـد موتها قادر على أن يحيى الأنفـس جميعها» إنما يتضمن تبكيتا لبنـى إسرائيل لمجانبتهم مقتضى العقل فكأن معناه المضمـر ولعلكم تمتنعون عن عصيان الله وتعملون بما تقضى به العقول الواعية .

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ القلــوب : سبق بيانها، وقيل إن المراد بها ـ فى الآية ـ قلوب ورثة القتيل، وقيل قلوب بنى إسرائيل.

٢ ـ ذلـــك : فى قوله تعالى «بعد ذلك» قيل إن المراد به إحياء القتيل، وقيل كلام القتيل، وقيل جميع الآيات التى عاينها بنو إسرائيل من قبل مثل مسخهم قردة، ورفع الجبل، وانفجار الماء أعينا، و إحياء الميت.

٣ ـ الحجــارة : سبق بيانها .

٤ ـ قســوة : القسوة هى اليبس والصلابة، وفى تشبيه القلوب بالحجارة معنى نبوها عن أن تعتبر بما تـرى، وهو تشبيه يتضمن ممـاثلة حالها فـى النبو عن الاعتبار بحـال قسوة الحجارة، يتمثل فى عدم جريان العمل الطيب فيها .

٥ ـ الأنهــار: جمع نهر وهو المـاء يجرى فى الأرض، أو الماء الكثير يجرى فيمـا احتفر من الأرض ..

٦ ـ المـــاء: سبق بيانه .

ثانيا التفســـير:

يخاطب الله بلســان موسى عليه الســلام بنى إسرائيل مستأنفـا ما سبق من حـديث فيقول «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك» بمعنى أنــه من بعد أن عاينتم الآيات والمعجزات التى كان آخرها إحيـاء القتيل وإخباره عن قاتله ــ قبل موته ثانيـة ـ فإن قلوبكم شابهـت الحجارة فى قسوتها فلم تلن بالتصديق والإيمان و إنمـا تيبَّست وصلبت فلم تعقل ما رأت وكان من ذلك قولهم «إن الميت كذب عليهــم فيما ذكرعن قاتله». ثم قال تعـالى «أو أشد قسوة» وفى ورود العبارة بصيغة «أشد قسوة» بدلا من «أقسى» تدليل على أن القلوب المعنيَّة تتميز قسوتها ـ فى ذاتها ـ بأنها غير قساوة الحجارة فى مادتها و إنما أشد منها مادة، فى حين أنه لو قيل «أقسى» لكان معنـى ذلك أن القلوب والحجارة علـى قساوة متماثلـة الشدة والصلابة، غيـر أن حجم قساوة القلوب أكبر مـن حجم قساوة الحجارة، أو أن قدر وكمَّ قساوة القلوب يـزيد على قدر وكم قساوة الحجارة، وأتبـع سبحانه وتعالى هذا القـول التقريرى بما يبين علة اعتبـار قلوبهم أشد قسوة مـن الحجارة فقال «و إن من الحجارة لمـا يتفجر منه الأنهار، و إن منهـا لما يشقق فيخرج منـه الماء، وان منها لمـا يهبط مـن خشية الله» فذكـر ثلاثة أنـواع من الحجـارة جعل المقارنة بينها وبين قلوب المخاطبين من بنـى إسرائيل، فالمستفاد من عبارة الآية أن القلوب المعنيَّة لاتتأثرعلـى الإطلاق بما تشاهد من الآيات، أمـا الحجارة فإن منها نوعا يتـأثربآيات الله فيترتب على تأثره نفـع عظيم هو تفجر الأنهار منه، ونوعا يتأثربآيـات الله فيترتب على تأثره نفع أقل من سابقه هـو خروج الماء القليل فى هيئة عيون منه، ونوعا آخـر يتأثر فيكون فى ذلك نفعه نفسه لأن تأثره يكون الخشوع لله فيهبط من مكـانه، وقيل إن المراد بذلك هبوط الحجارة من أثـر الزلازل تبعـث فى القلوب الخشـوع خشية لله. وقـد يكون الصحيح فـى المراد بقـوله تعالى «و إن من الحجارة لمـا يتفجر منه الأنهار» هو هذه الحجارة التى فـى قمم الجبال التى تصطدم بها السحب الكثيفـة المحملة ببخار الماء فيكون من أثر ذلك انهمـار الأمطار الغزيرة التى تجرى أنهارا، على نحو ما يحدث فى جبـال الحبشة (أثيوبيا) التى تصطدم بها السحب الكثيفة فتتفجـر السحب سيولا تسير فـى مجراها الذى تكـوَّن على مر السنين المعـروف بنهر

النيل، وأشباه ذلك كثير فى بعض جبال اليمن التى تصطدم بها السحب فتتفجر أنهارا صغيرة تجرى فى مساراتها لتصب فى البحر الأحمر بعد أن ينتفع بمائها. وتنتهى الآية الشريفة بوعيد للقاسية قلوبهم «وما الله بغافل عما تعملون» ذلك أن قوله تعالى إنما يعنى أنه يعرف أعمالهم الصادرة عن قسوة قلوبهم، وأنه محصيها بما يعنى أنه تعالى مجازيهم بها فى الدنيا والآخرة.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

أولا: الأســـماء:

١ ـ فـــريق: فى قـوله تعالـى «فريق منهـم» بمعنى طـائفة من بنـى إسرائيل قيـل إنهم الأحبار، وقيل إنهـم طائفة من السبعين رجـلا الذين أخذهـم موسى عليه السلام معـه عندما خرج إلى الطور.

٢ ـ كلام الله: قيل إن المراد به كـلام الله الذى أسمعه موسى عليه السـلام، وأنهم سمعوه كما سمعه موسى عليه السلام بغير واسطة، وهذا لا دليل عليه فالثابت أنهم سمعوه من موسى عليه السلام وفـى التوراة التى بين أيدينا اليـوم أن الله تعالى أمر موسى عليـه السلام أن يجمع بنى إسـرائيل وأن يشرح لهـم أحكام التوراة وأنه عليـه السلام أطاع وخـاطبهم بذلـك فيكون سماعهـم كلام الله إنما كان بـواسطة. وقيل إن المقصـود بكلام الله هو القرآن العظيـم المنزل على سيدنا محمد ﷺ كان من اليهود من يسمعه.

ثانيا التفســـير:

يخاطب الله سبحانه وتعالى ـ فى هذه الآية ـ رسوله الكريم ﷺ والمؤمنين، فيقول لهم فى صيغة الاستفهام الـذى يعنى الاستبعاد أو الاستنكار «أفتطمعـون أن يؤمنوا لكم» بمعنـى: هل تعلقت قلوبكم وزادت لديكـم شدة الرغبة أن يؤمن لكم ويستجيب لـدعوتكم اليهود فيكون

منهم التصديق بما أنزل على رسول الله ﷺ، ويجىء قوله التقريرى لما كان من أسلافهم «وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه مـن بعد ما عقلوه وهم يعلمون» يجىء قوله هذا ليبين معنى الاستنكار فى السؤال الموجَّه إلى المؤمنيـن، ومعنى قوله تعالى هذا إن الأحبار من بنى إسرائيل كانوا يسمعون التوراة وكانوا يفهمـونها وهم على ثقة من صحتها وعلى صدورها من الله سبحانه وتعالى، ثم يحرفونها بالزيادة فيها والحذف منها، وتغيير المعنى عما أنزل فيه. والمعنى المبطن من هذا هو أن مثل هؤلاء القوم لا يؤمل فى أن يؤمنوا لكم. وقال البعض إنهم إنما كانوا يسمعون القرآن العظيم وكانوا يعقلونـه، ويفهمونه ويعلمون أنه الحق من ربهم بما أُخبروا عنه فـى كتابهم وكانـوا ـ رغم ذلك ـ يحرفونه ليظهـروا فيه التناقض والتضـاد طعنا فى الدين، وأن شأن هؤلاء هو عدم الإيمان بما اشتدت رغبة المؤمنين أن يؤمنوا به.

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **بعضهـم** : قيل إن المراد بهـم الساكتون من بنـى إسرائيل، يشتغلون بـأمر المسلمين لكنهم لا يحادثونهم.

٢ ـ **بعض** : فى قوله تعالى «وإذا خلا بعضهم إلـى بعض» قيل إن المراد بهذا البعض هم المنافقـون الذين كانـوا يحدثون المسلمين فيمـا أصاب أسلافهـم من لعنات نتيجة كفـرهم وعصيانهم.

٣ ـ **ما فتح الله عليكم**: معناه ما بيّنه الله، والتعبير بالفتح للتدليل على أنه سرٌّ مكتوم.

ثانيا التفســـير:

تأتى عبارة الآية الشريفة استئنافا لما سبقها من الحديث عن بنى إسرائيل وما كان من أسلافهم أو أحبارهم، فتشرح أمر معاصريهم بادئة ببيان حال المنافقين منهم أو الذين أسلموا ثم نافقوا فتقول «وإذالقوا الذين آمنوا قالوا آمنا» بمعنى أنهم كانوا يبدون إيمانا ظاهرا للمؤمنين أو يقولون بألسنتهم إنهم آمنوا. وقد كان هؤلاء المنافقون يحدثون المؤمنين بما أصاب أسلافهم من صنوف العذاب جزاء على عصيانهم مما عرفوه من التوراة ومن تاريخ أسلافهم المرويّ. وتستطرد الآية الشريفة فتبين ما كان يحدث لدى اختلاء اليهود الساكتين عن محادثة المؤمنين بالمنافقين منهم وانفرادهم بهم، إذ يقول الأوّلون للمنافقين «أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به»، والمعنى أنهم كانوا يؤّبخونهم لما كانوا يحادثون المؤمنين به من تعذيب أسلافهم بكفرهم، وهو ما كان سرًّا مكتوما عن المؤمنين وكان مما أعلم الله به المنافقين المتحدثين. ثم تبين علة اللوم والتوبيخ فى قول الأولين للآخرين «ليحاجوكم به» بمعنى ليحتجوا عليكم بقولكم: يقولون «نحن أكرم على الله منكم وأنكم كفرتم من بعد إيمانكم ومن بعد رؤيتكم الآيات». وتنتهى الآية بقوله تعالى «أفلا تعقلون»، ويتصوَّر أن يكون هذا القول صادرا من الفئة المعاتبة اللائمة من بنى إسرائيل إلى المنافقين منهم فيكون بمعنى «إنكم لا تعقلون معنى ما تقولون ولا تقدِّرون» ويتصور أن يكون صادرا من الله إلى المؤمنين، فيكون بمعنى أئنكم لا تعقلون حال هؤلاء اليهود فتطمعون أن يؤمنوا لكم ولا مطمع فى إيمانهم وهم يتصفون بهذه الصفات الذميمة.

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾

أولا: الأســـماء:

١ ـ ما يُسرُّون: قيل إنه الكفر يسرُّه المنافقون من بنى إسرائيل، وقيل إنه العداوة التى يضمرونها سرًّا، وقيل إنه صفته ﷺ فى التوراة.

٢ ـ ما يعلنون : قيل إنـه الإيمان الذى أعلنه المنـافقون، وقيل إنـه الصداقة التى أبـدوها للمؤمنين، وقيل إنه الصفة التى أظهروها للنبى المبشَّر به فى التوراة افتراء على الله .

ثانيا التفســــير:

تبدأ الآيـة الشريفـة باستفهـام للإنكار مـع التقريـع «أولا يعلمون»، ذلـك أن اليهود كـانوا يعلمون أن الله يعلم ما يسـرُّون وما يعلنون ولم ينههم علمهم هذا عـن النفاق، فجاء الاستفهام لبيان جسامة جرمهم وشناعته، ثم جاء قوله تعالى «أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون» متضمنا إشارة إلى عظـم خطيئة من يرتكـب الإثم عالما به، وإشـارة إلى أنه سيفتضح أمـر ما يسرُّون فيقع ما كانوا يحذرون ويتخذون النفاق سبيلا لدرئه .

وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ أميُّـــون : جمع أمِّى وهو مـن لا يقرأ ولا يكتب. قيل إنه منسوب إلـى أمة العرب لأنها لم تكن تقرأ ولا تكتب، وقيـل إلى أم القرى مكة المكرمة، وقيل إلى الأم بمعنـى أنه كما ولدته أمه، ويرى البعض أن الأمى قد يقرأ ويكتب دون أن يُحْسِن .

٢ ـ الكتاب : المراد به فى الآية التوراة .

٣ ـ أمانى : جمع أمنية وهى ما يقدره الإنسان فى نفسه مـن «منى» ، والأمانى ـ أيضا ـ هى الأكاذيب كما فى قول عثمان رضى الله عنه «ما تمنيت منذ أسلمت» .

ثانيا التفســـير:

تتحدث الآية عن فئة أخرى من اليهود هـم الأميون الذين لا يقرأون ولا يكتبون أو الذين لا يتقنون القـراءة والكتابة وإنمـا يلمُّون بها إلمـاما يسيـرا، فتقول عنهم إنهـم لا يعرفون مـن أمر التوراة إلا أكـاذيب تلقوهـا عن غيرهـم الذيـن يقرأون ويكتبون أو أكـاذيب تتمثل فـى فهمهم

الخاطئ لما يقرأون من التوراة ـ لدى من يرى أن الأمي يقرأ ويكتب دون أن يُحْسِن ذلك، ثم تقول الآية في شأنهم «وإن هم إلا يظنون» بمعنى أن غاية جهد هؤلاء وما يصلون إليه من سماع التوراة من غيرهم أو من قراءتهم الضعيفة لها هي الظن وليس العلم، ومثل هؤلاء لا يرجى منهم أن يؤمنوا عن علم أو أن يؤمنوا إيمانا مؤسسا على اليقين.

فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ ويـل: مصدر لا فعل له، قيل إنه شدة الشر، وقيل هو الحزن، وقيل هو الهلاك، وقيل إنه جبل من نار. وقيل إنه دار في جهنم بين جبلين يهوي فيه الهاوي أربعين خريفا، وقيل إنه واد في جهنم من صديد أهل النار، وقيل إنه باب من أبواب جهنم. وقد تكون كلمة تفجُّع، ويرجح هذا أن العرب نطقوا بالكلمة في أشعارهم قبل نزول القرآن .

٢ ـ الكتـاب : المراد به في الآية الكتاب المحرَّف أو التوراة المحرفة، ومما حرِّف في التوراة حذف بعض البشارات برسول الله ﷺ، وتبديل ما جاء فيها متعلقا بأوصافه ﷺ، وتأويل بعض ما أبقوا عليه فيها .

ثانيا التفسـير:

يتوعد الله تعالى بالعذاب والهلكة طائفة من أحبار اليهـود كانت تتولى تحريف التـوراة بإضافة ما لم يرد فيها وبحذف بعض ما جاء فيها خاصة ما كان متعلقا بالتبشير برسول الله ﷺ، وبالتبديل والتغيير وكان موضعه أوصاف رسول الله ﷺ، وبالتأويل غير

الصحيح. وتصف الآية أفعال هـؤلاء بأنها كتابة نصوص زائفـة بأيديهم ليست مـن التوراة ثم الزعم لأتبـاعهم أنها التوراة التـى أنزلها الله، وتصف غـايتهم من أفعالهـم هذه بقوله تعـالى «ليشتروا بـه ثمنا قليلا» بمعنـى أنها الحصـول على كسب مـن مكاسب الـدنيا أو غـرض من أغراضهـا التى مهما عظمـت وجلَّت فإنهـا حقيرة دنيئة لأنهـا لا تدوم ولأنها كسـب حرام لا يباركه الله، هـذا إلى أنها إنما تستـوجب عذابهم الـدائم فى الآخرة. ثم يجـىء التفصيل بعد التعميم فى بيان ماهية ما توعدهم به الله، فبعد قوله تعالى «فويل للذين يكتبون الكتاب» جاء التفصيل بقولـه تعالى «فويـل لهم مما كتبت أيديهـم، وويل لهم مما يكسبـون» وهو تفصيل يتضمن بيـان علة ما توعـدهم الله به. فخطيئتهم الأولـى هى التحريـف صنعوه بأيديهـم ولها جزاؤها، وخطيئتهم الثـانية هى أكلهم الحرام ثمن مـا قاموا بتحريفه، وهذه لهـا جزاؤها أيضا هذا إلـى أن فى العبارة مـا يفيد مسـاءلتهم وتعذيبهـم عمَّن أضلوا بتحـريفاتهـم، وذلك لأن ضلال هـؤلاء إنما كان نتيجة مـا كتبته أيديهـم، كما أنهم وقـد كسبوا من ذلك صـرف بعض اليهود عن الإيمان برسول الله ﷺ فإنهم أيضا معذبون به .

وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ أيـام معدودة : فى قولـه تعالى «إلا أياما معـدودة». قيل إن هذه الأيام إنمـا تكون بين ثلاثة وعشرة لأنه لا يقال «أيـام» لما هو أقل من ثلاثة بل يقال «يوم ويـومان»، ولا لما هو أكثر من عشرة إذ يقال مثلا «أحـد عشر يوما». وقد لا يكون هذا صحيحا لأنه سبحـانه وتعالى قال فى جميع أيام شهر الصـوم «أياما معدودات»، والمراد بها فى الآية «الأربعيـن يوما» التى عبد فيها بنو إسرائيل العجل، وقد كان قولهـم أنهم لن يعذبوا فى النار إلا لمدة أربعين يوما هى مدة

عبادتهم العجل، أو هى مدة عبورهم جهنم من أحـد طرفيها إلى الطرف الآخر الذى به شجرة الزقوم.

٢ ـ عهـــد : فى قوله تعالى «أتخذتم عند الله عهدا» وقوله تعالى «فلن يخلف الله عهده». هو فى الآية بمعنـى خبر من الله أو وعد، ولأنه من الله سبحـانه وتعالى فإنه يكـون أوكد من أى عهد مؤكد بيمين .

ثانيا التفســـير:

الراجح أن جملة «وقـالوا لن تمسنا النار إلا أيامـا معدودة» معطوفة على قولـه تعالى «وقد كان فـريق منهـم يسمعون كلام الله ثـم يحرفونـه»، فيكون القـائلون «لن تمسنـا النار إلا أيـاما معدودة» هم محـرِّفى التوراة. وقولهم هو إن نـار الآخرة لن تمسهم إلا الأيام و إنهـم لن يخلدوا فيها، إذ كانوا يـردِّدون أنهم لن يعذبوا إلا لسبعة أيـام فقط لأنه قدِّر لهم عذاب يـوم لكل ألف سنة، وكـانوا يعتقدون أن عمـر الحياة الدنيا سبعـة الآف عام. وكان منهـم من يقول إنهـم لن يعذبـوا فى الآخرة إلا لمدة أربعيـن يوما بعـدد أيام عبادتهـم العجل فى الحياة الـدنيا، أو لأن عبورهم جهنم مـن أحد طرفيها إلى الطرف الآخـر الذى به شجرة الزقوم يستغـرق أربعين يوما، فجاء قوله تعالى إلى رسوله الكريم ﷺ فى صيغة الأمر «قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده» والقول فيه معنى التبكيت والتوبيخ ومعناه قد يكـون: هل قدَّمتم فى حياتكم الدنيا عملا صـالحا مقترنا بـالإيمان والطاعة يـوجب لكـم الخـروج من النار وعدم الخلـود فيها، أو عرفتم ذلك بوحيه تعالى الذى عهده إليكم فلن يخلفه. وقد يكون ـ ما قال به البعض ـ من أنه قول لا إلٰه إلا الله مقرونا بـالإيمان والطاعة، وأول هذه المعانى هو أرجحهـا. وتضمر عبارة الآية معنى عـدم اتخاذهم هذا العهـد عند الله وفساد قـولهم بالتـالى وعدم صحته. وتجـىء عبارة باقى الآية «أم تقولون على الله مالا تعلمون» وهـى من قول رسول الله ﷺ متضمنة علمه بأنهم يقولـون على الله مـا لا يعلمون رغم ورودهـا فى صيغـة الاستفهام، ورأى البعـض أن «أَمْ» فى عبارة الآيـة بمعنى «بل» فيكون المعنـى «بل تقولـون على الله ما لا تعلمون» والمعنـى أنه ﷺ كان يبكتهم ويوبخهم لعلمه أنهم يقولون على الله ما لا يعلمون .

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ ســـيئة : السيئة هى الفاحشة المورد ارتكابها نـار جهنم، وقيل إن المراد بها فى الآية «الشرك» واستُدِل على ذلك بقـوله تعالى «ومن جاء بالسيئة فكبت وجـوههم فى النار»، وقيل هى الخطيئة الكبيرة.

٢ ـ خطيئـــة : فى قـوله تعالى «وأحـاطت به خطيئته» هـى السيئة، وقيل هى السيئـة غير المقصودة، الناتجـة عن أخرى مقصودة، بمعنـى أنه لـم يتجه إلـى ارتكابها القصد المبـاشر، مثال ذلك أن يـؤدى شرب الخمر قصدا إلى ارتكـاب الشارب جريمة أو جنايـة أخرى فتكون هذه الأخـرى خطيئة. وقيـل إنه لا يشتـرط أن يكون الفعـل الذى اتجـه إليه قصـد المخطىء مباشرة سيئة فيجوز أن يكون فعلا مباحا، فمن رمـى صيدا فأصاب إنسانا فجرحه أو قتله يكون قد ارتكب خطيئة .

٣ ـ أصحـــاب : جمع مفرده «صاحب» اسم فاعل من الفعل «صحب، يصحب» بمعنى لزم، والصحبة هـى الملازمة، و إضافـة الأصحاب إلى النار ـ فـى الآية ـ يدل علـى ملازمتهم النار وعدم افتراقهم عنها أو عدم مفارقتهم إياها .

ثانيا التفســـير:

بدأت الآية بقوله تعالى «بلى» وهى حـرف جواب لاتقع جوابا إلا لنفيٍ متقدم، وقد جاءت فى الآية جوابا عن قول اليهود المروى أن النـار لن تمسَّهم إلا أياما معدودة، و إبطالا له ولمثله مما يقـول به سائر الكفـار، ثم جـاء فى قولـه تعالى «مـن كسب سيئـة وأحاطت بـه خطيئته» متضمنا شروط مصاحبة النار والخلود فيها على ما يبيـن من قوله تعالى «من كسب» والراجح أن «من» هنا شـرطية، فيكون مشترطا ــ فيمن يكون من أصحاب النـار الخالدين فيها ــ توافر

شرطين هما «كسبه سيئة، وإحاطة الخطيئة به، فـلا يغنى توافر أحدهما من الآخر وإنما يجب اجتماعهما، وإذا كانت السيئـة هى الكفر أو هى الفاحشة الموجبة للنـار فقد جاء التعبير عما يلحق مرتكبهـا من جزاء بالكسب دليلا علـى أن من يرتكبها يرتكبها قصـدا بمعنى أن إرادته تتجه إلى ارتكابها لأن من يعمل للكسب والتجارة يباشر عمله قصدا، كما جاء أيضا متضمنا التهكم علـى مرتكب السيئة علـى ما يبين مـن التعبير عن سـوء الجزاء بالكسب. ويبيـن من المقارنة بين نسبة الكسب إلى مرتكب السيئة، والتعبير ـ فى شأن الخطيئة ـ بما يفيد أنها هى التى تحيط بـالمخطىء «وأحاطت بـه خطيئته» أنها لا تقع مقصـودة باتجاه القصد المبـاشر إليها. ثم يجـىء جواب الشرط أو يجىء التعريـف بجزاء من توافـر فيه الشرط فى قولـه تعالى «فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» بمعنى أنهم يلزمون النار يلتصقون بها وتلتصق بهم، وإنهم يخلدون بها على هذا النحو فلا يخرجون منها .

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **الذين آمنـــوا** : الراجح أنهم أمة محمد ﷺ، ومؤمنو الأمـم قبلهم الذين آمنوا بما أنزل من قبل من صحف وكتب وما بعث مـن أنبياء ورسل. وقيل إن المراد بهم رسول الله ﷺ وأمته خاصة .

ثانيا التفســـير :

لعلَّ أول ما يلاحظ فى عبارة الآية ـ وهى تخبر عن حال المؤمنين عاملى الصالحات ـ هو أنها لم تبدأ بالفاء كما بدأت الآية المخبرة عن محـرِّفى التوراة التى بدأت بالفاء «فويل لهم» وسبب ذلك أن دخول الفاء يفيد مظنة عدم الحدوث؛ ولذلك كان ورودها فى النص المتعلق

بالـوعيد، أما نـص هذه الآية فقـد تعلق بالوعـد ولذلك لـم تذكر الفـاء للتدليل علـى قطعية حدوث الوعد، وربما كان عدم ذكرها إشارة إلى سبق رحمته سبحانه وتعالى، والآية تخبر عن حال المؤمنين عاملـى الصالحات. ويبين من عطف العمل الصالـح على الإيمان أن العمل الصالح يخـرج عن مسمَّى «الإيمان» ، وإن كـان ذلك لايعنى بالضـرورة أنه ليس شرطـا من شروطه إلاإذا كـان مرتكب الكبيرة غيـر خارج عن مظلة الإيمـان، وتصرح الآية بأن المـؤمنين الذين يقـرنون إيمانهم بعمـل الصالحات هم الـذين يلازمون الجنـة فى الآخرة لا يبارحـونها وأنهم يخلدون فيها.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **ميثاق بنى إسرائيل** : سبق بيان معنى الميثاق ومعنى العهد، وقيل إن المراد بميثاق بنى إسرائيل ـ فى الآية ـ هو المواثيق التى أخذت عليهم على ألسنة أنبيائهـم، وقيل هى قوله «لا تعبدون إلاالله» بما تتضمنـه من توحيد الله وعبادته وتصـديق رسله والعمل بما أنـزل فى كتبه، وقيل إنه ميثاق أخذ عليهم حين أخرجوا من صلب آدم كالذر.

٢ ـ **الوالـــدان** : فى قولـه تعالى «وبالـوالدين إحسانـا»، مثنى «والد» وهويقـال للأب ويطلق على الأب والأم بالتغليب لدى البعض، ويـرى آخرون أنه يطلق على الأب والأم وهما المقصودان فى نص الآية .

٣ ـ **الإحســان** : فى قوله تعـالى «وبالوالدين إحسـانا» هو البرُّ، وفى المراد بـالإحسان إلى الوالدين معاشرتهما بالمعروف، والتواضع لهمـا، وامتثال أمرهما، والدعاء لهما بالمغفرة بعد

موتهما، وصلة أهل ودِّهما .

٤ ـ ذو القربى : هو صاحب القرابة سواء أكانت قرابة رحم أم قرابة صلب .

٥ ـ اليتامى : جمع يتيم، وهو في بنى الإنسان من مات أبوه قبل أن يبلغ الحلم فلا يُتم بعد بلوغ ـ واليتم فى الأصل هو الانفراد، ولذلك يقال تعبيرا عن عدم وجود المثيل «درَّة يتيمة».

٦ ـ المساكين : جمع مسكين، مشتق من السكون فيكون الأمر أن المسكين هو من ألجأته الحاجة إلى السكون، وقيل هو الفقير، وقد لا يكون ذلك صحيحا لأن أصحاب السفينة لم يكونوا فقراء إذ كانوا يملكون سفينة ووصفهم الله تعالى بالمساكين «أما السفينة فكانت لمساكين».

٧ ـ حُسْن : فى قوله تعالى «وقولوا للناس حسنا»، قيل هى لغة فى الحَسَن فيقال «حَسَن» بفتح الحاء والسين ويقال «حُسْن» بضم الحاء وتسكين السين. والمراد به فى الآية القول الحسن فيكون المعنى هو «قولوا للناس قولا حسنا».

٨ ـ الصلاة : قيل إن المراد بها الصلاة المفروضة على اليهود فى ملتهم، لأن الآية تتحدث عما حدث فى زمان موسى عليه السلام أو فيه وما بعده بقليل قبل بعثة عيسى عليه السلام. وقيل إن المراد بها صلاة المسلمين قولا بأن الخطاب موجَّه إلى معاصرى رسول الله ﷺ من اليهود فيكون المعنى متضمنا دعوة هؤلاء للإسلام.

٩ ـ الزكاة : قيل فيها ما قيل بشأن الصلاة من أنها الزكاة المفروضة على اليهود فى ملتهم لذات الأسباب التى قيلت بشأن الصلاة، وقيل إنها الزكاة المفروضة على المسلمين كناية عن أمر اليهود معاصرى رسول الله ﷺ للإسلام .

١٠ ـ إلاّ : فى قوله تعالى «إلا قليلا منكم» قيل إن المراد فى الآية بعض الأقدمين من اليهود الذين أقاموا اليهودية على وجهها الصحيح قبل أن يبعث الله رسول الله ﷺ، ولم نقل «قبل أن يبعث الله المسيح عيسى ابن مريم» لأنه عليه السلام لم يأت بشريعة جديدة غير شريعة موسى وإنما صحح العقيدة وخلَّصها مما شابها من أباطيل وهى واحدة فى جميع الملل منذ الأزل لأن قوامها الإقرار بالألوهية لله، وبوحدانيته، وعدم الشرك به، أما شريعة

الإسلام فقد أتت بما يغاير شريعة موسى ناسخة منها ما نسخت وأبقت على بعضها بعد أن نصَّت عليه ليكون من أحكامها؛ ولذلك فإنه يفترض فيمن يعتبر من هؤلاء النفر القليلين من أسلاف اليهود وقد أقام اليهودية على وجهها الصحيح أنه لم تفسد عقيدته. وقيل إنه يراد بهذا القليل أيضا من أسلم منهم بعد بعثته ﷺ مثل عبد الله بن سَلَام .

١٢ ـ معرضون : جمع معرِض، اسم فاعل من «أعرض، يعرض إعراضا» والإعراض هو التولِّي، وقيل إن التولِّي يكون بالجسم وإن الإعراض يكون بالقلب. وقيل إن الإعراض أشد من التولِّي لأن في الإعراض ترك المنهج حين أن التولِّي يكون عن نقص العزم، فيكون أمر المعرض أشد عسرا من أمر المتولِّي.

ثانيا التفسير:

تذكر الآية الكريمة بعض النعم التى أنعم الله بها على بنى إسرائيل وهى نعم فى صورة أوامر أو تكاليف، وكونها من النعم مرجعه أن القيام بتنفيذ الأمر أو التكليف يكون سبيلا إلى الجنة وهى غاية النعم فيكون التكليف وهو وسيلة ذلك نعمة بالضرورة، كما تذكر الآية الكريمة المزيد من مساوئهم التى لم يخل من مقارفتها إلا قليلون منهم، وتبدأ الآية بذكر أخذ ميثاقهم على لسان موسى عليه السلام وسائر أنبيائهم أو بما أخذه الله عليهم وهم فى أصلاب آبائهم كالذر، ثم تقول الآية «لا تعبدون إلا الله» وقيل بشأنها إنها وما بعدها كانت مضمون الميثاق، وقيل إنها من رب العزَّة بمعنى «قلنا» أو كأنه سبحانه وتعالى يقول «وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل قائلين لا تعبدون إلا الله» . والعبارة إخبار فى معنى النهى فيكون معناها «لا تعبدوا إلا الله» أو «لا تعبدوا غير الله»، ثم أتبع ذلك سبحانه وتعالى بتكليف آخر هو الإحسان للوالدين «وبالوالدين إحسانا»، ويليه الإحسان لذوى القربى سواء أكانت قرابتهم قرابة رحم أم قرابة صلب، وجاء ذكرهم بعد ذكر الوالدين لأن الوالدين يتقدمان غيرهما فى سبب الإحسان ويليهم الذين يشاركون الوالدين فى القرابة ومنها يستمدون علة الإحسان إليهم «وذى القربى»، ويلى هؤلاء اليتامى، وعلة الأمر بالإحسان إليهم إن الصغير اليتيم يحتاج إلى من ينفعه ويرعاه. ثم الإحسان للمساكين. تأخر ذكرهم عمن سبقهم لأن المسكين يمكنه أن يتعهد نفسه بالعمل لدى الغير بالأجر أو بالعمل على أى وجه من الأوجه، ثم أتبع سبحانه

وتعالى هذا بتكليف آخر هو أن يحادثوا الناس بالطيب من القول وأن يجيبوهم بما يحبون، أو بأن يأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر، وجاء التكليف بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة نعمة أخرى، وهى للسلف السابقين من اليهود الصلاة والزكاة فى ملتهم، ولمعاصرى رسول الله ﷺ منهم صلاة المسلمين وزكاتهم مما مفاده دعوتهم للإسلام. وبعد أن تم ذكر هذه النعم التى هى - فى الراجح من القول ــ مضمون ميثاق بنى إسرائيل، جاء ذكر مساوئهم يعبر عنه قوله تعالى «ثم توليتم» بمعنى أنهم أعرضوا عن الميثاق ورفضوه، وفى هذا التعبير توبيخ لهم لارتدادهم من بعد الانقياد، ويوضح نص الآية علة هذا التولِّى عن الميثاق ورفضه فى توبيخ مستأنف هو قوله تعالى «وأنتم معرضون» بمعنى أنكم قوم من عادتكم الإعراض والتولِّى عن المواثيق، لم يستثن من ذلك إلا القليلين منهم الذين سبق ذكرهم مُستثنين من التولِّى بقوله تعالى «إلا قليلا منكم» .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ الديار : فى قوله تعالى «لا تخرجون أنفسكم من دياركم» جمع «دار» وتجمع أيضا «دور»، والدار هو المنزل الذى فيه أبنية، أو هو المنزل المقام، وهو غير منزل الارتحال. وقيل هو كل موطن حلَّة قوم ولو لم تكن فيه أبنية .

ثانيا التفسير:

تتحدث الآية الشريفة عن نعمة مما أنعم الله على بنى إسرائيل قبل بيان جحودهم إياها ومقابلتها بالسيئة. وتتمثل النعمة فى أخذ العهد الموثق بيمين عليهم ألا يقتلوا أنفسهم «لا تسفكون دماءكم» وألا يخرجوا أنفسهم من ديارهم «ولا تخرجون أنفسكم من دياركم»، و إنا

لنجد فى التوراة التى بين أيدينا اليوم أثر هذا الميثاق فى النهى عن أن يقتل اليهودى يهوديا، وعن أن ينفيه، وعن أن يسترقه. وقيل فى معنى سفكهم دماءهم أو قتلهم أنفسهم إن المراد به هو الانتحار لبلاء أو مصيبة، أو أنه قتل النفس بدعوى التقرب لله كما يفعل البوذيون الذين يشعلون النار فى أنفسهم ليموتوا بالحرق ـ وقيل إن المراد به هو عدم ارتكاب الجنايات التى تستوجب القتل قصاصا ـ مثل القتل عمدا ـ أو تستوجبه حدًّا ـ مثل زنا المحصن والمحصنة ـ وإن المراد بإخراجهم أنفسهم من ديارهم هو قيام بعضهم بإجلاء بعض آخر من مساكنهم، وإنهم لما كانوا يشتركون فى الأصل المشترك وفى الملة الواحدة فإنهم اعتبروا كالشخص الواحد فكانوا كمن يخرج نفسه من داره. ثم تقرر الآية ما كان منهم فى شأن هذا الميثاق سواء فى ذلك من أعطوه من السلف، ومن أقروا به من الخلف، وهو الإقرار بمعنى الاعتراف به والإقرار بوجوبه ولزومه جيلا بعد جيل «ثم أقررتم»، وبيان حالهم لدى الإقرار وهو كون المعاصرين منهم شاهدين بإقرار أسلافهم بالميثاق بما لزمهم هم أيضا به «وأنتم تشهدون».

وقد قيل إن هذه الآية نزلت فى يهود بن قينقاع ويهود بنى قريظة، وكان الأوَّلون منهم حلفاء الأوس، والأخرون حلفاء الخزرج فكانوا يقتتلون فيقتل اليهودى اليهودى وينفيه من داره.

ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **أنتـــــم**: المشهور أن المخاطبين هم يهود بنى قينقاع ويهود بنى قريظة وبنى النضير، وكان الأوَّلـون حلفاء الأوس، والأخـرون حلفاء الخـزرج وكانـت تقع بينهـم الحرب فيقتلـون بعضهم بعضا رغم توحدهم فى الأصل وفى الملة، ثم تقع بينهم الهدنة فيفدون أسراهم.

٢ ـ **هـــؤلاء** : قيل إن معناه ـ فى الآية ــ هو الذين، وقيـــل جاءت فى الآية بتقـــــدير «يا هؤلاء».

٣ ـ **فريـــق** : هو الطائفة من الناس الكثيرة العدد، ويقال للصغيرة العدد «فرقـــة» .

٤ ـ **الإثــم** : هو السلوك الذى يستحق عليه فاعله الذم واللوم مما يخالف الطبع السليم.

٥ ـ **العـــدوان** : هو التمادى فى العداء مع الظلم .

٦ ـ **أســـارى** : جمع «أسير» ومعناه «مأســـور» وقيل إنـه جمع أسرى. والأسرى هم من فى اليد، والأسارى هم من فى القيد، وقيل إنهما بمعنى واحد فهم المأخذون بالقوة والغلبة .

٧ ـ **مُحـــرَّم** : اسم مفعـول من الفعـل «حرَّم ــ يحرِّم»، والتحـريم ضـد التحليل، فيكـون المحرَّم هـو الممتنع إتيانـه من فعل أو قول؛ ولـذلك يقال «حُـرِمت الصلاة علـى الحائض» و«حُرِّمت الصلاة على الحائض» فهى محرمة .

٨ ـ **إخــراج** : فى قولـه تعالى «وهو محرم عليكـم إخراجهم» بمعنى الإجلاء عـن الديار بالقوة والغلبة.

٩ ـ **جـــزاء** : الجزاء هو المقابلة، ويقال في الخير والشر .

١٠ ـ **خِـــزى** : الخزى هـو الهوان، والمراد بـه في الآية هو الفضيحـة والعقوبة، وقيـل هو ضرب الجـزية على اليهـود أبد الدهر، وهـو ما قد لايكـون صحيحا لأن معناه أن يكـون تشرد اليهود فـى بلاد المسلمين وحـدهم وهذا غيـر متحقق، وأن تكـون تشريعات بـلاد المسلمين وقوانينهم المعمـول بها تتضمن إيجاب الجزيـة على أهل الكتاب، وهذا أيضـا غير متحقق. وألا يكون لليهـود يوما مـا كيانٌ دولى يحكمون فيـه أنفسهم بأنفسهـم، وهذا لـم يعـد متحققا. وقيل إنه غلبة عدوهم عليهم. وقد يكون الصحيـح إن الخزى قد يتمثل فى أىٍّ مما قيل أو من

غيره فى زمن ما، وأن يتغير فى زمن آخر، فقد يكون فضيحة فى زمن ما، وعقوبة تنزل بهم بفعل الطبيعة ـ بأمر الله ـ فى زمن آخر، وبفعل جبارٍ فى زمن آخر، وبإلحاق الهزيمة بهم فى الحرب فى زمن آخر، ولعلَّه مما يؤكد هذا النظر ورود لفظ «خزى» نكرة فلا يعرف كنهه ولا ماهيته على نحو خاص.

١١ ـ الحياة الدنيا : «الحياة» هى الحالة التى تكون فيها الروح ملتبسة بالجسد بالنسبة للمخلوق، و«الدنيا» مأخوذة من الفعل «دنا يدنو» فيكون معنى الحياة الدنيا هو «الحياة القريبة» للتفرقة بينها وبين الحياة الأخرى أو الآخرة، وهى البعيدة التى تكون بعد البعث والنشور، فيكون المراد بالحياة الدنيا بالنسبة لشخص ما هو حياته على الأرض ما بين مولده وموته، وبالنسبة للخلق هو الفترة ما بين نشأة الخليقة على كوكب الأرض ويوم تقوم الساعة، وبالنسبة للكون هو الزمن ما بين حصول الخلق وبين يوم القيامة .

ثانيا التفسير:

تتحدث الآية الشريفة مخبرة عن مساوىء أخرى قابل بها بنو إسرائيل نعمة أخذ ميثاقهم ألا يقتلوا أنفسهم وألا يخرجوها من ديارها، ووردت عبارة الآية مخاطبة اليهود من بنى قريظة وبنى قينقاع، واليهود عموما على عمر الدهر، فتقول لهم «ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم» وجاءت «ثم» للترتيب والتراخى فى العطف لتفيد معنى: «وبعد أن أُخذ منكم العهد فإنكم الذين تقتلون أنفسكم» وهو ما كان يحدث من وقوع القتل بين اليهود من بنى قينقاع ـ فى جانب ـ وبين بنى قريظة وبنى النضير ـ فى جانب آخر ـ وقيل إن بنى قريظة كانوا يمعنون فى القتل، وتكمل الآية بوصف فعلهم وهو الطرد من الديار «وتخرجون فريقا منكم من ديارهم» وقيل إن ذلك كان ما اشتهر به بنو النضير إذْ يقومون بطرد خصومهم من مساكنهم وإجلائهم عن مواقعها، وتشرح الآية حالهم وقت مباشرتهم هذا العمل المخالف ما أخذ منهم من الميثاق بقوله تعالى: «تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان» فيخرجون عليهم متظاهرين متعاونين يحمى كل منهم ظهر أخيه، مرتكبين بمخالفتهم حكم ميثاقهم وبما يفعلون إثما تنفر منه النفس ويستوجب العقاب، مقارفين غاية الظلم. ثم تروى الآية ما كان يحدث منهم مع المطرودين من ديارهم المخرجين فتبين أنهم كانوا ـ لدى أخذهم أسرى ـ يقبلون منهم أو

فيهم الفدية ويطلقون سراحهم «وإن يأتوكم أسارى تفادوهم»، وتضيف الآية ــ بعد ذلك ـ قوله تعالى «وهو محرم عليكم إخراجهم» لتبين مدى التناقض بين أفعالهم بعضها والبعض إذْ أنهم قبلوا الفدية في المأسورين المخرجين بدعوى أنهم ينفذون الميثاق وحكم التوراة، فجاء تذكيرهم بأنه محرَّم عليهم في الميثاق وبحكم التوراة إخراجهم من الديار، فكأنهم جمعوا بين نقيضين، ثم إنهم ـ من جهة أخرى ـ نفذوا حكم الميثاق والتوراة بمفاداة الأسرى وتركوا حكمهما بتحريم القتل فقتلوا دون أن يقبلوا فيه دية؛ ولذلك جاء قوله تعالى: «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض»، والمقصود بالكتاب هو التوراة، والبعض الذى آمنوا به هو مفاداة الأسرى أو قبول الفدية فيهم وإطلاق سراحهم والبعض الذى كفروا به هو تحريم القتل بغير حق، وتحريم الإخراج من الديار. وبعد ذلك تخبر الآية، عن جزاء الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه الآخر، أو جزاء القتل والإخراج من الديار، مع مفاداة الأسرى فى الدنيا وفى الآخرة، إذ يكون لهم الخزى فى الدنيا بصنوف العقوبات التى منها فرض الجزية عليهم وتعرضهم للنكبات التى ربما كان منها ما لاقوا من هوان فى الدول الأوربية فى العصور الوسطى وما لاقوا من هتلر وأعوانه فى العصر الحديث، وما لحق بهم من هزيمة فى حربهم الأخيرة، وليكون خلودهم يوم القيامة فى أشد العذاب، وتنتهى الآية الشريفة بقوله تعالى «وما الله بغافل عما تعملون» بمعنى أنه سبحانه وتعالى لايغفل عما يفعلون ـ لأن المخاطب بهذا القول هم المخاطبون بما قبله ـ والمراد بكونه تعالى لايغفل عن فعالهم هو أنه يحصيها ويجازى عليها فلا تخفى عليه منها خافية، وعبارة قوله تعالى هذه مدعاة لأن يعتبر بها أولو الألباب من المسلمين .

أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾

التفسير:

تتحدث الآية الشريفة عمن سبق تناولهم فى الآيات السابقة فنشير إليهم بلفظ «أولئك»

وهم اليهود الذى قابلوا نعم الله عليهم بالإساءة، وتخبر عن حالهم - فى تشبيه بديع - بأنهم «اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة» بمعنى أنهم فضلوا الحياة الدنيا على الآخرة فاستبدلوها بها، وفى تشبيه فعلهم بالشراء ما يدل على أنه كان فى مقدورهم ألا يفعلوا ذلك لأن المشترى إنما يشترى بإرادته واختياره؛ ولذلك جاءت فاء السببية فى قوله تعالى «فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون» لتبين علة عدم تخفيف العذاب عليهم وعدم نصرهم وهو إقدامهم على شراء الدنيا بالآخرة بإرادتهم واختيارهم، والمستفاد من عدم تخفيف العذاب عليهم هو امتناع دفعه أو ردِّه، لأنه لما كان مجرد تخفيفه أو الإقلال منه ممتنعا فقد صار كله - من باب أولى - ممتنعا، والراجح أن المقصود بالعذاب هو عذاب الآخرة ترتيبا على تخصيص العذاب فى الآية السابقة بعذاب الآخرة، وأن عدم نصرتهم المعبَّر عنها بقوله تعالى «ولا هم ينصرون» إنما تعنى عدم نصرتهم فى الدنيا بردِّ الخزى عنهم. وقيل إن المراد بالعذاب هو عذاب الدنيا والآخرة.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾

أولا : الأسماء :

١ - **الكتاب** : المراد به فى الآية - هو التوراة .

٢ - **الرسل** : جمع رسول، وهو من أُرسل فى رسالة، فهو مُرسَل ورسول، والرسول أيضا الرسالة، والمراد بهم فى الآية الرسل من البشر لأنه سبحانه وتعالى يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس، ولما كان سبحانه وتعالى قد ذكر فى الآية أن بنى إسرائيل قد قتلوا بعض الرسل الذين جاءوهم، وكان محالا قتلهم الملائكة، فقد تعيَّن القول إن الرسل - فى معنى

الآية ـ هم الرسل من البشر. وقد قيل إن «الرسل» هم أصحاب الرسالات التى نزلت بها الكتب الثلاثة: التوراة، والإنجيل، والقرآن أى إنهم موسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه، أما غيرهم فهم أنبياء، بمعنى أن للفظ «الأنبياء» معنى أعم وأشمل من لفظ «الرسل»، وقد لا يكون هذا صحيحا، ويكون لفظ «الرسل» هو الأعم والأشمل، لأن رسل الله قد يكونون من الملائكة أو من البشر حين أن الأنبياء جميعهم من البشر، ولأنه ثبت من هذه الآية أن بنى إسرائيل قد قتلوا رسلا، والمحقق أنهم لم يقتلوا أحدا من أصحاب الكتب السماوية الثلاثة، فلزم أن يكون المقتولون رسلا وهم ـ على الثابت ـ غير أصحاب الكتب، ويفترض أن الرسل المذكورين فى نص الآية هم الذين بعثوا من بعد يعقوب عليه السلام، لأنه قبل أن يولد ليعقوب أبناء لم يكن ثمة وجود لبنى إسرائيل، ولا يمنع هذا أن يكون بنو إسرائيل مطالبين بالإيمان بهؤلاء وبرسالاتهم. ومن الرسل الذين بعثوا فى بنى سرائيل صمويل، وشاموئيل، وداود، وسليمان، واشعياء، وارميا، وحزقيال، و إلياس، واليسع، ويونس ـ وهو يونان عندهم ـ وزكريا، ويحيى ـ وهو يوحنا المعمدان عند النصارى.

٣ ـ عيسى : اسم علم وهو المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، واسمه فى الإنجيل الذى بين أيدينا «يسوع» وأصله ـ فى العبرية ـ «أيشوع»، وقد نسب إلى أمه «مريم» لأنه ولد بمعجزة من غير أب. ولد سنة أربع وثلاثمائة من سنة انتصار الاسكندر الأكبر على دارا ملك الفرس، وحملت به أمه عندما بلغت الثالثة عشرة من عمرها، وسنة ميلاده توافق السنة الرابعة والثلاثين من تاريخ اعتلاء أغسطس حكم روما، والسنة الثانية والعشرين من تاريخ انتصاره على كليوباترا ملكة مصر وحليفها أنطونيو فى معركة الاسكندرية، وقد أقام عليه السلام ـ بعد عودته مع أمه من مصر ـ بالناصرة حتى بلغ ثلاثين سنة فسار إلى الأردن إلى نهر الغور ـ الذى كان يسمى نهر الشريعة ـ فتم تعميده، عمَّده يحيى بن زكريا عليهما السلام فى السابع من شهر يناير من عام أربع وثلاثين وثلاثمائة من سنة انتصار الاسكندر الأكبر على دارا ملك الفرس، ومن هذا الوقت بدأ عليه السلام يعلن الدعوة لله ويظهر المعجزات التى أظهرها الله على يديه لنزول الإنجيل عليه، كما أنزل الله عليه المائدة استجابة لطلب حوارييه وتلاميذه، وبعد أن فرغوا من الطعام أعلمهم، أن أحدهم سينكره قبل أن يصيح الديك، وأن أحدا آخر

منهم سيبيعه بدراهم معدودة، وصادف هذا سعي اليهود في طلبه للإيقاع به، فتوجه أحد تلاميذه إلى اليهود وإلى هيرودس حاكم الجليل عارضا أن يدلَّ على المسيح مقابل أجر، فأعطوه ثلاثين درهما، فلما ذهب معهم ليدلهم عليه وسألوا عنه أحد تلاميذه أنكر معرفته ـ كما أخبر عليه السلام ـ ثم أذَّن الديك فعلم أنه كان المقصود بقوله عليه السلام «ينكرنى أحدكم قبل أن يصيح الديك»، ثم ألقى الله سبحانه وتعالى شبه المسيح على من أزمع أن يدلَّ عليه فأخذه القوم بدلا منه وصلبوه ورفع الله المسيح عليه السلام إلى السماء، وكان رفعه سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة من انتصار الاسكندر الأكبر على دارا ملك فارس، قبل نحو خمس وأربعين وخمسمائة سنة من مولد رسول الله ﷺ، وبعد موت أغسطس بثلاث وعشرين سنة في نهاية السنة الأولى من حكم جانيوس امبراطور روما. وينسبه الإنجيل الذى بين أيدينا اليوم إلى يوسف النجار ـ مع الإقرار بأن مريم حملت من الروح القدس ـ ويعود بنسبه إلى داود عليه السلام؛ ولذلك فإنه يكنى فيه كثيرا بـ «ابن داود» .

٤ ـ مريـــــم : اسم علم وهى الصدِّيقة العذراء أم المسيح عليه السلام، ابنة عمران من زوجته «حنة»، وقد كانت «حنة» عاقرا لا تلد وتمنَّت على الله أن يكون لها ولد، ونذرت إن رزقها الله ولدا أن تجعله من سدنة بيت المقدس،وحملت بمريم وتوفى زوجها قبل أن تضع حملها، فلما وضعتها أسمتها «مريم» والاسم عبريٌّ معناه «العابدة»، وقال بعض المفسِّرين إن معنى الاسم هو الخادم، وقال آخرون معناه «من تحب محادثة الرجال» والمعنى الأخير يناقض ما كان عليه طبعها، قدَّمتها أمها إلى الكهنة وأعلنتهم أنها منذورة لمعبد الرب، فتنافسوا فى كفالتها، فأعلنهم زكريا ـ وكان من رؤسائهم ـ أنه الأحق بكفالتها لأنه زوج خالتها «ايساع» ـ وهى فى إنجيل لوقا «إيصابات» ـ وأخذها لتربِّيها زوجه، فلما كبرت أفرد لها غرفة في المعبد تتعبَّد فيها، وأرسل الله إليها جبريل عليه السلام فنفخ فيها فحملت بأمر الله بعيسى عليه السلام، وولدته فى بيت لحم القريبة من القدس، ثم أخذته إلى مصر يرافقها ابن عمها يوسف بن يعقوب بن متَّان وشهرته يوسف النجار،مكثت فى مصر مع وليدها وابن عمها اثنتى عشرة سنة ثم عادوا إلى فلسطين ونزلوا الناصرة. وقد عاشت بعد رفع المسيح عليه السلام ست سنوات وماتت وعمرها ثلاث وخمسون سنة، فقد حملت بالمسيح عليه السلام

لما بلغت الثالثة عشرة، وعاشت فى حياته ثلاثا وثلاثين سنة، وبعد وفاته ست سنوات، ومجموع ذلك ثلاث وخمسون سنة.

٥ ـ الروح القدس: الروح هو هذا السرُّ الخفى الذى يسرى فى جنس الحيوان فتكون فيه الحياة، ويعبر عنه بأنه «الريح الذى يتردَّد فى مخارق الإنسان والحيوان». وقيل إنه أطلق على جبريل عليه السلام على سبيل التشبيه لأنه لما كان الروح سببا للحياة المادية أو الجسمانية وكان جبريل عليه السلام سبب الحياة المعنوية لكونه المكلف بإبلاغ الرسالات، فقد جاء تسميته بالروح تشبيها بها لكون كل منهما سببا للحياة. وقيل إن الروح ــ فى الآية ـ هى اسم الله الأعظم الذى به يأتى المسيح عليه السلام بالمعجزات من إحياء الموتى و إبراء المرضى من أمراضهم، وقيل إن المراد بها روح عيسى عليه السلام وصفت به لطهارته من مسَّ الشيطان أو لكرامته على الله تعالى و إنه لذلك أضافها إلى نفسه.

والقدس هو الطهارة والبركة، ومعناه أيضا «التطهير»، وقيل إنه اسم من أسماء الله تعالى كالقدوس.

وروح القدس هو جبريل عليه السلام على ما يبين من قوله تعالى «قل نزله روح القدس»، وقوله تعالى مخاطبا عيس ابن مريم «إذْ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا»، وعلة ذكر تأييده سبحانه وتعالى عيسى عليه السلام بروح القدس على وجه الخصوص هو اختصاصه به من طفولته المبكرة، فبه كلم الناس وهو لايزال فى المهد، وكذا ملازمته فى حياته كلها، فكان به عدم دنو الشيطان منه، وبه أنجى من اليهود المتآمرين مع الحاكم الرومانى لقتله، وذلك برفعه.

ثانيا التفسير:

تستمر الآية فى سرد المزيد من مساوىء اليهود المقابلة إحسانه إليهم فتبدأ بذكر معلوم لهم وهو أنه سبحانه وتعالى آتى موسى عليه السلام الكتاب بمعنى أنه أنزل عليه أو أعطاه التوراة وأفهمه ما تضمنته من القصص، والأخبار، والأحكام، وما جاء فيها من البشارات ومعلوم أن موسى عليه السلام شرحها لهم وفصَّل أحكامها ولا تزال خطبته فيهم بذلك

موجودة فى التوراة التى بين أيدينا اليوم، ثم يقول سبحانـه وتعالى ـ ذاكرا أحد إحساناته ـ أنه أرسل من بعد مـوسى العديد من الرسل «وقفينـا من بعده بالرسل» وذلك علـى ما يستفاد من لفظ «قفينا» ومعناه أتبعنـا، وهذا القول يماثل معنى قـوله تعالى «ثم أرسلنا رسلنـا تترى»، وقد كان جميع الرسـل من بعد موسى عليه السـلام إلى عيسى عليه السلام يدعـون إلى التمسك بالتوراة والعمل بها، ثم يذكر سبحانه وتعالـى مكرمة أخرى و إحسانا منه إليهم بتزويده عيسى ابن مريم بالبينات و إمداده بها، وبتأييده بـروح القدس «وآتينا عيس ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس»، وفـى ورود قوله تعالى هـذا بعد قوله تعالى «وقفَّينـا من بعده بالرسـل» ما يدل على أنه عليه السـلام قد بعث لبنى إسرائيل فكـان بعثه فيهم نعمة، كما كان تـأييده بالآيات والحجج الدالـة على نبوته نعمة أخرى لأن مـن شأن ذلك إقناع ذوى العقول والأفهـام بنبوَّته وإيمانهم بـه وبما أنزل عليه وهو الإنجيـل من ربه، ويوضـح سبحانه وتعالى أنـه أيَّد عيسى عليه السـلام وقوَّاه ودعمه بجبريـل عليه السلام فكـان منه ـ بـأمر الله ـ أن تكلم المسيـح وهو لايزال فى المهد صبيا، وكان منه ـ بأمر الله ـ أن منـع الشيطان من الدنو منه، وكان منه ـ بأمر الله ـ أن نجـا المسيح عليه السـلام من كيد المتـآمرين عليـه من اليهود والـرومان ليرفعـه الله. ثم يجىء قـوله تعالى «أفكلمـا جاءكم رسـول بما لا تهوى أنفسكـم استكبرتم» لتوبيخهـم على أفعالهـم المقابلـة لإحسانـه سبحانـه وتعالـى إليهم بـإرسالـه الرسـل إليهم مـن بعد مـوسى وللتعجيب من أمرهم، لأن معنى قوله تعالى هذا أنهـم بدلا من أن يقابلوا نعمه بإرسال الرسل بالشكر والقبول فإنهم كانـوا إذا لـم يوافق ما جاء به الرسل ما تحبه قلوبهـم وتهواه فإنهم كانوا يستكبرون عن الاستجـابة لهم وما يـدعون، فلا يكون منهـم الإيمان، ثم تشرح الآيـة الشريفة أفعالهم مـع هؤلاء الرسل ـ التـى كانت بمثابـة النتائج المترتبة على استكبـارهم أو المفصلة صور الاستكبار وأشكاله ــ وهذه الأفعال هى تكذيب البعض منهم، وقتـل البعض الآخر على ما جاء بقوله تعالى «ففريقا كذبتم، وفـريقا تقتلون»، ويلاحظ أن فى ورود الفعل «كذبتم» فى صيغة المـاضى ـ وقـد كان المكذبـون آباءهم ـ إشـارة إلى استمرارهـم على تكذيـب هؤلاء الرسل، وأن فى ورود الفعل «تقتلون» فى صيغة المضـارع معنى أنهم لا يزالوان يأتون الأفعال

التى من شأنها أن تؤدى إلى القتل، ومعلوم أنهم حاولوا قتل رسول الله ﷺ فالآية بهذا المعنى تدل على حالهم بأبلغ ما يكون عليه التدليل.

وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ غلف : جمع «أغلف» ومعناه «الذى لا يفقه»، وأصله من «الغلفة» قطعة الجلد حول مقدِّم عضو الذكورة فى الإنسان التى تزال بالختان، ومعنى «قلوب غلف» كأنها أغشيت أغلفة فهى لا تعى .

ثانيا التفسير:

أول ما يلاحظ فى شأن الآية الشريفة هو أنها أشارت إلى اليهود بضمير الغائب من بعد استعمال الآية السابقة ضمير المخاطب مما قد يكون مفاده الإعراض عن مخاطبتهم لعدم جدارتهم بهذا، وتروى الآية أن اليهود قالوا «قلوبنا غلف» والقائلون هذه العبارة هم المعاصرون منهم رسولَ الله ﷺ، أرادوا أن يحملوه على اليأس من أن يستجيبوا لدعوته فقالوا إن قلوبهم مغشاة بأغشية خلقية تمنع من نفاذ دعوته إليها، وقيل إنهم قصدوا إنها مغشاة بعلوم التوراة فليس من منفذ إليها ينفذ منها الإسلام الذى يدعو له رسول الله ﷺ، ثم جاء قوله تعالى «بل لعنهم الله بكفرهم» رادًّا على قولهم ومكذبا له، فجاءت «بل» لتدل على أن هناك سببا غير ما قالوا به، وفى هذا تكذيب لهم، ومعنى التكذيب هو أن القلوب قد جبلت على الفطرة السليمة التى تمكن من التمييز بين الصحيح والباطل، وجاء ما بعدها ليدل على السبب الصحيح لعدم إيمانهم وهو لعن الله إياهم بكفرهم «بل لعنهم الله بكفرهم» وجاءت باء السببية فى «بكفرهم» لتبين سبب اللعن، فيكون المعنى إن الله لعنهم بسبب كفرهم، وسبب ذلك أن الله لعنهم من قبل لعلمه السابق بما يكون منهم من الكفر، فهو تعالى قد لعنهم لأنه فى علمه الأزلى أنهم لا يؤمنون فكان منهم الكفر، فكان جزاؤهم على هذا الطرد

من رحمته تعالى. ثم تفيض الآية فى بيان سبب اللعن بقوله تعالى **«فقليلا ما تؤمنون»**، وجاءت فاء السببية لتبين سبب اللعن وهو قلة الإيمان، لأنهم - **على ما ثبت من قبل - كانوا** يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، وقيل إن معنى قوله **تعالى «فقليلا ما يؤمنون» هو أن** جمع المؤمنين منهم كان قليلا، وقيل إن المراد بالقلة هو الانعدام، **ومعنى قوله تعالى «فقليلا** ما يؤمنون» هو انعدام الإيمان لديهم، وقد لا يكون هذا صحيحا **لأن معنى ذلك يكون إثبات** الإيمان لديهم فى أول الكلام ونفيه فى آخر الكلام بتقدير قدره بالانعدام، **إذ يكون معناه «أنهم يؤمنون إيمانا منعدما»**؛ ولذلك ملنا إلى المعنى القائل بأنهم إنما **يؤمنون ببعض** الكتاب ويكفرون ببعض، فيكون إيمانهم قليلا، ولا يمنع أن يكون جمع المؤمنين منهم قليلا.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۚ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩)﴾

أولا : الأسماء :

١ - كتاب : المراد به فى الآية هو القرآن الكريم، وقوله تعالى «جاءهم» إنما كان لكون رسول الله ﷺ قد بُعث بالقرآن الكريم للناس كافة ومنهم بنو إسرائيل، ولأصحاب الملل جميعهم ومنهم اليهود، وجاء وصف الكتاب بأنه من عند الله للتدليل على وجوب قبوله والعمل بما فيه.

٢ - مصدِّق : بمعنى أنه يثبت صدق التوراة التى معهم فيما تنبأت به من بعثة رسول الله ﷺ بكتاب من عند الله، فقد جاء فى سفر التثنية من التوراة التى بين أيدينا اليوم أن موسى عليه السلام قال لبنى إسرائيل إن الله تعالى أخبره أنه سيقيم نبيا من إخوتهم - أى من نسل

إسماعيل أخى إسحاق ـ يجعل كلامه فى فمه ـ بمعنى أنه يوحى إليه بكلامه جل وعلا، أى بالقرآن ـ فيكلمهم بما يوصيه الله به ـ بمعنى أنه يبلغ ما يوحى إليه به شفاهة، وقد كان ذلك من رسول الله ﷺ لأنه لم يكن يكتب ـ وأن الذى لا يسمع كلامه يعاقبه الله. وفى بعثة رسول الله ﷺ بالقرآن على ما أبلغ به كتاب موسى ما يدل على صدق ما جاء فيه متعلقا بالبشارة. ويجوز أن يكون المعنى أيضا أنه يخبر عما فى التوراة ويذكر نزولها من عند الله فيكون مصدقا لها.

٣ ـ **الذين كفروا** : هم الذين لم يؤمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام قبل بعثة رسول الله ﷺ، قيل إنهم الأوس والخزرج، وقيل إنهم قبيلة غطفان. كانوا إذا ما هزموا يهود بنى قريظة والنضير، أو يهود خيبر، يدعو اليهود الله مستنصرين بحق النبى الأمّى الذى وُعدوا فى كتابهم أن يرسله الله إليهم فى آخر الزمان.

٤ ـ **ما عرفوا** : قيل إن المراد به هو الكتاب الذى عرفوه أى القرآن، لأنهم لما كانوا قد عرفوا من كتابهم خبر رسول الله ﷺ، وكانت معرفته تستلزم معرفة الكتاب الذى أنزل عليه، فإنهم يكونون عارفين أمر كتابه. وقيل إنه الحق، وقيل إنه رسول الله ﷺ باعتبار أن «ما» قد تعبر عن صفات العاقل أحيانا.

٥ ـ **الكافرون** : فى قوله تعالى «فلعنة الله على الكافرين» المراد بهم اليهود الذين كتموا أمر رسول الله ﷺ وأصروا على الكفر حتى بات صفة ملازمة لهم.

ثانيا التفسير:

تذكر الآية الشريفة واقعة مما اقترف اليهود الذين عاصروا رسول الله ﷺ هى واحدة من مساوئهم المتمثلة فى تناقض أفعالهم بين بعضها والبعض ـ من جهة ـ وبينها وبين ما يعلمون صحته ـ من جهة أخرى ـ فتذكر أنه عندما أنزل الله على رسوله الكريم القرآن العظيم وبلغهم نبؤه وطولبوا بالإيمان بالله وبرسول الله ﷺ الذى بعث للناس كافة، فإنهم رغم تيقنهم من أن رسول الله ﷺ هو النبى المذكور فى التوراة أنه يبعث فى آخر الزمان مما يعتبر معه مجيئه وبعثه تصديقا لما ورد فى التوراة، والذى تضمَّن الكتاب الذى أنزل عليه ـ وهو القرآن ـ الذى

نسبه الله إليه فى الآية تشريفا له و إثباتا لصدقه من بين ما تضمن الإخبار عن التوراة كتابا أنزله الله على موسى عليه السلام، فإنهم رغم ذلك جميعه كفروا برسول الله ﷺ وبالكتاب الذى أنزل عليه، لأن فى الإشارة إلى الكتاب إشارة إلى من أنزل عليه، وفى هذا بيان التناقض بين فعلهم وبين ما يعلمون ـ كذلك تبين الآية الشريفة التناقض بين أفعالهم بعضها والبعض بذكر ما كانوا يفعلون من قبل عندما يهزمهم أعداؤهم من الأوس والخزرج أو من غطفان فكانوا يسألون الله تعالى أن ينصرهم متوسّلين إليه بحق النبيِّ الأمى الذى ذكر فى كتابهم أنه يبعث فى آخر الزمان، ثم كان منهم إنكاره حينما بعث للناس كافة وهم من بين من بعث إليهم ـ وتختتم الآية بقوله تعالى «فلعنة الله على الكافرين» تقرر حكمه تعالى فى مرتكبى هذه الخطيئة وهى إخراجهم من رحمته، وتبين علة ذلك وهى كفرهم و إصرارهم عليه.

بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ ما أنزل الله : فى قوله تعالى «بما أنزل الله»، قيل إن المراد به ـ فى الآية ـ هو الكتاب المصدق أى القرآن الكريم، وقيل هو «التوراة والإنجيل» لأن فى الكفر ببعضهما كفرا بهما».

٢ ـ البغى : فى قوله تعالى «بغيا أن ينزل الله» هو ـ فى الأصل ـ الظلم والفساد، وهو التعدِّى. والمراد به ـ فى معنى الآية ـ هو «طلب ما ليس لهم» وهذا من قبيل الحسد.

٣ ـ الفضل : فى قوله تعالى «أن ينزل الله من فضله»، الفضل والفضيلة ضد النقص والنقيصة، والمراد به ـ فى الآية هو الوحى، وقيل إنه رسول الله ﷺ حسده اليهود لأنه لم يكن من بنى إسرائيل .

٤ ـ الغضب : فى قوله تعالى «فباءوا بغضب على غضب»، هو الغيظ، وهو الحنق، وغضب الله كراهة الفعل والفاعل .

٥ ـ مهين : المهين هو المُذِلُّ .

ثانيا التفسير:

يذم الله تعالى ما كان من اليهود من الكفر بالقرآن الذى أنزله الله على نبيه محمد ﷺ فكأنهم اشتروا أنفسهم بأن يكفروا بما أنزل الله، وقيل إن «اشتروا» فى الآية جاءت بمعنى باعوا لأن النفوس الخبيثة لاتُشترى بل تباع وكان الكفر هو الثمن. وعلى الحالين فإن المعنى يكون إنهم استبدلوا الباطل بالحق والكفر بالإيمان، وتبين الآية أن فعلهم الخبيث هذا كان مبعثه ما لديهم من الحسد لرسول الله الذى أنزل الله عليه القرآن وبعثه نبيا وهو من العرب من نسل إسماعيل عليه السلام، وليس من بنى إسرائيل أبناء يعقوب عليه السلام «بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده» وكان فضل الله الذى أنزل على رسول الله ﷺ هو الوحي اختار الله محمدا ﷺ لينزل عليه وليبلغ الرسالة. ثم توضح الآية الشريفة نتيجة فعلهم هذا بقوله تعالى: «فباءوا بغضب على غضب» بمعنى أنهم رجعوا وقد لبسهم غضب الله عليهم لفعلهم هذا ليكون غضبا فوق غضبه عليهم لما تقدم من فعالهم القبيحة التى عدَّدتها الآيات السابقة ومنها عبادتهم العجل وكفرهم بالإنجيل وتكذيبهم عيسى عليه السلام، وتنتهى الآية بتعقيب لبيان ما يلحق بهم من أثر غضبه سبحانه وتعالى عليهم وإظهار سببه بقوله تعالى «وللكافرين عذاب مهين»فبينت الآية أنه ينالهم عذاب مذلٌّ، بمعنى أنه عذاب قصد به إهانتهم وإذلالهم، ويحقق ذلك، كما أوضحت سبب اختصاصهم بهذا العذاب

المهين بقوله تعالى «وللكافرين» والمعنى أنه إنما كان لهم هذا العذاب المهين لأنهم كافرون، فغير الكافرين يكون العذاب لهم للتطهير، ذلك أنه لم يوصف ـ فى القرآن عذاب غير الكافرين بأنه مهين.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ **ما أنزل الله** : فى قوله تعالى «بما أنزل الله» هو القرآن العظيم، وهو كل ما أنزل الله من الصحف والكتب، المعلوم منها.

٢ ـ **ما أنزل علينا**: فى قوله تعالى عن قول اليهود «قالوا نؤمن بما أنزل علينا»، المراد بذلك ما أنزل على أنبياء بنى إسرائيل فيكون المقصود التوراة فى مقام أول وما أنزل على أنبياء بنى إسرائيل سطروه فى العهد القديم فى أسفار منسوبة إلى أنبيائهم .

٣ ـ **ما وراءه** :وراء مصدر لاشتقاق المواراة، وقيل إنما هو من المواراة والاستتار، فكل ما استتر عنك يكون وراءك. والمراد به ـ فى الآية ـ كل ما عدا ما أنزل على بنى إسرائيل وهو القرآن. وقيل هو القرآن والإنجيل، وقد لا يكون ذلك صحيحا لأن الإنجيل أنزل على عيسى عليه السلام وهو من بنى إسرائيل.

٤ ـ **الحق** : فى قوله تعالى «وهو الحق» بمعنى أنه حق فى ذاته، وجاء تعريفه بالألف واللام لاستغنائه عن تصديق كتاب آخر به .

ثانيا التفسير:

جاء رد المولى سبحانه وتعالى على قول اليهود «قلوبنا غلف» قوله تعالى «وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله» ـ وقيل إن من المؤمنين من قال لهم هذا ـ والمراد بهذا هو أمرهم أن يؤمنوا بالقرآن العظيم، وجاء وصفه بأنه «ما أنزل الله» لبيان أن الإيمان بما عداه مع الكفر به لا يعتبر إيمانا، فإن إجابة اليهود هى قولهم «نؤمن بما أنزل علينا» أى إنهم لا يؤمنون إلا بما أنزل على أنبياء بنى إسرائيل. ومقتضى هذا ألا يؤمنوا بالقرآن لأنه أنزل على عربى من أبناء إسماعيل عليه السلام، وفى هذا ما فيه من التدليل على قدر ما أكنوا فى أنفسهم من حسد لرسول الله أن آتاه الله الكتاب، وجاء قوله تعالى «ويكفرون بما وراءه» أى بغير ما أنزل على أنبياء بنى إسرائيل وهو القرآن العظيم ويمكن القول إن فى التعبير عن كفرهم بالفعل فى صيغة المضارع معنى استمرار كفرهم إلى زمن الإخبار، أو أن يكون الفعل المضارع المثبت مع الواو «ويكفرون» حالا فيكون مبينا شناعة خطئهم ووضوح تناقضهم لأن فى كفرهم بما هو وراء التوراة كفرا بها لكونها بشَّرت به، وهو ذات المعنى فيما لو اعتبر معنى «ويكفرون» أنه «وهم يكفرون». ثم تبين الآية حقيقة ما هو وراء التوراة أو وراء ما أنزل على أنبياء بنى إسرائيل بقوله تعالى «وهو الحق» أى إنه الحق بذاته، والحق الذى يعلمونه مما مفاده أن كفرهم إنما كان عنادا منهم عن غير حق يعتقدونه، وجاء قوله بعد ذلك «مصدقا لما معهم» لبيان حال القرآن العظيم من كونه مصدقا للتوراة، فقد أنزل على نبىٍّ بشرت به التوراة ووصفته فيكون حال من لم يؤمن به أنه لم يؤمن بالتوراة ولم يصدِّق. ثم إن الله تعالى يأمر رسوله الكريم أن يقول لليهود ـ تبكيتا لهم ـ «فلم تقتلون أنبياء الله من قبل» بمعنى «إنكم تدَّعون أنكم تؤمنون بالتوراة وقتلتم أنبياء الله رغم أن التوراة تنهاكم عن القتل، فكيف تدَّعون إيمانكم بالتوراة»، وجاء التعبير عن القتل بالفعل فى زمن المضارع رغم حصول القتل فى الماضى لرضاء اليهود المعاصرين رسول الله ﷺ عن القتل الذى باشره أسلافهم، ثم يجىء قوله تعالى «إن كنتم مؤمنين» يقوله رسول الله ﷺ لليهود فى ختام سؤاله إياهم توبيخا لهم وتبكيتا لبيان كذبهم فى

ادعائهم أنهم مؤمنـون، فيكون معنى العبارة «إن كنتم مؤمنين فلم تقتلـونهم؟» ، وفى هذا نفىٌ لإيمانهم المزعوم.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾

التفسـير:

جملة الآية داخلة فـى مضمون قول رسول الله ﷺ لليهود تنفيذا لأمره تعـالى، والمعنى أنه قد جاءكم موسـى عليه السلام بالدلائل المثبتة صدق دعوته التى كـان منها أمر عصاه، ويده وانفلاق البحر، ثم كان منكم بعد مجىء موسى بعـد ذهابه إلى الطور أن عبدتم العجل الذى صنعه لكم السامرى من حليكم، وقد حدث ذلك منكم «وأنتم ظالمون» باخلالكم بآيات الله وما توجبه من إيمان. وفى التعبير عن حالهم وقت مقارفتهم عبادة العجل بأنهم ظالمون إشارة إلى صـرفهم العبادة عن مـوضعها الأصلى إلى غيـره. وهذا من قبيـل وضع الشىء فـى غير محله، وهو ظلم بيِّن، فضـلا عن كونه من قبيل الشرك بالله، والله تعـالى يقول «إن الشرك لظلم عظيم».

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

التفســـــير:

تتحدث الآية الشـريفة عن أخذ ميثـاق بنى إسرائيل ورفـع الجبل فوق رؤوسهم ـ على ما سبق بيانه ـ وأمره سبحانه وتعالى إياهـم أن يتمسكوا بما جاء فى التوراة مـن أوامر ونواهٍ بجد وعزم «خذوا ما آتيناكم بقوة» وأمرهم بقبول أوامره ونواهيه «واسمعوا» فيكون معنى السماع هو السماع والقبول، وقـد كان منهم ـ ردا على هـذا ـ هو «سمعنا وعصينا» بمعنـى «سمعنا الأمر بأخـذ التوراة بقوة وسماعهـا سماع قبول، وعصينـا هذا الأمر» وذلـك تعبيرا عن عدم أخـذها وعدم قبـولها، وعدم إطـاعة الله. وقد كـان حالهم هـو تغلغل حب العجـل فى قلوبهـم حتى خالط ما فيها مما فطرت عليه فكان شغفهم بـه «وأشربوا فى قلوبهم العجل» وتبين الآية علة ذلك بقوله تعـالى «بكفرهم» أى بسبب كفرهم، ويـأمر المولى سبحانه وتعـالى رسوله ﷺ أن يقول لهـم «بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين» بمعنى بئس ما اقترفتم من أعمال أمركم بها إيمانكم بـالتوراة على دعواكم أنكم تؤمنـون بها، وفى خاتمة القول قدح فيمـا يدعون من إيمان بالتوراة، فيكون معنى «إن كنتم مؤمنين» هو «إذًا لستم بمؤمنين».

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ **الدار الآخـــرة:** المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو الجنة، أو نعيم الدار الآخرة.

٢ ـ **خالصـــة :** الخالص هو الـذى لايشوبه شىء، وخالصة لكـم بمعنى اختصت بكم أو إنها مخصوصة بكم .

ثانيا التفســـــير:

الخطاب فى الآية الشريفة موجه إلـى رسول الله ﷺ، وهو أمر أن يقول لليهود ما أمره الله أن

يقول لهم ردًّا على دعوى كانوا يدعونها بقولهم «إن الله لم يخلق الجنة إلا ليعقوب وبنيه» وقولهم «نحن أبناء الله وأحباؤه»، فأمر الله رسوله الكريم أن يقول لهم «إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين» بمعنى إنه لو كانت الجنة مخصوصة بكم على الحقيقة وليست لغيركم وكنتم موقنين من ذلك فليكن منكم تمني ذلك باللسان واشتهاؤه بالقلب، أو ليكن منكم عدم الحرص على الحياة الدنيا، فيكون منكم محاربة مخالفيكم والقتال في سبيل عدم أداء الجزية، فإنكم إن فعلتم ذلك قدمتم الدليل على اعتقادكم صحة ما تدعون .

وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾

التفسير:

قوله تعالى «ولن يتمنوه أبدا بما قدَّمت أيديهم» جملة اعتراضية لا تدخل في مضمون ما أمر الله رسوله ﷺ أن يقول لليهود، يخبر فيها سبحانه وتعالى عما سيكون من اليهود من عدم تمنِّي الموت. وقيل إنهم لو تمنوه يوم طلب الرسول ﷺ منهم ذلك لماتوا؛ ولذلك فالراجح أن التمني المقصود إنما كان إعلان التمني باللسان وليس بالقلب فقط، لأن من شأن التمني باللسان أن يُعلم أمره بإعلانه، فإذا ما حدث الموت كان معجزة دالة على صدق نبوَّة رسول الله ﷺ. والمستفاد من هذا أن الذين عناهم نصُّ الآية هم اليهود معاصرو رسول الله ﷺ، وقيل إنهم اليهود في كل زمان ممَّن يعتقدون نبوَّة رسول الله ﷺ ويجحدونها. وتبيِّن الآية الشريفة سبب إحجام اليهود عن تمني الموت بقوله تعالى «بما قدمت أيديهم» أي بسبب ما ارتكبوا من آثام توجب تعذيبهم في الآخرة، فتكون خشيتهم عذاب الآخر مانعة إياهم عن تمني الموت لما وراءه من العذاب، ومن آثامهم هذه كفرهم برسول الله ﷺ وجحدهم القرآن العظيم. ويجيء قوله تعالى في خاتم الآية «والله عليم بالظالمين» مثبتا كونهم ظالمين

منحرفين عن الحق، ومتضمنا التهديد بتعذيبهم جزاء على ظلمهم .

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ حيـــــاة: المراد بها فى الآية حيـاة المرء وهى الفترة ما بين مولده وبيـن موته، أو ما بين بث الروح فيه جنينا وبين موته. وجاءت نكـرة فى الآية للتدليل على أنها حياة مبهمة غير معلومة، ومنوّنة للتحقير، لأن الحياة الحقيقية هى حيا ة الآخرة.

٢ ـ الذيـن أشركوا : قيل إنهم المجـوس لأنهم كانوا يعتقـدون فى وجود إلٰهين أحـدهما للخير ويسمونه «هرمز» والآخر للشر ويسمونه «إهرمـن» ويرمزون للأول بالنور وللثانى بالظلمة، وقيل إنهـم كانوا يقـولون للعاطـس «فلتعش ألـف سنة» وقيل إنهـم مشركو العـرب، أو عموم المشـركين، وقيـل إنهـم اليهود لقـولهـم «عزيـر بـن الله» وذلك استـدلالا بكـون الضمير فـى «أحدهم» عائدا على اليهود.

٣ ـ ألـف سنة : الألف هى العـدد المعلـــوم، مشتـق من «الألفـــة» لكونه مؤلـف من أنــــواع الأعداد المعروفـة، والسنة هى الحـول وهى العام، عـدَّتها اثنا عشر شهـرا. وقيل إن المراد بـ «ألف سنة» العدد من السنين حقيقة، وقيل إنه الكثير من السنوات .

٤ ـ المـزحزح : فى قـوله تعالـى «وما هو بمـزحزحـه من العذاب» اسـم فاعل مـن الفعل «زحزح، يزحـزح»زحزحة، والزحـزحة هى التبعيد، وأصـل الفعل هو«زحَّ ، يزح» زحـا ضوعف

للمبالغة فصار «زحزح يزحزح».

٥ ـ بصيـــر: البصير هو المبصر مـع المبالغة التى تفيد دوام الإبصار، والمـراد به فى الآية هو عليم بالأعمال الخفية والظاهرة .

ثانيا التفســـــير:

يخاطـب الله سبحانه وتعـالى رسوله الكـريم ﷺ بعد أن أمـره أن يطلب من اليهـود تمنِّى الموت لإثبات صـدق ما يدعون فيقـول له ما يفيد إحجـامهم عن تمنى المـوت «ولتجدنهم أحـرص الناس علـى حيـاة» أى إنك لتعلـم أو ستعلـم إنهم أحـرص النـاس على التمسـك بالحيـاة، ثم يقول سبحـانه وتعالـى «ومن الذيـن أشركوا» أى أنهـم أيضا أحرص الحيـاة من المجوس الذين يتمنون طول الحياة فيقولون للعـاطس منهم «لتعش ألف سنة» أو أحرص من الكافـرين منكرى البعث الـذين يتمنون طول الحيـاة فى الدنيـا لإنكارهم وجود حيـاة أخرى بعدها، ثم يقول المولى سبحانه وتعالـى «يود أحدهم لو يعمر ألف سنة» أى أن الشخص من اليهود يقول «ليتنى أعمر ألـف سنة» فكأن «لو» الشرطية أشربت معنـى التمنى فيكون المعنى إن المرء من اليهود ليتمنى أن يعمر ألف سنة. ثم يخبر الحـق سبحانه وتعالى عن الحقِّ بقوله تعالى «وما هو بمـزحزحه من العذاب أن يعمر» أى أنه لن يزحزح أو يبعـد أحدهم عن العذاب تعميره طويلا، وعبارة الآيـة يفهم منها أن غيره يزحزحه عن النار أو يبعـده تعميره، وهو من آمن وعمل صالحا. وتختتم الآيـة بقوله تعالى «والله بصير بما يعملون» بمعنى إنـه سبحانه وتعالى عليم بما خفـى من أعمالهم مجازيهم بها. والمعنى المبطن هـو التهديد والوعيـد بالعذاب على السيء من الأعمال الذى أخفاه الواحد منهم .

قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

١ ـ **جبريل** : علَم، هو الملَك الذى كان ينزل على رسول الله ﷺ بالقرآن. والاسم أعجمى غير عربى قيل إنه عبرى و إنه مكون من «جبر» بمعنى قدر أو جبروت، و «إيل» وهو من أسماء الله فى العبرية فيكون معناه هو «قدر الله» أو «جبروت الله».

٢ ـ **القلب** : فى قوله تعالى «على قلبك»، سبق بيان معنى القلب، قيل إن ذكر بيان نزول جبريل بالقرآن على قلب رسول الله ﷺ إنما كان لأن القلب هو القابل الأول للوحى، وقيل إنه أريد به الروح محل الفهم والحفظ، وقيل إن معنى نزوله على قلب رسول الله ﷺ هو اتصاف رسول الله ﷺ بصفات القرآن وتأدبه بآدابه .

٣ ـ **الإذن** : فى قوله تعالى «بإذن الله»، الإذن فى الشىء هو إجازته والترخيص فيه، والمراد بإذن الله هو بأمره وبعلمه سبحانه وتعالى.

٤ ـ **بشرى** : هى السرور، وأطلقت على الخبر يبعث فى النفس السرور، أخذا بنتيجته أو أثره .

ثانيا التفسير:

يبين معنى الآية الشريفة من معرفة أسباب نزولها وهى ما كان يردِّده اليهود من معاداتهم جبريل عليه السلام بدعوى أنه كان يطلع رسول الله ﷺ على أسرارهم حين ينزل عليه بالقرآن، ولأنه كان السبب فيما حاق بهم أو بأسلافهم فى الماضى من ذل وفى خراب بيت المقدس حين منع مبعوثهم من قتل نبوخذ نصَّر أو بختنصر صغيرا. فقد زعموا أن جبريل عليه السلام أعلم أحد أنبيائهم أن نبوخذ نصَّر سيخرب بيت المقدس، وكان نبوخذ نصَّر وقتذاك صغيرا. فبعثوا أحدهم ليقتله، فاعترضه جبريل وأقنعه بالحجة أنه لم يأت ما يقتل به، فرجع مبعوثهم دون أن يقتله، ثم إن نبوخذ نصَّر كبر ونما وملك حكم بابل وكان منه أن غزا مملكتهم وخرَّب بيت المقدس. فنزلت الآية الشريفة بأمره تعالى إلى رسوله ﷺ أن يقول لهم «من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك» بمعنى أن من كان عدوا لجبريل فإنه يكون عدوا لله، ويجىء بيان سبب كونه عدوا لله فى قوله تعالى «فإنه نزَّله على قلبك» ذلك أن من يعادى جبريل إنما يعادى الملك الرسول الذى نزل على رسول الله بالقرآن وحيًا من عند الله، ولما

كان القرآن مصدقا لما معه من الكتاب فإنه يكون قد كفر بكتابه فحقَّ فيه أن يكون عدوا لله.
وجاء ذكر نزول جبريل بالقرآن على قلب رسول الله ﷺ لقبوله ﷺ الوحى بقلبه، ولبيان أنه سبحانه وتعالى قد جعل قلب رسوله الكريم ﷺ صفته القرآن خلقا وأدبا. وتذكر الآية ما يفيد أن نزول جبريل على رسول الله ﷺ لم يكن فعله هو من ذاته وإنما كان بأمر الله وبعلمه «بإذن الله» لزيادة فى إيضاح علَّة اعتبار من عادى جبريل لنزوله بالوحى على رسول الله ﷺ عدوا لله.
ثم تصف الآية ما كان جبريل ينزل به على رسول الله ﷺ - أى القرآن - بأنه مصدق للكتب التى أنزلها الله من قبل وهى التوراة والإنجيل، حال كونه هدى وبشرى للمؤمنين، فهو لمن فتح الله قلبه للإيمان سبيل الاهتداء إلى الطريق المستقيم، وهو البشرى له بالنعيم فى الآخرة والخلود فى الجنة.

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾

أولا: الأسماء والأعلام:

١ - عدو الله: فى قوله تعالى «من كان عدوا لله» هو من يخالف أوامره ولا يقوم بطاعته سبحانه وتعالى، وقيل هو من يعادى أولياءه.

٢ - ميكال: اسم علم أعجمى، وقيل عربى لأنه لفظ نزل به جبريل بلسان عربى مبين، وقد يكون الصحيح أنه أعجمى الأصل جرى النطق به واستعماله على ألسنة العرب حتى ألفوه وصار كاللفظ العربى. مثل «البنان»، ومثل «قسورة». وميكال وينطق ميكاييل وميكائيل هو الملاك الموكل بالخصب والمطر والراجح فى اللفظ أنه عبرى مكوّن من «ميكا» بمعنى مملوك، و«إيل» وهو اسم من أسماء الله لدى اليهود، فيكون معناه مملوك الله أو عبد الله.

٣ ـ عدو الكافرين : فى قولـه تعالى ﴿ فإن الله عدو للكـافرين﴾ ، معاداة الله للعبـد هى تعذيبه،أو سخطه المستوجب أشد العذاب.

ثانيا : التفســـير:

يقول المولـى سبحانه وتعالـى إن من يعصاه ولا يقوم بطـاعته أو من يعادى أوليـاءه ـ وهو الموصوف بأنـه عدو لله ـ ويكون منه أنه يعـادى ملائكته ورسله فيتمنى فى نفسـه الضرر لهم وإن كان لا يقدر على الإضرار بهم ،ويعادى جيريل وميكال ـ وقد ذكرهما سبحانه وتعالى فى الآية من بعد ذكر ملائكتـه سبحانه وتعالى لأن اليهود ذكروهما فقالا عن جبـريل أنه عدوهم، وقالـوا عن ميكال إنـه للخصب والنمـاء، أو لتشريفهما ــ فإن الله يكون عـدوا له بمعنـى أنه سبحانه وتعالى يسخط عليه بما يستوجب تعذيبه. وقد وصف الله من يعصاه ويعادى ملائكته بالكفر للتدليل علـى أن معاداة الملائكة فى عمومهم أو معاداة مـن ذكر منهم بالتخصيص مع دخولهم فى عموم الملائكة يعتبر كفرا يستوجب سخط الله وعذابه.

وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **الآيات** : جمع آية ، وهى الأدلة الدالة بنفسهـا، وهى المعجزات. والمراد بها فى الآية هو القرآن بما تضمن مـن إخبار بالغيب تحقق كما أخبر به مثل الإخبـار عن انتصار الروم على الفرس، ومثل الإخبـار عن عدم إيمان أبـى لهب ولو نفاقا بـاللسان، ومن خبر الأمـم السابقة ، ومن الشريعة الكاملة التى تنظم جميع شئون الحياة.

٢ ــ **الفاسقـون**: جمـع فاسـق ، وهـو الخارج عـن الحـدود، والمراد بهـم فـى الآية هـو المتمردون فى الكفر المتمادون فيه فيأتون أعمالا لا يأتيها غيرهم من الكافرين.

ثانيا : التفســـــير :

نزلت هذه الآيـة بمناسبة قول ابن صوريـة اليهودى لرسول الله ﷺ « ماجئتنا بشـىء نعرفه، وما أنزل عليـك من آيات فنتبعك»، وجـاءت الآية معطوفة على قـوله تعالى « قـل من كان عدوا لجبريل » بما يدل علـى أنه ومن يرون رأيه أويقولون قوله من الكـافرين، وترد الآية على قوله بإثبات أن القرآن الذى أنزله الله على رسـوله الكريم ﷺ هو الآيات البينات بمعنى الأدلة الواضحـة والحجج الدامغـة لتضمنه الإعلام بما كـان من أمر الأمـم السابقة . والإخبـارعن المقبل مـن الأحداث ما سيقـع منها ومـا لن يقع مـع القدرة على إحـداثه ، وتضمنـه أحكام الشريعـة التى تنظم جميع شئـون الحياة فى المجتمعات . وتختـم الآية بقوله تعـالى **﴿وما يكفربها إلاالفـاسقون﴾** لبيان أن من لا يـرى فى القرآن العظيم الـدليل الكامل علـى صدق رسول الله ﷺ هو الفاسق من بين الكفرة ، فلا ينكر القـرآن كتابا منزلا من الله غير معتبر بما فيه وهى المعجزات التى لا يأتى بها الخلق إلاعتاة الكفـار الذين تمادوا فى كفرهم حتى أنه لا يبلغ شأوهم فيه سائر الكافرين .

﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٠ ﴾

أولا : الأســـماء :

العهد : فى قولـه تعالى « أو كلما عـاهدوا عهدا» قيل إنه عهـد اليهود بقولهم ـــ قبل بعثة رسول الله ـ «إن خرج هذا النبى لنؤمنن به . ولنكونـن معه على مشركى العرب، وقيل إنه عهد عـاهده اليهـود رسول الله ﷺ ثـم نقضوه. والـرأى عندنـا أنه قـد يكون العهـد المستفاد مـن إيمانهم بالتوراة، فعلى ما سبق القول فإنـه جاء بسفر من التوراة أن الله أمر موسى عليه السلام أن يجمع بنى إسرائيل ليعلمهم ما أمره الله أن يعلمهـم من شأن الكتاب، فكان مما قال إن الله يبعث مـن إخوة بنـى إسرائيل نبيـا أى إنه يبعـث نبيا مـن أبناء إسماعيـل عليه السـلام أخى

إسحاق عليه السلام، وقال إن هـذا النبى مماثل موسى عليه السلام، ويمـاثل رسول الله ﷺ موسى عليه السلام فى كون كل منهما سليل عائلـة قامت على خدمة بيت الله، وفى أن حرفة كل منهما قبل البعثة كانت الرعى ، وفى أن كـلا منهما تزوج بأكثر من واحدة، وفى اشتراك أم كل منهمـا وأبيه فى جـد واحد، وفى أن كـلا منهما كـان رجل حرب. ثـم أوضح موسـى عليه السلام أن الله يضع فـى فم هذا النبى كلامه فيخبـر به شفاهة ، بمعنى أنه يكـون أميًّا لا يكتب فينقل ما يوحـى إليه من ربه إلى الناس شفاهة ، ثـم قال موسى إنه يطلب كل مـا لا يؤمن به بمعنى أنـه يطلب عذابه لكفـره ؛ولذلك فإن كـل مؤمن بالتـوراة يكون قد أعطى مـوسى أو أعطى الله الذى نقل موسى قوله لبنى إسرائيل أن يؤمن بهذا النبى إذا ما بعث.

ثانيا: التفسير:

قيل إن هذه الآية نزلـت فى ملك بن الصيف اليهودى لقوله « والله مـا أخذ علينا عهد فى كتابنا أن نؤمن بمحمـد ﷺ ولا ميثاق»، وقيل إنها نزلت فى اليهود لتعهـدهم أن إذا ظهر النبى المبشَّر به فى التوراة أن يؤمنوا به ويكونوا معـه على مشركى العرب، أو لمعاهدتهم رسول الله ﷺ عهدا نقضوه فيمـا بعد ، فجاء قولـه تعالى ﴿**أو كلما عاهـدوا عهدا نبذه فريـق منهم**﴾ ، والواو ـ فى «أو كلما» هى واو العطف ، والهمزة فيها لـلإنكار فيكون المعنى أنه ما كان ينبغى أن يكون مـن بعد قطعهم العهـد أن ينبذهـا فريق منهـم، والمقصود بالنبـذ هو إطـراح العهد ونسيانـه أو تناسيه، وتوضـح الآية الشريفة أن نـابذى العهد هـم بعض بنى إسرائيـل وليس جميعهم وهـم المعبَّر عنهم بـأنهم « فريـق منهم » أى جمـاعة من اليهـود ، ثم توضـح الآية الشريفة أن أكثر اليهود ـ وهم نابذو العهد ـ غير مؤمنين

وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **رسول من عند الله** : هو محمد ﷺ، وقيل هو عيسى عليه السلام، ووصفه بأنه من عند

الله لإفادة تعظيمه لكون قدر الرسول متعلقا بقدر مرسله.

٢ ـ **الكتاب:** فى قوله تعالى «نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب **كتاب الله**» **هو التوراة على** الراجح وقيل إن المراد بـ « كتاب الله» هو القرآن .

ثانيا : التفسير:

ينكر المولى سبحانه وتعالى فعلهم الذى تصفه الآية الشريفة على ما يستفاد من عطف جملة الآية على جملة الآية السابقة التى جاءت فيها الهمزة للإنكار، أما فعلهم الموصوف فهو ما كان منهم عندما جاءهم رسول الله ﷺ يدعوهم للإيمان ، وقد وصفه الله بأنه رسول من عند الله لإفادة تعظيمه لكونه رسول العظيم الفرد الصمد ، وهو المعتبر مجيئه تصديقا للتوراة التى معهم لمجيئه على النحو الموصوف أن يأتى عليه فى التوراة، ولأنه أخبر عن التوراة أنها كتاب الله فكان خبره تصديقا لها. وقد كان منهم أن فريقا من الذين أوتوا الكتاب نبذوه وراء ظهورهم « نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم »، ويبين من وصفه سبحانه وتعالى نابذى الكتاب بأنهم الذين أوتوه أنهم علماء بنى إسرائيل أو العالمين بالتوراة على ما يستفاد من لفظ « أوتوا » لأنه يعنى « أوتوا علم الكتاب » ويدعم هذا أنه سبحانه وتعالى لم يقل « فريق منهم » ، ويبين من إعادة وصف الكتاب الذى نبذوه بأنه « كتاب الله » أن المراد به زيادة مذمتهم لأن نبذهم إياه إنما كان من بعد أن اعترفوا بحقيته وآمنوا به ، ولأن نبذه إنما كان لمجيء الرسول المبشَّر به فيه ، فدلَّ على أن نبذه إنما كان للمكابرة والعناد وحسدا لرسول الله ﷺ أن بعثه الله رسولا نبيا. وقد جاء التعبير عن إطراحهم التوراة وعدم الأخذ بها بأنه نبذها وراء ظهورهم للتعبير عن إعراضهم عنها، ذلك أن من يرمى شيئا وراء ظهره إنما يكون لعدم اهتمامه به، ويجيء قوله تعالى «كأنهم لا يعلمون» واصفا أو معينا حال نابذى التوراة أو ملقينها ـ على التشبيه ـ وراء ظهورهم ، وهو أنهم يشابهون حال من لا يعلم أنها من عند الله .

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

أولا : الأسـماء والأعلام :

١ ـ مُلْـك : فى قوله تعالى «مُلك سليمان» هو مملكته .

والمراد به ـ فى الآية ـ كرسى سليمـان، قيل إن نبى الله سليمان قذف تحته أو دفن ما حفظ الناس ودوَّنـوا مما نقله إليهم الشيـاطين الذيـن كانوا يسترقون السمع من السمـاء ويضيفون إليـه، وأنه بعد موت سليمـان أخرجه شيطان فإذا هو سحر تناسخت الناس صحفه وتوزع فى الأمم.

وقيل إن سليمان إنما دفن تحت كرسيه كثيرا من العلوم التى اختصَّه الله بهـا، ثم إن أناسا كتبوا أشياء مـن السحر وأهموا الناس أنها مـن علم سليمان؛ وقيل هو مصلـى سليمان دفنت الشياطين تحتـه ما كتبته من السحر، فلما مـات سليمان استخرجته الشياطين وقـالت للناس

«إنما ملككم بهذا فتعلَّموه» فرفض العلماء تعلمه وتعلمته السفلة. وقيل إن المراد به هو عهد سليمان وزمنه بمعنى «فى زمن ملك سليمان» .

٢ ـ سليمان: اسم علم أعجمى. هو سليمان بن داود بن يسَّى خلف أباه نبىَّ الله داود فى الملك فملك إسرائيل، كانت أمه «بتشبع بنت اليعام» زوجا لأوريا الحثِّى فلما توفى فى الحرب تزوجها داود عليه السلام وأنجب منها سليمان.

وقد افترت اليهود على نبىِّ الله داود فزعمت أنه شاهدها من سطح داره تستحم فأخذه جمالها، وكانت زوجا لأحد ضباط جيشه فأرسل لقائد الجيش أن يضعه فى أخطر مكان، فقُتل فتزوج داود امرأته.

٣ ـ السحر : مصدر الفعل «سحر يسحر» وهو كل أمر غريب يبدو خارقا للمألوف، يمكن تعلمه ويمارس بعدَّة وسائل منها التقرب إلى الشياطين بالأقوال المتضمنة مدحهم فى ألفاظ تكاد ترقى إلى الشرك بالله، ومنها كتابة الطلاسم تأسيسا على دراسة خصائص الأفلاك ومساراتها، ومنها ما تتطلب ممارسته من فاعلة التزام الجنابة واستخدام النجاسات. ويرى البعض ومنهم المعتزلة أنه مجرد تخييل .

٤ ـ الملكان : فى قوله تعالى «وما أنزل على الملكين» هما ملكان أنزلهما الله إلى الأرض فى زمن بعيد قيل إنه زمن إدريس عليه السلام، ليعلما الناس السحر ابتلاءً من الله واختبارا، فمن تعلمه وعمل به كفر، ومن تعلمه وتوقَّى العمل به ظل على الإيمان.

وقيل إن ابتلاء الناس بتعليم السحر إنما كان لأن السحرة فى ذلك الزمان أتوا بأمور عجيبة فاختلط الأمر على الناس فلم يميزوا بين سحر الساحر ومعجزة النبى، فأرسل الله الملكين لتعليم الناس السحر فيعرف الناس الفرق بينه وبين المعجزة.

ويتناقل الناس منذ زمن بعيد رواية فحواها أن الملائكة تعجبت من عصيان بنى آدم أوامر ربهم وقالوا لو كنا مكانهم ما فعلنا فعالهم فطلب منهم سبحانه وتعالى اختيار اثنين منهما ليهبطا إلى الأرض فاختاروا، فأنزلهما الله إلى الأرض فى هيئة البشر وألقى فيهما الغريزة الجنسية، فشاهدا امرأة جميلة اسمها زُهرة فافتتنوا بها وراوداها عن نفسها فامتنعت إلا أن

يعبدا صنما أو يقتلا نفسا أو يشـربا خمرا، فاختارا شرب الخمر فمكنت كـلاً منهما من نفسها فزنيا بها، فشـاهدهما رجل، فقتلاه، فخيروا بيـن عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فـاختاروا عذاب الدنيا فهمـا إلى الآن يعذبان فيهـا، أما المرأة وكانـت قد تعلمت منهما الصعـود إلى السماء فإنها مسخت فصارت كـوكب الزهرة المعروف. يتناقل الناس هذه الـرواية فى شأن الملكين، رغم أن كلا من النص القرآنى والعلم يكذبها.

فالمقـرر بالنـص القرآنـى أن الملائكة معصـومون مـن ارتكاب الخطيئـة، فيقول المـولى سبحانه وتعـالى فيهم «لا يعصون الله ما أمرهـم ويفعلون ما يؤمرون»، ويقـول «يسبحون الليل والنهار لا يفترون».

والمحقق فى العلم أن «الـزهرة» وهى أحد كواكب المجموعـة الشمسية نشأت ذات نشأة الأرض وسائر كـواكب المجموعة الشمسيـة وكان وجودهـا قبل أن تكون على كـوكب الأرض حياة بشرية بملايين السنين.

٥ ـ بابـــل: هـى العراق، وقيـل المكـان مـن نصيبين إلـى رأس العيـن وقيـل إنها بلـد بالمغـرب، والرأى أنهـا العراق أو جـزء منها علـى ما يثبتـه التاريـخ، وقد كـان بختنصر أحـد ملوكهـا، كما كان حمورابـى صاحب المجمـوعة القانـونية المعروفة بقـانون حمورابـى أحد ملوكها. وقد سميـت «بابل» ـ على ما جـاء في العهد القديم ـ لأن الله بلبـل فيها ألسنة الناس بعد طـوفان نوح عليه السـلام، فأخذ كل جمـع منهم يتكلم لغـة واحدة يتجه إلى مكـان من الأرض، فكان تـوزع الناس فى العالـم أمما لكل منها لغـة تختلف عن لغة الأخـرى. وقيل إن تبلبل الألسنة كان عند سقوط صرح نمرود.

وقيل إن ريحا هبَّت مـن الجهات الأربع جمعت الناس قسرا فى مكان بـابل، فنادى منادٍ «من جعل المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره، واقتصـد إلى البيت الحرام بوجهه فله كلام أهل السماء فقـام يعرب بن قطحان، فقيل «يا يعـرب بن قحطان بن هود أنت هـو»، ثـم جعل المنادى ينـادى «من فعل كـذا وكذا فلـه كذا» فيقوم مـن يقوم حتى افتـرق الناس علـى اثنين وسبعين لسانا، فتبلبلت الألسن فسميت «بابل».

٦ ـ هـــــاروت وماروت: اسما الملكيـن، وتقول الرواية المتنـاقلة إن اسمى الملكيـن قبل مقارفتهما الذنب كانا «عزا» و «عزايا».

وقيل إن «هاروت وماروت» اسمـا شيطانين كانا يعلمان النـاس السحر، وإن الملكين لم يعلما الناس السحر وإنما ادَّعى اليهود عليهما ذلك والملكان هما جبرائيل وميكائيل .

٧ ـ فتنـــة : الفتنة هى الاختبار والامتحان، فقد كان تعليم الناس السحر اختبارا لهم لمعرفة من يبقى على إيمانه فلا يمارسه ومن ينقلب كافرا بممارسته .

٨ ـ المـــرء : هو الرجل، ومؤنثه المرأة .

٩ ـ إذن الله : المراد بـه فى الآية التخليـة بين المسحور وضـرر السحر، ويبين منـه نفى أن يكون السحـر فى حد ذاته مـؤثرا بنفسه، إذ يكون سببـا للتأثير لا يـؤتى نتيجته إلا بالتخليـة بينه وبين المسحـور، والمعنى أنـه إذا شاء الله حـال بين السحـر وبين المسحـور أو أخلى أفعـال السحر من آثارها .

١٠ ـ ما يضـــر : فى قـوله تعالى «مـا يضرهم»، هو السحـر يكون ضررا على مـن يتعلمه ويعمل بـه فى الآخـرة لتعذيبه بـه، وقيل يكون ضـررا عليه فـى الدنيا والآخـرة لأنه يـؤدب به ويعاقب فى الدنيا فضلا عن عذابه به فى الآخرة.

١١ ـ من اشـــتراه : فى قوله تعالى «لمن اشتراه» هو مـن استبدل كلام الشياطين وما يتلونه بكتاب الله .

١٢ ـ خـــلاق : الخلاق هو النصيب، ومن ليس له نصيب فى الآخرة هو من خسـرها.

ثانيا : التفسير:

تتحـدث الآية الشـريفـة عن فـريـق من الـذيـن أوتـوا الكتاب، فـالضميـر المتَّصل فـى «واتبعـــوا» يعـود على اليهود الذين كانوا فـى زمن سليمان عليه السلام، أو الذيـن كانوا فى زمـن رسول الله ﷺ أو علـى هـؤلاء وهـؤلاء فتقول إنهـم قـد أقبلوا بكلِّيتهـم علـى مـا كانـت الشياطين ـ وهى مـردة الجن ـ تقرأه وتتلوه زمن نبى الله سليمان عليـه السلام من السحر الذى

كان سليمـان عليه السـلام قد دفنه تحـت كرسيـه، فيما روى مـن أن الشياطين الـذين كـانوا يصعدون إلى السماء يسترقون السمع كانوا يسطـرون ما يسمعون ويضيفون إليه من عندياتهم الكثير ليكون سحرا.

فلما أعلم الله به سليمان عليـه السلام أخذه وقذف به تحت كرسيه، فلمـا مات استخرجه أحد الشيـاطين فـوجده السحـر، تعلَّمه النـاس ممَّا استخـرجه هـذا الشـيطان وتنـاسخته الأمـم، ثم إن هذا الشيطان قال للناس «هـذا هو السحر الذى ملككم به سليمان، والذى به سُخِّرت الريح والطيـر له، فجاء قوله تعالـى «وما كفر سليمان» نافيا عـن سليمان عليه السلام تهمة مقارفة السحر لأن ممارسة السحر كفر.

وفى قوله تعـالى هذا رد على ما كان اليهـود يردِّدونه زمن رسول الله ﷺ، فقد كـانوا يقولون «انظروا إلى محمد يخلط الحـق بالباطل، يذكر سليمان مع الأنبياء، وإنما كـان ساحرا يركب الريح» فجـاءت الآية الشريفة مبرئة سليمـان عليه السلام مما كـانوا يتهمونه به مـن ممارسة السحر الذى لا يمارسه إلا كافر.

وتستطرد عبارة الآية قـائلة «ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحـر» وقد جاء وصف الشياطين بالكفر بالفعل «كفروا» لبيان أن ذلك الكفر إنما كان فوق ما هم عليه من الكفر، لأن فيه كفر من يلجأ إليهـم بالسحر فيعينونه عليه، وذلك لما يقتضيه تعلُّمـه وممارسته من التقرب إلى الشياطين ومدحهـم بما يكاد يكون شركا بالله، كما أن تعليم الشيـاطين الناس الكفر إنما يكون بتعليمهم السحـر للإغواء والإضلال أو لـلإضرار بخلق الله فيكون مستهـدفا عصيان الله فيكون فعلهم فعل كفر؛ ولهذا قال كثيرون «إن العلـم بالسحر ليس محظورا ولا قبيحا فى ذاته، لأن العلم فى ذاته شـريف لعموم قوله تعالـى «هل يستوى الذين يعلمون والـذين لا يعلمون» وإنما المحظـور والقبيح هو ممـارسته، ورأى آخرون تحـريمه وحظـره من باب سـدِّ الذرائع.
وبعد ذكر الآية فعل الشياطين وهو تعليم النـاس السحر تقول عبارتها «وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت».

والمراد بـالملكين هاروت ومـاروت الملكان اللـذان أنزلهما الله فـى قديم الـزمان ليعـرِّفا الناس الفرق بيـن معجزات الأنبياء وبين سحر السحرة بعـد أن أتى سحرة ذلك الزمـان بأمور عجيبة خلـط الناس بينهـا وبين معجـزات الأنبياء فـأنزل الله الملكيـن لتعليم النـاس وسائل السحر ونتائجه ليتمكنوا من التفرقة ـ عن علم ـ بين المعجزات التى يؤيد الله بها رسله وأنبياءه وبين السحر، وقد كان نزول الملكين وتعليمهما الناس السحـر فى بابل، وهى ـ على الراجح ـ العراق أو المكان من نصيبيـن إلى رأس العين. وتبين الآية الشريفـة أن تعليم الملكين الناس السحر لم يكـن بقصد استعماله، ولـذلك فإنهما مـا كان يعلمان أحدا السحـر حتى ينصحاه بقولهما «إنما نحن فتنـة فلا تكفر» أى إنهما يُعلمانه أن فى تعلُّمه السحـر اختبارا له وامتحانا ليرى الله اختيـاره هل يكـون الثبات على الإيمـان فلا يستخدم السحـر ولا يلجأ إليـه أم يكون الكفر بالاعتقاد فيه واستعماله واستخدامه. ويجىء قولهما له «فلا تكفر» متضمنا النصيحة فى صيغة النهى عن ممـارسة السحر، ومبيِّنا أن السحر كفرٌ يستـوجب المعاقبة بعقوبة الكـافر. ثم تبيِّن الآية الشريفة ما يكون من أمر الناس مع هـذين الملكين بقوله تعالى «فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه» فتبيِّن أن الناس كانوا يتعلمون من هذين الملكين من السحر شيئا يزيل ـ بطريـق السببية ـ الألفة والمحبة بين الزوجين فيقع بينهمـا الفراق، وقد استدلَّ البعض بهذا القـول على أن أثـر السحر محصور فـى مجال إيقـاع الفرقة بيـن الأزواج من بعـد النفور والبغضاء، وهذا غير صحيح لأن قوله تعالى ـ بعد ذلـك ـ «وما هم بضارين به من أحد» يفيد عدم تحديد صـور الضرر الذى قد يترتب علـى السحر. ومفاد قوله تعالـى هذا أن السحرة لن يضروا بسحرهـم أحدا إلا بتخلية الله بينهم أو بين سحـرهم وبين المسحور، فهـو إذا شاء حال بين سحـرهم وبيـن المسحور، و إذا شـاء تركـه وما أودعه فيـه من قـوة. ويجىء قـوله تعـالى «ويتعلمون ما يضـرهـم ولا ينفعهـم» لبيان أن من تعلـم السحر بقصد العمل به يكـون قد قصد المعصية فيكون تعلمه السحر ـ فى حد ذاته ـ معصيـة يؤاخذ عليها ويعاقب، فيكون قد تعلَّم ما يضرُّه، وقـوله تعالى «ولا ينفعهم» يفيد أن تعلـم السحر بقصد استعماله ضـررٌ محض، وأنه

ليس من قبيل الأعمال التى قد تجمع بين الخير - وإن قَلّ - وبين النفع، ويتمثل الضرر فى تعذيبهم به فى الآخرة عذاب الكافرين وفى تأديبهم فى الدنيا ومعاقبتهم بعقوبة مقارفة السحر التى قد تبلغ حد القتل قصاصا إذا ترتب عليه قتل قصده الساحر بسحره، أو تعزيرا على ما يراه البعض من كون القتل عقوبة الساحر. ويجيء بعد ذلك قوله تعالى «ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق» مقررا وجود العقل الذى يعلم ويدرك فيميز بين الكفر والإيمان لدى اليهود الذين كانوا على عهد سليمان عليه السلام، أو لدى الذين تعلموا السحر بقصد استعماله، ومن شأنه أن يكونوا عالمين أن من يستبدل السحر وما تتلو الشياطين بكتاب الله أنه لا يكون له فى الآخرة نصيب، والذى ليس له فى الآخرة نصيب هو المحروم من رحمة الله المعذب فى النار خالدا. وتختتم الآية الشريفة بقوله تعالى «ولبئس ما شروْا به أنفسهم لو كانوا يعلمون» وهو ذم لهؤلاء الذين باعوا أنفسهم السحر والكفر، وقوله تعالى «لو كانوا يعلمون» مفاده أنهم لم يعلموا أن فعلهم داخلٌ فيما علموا من قبل أنه كفر، فلا تعارض بين نفى العلم عنهم فى هذا الموضع من الآية وبين إثباته لهم من قبل، لأن علمهم السابق كان بعموم ما يعتبر من قبيل المقبوح المستوجب عذاب الآخرة، أما عدم علمهم فيتعلق بفعلهم على وجه الخصوص، فهم لم يعلموا أنه يدخل فى جملة المقبوح المذموم المستوجب عذاب الآخرة.

وجدير بالذكر - فى هذا المقام - أن نشير إلى رأى فى تفسير الآية يستمد مصدره من آراء المعتزلة، فهو يرى أن الشياطين المذكورين فى الآية هم شياطين الإنس وليس الجن، وأن المراد بهم علماء بنى إسرائيل الذين تعلموا السحر وعلّموه الناس وأن الملكين لم يعلما الناس السحر، وأن «ما» فى قوله تعالى «وما يعلمان من أحد» هى ما النافية فيكون المعنى أنهما «لم يعلما أحدا من الناس السحر»، وأن «حتى» جاءت للسببية، فيكون المعنى «إنهما لما كانا لم يعلما أحدا السحر، فلذلك لم يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر»، ويكفى لإثبات عدم صحة هذا التفسير إدراك إثبات الله سبحانه وتعالى تعلم الناس من الملكين من السحر ما

يفرقون به بين المرء وزوجه «فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه».

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ مثـــوبة : فى قوله تعـالى «لمثوبة من عند الله» هى الثواب، وفـى نسبة **المثوبة لله، أو** فى إثبات أنها من عنده سبحانه وتعالى إفادة الخيرية فيها بالضرورة .

٢ ـ خيـــر : الخير ضد الضر، والمراد بـه فى الآية مزيد من الخير فى **المثـوبة، وهو ما قد** يكون لدوامها وثباتها .

ثانيا : التفســـــير:

يقول سبحانـه وتعالى إنه لو أن هؤلاء الـذين شروا أنفسهم آمنوا **برسـول الله ﷺ أو بالتوراة** واتقوا ارتكاب المعـاصى التى سبق ذكرها لكـان ذلك خيرا **لهم ممَّا شروا بـه أنفسهم، وذلك** لأن إيمانهم كان سيجلب عليهم ثوابا مـن عند الله، وجاء **بيان أن الثواب هو بعض ثواب الله ـ** على ما يستدل عليه من قوله تعالى «من عند الله» ـ لبيان أن القليل منه **فى الآخرة الدائمة خير** من الثواب الكثير فى الدنيا الفانية.

وجاءت إثبات الخيرية فى ثواب الله «خير» رغم أنها **مستفادة من كون الثـــواب من عند** الله لإفادة دوام المثوبة وعـدم انقطاعها لأبدية الحياة الآخـــرى. **ومعنى قوله تعـــالى «لو** كان يعلمـون» أنهم لـو كانـوا يعلمون ذلـك لآمنوا ولـم يفعلوا مـا **فعلوا، ومفـــاده أنهـم لم** يؤمنـــوا .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤﴾

التفســـــير:

الخطاب فـى الآية مـوجَّه من الله سبحـانه وتعـالى إلـى المسلمين فى صـورة نهى ـــ فى المبتدأ ـ عن مخاطبتهم رسول الله ﷺ طالبين منـه الالتفات إليهم بقولهم «راعنا»، وذلك لما فيها مـن جفاء، وذلـك لأن «المراعـاة» تكون مـن اثنين فيكـون معناهـا «ارعنا، ولنـرعك» أو «احفظنا، ولنحفظك»، ومثل هذا لايليق بمخاطبة رسـول الله ﷺ. كذلك كان من أسباب هذا النهى أنه لمـا سمع اليهود من المسلميـن قولهم لرسـول الله ﷺ «راعنا» فإنهم خـاطبوه عليه الصلاة والسلام بنفس اللفظ علنا متضاحكين فيمـا بينهم، وذلك لأن معناه فى لغتهم «اسمع لاسمعت» وهو سبٌّ ودعاء بالصمم، وقد سمعها منهم سعد بن معاذ وكان يعرف لغتهم فقال لهم «عليكم لعنة الله، لئن سمعتها من رجل منكم يقـولها للنبى ﷺ لأضربنَّ عنقه «فقالوا له» «أولستم تقولونها؟»، فنـزلت الآية تنهى المسلمين فى مبتدئها عـن قول «راعنا» حتى لايكون فى ذلـك مبرر يحتج به اليهـود لقولها لـرسول الله ﷺ. ثم يجـىء قوله تعالـى «وقولوا انظـرنا واسمعـوا» متضمنا أمـرا بأن يكـون خطابهـم الـرسول ﷺ لـدى طلبهم منـه الالتفات إليهـم بقولهـم «انظرنا» أى انظر إلينا أو تفكر فى أمرنـا، ومتضمِّنا أيضا أمرا أن يسمعوا ما نهاهم عنه وما أمرهم به سماع قلبٍ خالٍ من الشواغل مقبـلٍ على الطاعة فيكون منه تنفيذ ما أمر به، وفى هذا تعريـض باليهود الذين قـالوا «سمعنا وعصينا». وقوله تعـالى فى ختام الآية «وللكـافرين عذاب أليم» يتعلـقَ بالذين استهانـوا برسول الله ﷺ من اليهـود فقالوا له «راعنا» فهـو موضح أنهـم لهم العـذاب الأليم لاستهـانتهـم برسـول الله ﷺ فوق عـذابهـم بكفرهـم، وفيه إعـلام لغيـــرهم بأن التهاون برسول الله ﷺ يوجـب أليم العذاب ليكون الامتثال لما سبـق من نهيه وأمره جلَّ وعلا .

﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **الذين كفـروا من أهل الكتاب** : هم الذيـن حسدوا المسلمين على نـزول القرآن على نبيهم أو الـذين حسـدوا رسول الله ﷺ أن آتـاه الله القرآن واختصَّـه برسـالته وهـو من غيـر بنى إسرائيل، والمـراد بهم اليهود فهم الفئة الأولى مـن الفئتين اللتين ذكرهما النص القـرآنى مبينا أنهم لايتمنون أن ينزل على المسلمين خير من ربهم، وقيل هم جمع من اليهود كانوا يظهرون الودَّ للمسلمين ويزعمون أنهم يحبون لهم الخير.

٢ ـ **المشركون** : هم الذين يؤمنون بإلٰه غير الله أو معه.

٣ ـ **خيــر** : الخير ضد الشر، وقيل إن المراد به ـ فى الآية ـ هو الوحى أو القرآن، أو النصرة، وقيل هو ما اختصَّ به الله رسوله ﷺ من المزايا. وقيل هو الخير بجميع صوره وأشكاله.

٤ ـ **الرحمة** : فى قولـه تعالى «والله يختص برحمتـه»، المراد بها ـ فى الآيـة ـ ذات الخير بمعانيه المذكورة آنفا .

ثانيا : التفســــير:

يبين معنى قوله تعالى فى الآية الشريفة مـن معرفة أسباب نزولها، ذلك أن المسلمين قالوا لمن حالفـوا من اليهود «آمنوا بمحمد ﷺ»، فقال لهـم اليهود: «وددنا لو كان خيـرا مما نحن عليه فنتبعـه»، فنزل قـوله تعالـى مكذبا إيـاهم، والآيـة تخاطب المســـلمين فتعلمهم أن

اليهــود ــ وهم من أهل الكتاب ـ لايتمنـون للمسلمين ولا لرسول الله ﷺ أن ينالهــم خير من ربهم، وذلك لحسدهم رسول الله ﷺ أن اختاره الله لرسالته وهو العربى ليس من بنى إسرائيل، والذى هو مـن أبناء إسماعيل عليـه السلام وليس من أبنـاء يعقوب. والحاسد لا يتمنـى خيرا للمحسود، وأضاف سبحـانه وتعالى المشـركين إلى الكافريـن من أهل الكتاب فـى خاصية عدم تمنِّى الخير للمسلمين ليعلم المسلمـون أن ذوى قرباهـم من مشركى العـرب لا يحبون لهم الخير، وحكم الله فى هـذا قائم أبد الدهر فلا يودُّ اليهود ولا المشـركون أن ينال المسلمين خيرٌ من ربهم. وإذا كـان للخير الذى كره هؤلاء وهؤلاء أن ينزل علـى المسلمين معنى خاص فى عهد رسول الله ﷺ هو الـوحى أو القرآن فإنه يكون عموم الخير فيما أعقـب هذا من الزمان إلى أبد الدهر، وجاء تعبيـر النص القرآنى عن الخير بقوله تعالى «مـن خير من ربكم» للتدايل على أن بعـض الخير من الله كثيـر، ولتشريـف المسلمين المخاطبيـن بالنص بـالإضافـة إلى ضمير المخـاطبين «ربكـم»، وتختتم الآيـة بقولـه تعالـى «والله ذو الفضل العظيـم» لتذكيـر الكارهين الحـاسدين بوجـوب انتهائهم عن حسـد المسلمين لأنه المتفضل بمـا يتفضَّل به على من يشاء من عباده.

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ آيـــــة : المراد بها الآية من آيات القرآن، أو بعضها، أو الجزء منها .

٢ ـ خيـــر : فى قولـه تعالى «بخير منها» بمعنـى أنفع منها للعباد أو أكثر مـلاءمة لظروف الحال المتغيرة. وقيل إنه ليس المراد بها تفضيـل آية على آية لأن كلام الله لا يتفاضل، وإنما المراد بها المماثلة بدلالة قوله تعالى «أو مثلها».

ثانيا : التفســـير :

نزلت هذه الآية عنـدما اتهم اليهود محمدا ﷺ ـ حسدا من أنفسهم ــ أنه يقول القرآن من

عنده وينسبه لله مستدلين بذلك على ما كان من نسخ بعض آياته فقالوا «ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه، ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا، ما هذا القرآن إلا كلام محمد يقوله من تلقاء نفسه، وهو كلام يناقض بعضه بعضا». فنزلت الآية تردُّ عليهم وتبين حكمة النسخ والإنساء، وقوله تعالى «ما ننسخ من آية أو ننسها» يعنى «إن ننسخ آية أو ننسها» لأن «ما» ـ فى عبارة الآية ـ شرطية جازمة، والمقصود بنسخه تعالى آية ما ـ على ما يستفاد من معنى النسخ فى اللغة، وما وقع من نسخ فى القرآن ـ أنه سبحانه وتعالى يزيل عبارتها فلا تقرأ ولا يتعبَّد بها، وإن جاز أن يبقى حكمها ساريا مثل آية «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما نكالا من الله والله عزيز حكيم»، وقد يكون مع إزالة عبارتها إلغاء الحكم الذى تضمنته مثل آية «عشر رضعات معلومات يحرمن»، ونسخ عبارة الآية ـ فى الحالين يوافق معنى النسخ ـ فى اللغة ـ أنه الإزالة. أو إنه سبحانه وتعالى يزيل حكم الآية فلا يعود ساريا ويبقى عبارتها ولفظها فتتلى ويتعبَّد بها مثل قوله تعالى «والذين يتوفَّون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج»، والنسخ فى هذه الحالة يوافق معنى «النسخ» فى اللغة أنه إزالة الصورة أو ما فى حكمها عن الشيء وإثبات مثل ذلك فى غيره. والمقصود بإنسائه سبحانه وتعالى آية ما أنه يذهبها عن القلوب فلا تبقى محفوظة، وقد اختلف فى جواز أن يقع الإنساء لرسول الله ﷺ وألا يقع، فرأى البعض أنه يتصور أن يقع الإنساء له، واستدلَّ القائلون بهذا بقوله تعالى «سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله»، ورأى آخرون أنه لا يقع له الإنساء كسائر الناس مستدلين على ذلك بقوله تعالى «ولو شئنا لنذهبنَّ بالذى أوحينا إليك» لإفادته معنى أنه سبحانه وتعالى لا يشاء أن يذهب بما أوحى به لرسول الله ﷺ. والرأى عندنا أن الأول من الرأيين قد يكون الصحيح، لأن المستفاد من الآية التى استدل بها أصحاب الرأى الآخر هو أن المراد بـ «الذى أوحينا إليك» هو ما لا يجوز عليه الذهاب به أو الإنساء من الوحى. ويجىء جواب الشرط بقوله تعالى «نأت بخير منها أو مثلها» بمعنى أنه سبحانه وتعالى يأتى بشيء هو خير للعباد من الآية التى نسخت أو الآية التى أنسيت أو بشيء يماثلها فى الحكم، والخيرية قد تكون فى النفع، وقد تكون فى الثواب، وقد تكون فى النفع وفى الثواب معا. ومجالها أو محلها يتحدد فى النسخ، ذلك أن النسخ لا يكون إلا فى آيات الأحكام دون آيات العقيدة لأن العقيدة واحدة لا تتغير، أما الأحكام فإنها توضع لملاءمة

أحوال العباد، وهذه قد تتغير بتغيُّر الزمان والمكان؛ ولذلك فإن حكما ما قد يكون محقِّقا مصالح العباد فى زمن ما لكنه لا يعود كذلك فى زمن لاحق ويكون غيره أكثر تحقيقا لمصالح العباد، فيكون نسخ الحكم السابق وإبدال غيره به محققا مصالح العباد ونفعهم على نحو أفضل. وهو أمر متصور أيضا فى حالة النسخ مع عدم استبدال حكم آخر بالحكم المنسوخ فيكون للناس أن يضعوا ما يلائم حياتهم من أحكام غير مقيَّدين إلا بالأحكام العامة للشريعة. وكما يتصور أن يكون فى النسخ تحقيق نفع أكثر للعباد فإنه يتصور أن يكون فيه مجرد مماثلة للنفع وذلك باعتبار أن المصلحة التى كان يحققها الحكم المنسوخ للعباد فى زمن سريانه تساوى المنفعة أو المصلحة التى يحققها الحكم الناسخ للعباد أو التى يحققها ما يضع الناس من أحكام لتنظيم شئون حياتهم. ونرى أن الخيرية أو الأفضلية فى النفع أو الثواب أو فيهما معا لا يدخل فى مجالها «الإنساء» ولكن تكون فيه المماثلة فقط لأنه إذا كان الناسى غير مؤاخذ على نسيانه لقول رسول الله ﷺ «رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». فكان من أمر رحمة الله أن يثيبه ثواب غير الناسى، فإنه تكون قد تحققت المماثلة ولا يكون متصورا أن تكون له أفضلية الثواب إلا إذا شاء الله. وتنتهى الآية بقوله تعالى «ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير» وقد ورد فى صيغة الاستفهام لتقرير واقع، خوطب به رسول الله ﷺ وهو أعلم المسلمين ليكون الخطاب لهم فى معيَّته، واشتمل على الاسم الجليل (الله) وهو الاسم العلم الجامع سائر الصفات لما فى ذلك من بلاغة فى نسبة القدرة إليه، ليُعلم أن القادر على كل شىء قادر على أن يأتى بما هو خير مما نسخ أو أنسى أو بما هو مماثل له.

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾

التفسير:

جاء قوله تعالى هذا دليلا على قوله تعالى فى الآية السابقة «ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير» وذلك لزيادة بيان المراد منه. ومعنى قوله تعالى «ألم تعلم أن الله له ملك

السماوات والأرض» هـو: «إنك لتعلـم أيها المخـاطب أن الله لـه ملك السمـاوات والأرض» ومتى كان له تعالى ملك السماوات والأرض فإنهما تكـونان ومن فيهما فى قبضته، فهو تعالى بحكم كونـه المالك وحده لا ينـازعه فيهما ولا فيما يتخـذ بشأنهما وما فيهمـا منازع، وبحكم كونهما فى يده وما فيهمـا فإنهما وما فيهما يكونان فى مجال قدرتـه يفعل بهما وبما فيهما ما يشاء. ويدخل فى معنـى السماوات كل ما يمكن أن تدركه العقول على مـدى الزمان بشأنها وهو لا يتجاوز السماء الدنيا فيدخل فيه الغاز الكونى، والمجرات، والنجوم، ويدخل فيه ما فيه من مخلوقات، ما دقَّ منها مثل الفيروسات والجراثيم ـ وهناك نظرية علمية تقول بانتقالها من الفضاء الخارجى إلى كوكب الأرض عن طريق النيازك والشهب والأتربة الكونية، أو بقوة دفع القوة الإشعاعية للضوء المنبعث من النجوم، وما عظم منها مثل الملائكة وما خلق الله ممَّا لم يحط به علم البشر على نحو مؤكد، ويدخل فى ذات المعنى السماوات العلا التى لن تدركها عقول البشـر على امتداد الـزمان ومـا فيها من المـلائكة والروح. ويـدخل فـى معنى الأرض الكوكب الـذى نعيش عليه بمائه وجبالـه ووديانه وصحراواتـه وبراكينه وما به مـن حياة دقَّت وعظمت. ولا شـك أن من يملـك هذا جميعه يكـون على كل شـىء ـ فـى السماء والأرض ـ قدير. ويجىء قولـه تعالى «وما لكم من دون الله من ولى ولا نصيـر» لبيان علَّة النسخ والإنساء والإتيان بخير من المنسـوخ أو المنسى أو بمثله، وبيان الحكمة من ذلك، فلما كـان الولى هو المالك الذى قد لا يكـون قادرا على النصرة، وكان النصير هو المعين الـذى قد لا يكون مالكا فقد جاء إثبات كونه تعالى ولى المؤمنين وناصـرهم للتدليل على أن فعله تعالى ـ وفيه النسخ والإنساء والإتيـان بخير من المنسـوخ أو بمثله ومثل المنسـىِّ ـ إنما يكـون لصالح المـؤمنين وخيرهم، فلا يكون فى قلوبهم ريبة فى أمر النسخ والإنساء .

أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾

التفســـــير:

جاء قـوله تعالى «أم تـريدون أن تسألوا رسـولكم» فى صيغـة استفهام للإنكار بمعنـى أنه

سبحانه وتعالى ينكر على المسلمين أن يقع منهم مثل ما وقع من اليهود من قبل، والمراد به طلب اليهود من موسى عليه السلام أن يظهر الله لهم آيات أخرى ـ مثل رؤية الله جهرة ـ فوق [illegible] ثقوا فى نبوّته. فكأن قوله تعالى هذا هو نصح للمسلمين وتوصية بالثقة فى رسول الله ﷺ. وقوله تعالى هذا لا يفيد أنه وقع من المسلمين مع رسول الله ﷺ مثل ما وقع من اليهود مع موسى، وذلك لأنه تعالى وصف هذا الفعل بالكفر بقوله تعالى «ومن يتبدل الكفر بالإيمان» حين أن الآية استمرار لخطابه سبحانه وتعالى المؤمنين بقوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا»، ولا يجتمع الكفر مع الإيمان؛ لذلك فالراجح أنه لم يقترح المسلمون على رسول الله ﷺ أن يسأل الله أن يأتيهم بآية، وإن نصحهم سبحانه وتعالى ألا يكونوا فيما أنزل إليهم من القرآن مثل اليهود الذين طرحوا الثقة بالآيات البيّنات وطلبوا غيرها. وجاء قوله تعالى «ومن يتبدّل الكفر بالإيمان فقد ضلَّ سواء السبيل» بحكم كلى فى هيئة المثل لتأكيد النهى عن اقتراح إنزال آيات أخرى، ومفاد قوله تعالى هذا أن من يترك الإيمان بما أنزل الله من آيات منها الآيات الناسخة واقترح غيرها فإنه يكون على انحراف عن الطريق المستقيم الموصل إلى الهدى، فيكون كمن كفر بعد إيمان، لأن استبدال الكفر بالإيمان يعنى التخلى عما كان عليه من إيمان واختيار الكفر بدلا منه، ومن يفعل ذلك يعود كافرا، ويكون مرتدا .

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ كثير من أهل الكتاب : قيل إنهم طائفة من أحبار اليهود عايروا المسلمين بهزيمتهم

فى أحـد، وقالوا لهم «لـو كنتم على الحق لمـا هزمتهم» وطلبـوا منهم اعتناق اليهوديـة. وقيل إنهم جميع اليهود إلا من آمن منهم سرًّا وعلانية .

٢ ـ أمـــــر الله : فى قوله تعالـى «حتى يأتى الله بأمره» قيل إنه أمـر الله بقتال غير المؤمنين بقوله تعالى «قاتلوا الذين لا يؤمنون بـالله ولا باليوم الآخر»، وقيل إنه إسلام من قُدِّر له أن يُسلم منهم .

ثانيا التفســـــير:

تتحدث الآيـة الشريفة عن طـائفة من بنى إسـرائيل قد يكونـون الذين عايـروا المسلمين بهزيمتهم فـى أحد وطلبوا منهم الارتـداد عن الإسلام، وقد يكـونون عموم اليهود إلا مـن آمن منهم سرًّا أو علانية، فتبين أنهم يتمنون فى أنفسهـم أن يرتدَّ المسلمون عن الإسلام، كما تبيِّن أنه بمجرد الارتـداد يصبح المرتد كافـرا «لو يردونكم مـن بعد إيمانكم كفارا»، وتـوضح الآية الشريفة علـة ما يتمناه هؤلاء اليهود أو يودُّونـه وهو الحسد، نسب إلى أنفسهم لبيـان أنه صفة لازمة لهـذه النفوس، وجاء نكـرة منونًا لبيـان عظمه وكثـرته. وتوضـح الآية أن تمنى اليهـــود ارتداد المسلميـن عن دينهـم إنما كان منهـم بعد أن تحققـوا مما جاء فـى التوراة مـن تبشير برسول الله ﷺ وذكر صفاته أنه ﷺ هو المبشَّر به حقا، وأن الكتاب الذى أنزل إليه هو الحق من ربه، وهـذا يبين نوعيـة ما يكنه اليهود مـن حسد المسلمين وهـو الحسد المذمـوم المتضمن التمنى بزوال النعمة وليس الحسد الغبطة.ثم يأمـر المولى سبحانه وتعالى المسلمين أن يعفوا عن هذه الطـائفة من اليهود فلا يعاقبـونهم، وأن يصفحوا عنهم بعـدم الاحتفـاظ لهم بضغينة فى أنفسهم علـى أن يكون ذلك إلى حين «حتى يـأتى الله بأمره» والمراد إلى أن يـأمر الله بغير هذا، وقد كان بنزول قوله تعالى «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخـــر» إلى قوله تعالى «حتى يعطوا الجزية عـن يد وهم صاغرون» [الآية: ٢٩ من سورة التوبـة]. وتختتم الآية بقوله تعالى «إن الله على كل شىء قـدير» تأكيدا لما سبق بيانه من قدرتـه جلَّ وعلا على كل شىء وإشعارا للمسلمين بحصول الانتقام من شانئيهم من الكفار، ووعدا بنصرتهم .

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠﴾

التفســـير:

جاء قوله تعالى «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة» معطوفا على قوله تعالى «فاعفوا واصفحوا»، فهو أمر للمسلمين أن يكون منهم التخلُّق بحسن الخلق الذى أمروا به فيكون منهم العفو والصفح، ويكون منهم الالتجاء إليه سبحانه وتعالى بالعبادات وإن خصَّ منها بالذكر الصلاة عبادة بدنية، والزكاة أو الصدقات وهى عبادة مالية، ثم أوضح سبحانه وتعالى أن التقرب إليه بما ذكر وبغيره من القربات المعدودة كلها من أصناف الخير يعتبر تقدمة من العبد فى الدنيا سيجده فى الآخرة ثوابا من الله ونعيما فيه يقيم. ويشير ختام الآية الشريفة إلى علمه بكل ما يعمل العبد معبرا عن كونه تعالى عليما بكونه مبصرا ليعلم العاملون أنه لن يضيع الله أعمالهم.

﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١﴾

أولا الأســـماء :

١ ـ هـــــود : فى قوله تعالى «إلا من كان هودا». المراد به اليهودى .

٢ ـ برهـــــان : فى قوله تعالى «قل هاتوا برهانكم» هو الدليل على صحة الدعوى، أو الدليل المؤدى إلى اليقين .

ثانيا : التفســـير:

يثبت الله سبحانه وتعالى على اليهود قولهم «لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا»، وعلى

النصارى قولهم «لن يـدخل الجنة إلا من كان نصرانيا»، جاء جمـع المقولين وجعلهما مقولا واحدا فيما يعـرف «باللف» من قبيـل الاختصار، ويثبت المولـى سبحانه وتعالـى أن مضمون هذا القول هـو محض أمنية تتردَّد فـى نفوس هؤلاء وهؤلاء، وجـاء تعبيره سبحانه وتعـالى عن هذه الأمنيـة الواحدة بلفـظ الجمع «تلك أمـانيهم» لبيان تـرددها فى نفـوسهم وتكرارهـا بما يجعلها بمثابة العديد من الأمنيات. ثم يجئ أمـره تعالى لرسوله ﷺ أن يطلب من اليهود ومن النصارى أن يقيمـوا الدليل على صحـة ما يدَّعون «قـل هاتوا بـرهانكم» وهو طلـب تعجيزى لعلمه تعالى أنهم لن يقيموا دليلا، وقوله تعالى «إن كنتم صادقين» يقوله رسول الله ﷺ لليهود والنصارى، أريد به إثبات عدم إيمانهم أنفسهم بصحة ما يدعونه، لأن معناه مرتبطا بما سبقه «قدموا الدليل على إيمـانكم وعلى صحة ما تدعون» والمؤمن لا يدَّعـى الصحة إلا لما يؤمن به، فيكـون عجزهم عـن تقديم دليـل صحة دعواهم دليـلا على عدم إيمـانهم ـ فـى دواخل نفوسهم ـ صحته .

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١١٢﴾

التفســـــير:

يردُّ المولى سبحانه وتعالى ـ فى الآية ـ على القائلين من أهل الكتاب أنه لن يدخل الجنة إلا من كـان هودا أو نصارى قـولهم بتكذيبـه إياهم على مـا يبين من «بلـى»، فكأنه قيـل «أما يدخل الجنة أحد؟»، فجاء الرد «بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن»، والمعنى أن من خضع لله واستسلم، وقـد جاء التعبير عـن هذا بإسـلام الوجه لله، لأن الـوجه أشرف أعضـاء الإنسان فيكون فى إسلامه لله قمـة الخضوع له سبحانه وتعالى، وقوله تعالـى «وهو محسن» يبين حال من أسلم وجهه لله، والمحسن ـ استرشادا بقـول رسول الله ﷺ فى الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكـن تراه فإنه يراك ـ هو مـن يعبد الله كأنه يراه. ويجىء جـواب شرط «مَن» مبيِّنًا

علّة دخول من أسلم وجهه لله وهو محسن الجنة بقوله تعالى «فله أجره عند ربه» بمعنى أن الله يجازيه خيرا ـ بفعله ـ دخول الجنة، وجاء قوله تعالى فى الأجر إنه «عند ربه» لبيان أنه لا يضيع وتشريفا له، وقوله تعالى «ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» جاء مخبرا عن حال جمع لأن من أسلم وجهه لله وهو محسن هو واحد من جمع، ولأنه يجوز الإخبار عن الجمع بالواحد، والمعنى المستفاد من عدم الخوف وعدم الحزن هو دخول الجنة لأنه ليس فى الجنة خوف ولا حزن .

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ **الكتاب** : قيل إن المراد به فى الآية هو التوراة والإنجيل، وقيل إنه التوراة فقط لأن النصارى يؤمنون بها .

٢ ـ **الذين لا يعلمون** : بمعنى الذين لا يعلمون الكتاب، وقيل إنهم مشركو العرب، وقيل إنهم أمم سبقت بعثة موسى وعيسى عليهما السلام .

ثانيا : التفسير :

نزلت هذه الآية بمناسبة اختصام يهود المدينة ووفد نصارى نجران عند رسول الله ﷺ واتهام كل فريق منهما الآخر بمجانبته الحق، بإنكار اليهود الإنجيل ترتيبا على إنكارهم نبوة

المسيح عليه السلام، وبإنكار النصارى ــ على الشائع ــ نبوة موسى عليه السلام والتوراة ترتيبا على ذلك. وقد يكون الصحيح أن النصارى لم ينكروا نبوة موسى عليه السلام ولم ينكروا التوراة لأنهم يؤمنون بالتوراة ويعتبرون الإنجيل مكملا لها وليس ناقضا، كما أنهم يؤمنون بموسى عليه السلام نبيا مرسلا من ربه فينسبون التوراة إليه، ويحتجون على اليهود فى كون عيسى عليه السلام هو «المسيًّا» أو المسيح المبشَّر به بنصوص التوراة، ولا يزال لذلك أثر فى الإنجيل الموجود بين أيدينا اليوم، فقد جاء فى إنجيل لوقا فى الإقرار بصحة التوراة: «ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبى سمِّى يسوع كما تسمَّى من الملاك قبل أن حُبِلَ به فى البطن، ولما تمت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى صعدوا به إلى أورشليم ليقدِّموه للرب». وجاء فى إنجيل متَّى: «وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية قائلا توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات، فإن هذا هو الذى قيل عنه بإشعياء النبى القائل صوت صارخ فى البرية». فيكون معنى إنكار النصارى كون اليهود على حق أنهم حادوا عن الحق المخبر به فى كتابهم بجحدهم بعثة عيسى عليه السلام وكونه المسيح المتنبأ به فى العهد القديم. ونرى أن قول كلٍّ من اليهود والنصارى عن الآخر إنه ليس على شىء بمعنى أنه ليس على حقٍّ فيما يعتنق من العقيدة أو فيما يخبر به عنها لا يزال قائما إلى اليوم فلا يزال اليهود منكرين على نبى الله عيسى أنه المسيح المخبر عنه فى العهد القديم، ولا يزالون منتظرين قدومه ملكا لإسرائيل، بما يعنى عدم إيمانهم بالإنجيل الذى أنزل على عيسى عليه السلام واعتبارهم النصارى على ضلال. كذلك فإن النصارى يرون فى إنكار اليهود بعثة المسيح عيسى ابن مريم وأنه المخبر عنه فى التوراة وفى العهد القديم وإنكارهم بالتالى نزول الإنجيل عليه من ربه، يرون فى ذلك مجانبة اليهود للحق وكونهم على ضلالة من أمرهم. ويجىء قوله تعالى «وهم يتلون الكتاب» لبيان حال كل فريق منهما وقت اتهامه الآخر بمجانبة الحق. ويُعلمنا الحق سبحانه وتعالى أن آخرين ممَّن لا علم لديهم بالحق قد يكونون مشركى العرب وقد يكونون من أمم سابقة اعتقدوا مثلما اعتقد اليهود والنصارى أن من لا يدين بعقيدتهم ليس

على حق، أو قالوا قولهم، وفى تشبيه قول اليهود والنصارى بقول الجهلة «الذين لا يعلمون» وقوله تعالى «مثل قولهم» - إعادة لقوله تعالى «كذلك» - ما يظهر من المبالغة والتوبيخ على الاعتقاد أو القول ما لا يخفى. ويقول سبحانه وتعالى «فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون» ونرى أن قوله تعالى هذا يخبر عن بقاء منازعة كل فريق منهم الآخر - فى دعواه منه - بغير حكم فاصل بينهما إلى يوم القيامة، وهو ما نشاهده قائما إلى اليوم، ومفاده أنه سبحانه وتعالى سيحكم بين اليهود والنصارى فيما يدَّعيه كل منهم على الآخر، وكما يتصور أن يكون الحكم بالقضاء لأحد الفريقين بحق دون الآخر، فإنه يتصور أن يكون بتقرير صحة دعوى كل فريق منهم على الآخر بإثبات نأى كل منهما عن الحق، أو بتقرير كذب كل فريق منهم فيما يدعيه من كونه عن الحق .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾

أولا : الأسماء :

١ - مساجد الله : قيل إن المراد بها - فى الآية - بيت المقدس ومحاريبه، وقيل هى الكعبة المشرَّفة، جمعت للتعظيم أو لكونها قبلة المساجد، وقيل إن المراد بها عموم المساجد فى كل زمان ومكان. والمساجد - فى اللغة - جمع «مسجد» وهو المكان المخصَّص لعبادة الله والخضوع له، وأظهر أنواع العبادة هى الصلاة عُبِّر عنها بأحد أركانها وهو السجود لكونه الأدلَّ على الخشوع لله والخضوع لإرادته .

٢ - الخراب: فى قوله تعالى «وسعى فى خرابها» هو إهلاك الشىء أو تدميره كليا أو جزئيا بحيث لا ينتفع به فيما هو معدٌّ له .

٣ ـ خائفـــون : فى قولـه تعالى «إلا خائفين» جمـع خائف وهو من ألـمَّ به الخوف أو الخشية، بمعنى أنه أصابه اضطراب نتيجة التخوف أن يصيبه مكروه .

ثانيا : التفســير:

قيل إن هذه الآية نزلت فى بختنصر الذى هـدم بيت المقدس، وقيل إنها نزلت فى تيتوس الرومانـى، وقيل إنها نزلت فى المشركين الذيـن صدُّوا المسلمين عن الصـلاة فى المسجد الحرام عام الحديبية. ولا يمنع هذا من بقاء حكم الآيـة إلى يوم القيامة فى شأن كل من يمنع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه. والرأى أننا نرى أن جملة الآية اعتراضية غير معطوفة على قوله تعالى «وقـالت النصارى»؛ بيان ذلـك أن قوله تعالى «ومـن أظلم» إنما يعنى أنـه «ليس أحدٌ أظلم من»، ولا يتصـور أن يكون المقصود بهذا القول هـو بختنصر لأن وجوده كان سـابقا على وجود المسيح عيسى عليه السـلام، ولأنه لم يكن يهوديا، فلا يفيد كونـه أظلم الناس شيئا فى دعوى اليهـود على النصارى ولا فـى دعوى النصارى علـى اليهود. كـذلك فإنـه لا يتصور أن يكون هو تيتوس الـرومانى الذى دخل بيت المقدس فـدكَّها دكا ودمرها تدميـرا لأنه أيضا لم يكن مسيحيا، فمعلوم أن المسيحية أو النصرانية لم تدخل روما إلا بعد عصر تيتوس بكثير على يد قسطنطين وأمه هيلانة فلا يفيد كونـه أظلم الناس شيئا فى دعوى اليهود على النصارى ولا فى دعـوى النصارى على اليهود؛ ولـذلك رأينا أن جملة الآيـة غير معطوفـة على قوله تعـالى «وقالت النصارى» وأنها تتضمن تقريرا بواقع أو حكمـا بأنه ليس أظلم ممَّن يمنع مساجد الله فى كل زمان ومكان أن يـذكر فيها اسمه بمعنى أن يعبد فيها.وقوله تعالـى «وسعى فى خرابها» قد يعنى تخريبهـا بالهدم أو ما شاكله، وقد يعنـى منع التعبُّد فيها مع بقاء مـادتها وبنيانها لأن عدم عمـارة المساجد بـالعبادة تخريـب لها. ولا يعنـى إضافة السعـى فى الخراب إلـى منع التعبد فـى المساجـد أنه لا يكـون أظلم النـاس إلا من فعـل الفعلين، وذلـك لأن أحدهمـا ـ مستقلا بذاته ـ يعـدُّ كفرا، والكفر قليله مثل كثيره. ويجىء قوله تعالـى «أولئك ما كان لهم أن يدخلـوها إلا خائفيـن» ويحتمل فى تفسيره معنييـن أولهما كونـه نهيا للمسلمين عـن تمكين

الظالمين المانعين العبادة فى المساجد الساعين فى خرابها من دخولها، فإذا دخلوها خلسة كان ذلك على خوف من معاقبة المسلمين لهم، وثانيهما أن يكون متضمنا وعدا للمسلمين بالنصر وتخليص المساجد من سيطرة الكافرين عليها ومنها بيت المقدس الذى لا يزال وعد الله تعالى بتخليصه من أيدى اليهود قائما على ما يبين من قوله هذا ومن قوله فى سورة الإسراء «وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة». وتختتم الآية بقوله تعالى «لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم» وهو تقرير للحكم المقضى به عليهم بكفرهم وهو الخزى فى الحياة الدنيا الذى قيل فى شأنه أنه يكون بقتل أبطالهم وكسر معبوداتهم، والذى نرى أنه إنما يكون بشأن فئة من الكافرين هم عبدة الأصنام حين أن المشاهد اليوم أن الذين يصدون المسلمين عن العبادة فى المسجد الأقصى أو فى بيت المقدس هم اليهود، فيكون الخزى المضروب عليهم فى الحياة الدنيا هو ما لاقوه فى بلاد الشتات ومنه حرق كتبهم بإرادة ملكية من لويس التاسع فى فرنسا، وطردهم من فرنسا فى عهد فيليب الجميل، وهياج الشعب الفرنسى عليهم سنة ١٣٢١ وقتله منهم كثيرين، ومنه ما حاق بهم فى انجلترا من ثورة الشعب عليهم عندما توجه ريتشارد قلب الأسد إلى فلسطين فى الحروب الصليبية. وانقلاب الملك جون عليهم وأمره بنهبهم وصدور أمره سنة ١٢٣٠ أن يدفعوا إلى خزينة الدولة ثلث أموالهم، ومنه ما لاقوامن هتلر فى العصر الحديث. ومنه ما ينتظر تحققه تحقيقا لوعد الله أن يدخل المسلمون بيت المقدس فاتحين. أما الذى لهم فى الآخرة فهو العذاب العظيم.

وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ المشرق : هو الشرق موضع شروق الشمس .

٢ ـ المغـــرب : هو الغرب موضع غروب الشمس .

٣ ـ ثَـــــمَّ: اسم إشارة للمكان البعيد .

٤ ـ وجه الله : معناه ـ فى الآية ـ جهة الله التى أمرتم أن تولوها. وقيل هو بمعنى «ذات الله»، وقيل معناه جاه الله وجلاله .

٥ ـ واســـع : هو ذو السعة، والسعة هى الجدة والطاقة. والمراد به ـ فى الآية ـ أنه سبحانه وتعالى محيط بالأشياء علما وموسعا عليهم عطاءً ومغفرة .

ثانيا : التفســـــير:

قيل إن الآية نزلت بمناسبة ما كان من نفر خرجوا مع رسول الله ﷺ فى سفر فى ليلة مظلمة فلم يـدروا اتجاه القبلة، فصلـى كل منهم لجهـة، فلما أصبحـوا ذكروا ذلك لـرسول الله ﷺ، فنزلت الآية تطمئن كلا منهم إلى قبول صلاتـه. وقيل إن الآية كانت تمهيدا لتغيير القبلة وإنها منسوخة حكما بقولـه تعالى «فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام»، واختلـف فى بقاء حكمها فى صلاة التطوع على الراحلـة. وقوله تعالى فى الآية يقرر أنه مالـك المشرق والمغرب كناية عن ملكيته سبحـانه وتعالى المشرق والمغرب ومـا بينهما، أو أنه لما كان الثـابت أن المشرق بنصف الكرة الأرضيـة يكون مغربها فى النصف الآخـر فإن المعنى يكون تقرير ملكيتـه تعالى الأرض جميعها. ويبـدو تقرير هذه الحقيقـة سببا للحكم الـذى أوردته عبارة الآية فـى صيغة تقريرية أيضا «فأينما تولوا فثم وجه الله» وهو تقـرير بأنه فى أى اتجاه ولى وجهه المصلى فإنه يكون متجها إلى ذات الله أو إلى جلاله وعظمته، أو إلى رضـاه لأنه سبحانه وتعالى مالك كل الجهات، والحكم الذى يتضمنه قوله تعالى هـو قبول صلاة المصلى أينما وجَّه وجهه، وعلى ما سبق بيانـه فقد نسخ هذا الحكم بقولـه تعالى «فولِّ وجهك شطر المسجـد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجـوهكم شطره» إلا فى المصلِّى على راحلة صلاة تطـوع، أو صلاة القصر، أو كل صلاة على اختلاف الآراء توسعة على الناس ورحمة. وتختتم الآية بقوله تعالى «إن الله واسع عليم» فعلمـه وسع كل شـىء «وسع كل شـىء علما»، ورحمتـه وسعت كل شـىء «ورحمتى

وسعت كل شيء»، وهو العليم بمصالح العباد؛ ولذلك وسع عليهم القبلة .

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **قانتـــون** : جمع قانت، وهو الساكت، وهو المطيع، والمراد به الخاضع المطيع.

ثانيا : التفســـير:

الآية ترد على كل من يدَّعى أن لله ولدا وقيل إنها نزلت فى اليهود لقولهم «عزير ابن الله» وفى نصارى نجران وطائفة من النصارى قالوا «المسيح ابن الله»، وفى مشركى العرب الذين قالوا إن الملائكة بنات الله، وجاء قوله تعالى «سبحانه» تنزيها له تعالى وتبرئة عما قالوا؛ فكأن معناه هو «حاشاه أن يكون له ولد»، وجاء قوله تعالى «بل له ما فى السماوات والأرض» تأكيدا لمعلوم وهو أن جميع من فى السماوات والأرض وما فيهن هم عبيد له على ما يستفاد من «له»، وجاء التعبير بـ «ما» عن جميع الخلق لتغليب غير العاقل على العاقل فيهن أو لتغليب غير المعلوم على المعلوم، ثم جاء ختام الآية مثبتا انقياد جميع من فى السماوات والأرض وما فيهن وخضوعه له سبحانه وتعالى بحكم العبودية التى لا تجتمع والبنوَّة .

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **بـــديع** : البديع هو الكامل التكوين، وهو المخترع المحدث، والمراد به ـ فى الآية ـ

المبدع، فعيل من أفعل بمعنى مفعِل. فهو مبدع السماوات والأرض.

ثانيا : التفســــير:

جاءت الآية لبيان قدرته سبحانه وتعالى الكاملة فهو مبدع السماوات والأرض خلقهن من عدم، وهو الذى إذا أراد شيئـا كان، وقوله تعالى «فـإنما يقول له كن فيكون» قـد تفيد أن سنّته تعالى أن يكـون تكوين الأشياء كلهـا بهذه الكلمة، فيكون قولهـا أزليا، وقد يفيد أنـه سبحانه وتعالى إذا قضى أمرا ــ بمعنى أحكمه وأمضاه ـ فإن هذا الشيء يتحقـق بمجرد إمضاء إرادته فيه فيكون الأمر كما لو أنه سبحانه وتعالى قـال له كن فيكون. وعلى الحالين فإن الآية تعلمنا أن لكل شيء سببـا وأنه يجب الأخذ بالأسبـاب لأنها تفيد سبق الإرادة علـى حصول القول، وتحقق النتيجة وهى وجود الكون ترتيبا على القـول وتعلقا به، ليعلم الخلق أنه لابد أن يسبق الفعل وجود الإرادة بتفكير وتدبير، ثـم يكون الفعل أخذا بالأسباب لتتحقق النتيجة المقصودة.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾

أولا : الأســــماء :

١ ـ **الذين لايعلمون** : قيل إنهم اليهود الذى عاصروا رسول الله ﷺ، استدلالا بما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رافع بن خزيمة اليهودى قال لرسول الله ﷺ «إن كنت رسولا من عند الله تعـالى فقـل لله يكلمنا حتى نسمـع كلامـه» فأنـزل الله تعالى هـذه الآية، وقيـل إنهـم مشركو العرب.

٢ ـ **الذين من قبلهم** : قيل إنهم اليهود والنصارى عند مـن رأى أن «الذين لا يعلمون» هم

مشركو العرب، وقيل إنهـم الأمم السابقة، وقد يكون الصحيح أنهم اليهود الذيـن عناهم قوله تعالى «فقـالوا أرنا الله جهرة»، وأتبـاع المسيح عيسى عليه السـلام الذين قالـوا «هل يستطيع ربُّك أن ينزل علينا مائدة من السماء».

ثانيا : التفســـير:

تروى الآيـة الشريفة ما كـان من اليهود الـذين أظهروا جحـدهم نبوة رسول الله ﷺ ـ وقد وصفهم المولى سبحانه وتعالى بالجهل ـ «لا يعلمون» من قولهم «لولا يكلمنا الله» بمعنى هلا يكلمنا الله، طـالبين دليلا على نبـوته ﷺ أن يكلمهم الله تعالـى ويخبرهم بذلـك، أو يعطيهم دليلا آخر أو ما كـان من مشركى العرب من قول هـذا، على ما يبين من قوله تعـالى فيهم أنهم قالوا «لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعـا». ثم ترد الآية على ما قالوا فتبين أنهم ما طلبوا طلبتهم إلا تعنتا واستكبارا كما كان من الأمم السابقـة ومنهم اليهود الذين قالوا لموسى عليه السلام أرنا الله جهرة، ومنهم أتباع عيسى عليه السـلام الذين قالوا له «هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء». فقولهم هذا يماثل قول من سبقوهم، ثم تقول الآية الشريفة ـ فـى عبارة تقريـرية ـ «تشـابهت قلوبهـم» بمعنى أن قلوب هـؤلاء وقلوب المتعنتين الـذين سبقوهم قد تماثلـت فى العمى وفى الطلب المقترح منهم، وتختتم الآيـة بما يدل على جهل القائلين هذا القول وعـدم تدبرهم الآيات «قد بيَّنا الآيات لقوم يوقنـون » والمعنى أنه سبحانه وتعالى قد أنزل الآيات الدالة على نبوة رسولـه ﷺ بذاتها ـ ومنها القرآن العظيم ـ وهذه آيات كفيلة أن تجعل العالمين بـالحقائق المتدبرين خلق الله يؤمنون، وفى القـول إثبات عدم توافر العلم المؤدى لليقين لدى طالبى الآيات القائلين «لولا يكلمنا الله» .

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

أولا : الأســـماء والأعلام :

١ ـ الحـــــق: هو الصحيح من كل أمر، وقيل إن المراد به القرآن، وقيل إنه الإسلام .

٢ ـ النــــذير : هو المنذر، وهو من يُبلغ فى تخويف.

٣ ـ الجحيــم : هى النار إذا شبَّت واضطربت وهى اسـم علم لنار الله تعالى المعذب بها أو لطبقة منها .

ثانيا : التفســـير :

الآية مـن الآيات التى نـزلت للتسرية عن رسـول الله ﷺ لضيقه بإصـرار الكافريـن على كفرهم، فنـزل قوله تعالى يفيـد أنه ﷺ قد بعث بالديـن الحق مؤيدا بالحـق كتاب الله القرآن العظيم، وأن الرسالة التى حُمِّلها هى أن يبشِّـر بحسْنِ جزاء الطائعين وأن ينذر بعذاب العصاة المصرِّيـن على الكفر، وجـاء قوله تعالـى «ولا تسأل عن أصحـاب الجحيم» لبيان أنـه عليه الصلاة والسلام غير مؤاخذ بكفر من كفر من بعد التبشير والإنذار، لأن هؤلاء هم أهل الجحيم كما ورد بعلم الله الأزلـى باختيارهم الكفر على الإيمـان. وقد قرأ نافع «لا تُسـأَلْ» على صيغة النهى، وقيل إن قـوله تعالى ينهـى رسول الله ﷺ عن السؤال عـن حال أبو يه بعـد أن تمنى أن يعرف حالهما فى الآخرة. وهذا قول ضعيف لا سند له .

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ الملــــــة: فى قـوله تعالى «حتـى تتبع ملتهم» إسـم بمعنى ما حصل إمـلاؤه، وفى المعنى الخاص مـا يمليه الرسول على الكتبة ليـدونوه أو على الناس ليعلموه. والمـراد به هو الجزء مـن الدين المتعلـق بالعقيدة أى بالإيمـان بالله وتوحيـده وعدم الشرك بـه، دون الجزء المتعلق بالأحكام.

٢ ـ الأهـواء: جمع الهوى وهو شهوة النفس أو الرأى يصدر عنها دون مراعاة موافقة الحق.

٣ ـ العلـــم : فى قوله تعالى «بعد الذى جاءك من العلم» بمعنى المعلوم، وهو ـ فى الآية ـ الوحى، أو الدين .

ثانيا : التفســـير :

قوله تعـالى فى هذه الآيـة يدل على قوة بأس كـل من اليهود والنصارى فـى الإصرار على عدم الإيمان لرسول الله ﷺ وفى اعتناق الإسلام، وجاء قوله تعالى «حتى تتبع ملتهم» لإقناطه عليه الصـلاة والسلام من إسـلامهم، لكـونه موضحـا عدم اكتفائهـم بعدم الإيمـان وطلبهم المزيد مما هو محال وهو اتباع رسول الله ﷺ ملتهم، ولما كانت رغبتهم هذه وليدة زعمهم أن دينهم هو الحق وأن غيـره الباطل فقد جاء رد المولـى سبحانه وتعالى على زعمهـم هذا بأمره رسول الله ﷺ أن يقول لهـم «إن هدى الله هو الهدى» والمعنى أن الإسلام الـذى هدى إليه الله هو الهدى حقـا، وأن ما يدعون إليه ليس كـذلك، ثم يفصح قولـه تعالى عن ماهية مـا يدعون إليه بقوله تعالى «ولئن اتبعت أهواءهم» مبينا أنهـم ما يدعون إلا لما يوافق شهوة نفوسهم غير ناظرين الحق ولا مبتغينه، وقـوله تعالى هذا وإن بدا شرطا إلا أنه جاء مقيـدا بقوله تعالى «بعد الذى جـاءك من العلم» أى مـن بعد ما علمـت الديـن بالوحـى، وذلك لبيان أن اتبـاعه ﷺ أهواءهـم أمرٌ مستحيل. ويجىء قـوله تعالى «مـالك من الله مـن ولى ولا نصير» بمعنى أنـه لو فرض ـ جدلا ـ تحقـق هذا المحال فلن يكون له ولى ولا نصير يـدفع عنه عذاب الله، والمعنى منصرف إلـى أمته ﷺ، فقـد يكون خطـابه ﷺ بـالقول لكـونه رأس أمتـه فيكون الخطـاب له خطابا للمسلمين .

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ١٢١﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ الذين آتيناهم الكتاب: قيل إن المراد بهم أصحاب رسـول الله ﷺ، فيكون الكتاب هو القرآن، وقيل هم من أسلم من اليهود، فيكون الكتاب هو التوراة .

٢ ـ التـــــلاوة : فى قوله تعالى «يتلونه حق تلاوته» هى القراءة، وهى الاتباع .

ثانيا : التفسير :

جاءت الآية الشريفة بالإخبار عن الذيـن أوتوا الكتاب وهم ـ فى رأى ـ أصحاب رسول الله ﷺ فتكون جملة «يتلونه حق تلاوته» خبرا فيكـون المعنى هو أن المسلمين الذين أوتوا القرآن يقرءونه ويتـدبرون معانيه ويعملون بـأحكامه. ثم يجىء قولـه تعالى «أولئك يؤمنـون به» خبرا ثانيا. ونرى أن المراد بـالذين أوتوا الكتاب هم اليهود وأن الكتاب هو التـوراة، وأن قوله تعالى «يتلونه حـق تلاوته» حال مخصِّصـة فيكون المعنى هو «الذيـن يتلون التوراة حق تـلاوتها من الذين أوتوها» أو «الذين آتيناهم التوراة ويتلونها حق تلاوتها» ـ وتلاوة الكتاب حق تلاوته هى قراءته بخشوع مـع تدبر معانيه والعمل بأحكامـه ـ وتخبر الآية عن أمر هؤلاء بأنهـم مؤمنون به «أولئك يـؤمنون به»، ومقتضـى إيمانهم بـه هو إيمـانهم برسـول الله ﷺ المبشَّر به فـى التوراة والموصوف فيهـا فيكون شأنهم أنهـم من أسلم من اليهود. وتختتـم الآية بقوله تعـالى «ومن يكفر به فـأولئك هم الخاسرون» مقـررة أن من يكفر بالتـوراة المنزلة على موسـى عليه السلام مستبدلا بها التحريف وما كتبتـه أيديهم فإنه يكون من الخاسرين لاستبـداله الضلال بالهدى والنار بالجنة .

يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ النعمـــــة: فى قـوله تعـالى «اذكروا نعمتـى التى أنعمت عليكـم» هى اليـد والصنيعة والمنَّة، والنَّعمة بفتح النون هى التنعيم، وهى النعمة ينعم بها المنعم عليه بها. والمراد بها فى الآية نعمة إيمانهـم بموسى عليه السلام فى زمنـه وهى النعمة التى فُضلوا بها علـى العالمين فى زمانهم.

ثانيا : التفســــير:

يخاطب الله سبحانه وتعالى بنى إسرائيل مذكرا إياهم بما أنعم عليهم مما يفترض معه أن يقابلـوه بالشكر والطاعـة وهو ما لـم يفعلوا، والمراد بـالنعمة التى أنعم بهـا سبحانه وتعـالى عليهم بها هى بعثـة موسى عليه السلام فيهم ومنهم فكـانوا بإيمانهم به أفضـل العالمين فى زمانه ممن لم يؤمنوا به على ما هو محقق من عدم إيمان قوم فرعون له إلا رجل يكتم إيمانه.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

أولا : الأســماء :

١ ـ عـــدل: العدل ضد الجور، والعدل هو الفدية، وهو بهذا المعنى المراد فى الآية.

٢ ـ شـــفاعة : الشفاعة وهـى انضمام شخص لآخر فـلا يكون وترا. والمراد بهـا فى الآية تشفع من أذن الله له أن يشفع فيمن شملته رحمـة الله من عصاة المسلمين ليخرج من النار أو لئلا يدخلها.

ثانيا : التفســير:

ينصح المولـى سبحانه وتعالـى بنى إسرائيل أن يتقوا عـذاب يوم القيامة الـذى جاء ذكره «نكرة» ثم وصف بأنه يوم لا تستطيع فيه نفس أن تفيد أخرى فتمنع عنها العذاب، ولا يقبل فيه من أحد أن يـؤدى شيئا يفتدى به نفسه مـن العذاب، ولا ينفع نفسا أن تشفع لهـا نفس أخرى غير مأذونـة فى الشفاعة، ولا أن تشفـع لها نفس مأذونة إذا مـا كانت النفس المشفـوع فيها لـم تحظ بـرحمة الله فكانت مشيئتـه قبول الشفاعة فيهـا، ولما كانـت الشفاعة لا تكون لكـافر ولا مشرك فإن قوله تعالى «ولا تنفعها شفاعة» يفيد أنـه لا شفاعة على القطع لمن لا يؤمن من بنى إسرائيل برسول ﷺ فيسلـم؛ ولذلك رأينا أن نص الآية يتضمن النصيحة كمـا يتضمن الوعيد لمن لا يؤمن بالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا، وقـوله تعالى «ولا هم ينصرون» يفيد أنه لا أمل

لمن لايتقى عذاب يوم القيامة بالإيمان فى أن يجد له من يناصره يوم القيامة .

۝ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾

أولا : الأســـماء والأعلام:

١ ـ إبراهيـــم: إسم علم أعجمـى، جاء فى التوراة أنـه كان إبرام وغيره الله إلـى إبراهيم وهو نبى الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام بن آزرـ وهو تـارح ـ بن ناحوربن ساروغ بن رعو بن فالغ ابن عـابر بن شالح بن أرفشخد بن سـام بن نوح. ولد فى الأهواز، وفى قول آخـر فى بابل (وهى العراق). كـانت حياته قبل ميـلاد المسيح عليه السلام بنحو ١٨٠٠ سنـة وعاش نحو خمس وسبعين ومائة سنة، كانت لغته الإرامية المنسوبة إلى إرم بن سام بن نوح.

٢ ـ كلمـــات : جمع كلمـة، وهى اللفظ المفرد، تستعمـل فى تكوين الجملـة المفيدة، والمراد بالكلمات التى ابتلـى بها إبراهيمَ ربُّه هو خصال المسلمين، نقـل عن ابن عباس أنها عشر خصـال هى: المضمضـة والاستنشاق، وقـص الشارب، و إعفـاء اللحية، وفـرق الشعر، ونتف الإبط، وحلق العانـة أو جزُّها، وتقليم الأظفار، والاستطابة بالطيـب، والختان. وقيل إنها ثلاثون خصلـة هى جماع الديـن، منها عشر فى سـورة «براءة»، وعشر فى سـورة «الأحزاب»، وعشر فى سـورة «المؤمنون»، ففى سـورة براءة: التوبة والعبـادة والحمد، والسياحة، والـركوع، والسجود، والأمـر بالمعـروف، والنهى عـن المنكر، والحفـظ لحدود الله، والإيمـان ـ علـى ما يستفاد من قوله تعالى «وبشِّر المؤمنيـن» ـ وفى سورة الأحزاب: الإسلام، والإيمان، والقنوت، والصـدق، والصبر، والخشـوع، والتصـدق، والصيـام، وحفظ الفـروج، والـذكـر. وفى سـورة «المؤمنون»: الإيمان، والخشوع، والإعراض عن اللغو، والزكاة، وحفظ الفروج إلا على الأزواج والإماء، والرعاية للعهد، والأمانة، والمحافظـة على الصلاة ـ وورد فى بعض كتب التفسير أنه تكرر ذكر حفظ الفروج فى السورة وذكر الأمانة لتكمل الخصال العشرـ وقد يكون الصحيح أن الخصلتين المقصودتين هما الإيتاء بقلوب وجلة، والمسارعة فى الخيرات. وقيل إنها أربعون

خصلة. وقيل إنها سبعة أشياء هى الكواكب، والقمران، والختان على الكبر، والنار، وذبح الولد، والهجرة.

٣ ـ إمام : فى قوله تعالى «إنى جاعلك للناس إماما» اسم للقدوة التى يقتدى به أو يؤتم. ويشمل النبى، والخليفة، وإمام الصلاة. كما يشمل من يؤتم به فى الباطل على ما يبين من قوله تعالى «وجعلناهم أئمة يدعون إلى الباطل».

٤ ـ الذرية : فى قوله تعالى «ومن ذريتى» هى نسل الرجل، أصلها فى اللغة الأولاد الصغار، وجرى استعمالها فى النسل عموما .

ثانيا : التفسير :

جاء ذكر إبراهيم عليه السلام من بعد ذكر القبلة فى الصلاة وقد يكون ذلك لكونه بانى البيت الحرام قبلة المسلمين فى صلاتهم وقد يكون لكونه جد بنى إسرائيل الذين يفخرون بانتسابهم إليه فجاء ذكره مبينا اختياره إماما ليقتدى به بنو إسرائيل فيكون منهم قبول دين الله الإسلام. وقوله تعالى «وإذ ابتلى إبراهيم ربه» معناه اذكر إذ ابتلى إبراهيم ربه، بمعنى اختبره وهو ما كان بإلزامه ما ألزمه من الخصال والأفعال، والخصال هى خصال المسلمين والأفعال هى أفعال ذوى العزم من الرسل بدخول الصبر على الإلقاء فى النار فيها والإقبال على ذبح الولد استجابة لأمر الله. وتثبت الآية الشريفة أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أتم الكلمات «فأتمهن» بمعنى أنه راعاها وقام بها ولم يأت بما يضيعها. فكان من الله سبحانه وتعالى أن «قال إنى جاعلك للناس إماما»، ومادام هذا قول الله فقد نفذ وتحقق بأن جعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام إماما للناس يؤتم به ويقتدى فى الإيمان وفى فعل الخيرات. ويبين من عبارات الآية أن اختبار إبراهيم عليه الصلاة والسلام أو ابتلاءه كان قبل نبوته، فلما أتم الكلمات صيَّره الله تعالى إماما نبيا. ويبدو أن إمامة إبراهيم أبدية لخصوصية اقتضت هذا أما غيره من الأنبياء فإمامتهم لا تكون أبدية إلا فى شأن العقيدة كما يبين من قوله تعالى «أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده» أما فى شأن الأحكام والشرائع فإنه مع نسخها لا تكون لهم إمامة أبديه فيها. ويبين من نص الآية أنه بعد أن أخبر المولى سبحانه وتعالى إبراهيم عليه

الصلاة والسلام أنه جاعلـه للناس إماما أن إبراهيم «قال ومن ذريتـى» طالبا من الله أن يجعل أيضا من ذريته إماما للناس، وقد يكون ذلك لأنـه فهم من قول الله تعالى له أنه اختصَّه وحده بشرف إمامـة الناس فطلب أن يكون ذلك لمن يختـار الله من ذريته أيضا. وجاء قـول إبراهيم هذا خبرا فى معنـى الطلب، فكأن أصله «واجعل بعض ذريتى أو أحدهـم». وجاء رد المولى سبحانه وتعالى على إبراهيم متسما بغايـة البلاغة «لاينال عهدى الظالمين» فالقول ينفى أن يكون ذلـك فى الظالميـن، بمعنى أنه لـن تكون الإمامـة لظالم مـن نسلك، ومعناه ــ بمفهوم المخالفة ـ «أنه سيكون ذلك لمن ليس ظالما أو لمـن لم يكن ظالما» فهو إثبات لبعثه تعالى من نسل إبراهيم إماما آخر. والمراد بالظلم ـ فى معنى الآية ـ هو الكفر لقوله تعالى «والكافرون هم الظالمـون»، ولقوله تعالى «إن الشـرك لظلم عظيم»؛ وبهذا استدل بعـض الشيعة لإثبات رأيهم بعدم صحة خلافة كل من أبى بكر وعمر بـدعوى أنهما كانا قبل إسلامهما على الكفر، وقد يكـون بالنسبة لـلإمامة دون النبـوة أن من كفر أو ظلـم ثم تاب وأصلـح لايدعى كـافرا أو ظالما. وقد تحققت دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ربَّه أن يجعل النبوة فى ذريته والإمامة باصطفائه رسول الله ﷺ إماما للناس من بعد أبيه إبراهيم .

وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾

أولا : الأســـماء والأعلام :

١ ـ البيـــــت: المراد به ـ فى الآية ـ الكعبة المشرَّفة .

٢ ـ مثـــابة : المثابة هـى المرجع، وهى مصدر أريـد به الموضع الذى يثـاب إليه. وقيل أريد به موضع الثواب لأن من يقصده حاجًا أو معتمرا يثاب على ذلك .

٣ ـ أمـــن : فى قوله تعالى «مثابة للناس وأمنـا» مصدر الفعل «أمن، يأمن»، جاء الوصف

به للمبالغة، ومعناه أن من دخل البيت يأمن، وأنه يجب تأمينه. وكونه يأمن لأن الحاج إن قبلت حجته يعود مبرأً من الذنب كيوم ولدته أمه، فيكون آمنا من أن يعذب على ما سبق من الذنب فى حق من حقوق الله . وكونه متعينا تأمينه يقتضى ألا يعتدى عليه عمدا وألا تجرى ملاحقته لذنب أو إثم ارتكبه. وقد اختلف فيما إذا كان من مقتضى تأمين الملتجىء إلى البيت ألا يقام عليه فيه حدٌّ وألا يقتص، فقال أبو حنيفة بذلك إلا أنه يضيَّق عليه حتى يخرج فيُحد أو يقتص منه، وأجاز الشافعى حدَّه أو القصاص منه إذا ضيِّق عليه فلم يخرج، وقال ابن حنبل لا يجوز ذلك فى الحرم على الإطلاق إلا أن يخرج، وقال آخرون إنه يُحَدُّ أو يقتص منه داخل الحرم لأن الحرم غير البيت، وأنه إن حارب فيه حورب وقتل مكانه.

٤ ـ **مقـــام** : المقام فى اللغة موضع القدمين، مصدر للفعل «قام، يقوم» وهو اسم لموضع القيام أيضا. واختلف فى المراد به فى الآية فقيل إنه الحجر المتعارف عليه الذى يصلى عنده ركعتى طواف القدوم وهو الذى وقف عليه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ليضع الحجارة التى كان إسماعيل عليه السلام يناولها إياه لبناء البيت عندما ارتفع بناؤه، وقيل إنه الحجر الذى وضعته زوج إسماعيل تحت قدمى إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين غسلت رأسه.

٥ ـ **مصلًّى** : الأصل أنه المكان الذى يدعى فيه الله تعالى أو عنده ويتقرب إليه. وقيل إنه المكان الذى تُصلى فيه ركعتا طواف القدوم، أو تصلى فيه ركعتا الطواف وغيرها من الصلوات .

٦ ـ **إسماعيل** : اسم علم أعجمى، قيل إن معناه بالعربية «سامع كلام الله» أو مطيع الله. وهو سيدنا إسماعيل عليه السلام، وُلد لإبراهيم من هاجر المصرية عندما كان لإبراهيم ست وثمانون سنة، ولما صار له ثلاث عشرة سنة تطهر هو وأبوه إبراهيم، ولما صار لإبراهيم مائة سنة وولد له إسحاق أخرج إسماعيل وأمه إلى مكة، فسكنها معه قبيلة جرهم وكانت قبل ذلك ترتحل بالقرب من مكة، وتزوج إسماعيل امرأة من جرهم ولدت له اثنى عشر ولدا، ولما أمر الله تعالى إبراهيم ببناء الكعبة قدم على ابنه إسماعيل بمكة وأعلمه بأمر الله فقال إسماعيل «أطع ربك»، فقال إبراهيم «وقد أمرك أن تعيننى» قال «إذًا أفعل إن شاء الله»، وجعل إبراهيم يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يدعوان «ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم». وكان

بناء الكعبة بعد مضى مائة سنة من عمر إبراهيم وقبل هجرة رسول الله ﷺ بنحو ألفين وسبعمائة وثلاث وتسعين سنة، وقد أرسل الله إسماعيل عليه السلام نبيا إلى قبائل اليمن وإلى العماليق. وعاش إسماعيل مائة وسبعا وثلاثين سنة، ومات بمكة، ودفن عند قبر أمه هاجر بالحجر، وكنت وفاته بعد وفاة إبراهيم عليه الصلاة والسلام بثمان وأربعين سنة.

٧ ـ **الطائفون** : فى قوله تعالى «للطائفين» جمع طائف، وهو اسم فاعل للفعل «طاف، يطوف» ويتعدى للمفعول بحرف فيقال «طاف به» بمعنى دار حوله، والمراد به الذين يطوفون بالبيت.

٨ ـ **العاكفون** : فى قوله تعالى «والعاكفين» جمع «عاكف»، والمراد بهم ــ فى الآية ـ أهل البلد المقيمون، وقيل إنهم الجالسون حول البيت بغير طواف من أهل البلد ومن الغرباء.

٩ ـ **الركع السجود** : جمع راكع ساجد. والمراد به المصلُّون. وجاء ذكر الركوع والسجود تعبيرا عن الصلاة لأن العبد يكون فى ركوعه وفى سجوده فى أقرب أحواله إلى الله تعالى.

ثانيا : التفسير :

جملة الآية معطوفة على قوله تعالى «وإذ ابتلى»، والمعنى استئناف رواية ما كان من أمر إبراهيم مع ربه، فيقول المولى سبحانه وتعالى إنه جعل الكعبة بيت الله الحرام ــ التى بناها إبراهيم وإسماعيل ـ مكانا يثوب إليه الناس وملجأ لهم ينالون فيه ثواب الله إذ دخلوه حاجِّين أو معتمرين أو زائرين، كما جعله مكانا يأمنون فيه على أنفسهم أن يُعتدى عليهم أو أن يُطلبوا بدمٍ أو فى حدٍّ من حدود الله ماداموا فيه ـ على ما سبق تفصيله فى معنى «أمن» ـ ثم جاء أمره تعالى «واتخذوا من مقام إبراهيم مُصلًّى» إلى رسول الله ﷺ وإلى أمته أن يتقربوا إلى الله بالدعاء والطاعات وأن يصلوا صلاة طواف القدوم، أو أن يصلوها وغيرها من الصلوات عند مقام إبراهيم وهو الحجر الذى كان يقف فوقه وهو يبنى الكعبة، ثم يوضح سبحانه وتعالى أنه

أمر إبـراهيم و إسمـاعيل أو أنـه أوصاهمـا أو أوحى إليهمـا أن يطهرا بيتـه الحرام بتنظيفـه من النجاسـات والخبائث ومن الأصنـام التى وضعت فيه مـن بعد بنائه، لأن مقتضـى تخصيص البيت للعبادة أن يكون طاهرا من النجاسات والخبائث، ولـذلك جاء بيان علة الأمر بذكر من كان تطهير البيت لهم وهم الطائفون حولـه، والطواف عبادة، والمقيمون عنده لكونهم ضيوف الله، ومقيمو الصلاة وهم العابدون .

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ هــذا: الراجح أنه الوادى الذى أشار إليه إبراهيم فى قوله تعالى «ربنا إنى أسكنت من ذريتى بوادٍ غير ذى زرع». فيكان دعاء إبراهيم أن يجعل الله هذا الوادى بلدا فيكون مأهولا بالسكان .

٢ ـ آمـن : فى قوله تعالـى «بلدا آمنا» والمراد به أن يكون البلد آمنا بمـا يكون به صالحا للسكنى. أو أن يصبح الوادى بلدا متصفا بالأمان .

ثانيا : التفسير :

تذكر الآيـة أن إبراهيم عليه الصـلاة والسلام نادى ربَّه متلطفـا ضارعا بقولـه «ربِّ» أى يا إلهى وسيدى، ثـم ذكر طلبته أو دعاءه «اجعل هـذا بلدا آمنا» وهو أن يحيل الله تعـالى الوادى القفر إلـى بلد مـأهول بـالسكان وأن يسبـغ عليه الأمـن بسكناه أو بهـا وبما يجعلـه خليقا أن يوصف بأنه بلـد آمن أو بتأمين أهله من الخوف، وأن يرزق من آمن مـن أهله بالله واليوم الآخر من أنواع الثمرات يحصلـون عليها مما جاورهم من القرى والبلدان أو تجبـى إليهم من سائر البلدان، بيان ذلك أنه بعد أن جاء قوله تعالى «وارزق أهله من الثمرات» جاء تخصيص هؤلاء

بقوله تعالى «من آمن منهم بالله واليوم الآخر». ثم جاء قوله تعالى بعد ذلك «قال ومن كفر فأمتعه قليلاثم أضطره إلى عذاب النار» بمعنى أنه سبحانه وتعالى ـ بعد أن ذكر من آمن ـ قال إنه سيرزق أيضا من كفر من أهل البلد، والمراد بهذا هو رزق الدنيا، ووصف سبحانه وتعالى رزق الكافر بأنه قليل أو بأن مدة التمتع به قليلة لأنها مدة حياته الدنيا، ليكون بعد ذلك دخوله النار فى الآخرة، وجاء تعبير النص القرآنى عن ذلك بقوله تعالى «ثم أضطره إلى عذاب النار» لبيان أن دخول الكافر نار جهنم يكون بفعله هو لكنه يكون مجبرا على أداء الفعل وذلك على ما يبين من قوله تعالى «وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا» فهم قد ساروا متجهين إلى جهنم فكان منهم الفعل، لكنهم كانوا مساقين إليها مجبرين، فحالهم أنهم مضطرون إلى الفعل. ووصف سبحانه وتعالى مصيرهم فى الآخرة بأنه بئس المصير فيكون معنى قوله تعالى «وبئس المصير» هو وبئس المصير النار.

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ القواعد: جمع قاعدة وهى الأساس، وهى ساقات البناء يكون كل منها قاعدة لما يكون فوقه من البناء .

ثانيا : التفسير:

جاء وصف الآية فعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام فى صيغة المضارع ليتمثل فى النفس كحاضر لدى تاليها وسامعها مستحضرا صورة موقف إبراهيم من أمر ربه وهو الطاعة والتلبية ليكون به الاقتداء. وفعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام الموصوف هو رفعه قواعد البيت أو أساسه، ولما كانت القواعد أو الأسس إنما تكون تحت الأرض فإن وصف وضعها بالرفع يكون مجازا عن البناء عليها، وجاء عطف إسماعيل على إبراهيم لتأخر رتبته عن رتبه إبراهيم ولأن القائم بالبناء كان إبراهيم على حين كان إسماعيل معاونا إياه. وتذكر الآية أن إبراهيم

وإسماعيل كانا يسألان الله تعالى أن يتقبَّل منهما عملهما في إشارة إلى أن العمل في حد ذاته لا يستوجب الثواب بل يتعين لذلك أن يقبله الله، أو إلى أن غاية العبد من عمله هي قبول سيِّده عمله فحسب دون الطمع في ثواب. وقولهما «إنك أنت السميع العليم» يفسِّر دعاءهما وسؤالهما الله قبول عملهما، لأنه بحكم كونه سميعا قد سمع مسألتهما وبحكم كونه عليما قد علم بنواياهما، ولما كان لا يقبل من العمل إلا ما كان أداؤه بخالص نية الطاعة فقد واتتهما الجرأة لسؤال الله قبول مسألتهما ثقة منهما في خلوص نيَّتهما لله.

رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ مسلم: في قوله تعالى «ربنا واجعلنا مسلمين لك» اسم فاعل للفعل «أسلم، يسلم»، والمراد. بمسلمين ـ في معنى الآية ـ منقادين لك، مستسلمين، وهو لا يختلف عن معنى اللفظ في اللغة .

٢ ـ أمة : هي الجماعة من الناس ـ وهذا هو المراد باللفظ في الآية ـ وقد يكون الواحد أمةً إذا كان يُقتَدَى به في الخير على ما يبين من قوله تعالى «إن إبراهيم كان أمة قانتا لله». وقد يراد به الدين والملة كما في قوله تعالى «إنا وجدنا آباءنا على أمة»، وقد يرد بمعنى الزمان والوقت كما في قوله تعالى «وادَّكر بعد أمة» .

٣ ـ مناسك : في قوله تعالى «وأرنا مناسكنا» جمع منسك، وهو اسم مكان «النسك» وهو غاية العبادة عُبِّر به عنها، وأصل النسك في اللغة هو الغسل واستعمل بمعنى العبادة.

ثانيا : التفسير :

عبارة الآية جزء آخر من دعاء إبراهيم ربَّه وإسماعيل، فتذكر قولهما «ربنا واجعلنا

مسلمين لك» ومعنى العبارة الظاهر أنهما يسألان الله أن يصيرهما مسلمين، والمستفاد من القول بالضرورة أنهما يسألان الله جلَّ وعلا أن يثبتهما على الإسلام وأن يديم عليهما نعمته، والإسلام المقصود هو إسلام الوجه لله والانقياد له فهو الإيمان والعمل به على ما يستفاد من ارتباط دعائهما بفعلهما بناء الكعبة تنفيذا لأمره تعالى. كذلك تذكر الآية قولهما «ومن ذريتنا أمة مسلمة لك» والسؤال تعلق ببعض ذريتهما على ما يبين من قوله تعالى «ومن ذريتنا» و«من» للتبعيض، وجاء الدعاء للذرية لأنهم الأحق بعطف الآباء ومحبتهم على ما يبين من قوله تعالى «قوا أنفسكم وأهليكم نارا»، ثم إنه خصَّ بعضهم بالدعاء لعلمهما أنه يكون من ذريتهما الظالم على ما يبين من قوله تعالى «ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه». ولذلك فإنهما دعيا لبعض ذريتهما أن يكونوا مسلمين، ثم إنهما عليهما السلام سألا الله أن يريهما المناسك وأن يتوب عليهما. «وأرنا مناسكنا وتب علينا». والراجح أن الرؤية المقصودة هي المشاهدة بالعين وليست رؤيا القلب، وأن المناسك المقصودة هي مناسك الحج، وروى أن إبراهيم و إسماعيل سألا الله أن يريهما مناسك الحج بعد فراغهما من بناء البيت فجاء جبريل فطاف بهما سبعا يستلمان الأركان في كل طواف، ثم صلَّيا خلف المقام ركعتين، ثم أراهما جبريل المناسك كلها: الصفا والمروة. ومنى والمزدلفة، فلما دخل بهما منى وهبطوا من العقبة تمثل لهم إبليس فرجمه جبريل ورجماه مكبرين، ثم انطلقوا إلى الجمرة الوسطى فعرض لهم ثانية فرجموه مكبرين، ثم أتوا الجمرة القصوى فعرض لهم أخرى فرجموه مكبرين حتى أفل، ثم أتى بهما جبريل جمعا فقال «هاهنا يجمع الناس الصلوات»، ثم أتى بهما عرفات وسأل إبراهيم قائلا «عرفت؟» فقال «نعم» فسمي المكان «عرفات»، وقيل إن المناسك هي جميع المتعبدات. أما قول إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام «وتب علينا» - وهما المعصومان من الخطأ - فقد يعني طلبهما تثبيتهما على الإيمان، وقد يعني أنهما إنما أرادا أن يعرِّفا الناس أنه في تلك المواضع يكون التنصُّل من الذنوب وطلب التوبة. وقولهما «إنك أنت التواب الرحيم» هو - من جهة - لبيان علة سؤالهما الله، فهو بصفته التواب يتوب على السائل فيتوب، وبصفته الرحيم يكون تخليصه التائب من الذنب، وهو - من جهة ثانية - لاستجلاب الإجابة.

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ الكتـاب: هو كتـاب الله الذى ينزله علـى الرسول الـذى دعا إبراهيم وإسمـاعيل أن يبعثه الله فى ذريتهما منها، وهو محمد ﷺ، فيكون الكتاب هو القرآن .

٢ ـ الحكمـة: هى وضع الشىء فى موضعه، وهى فى شأن كتاب الله وأحكامه التفقه فى الدين، وهى القضاء. ومـن جماع هذا كله يبين أنها سنة رسول الله ﷺ الفعليـة والقولية، فهو عليه الصـلاة والسلام الذى شـرح معانى أحكـام الكتاب وخصَّص العـام من أحكامـه وقيد المطلق منه بسنته الفعلية، وهـو الذى قضى فى الأمور بحكم الله فكان قضاؤه بيـانا للأحكام، وهو الذى قال ـ بوحى ربه ـ فعلم وفقَّه بحديثه، فيكون ما صدر منه ﷺ الحكمة .

٣ ـ العـزيز : العزيز هو القوى، وهـو النادر الذى لا يكاد يوجد، والمراد به ـ فى الآية ـ لا يخرج عن معناه الأول فهو القوى الغالب .

٤ ـ الحكيـم : المحكِم آياته وإرادته فى خلقه .

ثانيا : التفسـير:

عبارة الآية هى باقـى ما دعا به إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ربهمـا بعد فراغهما من بناء الكعبة. وقد سألا المولى سبحانه وتعالى أن يبعث فى ذريتهما نبيا رسولا يكون منهم، وقد أجيبت دعـوتهما فبعث سبحانـه وتعالى محمـدا ﷺ وهو من نسـل إسماعيل وإبراهيـم فى العرب العدنانيين ذرية إسماعيل وإبراهيم ـ بـالحق ـ رسولا نبيا، وقد تلى على قومه كتاب الله وآياته شفاهة لأميَّته ـ ولم يقدِّم كتابه مكتوبا ـ ولتتحقق دعوة أبويـه إسماعيل وإبراهيم، وقد جاء بدعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أن يكون من هذا الرسول أنه يعلم قومه الكتاب

والحكمة وأن يزكيهم، وهو ما كان من المصطفى ﷺ الذى علم الدين بتعليمه القرآن، وعرَّف بأحكامه بسنته الفعلية والقولية وبقضائه فى الناس وبين المتخاصمين فكانت سنته هى الحكمة، كما كان منه تطهير النفوس من الكفر بالإيمان والإسلام، وتطهير الأموال بالزكاة والصدقات. وجاء قولهما عليهما السلام فى ختام دعائهما «إنك أنت العزيز الحكيم» لبيان أنهما إنما يسألناه سبحانه وتعالى لأنه القادر على كل شىء وبحكم قدرته يسألانه إجابة دعوتهما، ولأنه المحكم آياته ينزل الكتاب بالدين، ويبعث رسوله بالحكمة.

وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ ملَّـة: الملة هى الدين كما يبين من قوله تعالى «وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم» .

ثانيا : التفسير:

بدأت الآية الشريفة باستفهام فى موضع المبتدأ «ومن يرغب عن ملة إبراهيم» فهو يتضمن تقريعا وتوبيخا لمن يرغب عن ملة إبراهيم، فكأن العبارة جاءت على معنى النفى، وملة إبراهيم هى الحنيفية وهى الإسلام القائم على الإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به. وتخبر الآية عن أن من يفعل ذلك هو من سفه نفسه بمعنى أنه فعل بها من السفه ما صار به سفيها، فيصبح المعنى أن من لا يؤمن بحنيفية إبراهيم عليه السلام وبالرسول الذى دعا ربَّه أن يبعثه فى ذريته وذرية إسماعيل وبالدين الذى بعث به ـ أى بالإسلام ـ فإنه يكون قد سفَّه نفسه فصار سفيها. وقيل إن سبب نزول الآية أن عبد الله بن سلام دعا ابنى أخيه: سلمة، ومهاجرا إلى الإسلام قائلا لهما «لقد علمتما أن الله قال فى التوراة إنه يبعث من ولد إسماعيل نبيًّا اسمه أحمد، فمن آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن فهو ملعون» فأسلم سلمة وامتنع مهاجر

فنزلت الآيـة . ثم تقرر الآية الشـريفة اختيار الله لإبراهيـم وتذكر حالـه فى الآخرة بقولـه تعالى «ولقد اصطفيناه فى الدنيـا، وإنه فى الآخرة لمن الصالحين»، فتبين أن إبـراهيم عليه الصلاة والسلام بلغ غاية المطالب فى الدنيا بـاختياره من الله رسولا يدعو للملة الحق بعد أن اصطفاه الله واجتباه من بين سـائر خلقه - وفى هذا بيان لعلـة سفه من رغب عن ملته ــ وأنه فى الآخرة من المشهود لهم بالثبات على الخير والصلاح الفائزين بالثواب .

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٣١﴾

التفســـير :

جملة الآية ظرف لـ «اصطفينـاه» لأن اصطفاءه فى الدنيا كان للرسالـة ولما يتعلق بصلاح الآخرة. وفـى الإشارة إلى أن صاحـب القول هو رب إبـراهيم ما يفيـد توافر الإيمان بـالله لدى إبراهيم مـن قَبل أن يكلَّف بالـرسالة، فضلا عـن كونه معصومـا عن الكفر قبل النبـوة. بحكم اصطفائه لأن الله لا يصطفى كافرا ولا يجعـل ممن كان كافرا إماما. فيكون المـراد بأمره تعالى «أسلم» هو الثبات على الطاعة والإذعان لجزئيات الأحكام والعمل بالجوارح، وليس إحداث الإسـلام والإيمان. ويبيِّـن ذلك ردُّ إبـراهيم عليـه الصلاة والسـلام على ربـه «أسلمت لـرب العالمين» فقد أقر بشمول ربـوبية الله العالمين وهو يبدى إطاعته الأمر مقرا بـإسلامه، بما يفيد سبق إيمانه به تعالى وتوحيده وتيقنه من ربوبيته .

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٣٢﴾

أولا : الأســـماء والأعلام :

١ ـ بنو إبراهيـــم : فى قوله تعـالى «ووصَّى بها إبراهيم بنيه» هم: إسمـاعيل الذى أنجبه إبراهيم مـن هاجر المصرية الـذى ولد فى فلسطين بين الـرملة وإيليا حيث أقام إبـراهيم بعدَ

عودته من مصر، وإسحاق الذى أنجبه من زوجـه سارة، وستة أبناء آخرون أنجبهم إبراهيم من زوجه الكنعانيـة التى تزوج بها بعـد وفاة سارة هم مديـن، ومداين، وفرشـان، وزمران، ونشيق، وشيوخ.

ثانيا : التفسير :

جاءت الآية الشريفة ذاكرة فعلا لإبراهيم عليه الصلاة والسلام مدحا له وبيانا لكمال دينه وخلقه، وهو ما كان منه بإيصاء بنيه بمعنـى نصحهم بما فيه الصلاح والمصلحة، فأوضح لهم فى مبتـدأ قوله أن الله اختـار لهم الدين الحـق، الإسلام له والانقيـاد له. ثم جـاءت النصيحة بحضِّه إيـاهم على أن يثبتـوا عليه إلـى مماتهم فـإن عجزوا عند المـوت أو قبيل تحققـه عن العمل بالجوارح كان ثبـاتهم بالقلب على الإسلام. وعطف «يعقوب» ـ فـى نص الآية ـ على إبراهيم مفاده أنـه كان من يعقوب مع بنيه مثل مـا كان من إبراهيم مع بنيه مـن إيصائهم بألا يموتـوا إلا على الإسلام، ويحتمل المعنـى أن يكون إبراهيـم قد أوصى بنيه وحفيـده يعقوب، وعندئذ يقـرأ منصوبا بـالفتح، فالعـرب تطلق علـى الأحفاد أبناء، وليـس صحيحا ما ذكـر فى بعض التفاسيـر من أن يعقوب لم يـدرك جده إبراهيم فقـد ورد فى التوراة التى بيـن أيدينا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام مات عن خمس وسبعيـن ومائة سنة وأنه أنجب إسحاق وله من العمر مائة سنة، وأن إسحاق أنجب يعقوب وله مـن العمر ستون سنة، فيكون يعقوب قد أدرك إبراهيـم وعاش فـى حياتـه خمس عشـرة سنة، ويـوافق هـذا ماعليـه مؤرخـو العرب ومنهـم إسماعيل أبو الفدا، ولم نجد ما يدحضه .

أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ شـهداء : جمع شهيـد، وشاهد وهو الحـاضر فى المعنى العـام، والمعاين حدثـا ما

لحضوره.

٢ ـ إسحاق : هو ابن إبراهيم عليه الصلاة والسلام من سارة زوجه وابنة عمه، ولد بعد إسماعيل بكر إبراهيم بأربع عشرة سنة، يرى البعض أنه هو الذبيح على ما ورد فى الإصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين من التوراة التى بين أيدينا اليوم، تزوج من «رفقة» بنت بتوئيل التى أنجبت له عيسو «العيص» ويعقوب، عاش مائة وثمانين ستة ودفن عند أبيه إبراهيم .

ثانيا : التفسير:

الخطاب فى الآية موجه إلى اليهود الذين زعموا أن يعقوب عليه السلام أوصى بنيه عندما حضرته مقدمات الموت أن يكونوا على اليهودية، فجاء قوله تعالى «أم كنتم شهداء» بمعنى «إنكم ما كنتم حاضرين» وهو معنى منصرف إلى آبائهم الأولين، وقوله تعالى «إذْ حضر يعقوب الموت» يعنى عندما حضرت مقدمات الموت يعقوب لأن من يحضره الموت لا يتكلم، ويبيِّن المولى سبحانه ما قاله يعقوب لبنيه وهو «ما تعبدون من بعدى» وهو سؤال يبين منه أنهم كانوا يعبدون فى حياته رب العالمين الواحد الصمد، ولذلك سأل عما يعبدون من بعد موته، كذلك يبين منه أن ما يعبد من دون الله هو غير عاقل بالضرورة لأنه عليه السلام سأل عنه بـ «ما» وهى لغير العاقل ـ وإن جاز فى اللغة أن يسأل عن كل شىء بـ «ما» فإذا عرف خُصَّ العاقل بـ «من» إذا سئل عن تعيينه ـ وتذكر الآية رد أبناء يعقوب عليه بقول الله تعالى «قالوا نعبد إلٰهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق»، والإجابة تعنى أن معبود يعقوب وإلٰهه هو الإلٰه الذى آمن به وعبده آباؤه إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق. وجاء ذكر إسماعيل عليه السلام بين آباء يعقوب مع كونه عمه دليلا على صحة إطلاق لفظ «الآباء» على ما تفرع عن الأصل الواحد، ولأن العم صنو الأب ومثله، وجاء قول بنى يعقوب ـ بعد ذلك ـ «إلٰها واحدا» بدلا من «إلٰه آبائك» أو حالا لإثبات وحدانيته سبحانه وتعالى وتدليلا على عدم إشراكهم به، وقولهم «ونحن له مسلمون» إقرار منهم بإذعانهم له جلَّ وعلا واستسلامهم مقرون بالعبودية .

■■■■

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾

التفسير:

الحديث عن الأمة التى خلت قد يراد به الإشارة إلى إبراهيم و إسماعيل و إسحاق، وقد يراد به هؤلاء الأنبياء وأبناؤهم، وعلى المعنى الأول يكون كل منهم أمة، والمعنى - والخطاب موجه إلى اليهود - أن هؤلاء الأنبياء والرسل قد مضوا أو أنهم وأبناءهم قد مضوا، وقد كسبوا من الخيرات بإذن الله ما كسبوا ليجزوا عليه فى الآخرة، كما يكون من أمركم أن تكتسبوا بأمر الله - إن آمنتم - ما تكتسبون زادا للآخرة دون أن تنتفعوا بما كسبوا بدعوى أنكم من نسلهم، ويجىء قوله تعالى «ولا تسألون عما كانوا يعملون» دليلا على أن المراد بالأمة التى خلت ليس الأنبياء الثلاثة وحدهم، لأن المساءلة تكون عن الخطيئة وهم - سلام الله عليهم - معصومون فيكون المراد هو الأنبياء وأبناءهم لأن منهم المؤمن والكافر، فجاء الخطاب إلى بنى إسرائيل موضحا أنهم - كما أنهم لا يفيدون من أفعال هؤلاء الصالحة بدعوى انتسابهم إليهم، فإنهم كذلك لا يسألون عما اقترفوا من السيئات. إذ يجازى كلٌّ خيرا على ما قدَّم من خير فى دنياه، وشرًّا عذابا على ما اقترف من إثم .

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾

أولا : الأسماء :

١ - حنيف : فى قوله تعالى «بل ملة إبراهيم حنيفا» معناه مائلا، فيكون المراد به - فى الآية - مائلا إلى الحق، ومعناه أيضا المستقيم، وبهذا المعنى أطلق على دين إبراهيم، وأطلق بالمعنى الأول على إبراهيم لميله إلى الحق، وعلى المسلمين لميلهم إلى الحق دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

ثانيا : التفســـــير :

تذكر الآية ما كان من قول بعض كبار يهود المدينة أن دينهم هو أفضل الدين، وما كان من دعوتهم المسلمين أن يكونوا على دينهم ليهتدوا، وما كان من نصارى نجران من ادعائهم أن دينهم هو أفضل الدين ودعوتهم المسلمين للنصرانية ليهتدوا ـ بقولهم ـ فنزلت الآية الشريفة، والخطاب فيها موجه إلى رسول الله ﷺ أن يرد على هؤلاء وهؤلاء قائلا «بل ملة إبراهيم حنيفا» أى أن الأمر ليس على ما تقولون بل نكون أهل ملة إبراهيم وحاله الاستقامة، أو الميل إلى الحق، وجاء قوله تعالى «وما كان من المشركين» معطوفا على «حنيفا» لبيان أنه كان على التوحيد، والقول بهذا المعنى يتضمن تعريضا بكل من اليهود والنصارى لأن فى كل منهم مشركين بالله، فمن اليهود من قال عزير ابن الله، ومن النصارى من قال المسيح ابن الله.

قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾

التفســـــير :

الخطاب فى الآية موجه إلى المسلمين ليقولوا ـ من بعد قول رسول الله ﷺ بل ملة إبراهيم حنيفا ـ «آمنا بالله» ذلك أنه إعلان للإيمان فوجب أن يقوم به كل المسلمين. وأن يضيفوا إليه قولهم «وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب والأسباط»، والمراد بـ «ما أنزل إلينا» هو القرآن العظيم، والمراد بما أنزل إلى إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب والأسباط هو صحف إبراهيم، نزلت على إبراهيم وخوطب بها إسماعيل و إسحاق و يعقوب والأسباط والتزموا أحكامها وشرعتها كما التزموا عقيدتها وهى توحيد الله فاعتبر ـ مجازا ـ أنها أنزلت إليهم، كما وصف المسلمون القرآن بقولهم «ما أنزل إلينا»، ثم جاء ذكر ما أوتى موسى وعيسى ـ دون إعادة الموصول فى عيسى ـ لبيان أن ما أوتى عيسى وهو الإنجيل لم يتضمن شريعة تختلف عن شريعة التوراة التى أوتيها موسى، و إن تضمن

تصحيحا لما انحرف به الكهنة والأحبار عن مقاصد النصوص، وقول المسلمين «وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم» مفاده إعلانهم إيمانهم بجميع ما أنزل على الأنبياء من كتب وصحف، ومن آيات ومعجزات جاءت تدليلا على نبوتهم، وفى ذلك ردٌّ على قول اليهود «نؤمن ببعض ونكفر ببعض»، ويجىء قول المسلمين «ونحن له مسلمون» من بعد سبق إعلانهم بإيمانهم بالله إقرارا منهم بالعبودية وتصريحا بالخضوع لله تعالى و إطاعة أوامره ونواهيه.

فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ شـقاق : هو المنازعة، وهو المخالفة والتعادى، أصله من الشقِّ وهو الجانب، فيكون المعنى كما لو أن كل فريق فى جانب غير الذى فيه الآخر.

ثانيا : التفسـير:

الخطاب فى الآية موجه إلى رسول الله ﷺ وأمته، ومعناه أنه إذا تحقق شرط إيمان أهل الكتاب بما آمنتم به، أى مثل إيمانكم ـ لتكون المماثلة بين الإيمانين، فلا يتصور أن يكون المراد من قوله تعالى «ما آمنتم به» هو الله سبحانه وتعالى لأنه تعالى ليس له مثل ـ فإنهم يكونون قد اهتدوا، والمماثلة فى الإيمان تقتضى الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب المنزلة جميعها والأنبياء والرسل جميعهم. ثم يقول سبحانه وتعالى «و إن تولوا فإنما هم فى شقاق» والمعنى أنهم يكونون فى جانب و يكون الحق والإيمان فى جانب آخر، وهى إشارة لمعاداة الله إياهم، ويجوز أن يكون المعنى أنهم يكونون فرقا متنازعة لا يجتمعون على رأى. ويجىء قوله تعالى «فسيكفيكهم الله» وعدا منه سبحانه وتعالى بالنصر لأن الكفاية إنما تتعلق بالأفعال وليس الأشخاص فيكون المعنى أنه سبحانه وتعالى سيكفيك كيدهم وشقاقهم، ثم جاء تذييل الوعد بقوله تعالى «وهو السميع العليم» تأكيدا للوعد لإفادته سماع الله تعالى

دعوة رسوله ﷺ أن يظهر الله دينه واستجابته له، وأنه بحكم علمه بما يكون عليه المعاندون منهم من إصرار على الكفر فإنه معذبهم فى الآخرة وناصر المؤمنين عليهم فى الدنيا .

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ (١٣٨)

أولا : الأسماء :

١ ـ صبغة : هى ما يصطبغ به، والمراد بها فى الآية هو الدين، أو هى الغسل لمن أراد الدخول فى الإسلام، وقيل هى فطرة الله التى فطر الناس عليها.

ثانيا : التفسير:

يأمر الله تعالى المؤمنين أن يحضُّوا أهل الكتاب على الدخول فى الإسلام أو الملَّة فيقولون عنها ـ وهى ملة إبراهيم ـ إنها صبغة الله فهى الدين الحق الذى ينعم الله به على المؤمنين فيصطبغون بالإيمان يتداخل فى قلوبهم فتتشربه تشرب المصبوغ الصبغة، وتجىء جملة «ومن أحسن من الله صبغة» اعتراضية لتأكيد أنه ليس دينا ولا ملة غير ما أثبت سبحانه وتعالى أنه الدين وهو الإسلام على ما يبين من قوله تعالى «إن الدين عند الله الإسلام». وقوله تعالى «ونحن له عابدون» هو قول المؤمنين إقرارا منهم باتباعهم ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، يقولونه لأهل الكتاب ويرددونه فى قلوبهم.

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ (١٣٩)

أولا : الأسماء :

١ ـ مخلصون : جمع «مخلص»، والمراد به فى الآية من ترك الرياء، وأتى أعماله لا يبتغى بها إلا وجه الله. وأصل الإخلاص هو النقاء والصفاء عما يشوب الشىء أو يخالطه.

ثانيا : التفســـــير :

الخطاب فـى الآية موجـه لرسول الله ﷺ وللمـؤمنين، والأمر فيـه أن يقولوا لأهـل الكتاب الذين يـزعمون أن دينهم هو الحق ويبغون دخـول المسلمين فيه «أتحاجوننـا فى الله» بمعنى «أتحاجوننا فى دين الله»، وجاءت الهمزة للإنكار، وسبب القول المأمور به ما كان يردِّده اليهود من أن جميع الأنبيـاء من بنى إسرائيـل وأنه لو كان محمـد ﷺ نبيا لكان منهم؛ ولـذلك يقول المسلمون لهـم «وهو ربنا وربكـم ولنا أعمـالنا ولكم أعمـالكم» وفيه إشـارة إلى أنـه لا وجه للجدال فيما يجادلون فيه لأن الله تعالى هـو رب المسلمين ورب أهل الكتاب فهو الأعلم أين يضع رسالته، وأنه كما يكون للمسلمين حسن الجزاء على أعمالهم الحسنة، فإن للمجادلين من أهل الكتـاب سوء العذاب جزاء علـى سوء أعمالهم وأخصُّهـا كتمان شهادة الله بنبـــوة محمد ﷺ؛ ولذلك كـان قول المسلمين لأهل الكتاب «ونحن له مخلصـون» لبيان الفرق بين أفعال المسلمين الـذين آمنوا برسول الله ﷺ التـى لا يبتغون بها إلا وجه الله، وبيـن أفعال أهل الكتـاب التى لا يبتغـى بها وجهـه تعالـى، فى إشـارة إلى أن المسلميـن أولى بـالله من أهـل الكتاب، وتكذيبا لدعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه .

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **غافـــل** : الغافل هو الذى لا يفطن لحقيقة الأمور إهمالا منه .

ثانيا : التفســـير :

جملة الآية هى من قـول المسلمين لأهل الكتاب المأمور به، وقولهـم «أم تقولون» معناه إنهم قالوا، وقول أهل الكتاب هو «إن إبراهيـم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى» بمعنـى أن اليهود كانوا يقولون إنهـم كانوا على اليهودية وأن النصـارى كانوا

يقولون إنهم نصارى. وجاء أمر الله أن يقول المسلمون لأهل الكتاب «أأنتم أعلم أم الله» وهو قول يتضمن توبيخا لهم على زعمهم لأنه من المحال أن يكون هؤلاء أعلم بما كان عليه هؤلاء الذين ذكروهم من الله خالقهم ومكلفهم ما كلفوا به، وهو الذى نفى عن إبراهيم عليه السلام أن يكون يهوديا أو نصرانيا بقوله تعالى «وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده»، ونفى ذلك عن إسماعيل و إسحاق ويعقوب والأسباط لكونهم على دينه وعقيدته، ولأنه لم تنزل التوراة والإنجيل إلا من بعدهم. ويجىء قوله تعالى «ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله» لإثبات الظلم على من يدعون أن إبراهيم وإسماعيل و إسحاق ويعقوب والأسباط كانوا يهودا أو نصارى، مقررا ـ وقوله الحق ـ أن المدَّعين هذا يكتمون شهادة الله الثابتة لديهم فى الكتاب أن إبراهيم عليه السلام كان على الحنيفية وكذلك كان بنوه وأحفاده المذكورون، وأنهم أضافوا إلى كتمانهم هذه الشهادة شهادة بخلافها بما جعلهم الأظلم والأشد كفرا بين العباد. ثم يجىء قوله تعالى «وما الله بغافل عما تعملون» متضمنا وعيدا وتهديدا لأهل الكتاب الزاعمين هذا الزعم الباطل الشاهدين على الله بغير ما علموا، معلما إياهم أن أمرهم لن يترك دون حساب وأنه سبحانه وتعالى محيط بأعمالهم ودوافعها مؤاخذهم عليها، فيعاقبهم أشد العقاب .

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

التفسـير:

فى تكرار قوله تعالى نص الآية مزيد من التحذير لليهود الذين كانوا يزعمون أن فى انتسابهم إلى إبراهيم و إسحاق ويعقوب والأسباط فضلا اختصَّهم الله به من شأنه أن يجعلهم أبناء الله وأحباءه وبه يكسبون الفوز فى الآخرة، فجاء قوله تعالى مؤكدا أن الله يجازى الأنبياء خيرا على أدائهم الرسالة، ويجازى أسلافهم من متبعى الأنبياء خيرا على ما أتوا من خير، وسوءا على ما اقترفوا من آثام، كما أنه يجازى المخاطبين من أهل الكتاب بأفعالهم، فلا يفيدون من انتسابهم للأنبياء ولا يسألون عما اقترف الآباء من الذنوب، وإنما يكون

جزاؤهم على أعمـالهم. فكأن المراد بالأمة فى قـوله تعالى «تلك أمة قـد خلت» هو الأنبياء، والمراد بها ـ وهى الضمير المستتر ـ فى قوله تعالى «ولا تسألون عما كانوا يعملون» هو أسلاف اليهود.

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾

التفسـير:

نزلت الآية الشـريفة بمناسبة ما قاله يهـود المدينة، وكفار قريش، والمنافقـون ـ طعنا على رسول الله ﷺ واستهزاءً بالمسلمين بعد تحويل القبلة من بيت المقدس فى الشام إلى الكعبة المشرَّفة فى مكـة، إذ قال اليهـود «لقد التبس علـى محمد أمـره وتحيَّر»، وقـال كفار قـريش «اشتاق محمد إلى مـولده وعما قريب يرجع إلـى دين قومه»، وقال المنافقـون «ما ولاَّهم عن قبلتهم». وقد قيـل فى تحويل القبلـة إنه بينما كان النـاس بمسجد قباء فى صـلاة الصبح إذْ جاءهم آتٍ فقـال «إن رسول الله قد أنزل عليه قـرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة. فـاستقبلوها» وكانت وجـوههم إلى الشام فاستـداروا إلى الكعبة. وقيل إن أول صلاة صـلاها رسول الله ﷺ مستقبلا الكعبة كانت العصر، وأن رجلا ممن صلـوا معه أتى الناس فى المسجد وهـم راكعون فقال «أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله مستقبلا مكة» فدار الناس واستقبلوها.

ومعنى قـوله تعالـى «سيقول السفهاء مـن الناس» يعنـى أنهم قالـوا ذلك بالفعـل، وجاء التعبير عـن الماضى بالمستقبـل لبيان استمرار هذا القـول فى الحال ودوامه إلـى الاستقبال، وجاء وصفه تعالى قـائلى هذه الأقوال بالسفه من بين الناس لبيان أنـه لا يقول مثل هذا القول إلا من به خفة وطيش ونـأى عن تدبر الأمور وإعمال العقل. أما الذى قـاله هؤلاء السفهاء فهو «ما ولاَّهم عن قبلتهم التى كانوا عليها» وهـو تساؤل عن السبب الذى دفع المسلمين للتحول عن بيت المقدس قبلتهم فى الصلاة إلى مكة قبلـة جديدة، والمراد به الطعن على رسول الله بالتردد والحيرة. أو الحنين إلـى موطن الآباء، دفع اليهود إلى قوله: أنهم كـرهوا أن يرجع عليه

الصلاة والسلام عن قبلتهم، ودفع الكافرين والمنافقين إلى قوله أنهم أحبوا أن يظهروه ﷺ فى صورة من يأتى الفعل ثم ينصرف عنه بغير داع. فجاء قوله تعالى تسفيها لهم فيما قالوا وفيما استهدفوا بالقول وما دفعهم إليه. ويجيء قوله تعالى «قل لله المشرق والمغرب» حجة على قائلى القول السقيم ودليلا على سفاهتهم لأن من له ملك المشارق والمغارب يكون له أن يأمر بما يشاء فيهما وفيما بينهما فيكون كمال العقل بالامتثال لأمره. وتختتم الآية بقوله تعالى «يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم» يقوله رسول الله ﷺ ويقوله المسلمون بيانا لأن التحول عن بيت المقدس ـ قبلة فى الصلاة ـ إلى الكعبة المشرفة إنما كان هداية من الله تعالى اختص بها من شاء من عباده واختار، وهم الذين أمروا بالتحول فأطاعوا وأعلنوا السفهاء ـ بقولهم ـ أنهم هم المهتدون .

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **الوسط** : الوسط ـ فى قوله تعالى «وكذلك جعلناكم أمة وسطا» ـ هو العدل، وهو ما بين الجيد والردىء، أو بين الإفراط والتفريط .

٢ ـ **شهداء** : جمع شاهد وشهيد وهو من عاين شيئا أو واقعة أو أدرك حالا فشهد بما عاين أو أدرك لتكون شهادته دليلا وحجة أو بيّنة .

٣ ـ **العقب** : فى قوله تعالى «ممن ينقلب على عقبيه» هو مؤخر القدم، وعقب الرجل ولده وولد ولده. والمراد بالانقلاب على العقب هو عودة المرء إلى ما كان عليه من قبل بالتحول

عما هو فيه، تشبيها لحاله بحال السائر فى طريق،يلتف ليعود من حيث أتى .

٤ ـ رءوف : الرءوف هو من به رحمة تتعلق برفـع المكروه عن الغير و إزالة الضرر عنه، على ما يبين من قوله تعالى «ولا تأخذكم بهما رأفة» .

ثانيا : التفســـــير:

جاءت جملة الآية اعتراضية بين خطابين مـوجهين إلى رسول الله ﷺ، وهى بمعناها مدح للمؤمنين وتـأكيد لمعنى أنهم الأمـة الأجدر أن تُتَّبع لأنهم لما كـانوا شهداء على غيـرهم من الأمم، مقبولةشهادتهم فإنهم يكونون ـــ بشهادة الله تعالى ـ على الحق بما يجعلهم الأجدر أن يقتدى بهم. والآية تصف أمـة محمد بالوسطية أى بالعدل، والمستفاد مـن لفظ «كذلك» فى الآية أنه كان فى الأمـم السابقة من كانوا مهتدين ـ دون أن يعنى هـذا أن قبلة هؤلاء السابقين كانت أفضل القِبـل ـ وقوله تعالى «جعلناكـم» يفيد تحقق الوسطية بالفعـل أو العدل فى أمة محمد عليه الصلاة والسلام لأنها فعل الله الذى جعل أمته كذلك، وقد يكون المراد بأمته ﷺ ما يكون عليه إجماع الأمـة، وقد يكونالمراد بعض أمته ممن لن يخلـو منهم زمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ويبيـن من قوله تعـالى «لتكونوا شهـداء على الناس» أنهم قـد جعلوا شهداء بإيمانهم بما أنزل على رسول الله ﷺ، لأنهم لمـا كانوا لم يدركوا بعضا من هذه الأمم التى يشهدون عليهم فإن شهـادتهم عليهم إنما تكون بما عرفوا عنهـم من رسول الله ﷺ، ومن كتاب الله الذى أنزل عليـه يقصُّ عليهم ما كان من أخبـارهم وأنهم بلغتهم الرسالـة فكان من أمرهم معها ما كـان، فتكون شهادتهم شهادة بما عهد الله إليهم هـى الشهادة الحق. ثم يكون رسول الله ﷺ شاهدا على أمتـه بمعنى أنه يشهد لهم بالإيمان أو بأنه أبلغهـم الرسالة، فتكون شهادته ﷺ لأمته تزكية لهم وشهادة بعدالتهم. وقوله تعالى «وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الـرسول ممن ينقلب على عقبيه» يعنـى أنه سبحانه وتعالى قـد جعل القبلة التى كـان عليها رسول الله ﷺ مـن قبل ـــ فى رأى ـ أو القبلـة التى تحول إليهـا بأمـر الله سببا لمعرفة المؤمـن الذى يطيع الله ورسوله فيصلى إلـى القبلة التى يؤمر بالصـلاة إليها ممَّن كان يعبد الله على حرف فيكون منه الارتداد عن الديـن ـ وهو المعبر عنه بالانقلاب على العقبين ـ فكأن تحـويل القبلة كـان اختبارا لبيان مـن يبقى على الإيمان ممـن يرتد عـن الدين. وقـوله تعالى «لنعلـم» لا يفيدأنه سبحانه وتعـالى لم يكن يعلـم من قبل و إنما يعنى علـم المعاينة

للحادث التى تقيم الحجة وتوجب الجزاء، وقد يعنى «لتعلم يا محمد» أو «ليعلم محمد وأصحابه». ومعنى قوله تعالى «وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله» يتعلق بالقبلة وما كان من أمر تحويلها، فبيَّن سبحانه وتعالى أن تحويلها ـ الذى وقع مرة واحدة على المستفاد من تأنيث كبيرة ـ كان أمرا شاقا ثقيلا إلا على الذين هداهم الله إلى مَعرفة الأحكام الشرعية وعلة تشريعها وأسباب النسخ وتعلقها بالمصالح، والمراد بهم المعبر عنهم بقوله تعالى «من يتبع الرسول». ثم يجىء قوله تعالى «وما كان الله ليضيع إيمانكم» بيانا لحكم من مات قبل تحويل القبلة وقد كانت صلاته إلى القبلة التى تم نسخها، وإظهارا لأساس ما يقبل من العبد، ذلك أن المسلمين تساءلوا عن حكم صلاة من مات قبل تحويل القبلة وقد كانت صلاته إلى بيت المقدس، فنزل قوله تعالى مبينا قبولها وموضحا علة ذلك وهى أن أساس القبول هو الإيمان، وقد كان عليه من صلى إلى بيت المقدس قبل نسخ القبلة ولو لم يدرك الصلاة إلى الكعبة. ثم جاء تذييل هذا بقوله تعالى «ان الله بالناس لرءوف رحيم» لبيان أنه سبحانه وتعالى لن يعتبرهم مقصرين فى وجوب الصلاة إلى القبلة ولن يضيع عليهم أجرها، وإنه مثيبهم عليها بموجبات رحمته.

قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ التقلب : فى قوله تعالى «تقلب وجهك فى السماء». سبق بيان معنى «القلب والتقلب» والمراد بالتقلب ـ فى الآية ـ التحول، والتردد، ويفهم من تردد البصر إلى السماء أو تحوله تكرره وتعدُّده .

٢ ـ الشطر : فى قوله تعالى «شطر المسجد الحرام» هو الناحية والجهة، وشطر الشىء هو

نصفه.

٣ ـ المسجد الحرام: هو المكان المحيط بالكعبة سُمِّى مسجدا لأنه مكان السجود أو الصلاة وهو حرام بمعنى محرَّم فيه القتال، ذكر من دون الكعبة مع أنها القبلة لأنه يكفى للبعيد أن يحاذى جهة القبلة ولو لم يصب عين الكعبة. وقد قال الإمام مالك: «الكعبة قبلة أهل المسجد، والمسجد قبلة مكة، ومكة قبلة الحرم، والحرم قبلة الدنيا».

ثانيا : التفســـــير:

الراجح أن هذه الآية أسبق فى النزول من قوله تعالى «سيقول السفهاء من الناس»، والخطاب فيها موجه إلى رسول الله ﷺ فيقول له ربُّه سبحانه وتعالى «قد نرى تقلب وجهك فى السماء» ومعناه «إننا رأينا ترددبصرك إلى السماء»، ذلك أن «قد» إذا دخلت على المضارع أفادت الحدوث فى الماضى. وتردد الوجه أو البصر إلى السماء لكونها مصدر نزول الوحى، فكأنه ﷺ كان يتمنى أن ينزل إليه الوحى بتحويل القبلة إلى الكعبة، وهو من فرط أدبه مع الله لم يجاوز ذلك إلى الدعاء أو إلى الاستئذان فى الدعاء، وقوله تعالى «فلنولينك قبلة ترضاها» وفيه جاءت فاء السببية مبينة أن تقلب وجهه ﷺ فى السماء جاء سببا لتوليته قبلة يرضاها، والمراد بتوليته ﷺ قبلة يرضاها هو تمكينه من استقبالها، ووصف القبلة بأنها يرضاها عليه الصلاة والسلام جاء كاشفا عن إرادته ﷺ أن يصلى مستقبلا البيت قبلة أبيه إبراهيم، وجاء تنفيذ الوعد بالتولية بقوله تعالى «فول وجهك شطر المسجد الحرام» وفيه جاءت الفاء مبينة تفرع الأمر عن التولية، وعبر عن جميع البدن بالوجه لأنه مدار التوجه أو لأنه أشرف الأعضاء، والمعنى هو استقبال المسجد الحرام فى الصلاة لمن كان بعيدا عنه فهذا هو معنى الاتجاه نحوه أو تولية الوجه شطره. وقوله تعالى «وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره» أفاد تعميم الحكم من جهتين، فهو ـ من جهة ـ أفاد عدم اختصاص رسول الله ﷺ وحده بالحكم، وعمَّمه على الكافة، وهو من جهة أخرى أفاد عدم اختصاص هذه القبلة بأهل المدينة وحدهم ـ على ما اعتقد البعض وتوهم ـ بتعميم الحكم على جميع الأمكنة على ما يبين من «حيثما» . ثم يأتى قوله تعالى «وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم» مقررا حقيقة علم أهل الكتاب من اليهود والنصارى بحقية تحويل القبلة لعلمهم من التوراة ومن الإنجيل صدق رسول الله ﷺ ونبوته وأنه لا يأتى إلا بالحق من ربه، ولأنه لما كان على

حنيفية جده إبراهيم عليه السلام وشريعته وكان أولى الناس به فإنه يكون حقا أن يجتمع وإياه على قبلة واحدة، وهذا مبلغهم من العلم من كتبهم. ثم جاء ختام الآية قوله تعالى «وما الله بغافل عما يعملون»، وفى قراءة «وما الله بغافل عما تعملون». وعلى الأولى يكون فى الإشارة إلى علمه بما يعمل أهل الكتاب وعيد بسوء الجزاء، وعلى الثانية يكون فى الإشارة إلى علمه بما يعمل المؤمنون وعد بحسن الجزاء .

وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

التفسـيـر:

جاء قوله تعالى «ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك» دليلا على أن قبلة المسلمين هى الحق لأن الآية أو الدليل أو الحجة الداعمة لا تكون إلا للحق، وإثباتا لعناد أهل الكتاب وإصرارهم على الباطل حتى إنهم ليغلقون عيونهم عن رؤية الحجة والآية ويحجبون عن قلوبهم وعقولهم أن تعقل مدلولها، فيكون معنى القول «إنك يا محمد لو جئت أهل الكتاب بجميع الآيات الدالة على صحة قبلتك لما كان منهم اتباعها». وقوله تعالى «وما أنت بتابع قبلتهم» تقريرمؤكد عدم اتباعه ﷺ قبلة أهل الكتاب وعدم حصول نسخ لقبلة المسلمين من بعد، وفى هذا إعلام لليهود الذين قالوا لرسول الله ﷺ مخادعين: «عد إلى قبلتنا نؤمن بك ونتبعك» أنهم يحاولون محالا. ويقرر المولى سبحانه وتعالى أن بعض أهل الكتاب لا يتبعون قبلة البعض الآخر، فمعلوم أنه فى سنوات تيه بنى إسرائيل كانوا يصلون إلى التابوت الذى حملوه معهم، ثم إنهم لما وصلوا بيت المقدس صلُّوا إليه أو إلى الصخرة، وأن منهم من يصلى إلى الطور، وأن النصارى وإن صلى غالبهم إلى بيت المقدس فإن منهم من يصلى إلى الشرق قولا منهم إن عيسى عليه السلام عندما صلب ـ بقولهم ـ كان وجهه إلى الشرق ـ. وفى بيان اختلاف فرقهم حول القبلة فى الصلاة بيان لسبب عنادهم وعدم الامتثال والطاعة فى شأن القبلة الحق وهو الهوى. ويجىء قوله تعالى «ولئن اتبعت

أهواءهم من بعد مـا جاءك العلم إنك إذا لمن الظالمين» والخطاب فيـه موجه إلى رسول الله ﷺ إلاأن المراد به أمته ﷺ لأنه لايجوز عليه اتباع أهواء أهل الكتاب كما لايجوز عليه الظلم فيكون المعنـى أن من يتبـع من أمتك أهـواء أهل الكتـاب فى شأن القبلـة من بعـد أن علموا الحق من ربهم فإنه يكون من الظالمين نكرة بينهـم، وفى ذلك تدليل على الضعة بعد الرفعة، وهى ضعة بين الكافرين على ضعتهم .

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾

التفســــير:

يذكر المولى سبحانه وتعالى فى هـذه الآية واقع حال أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فيكون المـراد بالكتاب هـو التوراة والإنجيل، فيقـرر النص القـرآنى أنهم أو أن العلمـاء منهم يعرفـون الكتاب وما جـاء به معرفـة الآباء لـلأبناء وأحوالهـم، وقد اختص النـص الأبناء دون الأنفس ذاتها لأن معرفة المـرء بنفسه تكون ناقصة إذْ لايدرى الإنسان شيئا عـن حاله فى فترة طفولته الأولى لنقصان الإدراك لديه خلالها، على حين يعلم كل شىء عن ابنه الذى تربى فى حضانته ـ والمقصـود بالعلم بالكتاب هو العلم بمـا جاء فيه، ولما كان مقطوعا بـأنه جاء فى التوراة ما يبشر ببعثة رسول الله ﷺ ووصفه على نحـو يتحقق معه علم دارس التوراة والعالم بها أن محمدا ﷺ هو الرسول المبشَّـر به بما يستوجب التيقن من أن ما أنزل عليـه خاصا بتحويل القبلة هو الحـق من ربه، فإنه يكون محققـا أن العالم بالتوراة يعلم صـدق نبوة رسول الله ﷺ ويعلم صحة قبلته كما يعلم كـل شىء عن حال أبنائه. كذلك فإنه بالنسبـة للعالم بالإنجيل فإنه لما كان يؤمـن بتوراة موسى وفيها ما فيها عن التبشير برسـول الله ﷺ، كما يؤمن بالإنجيل الذى أنـزل على عيسى عليـه السلام وقد تضمن التبشيـر برسول الله ﷺ وأوصـافه فإنـه يكون عالما بصدق رسول الله ﷺ وأنه النبى المبشر به، كمـا يكون عالما بصحة قبلته علمه بأحوال أبنائه. ويجىء قولـه تعالى «وإن فريقا منهم ليكتمـون الحق وهم يعلمون» خاصا بـالذين لم يسلموا مـن أهل الكتـاب، مقررا فـى شأنهـم أنهم يكتمـون ما عـرفوا مـن الكتاب مـن حق

بكتمانهم ما جاء فـى الكتاب متعلقا بنبوة رسول الله ﷺ وبأوصافه وصحـة قبلته، ومبينا أنهم يفعلون هذا رغم علمهم أنـه النبى الحق المبشَّر به تدليلا على مجـانبة فعلهم خلق العلماء، وعلى عنادهم واتباعهم الأهواء .

ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **الممتـرون** : فى قـوله تعالى «مـن الممترين» جمع «ممتـرٍ» والممترى هو من يعتـريه الشك، وهو المتردِّد بين الشك واليقين .

ثانيا : التفسـير:

يبين المـولى سبحـانه وتعالـى فى الآيـة أن استقبال الكعبة هـو الحق، وأن محمـدا عليه الصلاة والسلام هو النبى المبشَّر به الحق، وهو قول يتضمن نفى الحق عما أخبر به اليهود عن قبلتهم، وقوله تعالى «فلا تكونن من الممتـرين» هو نهى لأمة المسلمين عن التردُّد بين الشك واليقين وليس نهيـا لرسول الله ﷺ عن ذلـك لعدم جواز الشك والتـردد عليه، ولذلك لـم يقل النص «فلا تمتـر» فكأنه جعل مـن امتراء الأمة امتراءه ﷺ مـن قبيل المبالغة لإظهـار وجوب الانتهاء عن الشك والتردد فى أمر القبلة .

وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ وجهة : هى الجهة، وهى الوجه. والمراد بها فى الآية القبلة .

ثانيا : التفسـير:

قوله تعـالى «ولكل وجهة هـو موليها» تقرير عـن حال أصحاب الملل يبيِّـن أن لكل منهم

قبلة يتولاها أو يتوجه إليهـا فى صلاته، أو قبلة ولَّاها الله إياها ـ فى رأى ــ فيدخل فى القِبل ما كان قبل تحـويل القبلة إلى الكعبـة وقبل الأمم السابقـة. والمراد بهذا النهى عـن التنازع فى شأن القبل. وقوله تعـالى «فاستبقوا الخيرات» أمرٌ يخاطب به الله المسلميـن له معنى عام هو الحث على المبـادرة وتعجل أداء جميع الطاعـات والعبادات، وله معنى خـاص هو المبادرة إلى اسقبال بيت الله الحرام قبلة فى الصلاة، ليكـون المراد به المبادرة إلى الصلاة أول وقتها. وقوله تعالى «أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا» جاء فيه «أينما تكونوا» بمعنى الشرط، و «يأت بكم الله جميعا» جوابا لـه، وله عدة معان، فهو يعنى أنه حيثما كنتـم فى مكان فوق الأرض أو تحتها أو فوق قمم الجبال أو فـى البحر فإنه تعالى يقبض إليه أرواحكـم، وهو يعنى أنه حيثما كان مماتكـم فى مكان من هـذه الأماكن فإنه تعـالى يأتى بكـم جميعا يوم القيامـــة. ثم هو يعنى ـ بالنسبة للمسلمين ـ أنهم أينما كانوا فى الصلاة فى جهة من الجهات المتقابلة شمالا وجنوبـا وشرقا وغربـا وقد ولوا وجوههـم جهة الكعبة، فإنـه يجعل صلاتهم صـلاة واحدة لا تجاههم جميعا جهة الكعبة كما أمروا. ويجىء قوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «إن الله على كل شىء قدير» مبينا أن إمـاتته الخلق وبعثهم وجمعهم أو جمعهم فى صلاة واحـدة هو بعض ما تشمله قدرته جلَّ وعلا المسيطرة على كل الأشياء .

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾

التفســـير:

المشهور فى معنـى الآية أنها تكرار لأمـر الله تعالى باستقبـال الكعبة لأنه كان قـد صعب على كثيـرين التحول عن القبلـة. على أن هذا لا ينفى أن الآيـة الشريفة قد وردت بحكـم لم تسبقها إليه الآيـة ١٤٤، فقوله تعالـى «فولِّ وجهك شطر المسجـد الحرام» جاء أمرا بتـوجيه الوجه فى الصلاة شطر الكعبة لمن صلى تلقاءها، وقـوله تعالى «وحيثما كنتم فولُّوا وجوهكم

شطره» جاء أمرا للمسلمين في المدينة ولغيرهم في أقطار الأرض أن يوجهوا وجوههم في الصلاة شطر المسجد الحرام، ثم جاء قوله تعالى ـ في هذه الآية ـ «ومن حيث خرجت» أمرا للمسلمين الذين خرجوا من بيوتهم في أسفار بأن يستقبلوا الكعبة في أي موضع من الأرض يكونون. وليس من تعارض بين حكم النص وبين ما روى من أن رسول الله ﷺ صلّى على راحلته وهو مقبل على مكة من المدينة لأن فعله ﷺ يكون سُنَّة فعلية مقيِّدة مطلق الحكم الذي جاءت به الآية. وقوله تعالى «وإنه للحق من ربك» يعني أن حكمه تعالى في شأن استقبال القبلة، والتذكير بوجوب تولِّي المسجد الحرام في الصلاة هو الحق والصحيح وأن ما دونه باطل. وتختتم الآية بقوله تعالى «وما الله بغافل عما تعملون» يتضمن وعدا لمن يقول «سمعنا وأطعنا» ووعيدا لمن ارتد وكفر من بعد تحويل القبلة إلى المسجد الحرام.

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

أولا : الأسماء :

الناس: في قوله تعالى «لئلا يكون للناس» المراد بهم اليهود وكفار العرب، فقد كان اليهود يقولون إن النبي الذي جاء ذكره والتبشير به في التوراة يكون صاحب شريعة ـ لأنه يكون مثل موسى عليه السلام الذي كان صاحب شريعة، على ما جاء بسفر التثنية في التوراة التي بين أيدينا اليوم ـ وإنه من متقتضى كونه صاحب شريعة أن تكون له قبلة خلاف قبلة صاحب الشريعة الذي سبقه وهو موسى عليه السلام، فكانوا يرون أن في اتخاذه من بيت المقدس قبلةً دليلا على أنه ليس النبي صاحب البشارة في التوراة. وكان كفار العرب يقولون إنه لو كان

حقا على ملة إبراهيم عليه السلام لصلَّى إلى قبلة إبراهيم .

ثانيا: التفســـير:

جاء قولـه تعالى فى مبتدأ الآية «ومـن حيث خرجت فوَلِّ وجهك شطـر المسجد الحرام» معطوفا علـى قوله تعالى فـى الآية ١٤٤ «قد نرى تقلـب وجهك فى السماء» لكونـه نتيجة له بحكم ارتباط المعلـول بالعلة، كما جاء مـرتبطا بقوله تعالـى ـ فى الآية ـ «لئـلا يكون للناس عليكم حجة إلاالذين ظلموا منهم» والرابطة هنـا ارتباط العلَّة بالمعلول، كما جاء تكرار الأمر لبيان أهمية المـأموربه حثًّا على المبادرة فـى تنفيذه. ذلك أنه لما كان تقلـب وجه رسول الله ﷺ فى السمـاء فى انتظـار الوحى يبلغـه تحويل القبلـة إلى الكعبـة سببا لنزول قـوله تعـالى «فلنولينك قبلة ترضاها» وقوله تعالى «ومن حيث خرجت فول وجهك شطرالمسجد الحرام»، كذلك فإن قوله تعالى «ومن حيث خـرجت فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجـوهكم شطره» كان سببا لدحـض حجة اليهود الذين أنكروا أن محمـدا عليه الصلاة والسلام هو النبى المبشر به فى التوراة بدعـوى أنه لم يختص بقبلةٍ غير قبلتهم بيت المقدس، وكان أيضا سببا لـدحض حجة كفار العرب الذيـن لم يؤمنوا لرسول الله ﷺ بحجـة أنه لو كان على ملة إبراهيـم لكانت قبلته فى الصلاة هـى ذات قبلته الكعبة المشرفة، فجاء أمـره تعالى لرسول الله ﷺ بتولية وجهـه فى السفر جهة المسجد الحرام وهو أمر لسـائر أمته مؤكدا وجوب تولى الكعبـة المشرفة قبلة فـى الصلاة، ودافعا توهم اختـلاف حال السفر عن حـال الإقامة، وداحضا ـ فى ذات الوقـت ـ حجج اليهود وحجج كفار العرب التى استنـدوا إليها تبريرا لعدم إيمانهم بـرسول الله ﷺ، فهو عليه الصـلاة والسلام قد ألزم قبلـة غير قبلة اليهود بحكـم كونه صاحب شريعة، وهو عليه الصلاة والسلام قد ألزم قبلة أبيه إبراهيم بحكم كونه على ملته. ثم جاء الأمر للمسلمين عامـة ليعلموا عمومية الأمر باستقبال الكعبة فى الصـلاة أينما كانوا وفى السفر كمـا هو الحال فـى الإقامة والحضـر لنفى توهـم أنه يكون لهـم الخيار فى أمـر الصلاة أثنـــاء السفر بيـن استقبال الكعبة وعدم استقبالها كما هو الحال فى أمـر الصوم فى الســفر، والذى لاشـك فيه أن فى التزام المسلميـن أمر الله هذا دحضـا لحجج اليهود وكفار العــرب لدى مقارعة الحجة بـالحجة. ولما كان من هؤلاء وهؤلاء من ليـس له حجة إلا الظلم فيجعل

من الظلـم حجته وإن كانت داحضـة فقد جاء قـوله تعالـى «إلا الذين ظلموا منهـم» فهؤلاء يجعلون ظلمهم حجـة لهم، ونصح المولـى سبحانه وتعالـى المسلمين ألا يفزعوا مـن هؤلاء الظالميـن «فلا تخشوهـم»، وهو قول يشيـر إلى هـوان أمر هؤلاء، أتبعـه أمره تعالـى أن تكون الخشية منه وحده «واخشونـى» لبيان المقابلة بين فعل الظالمين الـذين لا يقدرون على شيء وبين ما يكون منه سبحانه وتعالى القادر علـى كل شيء، بما يلزم أن تكون الطاعة له والخشية منه. ويجيء قـوله تعالى ــ فى ختام الآية ــ «ولأتم نعمتى عليكم ولعلكـم تهتدون» لبيان أن التزام أمر الله فى شأن القبلة وفى خشية الله سببٌ لإتمـام نعمته سبحانه وتعالى على الطائعين فتكون لهم النعمـة فى الدنيا بظهور سلطانهـم على سلطان مخالفيهم وتكون لهـم النعمة فى الآخرة بدخولهم الجنة، ويوضح قوله تعـالى «ولعلكم تهتدون» أن إرادته سبحانه وتعالى هى اهتداء المسلمين .

كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾

التفسـيـر:

جملة الآية متعلقة بنعم أنعم الله بها على المسلمين لبيان تمام النعمة عليهم بما كان من أمر القبلة ومـن أمر إرسال رسول فيهم، وقـد وصفه الله بجملة صفات تخلص فـى أفعال فقال تعالى «يتلـو عليكم آياتنا»، والمراد بآيـات الله القرآن العظيم، وجاء وصفه بالآيـات لأن تاليه على الناس ـ وهو الخارج ببلاغته وما تضمن من أخبار الأمم السابقة، والمغيبات، وبما حوى من أحكـام عن قدرة البشر ــ أمىٌّ لا يقرأ ولا يكتـب إنما هو مـن قبيل المعجزات التى تـدعو للإيمان به رسولا من ربه. وقال تعالى «ويزكيكم» بمعنى أنه يطهركم من دنس الكفر والشرك، وكان طبيعيا أن يجيء ذكر التزكية من بعد ذكر تـلاوة الآيات لأن التزكية مترتبة على التلاوة وأثر من آثارها. وقال تعالى «ويعلمكم الكتاب والحكمـة» وهو ما كان منه ﷺ بتعليم تلاوة القرآن

وشرح معانيه وبيان أحكـامه، وما كان منه بتفصيل المجمل من أحكـامه وتقييد المطلق منها وتخصيص العـام بسنته القـولية والفعليـة وبقضائه مما هـو الحكمة فـى معنى النـص. وقال تعالى «ويعلمكم ما لـم تكونوا تعلمون» وهو تعليم الناس ما لم يكن لهـم من سبيل للعلم به إلا بنـزول الوحـى عليه ﷺ، وممـا لم يكـن من سبيـل للعلم بـه فى أمـر الأحكام إلا بتفسيـره وتفصيله وتقييده مطلقه وتخصيصه عمـوميته مما نزل به الوحى. وجميع ذلـك ـ وهو المعدود من أفعال رسول الله ﷺ التى وصفـه بها النص القرآنى ـ يعتبر من قبيـل النعم التى ورد النص لبيان تمـامها، دون الإخلال بمعنـى قوله تعـالى «اليوم أكملـت لكم دينكم وأتممـت عليكم نعمتى» لأن المراد بـالنعمة هو «النعمة على وقتها» فمـا كان وقت نزول الآية تمـام النعمة لم يكن كذلك يوم حجة الوداع، أو إنه لم يكن كذلـك يوم نزل الوحى بقوله تعالى «اليوم أكملت لكم دينكم».

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾

التفســـير:

الآية الشريفة خطاب من الله تعالى للمؤمنيـن من بعد أن بيَّن لهم تمام نعمه عليهم، وقد جاء الخطاب ـ فـى مقام أول ـ بأمر وتضمَّن جوابـه «فاذكرونى أذكركم» والذكـر ـ فى الأصل ـ يكون بالقلب فإذا جرى على اللسان كان دالاًّ علـى ذكر القلب. ويكمل الذكر بعمل الجوارح بمقتضاه. ويكون جـريان الذكر على اللسان بـالتسبيح والتحميد وقراءة القرآن وتدبـر معانيه، ويكون كماله بعمل الجوارح بمقتضاه بالعمل بـأوامره وأولها الفرائض وأمُّها الصلاة التى عبَّر عنها قوله تعالى بالذكر «فاسعوا إلـى ذكر الله»، وبالانتهاء عما نهى عنه. وجواب هذا الأمر هو ذكر الله من ذكره، وذكر الله العبد الذاكر هو ذكره برحمته وثوابه. وجاء الخطاب أيضا بأمر وبنهى «واشكروا لى ولا تكفرون» والأمر مضمونه شكر الله على نعمـه. وجاء ـ فى نص الآية ـ من بعد الأمر بذكر الله لأن الذكر انشغال بذاته تعالى أما الشكر فهو انشغال بنعمه، والانشغال بالذات أجل من الانشغال بأنعمهـا فكان أولى أن يسبقه فى الذكر. أما النهـى فهو عن الكفر بنعم الله

وليس عن الكفر بالله لأن الخطاب موجه للمؤمنين، وكفران النعمة كما يكون بجحدها فإنه يكون بعدم أداء زكاتها، فنعمة المال زكاتها الصدقات، ونعمة العلم زكاتها التعليم، ونعمة الصحة والقوة زكاتها الجهاد ودفع الظلم عن الضعيف.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٣﴾

أولا: الأسماء :

١ ـ **الصبر** : أصله الحبس، فيكون المعنى هو حبس انفعال النفس عن الشكوى عند الصدمة الأولى بما يشق على النفس، والصبر صبران: صبر عن معصية، وصبر على الطاعة، ومن يصبر على الطاعة يورثه الله الرضا بالقضاء، وعلامة الرضا سكون القلب لدى وقوع المكروه وحصول المحبوب.

٢ ـ **الصابرون**: فى قوله تعالى «إن الله مع الصابرين» جمع «صابر» اسم فاعل من الفعل «صبر يصبر» صبرا.

ثانيا: التفسير:

جملة الآية الشريفة خطاب آمر للمؤمنين أن يستعينوا بالصبر وبالصلاة. ويفهم من الاستعانة أن الصبر المطلوب الاستعانة به هو الصبر على النوازل والصبر عن المعاصى لأن فى الأول مجاهدة النفس عن الشكوى وفى الثانى مجاهدة النفس عن نوازعها ورغائبها فمظهره سلبى، ويفهم من ذكر «الصلاة» من بعد ذكر الصبر أن الصبر المطلوب التمسك به ـ فى الآية ـ هو الصبر على الطاعات ومنها أداء الصلاة، وورد ذكرها ـ مع دخولها فى الطاعات ـ لأنها أصل العبادات، فمظهر الصبر إيجابى. فيكون الصبر المأمور بالاستعانة به هو الصبر على المصائب وعن المعاصى، والصبر على الطاعات. وقوله تعالى «إن الله مع الصابرين»

كان مبشرا من انصاع لأمره تعالى من المؤمنين فاستعصم بالصبر بأنه سيكون فى معية الله، والمعيَّة المقصودة فى هذا المقام معية خاصة بالمساعدة والنصر؛ ولذلك شمل معنى الآية الصابرين من المسلمين على اليهود وكفار العرب الذين لم يكن لهم حجة على المؤمنين فى أمر قبلتهم فى الصلاة إلا الظلم، ليكون صبرهم عليهم وصبرهم على الطاعات سببا لدخولهم معية الله المقصودة ونصرهم عليهم.

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾

التفسـير:

جملة الآية معطوفة على قوله تعالى «واستعينوا بالصبر والصلاة» فالخطاب موجه للمؤمنين متضمنا نهيا عن القول فيمن يقتل فى سبيل الله إنه ميت، والمراد بالنهى عن القول هو عدم الاعتقاد فكأن المعنى هو «لا تعتقدوا موت من يقتل فى سبيل الله»، والذى يقتل فى سبيل الله هو كل من قتل فى طاعة الله وفى سبيل إعلاء كلمته، فهو الشهيد أطاع الله فجاهد فى سبيله فقتل. وقوله تعالى «بل أحياء» معناه أن كل المقتولين فى سبيل الله ـ وهم الشهداء ـ أحياء، وقوله تعالى هذا يثبت الحياة لهم؛ ولذلك رأى البعض أن الشهداء يحيون بالروح والجسد معا وليس بالروح فقط، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى «بل أحياء عند ربهم يرزقون». ورأى آخرون أن الحياة التى يحيونها هى حياة روحانية ـ وقوله تعالى ـ بعد إثبات الحياة للشهداء ـ «ولكن لا تشعرون» جاء مبينا واقع حال الأحياء من المؤمنين من عدم شعورهم وإحساسهم بحياة الشهداء لعدم معاينتها بحواسهم، وسبب ذلك أنه أمر مستحيل لا تدركه الأبصار لأنه من أحوال البرزخ التى لا سبيل إلى معرفتها إلا الوحى وهو عن الناس محجوب .

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾

أولا: الأســـماء :

١ ـ **الخوف**: هو شعـور ينتاب المرء لدى إحسـاسه بالخطـر يحدق به أو بمن يحـب، وهو اضطراب فى الأعصاب يكون من أثره خفة فى العقـل تؤثر على القدرة فى التفكير، والمراد به فى الآية الخوف من العدو أو الفزع من القتال .

٢ ـ **الجوع** : إحساس يصيـب المرء لدى خلـو معدته من الطعـام يدفعه لطلـب الطعام، والمراد به فى الآية قد يكون القحط أو الجدب يصيـب البلدة فينتج عنه شح الطعام فلا يجد الناس ما يقتاتون به فيشعرون بالجوع أو يجوعون.

٣ ـ **الأموال** : جمع «مـال» وهو كـل شىء ذو قيمة أو ممكـن تقويمه بـالنقود، وهـو النقود بالمعنى الخاص.

٤ ـ **الثمرات** : جمع ثمرة وهى ما تنتج الشجار المثمرة، جـاء ذكرها فى الآية على دخولها فى معنى الأموال لأنها قد لاتكون مملوكة ملكية خاصة لأحد.

ثانيا : التفســـير:

جملة الآية معطـوفة على قولـه تعالى «واستعينوا بـالصبر» فكأن الآية أوردت مضمـون ما يكون عليه الصبـر، كله أو بعضه، وجاء قوله فـى مبتدأ الآية «ولنبلونّكم» بمعنـى «ولنختبركم» ولذلـك قيل إن المقصودين بـالنص هم صحـابة رسول الله ﷺ وأن الله أعلمهم بمـا سيكون عليه اختبارهم، ولعل الصحيح أن الخطاب عام لجميـع المسلمين فى جميع العصور، وقوله تعالى «بشىء من» فيه إعلام بأن ما يصيب به الله المؤمنين مما يكون عليه الصبر هو بعض مما كان ممكنـا أن يصيبهم بـه وأنه سبحـانه وتعـالى قـد منع عنهـم أن يصيبهم مـا هو أكثـر مما

أصابهم، ومضمون ما أصابهم وما يكون عليه الصبر هو من الخوف من العدو ومن ملاقاته، ومن الجوع بسبب القحط أو بسبب الفقر، ومنه نقص ما يملكون من الأموال، ومن فقدان الأحبة بالقتل أو بالموت، ومن نقص الثمرات بسبب تلفها أو لموت الأشجار المثمرة أو الزهرات. وبعد ذكر مناحى الابتلاء جاء قوله تعالى «وبشّر الصابرين» مخاطبا رسوله ﷺ ومن بعده كل من يتصور أن تجيء منه البشارة أن يبشر الصابرين بالخير يصيبهم.

ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾

أولا: الأسـماء :

مصيبة: هى كل ما يصيب المرء ويؤذيه. وهى النكبة ينكبها الإنسان و إن صغرت، وجرى استعمالها فيما هو شر. مشتقة من «صوب» وهو نزول المطر ولذلك سمِّى السحاب «صيِّبًا» فكأن أصل المعنى هو ما يصيب الإنسان، ثم اختص بالمعنى ما هو شر مما يصيبه.

ثانيا : التفسير:

جملة الآية وصف للصابرين الذين أمر رسول الله ﷺ أن يبشرهم فهم «الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله و إنا إليه راجعون» والمعنى أنهم يقولون هذا القول وقت نزول المصيبة بهم أى فى خلال الفترة التى يكون وقع المصيبة فى النفوس أشد ما يكون عليه الحال وقبل أن تخف شدة وطأتها عليها، والقول هو إعلان لما فى القلب، والصبر الذى يسكن القلب هو ما يكون بعد تدبر حال الدنيا وهى إلى فناء بما فيها من مباهج وحال الآخرة وهى خلود سرمدى فيكون الاستسلام لله؛ ولذلك كان قول الصابر «إنا لله و إنا إليه راجعون» وهو الاسترجاع مرتبطا بالإيمان بأن المآل إلى الله الذى يؤجر الصابر فى مصيبته.

وهذا الاسترجاع هو منَّةٌ من الله على أمة محمد ﷺ لم تُعط أمة قبلها؛ ولذلك لم يقله يعقوب عليه السلام عندما فقد يوسف عليه السلام بل قال «يا أسفا على يوسف».

﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

التفسير :

جملة الآية تبيِّن مضمون البشارة التى حملها رسول الله ﷺ إلى الصابرين والتى يحملها من بعده كل مبشِّر، وهى الجزء الذى يؤجره الصابرون ومضمونه أنهم تكون عليهم صلوات من ربهم ورحمة، وأنهم يوصفون بأنهم المهتدون. ويبين من وصفه تعالى إياهم بأنه تكون عليهم الصلوات والرحمة أنهم يكونون مغمورين بالصلوات وبالرحمة، ومن إيراد «الصلوات» بصيغة الجمع أنها تشمل جميع معانى صلاة الله من ثناء، وتعظيم، ومغفرة فضلا عن الرحمة التى نص عليها بالإضافة إلى الصلوات، وأنها تكون صلاة من بعد صلاة، أو أنها تكون فى الدنيا والآخرة، ووصفهم بأنهم مهتدون يفيد كونهم كذلك لاسترجاعهم ـ لدى المصيبة ـ واستسلامهم لله. ولنيلهم الفوز فى الدنيا والآخرة جزاء بما صبروا واسترجعوا.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾

أولا: الأسماء والأعلام :

١ ـ **الصفا** : اسم علم لمكان معروف بمكة هو هضبة صخرية، وأصل «الصفا» فى اللغة هو الحجر الأملس. كان عليه فى الجاهلية صنم يدعى «آساف» استحضره عمرو بن لحى من الشام قبل الإسلام بنحو أربعمائة سنة عندما وجد الناس فى الشام يعبدون الأصنام فسألهم عنها فقالوا «هذه أرباب اتخذناها على شكل الهياكل العلوية والأشخاص البشرية نستنصر بها فتنصر ونستشفى بها فتشفى ونستسقى بها فتسقى» فطلب منهم صنما فأعطوه «هبل»

واستصحب معه صنمين آخرين هما «أساف» و«نائلة» سار بهم إلى مكة ووضع هبل على الكعبة وآساف على الصفا، ونائلة على المروة، ودعا الناس إلى تعظيمهم والتقرب إليهم فأجابوه.

٢ ـ المروة: اسم علم لمكان معروف بمكة هو مرتفع صخرى، والأصل فيه أنه الحجر الأبيض اللين، كان عليه فى الجاهلية الصنم المدعو «نائلة» الذى استحضره معه من الشام عمرو بن لحى قبل الإسلام بنحو أربعمائة سنة.

٣ ـ شعائر : جمع شعيرة وهى العلامة، والمراد بها ـ فى الآية ـ أعلام العبادات الخاصة بالحج.

ثانيا: التفسير :

بعد ذكر المولى سبحانه وتعالى الصبر وأمره المسلمين التجمل به، ولما كان من الصبر صبر المؤمن على الطاعات والعبادات وكان الحج من العبادات التى تنطوى على مشقة تتطلب من العابد الصبر عليها، فقد نزل قوله تعالى فى الآية متعلقا ببيان معالم الحج، وورد قوله تعالى «إن الصفا والمروة من شعائر الله» لبيان أن السعى بينهما هو من علامات الحج والعمرة، ثم جاء قوله تعالى «فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطَّوَّف بهما» بمعنى فمن قصد البيت الحرام مع تخصيص القصد بأن يكون لأداء فريضة الحج، ومن قصد عمارته بالزيارة فيما عرف بالعمرة فإنه لا يكون له أن يترك الطواف بهما أو السعى بينهما، على ما يفهم من قول عائشة رضى الله عنها لعروة ـ عندما اعتقد أن معنى قوله تعالى «فلا جناح» أنه يرخص للحاج أن يترك الطواف بهما ـ ليس قوله تعالى «فلا جناح عليه أن يطوف بهما» دليلا على تركه إنما يكون دليلا على تركه لو كان فلا جناح عليه ألا يطوف بهما». فكان قوله تعالى هذا لإفادة إباحة الطواف لمن كان يتحرج منه لأنه كان من معالم الحج فى الجاهلية مع وجود الصنمين آساف، ونائلة على الصفا والمروة. وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم» هو إعلام بأن من أتى بنفل من جنس الفرض مثل الحج أو جنس المندوب مثل العمرة والزيارة أو الطواف فإن فعله يكون خيرا له يثاب عليه، وفى هذا

إفادة شرعية التنفل بالحج والعمرة والطواف. وفيه الإفادة بإثابة المتنفِّل على فعله أفضل الثواب على ما يبين من قوله تعالى «فإن الله شاكر عليم» فهو سبحانه وتعالى لكونه شاكرا عمل المتنفل يبالغ فى إحسانه إليه، ولكونه عليما فإنه يعلم مقدار ما تحمل من مشقة ومدى ما أخلص فى أداء العبادة فيكون منه تعالى ألا ينقص من أجر المتنفِّل، بل يزيد.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾

التفسير :

نزلت هذه الآية - فى قول - فى أحبار اليهود الذين سألهم معاذ بن جبل وسعد بن معاذ فى بعض ما نزل فى التوراة فكتموه عنهما ولم يخبروا به، والحكم الذى وردت به عام يشمل كل صاحب علم سئل عن علمه فكتمه، فقد ورد فى الحديث أن رسول الله ﷺ قال «من سئل عن علم فكتمه جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار». ومعنى قوله تعالى «إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى» يعنى أن حكم الآية يتعلق بهؤلاء الذين شمل علمهم ما أنزل الله على أنبيائه من الآيات والأدلة الموضحة مناحى الحق، والتى تهدى إلى الرشد، وقوله تعالى «من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب» يعنى أن تحصيل كاتمى الآيات علمهم إنما كان من بعد شرح الآيات والأدلة و إظهارها فيما أنزل الله من الكتاب فيكون المراد بالكتاب التوراة والإنجيل لتضمن كل منهما التبشير برسول الله ﷺ وبيان صفاته فيكون ما اشتمل عليه الكتابان بينات تدل على نبوته ﷺ، ويكون من شأن العلم بها أنها تهدى إلى الحق والإيمان برسول الله ﷺ لمن شاء الله له أن يؤمن، كذلك يكون المراد بالكتاب القرآن ويكون المراد بالناس فى قوله تعالى «من بعد أن بيناه للناس» هم أمة محمد ﷺ، فيكون الكتمان قد حصل من أحبار اليهود والنصارى بعد أن أنزل الله القرآن العظيم مبينا الآيات وفضلها وذلك ليحولوا بين أتباعهم وبين الإيمان برسول الله ﷺ نبيا، بحجب حقيقة ما ذكر عنه فى التوراة والإنجيل عنهم. أما الحكم الذى جاء به النص القرآنى فهو لعن الله إياهم وأن

يلعنهم اللاعنـون. «أولئك يلعنهم الله ويلعنهم الـلاعنون» ومعنى أن يلعنهم رب العـزَّة هو أن يبعدهم عـن رحمته، وليس أتعس ممن أبعـده الله عن رحمته. ومعنى أن يلعنهـم اللاعنون أن الملائكة والإنس والجن ـ اللاعنون منهم ـ يلعنـون هؤلاء، والمراد يلعنهم إياهم أنهم يدعون الله أن يطردهم من رحمته .

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾

التفســــير :

قولـه تعالـى فى هذه الآيـة فتح لبابٍ مـن أبواب رحمتـه فمن بعد أن بيَّـن حكم كـاتمى البينات المـانعين عن أتباعهـم الهدى قال تعالـى «إلا الذين تـابوا وأصلحوا وبينوا» فـأخرج برحمته من بيـن الملعونين من الله ومن اللاعنيـن من يتوب، وإطلاق المعنى فى لفـظ «تابوا» يفيد أن التوبة المقصودة هى توبة عن جميع الـذنوب ومن بينها كتمان البينات وليست التوبة عن كتمـان البينات فقط. ويبيـن من النـص القرآنى أنـه يتعيَّن على التـائب عن الـذنب أن يصلح ما أفسد بـذنبه التائب منه، وهو ما يكون ـــ بالنسبة لمن حجب من أتبـاعه عن الهدى بسبب كتمان الآيات ـ بإرشاده إلى الهدى والإسـلام. ولغيره من العباد بردِّ المظالـم وإيفائهم حقوقهم، أمـا فى شأن حق الله فإن التـوبة تجبُّ ما قبلهـا على الراجح. كما يبيـن من النص أيضا أن علـى التائب من كـاتمى الآيـات أن يبين ما كتمـه عن الناس مـن البينات التـى فى الكتاب وأن يظهـرها لهم فيعرفهـم صحيح النصوص ويـزيل ما حـرَّف بالإضافة، ويضـع ما حرَّف بالحذف، ويصحح مـا جرى تزييفه وتزويره، وأن يبين توبته علـى هذا النحو ليقتدى به غيره. وقد أوضح سبحانه وتعالى أن من يتوب علـى هذا النحو يقبل الله توبته ويغدق عليه من فيض مغفرته ورحمته «فأولئك أتوب عليهم»، وهو سبحانه وتعالى إنما يفيض عليه من فيض مغفرته ورحمته بحكم صفتيه: أنه التواب ، وأنه الرحيم .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾

التفســـــير :

لم تأت جملة الآية معطوفة على جملة الآية السابقة لبيان مدى الاختلاف والتباين بين حكم من تكلمت عنهم الآية السابقة وبين من تتكلم عنهم هذه الآية، فيكون مفاد الأمر أنه سبحانه وتعالى قد ذكر حكم كاتمي البينات عموما فى الآية ١٥٩ من السورة، ثم خص من يتوب منهم ويصلح ويبيِّن بحكم مفاده أن التوبة تكفِّر عنهم ذنوبهم وما اقترفوا فيكون لهم إزالة اللعن عنهم، ثم ذكر من لم يتب منهم ولم يصلح ويبيِّن فبقى على ما هو عليه من كتمان الآيات إلى أن مات فأوضح أنه يستمر ملعونا. ووصفه سبحانه وتعالى هؤلاء بأنهم «الذين كفروا» مفاده أن كتمان الآيات كفر، وقوله تعالى «وماتوا وهم كفار» يعنى أنهم بقوا على كفرهم ملعونين من الله ومن اللاعنين إلى حين موتهم، وعلى هذا فإن قوله تعالى «أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» إنما يعنى استمرار لعنهم الذى كان مبدؤه بسبب كتمانهم الآيات، كما يعنى أن لاعنيهم هم الله والملائكة واللاعنون من الناس، فلفظ «أجمعين» جاء تأكيدا للاعنين وليس للناس، فإن لاعنى الكافرين ـ من الناس ـ هم المؤمنون، وإن كان الكافرون يلعن بعضهم بعضا يوم القيامة .

خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾

التفســـــير :

جملة الآية استئناف لما سبق من إخبار عن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فكانت عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فيقول سبحانه وتعالى «خالدين فيها» بمعنى أنهم يخلدون فى اللعنة أو يخلدون فى النار مصير من لعنه الله، ويقول «لا يخفف عنهم العذاب» للإفادة عن أنه لا تخفف عنهم شدَّته ولا يخفف عنهم كَمُّه، وهذا ثابت فى حق الكافرين

جميعا بقوله تعالى «إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون * لا يُفتّر عنهم وهم فيه مبلسون» ويجيء قوله تعالى «ولا هم يُنظرون» لبيان انقطاع أمل هؤلاء فى أن يخفف عنهم العذاب لإثبات النص أنهم لا يمهلون عن العذاب ولا هو يؤخر عنهم، وأن الله لا ينظر إليهم فلا تكون منه تعالى رحمة بهم.

وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

التفسـير :

الخطاب فى الآية موجه إلى كاتمى ما أنزل الله من البينات، فمن بعد زجرهم فى الآيات السابقة عما أتوا من الكتمان و إثبات نبوته ﷺ لهم جاءت الآية لإثبات وحدانية الله ردا على قول اليهود «عزير ابن الله» وقول طائفة من النصارى «المسيح هو الله».

فجاء قوله تعالى «و إلهكم إله واحد» جاء فيه لفظ «و إلهكم» منسوبا إليهم للإفادة عن أن الحديث عن الإله الذى يؤمنون به، وجاءت إعادته بلفظ «إلٰه» للتدليل على أن محل الاعتبار ليس مجرد الإيمان بالله و إنما بالإقرار بوحدانيته سبحانه وتعالى، ولذلك جاءت صفته «واحد» لتأكيد المعنى.

ثم جاء قوله تعالى «لا إله إلا هو» نافيا الألوهية عن غيره ومثبتا إياها له وحده؛ لإثبات بطلان الزعم بألوهية المسيح أو بنوّته لله وبطلان الزعم ببنوة عزير لله، ولإثبات تفرده تعالى بالألوهية والربوبية .

فالجملة خبر ثان للمبتدأ «إلٰهكم» أو صفة أخرى للخبر «إلٰه واحد». وقوله تعالى «الرحمن الرحيم» إيرادٌ لخبرين آخرين لبيان استواء الجميع فى الحاجة إليه لأنه لا سبيل لأحد إلى النجاة من العذاب والفوز بالنعيم إلا برحمته.

*****

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤﴾

أولا: الأســـماء :

١ - **خلق** : هو التقدير، وهو الإنشاء من العدم، والخليقة هى الطبيعة لأنها تقدير الله، وخليقة الله وخلق الله هم ما خلق.

٢ - **اختلاف** : هو و«الخلفة» - فى الآية - بمعنى واحد يصح أن يكون بمعنى أن أحدهما يخلف الآخر «وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة»، ويصح أن يكون بمعنى اختلاف أحدهما عن الآخر فى أوصاف النور والظلمة، والطول والقصر.

٣ - **الليل** : هو الفترة من غروب الشمس إلى طلوع الفجر.

٤ - **النهـــار**: هو الفترة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

٥ - **الفلك** : هو السفينة، يقال للمفرد وللجمع يذكر ويؤنث، ففى المفرد المذكر جاء قوله تعالى «فى الفلك المشحون»، وفى التأنيث واحتمال الإفراد والجمع قال تعالى «والفلك التى تجرى فى البحر»، وفى الجمع قال تعالى «حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم».

٦ - **دابة**: الدابة هى كل ماشٍ على الأرض أو كل ما يدب عليها.

٧ - **تصريف الرياح**: المراد بالتصريف - فى الآية - إرسال الرياح أو تقليبها جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا، حارة وباردة، وعاصفة وليّنة، وعقيما ولواقح، وبالرحمة أو بالعذاب. والرياح

جمع ريح وهـى تحرك الهـواء قد يشتـد وقد يضعـف، وهى أنـواع: «الصَّبا» حـارة يابسـة، «والدبور» باردة رطبة، و«الشمال» باردة يابسة .

٨ ـ السحاب : اسم جنس، مفرده سحابـة وهى بخار المـاء المتجمع فى طبقـات الجو العليا، سمى سحابا لانسحابه فى الجو أو لسحب الرياح إياه من مكان لآخر.

٩ ـ المسخر : هو المذلَّل، وهو ما قد يكون متمثلا فـى بعثه من مكان إلى آخر، أو فى ثبوته بين السماء والأرض بغير عمد، أو بنزوله بماء ينتفع به أو بماء وعذاب .

ثانيا : التفســـــير :

قيل إن سبب نزول الآيـة أنه عندما نزل قولـه تعالى «وإلٰهكم إلٰه واحد» قـال المشركون ـ وكانت لهـم أصنام متعددة يعبدونها ـ «كيـف يسع الناس جميعهم إلٰه واحد؟»، نـزلت الآية بدليل التـوحيد ببيان تعدد المخلـوقات واختلاف كل منهـا عن الآخر فى وظيفتـه ليكون هذا الاختلاف جميعـه مجتمعا فـى منظومـة واحدة يحقق غـرضا واحـدا هو خـلافة الإنسـان فى الأرض بتحقيق مصالحـه بما فيها تأديـب العصاة بما يثبت وحـدانية الخالق، فجـاءت الآية بالأدلـة على هـذه الوحـدانية، والآيـات المذكـورة فى الآيـة هى: خلـق السماوات والأرض بإنشائها من العدم.

وجاء تعبيره تعالـى عن السماوات بصيغة الجمع وعن الأرض بالمفـرد لأن السماء مكونة من طبقـات تختلف كـل منها عـن الأخرى وهـو اختلاف يـدركه النـاس على صـور مختلفة بـاختلاف مـدى علمهم فقـد كان مـدركا لـدى الناس وقـت نزول القـرآن أن هناك الغـلاف الجـوى، وفيه تجـرى الريـاح وتتحرك السحـب، وأن هنـاك فوق ذلـك كواكـب المجموعـة الشمسية، وأن هناك الشمس أبعد منها عن الأرض، كما كانـوا يعرفون أنه يوجد أبعد من ذلك المجرات؛ ولذلك جاء ذكـر السماوات بالجمع موافقا علمهم وقتذاك. ونحـن نعلم اليوم من القرآن العظيم ومن العلم أن ذلـك جميعه فى السماء الدنيا وحدها «ولقـد زينا السماء الدنيا بمصابيـح» فيكون التعبير عن السمـوات بصيغة الجمع موافقـا علم الناس وقت نـزول النص القرآنى وموافقـا العلم الموقن به لدينـا اليوم ـ والتعبير عن الأرض بصيغة المفـرد لأنها كانت كذلك فى نظـر الناس وقت نزول النص القرآنـى، ولأنها كيان واحد على ما تـوصل إليه العلم

إلى يومنا هذا وإن اختلفت مكونات أعماقها عن قشرتها، فهي قد تكونت بانفصالها عن الشمس منذ حوالى خمسة بلايين سنة كتلة واحدة، ولا يحول دون اعتبارها واحدة أنها تتكون من غلاف يابس أو قشرة أرضية تتركب من خليط من مواد معدنية وصخرية بعضها صلب وبعضها رخو، ومن جوف أو عمق هو ما يلى القشرة من الداخل يتكون من مواد معدنية ثقيلة مرتفعة الحرارة، فيكون التعبير عنها - فى الآية - بصيغة المفرد موافقا العلم. ومن الآيات المذكورة فى الآية اختلاف الليل والنهار فى الصفات وخلافة كل منهما الآخر، ومنها آية جريان الفلك على سطح الماء ووقوفها فوقه على ثقلها ليفيد الناس من تسخير الله لها على هذا النحو، ومنها إنزاله سبحانه وتعالى الأمطار من السماء ليكون من نزولها تهييج قوة الإنماء فى الأرض فيكون منها إنبات الزرع ورى النبت الذى كان مصيره إلى موات لولا نزول المطر أو لولا الماء جرى أنهارا وجداول من بعد نزوله مطرا، لأن طبيعة الأرض اليبوسة، ومنها تكثيره جل وعلا ما على الأرض من الدواب «وبث فيها من كل دابة» وجاءت «من» وهى للتبعيض على أن هذا التكثير سيشمل بعض ما فى قدرة الله أن يكثره، ودليل ذلك ما ثبت من انقراض أنواع كثيرة مما كان يدب على الأرض فى الأزمنة القديمة من الدواب لم يكثرها الله. ومنها أيضا تقليبه سبحانه وتعالى الرياح جهات مختلفة وأنواعا مختلفة ليكون منها الرحمة أو العذاب وتوجيهه السحاب المذلل بأمره إلى حيث يشاء وليكون نزوله مطرا حيث يشاء، ويجىء ختام الآية «لآيات لقوم يعقلون» بمعنى أن من شأن من يدرك هذه الآيات ويكون ذا عقل يفكر ويتدبر أن يعلم أن فاعل ذلك جميعه ومنظِّمه هو إله واحد، رغم أن فى تأمل كل آية على حدة الدليل على ذلك. والمعنى المستفاد أنه لا ينكر وحدانية الله من بعد المعرفة بهذه الآيات ذو عقل سليم.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾

أولا: الأســـماء :

١ ـ أنـــــداد : جمع «نـــد» وهو المثل والنظير ومثله النديد والنديدة .

٢ ـ حب : هو المحبة وهـو شعور في النفس تجـاه شخص أو شيء يجعل المحبـوب أثيرا لدى المحب، وحب الله يتمثل في تعظيمه وطاعته .

ثانيا : التفســـــير :

جملة الآيـة بيان لحال المشـركين الـذين عرضـت عليهم أدلة وحـدانية الله فظلـوا على الشرك متخذين مما يعبدون من دون الله نظراء ـ فـي اعتقادهم ـ وأمثالا لله جل وعلا، وقد كان هؤلاء المتخذون أنـدادا هم الأصنام المعبودة وقت نـزول النص القرآني، وهم كـل معبود من دون الله في أي زمان ومكـان ولو كان من البشـر كالقادة والزعمـاء، ويصفهم الله تعالى بـأنهم «يحبونهم كحـب الله» وقد يعني هذا أن المماثلة والمنـاظرة بين الله تعالى وبيـن الأنداد لدى المشركين هي فـي المحبة فقط، يؤيد ذلك أن المشركيـن كانوا يؤمنون بالله الخـالق، على ما يبين من قـوله تعالى «ولئـن سألتهم من خلـق السموات والأرض ليقولن الله» وكـانوا يلجؤون إليـه في الشـدائد «فـإذا ركبـوا في الفلـك دعـوا الله مخلصين لـه الـديـن»، لكنهم اتخـذوا معبوداتهم لتقربهم إلـى الله زلفى ـ بقولهم ـ فكان منهم لهم المحبـة المماثلة حبهم لله وهذا شرك به سبحانه وتعالـى. ويجيء قوله تعالى ـ جملة اعتراضية ـــ «والذين آمنوا أشد حبًّا لله» لبيان الفرق بين محبـة المشركين لله ومحبة المؤمنين لـه، فقوله «أشد حبًّا» وعدم قـوله تعالى «أحب منهـم لله» يعني أن الاختلاف بيـن محبة هؤلاء لله ومحبة هـؤلاء ليس في الحـب ذاته وقوتـه، وإنما فيما يخـرج عنه من الـرسوخ والثبات، وإنـا لنشاهد مـن المشركين اليـوم مثل البوذيين والبراهمة مـن يأتي بعبادات أشد إيلاما من عبادات المـؤمنين، لكن يبقى الاختلاف في الرسـوخ والثبات، فالمشرك قد يعدل عـن عبادة معبوده حين لا يفعل ذلك المـؤمن حقا، ولذلك قال المولـى في شأن المشركين أنهم يتبرءون من معبوديهم «وقـال الذين اتبعوا لو أنَّ لنا كرة فنتبرأ منهم». ويجيء قـوله تعالى ـ بعد ذلك ـ «ولو يرى الـذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديـد العذاب» لبيان أن شرك هؤلاء بالله هـو ظلم عظيم لأنفسهم

وعقولهم وأن ظلمهم أنفسهم كان بتعريضها للعذاب الذى يرون ويعلمون لدى معاينته يوم القيامة ، أو لدى معاينة ما أعد لهم منه وأرواحهم فى البرزخ تعرض عليهم النار ويعرضون عليها - أن القوة لله جميعا وأن غيره لا يملك لهم نفعا ولا ضرا، وأنه سبحانه وتعالى معذبهم بفعلهم أشد العذاب .

إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾

أولا: الأسماء :

١ ـ **الذين اتُّبعوا:** هم الرؤساء والسادة الذين حضوا على الكفر أو الشرك أو هم شياطين الجن الذين حرضوا على الكفر ووسوسوا به فى النفوس، وجاز أن يكون المراد بهم المتخذون أندادا لله .

٢ ـ **الذين اتَّبعوا :** هم المرءوسين الذين اتبعوا سادتهم على الكفر أو الشرك .

٣ ـ **الأسباب :** جمع سبب، وهو فى الأصل الحبل أو الحبل الذى يتوصل به إلى ماء البئر، والمراد بها الصلات التى كانت تصل التابعين بالمتبوعين.

ثانيا : التفسير :

تتكلم الآية الشريفة عن حال المتبوعين فى الكفر وتابعيهم لدى معاينتهم ما أعد لهم من العذاب عند الموت ولدى عرضهم على النار قبل يوم القيامة ولدى تيقنهم من مواقعتهم النار يوم القيامة فيكون من المتبوعين أو من المتخذين أندادا لله أنهم يتبرءون من تابعيهم لدى رؤية هؤلاء وهؤلاء ما أعد لهم من العذاب، ويكون انقطاع الصلات التى كانت تربط التابعين بالمتبوعين فى الدنيا من أنساب ومصاهرة ومنافع متبادلة بين المرءوسين والرؤساء، ومن محبة المشركين لمعبوداتهم من الأصنام أو محبة متبادلة بينهم وبين معبوديهم من البشر.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ كرة: الكرّة واحدة الكرّ،مصدر الفعل «كرّ يكرُّ» كرا بمعنى عاد ورجع إلى حال كان عليه فيكون معنى الكَرَّة هو الرجعة.

٢ ـ حسرات: جمع حسرة ، وهى أعلى درجات الندم على شىء فات ، مشتقة من «حسير» وهو الشىء الذى انقطع وذهبت قوته، أو من الحاسر وهو المكشوف ومنه الحاسر فى الحرب بمعنى الذى ليس عليه درع يحميه.

ثانيا : التفسـير:

تتحدث الآية الشريفة عما يكون من الأتباع يوم القيامة حيث يرون تبرؤ متبوعيهم من الرؤساء والسادة أو من معبوديهم فى النار منهم، فيكون من التابعين قولهم«لو أن لنا كرَّة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا» بمعنى أنهم يتمنون فى قلوبهم أن تكون لهم عودة إلى الحياة الدنيا هم ومتبوعيهم لكى يجازوهم على فعلهم بالتبرؤ منهم جزاء على تبرؤ المتبوعين منهم يوم القيامة، وأنهم يعبرون عن هذه الأمنية بأفواههم. وتمنيهم أن يكون التبرؤ فى الدنيا وليس فى الآخرة مرجعه أنه تكون له قيمته فى الدنيا لكونه سببا لخزى المتبوعين وخذلانهم حين أنه لا تكون له ذات القيمة فى الآخرة لانشغال كل منهم بما يلاقى من العذاب. ثم يقول المولى سبحانه وتعالى «كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم» والمراد بالقول هم المتبوعون والتابعون معا، ومعنى «كذلك» هو أن الأمر كذلك،وهو بأن يريهم الله سيئات أعمالهم التى قارفوها فى الدنيا وهو ما قد يكون برؤيتها فى كتاب «لا يغادر صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها» أو بأن يريهم إياها رؤيا قلب. وقيل: إنه يطلعهم على أعمالهم الصالحة فى الدنيا التى لا تفيدهم فى

الآخرة بسبب كفرهم. فيكون منهم الحسرة والندم على ما فرطوا فى جنب الله. وتختتم الآية بقوله تعالى: «وما هم بخارجين من النار» إقرار لواقع حكمه تعالى فى المشركين وهو الخلود فى النار وعدم الخروج منها، ويفهم منه بمفهوم المخالفة أن غير المشركين والكافرين من عصاة المسلمين لايخلدون مثلهم فى النار.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾

أولا الأســـــماء:

١ ـ **الحلال**: فى قوله تعالى «حلالا طيبا» هو ما انحلت عنه عقدة الحظر والمنع. باعتبار أن القاعدة هى «الحِلُّ» وأن التحريم لا يكون إلا بنص.

٢ ـ **الطيب**: هو ما يلذ طعمه الفم، أو تسعد رؤيته العين، أو تتنفس برائحته الأنوف وتسطيبه وتستحسنه الشهوة المستقيمة. وشرطه ألا يكون دنسا ولا نجسا ولا محرما.

٣ ـ **خطوات**: جمع «خطوة» بفتح الخاء وبضمها، وهى ما بين القدمين.

ثانيا التفســـير:

قيل إن الخطاب فى الآية موجه إلى المشركين الذين حرموا على أنفسهم البحيرة ـ وهى الناقة التى تلد خمس مرات آخرها ذكر، والسائبة ـ وهى الناقة المنذورة من المشركين لأصنامهم ـ، والوصيلة ـ وهى الذكر من ولد الشاة إذا ولد مع أنثى كان المشركون يقولون إن الانثى وصلت أخاها فى عدم ذبحه ـ والحام ـ وهو الفحل من الإبل الذى خرج من صلبه عشرة أبطن. وقيل: إنه موجه إلى عبد الله بن سَلَام ولمن آمن مِنْ اليهود فأسلم وكانوا يحرمون على أنفسهم أكل الإبل لكونها محرمة فى شريعة موسى فجاء قوله تعالى «يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا» متضمنا قاعدة عامة فحواها أن الأصل فى شأن المأكول هو الحِلّ، وجاء لفظ «حلالا» بمعنى «حال كونه حلالا» وهو يكون كذلك ما لم يأت بتحريمه

نص مـن القرآن أو سنَّة مفسـرة من رسول الله ﷺ،كمـا جاء لفـظ «طيبا» بمعنى ممـا تستلذه الشهوة المستقيمة، وقد رأى البعـض أن مفاد هذا هو النهى عن الأكـل على امتلاء المعدة لأنه لايحصل منـه التلذذ. وتختتم الآية بقولـه تعالى: «ولا تتبعوا خطوات الشيطـان إنه لكم عدو مبين» وهو قول يتضمن من جهة نهيا عن تأثـر الشيطان واتباعه فيما يوحى به أو ما يفعله بصفة عامة فيدخل فيـه اتباع البدع والعمل بما لم يرد به الشرع، ويدخـل فيه ـ بصفة خاصة تحريم الحلال وتحليـل الحرام والحلف بالطلاق والنذر فى معصيـة، والحلف بغير الله، كما يتضمن ذات القول ـ من جهة أخرى ـ تحذيـرا للناس من اتباع الشيطان ببيـان علة النهى وهى كـون الشيطان عدوا لـلإنسان ظاهـرة عداوته علـى ما يفصـح عنه قولـه تعالى «ويـريد الشيطان أن يضلهـم ضلالا بعيدا» وقـوله تعالـى «إن الشيطان لكم عـدو فاتخذوه عـدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير».

إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

أولا: الأســــماء:

١ ـ السوء: مصدر الفعل «سـاء يسوء» سوءا أو مساءة إذا أحـزن فالسوء هو الحـزن عاقبة الفعل، أو هو ما يسىء صاحبه. وأطلق على جميـع العاصى من الأفعال والأقوال لأنها تسوء صاحبها.

٢ ـ الفحشاء: هى أقبح أنواع المعاصى وأعظمها مساءة، وقيل إنها المعصية التى عقوبتها حدٌّ من حدود الله مثل السرقة، والشرب، والردَّة، والـزنا، والحرابة. وقيل: إن جميع المعاصى والفـواحش سيئـات علـى ما يبيـن مـن قولـه تعـالى:«بلَـىٰ مـن كسب سيئـة وأحـاطت بـه خطيئته»،وقوله تعالى: «إن الحسنات يذهبن السيئات».

ثانيا: التفســـير:

جملة الآية استئناف لبيان عداوة الشيطان للإنسان ببيان أفعاله معه المظهرة لهذه العداوة

لاستهدافه به إيذاءه وتعذيبه، وتتمثل هذه الأفعال فى أمره الناس بارتكاب المعاصى والفواحش أو عموم السيئات ،وتعبيره تعالى عن وسوسة الشيطان وتزيينه الشر للناس بأنه «أمر» إنما كان لأنه يكون بمثابة الأمر لمن كان من الغاوين أو لمن كان للشيطان عليه سلطان، أما غيرهم فقد استثناهم المولى عز وعلا من الخضوع للشيطان أو من أن يكون له عليهم سلطان إن حاول الشيطان معهم إغواءهم بدلالة قوله تعالى: «إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين» ، كما يتمثل فى أمره الناس أن يقولوا على الله ما لا يعلمون، وهو ما يكون بافترائهم على الله الكذب فيقولون إنه تعالى حرَّم هذا مما لم يحرِّم مثل البحيرة والسائبة ، وإنه تعالى أحلّ هذا مما لم يحل أو لم يرض عنه مثل الزعم أنه تعالى أباح اتخاذ الأنداد، وجرى التعبير عن هذا بأنه «ما لا يعلمون» لأنهم إنما قالوا متبِعين فيه غيرَهم غير عالمين بحقيقة حكم الشرع فيه فيتكلمون بما لا يعلمون صحته ولا صحة صدوره عن الشارع الحكيم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

التفسـير:

الضمير فى قوله تعالى «لهم» عائد على الناس فى قوله تعالى «يا أيها الناس كلوا» وقيل إن المقصودين بالنص هم كفار العرب وقيل اليهود، والمعنى أنه قيل لهم اتبعوا حكم الله الذى نزلت به شريعته على رسول الله ﷺ فيكون الحلال هو ما أحلَّه الله والحرام هو ما حرَّمه، فكانت إجابتهم أنهم إنما يتبعون ما وجدوا عليه آباءهم فيحرمون ما كان آباؤهم يحرمونه على أنفسهم ويحلُّون ما كان آباؤهم يحلون. والمعنى إنهم مقلدون بغير وعى ولا تفكير؛ ولذلك لم يذكروا فى مبتدأ الآية. وجاء الخطاب للغائب للتدليل عل أن من لا يعمل عقله اكتفاء بالتقليد ليس أهلا للخطاب ما لم يكن غير قادر على النظر فى الأمر وتقديره فيعتمد على فُتيا من يعلم. وقوله تعالى«أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون» وقد جاء بصيغة

الاستفهام وجاءت جملة القول معطوفة على سابقتها لبيان أن غاية الجهالة هى اتباع غير العاقل وتقليده وهو فعل المقصودين بالنص الذين اتبعوا من لا يعقلون ولا يهتدون إلى حق: ولهذا قيل إن الآية جاءت فى ذم التقليد.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾

أولا: الأســـــماء:

١ ـ دعـاء: مصدر من الفعـل «دعا ـ يدعـو» وهو النداء للقريـب. وقيل إن الدعاء هـو ما يسمع من النداء.

٢ ـ نداء: مصدر من الفعـل «نادى ـ ينادى» نداءً، وهـو الدعاء بمعنى واحـد إلا أنه يكون للبعيد، ولذلك يقال للأذان بالصلاة نداء. وقيل: إن النداء هو ما قد يسمع وقد لا يسمع.

ثانيا التفســــــير:

جاءت جملـة الآية مقـررة ما قبلهـا بتمثيلها حـال الكفار الـذين دعـاهم رسـول الله ﷺ للإيمان ولاتبـاع شرع الله فكان شأنهم منه ﷺ شـأن البهائم من راعيها ينعق عليهـا فلا تفهم منه شيئا وغاية ما تدرك منه هو جرْس الصوت أو نغمته ودويه، فيكون فى جملة الآية مضاف محذوف ليكـون المراد بها «مثـل داعى الذيـن كفروا كمثل الـذى ينعق» وعلة تشبيـه الكفار بالبهائم التى تسمع ولا تعى هو كونهم على تقليد آبائهم وإحجامهم عن إلقاء السمع إلى ما يتلى عليهم وإعمال عقولهم بشأنه: ولذلك نعتوا بأنهم «صم بكم عمى فهم لا يعقلون».

فلكونهم لا يعقلون أو لا يُعملـون عقولهم كانوا صما عـن فهم ما يدعون إليه. وكـانوا بكما لا يجيبون داعيهم رسول الله ﷺ وكانوا عميا لا يرون الحق. وهذه حال المقلِّد.

وقد قيل إن التمثيل الوارد فى الآية هو تمثيل الكافرين فى دعائهم أصنامهم بالناعق على البهائم، وهـذا القول لا يـؤيده قـوله تعـالى: «إلا دعـاء ونداء» لأن الأصنـام لا تسمع جـرْس

الصوت ونغمته.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾

التفسـيـر:

جاء قوله تعالى في هذه الآية مخاطبا المؤمنين على وجه خاص بالأكل من طيبات الرزق من بعد مخاطبته الناس عموما بذات الأمر فى الآية ١٦٨ تشريفا للمؤمنين وتمهيدا لطلب الشكر منهم، وفى الأمر إشارة إلى وجوب عدم الإفراط فى أكل المتاح من الطيبات على ما يبين من قوله تعالى: «من طيبات» بمعنى البعض من الطيبات لأن «من» للتبعيض، وفيه أيضا بيان لوجوب أن يكون المأكول من الحلال لأن غير الحلال لا يكون من الطيبات، وبيان لمضمون «الرزق» وكونه قد يشمل الطيب وغير الطيب، ثم كان منه سبحانه وتعالى طلب الشكر من المؤمنين على ما رزقهم وعلى ما متعهم به من قدرة على الإفادة منه بأكله والتلذذ به، وقوله تعالى «إن كنتم إياه تعبدون» هو تعليل لطلب الشكر فما داموا يعبدون الله وكانت العبادة لا تتم إلا بالشكر فإنهم لابد شاكرون.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣﴾

أولا: الأسـمـاء:

١ ـ الميتة: هى ما فارقته الروح، والمراد به ـ فى الآية ما فارقته الروح من غير ذكاة إن كان مما يذبح مثل الماشية والأغنام والطير، وما فارقته الروح بطكاة أو بغير ذكاة إن كان من سباع

الحيوان وجوارح الطير.

٢ ـ **الدم**: هو سائل الحياة الذى يجرى فى الشرايين والأوردة، ويخرج عن المراد به فى الآية الدم الموجود فى لحم الذبيحة مخالطا إياه، وقيد عمومه بقوله تعالى: «إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحًا» فى الدم المسفوح.

٣ ـ **الخنزير**: الحيوان المعروف، وهو محرم أكله فى شريعة موسى التى لا يؤكل فيها من الحيوان إلا ما كان ذا ظلف مشقوق ويجتر، لأنه وإن كان من ذوات الظلف المشقوق إلا أنه لا يجتر.

٤ ـ **الباغى**: فى قوله تعالى «غير باغ» هو كل من ابتغى فوق ما هو له، أو أخذ فوق حاجته، وهو من خرج على الحاكم أو على الناس ،والمراد به فى الآية من أكل فوق حاجته.

٥ـ **العادى**: فى قوله تعالى: «ولا عادٍ» هو من اعتدى على الغير فالمغير على المسلمين عاد، وقاطع الطريق عاد. والمراد به فى الآية من استوفى الأكل إلى حد الشبع.

ثانيا: التفســـــير:

بعد أن بينت الآية السابقة أن القاعدة العامة هى الحِلُّ ، جاءت هذه الآية بالتحريم بالنص فبدأ قوله تعالى بلفظ «إنما» مكون من إثبات «إن» ونفى «ما» لإثبات التحريم فيما يذكره النص ونفيه عما عداه.والمحرم هو الميتة ، وجاء ذكرها دون تخصيص لحمها لبيان أنها من النجاسات فلا يجوز الانتفاع بأى جزء منها لكونها من النجاسات، وقد اختلف فى شأن الانتفاع بجلدها أو فرائها فقيل إنه يطهر بالدباغة وقيل إنه محرم لأنه منها وجملتها محرم الانتفاع به، وقد استثنى بالحديث من الميتة السمك والجراد إلا ما يموت من السمك فى الماء فيطفو على سطح الماء والجراد يوجد ميتا. ويعتبر فى حكم الميتة الجزء من الطير أو البهيمة يقطع منها وهى حية، والأجنة ــ فى رأى ـ والمحرم هو الدم ما لم يكن مختلطا باللحم الحلال أكله وخصص بقوله تعالى فى سورة الأنعام «أو دما مسفوحا» بأنه الدم المسفوح . والمحرم أيضا لحم الخنزير وجاء التعبير باللحم لبيان تحريمه سواء ذكى أم لم يذكى. والإجماع على أن جملة الخنزير محرمة إلا الشعر فلم نعلم أن رسول الله ﷺ حرم

الخرازة به. والمحرم أيضا هو ما أهل لغير الله به بمعنى ما ذكر عليه اسم غير اسم الله تعالى مثل الصنم أو النار أو بوذا أو براهما، والمشهور أنه لا يعتبر منه ما ذكر عليه اسم المسيح. وبعد بيان المحرم جاء قوله تعالى «فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه» متضمنا حكم حالة الضرورة عندما يكره المرء على أكل المحرم لأى سبب كان، فمن ذلك أن يؤسر فلا يقدم له العدو إلا لحم الخنزير، أو أن يوشك على الهلاك من شدة الجوع إلا أن يأكل ميتة شريطة ألا يبتغى من أكلها التلذذ بطعمها أو الشهوة فى النفس وألا يستوفى حد الشبع، وحكم من يفعل ذلك عند الضرورة بشروطه ألا يؤثم فعله فلا يؤاخذ عليه، وهذا حكم الله الذى غفر الفعل لحالة الاضطرار ـ ومفاده بقاء حرمة الفعل وإن رُخِّص به ـ وأباح للمضطر أكل المحرم رحمة به.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾

أولا: الأسماء:

بطون: جمع بطن، وهو ضد الظهر، وهو أيضا الجمع من الناس الأقل من القبيلة. أو من يرتبطون منها ببعضهم عن طريق الأم.

ثانيا التفسير:

نزلت الآية فى علماء اليهود الذين علموا من التوراة أن الله يبعث من بنى إسماعيل نبيا بشريعة من بعد شريعة موسى أوردت صفاته فكان الناس ينتظرونه ليؤمنوا به، فلما جاء ﷺ كتموا ما عرفوا من الحق مما أنزل الله عنه فى التوراة مقابل الرشاء من سادتهم الذين خشوا على سيادتهم قومهم أن تزول بإيمان أتباعهم به، فعبَّر النص القرآنى عما يأخذ علماء اليهود من الرشاء من السادة ثمنا لكتمانهم ما يعلمون بأنه النار يأكلونها فى بطونهم، ووصف الثمن بأنه قليل إنما كان بالقياس لثمن الإفصاح عن الحق وهو حُسْن الثواب، ولأن مدة

الانتفاع بمباهج الدنيا قصيرة قياسا على أبدية نعيم الآخرة، كما كان للتدليل على خسارة الصفقة التى عقدها هؤلاء ببيعهم علمهم بمتاع الحياة الدنيا. وقيل: إنهم يأكلون يوم القيامة النار فعلا وليس الأمر مجرد تشبيه لأخذهم الرشاء بأكل النار. ويوضح النص القرآنى أن ذلك إنما كان لغضب الله عليهم. وهو المعبَّر عنه بقوله تعالى: «ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم» لأن آية الغضب من أحد على أحد هى ألا يكلمه، والمراد أنه لايكلمهم بواسطة الملائكة ولاينظر إليهم، وأنه لايطهرهم من دنس ذنوبهم، ثم يجىء قوله تعالى: «ولهم عذاب أليم» لبيان مآل ما كان منهم إلى ختام مراحله التى بدأت بكتمانهم الحق، واشترائهم بما أنزل الله ثمنا قليلا، وشهادتهم على رسول الله ﷺ شهادة زور بإنكارهم نبوته وإيلامه بهذا فكان مقابل ذلك لهم غضب الله.

أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾

التفسير:

تصف الآية أمر الكاتمين ما أنزل الله مقابل الثمن الدنيوى بأنهم اشتروا ـ فى الحياة الدنيا ـ الضلالة بالهدى بما يعنى خسارتهم فى الحياة الدنيا، وبأنهم اشتروا فى الآخرة ـ العذاب بالمغفرة فخسروا الآخرة وخسارتهم الدنيا والآخرة بيان لشناعة فعلهم ولشدة وعيدهم. ويجىء قوله تعالى : فما أصبرهم على النار» بمعنى: «ما أشد صبرهم، أو ما أشد جرأتهم على النار» تعجبا للمؤمنين من ارتكاب الكافرين من الأفعال ما يؤدى إلى مواقعتها ـ عالمين بالمآل ـ و إقدامهم عليها وهى موجبات دخولها.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

التفســـــير:

يشير لفظ «ذلك» فى مبتدأ الآية إلى ما جاء في الآيات السابقة متعلقا بحال كاتمى الحق من أكلهم فى بطونهم النار، وعدم تكليم الله إياهم وعدم تزكيتهم، وتعذيبهم العذاب الأليم، فيكون المراد بالكتاب هو القرآن.

كما يشيـر إلى الحق الذى تضمنـه كتاب موسى التـوراة في شأن التبشير بـرسول الله ﷺ ووصفه، فيكون الكتاب هو التوراة أيضا.

ثم يقـول سبحانـه وتعالـى:«وإن الذيـن اختلفوا فـى الكتاب لفـى شقاق بعيـد» والمراد بالكتاب هنا هو التـوراة. والذين اختلفوا فيها هم اليهود والنصارى، واختـلافهم كان في شأن المسيح عيسى ابن مريـم عليه السلام، قالت النصارى إنه المبشر به مـن موسى عليه السلام وفى سفر إشعياء من العهد القديم أنه المسيح المبشر بمجيئه، وأنكر اليهود ذلك ونفوا أنه هو فلم يؤمنوا به.

وقد وصف المولى سبحانه وتعالى موقفهم من بعضهم بالاختلاف البعيد عن الحق على ما يبين من قـوله تعالى:«لفى شقاق بعيـد» فالشقاق هو الاختلاف ، وبعده عـن الحق إنما كان لتضمن التوراة التبشير برسول الله ﷺ ووصفه على نحو دقيق ولتضمن الإنجيل ذلك على ما سبق بيانه من وجود النصوص الدالة على ذلك في التوراة والإنجيل الموجودين بين أيدينا اليوم، كمـا كان أيضا لأنه مكتـوب في إشعياء أنه كمـا يكون هناك نبـى يدخل مدينتـه على حمار فـإن هناك نبيا بعـده يدخل مدينتـه على جمل، والأول هـو المسيح عيسى ابـن مـريم دخل بيـت المقدس على حمـار، والثانى هـو رسول الله صلى الله عليـه وسلم دخل المـدينة المنورة على ناقته «القصواء» فيكون فى اختلاف الفريقين فى شأن المسيح وفي عدم الإيمان برسول الله ﷺ خلاف يبعد عن الحق ووجهه.

■■■■

۞لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

أولا: الأســـــماء:

١ ـ **البر**: سبق بيان معناه، وهو ـ فى الآية ـ اسـم جامع لجميع أنواع الخير والطاعات التى تقرِّب العبد إلى ربِّه وقد يكون المراد به «البار» للمبالغة.

٢ ـ **ابن السبيل**: هو المسافر فـى الطريق، وصف بابن السبيل لأن الطريـق تبرزه أو تخرجه كما تخرج الأم ابنهـا، جاء ذكره مفردا لتهويـن أمر الإعطاء لأبناء السبيل إن تعـدَّدوا، وقيل إنه الضيف الذى يحل على المسلمين.

٣ ـ **السائلون**: فى قوله تعالى « والسائلين» جمـع سائل، والمراد فى الآية طالب الطعام، سواء أكانُ عنده منه ما يكفى حاجته أم لم يكن عنده.

٤ ـ **الرقاب**: جمع رقبة وهى مؤخر أصل العنق ، والرقبة هى المملوك وصف بذلك تشبيها له بالمقيد من رقبته إلى غيره، وقيل إنها فـى الآية مجاز عن الأشخاص. ومعنى « فى الرقاب» هو فى تخليص المملوكين أو العبيد من العبودية.

٥ ـ **البأساء**: هى حالة البؤس والفقر.

٦ ـ **الضراء**: هى حالة السقم والمرض والوجع.

٧ـ **البأس** : هو العذاب، وهو الشدة فى الحرب، وهو المراد به فى الآية .

ثانيا : التفســـــير:

نزلت الآية تخاطب جملتها اليهود والنصارى الذين اختلفوا فى شأن القبلة فى الصلاة فكان اليهود يصلون قبل المغرب إلى بيت المقدس وكان من النصارى من يصلى إلى المشرق، وكل منهما يزعم أنه المؤدى بذلك وجوه الطاعات المقربة إلى الله سبحانه وتعالى فنزلت الآية تبين سخف مازعموا واعتقدوا وأنه ليس جماع الطاعات هو التوجه فى الصلاة إلى قبلة بعينها، كما تبين أيضا مفهوم الطاعات المقربة إلى الله تعالى. فقال تعالى ـ فى بيان عدم كفاية التوجه إلى قبلة معينة سببا للتقرب إلى الله ـ «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » وجاء ذكر المشرق قبل المغرب ـ وإن كانت اليهودية أسبق من النصرانية فى الوجود ـ ترتيبا على ظاهر الأمر من أن الغروب يلى الشروق. وفى بيان مفهوم البرِّ أو الطاعات التى تقرب إلى الله تعالى ذكر سبحانه وتعالى الإيمان فى مقام أول وبيَّن محله أو موضوعه « ولكن البرَّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين» وجملة الآية فيها مضاف محذوف فكأن عبارتها هى « ولكن البر برُّ من آمن»، والمراد بالإيمان هو اليقين الخالى من شبهة الشرك، فهو إيمان بوجود الله الخالق، وبوحدانيته، وإيمان باليوم الآخر وهو يوم القيامة أو المعاد، وإيمان بالملائكة، بوجودهم وبكونهم عبادا مكرمين، منهم من ينزل بالوحى من الله على أنبيائه وبالكتب ، ومنهم الحفظة الكاتبون، وأنهم لا يوصفون بذكورة ولاأنوثة، وإيمان بالكتاب وهو القرآن وهو إيمان يستتبع الإيمان بما أنزل الله تعالى من الكتب لكون القرآن مصدقا لها، وهو إيمان بالنبيين جميعهم دون تفرقة بين أحد منهم، وبعصمتهم وأنهم الأشرف بين الناس حسبا ونسبا،وأن محمدا عليه الصلاة والسلام خاتمهم. ومن بعد ذكر الإيمان أول مناحى البر جاء بيان العمل لأن به كمال التقرب إلى الله فقال تعالى «وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب» وقوله تعالى «على حبه» يفيد معنيين : أولهما أن الناس قد جبلوا على حب المال لارتباطه بغريزة البقاء إذ يخشى المرء على نفسه وحياته ألا يجد ما يقتات به إذا ما

فنى ماله فيكون هلاكه، وثانيهما أن صدقة البخيل الذى يحب المال كثيرا والفقير الذى تشتد حاجته إلى المال فيرغب فى حيازته أحب عند الله من صدقة الغنى الكريم، ويكون إنفاق المال بالصدقات إلى ذوى القرابة المحتاجين وليس إلى ذوى القرابة عموما لأن إعطاء القريب غير المحتاج يكون هبة لا صدقة، ويكون من بعد هؤلاء إلى اليتامى وهم من فقدوا آباءهم ولم يبلغوا الحلم، ثم يكون من بعدهم للمساكين الذين ألجأتهم الحاجة إلى السكون ، ومن بعدهم إلى أبناء السبيل أو المسافرين فى الطرق أو ضيوف المسلمين النازلين عليهم فى تنقلاتهم، ثم إلى السائلين طعاما دون سؤال عن حالهم أغنياء كانوا أم فقراء، ثم يكون فى إعتاق العبيد والإماء وفك أسار الأسرى ، وهو ما قد يكون بشراء العبيد ثم إعتاقهم وبدفع الفدية للأسرى. ويجىء قوله تعالى - فى بيان مناحى العمل المطلوب من المؤمن - « وأقام الصلاة وآتى الزكاة» وهما عبادتان من العبادات الإيجابية أو العبادات التى تؤدى بعمل يؤدى وليس بالإمساك من عمل مثل الصوم، وجاء ذكر الصلاة لأنها عماد الدين وجاء ذكر الزكاة من بعدها مبينا أن الزكاة - وهى أحد أركان الإسلام فرضيتها محققة على المسلم - تختلف عن الصدقات المعبر عنها بإيتاء المال. والمقصود بالصلاة والزكاة صلاة المسلمين وزكاتهم. ثم يجىء قوله تعالى «والموفون بعهدهم إذا عاهدوا» معطوفا على قوله تعالى « من آمن» لبيان أن من توابع الإيمان المذكور الوفاء بالعهد، والعهد قد يكون مع الله وقد يكون مع الناس ويشترط فيه ألا يكون بتحريم حلال ولا بتحليل حرام. وقوله تعالى «والصابرين فى البأساء والضراء» وجاء فيه « الصابرين» منصوبا، بمعنى « وأمدح الصابرين» فهو مدح للصابرين لبيان فضيلة الصبر وكونه على رأس الأعمال الصالحة ، والصبر المقصود هو الصبر فى البأساء والضراء وحين البأس؛ أى الصبر على الفقر والبؤس والفاقة، والصبر على المرض والجوع ، والصبر وقت مقاتلة العدو ومجاهدته و إن طال.

وتختتم الآية بقوله تعالى « أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون» مبينة أن الذين آمنوا الإيمان الموصوف فى الآية ، وعملوا ما ذكر فيها من الأعمال، واتصفوا بما وصف به المؤمنون فيها هم الذين صدقوا فى إيمانهم أو فى طلب البر والتقرب إلى الله ، وهم الذين اتقوا - بجماع ذلك - عذاب الله وناره.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨﴾

أولا : الأســـــماء:

١ ـ القصاص: هو «القود» ، ومعنـاه ـ فى اللغة ــ المساواة، وفى الشريعـة المساواة بين الجريمـة والعقوبـة، ومن معانيـه اللغويـة التتبع، ومنـه قص الأثر بمعنـى تتبعه، وبينـه وبين المعنى الشرعى تناسب؛ لأن القصاص يتتبع فيه الجانى فلا يترك من غير عقاب رادع.

٢ ـ الحرُّ: ضد «العبـد» وهو المرء لـم يقيد بأسار العبـودية ولم تجـر عليه أحكامهـا، لأنه يكون حرا أن يختار ما يشاء وأن يفعل ما يشاء.

٣ ـ العبد : ضد «الحر» ، وهو الذليل، لأن العبودية هى الخضوع والذل. وهو أمر طارىء على الإنسان ـ فى الأصـل ـ يتحقق بتحقق سببه من أسر أو سبى فى الحـرب ـ على ما كان معروفا ـ أو بالشراء، كما يتحقق بالميلاد لأبناء العبيد.

٤ ـ الأنثى: ضد الذكر، والمـراد بها فى الآية أنثى الإنسان. والأنثيـان هما الخصيتان ، وهما الأذنان.

٥ ـ معروف: المعروف ضد «المنكـر» وهو العرف، أو ما تعارف عليه النـاس من العادات وألفوه حتى أصبح بمثابة قانون لهم .

ثانيا : التفســـــير:

الآية الشريفة من آيـات الأحكام بمعنى أنها نزلت بحكم شرعـى من الأحكام التى تنظم أحوال الناس والمجتمعات ، وردت فى شأن عقوبـة الاعتداء على النفس عمدا، فبينت أنها

القصاص . والخطاب فى الآية موجه إلى عموم المؤمنين بقوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا»، وينوب عنهم فى إيقاع القصاص ولى الأمر، كما يقوم بالمطالبة به نائبا عن ولى الدم لا يتجاوز إرادته بحكم نيابته عنه. وقوله تعالى «كتب عليكم» معناه أنه فرض عليكم باعتباره حكما شرعيا تتقيدون به ويحكم أفعالكم، ومضمون الحكم هو ـ كمبدأ عام ـ القصاص فى القتلى، بمعنى تساوى العقوبة مع الجريمة فتكون عقوبة القاتل عمدا هى القتل. وقوله تعالى « الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى » مفاده أن الحر إن قتل حرا فإنه يقتل به، وأن العبد إن قتل عبدا قتل به، والأنثى إن قتلت أنثى قتلت بها. لكنه لا يفيد أن الحر لا يقتل بعبد ولا أن المسلم لا يقتل بالذمى؛ ولذلك أفتى مالك بقتل الحر بالعبد استنادا إلى السنة والقياس والإجماع، وعلى هذا اتفق أبو حنيفة والثورى وغيرهم استنادا إلى التساوى فى الدم، والجمهور على غير ذلك ، كذلك الحال فى شأن قتل المسلم بالذمى، فرأى ذلك كثيرون منهم أبو حنيفة والنووى وابن أبى ليلى، ورأى كثيرون غير هذا قولا منهم إن الأمر بالقتل جاء خاصا بقتلى المسلمين لا بالقتلى من غيرهم، ولقوله تعالى «فمن عفى له من أخيه شىء» ولا أخوة بين المسلم وغير المسلم. كذلك الحال فى شأن قتل الذكر بالأنثى فجمهور الفقهاء على أن الرجل يقتل بالمرأة لأن نفس المرأة كنفس الرجل إن هلكت ، والنفس بالنفس إن هلكت. وقال آخرون بأن الرجل لا يقتل بالمرأة استنادا إلى قول منسوب لليث بن سعد فقيه مصر أن الزوج لا يقتل بزوجته لأن النكاح بينهما يكون شبهة تمنع القصاص لأن فى الزواج نوعا من ملك الرجل لامرأته . وهو قول نستبعد صدوره عن الليث بن سعد، واستند آخرون إلى حجج واهية منها أن المرأة بشكل عام لا تساوى الرجل، وأنه روى عن على بن أبى طالب والحسن البصرى ذلك. والصحيح أنه لم تصح الرواية عن على بن أبى طالب بل الذى روى عنه أنه يُقتل بها. وبعد إيراد الآية الحكم العام جاء قوله تعالى « فمن عفى له من أخيه شىء» وهو قول يتعلق بأحكام شرعية وتذكرة بأمور تزيل أثر الحقد من النفوس. فهو ـ من جهة ـ يخول ولى الدم الحق فى أن يعفو عن القاتل يقتص منه بقتله، ويستفاد منه أن القصاص لا يكون الا بطلبةٍ، ومن جهة أخرى يخول ولى الدم أن يكون العفو جزئيا بمعنى ترك القصاص إلى غيره وهو الدية ـ على ما يبين من قوله تعالى « من أخيه شىء» ـ، و« من» فيه

تفيد التبعيض، و« شىء» مفرد يدل على أنه بعض ما يعفى عنه. كذلك فإنه يفيد أنه إذا تعدد أولياء الدم وعفى بعضهم عن القصاص لم يقتص من الجانى ولولم يعف الباقون. أما التذكرة بما يزيل الحقد من النفوس فيتمثل فى وصف ولى الدم بالأخ؛ ولذلك طلب من ولى الدم العافى عن القصاص إلى الدية أن يكون تحصيله إياها من المعفوعن الاقتصاص منه بالمعروف فلا يتشدد فى طلبها والتعجيل بالأداء إن كان معسرا فيمهله إلى ميسرة، وطلب من المعفوعن الاقتصاص منه أن يؤدى إلى ولى الدم الدية بإحسان فلا يماطل فى الأداء. وهذا ما يكون بين الإخوة إذ يراعى كل منهم ظروف أخيه ولايشتد عليه . ويلاحظ فى هذا الشأن أن جريمة القتل العمدى فيها اعتداء على حق الله خالق الروح إلى جانب الاعتداء على حق العبد وإن كان حق العبد أظهر، ولذلك يجوز لولى الأمر أن يعزِّر القاتل المعفوعنه رغم عفوولى الدم فيعاقبه بما يراه مناسبا على ألاتصل العقوبة إلى القتل. ويجىء قوله تعالى « ذلك تخفيف من ربكم ورحمة» متعلقا بحكم العفوعن القصاص إلى الدية فيبين أن فيه تسهيلا على القاتل لكون الدية أخف من القصاص شدة عليه ، كما أن فيه مصلحة يصيبها ولى الدم بانتفاعه بالدية وكظمه غيظه عن أن يتشفى من القاتل بالانتقام. وقوله تعالى فى ختام الآية « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم» يراد به معنى عام مفاده أن كل من خالف الحكم العام الوارد فى مبتدأ الآية متعلقا بأن يكون القصاص من مرتكب الجريمة فيقتل بقتيله غير قاتله فإنه يقتل به أويعذب فى الآخرة عذابا أليما، ويراد به أيضا معنى خاص مفاده أن من يقبل الدية ثم يقتل قاتل قاتله فإنه يقتص منه ويعذب بجريمته يوم القيامة أشد العذاب .

وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾

التفسير:

بعد أن بين المولى سبحانه وتعالى أحكام القصاص فى القتلى والعفوعنه إلى الدية فى الآية السابقة، أورد سبحانه تعالى فى هذه الآية حكما عاما فى شأن القصاص وبين حكمته، فقوله تعالى « ولكم فى القصاص حياة » وفيه جاء القصاص عاما بدون تخصيص

ممَّا مفـاده أن القصاص كمـا يكون فـى النفس فـإنه يكـون فيما هـو دون النفس، فيكـون فى الأطراف، ويكون فـى بقاء الجارحة المحسوسة مـع ذهاب منفعتها، كإذهاب البصـر مع بقاء العيـن، ويكون فـى الشجاج وهـى الجروح التـى تصيب العظـم أو جلده، والمـراد بها التـى تصيب عظم الرأس أو الجلـدة التى تحته فوق الدماغ، والجروح التى تصيـب الجسم فى غير الرأس. قوله تعـالى هذا تضمن الحكم العام فـى شأن القصاص. وفى شأن بيان علـة تشريع القصاص جاء قوله تعـالى بنص الآية كاملا، لأنه بيَّن أن إعمال أحكـام القصاص من شأنها أن تحافـظ على الحياة، وهـو ما يكون بطريقيـن: أولهما تحقق الـردع العام، وثانيهمـا تحقق الردع الخاص. ذلك أنه لما كـان القاتل عالما أنه لابد مقتول بجريمته مـا لم يعف ولى الدم فإنه ـ خوفا من أن يقتل بجريمته ـ سيرتدع عن ارتكابها فيكون بذلك قد حفظ حياة من انتوى قتله كما حفظ حيـاة نفسه، وهذا هو الردع العام. كذلـك فإنه لما كانت القبـائل تتقاتل طلبًا للثأر فيقتل منها كثيرون فـإنه سيوقف هذا الاقتتال أن يؤخذ القاتل بجـريمته فيقتل فيكون فى ذلك صـون للأرواح؛ وعلـى هذا جاء قـوله تعالـى بعد بيـان علة تشريـع القصاص «يـا أولى الألباب لعلكم تتقون» لبيـان أن ذوى العقول والأفهام الذين خاطبهم النص تشـريفا لهم هم الأوْلى والأجـدر أن يفهموا علة التشـريع فيـأتمروا بأمـره وينتهوا عن الاقتتـال اكتفاء بـأحكام القصاص فيتقوا بذلك كثرة القتلى ويحفظوا على الناس حياتهم.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ١٨٠﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **الوصية** : هى كل شىء يؤمر بفعله ويعهد بتنفيذه إلى أحد ليعمله فى حياة الموصى أو بعد وفاته، وخصَّص العرف هذا المعنى فيما يعهد بفعله وتنفيذه بعد الموت.

ثانيا : التفسـير:

الآية الشريفـة متعلقة بحكم آخر من أحكام المعـاملات المفروضة على المؤمنيـن الذين

ورد ذكرهم مخاطَبين بقوله تعالى « كتب عليكم القصاص فى القتلى » ، وقوله تعالى للمؤمنين « كتب عليكم » معناه فرض عليكم، أو « إذا أردتم الوصية » ، والقائلون بالمعنى الأول يرون وجوب الوصية، حين لا يرى ذلك القائلون بالمعنى الثانى ، ووجوب الوصية أو التخيير فيها إنما يكون لدى حضور مقدمات الوفاة من مرض أو إصابة أو وهن يشعر معه المرء بدنو أجله ، وليس ثمة ما يمنع أن يكون الإيصاء قبل ذلك . والحالة التى تستوجب الإيصاء أو تجيزه هى أن يكون للموصى مال يُخلفه بعد موته «إن ترك خيرا» فالخير الذى يتركه الموصى هو المال ـ وقد اختلف فى مقداره ـ ولا شك أن المقدار يتغير بتغير الزمان وفقا للقيمة الشرائية للنقود. والذين تكون لهم الوصية هم الوالدان والأقربون، وشرط صحة الإيصاء أن يكون العدل « بالمعروف»، بمعنى ألا يقصد الموصى إكساب البعض والإضرار بالبعض . ويجىء بيان حكم الوصية فى ختام الآية فى قوله تعالى « حقا على المتقين » فكون الإيصاء « حقا» مفاده ثبوته ثبوت تحصين لا ثبوت وجوب، وأنه بمثابة رخصة تستعمل أو لا تستعمل، وكونه مخصصا بالمتقين مفاده أنه من قبيل « المندوب » وليس من قبيل الفرض ولا الواجب، وأنه لذلك لم يخاطب به جميع المسلمين.

ويلاحظ فى شأن حكم الوصية الوارد به النص أن الراجح أنه قد تم نسخه بآية المواريث فى سورة النساء « يوصيكم الله فى أولادكم» ، وأنه لما كان يخشى من عدم اتباع الموصى العدل فإن الله تعالى أوصى بدلا منه، وأنه لما كان قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الله قد قسم لكل إنسان نصيبه من الميراث فلا تجوز لوارث وصية » فإنه لا يكون باقيا من حكم الآية غير منسوخ إلا الإيصاء للوالدين والأقربين الذين لا يرثون لاختلاف الدين. كذلك يلاحظ أنه إذا لم تكن الوصية واجبة على من ترك مالا ولم تكن عليه حقوق للناس فإنها تكون واجبة على من ترك مالاً وعليه حقوق للناس يخشى ضياعها عليهم.

فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١٨١﴾

أولا : الأســــماء :

إثم : هو الذنب يرتكب عمدا.

ثانيا : التفســــير:

جاء قوله تعالى فـى الآية متعلقا بحال من عرف وصية الموصى ـ وقـد عبر النص عنه بأنه من سمعهـا كنايـة عن العلم بهـا ـ تم قـام بتبديلهـا، وهو ما قـد يكون بإنكـارها، أو بتبـديل أشخاص الموصى لهم، أو بالزيادة أو النقص فى الموصى به ، فبين سبحانه وتعالى أنه يكون آثما، ووصف فاعـل ذلك بأن الإثم يكون عليه لبيـان ضعته وأنه يكون فوقه عـبء إثمه الذى تمثل فـى مخالفة حكم الشـرع وخيانة المـوصى، ومعنى مقـارفته الإثم استحقاقـه العذاب، ولذلك جاء قولـه تعالى « إن الله سميع عليم» للإفادة بمعلوم وهـو سماع الله وصية الموصى وقول مبدل الوصيـة ، وعلمه بنوايا كل منهما فيـؤاخذ كلاً بفعله ونيته؛ ولهذا جـاء بختام الآية مرتبطا بقوله تعالى « فإنما إثمه على الـذين يبدلونه » لبيان استحقاق مبدل الوصية العذاب على فعلـه أيًا ما كانـتْ نيته أو كان قصده . والآيـة بمعناها هـذا توجب صدق الشهـادة بما سمع ممن مـات على وجه الخصوص وتبين جسامـة إثم تحريفها وتبديلها وهـى أشد من إثم الكذب على حى.

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾

أولا : الأســــماء:

١ ـ **موص**: اسم فاعل من الفعل « وصى ـ يوصى»، وهو الموصى بشىء يفعل فى حياته أو فى موته، واختص به ما يفعل بعد الموت

٢ ـ **الجنف**: فى قولـه تعالى « جنفا أو إثما» هو الـذنب يرتكب عن غيـر قصد، أو إهمالا بدلالة مقابلته فى النص بالإثم وهو الذنب يرتكب قصدا أو عمدا. وأصل الجنف هو الميل.

ثانيا : التفسير:

تبدأ الآية الشريفة بذكر شرط يتعين توافره لإيجاب الحكم هو حدوث الخوف من ميل الموصى عن العدل فى شأن الورثة بوصيةٍ قصدا أو بغير قصد « فمن خاف من موص جنفا أو إثما» ، ويبين من عمومية النص أن الخطاب لجميع المسلمين وليس لأقارب الموصى وحدهم، فهو« فرض كفاية » يسقط عن الجميع بأداء أحدهم له، كما يبين منه أن مجرد الخشية للظن دون اليقين فيما هو من قبيل الفساد تسيغ العمل لدرئه، والمعنى أنه إذا خشى أحد أن يكون موص قد ابتعد عن العدل ـ فى وصية أوصى بها ـ بين ورثته وأقربائه ، أو كان بسبيله إلى الإيصاء بها، أو علم ذلك .فقام بالإصلاح بين الورثة بإذهابه ما فى نفوس بعضهم من ضغينة على آخرين بسبب الوصية، أو بينهم وبين الموصى بنصحه أن يعود إلى جادة الحق والعدل و إصلاح ماشاب وصيته من جنف و إثم بتعديلها ـ إن كانت الوصية قد تمت ـ وبمنع الشقاق أن يحدث بإقناع الموصى أن يلتزم العدل فيما عزم من الإيصاء ، وهو إصلاح ــ إن كانت الوصية لم تقع بعد، فإنه لايكون عليه إثم ــ وهذا هو جواب الشرط ـ ومعنى « لا إثم عليه » أنه لايكون عليه إثم من بدَّل الوصية بعد أن سمعها و إن كان قد دفع الموصى إلى تعديل وصيته ، لأنه بتبديله وصية الموصى إنما سعى لتحقيق مصلحة. وجاء ختام الآية قوله تعالى « إن الله غفوررحيم» يفيد أنه سبحانه وتعالى يغفر للموصى ما كان منه فى مبتدأ الأمر من جنف و إثم فعله أو عزم عليه، ويغفر للمصلح ما كان منه من سيئات بما كان منه من إصلاح، رحمة من الله به لأن الحسنات يذهبن السيئات برحمته تعالى.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾

أولا: الأسماء:

١ ـ **الصيام**: هو الإمساك عن التنقل والحركة، فهو بمعنى الركود فيقال لركود الرياح صوم

وصيام، وكل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم. والمراد به ـ فى الآية ـ الصوم فى الشرع وهو الإمساك عن المفطرات مع اقتران النية به من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

٢ ـ الذين من قبلكم : عموم اللفظ يفيد أن المراد بهم جميع الأنبياء والأمم منذ آدم إلى اليوم ، ويثبته أن أهل البداوة الذين عثر عليهم فى قارة استراليا وجد أنهم يصومون، وأن أصحاب الأديان الوضعية من البوذيين وأتباع زارادشت والمانويين وغيرهم يصومون، ولذلك قرىء قوله تعالى « كُتب » بالفعل مبنيا للمجهول فى قوله تعالى « كما كتب على الذين من قبلكم » لجواز أن يكون كاتبه أو فارضه غير الله ، وتخصيص اللفظ يفيد أن المراد هم اليهود والنصارى.

ثانيا : التفســـــير:

الآية الشريفة من آيات الأحكام مثل ما سبقها بدءا من قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى» إلا أن ما سبقها جاء متعلقا بأحكام المعاملات والجرائم والعقوبات، والآية جاءت وما ارتبط بها مما بعدها فى شأن العبادات. والخطاب فى الآية موجه إلى المسلمين « يا أيها الذين آمنوا» ، والحكم هو فرضيه الصوم « كتب عليكم الصيام»، ثم أعقب المولى سبحانه وتعالى بيان الحكم بالترغيب فيه لتطيب له النفوس فذكر المماثلة بين المفروض على المخاطبين بالنص وبين ما فُرض على غيرهم من الأمم «كما كتب على الذين من قبلكم » . وقد اختلف فى وجه المماثلة فقيل إنه فى وقت الصوم وقدره قولا إن الله فرض على موسى وعيسى عليهما السلام صوم رمضان وزمنه وقدر أيامه فغيَّر أحبار اليهود والنصارى هذا كما غيروا ما يكون عنه الصوم. وقيل إن وجه المماثلة كان فيما يكون عنه الصوم وهو الأكل والشرب والنكاح وأنهم غيروه، وقيل ـ وقد يكون هو المقبول ـ إن وجه المماثلة هو فى فرضية الصوم أو وجوبه. وجاء قوله تعالى من بعد « لعلكم تتقون » لبيان الظاهر من علة فرض الصوم وهو السيطرة على الشهوة وهى الدافع إلى الخطيئة باعتياد ذلك بالصوم لكونه الكاسر حدتها والمطهر للنفس، فيكون اتقاء المعاصى.

■■■■■■

أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

أولا: الأســـــماء:

١ ـ الأيـام المعدودة: في قـوله تعـالى « أيامـا معدودات» هى الأيـام القليلة التـى تُعَيَّن بالعـدد، والمراد بـالمعدودات ــ فى القـرآن ـ مـادون الأربعين. والمـراد بها فـى الآية شهـر رمضان.

٢ ـ فدية : الفدية هى ما يفتدى به ، والمراد إعطاء الفدية أو بذلها.

ثانيا : التفســـير:

بعد أن جاءت الآية السابقة بفرض الصوم جاءت هذه الآية وما بعدها لإزالة ما أبهم من أمره، فـأوضحت الآيـة أن الصيام المفـروض مدته أيـام معدودة أى دون الأربعيـن ـ وهـو ما عينته الآيـة اللاحقة عليها بـأنه شهر رمضان فـأزالت الإبهام تمـاما ـ ، وفى تفصيـل أحكام الصوم ذكرت الآية أن كلا من المريض والمسافر مـرخص له أن يفطر أيام مرضه أو سفره على أن يقوم بصوم ما يساويها عددا بعد صوم رمضـان ، للتدليل على بقاء ذات الحكم الذى كان معمولا به قبل فرض صيام رمضان، حين كان الصوم الواجب هو ثلاثة أيام فى كل شهر ـ وهى المسماة الأيام البيض ـ ويوم عاشوراء ، إذ كان للمـريض خلالها وللمسافر أن يفطر، ويصوم بدلا منها بعدد ما أفطر بعد شفائه أو بعد إيابه من السفر. والمتفق عليه أن فرض صيام رمضان نسخ صوم الثلاثة الأيام من كل شهر. والمراد بالمـريض المرخص له فى الإفطار هو المريض الذى يعسر عليه الصوم، وقيل إنه أى مريض أخـذا بإطلاق اللفظ، والمراد بمن هو على سفر

هو من اشتغل به قبل الفجر فلا يدخل فيه من سافر خلال النهار ـ على رأى ـ أو هو كل مسافر إلا من كان سفره قصيرا أو فى معصية ـ على رأى آخر ـ أخذا بإطلاق اللفظ . وقد اختلف فيما إذا كان صوم المريض والمسافر أفضل من إفطارهما مع صوم عدد أيامه أم العكس.

فقال مالك وأبو حنيفة بأفضلية الصوم.

وقال الشافعى وأحمد بأفضلية الإفطار. كذلك أوردت الآية حكم من يطيق الصيام وهو أداء الفدية، والشائع فيه أن المطيق الصيام هو من يقدر عليه ولكن مع المشقة مثل الشيخ الكبير، والحبلى، والمرضع إذا خافت على جنينها أو ابنها، وأن الفدية هى إطعام مسكين عن اليوم. وفى شأن سريان حكم الآية قيل إن هذا الحكم قد نسخ بقوله تعالى « وأن تصوموا خير لكم»، أو إنه نسخ بقوله تعالى « فمن شهد منكم الشهر فليصمه» فزالت الرخصة إلا لمن عجز عن الصوم دون من يقدر عليه مع المشقة.

وقيل إن الحكم لم ينسخ فللشيخ الكبير وللمرأة العجوز أن يفطرا مع إطعام مسكين عن كل يوم، والثابت بالأسانيد الصحاح عن ابن عباس أن الآية محكة لم ينسخ حكمها فى حق من ذكر بها. وقد اختلف فى مقدار الفدية فقيل« عن كل يوم صاع تمر أو نصف صاع بر» وقيل «نصف صاع من الحنطة» ، وقد يكون الموافق للعصر هو ما يكفى الشخص من الطعام ليومه مما يأكل الفادى وأهل بيته.

وأوضح النص القرآنى أن من زاد فى الفدية بأن أطعم أكثر من مسكين يكون إطعامه الثانى خيرا له من إطعامه الأول وكذلك كلما زاد، وأن من أطعم مع الصوم يكون فى إطعامه مسكينا خيرا له من الصيام.

وفى ختام الآية يجىء توجيه العلى القدير للذين يطيقونه «وأن تصوموا خير لكم، إن كنتم تعلمون » بإعلامه إياهم أن صومهم خير لهم من الإفطار مع الفدية، وأنهم لو كانوا من أهل العلم لعلموا ذلك.

■■■■

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

أولا: الأســـــماء والأعلام :

١ ـ **شهر:** المراد به الشهـر القمرى.. وهو الفترة الـزمنية التى تبدأ بظهـور الهلال أو رؤيته، والاسم مشتق من الإشهار لأنه مشتهر لا تصعب معرفته على من يريد.

٢ ـ **رمضان:** اسم لشهر قمرى، وهو مصدر الفعـل « رمض» يقال للشىء إذا احترق، ومنه جاءت « الرمضاء» وهى شـدة الحر. وسبب تسمية الشهر « رمضان» أنه كان يعتمـد قديما فى حساب الأشهر على التقويـم الشمسى فكان الشهر يوافق شهر يوليو «تموز» وفيه تشتد الحرارة فى الجزيرة العربيـة فسمى شهر رمضان كناية عن الحر القـائظ فيه. وقيل إن « رمضان» اسم من أسماء الله تعالى؛ ولذلك قيل « لا تقولوا رمضان ، ولكن قولوا : شهر رمضان ».

٣ ـ **اليسر:** هو السهولة أو هو منها، ومنه «اليسار » للغنى، ومنه جاءت تسمية اليد اليسرى لأنها تيسر الأمر على اليد اليمنى بمعاونتها. والمراد به فى الآية مظهره وهو الفطر فى السفر.

٤ ـ **العسر:** ضد اليسر، وهو شدة الأمر وصعوبته.

٥ ـ **العدَّة:** هى العدد، والمراد بها فى الآية عدد أيام الصوم أو عدد أيام شهر رمضان.

ثانيا : التفســــير:

جاء قوله تعالى فـى مبتدأ الآية « شهر رمضان» مبينا ما يكون صومه علـى ما جاء فى الآية

السابقـة من قولـه تعالـى « كتب عليكم الصيـام» ، وتمهيدا للأمـر بوجـوب صومه علـى من يشهده، وأوضح سبحانه وتعالى علة فرض الصـوم فيه على المسلمين وهو نزول القرآن فيه ، والمراد بذلك بدء نزولـه فى ليلة القدر أو نزوله جملة إلى السماء الدنيـا قبل إنزاله منجما إلى الأرض على رسول الله ﷺ فى ثلاث وعشرين سنة، وجـاء قوله تعالى « هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان» بيانا لحال القرآن المنزل بكـونه هدايه للناس وآيات واضحة تهدى إلى الحق وتفـرق بينه وبين الباطـل. وتلى ذلك أمره سبحـانه وتعالـى بصومه من شهـده أو علمه «فمن شهـد منكم الشهـر فليصمه » وفيـه جاءت «مـن» شرطيـة، وجاءت « مـن » فى لفـظ «منكم» لبيان أن المطالـب بالصوم ليس جميع من شهد الشهر و إنمـا بعضه، وذلك لإخراج الصغير غيـر المكلف والمجنـون من عـداد المخاطبيـن بالأمـر، وشهود الشهـر لا يستوجـب ضرورة المشاهدة بالعين بـل يكفى العلم مع اليقين. ثم جاء قوله تعالـى : « ومن كان مريضا أو على سفر فعـدة من أيام أخر» ليـزيل الإبهام عما وقع فـى النفوس لدى نسخ صـوم الثلاثة الأيام من كل شهر بصيام شهر رمضان ـ وكان مبـاحا للمريض وللمسافر الإفطار فيها على أن يصـوم عددهـا بعد ذلـك ـ عمـا وقع فـى النفوس مـن إبهام حـول نسخ رخصـة المريـض والمسافر، فجاء النص القرآنـى مثبتا بقاء الرخصة على حالها، وقوله تعـالى « فعدة من أيام أخر» معناه أن يكـون ما يقضى المريـض والمسافر من الصـوم مساويا عدد أيـام الشهر التى أفطرها. ثـم أوضح سبحانه وتعـالى علة الترخيـص للمريض والمسافـر بالإفطار بأنهـا إرادته تعالـى ـ رأفة بـالناس ورحمة ـــ أن ييسر عليهم التكـاليف وألا يعسرهـا عليهم، ولذلـك كان تشريعه الرخـص يسرا للعباد وتمكينا لهم من إكمـال عدد أيام شهر رمضان صومـا « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة»، ويستفـاد من هذا أن المريض والمسافر يكون عليهما قضاء عدد أيام الشهر التى أفطراها، فإن أفطرا الشهر كله صاما ذات عدد أيامه وليس شهرا زادت أيـامه على شهر رمضـان أو نقصت . ويجىء قولـه تعالى « ولتكبروا الله علـى ما هداكم ولعلكم تشكرون» بيانا لعلة الأمر بـالقضاء، ولعلة الترخيص، فيكون تكبير الله وتعظيمه لكونه صاحب الأمر، أمرَ بقضاء ما أفطر من أيام رمضان، وشكره لتشريعه الرخصة تيسيرا على المؤمنين. وقيل إن معنى قوله تعالى « ولتكبروا الله » هو الحض على التكبير فى آخر رمضان.

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

التفســـير:

الخطاب فى الآية موجـه إلى رسول الله ﷺ ، ومعنى قوله تعالى إلى رسـوله أنه إذا سألك الناس عن الرب المعبود فـأخبرهم أنه قريب، والقرب كناية عن العلـم والإحاطة بفعل العباد وبما فى نفوسهم وبما يفعلون.

ثم يبين الله تعالى النتيجة المترتبة على قربه تعالى من العباد وهى أنه تعالى يجيب دعوة الداعى إذا دعاه، والمراد بالدعاءعموم العبـادة يقبلها الله ممن يأتيها بقلب سليم فتكون منه الإجابة، وينصرف المعنى أيضا إلى الخاص بمعنى سؤال الله تعالى مسألة واستجابة الله.

ولاينافـى قولـه تعالـى هذا أن العبـد يدعوبسـؤال فلايـراه يتحقق، فـإنه ليـس كل داع تستجاب دعوته لقوله تعالى « ادعوا ربكم تضـرعا وخفية إنه لايحب المعتدين» ولأنه تعالى لايحب المعتـدى فإنه لايستجيب لـدعائه، والمعتدى هو كـل مُصر على كبيرة مـن الكبائر عالمـا بها أو جاهلا. كـذلك لايستجاب الـدعاء إذا كان بـإثم أوبقطيعة رحم علـى ما ورد بحديث رسول الله ﷺ .

ثم إنه قـد يستجاب الدعاء مع تـأخير الإجابة وقد يكون تـأخير الإجابة من مظـاهر رحمته تعالى فتكون الإجابة مدخرة للعبد الداعى فى الآخرة .

فكأن معنى إجابته تعالى دعاء الداعى هـى إجابته إلى دعائه بما شاء وكيفما شاء ووقتما شاء. وبعد ذلـك يأتى أمره تعالـى إلى المؤمنين الـداعين « فليستجيبوا لى وليؤمنـوا بى» ثم يأتى بيان علة الأمـر « لعلهم يرشدون»، ومضمون الأمر هو أن يجيب النـاس دعوة ربهم إليهم بالإيمان وأن يستمـروا على الإيمان ويداوموا، وعلته أنهـم بذلك يهتدون إلى ما فيـه صالح دينهم ودنياهم فيصيبوا الخير.

وقد قيل إن سبب نزول الآيـة أنه كان ـ قبل إباحة الطعام والشـراب والجماع للصائم من بعد الإفطار إلـى مطلع الفجر وإن نام ـ أن عمرا أتى امرأتـه بعد صلاة العشاء ثـم ندم على ذلك وبكى وأخبر رسـول الله ﷺ أو أن رجلا أكل من بعد نومه ثـم ندم وأخبر رسول الله ﷺ ، فنزلت الآية فى قبول التوبة . وقيل إن اليهود قالوا لرسول الله ﷺ كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام. وأن غلظ كل سماء كذلك ؟ فنزلت الآية.

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾

أولا: الأسـماء:

١ ـ الرفث : أصله ـ فى اللغة ـ قول الفحش ، ويقال « رفث » بمعنى تكلم بالقبيح، وهو معنى لكل ما يريد الرجل من امرأته ، وكنى به عن الجماع.

٢ ـ لباس : أصله فى الثياب تلبس فتلازم الجسم، والمـراد به انضمام جسد الرجل إلى جسد امرأته، أو كون كل منهما سترا لصاحبه فكان التشبيه بارتداء الثوب.

٣ـ ما كتـب الله لكم : قيل إنه الولـد تبتغى خلفته من الجماع، وقيل إن المـراد به القرآن العظيم بما أباحه وبما أمربه. وقيل إن المراد به هو الزوجات والإماء.

٤ ـ **الخيط** : هو السلك، وجمعه «خيوط » ، وقيل إن الخيط الأبيض هو الفجر المعترض، وأن الخيط الأسود هو سواد الليل، فيكون المراد بقوله تعالى « حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » هو : إلى أن يظهر لكم أول ما يبدو من الفجر الصادق المعترض فى الأفق قبل انتشاره، وما يمتد معه من ظلمة آخر الليل.

٥ ـ **الفجر** : مصدر الفعل « فجر» ، يقال « فجر الماء فانفجر» بمعنى انبعث وجرى، وأصله « الشق» ، ولذلك قيل للطالع من تباشير ضياء الشمس من مطلعها « فجرا» ، وهو أول بياض النهار الظاهر.

٦ ـ **عاكفون**: جمع « عاكف» اسم فاعل للفعل « عكف ـ يعكف» يقال « عكف الشىء» بمعنى حبسه ووقفه، والاعتكاف فى المسجد هو الاحتباس ، ومن معانيه أيضا «الملازمة» . والاعتكاف فى المساجد فى الشرع هو : « ملازمة طاعة مخصوصة ، فى وقت مخصوص ، على شرط مخصوص ، فى موضع مخصوص هو المسجد » وهو قربة ونافلة يلزم من ألزم نفسه.

٧ ـ **حدود الله** : الحدود جمع « حد» وهو الحاجز ، وهو « المنع» . وحدود الله هى أحكامه الجامعة المانعة تجمع كل ما هو منها فلا يخرج منها، وتمنع كل ما هو ليس منها فلا يدخلها. وحدود الله هى العقوبات المفروضة على الجرائم التى يعتدى فيها على حقوق الله أو على حقوق الله وحقوق العباد ويكون الاعتداء على حق الله أظهر.

ثانيا : التفسير:

جاءت الآية الشريفة بأحكام الصيام، فجاء قوله تعالى « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم » مفيدا معنى أنه قبل نزول الآية كان محرما على الصائم أن يباشر امرأته ليلة صومه، والمعلوم أنه كان محرما على الصائم أن يتناول طعاما أو شرابا وأن يباشر امرأته إذا نام حتى يفطر من الغد. فنزل قوله تعالى مُحِلاً مباشرة الرجال نساءهم ليلة الصيام ، ويدخل فى معنى «الرفث » المواقعة وجميع ما يكون به الاستمتاع المباح بين الرجل والمرأة من لمس ، وتقبيل، ومس وتغشية ومباشرة. وقوله تعالى « إلى نسائكم » يفيد أن ذلك إنما يكون من

الرجل مع من اختص بها من زوج أو أمة فلا يحل الإفضاء لغيرهن. ووصف المولى نساء المؤمنين أو الصائمين من رجالهم كما وصف الرجال بالنسبة لنسائهم بأن كلا منهم لباس للآخر « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن» تعبيرا عن كون كل منهم سكنا للآخر. فهو لصاحبه كالثوب على البدن على ما يكون عليه الزوجان فى عناقهما، كما يكون كل للآخر سترا لصاحبه كما يستر الثوب لابسه. ثم يبين سبحانه وتعالى فى جملة اعتراضية أنه قد أحاط علما بأحوالهم التى كانوا عليها قبل أن يحل لهم مباشرة نسائهم ليالى الصيام المتمثلة فى أنهم كانوا يختانون أنفسهم « علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم » ويبين من اقتران الماضى « كنتم » بالمضارع « تختانون» أنهم كانوا يأتون فعل خيانة النفس، كما كانوا يستمرون عليه زمنا، والمراد باختيان النفس هو تحرك الشهوة إلى المباشرة أو بالمباشرة بالفعل، ووصف باختيان النفس لأن فيه إنقاصا لها بتعريضها للعقاب وبتنقيص حظها من الثواب. ثم يطمئن الله تعالى المخاطبين بالنص بحكمه فيما كان من أمرهم فيما سبق تحليل المباشرة ليلة الصوم بقوله تعالى « فتاب عليكم وعفا عنكم » بمعنى أنه تعالى قبل توبتهم التى كانت منهم على ما أتوا، وأنه عفا عنهم أن يقعوا فى ذات الخطأ ثانية بإزالته التحريم وغفرانه خطاياهم السابقة. وأعقب ذلك ذكر ما يترتب على إزالة التحريم بقوله تعالى « فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم » والمعنى أنه يكون لكم منذ الآن ـ أى من بعد نزول النص القرآنى ـ أن تباشروا نساءكم ليلة الصيام ، ومعنى المباشرة هى إلصاق البشرة بالبشرة ، عُبِّرَ بها عن الجماع لكونها من مستلزماته، مع طلبكم من الله أن يرزقكم ما كتب لكم فى اللوح المحفوظ من الولد أو خلافه. ثم جاء ـ من بعد ذلك ـ بيان أن الحل و إنهاء التحريم قد شمل أيضا الطعام والشراب كما شمل الجماع بقوله تعالى « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » بمعنى أنه أصبح حلالا أن يأكل الصائم ويشرب من بعد إفطاره الذى يتحقق بدخول الليل إلى أن يكون تمييز أول ما يبدو من الفجر الصادق المعترض فى الأفق قبل انتشاره مما يمتد مع بياضه من ظلمة آخر الليل ومن جماعها يكون الفجر. فإذا حصل هذا وجب الصوم إلى الليل « ثم أتموا الصيام إلى الليل» وقوله تعالى « ثم أتموا الصيام » قد يفيد وجوب تحقق نية الصوم قبل ظهور الفجر،

ولذلك كان الصوم ذاته إتماما لما بدأ منه بالنية ، وقد يدحض هذا أن لفظ « ثم » يفيد أن يكون ذلك بعد ظهور الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ؛ فيبقى أن نقول إن توافر النية قد يكون قبل ظهور الفجر وقد يكون بعد ظهوره. وبعد ذلك يأتى أمره تعالى بالنهى عن مباشرة النساء ـ بمعنى الجماع، دون ما هو دونه من لمس وتقبيل إذا كان بغير شهوة لمن اعتكف ـ « ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد» ومن عبارة الآية يبين أن الاعتكاف لا يكون إلا فى المساجد بالنسبة للرجال أما النساء فإنه لما كان الخطاب فى الآية موجها للرجال فإنه يكون صحيحا اعتكافهن فى غير المسجد ، وأن الوطء يفسد الاعتكاف إذا حدث خلاله خارج المسجد ، ومن بعد ذكر هذه الأحكام أوضح سبحانه وتعالى أن تلك الأحكام هى المحكمة الفاصلة والحاجزة بين الحلال والحرام ونهى عن الحوم حولها وهو ما يكون بالتأويل بهوى الأنفس وعن تغييرها من باب أولى « تلك حدود الله فلا تقربوها » كما بين أنه سبحانه وتعالى يكون منه التعريف بالآيات المتضمنة أحكاما شرعية على ذات النحو الذى جرى عليه بيان أحكام الصوم فى هذه الآية « كذلك يبين الله آياته » ، وذكر علة ذلك وهو تمكين الناس من اتقاء عذابه وكسب رضاه بعدم مخالفة أوامره ونواهيه لتصحَّ منهم العبادة المفروضة وليقبل منهم نفلهم .

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾

أولا : الأسماء:

١ ـ **الباطل**: ضد الحق ، والمراد به ـ فى الآية ـ الحرام وهو أخذ المال بطريق غير مشروع بغير حق. وهو الذاهب والزائل .

٢ ـ **الحكام**: جمع « حاكم» وهو من يحكم فى خصومة بين العباد أو من يحكم فى أمر، والحكم هو القضاء. وهو الحكمة من العلم.

ثانيا : التفســـــير:

الخطاب فى الآية موجـه إلى أمة رسول الله ﷺ ينهاهم عن أن يأكـل بعضهم مال بعض بالباطـل، وجاء التعبير عن أخذ المـال بأكله لأنه أظهـر ما يستخدم فيه المال، ومـن الباطل أخذ المال بالسرقـة أو بالنصب أو بألعاب القمار ومنه إنفاقه فـى محرم، ومنه أيضا الحصول على حكـم بالباطل مـن قاض يصير بـه الحرام حلالا فـى الظاهر. كذلـك ينهاهم سبحـانه وتعالى عن أن يلقوا ببعـض أموالهم إلى حكام السوء على سبيل الرشـوة إذا تحاكموا لديهم ليقضوا لهـم بأموال الناس أو ببعضهـا، أو بأن يلقوا بها فـى جلب شهود الزور أو إعـداد الأدلة الزائفة توصـلا إلى أن يقضى لهم بذلك فيكـون منهم أكل جزء من أموال النـاس بواسطة ما يورثهم إثمـا، وذلك حال علمهم أنهـم على الباطل أو أنهـم لا حقّ لهم فيما أخـذوا أو فيما قضى لهم به .

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾

أولا : الأســـــماء:

١ ـ **الأهلة:** جمع الهلال، وهو اسم القمر فى ليلتين من أول الشهر، أو فى ثلاث على قول آخر، سمـى بذلك لأن النـاس كانـوا يهلون بذكـره عند ظهوره ويكبـرون . والاسم مشتـق من قولهم « استهل المولود » إذا بكى وصاح عند مولده ، ومنه جاء تعبير « الإهلال بالحج».

٢ ـ مـواقيت : جمع «ميقات » ، اسـم آلة ، هو ما يعرف بـه الوقت (وهو الـزمان المقدر والمعين) جاء بصيغة الجمع لأنه مبين للشهور وهى جمع.

٣ ـ **الحج** : مصدر الفعل « حج ـ يحج »، وهو أداء الفـريضة المفروضة على المستطيع بشعائرها المشروعة.

ثانيا: التفســـير:

من بعـد الحديث عن الصـوم جاء الحديـث فى الآية عـن الأهلة، وقد يكون علـة ذلك ارتباط شعائر الحج بدءا من الإحرام بظهور الأهلة ، وإن كان قد قيل ـ فى سبب نزول الآية ـ إن معاذا قال لرسول الله ﷺ «إن اليهود يكثرون سؤالنا عن الأهلة، فما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يستوى ويستدير ثم ينقص حتى يعود كما كان فنزلت الآية» . وجاء قوله تعالى « قل هى مواقيت للناس والحج» ليقول الـرسول ﷺ ذلك للبسائلين أو لعموم الناس، والمعنى أنها معالم لكل ما يحسب فيه الوقت من المعـاملات . وقد استدل البعض بقوله تعالى هذا على جواز الإحرام بالحج فى كل السنة، ويُردُّ على القائلين بهذا أنه لو كان ذلك صحيحا لما كانـت هناك حـاجة إلى الهـلال فى الحج فكـان الصحيح عـدم ذكر الحج. وقـوله تعـالى «وليس البرّبأن تـأتوا البيوت من ظهورها » هـو تصحيح لاعتقاد كان شـــــائعا لدى العرب فى الجـاهلية واستقر فـى نفوس البعـض بعد الإسلام، وهـو أن من البر ألا يُظِـل من أحـــرم بالحج سقف فكـانوا يدخلون البيوت من ظهـورها حيث لا سقف ويتحاشـــون الدخـــول من أبـوابها حيـث يحول السقف بينهـم وبين السمـاء ، فجاء قـوله تعالـى مبينا فسـاد هذه العقيدة، ثـم أوضح سبحـانه وتعالى حقيقة البر، فعـرفه بأنه بر من اتقـى عذاب الله بتجنب ما حرم وبنهـى النفس عن الهوى؛ ولـذلك أتبع ذلك بقـوله تعالـى « وأتوا البيوت من أبـوابها» لأنـــه لما ثبت أنـه لاعلاقة لتجنب دخـول البيوت من أبوابهـا بالبرِّ، فقد انتفـى المعلول بانتفـاء العلة، وجاء ختـام الآية « واتقوا الله لعلكـم تفلحون» بمعنـى الأمر باتقـاء عذاب الله بإطاعـة أحكامه وأوامره وعـدم تبديلها زعما بـالعلم لكونه تعـالى الأعلم ، ليكون لهـم فلاح دنياهم وأخراهم.

وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

أولا : الأســــــماء:

المعتدون : فى قوله تعالى « لا يحب المعتدين » جمع معتد، وهو من أثار العداوة أو بدأها مع الغير، ولما كـان «الاعتداء » يفيد التجاوز فقد غلب على معنى « المعتـدى » أنه من يثير العداوة متجاوزا حقه أو بغير الحق .

ثانيا : التفســــير:

الخطاب فـى الآية موجه إلـى أمة محمد ﷺ ، يتضمن أمـرا و نهيا، وبيانا للعلـة متضمنًا تقريرا بواقع؛ فالأمـر والنهى تضمنهما قوله تعالى « وقاتلوا فى سبيـل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا» ويبين معنى الأمر من استعمال الفعل « قاتل » بوزن « فاعـل» بما يعنى كون الفعــل ـ فـى الغالب ـ بيـن اثنين يكون من كـل منهما فعله، فيكون الأمـر بالقتال مقصورا علـى من يقاتل المسلمين ، وهـذا المعنى المستفاد من الفعل أورده النص القرآنى بعـد ذلك صراحة لتأكيد معنـاه « الذين يقاتلـونكم»؛ ولذلك فـإنه يخرج عن عـداد المأمور بمقاتلتهـم من لا يقاتـل المسلمين مـن الكفار مثـل النساء والـولدان والشيـوخ والرهبـان إلا إذا قاتلـوا أو آذوا المسلمين فيدخلـون فى عداد المأمـور بقتالهم. ونهيه تعالـى عن الاعتداء هو المقـابل لأمره بالقتال على مـا وصف به، إذ اعتبر أن من يقاتـل أحدا من هؤلاء المنهى عن قتـالهم ومثلهم من ألقى السلم ومن عاهد يكون معتديا. ثم جاءت العبارة المقررة واقعا والمبينة سبب الأمر والنهـى بقولـه تعالـى « إن الله لا يحب المعتـدين » ، ومعنـى أنه سبحـانه وتعـالى لا يحـب المعتديـن أنه لا يشـاء لهم خيرا ولا ثـوابا. وحكم هـذه الآية قـد نسخ بقولـه تعالـى « اقتلوا المشركين » الذى تضمـن تعميما بعد تخصيص فشمل الأمر بالقتـال جميع الكفار . وسبب نزول الآية أنه لما صـدَّ المشركون رسول الله ﷺ عن البيت الحرام عام الحـديبية وصالحوه على أن يرجع عـامه القادم وأن يخلوا له مكة ثـلاثة أيام ليطوف بالبيت كيـف يشاء . وأنه لما كان العام التالى وتجهز رسول الله ﷺ وأصحابه لعمـرة القضاء وخشوا ألا تفى قريش بعهدها فتصدهم عن البيت وتقاتلهم ، وكره المسلمون أن يقاتلوهم فى الشهر الحرام فى الحرم، أنزل الله هذه الآية. وربما يبين ارتباط الآية بسابقتها فى المعنى من سبب نزولها لتعلقها بالحج .

﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ ﴾

أولا : الأســــماء:

الفتنة : هى ـ فى اللغة ـ الاختبار والامتحان، وهى المحنة يفتتن بها الإنسان ويختبر كأن يطرد من وطنه، وهو ما قد يصعب على الناس فيكون أقسى على النفس من القتل، وقد يكون المراد بها ما استهدفه المشركون من وراء إخراجهم المؤمنين من وطنهم أو فتنتهم وهو عودتهم إلى الكفر فيكون ذلك أشد وطأة على النفوس من القتل.

ثانيا : التفســـير:

تضمنت الآية الشريفة فى مبتدئها أمرا مع بيان علته بقوله تعالى « واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل» . واشتمل الأمر على فعلين هما القتل والإخراج ، والمعنى هو فعل ما تقدرون عليه من القتل ومن الإخراج أو ما يسهل عليكم فعله منهما ـ وهو ما يسيغ اجتماعهما ـ ومعنى قوله تعالى « واقتلوهم حيث ثقفتموهم » هو « فاقتلوهم حيثما أدركتموهم» ، ومعنى قوله تعالى « وأخرجوهم من حيث أخرجوكم » هو « وأخرجوهم من مكة التى أخرجوكم منها من قبل» وهو ما نفذه المسلمون عام الفتح . وعلة الأمر بينّها قوله تعالى « والفتنة أشد من القتل» وهى أن فتنتهم المؤمنين بإخراجهم من وطنهم إلا أن يعودوا للكفر وما أحدثه فى النفوس هى أشد وطأة على النفس وأعظم خطرا من القتل، فيجازيها أن يقتل المؤمنون من فعلوا ذلك بهم . ثم تضمنت الآية نهيا مقيدا بشرط فاسخ « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه » فنهى سبحانه وتعالى المؤمنين عن أن يبدءوا بقتال المشركين عند المسجد الحرام ، وينقضى النهى أو ينتهى الالتزام به بمجرد أن يقاتل الكافرون المسلمين فى الحرم، ومعنى انقضاء

الأمر هو عـدم سريانه بما يتـوجب معه على المؤمنيـن مقاتلة المشركين ، ومـع ذلك نصت الآية على هذا المعنـى المستفاد صراحة بقوله تعالـى « فإن قاتلوكم فاقتلـوهم» وربما كان ذلك تقـديرا لما كان واقـرا فى نفوس المسلميـن من أن فى القتـال فى الحرم هتكا لحـرمته فجاء الأمر صريحا بالقتال فى الحرم وإن كان مشـروطا بأن تكون هناك مقاتلة من المشركين للمسلمين فيـه. وتضمَّن التعبيـر تبشير المؤمنيـن بالغلبـة على المشركيـن لتعبيره عـن فعل المسلمين بـالكافرين بـالقتل « فاقتلـوهم» على حين جـاء التعبير عن فعـل الكافرين بـأنه المقاتلة أو الاقتتال « قاتلوكم » .

ثم جاء قوله تعالـى ـ فى ختام الآية ـ « كذلك جزاء الكافـرين » بمعنى أن جزاءهم يكون القتل والإخراج كمـا كان فعلهم . ويكون القتل لمـن قاتل منهم عند المسجـد الحرام كما كان منه الفعل المرتبط بنية القتل.

هذا وقد اختلف فى حكم قوله تعالى « ولا تقـاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه » فقيل إنه منسوخ ، وقيل إن الآية من المحكم والحكم غير منسوخ ، والراجح أن الآية من المحكم وأنه لايجوز قتال أحد فى المسجد الحـرام إلا بعد أن يقاتل، فلا يجـوز الاحتجـاج ـ على نسخها ــ بقوله تعالى « فاقتلـوا المشركين حيث وجدتموهـم » لأن هذه الآية جاءت بحكم عـام، حين أن الآيـة أو قولـه تعالـى فيها «ولا تقـاتلوهـم عند المسجـد الحرام حتـى يقـاتلوكـم فيـه » إنما تضمنـت حكما خـاصـا، والقاعـدة أن العـام لا ينسخ الخـاص، وأن الخـاص يقيِّد أو يخصص عمومية العام .

فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾

التفسـيـر:

جملة الآية تتضمـن تقريرا كما تتضمـن إشارة إلى أمر مـوجه إلى المسلمين . فـالتقرير مفاده أنـه إذا انتهى الكافـرون عن كفـرهم بالتـوبة والإيمان وعـن قتال المسلميـن فإن الله سيغفر لهم ما كـان من أمرهم قبل التوبـة والإيمان ، كما أنه سيرحمهم بقبـول توبتهم. ومفاد هذا الإشـارة إلى المسلميـن بالكف عـن قتال مـن ينتهى مـن الكافريـن عن الكفـر فيتوب

ويؤمن، وينتهى عن قتال المسلمين فلا يقاتل . وقد استدل بنص الآية على قبول توبة القاتل عمدا لكون الكفر أشد إثما من القتل.

وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾

التفسـيـر:

الأمر - فى الآية - موجه إلى المسلمين ، ومضمونه أن يقاتلوا من يعود عليهم الضمير المتصل فى لفظ « قاتلوهم » وهم - فى رأى - الذين جاء فيهم قوله تعالى « فإن قاتلوكم فاقتلوهم » أو الذين جاء فيهم قوله تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم »، وفى رأى آخر هم جميع المشركين العرب، ويؤيد هذا بيان الغاية من القتال «حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله» والمراد بالفتنة هو الكفر فتكون الغاية من قتال الكافرين هى القضاء على الكفر ليكون الدين خالصا لله، ويلاحظ أنه لم يرد فى وصف الدين - فى الآية - أنه كل الدين كما ورد قوله تعالى فى سورة الأنفال «ويكون الدين كله لله»، وذلك لكون المطلوب قتالهم هم مشركى العرب على حين ورد نص سورة الأنفال متعلقا بعموم الكافرين. وتنتهى الآية بقوله تعالى «فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين» وهى جملة شرطية، فعل الشرط فيها «انتهوا» وجواب الشرط «لا عدوان»بمعنى أنه إذا انتهى المشركون عن الشرك بالله أو انتهى الكافرون عن كفرهم بالإسلام أو بأداء الجزية - وهى دليل على المسالمة وكف الأذى - فلا تقاتلوهم، وجاء التعبير بالنهى عن القتال بعدم الاعتداء «فلا عدوان»، ثم استثنى من النهى الظالمون «إلا على الظالمين»، وعلة ذلك أن قتال المشركين للمسلمين هو عدوان، وأنه لما كان قتل المسلمين إياهم جزاءً عليه وعقوبة فإنه وصف بصفته على ما يبين من قوله تعالى «وجزاء سيئة سيئة مثلها» فوصف بأنه عدوان. ووصف من لم ينته من الكفار عن الكفر وقتال المسلمين بالظالمين إنما كان لظلمهم أنفسهم بالإصرار على الكفر وظلمهم المسلمين بفتنتهم أو بمبادأتهم القتال، ولذلك أوجب على المسلمين قتالهم.

﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤﴾

أولا: الأســـماء:

١ ـ **الشهر الحرام**: هو واحد الأشهر الحرم التى كانت العرب لا تستحل فيها القتال وهى: المحرم، ورجب، وذو القعدة، وذو الحجة. وكانت قبيلتا خثعم، وطيىء من دون العرب تستحلان القتال فيها. والشهر المقصود فى نص الآية هو شهر ذو القعدة الذى وقع خلاله اعتداء المشركين على المسلمين عام الحديبية، ووافق الشهر ذاته خروج المسلمين لعمرة القضاء من العام التالى.

٢ ـ **الحرمات**: جمع «حرمة» وهى ما لا يحلُّ انتهاكه.

ثانيا: التفســـير:

المراد بقوله تعالى «الشهر الحرام بالشهر الحرام» هو أن استحلال الكفار مقاتلتكم أيها المسلمون فى الشهر الحرام يبيح لكم أن تقاتلوهم فى الشهر الحرام. والقول يفيد مبدأ «القصاص» ويورد تطبيقًا له. وسبب نزول النص أنه لما وافق اعتداء المشركين على المسلمين عام الحديبية شهر ذى القعدة، ووافق خروج المسلمين لعمرة القضاء فى العام التالى ذات الشهر وهو من الأشهر الحرم، خشى المسلمون أن يكرهوا على قتال المشركين فيهتكوا حرمة الشهر فنزل قوله تعالى مبيحا لهم ذلك ومبينا أن فى هذه الإباحة تطبيقا لمبدأ المساواة بين الاعتداء وبين عقوبته المعبَّر عنه بالقصاص «والحرمات قصاص». ثم جاء قوله تعالى «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» أمرًا بتطبيق ذات المبدأ وهو «القصاص» أو المساواة بين الجريمة وبين عقوبتها، وقد رأى البعض فى قوله تعالى هذا ما يفيد وجوب المساواة فى وسيلة ارتكاب الجريمة فمن قتل بآلة يقتل بآلة، ومن قتل بالخنق

يقتل خنقا وهكذا. وتختتم الآية بقوله تعالى «واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين» أمرًا بعدم تجاوز الحدِّ لدى الاقتصاص من المعتدى لأن فى التجاوز اعتداء يستوجب عذاب الله الذى يتعين اتقاؤه. وقوله تعالى يوضح للمخاطبين أنه يعين وينصر من يتقيه فيصيب من الخير ما يفوق ما كان يحققه له تجاوز الحد فى القصاص .

﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾

أولا : الأسماء :

التهلكة: مصدر من الفعل «هلك ـ يهلك» هلاكا، وهلكا، وتهلكة، ومعناها الفناء .

ثانيا: التفسير:

بعد أن جاء أمره تعالى فى الآيات السابقة متعلقا بقتال المشركين جاء أمره تعالى بالإنفاق فى سبيل الله والمراد به الإنفاق ـ على وجه خاص ـ فى الجهاد لإعلاء دين الله، وأعقب ذلك نهيه عن إلقاء الأيدى إلى التهلكة «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» وورود النهى بعد ذكر الإنفاق فى سبيل الله ومن قبله الجهاد بالنفس بالقتال مفاده تمثيل ترك الجهاد بالنفس، وعدم الإنفاق عليه بالهلاك والفناء الذى يلقى القاعدون عن الجهاد والممسكون عن الإنفاق عليه أنفسهم فيه بأيديهم.

ومن بعد هذا الأمر جاء أمره تعالى بالإحسان وبالتنبيه على أنه تعالى يثيب المحسنين «وأحسنوا إن الله مع المحسنين» ليكون المراد بالإحسان ـ على ما يتصل بمعنى الآية ـ هو الامتثال والطاعة لأوامره تعالى بالجهاد والإنفاق فى سبيله، أو ليكون بمعنى الإحسان إلى الفقير والمحتاج ليكون تذكرة للناس فلا ينسوا لإنفاقهم على الجهاد أن يتصدقوا على المحتاج.

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

أولا: الأسـماء :

١ ـ **العمرة** : هى الزيارة، والمراد بها العبادة التى تؤدى تقربا لله، سُمِّيت «عمرة» لأنه بها يعمر بيت الله.

٢ ـ **الهـدى** : مصدر بمعنى المفعول، فيكون بمعنى المُهدَى، والمراد به فى الآية ما يذبحه المحرم إذا أحصر وأراد أن يتحلَّل من إحرامه من بدنة أو بقرة أو شاة.

٣ ـ **المحل** : فى قوله تعالى «حتى يبلغ الهدى محله» يطلق على المكان وعلى الزمان، والمراد به ـ فى الآية ـ المكان الذى يجب أن ينحر فيه الهدى .

٤ ـ **الفديـة**: هى كل ما يفتدى به، وهى ما يؤدى من عطية أو عمل بديلا عن إيقاع الأذى، ومنه مخالفة الأمر بإتمام الحج أو العمرة لمن أحرم.

٤ ـ **النسك** : هو ـ فى الأصل ـ العبادة أو الغسل، والمراد به فى الآية «دم النسك» الواجب على حالق رأسه ـ قبل التحلُّل من الإحرام ـ فدية .

ثانيا : التفســــير:

الخطاب فى الآيـة موجه إلى المؤمنين، والآيـة من آيات الأحكام متعلقة بـالعبادات وفى شأن الحـج والعمرة. بـدأت بأمر تضمنـه قولـه تعالى «وأتمـوا الحج والعمـرة لله» «والإتمام» يحتمل معنيين.

أولهما: أن يكون إتماما لباقى أعمال الحج والعمرة لمن أحرم أو لمن شرع فيكون الوجوب متعلقا بإتمام المناسك فقط.

وثانيهمـا أن يكون معناه مطلقـا فيكون الواجب أداء الحـج والعمرة وإتمام منـاسكهما؛ ولهذا رأى البعـض أن العمرة واجبة، ونسب إلـى على بن أبى طـالب وابن عمر وابـن عباس القول بهذا، وجمهور الفقهاء على أن الحج فريضة، والعمرة تطوع.

وقوله تعالى «لله» مفاده أن يكون قصد الحاج والمعتمر من حجته أو عمرته وجه الله وطلب رضائه. وبعد بيان وجوب إتمام الحج والعمرة على مـن شرع فيهما أو فى أيهما جاء بيان ذكر ما قد يعترض من شـرع فيهما أو فى أيهما ثم عاقه عائق عن إتمـام جميع الشعائر والمناسك وما يتوجب على مـن أصابه العائق فعله، فقال تعالى «فإن أحصرتـم فما استيسر من الهدى» والمعنى العام «للإحصار» و«الحصر» هو «المنع مطلقا». والمعنى الخاص للَّفظ هو «حصار العدو»؛ ولهـذا رأينا أبـو حنيفة يقول إن حكـم النص يتعلـق بمن يعوقـه أى عائق عـن إتمام الشعائر مثـل المرض وغيره، ورأينا مـالكا والشافعى يقـولان إن النص يتعلق بمن أحصـر من العدو.

والراجـح أن النص يتعلق بمـن أحرم بحج أو بعمـرة ثم حبـس عن البيت الحـرام بمرض يجهده أو بعدو يحبسه. أما ما يتوجب على من أُحصر فهو أن يذبح ما استيسر من الهدى «فما استيسرمن الهدى» بمعنى ما تيسَّر له ذبحه من بـدنة أو بقرة أو شاة. وبعد ذلك جاء بيان كيفية تحلُّل المحصر مـن إحرامه ووقته، أو ذكـر شروط تحللُّه من إحرامـه وما يتوجب عليـه فيما لو خالـف شروط الصحة هذه مضطـرا «ولا تحلقوا رؤوسكم حتـى يبلغ الهدى محله فمـن كان مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك».

والخطاب فى النص موجه - على الراجح - إلى المحصرين لأنهم أقرب المذكورين، والتحلُّل من الإحرام يكون بحلق الرجال رؤوسهم وبتقصير النساء شعورهن، ووقته هو بلوغ الهدى محله أو العلم بذلك، فلا يصح التحلل قبل وصول الهدى محلَّه، ومحلُّه هو البيت الحرام - في رأى - وهو مكان التحلُّل - فى رأى آخر - والرأى الأخير هو الراجح استدلالا بما فعل رسول الله ﷺ بالحديبية إذ نحر حيث أحصر. فإذا تحلل المحصر قبل أن يذبح هديه يكون عليه دم ويعود محرما كما كان حتى ينحر هديه.

وبيَّن النص القرآنى جزاء مخالفة شرط عدم الحلق قبل نحر الهدى للمضطر، فجاء بيان حالة الضرورة التى تسيغ الحلق قبل النحر بذكر المرض وأذى الرأس، والمراد بالمرض عموم الأوجاع والأسقام التى يشفيها أو يتطلب علاجها حلق الرأس، والأذى أعم من ذلك فيدخل فيه وجود الحشرات مثل القمل فى الشعر وحلق الرأس لإجراء جراحة وغيرها.

ثم جاء بيان ما يتوجب على حالق رأسه مضطرا قبل النحر من فعله، وهو «الفداء» بصيام أو صدقة أو بنسك. والصيام هو صيام ثلاثة أيام، والصدقة هى إطعام ستة مساكين، والنسك هو ذبح شاة أو ما يفوقها وذلك على ما قال به فقهاء الأمصار وأئمة الحديث. وبعد ذلك أوردت الآية حكم «المتمتع» إذا أمن «فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى».

ويبين من قوله تعالى «فإذا أمنتم» أن الخطاب موجه إلى المحصرين الذين زال عنهم خوف الإحصار، وإن كان الحكم يعمُّ من كان آمنا منذ الابتداء حال أن يكون الآمنون متمتعين بالعمرة إلى الحج بمعنى أن يكونوا قد استمتعوا وانتفعوا بالتقرب إلى الله بالعمرة إلى ما قبل استمتاعهم وانتفاعهم بالتقرب إلى الله بالحج، أو لكونهم استمتعوا بعد التحلُّل من العمرة بمحظورات الإحرام إلى وقت إحرامهم بالحج.

وحكمهم - فى النص - أنه يكون عليهم دم، وسببه هو التمتع، ويسمى «دم جبران» لأنه لما كان الواجب أن يحرم الحاج من الميقات وكان إحرام المتمتعين من غيره بما يحدث فيه خللا، فكان جبر هذا الخلل بهذا الدم؛ ولهذا لم يكن واجبا على أهل مكة. ويكون ذبح ما

تيسَّر للمتمتع ذبحه من الهدى متى أحرم بالحج وليس قبل هذا، ولا يشترط أن يكون ذلك يوم النحر.

وبعد ذلك أورد النص حكم من لم يقدر على الذبح فأوضح أنه يكون عليه صوم ثلاثة أيام فى الحج والانتهاء من أعماله بالرجوع من «منى» أو بالرجوع إلى الأهل، والثلاثة الأيام التى يكون صومها فى الحج يكون آخرها يوم عرفة ، وقال أبو حنيفة إنها يوم قبل يوم التروية، ويوم التروية، ويوم عرفة، وقال مالك إنها ثلاثة أيام منذ الإحرام بالحج إلى يوم النحر، ولم يجز أن تكون فى العمرة قبل الحج لقوله تعالى « فصيام ثلاثة أيام فى الحج » .

وقال الشافعى وابن حنبل إنها ثلاثة أيام بين الإهلال بالحج إلى يوم عرفة. وجاء قوله تعالى « تلك عشرة كاملة » حتى لا يتوهم أحد أن « الواو» فى قوله تعالى «ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم» جاءت بمعنى التخيير، وهو ما أكَّده قوله تعالى «تلك عشرة كاملة» لبيان أنه بصيام السبعة الأيام بعد الرجوع بعد الثلاثة فى الحج يكمل بديل الهدى، أو يكمل ثواب المتمتع فيصير كثواب من لم يتمتع.

وقوله تعالى «ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام» هو استثناء لمن تمتع من أهل مكة بعد بيان علته، ذلك أنه لما كان على غير المكِّى أن يحرم من الميقات وكان فى إحرامه من غيره إخلال بالشروط استوجب أن يكون عليه الدم أو بديله، وكان المكى يحرم من مكة لكونها كلها الحرم فإنه لا يكون منه إخلال بالشروط متصور إذا ما أحرم من مكانه، فلا يكون عليه «دم الجبران» ولا بديله.

وتختتم الآية بقوله تعالى «واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب» وهو أمر بالتزام طاعة الله فى كل ما أمر به ومنه ما جاء بشأن الحج والعمرة وذلك بإجابة أوامره والانتهاء عما نهى عنه.

كما أنه تنبيه للمؤمنين على ما يكون منه تعالى من تعذيب من يعصاه أشد العذاب ليحذروا أن يكونوا من العصاة باستحضارهم فى نفوسهم ما علموه فيكون منهم تجنب العصيان والتزام الطاعة .

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾

أولا: الأســـماء:

١ ـ أشهر: جمع «شهر» يجمع «أشهر» و«شهور»، والمراد به فى الآية الشهر القمرى.

٢ ـ رفث : هو فى الفعل «الفحش من القول»، والمراد بـه فى الآية ـ «الجماع» لأنه يفسد الحج.

٣ ـ فسوق : المراد به ـ فى الآية ـ إتيان المعاصى المحظورة فى الحج ـ على وجه خاص ـ مثل قتـل الصيد وقـص الأظافـر، والمحظورة عمومـا مثل التنـابز بـالألقاب وتبـادل السباب والاقتتال بين المسلمين.

٤ ـ جــدال : مشتق من المجادلة وهو «القتل»، ومعناه المغـالبة بين اثنين كأن يدعى كل منهما أنه أشـرف من الآخر نسبًا، أو أن حجه أبر مـن حج الآخر، أو أنه صادف موقـف إبراهيم الصحيح من دون الآخر. ونهى عنه لما قد يؤدى إليه من التساب.

٥ ـ الزاد : هو الطعـام يتخذ للسفـر، ويُطلق علـى كل مـا يتزود بـه تحضيرا و إعـدادا لما يتطلب الزاد. فيختلف نوعه باختلاف ما ينفق فيه.

ثانيا : التفســـير:

من بعد الحديث فى الآية السابقة عـن الحج والعمرة وبيان الأحكام الجامعة فيهما، جاء قوله تعـالى ـ فى الآية ـ مبينا وجه الاختلاف بينهمـا فيما يتعلق بوقت أداء كـل منهما، فجاء قوله تعالى «الحج أشهر معلومات» فظهر منه أن الحج لا يكون إلا فى أشهر محددة فى السَّنة، فيكون مرة واحدة فى السنة. ويفهم من النص ـ بمفهوم المخالفة ـ أن العمرة تكون فى جميع

أشهر السنة وأنه يجوز تعدُّدها فى السنة الواحـدة. وفى معنى أن يكون الحج فى أشهر قيل إنه وجوب أن يكون أداء الحج فـى أشهر. وربما كان هذا القول موافقا عصـرا كان الحاج فيه إذا قدم من بلد بعيد حاجًّا على راحلة استغرقـت رحلته أشهرا، فكان التفسير موافقا المشاهد من الأمر وإن بعد عـن معنى النص الذى نميـل فيه إلى الرأى القـائل بأنه ألا يكون الحـج إلا فى أشهر معينة بمعنـى أنه لا يكون حجا ما يهلُّ فيـه أو يحرم فى غير الأشهر المعلومـة ـ وإن جاز قبوله عُمرة ـ والأشهـر غير محددة فى نص الآية وإن وصفت بأنها معلومـة، وهى معلومة لدى العرب فهى شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، والراجـح أنها شوال، وذو القعدة، وعشرة من ذى الحجة، وذلك لأن يوم النحر هو وقت لركن من أركـان الحج هو طواف الزيارة، وبأنه فسِّر يوم الحج الأكبر بيوم النحـر. ورأى مالك أن ذا الحجة كله داخل فى عداد الأشهـر أخذا بعمومية لفظ «أشهـر». وبعد ذلـك أوردت الآية أمرا «فمـن فرض فيهن الحـج فلا رفـث ولا فسوق ولا جدال فـى الحج»، مضمونـه ألا يكون جماع، واعتبـاره ـ إن وقـع ـ مفسدا الحـْج، وألا يكون فسوق، فهو نهى عن ارتكـاب المعاصى. ويلاحظ أن النص جاء معبرا عـن النهى عن الرفث والفسوق بـ «لا النـافية»، وفعلها فعل «النـاهية» وعندما عُبِّـر عن النهى عن الجـدال اختلفت صيغة الخطاب فشـابهت التقريرية «ولا جـدال فى الحج» وإن كان المعنى هـو نفى الجدال والنهى عنه ـ وربما كان سبب ذلك أن الجدال إنمـا يكون بين اثنين أو بين فريقين بما أوجب تغيير صيغة الخطـاب، فكأن معنى القول هو: «لا يـرفثْ من فرض الحـج، ولا يفسق، ولا يكن جدال فـى الحج». والمراد بقولـه تعالى «فـى الحج» هو أيـام الحج. وبعد هذا النهـى يقول سبحانه وتعـالى «وما تفعلوا مـن خير يعلمه الله» وهى عبارة تقـريرية جاءت مـن بعد النهى ـ وهو امتناع يثاب عليه المنتهـى بقبول حجته ـ بالإفادة عن علمه تعالـى بما يفعل المخاطبون من أفعال الخير الإيجابية، والمعنى أنه يثيب عليهـا ويجازى بها ليكون فى التعبير حض على فعل الطاعات من بعد الانتهاء عن مبطلات الحج ومحظوراته. ثم يجىء قوله تعالى «وتزودوا فإن خير الزاد التقوى» يتضمن أمرا فى شأن من شئون التعيش أثناء أداء فريضة الحج مضمونه أن يأخذ الحاج معـه ما يكفيه من الزاد أو المؤونـة «وتزودوا»، ثم يجىء قوله تعـالى «فإن خير الزاد التقـوى» بمعنى أن خير الزاد فـى الحج هو الزاد الـذى يكفى الحاج فيتقى بـه أن يسأل

الناس أن يطعموه. وسبب نـزول النص أن قوما من اليمن كانوا يحجـون دون زاد بدعوى أنهم «المتوكلـون» وأن الله لابد رازقهم، وأن فعلهـم هذا هو غايـة التقوى. ثم إنهـم كانوا يسـألون الناس إطعـامهم فنزل قـوله تعالـى يأمرهـم أن يتـزودوا لحجهم ويبين لهـم ماهية الـزاد الذى يأخذون فوصف أفضله بأنه ما يتقى به الحاج سؤال الناس، وهذا لا يمنع أن للقول معنى آخر خلاف ما تعلق بسبب النزول، وهو الأمر بالتزود بفعل الحسنات لتكون خير زاد فى الآخرة لأنه بها يُتقى عذاب الله. ثم يجىء قوله تعالى «واتقونِ يـا أولى الألباب» أمرا ظاهره أنه موجه إلى أصحاب العقـول التى تعى، حين أن المـراد به إيضاح أن مـن يستجيب للأمر هـم أصحاب العقول الـواعية وأن مـن يعصونـه هم السفهاء، ومضمـونه هـو اتقاء الله أو اتقـاء عذابـه بكل موجبات ذلك من إيمان وعمل.

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾

أولا: الأســـماء والأعلام :

١ ـ جنـاح : هو الإثم .

٢ ـ عرفات : اسم علـم سمِّى بالجمع وإن لـم يكن جمعا لأنـه ليس ثمة أماكـن متعددة يقال لكل منها «عـرفة» ليكون جمعا. وهو اسم مـوضع «بمنى»، قيل إنه سمى بمـا ينبىء عن المعرفـة لأنه وصف لإبـراهيم عليه الصـلاة والسلام فعرفـه، وقيل لأن آدم وحواء التقيـا عليه وتعارفا، وقيل سمى بذلك لعلوِّه وارتفاعه.

٣ ـ المشعر الحرام : المشهور أنه المزدلفة كلها، وقـال البعض إنه الجبل المسمى «قزح» فى المزدلفة، أو أنه ما بين جبلى «مزدلفة»، وسبب التسمية أنه مَعْلم العبادة .

ثانيا : التفســـــير:

الحديث فى الآية الشريفة لايزال متعلقا بالحج وبأحكامه التى شرعها الله وبما اعتقد الناس أنه من أحكامه أو مما ينظم المعاملات خلاله، وحديثه تعالى فى الآية يتعلق بما اعتقده البعض من تحريم التجارة خلال الحج أو من النهى عن البيع والشراء فيه وذلك لما فيه من مساومات تثير الجدال أو من شأنها أن تثيره. فنزل قوله تعالى بنفى الحرج عن الناس فى موسم حجهم أن يبتغوا رزق الله أو الربح بالتجارة «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم». وقد رأى البعض أن تكون الإباحة بممارسة التجارة أو بعمليات البيع والشراء بعد الانتهاء من الحج قياسا على ما يكون فى السعى إلى رزق الله بعد قضاء الصلاة «فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله». وقد يكون هذا غير صحيح لأن الصلاة تستغرق المصلى وقت أدائها كله فلا يستطيع مباشرة التجارة إلا بعد قضائها، وليس هكذا حال الحج، فيكون المراد إباحة البيع والشراء وقت الحج دون أن يفسد ذلك الحج أو يبطله. مع ملاحظة أن من قصد من أفعال الحج التجارة وإلى الربح خرج وانعقدت نيته لا يكون قد قصد وجه الله، وتكون أعمال الحج التى أتاها مفتقدة النيَّة المطلوبة، فلا تصح له حجة، ليس بسبب مباشرة التجارة ولكن بسبب افتقاد النية. ثم أوردت الآية الشريفة ذكر فعل الحجيج بقوله تعالى «فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام» وهو أمر تعليمى بأن يقوم المخاطبون بالنص أو الحجيج بالاندفاع من عرفات كما يندفع الماء، ويلاحظ أن قوله تعالى هذا جاء بعد إباحة التجارة مما مفاده جواز مباشرتها قبل الإفاضة من عرفات، وأنه لم يذكر وقت الإفاضة من ليل أو نهار. والجمهور على أن تمام الحج يكون بالوقوف بعرفات يوم عرفة بعد الزوال والإفاضة نهارا قبل الليل، وخالف ذلك مالك فقال «لابد أن يُؤخذ من الليل شىء»، ولا خلاف على تمام حج من وقف بعرفات فى الليل. وتمام الأمر بأن يكون ـ من بعد الإفاضة مباشرة ـ ذكر الله عند المشعر الحرام وذلك بالدعاء والتلبية جمعا فى المزدلفة حيث يجمع المغرب والعشاء عملا بسنة رسول الله ﷺ. وبعد ذلك يجىء أمر آخر «واذكروه كما هداكم» وهو أمر بذكره تعالى على النحو المذكور فى الآية على ما يبين من قوله تعالى «كما هداكم»، ويحتمل المعنى أن يكون «بسبب هديه إياكم» بمعنى مطلق الهداية،

ويقترن قوله تعالى هـذا بتذكير المخاطبين أنهم كانوا قبـل الهدى، أو قبل القرآن، أو قبـل محمد ﷺ من الضـالين، ذلك أن الضمير المستتر فى «قبله» يقبل أن يعـود على الهدى، أو القرآن، أو الرسول ﷺ .

ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾

التفسـير:

جاءت الآية الشريفة ببيان المكان الذى تكون منـه الإفاضة، «ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس» والمكان الذى يفيـض منه الناس أو الذى اعتاد الناس أن يفيضوا منـه وأقره النص هو «عرفـات» فيكون الخطاب فـى الآية مـوجها إلى عمـوم الحجاج، وجاءت «ثـم» «فى بـداية القول لبيـان فرق بين إفـاضتين هما: إفـاضة النـاس، وهى التى أقـر النص صحتها، و إفـاضة أخرى هى إفاضـة «الحمس» وهم قبائل قريش، وكنـانة، وجديلة قيس وكانـت من المزدلفة؛ ولهذا قـال البعض إن الخطاب فى الآيـة موجه إلـى «الحمس» وقد قال البعـض: إن المراد بالناس هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام، دُعى «النـاس» لأنه كان أمة وكان إماما، وقد أوجب القائلون بهذا الـوقوف بالمزدلفة لأن إبراهيـم أفاض من المزدلفة، وتكون الإفـاضة المقصودة هى الإفاضة إلى «منـى»، لأن الإفاضة من عرفات تكون قبل الإفاضـة من الجمع. وتلى ذلك أمره تعـالى المخـاطبين بـالنص أن يستغفـروه على مـا كان منهـم أو من بعضهـم من تغييـر المناسك جهلا وتمسكا بجاهلية ليغفر لمن استغفر رحمة منه و إنعاما.

فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾

أولا: الأسـماء :

١ ـ خـلاق : الخلاق هو النصيب .

ثانيا : التفسـير:

قوله تعالى فى الآيـة متَّصل بما قبله فى بيان معالم الحج ومناسكـه وما يكون عليه سلوك الحاج إلى حين الفراغ من أفعاله، والآية تتضمـن أمرا يتحدَّد وقت تنفيذه بتحقق شرط الفراغ من المنـاسك «فإذا قضيتم منـاسككم فاذكـروا الله». وقيل ـ فـى شأن الشرط الموقـوف على تحققه ذكـر الله ـ إنه الـذبح، وقيـل إنه شعائر الحـج. وعلى الرأى الأول يكـون الأمر بـذكر الله مأمـورا به بعـد الفراغ مـن كل منسـك، وعلى الثانـى يكون بعـد الفراغ مـن مناسـك الجمع جميعها. وبعد ذلك جاء بيان قدر هذا الذكر المأمور به ودرجته «كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا» بمعنى ألا يقل عما اعتدتم عليه من ذكر الآباء وأفعالهم وعظيم سجاياهم فيكون مساويا له أو أشد منه وأقوى. والتمثيل بـذكر الآباء إنما كان لعادة اعتادتها العـرب إذا قضت حجتها وهى أن يقف القوم عند الجمرة يتفـاخرون با لآباء و يذكرون صفاتهم وسجا يـاهم، حتى إن أحدهم كان عندما يسأل الله يسأله أن يعطيه مثل ما أعطـى أباه وأن يجعله مثله ـ تدليلا على أن ليس لأبيه مثل ـ وقيل إن المـراد بمماثلة ذكر الآباء هو أن يكون ذكر الحجـاج لله مماثلا ذكر الطفل أباه وأمه لا يـرى غيرهما من يلجأ إليه، فيكـون ذكر الحجاج لله ذكر من لا ملجـأ إلا إليه. وبعد ذلك جاء قولـه تعالى «فمن الناس من يقول ربنـا آتنا فى الدنيا وما له فـى الآخرة من خلاق» جاءت عبارته بمثابة جملة اعتراضية ـ للحـثِّ على ذكر الله وسؤاله ـ تبيِّن حال بعض الناس فى سؤالهم الله ودعـائه، إذْ يقصرون السؤال على منافع الـدنيا من كسب مالى أو ظفـر بالعدو وغيره مما يتمنون تحققه فى الدنيا غافلين عن طلب الآخرة، وقد بيَّنت الآية ـ فى إيجاز شديد ـ حـال هؤلاء فى الآخـرة وهو أنـه لا يكون لهم فيهـا نصيب، أو أنه لا يكـون لهم فيهـا نصيب يماثل نصيب من سأل الله الآخرة .

■■■■■

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾

أولا: الأســــماء :

١ ـ حســنة : مؤنث «حسن» وهو الطيب من الشـيء والخير، وهي ضد السيئة. وقيل إن حسنة الدنيا هي العافية والكفاف، أو إنها المرأة الصالحة، أو المال الحلال، أو الأولاد الأبرار ـ أو فهـم كتاب الله. وقيـل إن حسنة الآخـرة، هي الجنـة، أو إنها النجـاة والسلامـة من هـول الموقـف ومن سوء الحساب، أو إنهـا الحور العين. ولعل الصحيـح أن المراد بالحسنة ــ في الدنيـا والآخرة ـ هـو جميع نعم الـدنيا والآخـرة فقد ورد لفظ «حسنـة» نكرة مطلقا غيـر مقيد فيصرف إلى كل ما هو حسن، ولما كانـت الجنة هي جماع حسنات الآخرة فتكون هي حسنة الآخرة.

ثانيا : التفســـير:

تتحدث الآية الشريفة عن حال فريق آخر من الناس من سؤال الله هـم المسلمون الذين لا يكتفون بسؤال الله أن يفيء عليهم بخيـرات الدنيا بل يسألونه أيضا خيـر الآخرة. ويستفاد من الآية الشريفة وممَّا سبقتهـا أنه ليس صوابا قول القائلين «إن عبادتنـا لله خالية من الأغراض» فالمعنى المستبطن فـي الآية هو استحسان سؤاله تعـالى خير الدنيا والآخرة، هـذا فضلا عما قيل من أن عدم التعليل في الأفعال أو عدم ارتباطهـا بعلَّة أو سبب مختص بذاته تعالى فقط. ثم تذكـر الآية الشريفة أن تمـام دعاء المسلمين يكون سـؤال الله تعالى أن يبعدهـم عن النار وعن التعذيب بهـا بعفوه عنهم وبغفرانه ذنوبهـم وبشفاعة نبيه ﷺ، فضلا عن حفظهـم ـ في الدنيا ـ من ارتكاب الكبائر التي تورد مرتكبها النار.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾

التفســـــير:

الحديث فى الآية يتعلق بحال سائلى الله حسنة الدنيا وحسنة الآخرة، جاءت الإشارة إليهم بـ «أولئك» للإشارة إلى علو درجتهم فى الفضل، وجاء قوله تعالى «لهم نصيب مما كسبوا» للتنويع لبيان أنه يكون لكل منهم نصيب من جنس ما كسبوا أو من جنس ما دعوا به مما أعطاهم الله منه ما قدَّر إعطاءهم. وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ والله سريع الحساب هو حث على المبادرة إلى عمل الطاعات وكسب الحسنات وتجنب العصيان لأن سرعة محاسبته الخلق جميعهم التى قيل إن زمانها يستغرق قدر نصف نهار من أيام الدنيا أو مقدار لمحة البصر يدفع المؤمن إلى الطاعة رغبة فى كسب حسنات الآخرة مقدِّرا سرعة فوزه بها، وإلى تجنب العصيان تحاشيا لعذاب الله مقدِّرا سرعة حلوله بالعاصى يوم الحساب.

﴿۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

أولا: الأســــماء :

١ ـ الأيام المعدودات : فى قوله تعالى «فى أيام معدودات»، المراد بها فى الآية أيام «منى» وهى أيام التشريق، وهى أيام رمى الجمار، فأيام الرمى معدودات، وأيام النحر معلومات.

ثانيا : التفســـــير:

تضمنت الآية الشريفة أمرين وبيانا لحكم، فالأمر الأول تضمَّنه قوله تعالى «واذكروا الله فى أيام معدودات» وفيه أمر بمطلوب، وبيان وقته. فالمطلوب هو ذكر الله بتكبيره فى إدبار الصلاة وعند ذبح القرابين ولدى رمى الجمار، وفى غير تلك الأوقات. ووقته أيام التشريق، وهى الثلاثة الأيام بعد النحر، يخرج منها يوم النحر، وجاء وصف الأيام بالمؤنث «معدودات»

رغم أن «أيام» مذكر، لكون «معدودات» جمعا لـ «معـدود» وقد يجمع المذكر جمع المؤنث.
والحكم تضمَّنه قوله تعالـى «فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تـأخر فلا إثم عليه لمن اتقى» ومفاده أنَّ من يستعجل مـن الحجاج النَّفْر من «منى» متعجلا الذهاب فـى يومين هما ثانى أيام التشـريق قبل الغروب وقبل طلوع الفجـر من اليوم التالى، واليوم الـذى يليه، فإنه لا يأثم باستعجاله، كما أن من يتأخر فى النفر حتـى يرمى فى اليوم الثالث قبل الزوال ـ فى رأى ـ وبعده ـ فى رأى آخـر ـ فإنه لا يأثم بهـذا التأخر، والمعنى أن الحاج يكون مخيـرا بين التعجل والتأخـر ليعمل الناس اختيارهـم وفق ما تقتضيه مصـالحهم، وقولـه تعالى «لمن اتقـى» يفيد وجوب مراعـاة تجنب ما يؤثـم به من فعل أو ترك أو لـدى إعمال المرء اختياره. والأمـر الثانى الذى تضمنته الآيـة هو ما جاء بقوله تعـالى «واعلموا أنكم إليه تحشرون» وهـو إعلام بحقيقة وإن جاء التعبير عنه بفعل طلبىٍّ، والحقيقة هى الإحياء بعد الممات والبعث والحشر. والمراد به الأمر بملازمة التقوى أو النصح بها لأن مفاد الإحياء والبعث والحشر هو سرعة الحساب .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾

أولا: الأسـماء :

١ ـ **ألـدُّ:** وصف للمذكر يقـال «رجل» «ألدٌّ» بمعنى بيِّن اللدد أى شـديد الخصومة، ويقال للمرأة «لدَّاء» .

٢ ـ **الخصـام** : مصدر الفعل «خاصم ـ يخاصـم» خصاما. وقيل جمع «خصم» والمراد به ـ فى الآية ـ أشد المخاصمين خصومة .

ثانيا : التفسـير:

من بعد حـديثه سبحانه وتعالـى عن فئتين من النـاس إحداهما تطلب خير الـدنيا وتقصر سؤالها الله أن يعطيها إياه، وأخرى تطلب منه تعالى خير الدنيا والآخرة، جـاء حديثـه تعـالى

ـ فى الآية ـ عن فئة ثالثة، فتخبر الآية عن حال المنافقين وهم بعض الناس كما يبين من قوله تعالى «ومن الناس»، وجاء وصف آية نفاقهم فيما يظهر منهم وما يخلفه من أثر فى نفوس سامعيه بقوله تعالى «يعجبك قوله» بمعنى أن المنافق يحدث سامعه بما يستطيبه الطبع فيعظم وقعه فى القلوب ويروقها فيكون قول المنافق مثيرا عجب سامعه وإعجابه، ثم تصف الآية ما قد يكون من المنافق زيادة فى خداع سامعه وختاله «ويشهد الله على ما فى قلبه» كأن يقول «الله يشهد أنى أقول الحق»، ولا يستطيع المنافق ذلك ولا يقدر عليه إلا فى الحياة الدنيا دون الآخرة حيث لا يؤذن له أن يتكلم، وفى أغراض كسب الدنيا ، ويكون منه القول والاستشهاد بالله حال كونه ألدَّ الخصام أو ألدَّ ذوى الخصام بمعنى أنه يضمر فى نفسه العداوة ويظهر المودَّة ويدلل عليها. وقيل إن الآية نزلت فى الأخنس بن شريق، جاء النبى ﷺ فأظهر الإسلام واستشهد بالله على صدقه، ثم مرَّ بزرع لمسلمين وحُمر فأحرق الزرع وعقر الحمر، فيكون المقصود الذى يعود عليه الضمير المتصل فى قوله تعالى «من يعجبك» هو رسول الله ﷺ بمراعاة أسباب النزول ـ والمعنى عام يخاطَب به المؤمنون فى كل زمان ومكان.

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾

أولا: الأسماء :

١ ـ الحرث: هو الزرع، وهو جمع المال. وقال البعض إن المراد به ـ فى الآية ـ النساء لقوله تعالى «نساؤكم حرث لكم» .

٢ ـ النسل : هو الولد أو الأولاد، سمِّى كذلك لأنه ينسل خارجا عن ظهر أبيه ومن بطن أمه.

٣ ـ الفساد : هو خروج الشىء عن حاله الصحيح دونما غرض يحقق مصلحة.

ثانيا : التفسير:

عبارة الآية استمرار لوصف فعل المنافق فهو إذا أدبر عن محدثه، أو «عنك يا محمد» ـ بمراعاة أسباب النزول ـ أو تولى أمر الناس أو حكمهم ـ بالنظر إلى أن التولى قد يفيد معنى الإدبار والإعراض وقد يفيد معنى نيل الولاية ـ فإنه يكون منه الإسراع فى السير ـ على المعنى الأول ـ أو سرعة العمل ـ على المعنى الثانى ـ فى إفساد و إتلاف ما يمكنه إفساده و إتلافه مما فى الأرض، فيكون منه إهلاك الزرع و إتلاف النسل. وتنتهى الآية بقوله تعالى «والله لايحب الفساد» وهو تقرير بواقع أنه سبحانه وتعالى لايحب الفساد بمعنى أنه لايحب خروج الشىء عن حالة الصحة لغيرها دون مصلحة تسيغ ذلك، فإهلاك الطير بصيده لأكله هو إخراج له من حالة الصحة لغيرها أساغته مصلحة؛ فلا يعتبر فعله إفسادا. وعكس ذلك قتله بغير مسوغ أو مصلحة تبتغى، وفى العبارة وعيد للمفسدين، وأخصهم المنافقون .

وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾

أولا: الأسماء والأعلام :

١ ـ حسب: اسم فعل ماض، بمعنى كفى.

٣ ـ العزة : ضد الذل، وهى القوة والغلبة، والمراد بها الحمية والأنفة .

٣ ـ جهنم : اسم علم للنار دار العقاب أو لطبقة من طبقاتها .

٤ ـ المهاد : جمع مهد، وهو الموضع المعدُّ للنوم. أشير به إلى جهنم لكونها مستقرا للكافرين.

ثانيا : التفسير:

عبارة الآية استئناف لوصف المنافقين وأفعالهم وبيان لعاقبة ذلك، فيقول سبحانه

وتعـــالى «وإذا قيل له اتـق الله أخذته العزة بالإثـم» بمعنى أنه إذا نُصح المنـافق باتقاء الله فى أفعاله وعدم ارتكاب ما يستوجب سخط الله ملكت عليه الحمية والأنفة نفسه فلم يقبل وعظا لما فى قلبـه من الإثم والنفاق، أو لكـون الحمية دافعة له إلـى ارتكاب الإثم، ثم يبيـن النص عاقبـة أمر المنـافق بقولـه تعالـى «فحسبه جهنـم» بمعنى أنه يكفيـه أن يكون جـزاؤه جهنـم، ويصف جهنم فى عبارة مـوجزة بليغة بقوله تعالى «ولبئس المهاد» بمعنـى أنها أسوأ ما يكون مهدا أو موضعا للنوم، والتعبير ينطوى على تهكم على المنافق الذى أخذته العزة بالإثم فتكون راحته على مهد أُعدَّ له هو جهنم .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾

أولا: الأســــماء :

١ ـ مرضــــاة: مصدر الفعل رضا مثل «رِضَا» بُنى على التاء .

٢ ـ العــــباد : المراد بهم ـ فى الآية ـ المؤمنون .

ثانيا : التفســـــير:

بعد الحديث عن فئـات ثلاث من الناس فى الآيات السابقة هم: الـذين يسألون الله خير الدنيا، والذين يسألون خير الدنيا والآخرة، والمنـافقون. جاء الحديث عن فئة رابعة هم الذين يشرون أنفسهم ابتغاء مرضـاة الله، أى الذين يبيعون أنفسهم بمعنى أنهم يبذلـونها فى الجهاد طلبا لـرضاء الله علـى ما يبيـن من «ابتغاء» مفعـول لأجله. وقيـل إن الآية نـزلت فـى صهيب الرومى، أقبل مهاجـرا إلى رسول الله ﷺ فتبعه بعض المشركين فاستعد لقتـالهم وأنذرهم أنه سيقاتلهم ما بقى فى يده سيف بعد نفاد سهامه، فطلبوا منه أن يدلهم على ماله بمكة ليتخلوا عن ملاحقته ففعل، فلما قدم على رسول الله ﷺ قال لـه ـ وقيل: قال أبو بكر ـ «أبا يحيى ربح البيع» وتلا الآيـة. وحكم الآية عام يتعلق بـالمجاهدين عمـوما الذين يبذلـون أرواحهم طلبا

لرضاء الله. وقد أخبر الله تعالى ـ فى ختام الآية ـ أنه كان بهم رءوفا إذْ دلَّهم على ما فيه رضاه واشترى منهم أرواحهم بنعيمه الدائم .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾

أولا: الأسماء:

١ ـ السلم: هو الإسلام، وهو الصلح، وهو الاستسلام. والمراد به ـ فى الآية ـ الإسلام.

٢ ـ كافة : الكفُّ هو المنع، والكافة تطلق على الجماعة لامتناعها على التفرق. والكلمة ـ فى الأصل ـ صفة من كف، والتاء للنقل من الوصفية إلى الإسمية. ومعنى الكلمة ـ فى الآية ـ هو جميعا.

ثانيا : التفسير:

الخطاب فى الآية موجه إلى المؤمنين، يتضمن أمرا، ونهيا وتقريرا يبين علَّة النهى، فالأمر هو الدخول فى الإسلام عن إيمان مظهر مبطن، والاكتفاء به عقيدة وشريعة والإمساك بكتابه وحده دونما اعتداد بشرع ما سبقه بدعوى القدرة على الجمع بين الاثنين، وقد قيل إن سبب نزول الآية أن من أهل الكتاب الذين آمنوا بالإسلام من كان يطبق أحكام التوراة على نفسه مع أحكام القرآن فى بعض شئون الحياة مثل تحريم أكل لحم الإبل ولبنها فنزل النص يأمرهم أن يكون دخولهم الإسلام بكل جوارحهم وأن يكون لهم فيه الكفاية عن غيره مما سبقه من الشرائع فهذا معنى قوله تعالى «ادخلوا فى السلم كافة»، والنهى تضمنه قوله تعالى «ولا تتبعوا خطوات الشيطان»، «واتباع الخطو» هو «التأثر» بمعنى السير وراء الشيطان فيما يغرى به المؤمنين أو يوسوس به إليهم أو يزينه لهم كأن يوهم المؤمن بالإسلام من أهل الكتاب أن فى تحريم ما حرَّمت شريعة موسى مع ما حرَّمت الشريعة الإسلامية زيادة فى أخذ النفس بأسباب التقوى، ليفسد عليه إيمانه؛ ولذلك جاء قوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ مقررا واقع كون

الشيطان عدوا للمؤمنين ظاهر العداوة «إنه لكم عدو مبين» وهو تقرير يتضمن علة ما أمرت به الآية وما نهت عنه .

﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾

أولا: الأسـمـاء :

البينـات: هى آيات القرآن العظيم ومعجزاته فيما إذا كان الخطاب فى الآية لعموم المؤمنين، وهى البشارات برسول الله ﷺ فى التوراة والإنجيل فيما إذا كان الخطاب موجها إلى المؤمنين من أهل الكتاب .

ثانيا : التفسـير:

يخاطب سبحانه وتعالى المؤمنين الذين أمرهم بالدخول فى السلم كافة أو بالاكتفاء بالإسلام عقيدة وشريعة، ونهاهم عن اتباع الشيطان فيقول لهم ـ محذرًا ـ «إنكم إذا ملتم عن الدخول فى الإسلام بكل جوارحكم ولم تكتفوا به من بعد أن جاءتكم آيات القرآن العظيم دالة على أن الإسلام هو الحق، فاعلموا أنه سبحانه وتعالى هو الغالب على أمره وهو الصادرة أفعاله تعالى عن حكمة، والمراد أنه تعالى بحكم كونه العزيز القوى الغالب فإنه ينتقم ممن جاءته الآيات بينات فأعرض عنها، وأنه بحكم كونه حكيما مدبرا لا يترك من زلّ دون عقاب. وقد ورد النص معبرا عن الميل عن الحق بلفظ «الزلل» وأصله السقوط لإفادة ذات المعنى. لأن من لا يدخل فى الإسلام بكافة جوارحه وقلبه ويكتفى به من بعد علمه أنه الحق يكون مثل من سقط من حالق أو من زل من بعد هدى .

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾

أولا: الأســـماء :

١ ـ ظلــــل: جمع ظلة وهى ما يُظل أو ما يستظل به .

٢ ـ الغمــام : هو السحاب أو الأبيض منه .

٣ ـ الأمـــر : المراد به فى الآية أمور العباد فى يوم القيامة بمعنى حسابهم .

ثانيا : التفســير:

قوله تعالى «هل ينظرون» هو استفهام يراد به النفى، فيكون المعنى «هل ينتظرون؟»، والمقصودون هم هؤلاء الذين لم يدخلوا فى السلم كافة. أما ما ينتظرونه ـ حسب الظاهر ـ والذى هو منفىٌّ فهو أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام مع الملائكة، أو أن الملائكة هى التى تأتيهم فى الغمام ويأتى سبحانه وتعالى على نحو ما شاء، وقوله تعالى «وقضى الأمر» معناه أنه حين يحدث هذا فإن أمر العباد يكون قد قضى بتمام الحساب وتعذيب العصاة، ولا يناقض حدوث ذلك أن عبارة النفى تنفى انتظارهم مجىء الله والملائكة فى ظلل من الغمام، لأن مجيئه تعالى كما يريد إنما يكون فى يوم القيامة وليس قبله. ويجىء ختام الآية «وإلى الله ترجع الأمور» تذكيرا للناس بواقع أنه إليه وحده ترجع الأمور فى الآخرة ليقرَّ فى النفوس أنه وحده صاحب الأمر الذى له جِماعه، وأنه وحده الواجبة طاعته .

سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾

التفســير:

تتضمن الآية الشريفة أمرا لرسول الله ﷺ أن يسأل بنى إسرائيل عن عدد الآيات البينات الدالة على نبوته ﷺ مما ورد فى توراة موسى وفى أسفار أنبيائهم، والمراد بسؤال بنى إسرائيل ليس الاستفهام بمعناه الحقيقى وإنما المراد حملهم على الإقرار بأنهم أوتوا آيات بينات

كثيرة تدل على نبوة رسول الله ﷺ مما كان مقتضاه أن يؤمنوا. ويجيء قوله تعالى «ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب» لبيان أمرين ـ في مقام أول ـ وإيضاح نتيجتهما ـ في مقام آخر ـ فقوله تعالى يبيِّن وجود الآيات البينات الدالة على نبوة رسول الله ﷺ في توراة موسى التي بين أيدي بني إسرائيل، فهي النعمة التي أنعم الله بها عليهم لأنها تهدي إلى الإيمان وليس أجل من نعمة الإيمان نعمة، وهم قد عرفوها وتحققوا منها كما تحققوا من أنه ﷺ هو المبشَّر به في التوراة، فهذا هو المعنى المستفاد من قوله تعالى «من بعد ما جاءته» أي من بعد معرفتها، وقوله تعالى «ومن يبدل نعمة الله» يثبت تحريف بني إسرائيل الآيات الواردة في التوراة مبشرة برسول الله ﷺ بشتى صور التحريف والتأويل لصرفها عن معناها وما تشير إليه، فيكون الأمران اللذان تثبتهما الآية هما: ورود الآيات الدالة على نبوة رسول الله ﷺ في التوراة، وقيام بني إسرائيل بتحريفها من بعد أن عرفوها وعقلوها، ولما كان مفاد هذا هو جحد النعمة والكذب على المنعم بما يستوجب معاقبة الجاحد نعمة ربه والكاذب عليه؛ فقد جاء قوله تعالى «فإن الله شديد العقاب» لبيان أنه تعالى آخذٌ من فعل هذا بالعذاب عقابا له على سوء فعله وصنيعه .

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾

ثانيا : التفسير:

المراد بالذين كفروا ـ في نص الآية ـ يقبل أن يكون أهل الكتاب الذين أعرضوا عن الآيات وبدلوها حبًّا منهم للدنيا وتفضيلا لها على الآخرة، ويقبل أن يكون كفار قريش. وقد زُيِّنت الدنيا لهؤلاء فطلبوها، وجاء الفعل «زُيِّن» مبنيا للمجهول لأن التزين إنما كان في الأصل من الله خالق كل شيء والذي أحسَنَ كل شيء خلقه، خلق الحياة الدنيا وزيَّنها،

كذلك كان تزيينها في نفوس الكافرين ليقبلوا عليها وليشتروها بالآخرة فعل الشيطان بوسوسته وبإغوائه. ويجيء قوله تعالى «ويسخرون من الذين آمنوا» لبيان فعل الكافرين الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة مع المؤمنين وهو سخريتهم منهم واستهزاؤهم بهم تحقيرا لعقيدتهم فى طلب الآخرة - وقد قيل إن الآية نزلت فى رؤساء يهود بنى قريظة، والنضير، وقينقاع لما سخروا من فقراء المهاجرين، وقيل إنها نزلت فى أبى جهل وأمثاله من كفار قريش الذين كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين، ومعنى الآية يقبل أن يكون نزولها فى الفريقين. وبعد بيان فعل الكفار من المؤمنين وسخريتهم منهم جاء قوله تعالى «والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة» بيانا لحال المؤمنين من الكافرين يوم القيامة حيث يكون المؤمنون هم الأعلى درجة من الكافرين والأرفع مقاما، أو يكونون فى جنة الخلد فى السماء على حين يكون الكافرون فى أسفل السافلين أو فى الدرك الأسفل من النار. ثم يوضح قوله تعالى «والله يرزق من يشاء بغير حساب» أن مجازاته المؤمنين على إيمانهم وعلى صبرهم على أذى الكفار هو عطاء منه لا نهاية له ولا نفاد؛ ولذلك وصف بأنه لا عدد له فلا يمكن عدُّه ولا حسابه.

كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾

أولا: الأسـماء:

١ - النـاس: تعدَّدت فى المراد بهم - فى الآية - الآراء. فقيل إنهم بنو آدم حين أخرجهم الله نسمًا من ظهره أشهدهم على أنفسهم فأقروا له بالوحدانية، وقيل هو آدم وحده، وقيل هو

آدم وحواء، وقيل إنهم الناس ما بين آدم ونوح عليهما السلام. أوما بين آدم وإدريس، وقيل إنهم نوح عليه السلام ومن كانوا معه فى السفينة .

٢ ـ أمة واحدة : المراد بالأمة الواحدة ـ فى الآية ـ العقيدة الواحدة أو القصد الواحد، وقد اختلف فى ماهية العقيدة الواحدة التى كان عليها الناس فقيل إنها ملة إسلام الوجه لله وتوحيده، وقيل إنها الكفر كان عليه الناس فى زمان نوح، وكان عليه الناس وقت أن وُلد إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

٣ ـ الكتاب : المراد به ما أنزل الله من الكتب على أنبيائه .

ثانيا : التفسير:

بعد أن أوضحت الآيات السابقات أمر الذين أوتوا البينات من كفار العرب ومن أهل الكتاب فأعرضوا عنها، جاءقوله تعالى ـ فى الآية ـ بتأصيل وقوع الاختلاف بين الناس فى أمر العقيدة وانقسامهم ما بين مؤمن وكافر، فيقول سبحانه وتعالى «كان الناس أمة واحدة» بمعنى أنهم كانوا على عقيدة واحدة، والراجح أن هذه العقيدة التى كانوا عليها هى عقيدة التوحيد والتمسك بالدين فيما خلى ما كان من قلّة مثل قابيل ومن اتبعه، ثم وقع الاختلاف بين الناس فى شأن الحق ـ لدى من رأى أن الناس كانوا مؤمنين ـ أو وقع الاختلاف بينهم ـ لدى من رأى أن الناس كانوا كافرين ـ فأرسل الله تعالى الأنبياء مبشرين من آمن بثواب الله ومنذرين من كفر بعذابه،. ويذكر المولى سبحانه وتعالى أنه أنزل مع الأنبياء الكتب، والمراد بها جنس الكتب فتشمل الصحف، لتحكم هذه الكتب بين الناس، أوليحكم الأنبياء بين الناس بما نزل فى هذه الكتب من الأحكام ولتكون فيصل التفرقة بين صحيح الأمر وباطله فيما وقع فيه الاختلاف، وتبين الآية الشريفة أن الاختلاف فى شأن الحق أو أن اشتداد الخلاف واستحكامه إنما كان من الذين أوتوا الحق فى الكتب المنزلة إليهم على رسلهم، فبدلا من أن تكون الكتب سببا وسبيلا لإزالة ما بينهم من خُلف فإنهم جعلوها سببا لزيادة شقة الخلاف بينهم من بعد أن رسخت فى عقولهم الحجج الدالة على الحق «وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات» وكان منهم ذلك من قبيل الظلم والحسد «بغيا بينهم».

ثم كان منه سبحانه وتعالى أن هدى الذين آمنوا للحق الذى وقع الاختلاف فيه «فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه»، والمراد بالذين هداهم الله جميع المؤمنين من الأمم السابقة ومن أمة رسول الله ﷺ. وقد كان من ضمن ما هدى الله إليه أمة رسول الله ﷺ مما اختلف فيه أهل الكتاب ما تعلق بطبيعة المسيح عيسى ابن مريم وكونه بشرا نبيا وروحا من الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وكان اليهود يرون أنه ابن سفاح أنجبته أمه من جندى رومانى، وكان من النصارى من يراه إلٰها، ومنهم من يراه ابن الله. وكان منه أيضا ما تعلق بملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فقد هدى الله المسلمين إلى الحق بشأنها وكونها الحنيفية، فى الوقت الذى زعم اليهود أنه كان يهوديا، وزعم النصارى أنه كان نصرانيا. والواضح من النص القرآنى أن اهتداء أمة محمد إلى الحق إنما كان بأمر الله تعالى على ما يبين من قوله تعالى «بإذنه» فلولا أنه تعالى أذن بالهدى وأمر لَمَا كان. وكان تذييل الآية بقوله تعالى «والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم» بيانا لواقع أن العبد لا يستطيع أن يسلك سبيل الهدى بإرادته المنفردة، فلولا إرادة الله له الهدى لما كان .

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾

أولا: الأسماء :

١ ـ **الرسول:** قيل إن المراد جنس الرسول، وقيل إنه أشعياء أو إليسع، وقيل إنه محمد ﷺ.

ثانيا : التفسير:

قيل إن الآية نزلت فى غزوة الخندق حين اجتمع على المسلمين من أنواع الأذى الكثير، منه شدة البرد، وخوف العدو ونفاد المؤونة، وقيل فى غزوة أحد، وقوله تعالى «أم حسبتم» هو

إنكار على المؤمنين أن يحسبوا أو أن يعتقدوا، فهم المخاطَبون بنص الآية. والشىء الذى ينكر عليهم نص الآية أن يعتقدوه هو أنهم يدخلون الجنة دون أن يُمتحنوا كما امتحن الذين من قبلهم فيكون منهم الصبر كما كان من سابقيهم، وقد كان امتحان سابقيهم بالبلاء وأنواع الضرر حتى تزلزلت نفوسهم واضطربت من شدة الخوف من هول ما عانوا لدرجة أن الرسول فيهم كان يتعجل النصر ويطلبه المؤمنون ويتمنونه «حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله». وقوله تعالى هذا فيه تسرية عن المؤمنين ببيان أنهم إنما يتعرضون لما تعرض له المؤمنون من قبلهم من أنواع الاختبار والابتلاء ليكون منهم الصبر، ثم يجىء قوله تعالى «ألا إن نصر الله قريب» فى صورة الإجابة على تعجل الرسول نصر الله وعلى سؤال المؤمنين ربهم إيَّاه، ومطمئنا المسلمين إلى أنه ناصرهم، واعدهم أن يكون النصر قريبا .

يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

ثانيا : التفسـير:

قيل إن الآية نزلت فى عمرو بن الجموح سأل رسول الله عما يتصدق به من ماله وعمَّن ينفق عليه فنزلت الآية، وقيل إن السائلين هم المؤمنون، وقد نزلت الآية قبل فرض الزكاة ورأى البعض أن الزكاة المفروضة نسختها. وقد يكون الصحيح غير هذا فالآية تتعلق بصدقة التطوع وهى أمر خلاف الزكاة وتبيِّن أوجه إنفاقها وفق ترتيب بيَّنه النص، فيكون البدء بالإنفاق على الأبوين المحتاجين بما يصلح حالهما على قدره وقدر حاله، ولو كان أبوه متزوجا ملزما بالإنفاق على زوجه تصدق الابن على زوج أبيه أو على أبيه بما ينفقه عليها ، ثم من بعد ذلك على الأقارب لرابطة الرحم، ثم يكون الإنفاق على اليتامى، ومن بعدهم المساكين، فأبناء السبيل ـ على ما سبق بيانه فى تفسير الآية ١٧٧ ويجىء ختام الآية قوله تعالى «وما تعملوا من خير فإن الله به عليم» وفيه جاء التعبير عن أداء الخير بالفعل «وما تفعلوا» وليس بالإنفاق

«ما أنفقتم» وذلك لبيان أن الصدقة لاتكون بإنفاق المال فقط، وإنما تكون بذلك وبغيره من الأعمال والأفعال، وأنه فـي أي وجه كان إنفاق المال أو جرى أداء عمـل الخير فإن الله مثيب به، فهذا المستفاد مـن قوله تعالى «فإن الله بـه عليم» فكأن علمه تعالى بفعـل المؤمن الخير صدقةَ هو كناية عـن إثابته به. والقول فى مجموعه حضٌّ على بـذل القادر على غير القادر من ماله وفعله.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

أولا: الأسـماء :

١ ـ القتـال: المراد به ـ فى الآية ـ قتال الأعداء من الكفار.

٢ ـ كـره : «بضم الكاف» معناه الكراهة، جاء فى الآية بصيغة المصدر للمبالغة بمعنى مكروه.

ثانيا : التفسـير:

الآية تتعلق بفرض الجهاد والمراد بمن كتب عليهم القتال هم صحابة رسول الله ﷺ وقت نزول النص، وهم عموم المسلميـن من بعد. وتختلف فرضيته بالنسبة للصحـابة عنها بالنسبة للمسلمين من بعد عهدهم، فقد كان الجهاد «فرض عين» على صحابة رسول الله ﷺ بعد أن أذن الله لرسوله ﷺ فى قتال المشركين. أما بالنسبة للمسلمين من بعد عصر رسول الله ﷺ فإن الجهاد «فرض كفاية» إذا قام به بعضهم سقط عـن باقيهم إلا أن يدخل العدو بلاد المسلمين فيكون الجهاد فرض عين علـى المسلمين، وقوله تعالى من بعد فـرض الجهاد إنه كره بمعنى مكروه لا يعنى كـراهة المؤمنين الجهاد، وإنما معنـاه كراهتهم ما فيه من صـرف المال وفراق الأهل والبعـد عن الوطن والتعـرض للجروح والشجاج والقطع، وذلـك بدلالة إطاعتهـم أمره

تعالى و إقبالهم عليـه بعد أن علموا من قوله تعالى «وعسى أن تكرهـوا شيئا وهو خير لكم» أن القتال والجهاد موجب الخيـر لهم على ما يستفاد من معنى «عسى» ــ وهى من الله واجبة فى جميع القرآن إلا فـى قوله تعالـى «عسى ربه إن طلقكن أن يبـدله» ـ فيكون المعنـى أنه يكون لكم فـى الجهاد خير قـد يكون انتصاركـم وظفركم بـالعدو، وبالغنـائم تغنمونها، وبـالثواب تؤجـرون، وبالشهـادة تؤجرون. وقـوله تعالـى «وعسى أن تحبـوا شيئا وهو شـر لكم» هـو بيان للمؤمنين فإنـه ليس كل ما ترتاح إليه النفس مـورثا خيرا، فالنفس ترتاح للـدعة وعدم الجهاد وقد يكون فيه الشر؛ ولذلك جاء قوله تعالى «والله يعلم وأنتم لا تعلمون» لبيان مدى قصور علم الإنسان عن معرفة ما فيـه خيره من شرّه ولبيان وجوب التزامه أوامر ربه. وقـد أثبت تاريخ دولة الإسلام فى الأنـدلس أن ما أحبه المسلمون من الـدعة وعدم الجهاد كان سببـا لانحسار راية الإسلام عن البلاد وسيطرة الأعداء عليها وأخذهـم الأسرى والسبايا من المسلمين فكان فيما رأوه خيرا الشر كل الشر، وكان وقوع البلاء ليعلم الناكصون أن الله يعلم وأنهم لا يعلمون .

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾

أولا: الأسـماء :

١ ـ الشهر الحرام : قيل إن المراد به فى الآية شهر رجـب الذى قاتل فيه أصحاب عبد الله ابن جحش قـافلة عمرو بن الحضرمى، أو شهـر جمادى الآخر. والراجح أن المـراد به الأشهر

الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب .

٢ ـ الصـــدُّ: هو المنع عن بلوغ المطلوب وصرف الطالب عنه.

٣ ـ سبيل الله : المراد به كل ما يوصل العبد إلى الله من الطاعات، وقيل إن المراد به ـ فى الآية ـ الهجرة، وقيل الحج .

٤ ـ الفتنة : المراد بها ـ فى الآية ـ كل ما يفتن به المسلمون من صور العذاب ليكفروا .

ثانيا : التفســـير:

نزلت الآية بعد ما كان من أمر أصحاب عبد الله بن جحش مع قافلة عمرو بن الحضرمى وقتل عمرو فى الشهر الحرام، وكان رسول الله ﷺ قد أرسل عبد الله بن جحش ونفرا معه إلى منطقة «نخلة» لتلمس أخبار المشركين فى مكة فى شهر جمادى الآخر فتصادف مرور قافلة ابن الحضرمى التى أمنت للقوم لما رأى من فيها فى الرجال حليقى الرأس، ثم رأى أصحاب عبد الله أن يقتلوا أهل القافلة قبل أن يدخلوا مكة فقتلوا ابن الحضرمى وغنموا القافلة. ثم قدموا على رسول الله ﷺ فقال لهم «والله ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام»، وقالت قريش «سفك محمد الدم وأخذ المال وأسر الرجال واستحلَّ الشهر الحرام» فنزلت الآية .

ومعنى قوله تعالى «يسألونك» أن هناك من سأل رسول الله، وقد يكون السائلون هم المسلمين. وقد يكونون الكفار، والسؤال إنما كان عن حرمة القتال فى الشهر الحرام، والسؤال إنما كان لمعرفة ما إذا كان قد استحل القتال فى الأشهر الحرام، وجاء الجواب فيما طلب الله تعالى من رسوله ﷺ أن يجيب به السائلين وهو أن يقول لهم إن القتال فيه وزرٌ كبير «قل قتال فيه كبير». وتمام القول الإبلاغ والإعلام بأن صد المسلمين عن أداء الطاعات ومنعهم منها كما وقع من المشركين حين منعوا من أسلم من أن يهاجر إلى رسول الله ﷺ وحين منعوا المسلمين من أداء العمرة وبلوغ المسجد الحرام وصدوهم عنه، وما كان منهم من الإصرار على الكفر ومن إخراج المؤمنين برسول الله ﷺ من المسجد الحرام مع كونهم أهله القائمين بحقوقه. الإعلام بأن ذلك جميعه أكبر إثما من القتال فى الشهر الحرام أو أنه وزر وأوزار أكبر. وهذا القول يزكى أن يكون السائلون هم الكفار وليس المسلمين. وقوله تعالى

«والفتنة أشد من القتل» هـو تقرير لواقع مفاده أن فتنة المؤمنين ليعودوا إلـى الكفر هو أمر أشد إثما مـن القتال فى الشهـر الحرام. ولما كـانت فتنة المؤمنيـن إنما تتم بتعـذيب كفار قـريش إياهم فـإن القول يكون أيضا مـوجها إلى السائلين مـن الكفار عن القتال فـى الشهر الحرام، فيعرفهم أن تعـذيبهم المؤمنين ليعودوا إلى الكفـر هو وزر أشد من القتال فـى الشهر الحرام أو من القتل فيه.

ثم يخبر المـولى سبحانه وتعالـى المؤمنين باستمرار عـداوة الكافرين لهم ليـأخذوا منهم حذرهم، مـع بيان علة العداوة بقولـه تعالى «ولا يزالون يقـاتلونكم حتى يردوكـم عن دينكم» بمعنى أنهم يعـادونكم لكى ترتـدوا عن الإسلام، وقولـه تعالى «إن استطاعـوا» بيان لاستبعاد تحقق غاية الكافرين من معاداة المؤمنين وتدليل على سخف منطقهم.

فعبـارة الآية تعنـى أن الكافـرين لـن يستطيعوا أن يـردُّوا المسلمين عـن الإسلام، وتعنـى بالتالى استمرار معاداتهم المسلمين لأنهم إنما يعادونهم ليردُّوهم عن دينهم.

ولما كـان الارتداد لـن يحدث فـإن المعاداة لا بـد مستمرة ثـم إنه لمـا كان عـدم ارتداد المسلمين فى مجمـوعهم لا يمنع أن يقع ارتداد مـن بعض أفرادهم لسبب مـن الأسباب فقد ورد قوله تعالى «ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهـو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون».

وقولـه تعالى هـذا يبين أن الارتداد عـن الإسلام هو كفـر فى حد ذاتـه دون نظر إلى مـاهية العقيدة أو الملة التى اعتنقها المرتد.

وأنه لو مات المرتد دون أن يتوب ويعود إلى الإسلام فـإنه يكون قد مات كافرا، وأنه يخسر جميع أعمـاله الطيبة التـى عملها فى الـدنيا حتى هـذه التى عملها فتـرة إسلامه فهـى تفسد بفساد حاله بالارتداد عن الدين على ما يستفاد من معنى «حبطت»، ومؤدى فسادها فى الدنيا ألا يثاب عليها فى الآخرة. فيكون المرتدون هم أصحاب النار الذين يخلدون فيها شأن جميع الكافرين لا يخفف عنهم عذابهم ولا يخرجهم من النار سبق إسلامهم لفترة زمنية.

وقد قيل إن شرط ذلك جميعه أن يموت المرتد كافرا بمعنى دون توبة وعودة إلى الإسلام.

وهذا رأى الإمام الشافعـى، ورأَى أبو حنيفة أن مجرد الارتداد عن الإسـلام يحبط الأعمال واستدل على ذلك بقوله تعالى «ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢١٨﴾

التفســـــير:

نزلت الآيـة فى شأن عبد الله بـن جحش وأصحابه لما قتـل أحدهم وهو واقـدُ بن عبد الله التميمى - فى الشهر الحرام - عمرَو بن الحضرمـى، فقال المسلمون إنهم إن لم يكونوا أصابوا وزرا بفعلهم فإنهم قد حُرموا أجرا.

فنزلت الآية فى شأنهـم فوصفهم المولى سبحانه وتعالى بأنهـم آمنوا، وذلك لأن إيمانهم قد سبـق باقـى أفعالهم، وتـدليلا على أن الإيمـان شرط لـلأجر على الأعمـال الصالحـة فى الآخرة.

ووصفهم سبحانه وتعالى بعد ذلك بأنهم هاجـروا لأنهم هاجروا من مكة إلى المدينة بعد إسلامهـم كما أنهم انتقلوا مـن موضعهم بالمـدينة إلى المـوضع الذى أمرهـم رسول الله ﷺ بالتوجه إليه لاستطلاع أمر الكافرين وهذه هجرة.

ووصفهم بأنهم جاهدوا فى سبيل الله لأنهم إنما قصدوا إعلاء دين الله.

ثم جاء قـوله تعالى «أولئـك يرجون رحمة الله» مقـررا أنهم يأملون أن يشملهـم الله برحمته فيثيبهم على أفعالهم التى قصدوا بها وجهه ومنها خروجهم تلبية لأمر رسول الله ﷺ فى الشهر الحرام.

وأتبع ذلك قولـه تعالى «والله غفور رحيم» لبيان أنـه تعالى قد غفرَ لهم مـا فعلوا فى الشهر الحرام منتهكيـن حرمته بمـوجبات رحمته. والذى نـراه أن نص الآية لـم يتضمن ما يبيِّـن أنه سبحانه وتعالى قد أثابهم على فعلهم. ولعل ذلك لكى يعلم الخلق أن عمل الإنسان المقترن بالإيمان والمستهدف وجه الله لا يستوجب فى حد ذاتـه الإثابة عليه، بل إن الأمر لله هو الذى

يتفضل بالإثابة، فلا يسوغ للمرء أن يعتمد على عمله وحده لأنه لن يدخل الجنة أحد بعمله، وإنما برحمة الله .

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾

أولا: الأسماء :

١ ـ **الخمر**: مصدر من الفعل «خمر ـ يخمر» بمعنى ستَرَ، ومنه خمار المرأة. وقد يراد به اسم الفاعل أو المفعول، أو يبقى على مصدريته للمبالغة. وبهذا المعنى اللغوى يكون الخمر هو كل ما خامر العقل بمعنى ستره وحجبه. ومعناها فى الشرع مختلف عليه فهى عند أبى حنيفة «عصير العنب إذا غلى واشتد وقذف بالزبد» ولذلك فإنه لم يحد شارب ما أخذ من غير العنب كالشعير والحنطة، ولا شارب ما طبخ من العصير، كذلك قيل «إن الإجماع على تسمية المتخذ من العنب خمرا دون المسكر من غيره وإن من يستحل الأول يعدُّ كافرا حين لا يعدُّ مستحل الثانى كافرا. والجمهور على أن ما أسكر كثيره من غير خمر العنب يكون قليله محرما وكثيره. والذى نراه أن أى شراب يتخذ من غير العنب كيفما كان إعداده وبأى اسم سمى إذا كان من شأنه أن يسكر من لم يتعوده يكون حراما قليله وكثيره مستوجبا حدَّ شاربه.

٢ ـ **الميسر**: مصدر ميمى من الفعل «يسر ـ ييسر» لأنه أخذ المال بيسر وسهولة. وهو قمار العرب بالأزلام وبغيرها من الأقداح العشرة المسماة «الأقلام: الفذ، والتوأم، والرقيب، والحلس، والنافس، والمسبل، والمعلى، والمنيح، والسفيح، والوغد. لكل منها عدد معروف من الأسهم، توضع على يدى رجل يحركها ويدخل يده ليخرج باسم الرجال واحدا واحدا قدحا منها فإذا كان القدح من ذات الأنصبة أخذ نصيبه، وإذا كان من غيرها لم يأخذ شيئا

وغرم ما اتفق عليه، وكان فى الغالب جزورا يغرم ثمنه. ويأخذ حكم الميسر الذى كان معروفا: كل أنواع القمار التى يستخدم فيها النرد وأوراق اللعب المعروفة بالكوتشينة، والشطرنج وجميع أنواع الرهان.

٣ ـ **منافع**: جمع منفعة، ويدخل فيها ما ينال شاربى الخمر أو المقامرين من اللذة والفرح والشعور بالشجاعة أو القدرة على النوم، أو الإحساس بالرغبة الجنسية، أو توهم ذلك لدى شارب الخمر.

٤ ـ **العفو**: هو ما سهل وتيسر وفضل عن الحاجة فلم يشق على النفس إخراجه .

ثانيا : التفسير:

الخطاب فى الآية موجه إلى رسول الله ﷺ، مبدؤه إخباره من ربه بما كان من سؤال بعض المؤمنين إياه عن الخمر والميسر، و إعلامه ـ من الله ـ ما تكون عليه إجابته. ثم تلى ذلك إخباره ﷺ بما كان من سؤال بعض المؤمنين إياه فى شأن ما طلب منهم أن ينفقوه فى أوجه البر، و إعلامه ـ من الله ـ ما تكون عليه إجابته.

وبعد ذلك أوضح رب العزة الشارع الحكيم أن نص الآية يتعلق بأحكام شرعية، وأن ما تعلق بالأحكام يجب أن يكون مبينا، كما يتعين على من يستنبط حكما شرعيا أن يكون ممَّن يُعملون عقولهم ويحسنون التفكير .

وفى شأن ما سئل عنه رسول الله ﷺ أولا فقد قيل إن السائلين كانوا من الأنصار رفقة عمر ابن الخطاب ومعاذ بن جبل سألوا رسول الله ﷺ أن يفتيهم فى شأن الخمر والميسر فنزلت الآية ، وحكم الآية يمثل مرحلة من مراحل التدرج فى تحريمها، تلاها فى شأن الخمر مرحلة النهى عن الصلاة حال السكر، ثم أعقبها تحريمها والنهى عن الاقتراب منها.

أما إجابة السؤال فهى أن تناول الخمر ولعب الميسر مؤديان إلى موجبات الإثم ومنه إغفال أداء الطاعات بالانغماس فى اللذة، وأنهما ـ من جهة أخرى ـ يورثان شيئا من اللذة أو النشوة أو الشعور بالبهجة لدى معاقرهما، وأنه لدى المقارنة بين إثمهما وضررهما وبين

نفعهما فإن الإثم والمفسدة الناجمين عنهما يرجحان ما يرجى منهما من نفع ويفوقانه.

أما ما سئل عنه رسول الله ﷺ بعد ذلك من نفر من الصحابة فقد كان فى شأن النفقة التى طلب منهم أن ينفقوها فى سبيل الله ما هى صفتها أو ما هو قدرها، وإجابة السؤال كما أمر رسول الله ﷺ أن يقول هى «العفو» أى ما فضل من مال المنفق بعد الإنفاق على من يعول، وهو الذى لا يجهد المنفق إنفاقه.

وبعد بيان إجابتى السؤالين جاء قوله تعالى «كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون* فى الدنيا والآخرة». بمعنى أنه على مثل هذا الشأن الواضح يبين الله لكم الآيات المشتملة على الأحكام تنزل واضحة الدلالة - من جهة - ويفصلها رسول الله ﷺ، حتى يتيسّر لكم استنباط الأحكام الشرعية بإعمال العقل وبحسن التدبر فى أمور الدنيا والآخرة، ومن موجبات إعمال العقل فى شئون الدنيا أن تكون النفقة بالفائض فلا يتصدق المؤمن بجميع ماله ثم يتكفف الناس، ومن موجبات إعمال العقل فى شئون الآخرة أن يتصدق من ماله على المحتاج ولا يغل يده حتى لا يؤتى به يوم القيامة فيغل به عنقه، وحتى لا يحرم ثواب الصدقة.

فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾

التفسير:

قيل إنه لما نزل قوله تعالى «ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن» وقوله تعالى «إن الذين يأكلون أموال اليتامى»، قام كل من كان قائما على أمر يتيم بفصل طعامه عن طعامه فإذا لم يأكل اليتيم طعامه وفسد ألقى به.

فسأل الناس رسول الله ﷺ عما يفعلون مع اليتامى الذين يقومون عليهم ويرعون أموالهم فنزلت الآية. وقوله تعالى «قل إصلاح لهم خير» معناه أن الأفضل هو مباشرة ما فيه صلاحهم

يدخل فى ذلك صلاح نفوسهم وصلاح أموالهم برعايتها، لكون ذلك أفضل من مجانبتهم. وقوله تعالى بعد ذلك «وإن تخالطوهم فإخوانكم» فيه حث على مخالطتهم فى الطعام والشراب والمسكن وبالمصاهرة بمعنى أنه يكون إعداد الطعام شاملا جميع من يعولهم القائم على أمر اليتيم أو كافله وشاملا اليتيم، فإن كان لليتيم مال وجرى حساب ما أكله كان ذلك بحساب ما يرى أنه كافيه وإن وقع فيه زيادة أو نقصان دون أن يكون عليه فى ذلك إثم.

وفعل ذلك إنما يكون لكون اليتامى إخوان القائمين عليهم. ويجيء قوله تعالى «والله يعلم المفسد من المصلح» تحذيرا لمن يفسد فى اليتامى وفى أموالهم ووعدا لمن يصلح فى أمورهم وأموالهم فهو وعيد للمفسدين ووعد للمصلحين بأنه تعالى مجازٍ كلًّا حسب فعله ونيته.

ولما كان الإذن بالمخالطة منطويا على التيسير، وعلى خلاف ذلك تكون المجانبة منطوية على التعسير كان معنى قوله تعالى «ولو شاء الله لأعنتكم» أنه سبحانه وتعالى لم يرد بكم المشقة ولذلك أجاز لكم مخالطة اليتامى وأجاز لكم أن تصيبوا من أموالهم ما أنفقتم عليهم ولم يجعل فعلكم هذا إثما يوردكم الهلاك.

ومفاد قوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «إن الله عزيز حكيم» أنه تعالى وهو الغالب على أمره القادر ـ بحكم عزَّته ـ على إعناتكم، قد خفف عليكم بحكمته فلم يعنتكم .

وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾

أولا: الأســـماء :

١ ـ **المشـركات :** جمع مشـركة، وهـى غير المسلمة فـى معنى عـام يتخصص بـإخراج الكتابيات من عداد المشركات لتكون المشركة هـى غير اليهودية وغير النصرانية ـ على رأى ـ يرى فى المغايـرة بين أهل الكتاب وبين المشركين فـى قوله تعالى «لم يكن الـذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين» فـى سورة البيِّنة، وقوله تعالى «ما يود الذيـن كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين» فى سورة البقـرة دليلا على عدم دخول أهل الكتاب فى عـداد المشركين، كما يستدل علـى ذلك فـريق من أصحـاب هذا الـرأى بنسخ عموم المعنـى وتخصيصه بـإخراج الكتابيات منـه بقوله تعالى فى سـورة المائدة «والمحصنات من الذين أوتـوا الكتاب» ويرى جانب من الفقه أنه يدخل فى عموم معنى المشركات الكتابيات، قولا منهم أن المستفاد من قوله تعالى «وقالت اليهود عزير ابن الله وقـالت النصارى المسيح ابن الله» هو كونهم مشركين، وأن من تقول ـ من النساء ـ إن المسيح هو الرب مشركة، واحتجوا لرأيهم بأن الآية قد نسخت حكم الآيـة الواردة فى سـورة المائدة. والصحيح أن سـورة البقرة مـن أول ما نزل مـن القرآن بالمدينة وأن سورة المـائدة من آخر ما نزل فالمقبول عقلا وحكمـا أن تكون آية سورة المائدة ناسخة حكم آية سورة البقرة فى شأن الكتابيات .

٢ ـ **أمـــة:** قيل إن المراد بها فـى الآية «مقابل الحرَّة»، وقيل إن المـراد عموم المرأة سواء أكانت حرة أم مملوكة .

٣ ـ **المشـركون :** فى قـوله تعالـى «ولا تنكحوا المشركين»، جمـع «مشرك» والمراد بـه فى الآية كل من لا يدين بالإسلام فيدخل فى معنـاه فى الحكم الوارد به النص القرآنى الكتابيون وغيرهم.

ثانيا : التفســـير:

الآية من آيات الأحكـام تضمنت نهيا عن أفعال وبيان علة النهى فـى إجمال ثم تفصيل، مع اشتمال النهـى والتعليل على أحكام تكميلية مبطنـة يدركها أولو النهى. وأول مـا نهى عنه سبحانه وتعالى هـو الزواج من المشركات ما أقمن على الشرك، فـإن أسلمن انتهى النهى عن

نكاحهن وأبيح، وقد سبق بيان أن الكتابيات لا يدخلن في معنى المشركات ـــ في النص ـ على الراجح فلا يكون منهيا بالنص عن الزواج منهن، أو أنه قد نسخ حكم الآية فيهن بقوله تعالى ـ في سورة المائدة ـ «والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب».

وبيان علة هذا النهى إجمالا وردت في قوله تعالى «ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم». ومعناه أن المملوكة المؤمنة تفضل المشركة عموما حرة كانت أم مملوكة ـ من باب أولى ـ ولو أثار إعجابكم بالمشركة ما أعجبكم فيها من جمال أو مال أو حسب أو غيره من مغريات الحياة الدنيا.

والفعل الثاني الذى نهى عنه النص هو تزويج الكافرين من المؤمنات «ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا» ولم يرد في شأن الكافرين نص يتخصَّص به عموم المعنى فشمل المعنى أهل الكتاب فلا يتزوج غير المسلم ـ سواء أكان كتابيا أم لم يكن ـــ المسلمة، وفي قوله تعالى هذا ما رأى فيه البعض حكما ضمنيا مفاده اعتبار الولى في النكاح مطلقا، بمعنى أنه لابد من وجود ولىٍّ للمرأة يزوِّجها، واحتجوا لصحة رأيهم بقوله تعالى «فانكحوهن بإذن أهلهن».

وأغلب هذا الرأى على أن المرأة إذا ولَّت رجلا فزوَّجها كفؤًا فالزواج صحيح؛ ولذلك قال الإمام مالك «إن ولىَّ المرأة هو كل من وضعها في منصب حَسَنٍ سواء أكان من العصبة أو من ذوى الأرحام أو من الأجانب أو الإمام أو الوصى» ويؤكد هذا أن المولى سبحانه وتعالى لما أمر بالنكاح جعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض بقوله تعالى «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض».

وعلى خلاف هذا الرأى يرى جانب من الفقه أن للمرأة البالغـــة العاقلة أن تزوج نفســـها، واستدل على ذلك بقوله تعالى «فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن»، وبحديث رسول الله ﷺ «الأيم أحقُّ بنفسها من وليِّها».

ومن هذا الرأى أبو حنيفة وصاحبه زفر في قولهما: «إذا زوَّجت امرأة نفسها كفؤا بشاهدين فذلك نكاح جائز»، ويرى أصحاب هذا الرأى أن معنى قول رسول الله ﷺ «لا نكاح إلَّا بولىٍّ»

إنما هو مبنى على الكمـال وليس على الوجوب مثل قوله ﷺ «لا صـلاة لجار المسجد إلا فى المسجد».

ويؤيد هذا الـرأى قوله تعالى «فلا جنـاح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن بـالمعروف». وقد خصَّص البعض هذا الحكـم فقال إن علة تطلب ولى للمرأة يزوجها هـو حياء المرأة أن تبدى موافقتها على الزواج أو رغبتها فى الزوج ولذلك ناب عنها وليُّها فى تزويجها، وأنه لما كان هذا الحياء غير مفترض فى الثيِّب والمحترفة فإنه يكون لها تزويج نفسها، وأنها المقصودة فى قول رسول الله ﷺ «الأيِّم أحقُّ بنفسها من وليِّها».

وبعد ذكـر هذا النهى جـاء قوله تعـالى فى شأن تعليـل هذا النهى «ولعبـد مؤمن خيـر من مشرك ولو أعجبكم» مفيدا تفضيل زواج المؤمنة بالمؤمن ولو كان عبدا على زواجها من مشرك ولو كان حرا يُرغب فيه لما يحوزه من أسباب العز الدنيوى ـ مع مراعاة شرط الكفاءة ـ.

ثم جاء قوله تعالى «أولئك يدعون إلـى النار، والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه» تفصيلا لعلَّة النهى عن الزواج من مشركات ومشركين وتفضيل الزواج بمؤمنات ومؤمنين عليه، وهو أن المشركات والمشركين يدعون إلى النار.

بيان ذلك مثـلا أن الزوج المشرك قد يبـاشر من الأعمال مـا ينهى عنه الإسلام كـأن يشرب الخمر ويلعب الميسر فيتغاضى زوجه المسلم عن ذلك تجنبا لإغضابه وآثرا لما بينه وبينه من المحبة والمخالطة فيكون منه عصيان أمر ربه بما يورده النار.

وهذا ما لا يقـدم عليه الزوج المسلم، ولذلك شُبِّـه فعل الزوج المسلم بالدعـوة إلى الجنة وإلى غفران الذنب الموصل إلى الجنة بإذن الله .

وتختتم الآية بقوله تعالى «ويبين آياته للنـاس لعلهم يتذكرون» وهو تذييل لما نصح الله به المؤمنيـن والمؤمنـات وما جاء بـه النص مـن أحكام فـأوضح أن النواهـى فى النـص أحكام تتحقق بها مصالح العباد والدين وأنه على المـؤمنين أن يتذكروها فيكون نقلها عمَّن علم بها، ويكون بيانها ممَّن علم بها .

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾

أولا: الأسـماء:

١ ـ المحيض: مصدر «حاضت المرأة ، تحيض حيضا ومحاضا» أصله السيلان، فيقال حاض السيل بمعنى فاض ويقال «حاض الرجل» بمعنى اتخذ حوضا. والمراد به ما تراه المرأة من الدم الظاهر السائل من فرجها، وهو دم داكن اللون خاثر تعلوه حمرة. تترك المرأة الصلاة والصوم فى أيامه على أن تقضىَ الصوم ولا تقضى الصلاة .

٢ ـ أذى: المراد به فى الآيـة «القذر» يُتأذى منه لرائحته ولمنظره. ويراعى فى هذا المعنى اعتبار زمانه ووقته.

٣ ـ التـوابون : فى قوله تعالى «إن الله يحب التوابين» المراد بهم التوابون من الذنوب ومن الشرك.

٤ ـ المتطهرون : فى قوله تعالى «ويحب المتطهرين» المراد بهم المتطهرون بالماء من الجنابة ومن الحدث .

ثانيا : التفسـير:

نص الآية متعلق بالإجابة على أحد الأسئلة التى سئل رسول الله ﷺ عنها، وورد قوله تعالى بما يجيب به رسول الله سائليه، وهى إجابة تتضمن أحكاما شرعية، فمن بعد سؤاله ﷺ عن الخمر والميسر وعن أحوال اليتامى، أو عن ذلك وعن النفقة، وعن القتال فى الشهر الحرام.

سأله القوم عما يكون منهم مع نسائهم فى فترة الحيض، وربما كان باعثهم على هـذا

ما عرفوه عن اليهود إذ كانوا يعتبرون المرأة - فى فترة الحيض - نجاسة يخرجونها من الدار لا يؤاكلونها ولا يشاربونها.

وإنه لما كان سؤال السائلين عن المحيض فقد أخبر عنه المولى سبحانه وتعالى وطلب من رسوله الكريم أن يقول إنه أذى «قل هو أذى» بمعنى أنه فى موضعه ووقته يكون أذى تتأذى منه النفوس.

ثم أتبع سبحانه وتعالى تعريفه المحيض بأنه أذى بأمر باعتزال النساء فى فترة الحيض «فاعتزلوا النساء فى المحيض»، والمراد بالاعتزال هو تجنب مواقعتهن أو مجامعتهن فقط.

والراجح أنه لا يحرم الاستمتاع بالحائض بما بين السرَّة والركبة وإنما يحرم الوطء، ثم جاء قوله تعالى «ولا تقربوهن حتى يطهرن» نهيا عن وطء النساء فى فترة الحيض حتى يطهرن، فيكون زمن الامتناع عن الوطء من بدء ظهور دم الحيض إلى وقت الطهر.

والمراد به عند أبى حنيفة وقت انقطاع الدم، وعند الشافعية الاغتسال بعد انقطاع الدم.

وبعد ذلك يأتى أمره تعالى بمعنى الإباحة فى مباشرة الوطء والأمر بأن يكون فى المكان الذى كان منه الدم وهو الفرج «فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله».

وقد يكون البيِّن من قوله تعالى هذا أن الامتناع عن الوطء تكون غايته هى الاغتسال، وقد يعنى أن يكون الاغتسال هو الكمال وأنه يكفى انقطاع الدم، أو أن يكون المراد بالاغتسال هو غسل مكان الحيض فقط أو غسله مع الوضوء على رأى الإمامية.

وأمره تعالى أن يكون الوطء من حيث أمر الله قد يعنى أن المراد به أن يكون الوطء فى فرج المرأة، وقد يعنى أن يكون الوطء من حيث يكون حلالا دون غيره على ما يستفاد من قوله تعالى «من حيث» وعدم إيراد لفظ «فى» فيكون المراد بالأمر أن يكون الوطء فى غير الأحوال التى لا يباح فيها مثل صوم المرأة أو إحرامها أو اعتكافها .

ويجىء قوله تعالى - فى ختام الآية «إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين» مفيدا أنه تعالى يعفو عمن خالفوا أمره فأتوا نساءهم فى فترة الحيض إذا ما تابوا عن ذلك، وأنه يحب

من تنزه عن عصيان أمره فكان منه تجنب مجامعة الحائض وعدم إتيان المرأة إلا من حيث أمر الله، ووصف سبحانه وتعالى من تنزهوا عن ذلك بالمتطهرين لتجنبهم الأقذار المنهى عنها.

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾

أولا: الأسماء :

١ ـ حرث: فى قوله تعالى «نساؤكم حرث لكم» بمعنى إلقاء البذر فى الأرض، أو بمعنى «مواضع الحرث»، وفى ذلك تشبيه النساء بمواضع الحرث تفريعا على تشبيه النطف بالبذور. وفى قوله تعالى «فأتوا حرثكم» معناه «ما هو كالحرث» فيكون فى التعبير استعارة تصريحية .

ثانيا : التفسير:

جاء قوله تعالى فى الآية من بعد أمره تعالى فى الآية السابقة أن يكون وطء النساء فى المكان المأمور أن يكون فيه، وجاءت الآية مبينة أنه لا ضرر من أن يكون إتيان المرأة فى قبلها عن طريق الخلف أو عن طريق ظهرها. ذلك أن اليهود كانت تعتقد أن إتيان المرأة من الخلف فى قبلها إذا نجم عنه حمل جاء الولد أحول، فنزل قوله تعالى مفيدا عدم صحة هذا الاعتقاد ومبينا أن للزوج أن يأتى امرأته من أى مكان شاء مادام الوطء محله فرجها، وجاء تشبيه النساء بالحرث يبذر الحارث البذور فيه من أى جهة شاء إذ تكون جميع الجهات مواضع حرث، وهذا هو المستفاد من قوله تعالى «نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم» فيكون معنى «أنَّى شئتم» هو كيف شئتم، ومتى شئتم، ومن أى جهة شئتم . فيكون المباح هو إباحة إتيان النساء من قدام ومن خلف ومن فوق ومن تحت، ومن اليمين ومن الشمال، وليس ما اعتقده البعض من أن الآية تجيز إتيان المرأة فى دبرها، لأن معنى «أنَّى» هو «من أى مكان» وليس «فى أى مكان»، فضلا عن أنه لما كان قد نُهى عن إتيان النساء فى

المحيض لكونه مستقذرا ينفر منه الطبع السليم، وكان فى الإتيان فى الأدبار، مع ما فيها من الأقذار فى المحاشى ما يفوق أقذار دم الحيض اتحاد فى علة اعتزال النساء فى المحيض، فقد أصبح وجه النهى عن إتيان النساء فى الأدبار أوضح وأظهر.

وبعد ذلك جاء أمره تعالى «وقدموا لأنفسكم» وهو أمر بأن يكون هناك من المخاطبين بالنص فعل يسبق الجماع ويكون تقدمة له، والمستفاد من لفظ «لأنفسكم» أنه يكون فى هذا الفعل التقدمة صالح فاعله، وقد قيل إن المراد به التسمية قبل الجماع، أو إنه الدعاء بطلب الولد الصالح، وقيل إن منه أفعال المداعبة التى تسبق الجماع حتى لا يكون وقوع الرجل على امرأته كوقوع البهائم. وتبع ذلك قوله تعالى «واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه» وهو أمر بتنفيذ ما أمر به والانتهاء عما نهى عنه ليكون بذلك اتقاء عذابه، كما أنه تذكير للمخاطبين بالنص بأنهم مبعوثون يوم الدين معروضون عليه ليجازيهم بأعمالهم التى هى ما قدَّموه لأنفسهم، وجاء هذا التذكير ليحرص المخاطبون بالنص على طاعته فى كل ما أمر به وما نهى عنه، ولذلك جاء قوله تعالى «وبشر المؤمنين» ليدل على أن من قَبل أوامره وامتثل لها له البشرى بالتكريم والتنعيم، فيكون المؤمنون هم من كمل إيمانهم ممن سبق مخاطبتهم، ثم كان امتثالهم لما أُمروا به بنص الآية، فهم الكاملون.

وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

أولا: الأسماء:

١ ـ عرضة: العُرضة هو ما ينصب للشىء فيكون نصبًا. وهو بمعنى المفعول من عرض الشىء فجعله معترضا، جاء بوزن فعلة مثل غرفة.

٢ ـ الأيمان: فى قوله تعالى «عرضة لأيمانكم» جمع «يمين» بمعنى الحلف، تقول حلفت يمينا بمعنى حلفت حلفا.

ثانيا : التفســــير:

قيل إن سبب نزول الآية أن أبا بكر حلف ألا ينفق على مسطح ابن خالته لما وقع فى حادث الإفك، وقيل إن عبد الله بن رواحة حلف على بشير بن النعمان ألا يدخل عليه أبدا وألا يصلح بينه وبين امرأته التى طلقها، فنزلت الآية تمنع من اتخاذ الحلف أو اليمين سببا للامتناع عن فعل الخير.

ومعنى النهى الذى اشتملت عليه الآية «ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم» هو النهى عن الإكثار من الحلف أو اليمين؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى «واحفظوا أيمانكم».

وعلى هذا يكون مراد قوله تعالى «أن تبروا» هو «ليكون منكم البرُّ والتقوى» لأن فى تجنب الحلف تجنب الحنث، فكأن معنى القول هو «لا تجعلوا اليمين مبتذلة فى الحق والباطل».

وقوله تعالى «أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس» بما فيه من حث على صلة الرحم وعلى التصدق، وعلى الإصلاح بين الناس يفيد المعنى المستفاد من جملة الآية وهو ضرورة ألا يتخذ المؤمنون من اليمين يحلفونها سببا للامتناع عن فعل البر والإصلاح بين الناس؛ ولذلك كان الواجب على من حلف على ألا يفعل برًّا هو أن يفعله ويكفِّر عن يمينه.

وقوله تعالى فى ختام الآية «والله سميع عليم» معناه أنه سبحانه وتعالى سميع لأقوال الناس وأيمانهم عليم بنياتهم، فى إشارة لما يترتب على استهدافهم البر من وجوب التزام أمره تعالى بعدم ابتذال اسمه العظيم فى الحلف، وعدم اتخاذ الحلف سببا للامتناع عن البر.

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾

أولا: الأســـــماء :

١ ـ اللغـــو: اللغو فى الأيمان هو ما لا يعقد عليه القلب، كقول المرء «لا والله»، وهو الساقط من الكلام الذى لا يعتد به .

٢ ـ حليــــم: الحِلم بكسر الحاء هو الأناة، والحليم هو المتأنى، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ أنه سبحانه وتعالى لا يعجِّل بالمؤاخذة على اليمين .

ثانيا : التفســـير:

بعد أن نهى الله سبحانه وتعالى عن الإكثار من الحلف بالله فى الآية السابقة أورد بعض حكم اليمين فى هذه الآية، فأثبت أن يمين اللغو لا مؤاخذة عليها ولا كفارة فيها.

والمراد بيمين اللغو أو باللغو فى اليمين هو حلف المرء بلسانه دون إرادة الحلف لديه ودون اعتقادها وهو ما قد يكون منه بحكم العادة كأن يقول لتأكيد صدقه «لا والله».

ويأخذ حكمه أن يحلف معتقدا صحة ما حلف عليه ثم يتبين له عدم صحته، وذلك لقول رسول الله ﷺ «أيمان الرماة لغو لا حنث فيها ولا كفارة».

كما يأخذ حكمه أيضا ـ على الراجح ـ يمين الغضب، ويمين المعصية كأن يقسم الرجل أن يشرب الخمر أو أن يقطع الرحم ، فيكون برُّه أن يترك الفعل ولا تكون عليه كفارة، فهذا هو المستفاد من قوله تعالى «لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم».

ثم بيَّن سبحانه وتعالى ماهية اليمين التى يؤاخذ بها المرء والتى تكون فيها الكفارة إذا ما كان فيها حنث وذلك بقوله تعالى «ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم»، وهى اليمين التى ينطق بها اللسان وتكون موافقة لما استقر فى القلب فيكون منه أن يحلف المرء بصحة الشىء وهو عالم فى قلبه أنه كاذب، وأن يحلف أنه سيفعل الشىء ويكون قلبه قد انعقد على أن يفعله ثم لا يفعله، فهذا ما تكون فيه المؤاخذة وتكون فيه الكفارة.

وقد رأى البعض أن المراد بالمؤاخذة على الحلف بصحة الشىء مع العلم بكذبه هى المؤاخذة فى الآخرة فلا تكون فيه كفارة. واحتجوا لصحة رأيهم بأنه لا عبرة بتوافر القصد أو

عدم توافره لوجوب الكفارة ، وهى المؤاخذة فى الدنيا.

ولما كان النص القرآنى قد اشترط القصد لتحقق المؤاخذة على ما يبين من قوله تعالى «بما كسبت قلوبكم» فإن المؤاخذة المقصودة لاتكون المؤاخذة الدنيوية، وإنما تكون الأخروية.

وجاء قوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «والله غفور حليم» لبيان أنه بحكم كونه الغفور لم يؤاخذ المؤمنين باللغو فى الأيمان، وبحكم كونه حليما لم يعجل للحانث فى يمين العقاب، لعله يتوب عن الذنب فيغفر له .

لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾

أولا: الأســـــماء :

١ ـ **الذيـن يؤلون :** فى قولـه تعالى «للذيـن يؤلون من نسـائهم» المراد بهم ـ فى الآية ـ الذين يحلفون على الامتناع عن مجامعة نسائهم، فالإيلاء مصدر من الفعل «آلى ـ يؤلى» بمعنى «حلف».

٢ ـ **التربص:** هو التأنِّى والتأخر والانتظـــــار.

ثانيا : التفســـــير:

نزلت الآيـة غير معطوفة على ما سبقهـا لبيان أنها جاءت بحكم يعتبر استثناءً من الحكم الذى يتضمنه قوله تعـالى «ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم» فكـأن المراد التعبير عنه هو: «إلا الإيلاء من النساء فإن حكمه مخالف ما ذُكر».

ويبين معنى الإيلاء المقصود من قوله تعالى «يؤلون من نسائهم» إذْ جاء حرف الجر «من» الذى يتعـدى به الفعل إلـى المفعول به متضمنـا معنى «البعـــــد» تعبيـــرا ووصفـا لكون

الإيلاء ـ وهو فى الأصل حلـف ـ هو الابتعاد عن النساء، والمراد بالنساء فى قـوله تعالى «من نسائهم» عموم الزوجـات فيدخل فيهن الحرائر والإماء إذا تزوجن، ويـدخل فيهن المسلمات والذميات، وكذلـك يلزم الإيلاء جميع الأزواج المسلمين أحرارا كانوا أم عبيـدا. ومعنى قوله تعالى «للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر» أن الإيلاء من النساء حدُّه الأقصى أربعة أشهر؛ ولهذا قال الجمهور إن الإيـلاء هو أن يحلف الرجل ألا يطأ امرأته أكثر من أربعة أشهر، فإن حلف ألا يطأها لمدة أربعة أشهر أو أقل لا يُعدُّ موليًا.

وقال البعض إن الإيلاء هو الحلف على عدم الوطـأ أربعة أشهر فأكثر، فكأن الخلاف بين الفريقيـن هو فى دخول اليـوم المتمم للأربعة الأشهـر فى مدة التـربص أو فى خروجـه عنها. وحكمه أنه يجب لدى انقضاء المدة سقوط الإيلاء، والإيلاء لا يسقط إلا بأحد أمرين:

أولهما هو «الفىء» بمعنى «الجماع» يقع أثناء المدة أى خلال الأربعة الأشهر.

وثانيهما هو الطلاق يقـع بانقضاء الأربعة الأشهر، فيكون معنى قوله تعـالى «فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم» أنـه يسقط الإيلاء بمجامعـة المولى امرأتَـه قبل انقضاء مدة الأربعـة الأشهر مادام قادرا عليه وكـانت ممن يمكن جماعها فـإن منعه مانع من مرض أو حبـس أو سفر لزمه الوطء بمجرد زوال المانع، وقال البعض إنه إذا منعه مانع فإنه يفىء بقلبه أو بلسانه فيقول «قد فئت إليهـا»، أما قولـه تعالى «فإن الله غفـور رحيم» فقد رأى فيـه البعض أن مفاده عـدم إلزام المولى إذا فاء بجماع امرأته كفارة لأنه تعالى ذكر أنه غفور رحيم ولم يذكر الكفارة.

ورأى البعض فيـه خلاف ذلـك فقد أوجـب مالـك والشافعـى وأبو حنيفـة الكفارة علـى المولى إذا فاء بجماع امرأته وحجتهم فى ذلك قول رسول الله ﷺ «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليـأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه»، ولأن فى هجر المـرأة إضرارا بها فإنه إذا حلف به المـولى ثم فاء إليهـا بالجماع فإنه يكـون قد أتى ما هـو خير منه فإنـه تكون عليه الكفارة. ويكون معنى قوله تعالى «فإن الله غفور رحيم» هـو أنه تعالى قد غفر له ما وقع منه من حلف يمين على الظلم عاقدا العزم عليه، وأنه تعالـى قد شمله برحمته بسبب فيئه إلى امرأته والكفارة.

أولا: الأســـــماء :

١ ـ الطلاق: هو التخلية، فيقال «ناقة طالق»بمعنى أنها تركت فى المرعى بغير راعٍ يرعاها ولا قيد يقيدهـا ومعناه الشرعى ـ وهـو المراد باللفظ فـى الآية ـ هو حل عقـدة النكاح، بمعنى إنهاء عقده .

ثانيا : التفســـــير:

من بعد ذكـر المولى سبحانه وتعـالى ما يترتب علـى الإيلاء من النساء من إجـازته الفىء للمُولى، فإنه ذكر الحكم الآخر أو النتيجة الثـانية للإيلاء والتى تكون أو يكون الحكم الآخر إذا لم يقع الفىء. وهى عزيمة الطلاق أو حدوثه.

وقد قيل فى معنى قوله تعالى «وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم» أنه إذا أصر المولى على قصده وهـو ما يقطع به استمـراره على الإيلاء وعدم فيئـه، فإن الله يكون قد سمـع إيلاءه الذى أصبح منه طلاقا بائنا بانقضاء المدة، كما يكون قد علم غرضه من الإيلاء فجازاه به بما يوافق نيته.

والمعنى أنه يكون قد تحقق وقوع الطلاق البائن بمضى مدة الأربعة الأشهر من غير مطالبة المرأة بأن يوقع الزوج الطلاق أو أن يحكم به القاضى.

وقيل إن معنى كونه تعالى سميعا عليما أنه يتعين سماع لفظ الطلاق من الزوج أو التطليق من القـاضى ليكـون معلومـا، وخلص أصحـاب هذا الـرأى إلى أنـه إذا مضت مـدة الأربعة الأشهر ولم يفىء المولى طولب بإيقاع الطلاق فإن لم يفعل طلق عليه الحاكم أو القاضى .

وعلى هذا فإن نقاط الخلاف بين الفقهاء فى شأن أحكام الإيلاء تتمثل فى مسألتين:

أولاهما: تتعلق باحتساب فترة التربص وهى الأربعة الأشهر، ويرتبط بها شرط اعتبار الإيلاء موجودا، بمعنـى ما إذا كان يشترط أن يكون الإيلاء لأكثـر من أربعة أشهر ليعدَّ مـوجودا أم أنه

يكفى أن يكـون لمدة أربعة أشهر، ومـا إذا كان سقوط الإيلاء بـالفىء أو بالطلاق يتحقـق فى اليوم المتمم للأربعة الأشهر أم فى اليوم التالى.

والثانيـة: تتمثل فيمـا إذا كان الطـلاق البائن يتحقـق من تلقـاء ذاته إعمـالا لنص الآيـة بمجرد انصرام المـدة دون فىء أم أنه يتعين أن يوقعـه الزوج أو أن يقضى به القـاضى. والرأى عندنا أنه فى المسألـة الأولى فإن مدة الأربعة الأشهر ـ وهى مدة التربـص ـ هى مدة يجب أن يتم فيهـا إجراء الفىء ليكـون صحيحا، كما أنها مـدة يتعين مرورهـا كاملة ـــ دون أن يحدث خلالها الفىء ـ ليتحقق سقوط الإيلاء بالطلاق.

ولذلك فإنه يكون للزوج الحق فيها كاملة ليبـاشر حقه فى أن يفىء إلى امرأته فيدخل فيها اليوم المتمم لـلأربعة الأشهر يستطيع أن يفىء فيه فيسقـط الإيلاء، كذلك فإنـه يجب انصرام مدة الأربعة الأشهر كاملة دون أن يقع فيها فىء ليتحقـق سبب الطلاق، فيكون وقوعه فى اليوم التالى لانقضاء اليوم المتمم للمدة، فيكون معنى الإيلاء هو فيما زاد على الأربعة الأشهر، فلو قـال الرجـل لامـرأته «والله لا أقـربـك أربعة أشهـر» فـإن ذلك لا يكـون إيـلاء. وهذا هـو رأى الشافعية.

وفى المسألـة الثانية فإننـا لا نميل إلى رأى القائليـن بأنه بمضى مـدة الأربعة الأشهر دون فىء تنقطع العصمة وتبين المرأة من الزوج بمعنى أنهـا تعتبر مطلقة طلاقا بائنا دون أن يطلقها الزوج أو الحاكم، ونرى أن استدلالهم على رأيهم بأنه جاء قياسا على حكم المعتدة بالشهور وبالإقـراء (أى بالحيض) هو استـدلال بما ليس فيه قيـاس لأن المعتدَّة إنما يكون قـد تحقق سبب انقطاع زوجيتها ويكون الأمـر متعلقا بمضى فترة زمنية يستدل بها على بـراءة الرحـم من الحمل.

وليس هذا هـو حال من آلى منهـا زوجها. ونرى أنه لمـا كان حكم الطلاق المقـرر بالنص القرآنـى قد ورد لصالح الـزوجة التى آلى منهـا زوجها والتى يضر بهـا إيلاؤه منها فإنهـا تكون صاحبة الحق فى طلبه أو عدم طلبه على ما تراه محققا مصلحتها.

ولذلك فإنه يكون لها طلبه، فإن طلبته تعين على الزوج أن يطلقها، فإن لم يفعل كان على

الحاكم أن يطلقها عليه إذا طلبت ذلك، ويدعم هذا الرأى أن قوله تعالى «وإن عزموا الطلاق» وفيه «إن» الشرطية يفيد وجوب توافر قصد الطلاق أو التطليق وأن الطلاق يستوجب صدور التعبير عنه أو «الإنشاء» بما يعنى أن المرأة لا تطلق بمجرد مضى مدة الأربعة الأشهر.

وأخيرا فإنه يستفاد من قوله تعالى «وإن عزموا الطلاق» أن حكم الآية لا يتعلق بالإماء بملك اليمين لأنه لما كان لا يقع عليهن طلاق فإنه لا يكون فيهن إيلاء.

وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨)

أولا: الأسماء :

١ ـ المطلقات: اللفظ من ألفاظ العموم يدخل فيه جميع المطلقات بمعنى من تم حل عقدة نكاحهن بالطلاق. وليس هذا هو المراد به فى معنى الآية و إنما المراد به معناه الخاص فلا يدخل فى معنى «المطلقات» سوى ذوات الأقراء (الحيض) من الحرائر ـ دون الإماء ـ المدخول بهن، بيان ذلك أن غير المدخول بهن خرجن من عموم المعنى بقوله تعالى فيهن فى سورة الأحزاب «فما لكم عليهن من عدَّة تعتدونها»، كما خرجت منه الحامل بقوله تعالى «وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن»، كما أن عدة الصغيرة التى لم تحض، والكبيرة التى يئست من الحيض تكون بالشهور.

٢ ـ قروء: جمع قرء، يطلق على الحيض، ويطلق على الطهر أو الاستبراء الفاصل بين حيضتين. والمراد بالقرء ـ فى معنى الآية ـ هو الطهر أو الاستبراء .

٣ ـ الأرحام: فى قوله تعالى «فى أرحامهن» جمع رحم وهو مكان الجنين فى داخل جسد

المرأة، والمراد بـ«ما خلق الله فى أرحامهن» فى معنى الآية هو الحمل والحيض.

٤ ـ **البعول**: فى قوله تعالى «وبعولتهن أحق بردِّهن» جمع بعل وهو الزوج، والمراد بهم فى الآية أزواج المطلقات.

٥ ـ **الــــرد**: فى قوله تعـالى «أحق بردِّهن» المراد بـه ـ فى معنى الآية ـ المـراجعة بمعنى خاص هو مراجعة المـدخول بها المطلقة لمرَّة أو مرتين، والنص يقرر حق الـرجل فى مراجعة مطلقته التى لم تنقض عدَّتها و إن كرهت ذلك، فـإن لم يراجعها حتى انقضت عدَّتها صارت أجنبية منه فلا تحلّ له إلا بنكاح جديد .

٦ ـ **درجـــــة** : المراد بها ـ فى الآيـة ـ منزلة ـ باعتبار «الصعود»، ورد ذكـرها فى الآية تعبيرا عن المنزلة الرفيعة .

ثانيا : التفســـــير:

جاء نص الآية متعلقا بأحكام الطلاق فتحـدث عن المطلقات من الحرائر المدخول بهن ممَّن يحضن فذكر أنه عليهن أن يتربص بأنفسهـن ثلاثة قروء «والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء» فألزمهن أن ينتظرن وأن يمنعن أنفسهن عن الرجال يتزوجنهن ثلاث مرات يتطهرن فيهن من بعـد الحيض ـ على رأى ـ وثلاث حيضـات ـ على رأى آخر منه الحنفيـة ـ والمتفق عليه أن مبدأ احتساب العدَّة هو وقت الطلاق وأن الطـلاق لا يكون مشروعا وقوعه فى الحيض و إنما يجب أن يكون فى طهر. وقوله تعالى «ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن إن كن يؤمن بـالله واليوم الآخر»، هو نهى للمطلقات عن أن يكتمن حملهـن إن تبين لهن ذلك وعن أن يكتمن حيضهـن إذا حِضْن ، ومعنى النص أنه سبحـانه وتعالى قـد جعل المطلقات أمينات على أنفسهن فى بيان ذلك إذ أوكل إليهن أمـر بيانه. وفى النهى عن الكتمان نهى عن الإضرار بالزوج و إذهاب حقـه، فقد تقصد المرأة بكذبها فى نفى الحيـض ألا يراجعها الرجل حتى تنقضى العدة وينقطع حقـه فى مراجعتها، وقد تكتم الحامل حملهـا لتقطع حق الرجل فى مراجعتها. وقد تقول المطلقة إنها حاضت دون أن تكـون قد حاضت لتذهب بحق الرجل فى مراجعتهـا، وقد تقول إنها لم تحـض وتكون قد حاضت لتلـزمه نفقتها، فجاء قولـه تعالى

لبيـان وجوب ذكـرهن الحقيقـة فى شـأن الحيـض والحمل التـى اؤتمنَّ عليهـا، وأتبع ذلـك سبحانه وتعالى ببيـان أن قول الحقيقة فى هذا الشأن هو حال اللائى يـؤمنَّ بالله واليوم الآخر، والمراد به بيان أن ذكـر غير الحقيقة ـ فى هذا الشـأن ـ أو كتمانها ليس من الإيمـان فى شىء، وذلك لتهـويل أمـره فى نفـوس النساء حتـى لا يقدمـن عليه. وبعـد ذلك جـاء قولـه تعالـى «وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك إن أرادوا إصلاحا» بيانا لحق زوج المطلقة بردِّها إلى النكاح والرجوع إليهـا إذا ما كان الطلاق رجعيا ــ على ما تبينه الآية التـالية ـ وجاء تعبيره تعـالى عن المراجعة بتعبير «أحق بـردِّهن» يفيد أن استعمال هذا الحق هو أمر محبَّـب إليه تعالى، ومعنى «فى ذلك» هو فى زمان العدَّة. وقوله تعـالى «إن أرادوا إصلاحا»، يفيد أن استعمال هذا الحق يكون محببا إلى الله إذا ما كـان قصد الرجل من مراجعة مطلقته هو إصـلاح ما وقع بينهما من خلاف، وهو نهـى عن أن يكون قصد الـرجل من المراجعـة هو الإضرار بالمـرأة كأن يستهدف إطالة العدة عليها.

وبعد ذلـك جاء قـوله تعـالى «ولهـن مثل الـذى عليهن بـالمعروف» لبيـان المماثلـة فى الحقوق والواجبات بين الزوج وزوجته بإشارة رقيقـة تفيد أن المماثلة إنما تكون فى الوجوب، ولا تقتضى المماثلـة أن تكون فى جنس الفعل، فـإذا كان على المرأة أن تعنـى بشئون معيشة الرجل من طهو طعام وغسل ملابس مثلا، فإنه لا يكون على الرجل أن يفعل لها ذات الأفعال و إنما يكون عليه أن ينفق عليها وأن يحسن معاملتها. و إذا كان للرجال على النساء ألا يوطئن فرشهـم من يكرهون وألا يـأذنَّ فى بيوتهم مـن يكرهون، فـإن للنساء على الرجـال أن يحسنوا إليهن فى الإنفـاق وفى المعاملة. و إذا كان للرجـل على المرأة أن تتزين له، فـإن للمرأة على زوجها أن يتزين لها. وقيل إن من التساوى فى الحقـوق ألا يعجل الرجل إذا جامع امرأته حتى تقضى حاجتها. ثم يجىء قوله تعالى «وللرجـال عليهن درجة» لبيان فضل الرجولة وهو فضل فيه معنـى الأناة والتقارب كمـا يبين من التعبيـر عنه بـالعلو درجة، وهـذا الفضل مرجعـه قيام الرجل على شئون امرأته وحمايته لها و إنفاقه عليها بحكم الرجولة. واختتام الآية بقوله تعالى «والله عزيز حكيم» يفيد أنه تعالى لا يعجزه أن ينتقم ممن خـالف أحكامـــه، وأنه قد شــرع ما شرع وأنزل من الأحكام بواسع حكمته إعلامـا للناس بأن المصلحة هى فى اتباع أحكامه، وترغيبا لهم فى اتباعها وترهيبا لهم من عدم التمسك بها .

ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾

أولا: الأســـماء :

١ ـ **الطلاق**: المراد به في قوله تعالى «الطلاق مرتان» هو الطلاق الرجعي على ما يفهم من قوله تعالى «وبعولتهن أحق بردهن»، وهو بمعنى التطليق، وهو حق للرجل يجوز فيه التفويض.

٢ ـ **إمساك**: خلاف الإطلاق، والمراد به المراجعة وحُسْنُ المعاشرة .

٣ ـ **المعروف** : في قوله تعالى «فإمساك بمعروف» هو ما عرف بأنه الحق .

٤ ـ **تسريح** : هو إرسال الشيء، ومنه تسريح الشعر بمعنى تخليص بعضه من البعض، وقيل إنه من ألفاظ الطلاق أخذًا بمعناه في الآية .

٥ ـ **إحســان**: في قوله تعالى «أو تسريح بإحسان»، المراد به ــ في معنى الآية ــ عدم الظلم بأكل الحقوق أو بالتعدي في القول.

٦ ـ **حدود الله** : في قوله تعالى «إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله». المراد بها ــ في الآية ـ حقوق الزوجية وواجباتها، والمراد بها في قوله تعالى «تلك حدود الله» وقوله تعالى «ومن يتعد حدود الله» هو الأحكام التي أمر بها سبحانه وتعالى وحدَّها للناس.

ثانيا : التفســـــير:

بعد أن أوضح سبحـانه وتعالى فى الآيـة السابقة حق الرجل فـى مراجعة امرأته ــ فى فترة العدة ـ بعد طلاقها، فإنه جلّ شأنه أوضـح فى هذه الآية أن استعمال الرجل هذا الحق يكون لمرتين فقط .

فجاء قـوله تعالـى «الطلاق مـرتان» مبطلا مـا كان معروفـا من قبـل من عدم وجـود عدد للطلاق، فكان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها ما شاء إضرارا بها.

ومثبتا أن حق الرجـل فى مراجعة امرأته التـى طلّق يكون لدى تطليقها لمرة ولمـرتين فقط فيكون المراد بالطلاق فى معنى الآية هو الطلاق الرجعى.

والراجح أنه يجب فى احتساب عدد مرات الطـلاق أن يكون بالمرّات فلا يعدُّ الطلاق فى المرة الواحدة بلفظ يفيد التعدد «مثل طلقتك اثنتين أو ثلاثا» إلا طلقة واحدة.

وجاء قـوله تعـالى «فإمسـاك بمعروف أو تسريـح بإحسـان» مفيدا أنه بعـد المراجعـة من الطلاق لثانى مرة لا يكون إلا أحد أمرين من الرجل.

أولهما : هو الإمساك بمعروف بمعنى الإحسان إلى المرأة فى معاشرتها من بعد المراجعة.

وثانيهما : هو «التسريح بإحسـان» وهو بتطليقها طلقة ثالثة على ما يستفاد مـن قوله تعالى «فإن طلقها فلا تحلُّ له من بعدُ حتى تنكح زوجا غيره».

وفـى رأى البعض أن معنـى قولـه تعالـى «الطلاق مـرتان، فـإمساك بمعـروف أو تسريـح بإحسـان» أن الطلاق يكون لمـرة ولمرتين فقط، وبعـد الطلاق للمرة الثـانية يكون للـرجل أن يراجع ويحسن المعاشرة، أو لا يراجع ويتركها تبين.

فيكون هذا هـو «التسريح بإحسـان»، ولما كان هذا الرأى لا ينفـى حق الرجل فـى مراجعة امرأته بعد تطليقهـا للمرة الثانية فإنه يكون المراد بـالتسريح بإحسان ـ فى رأينـا ـ هو التطليق للمرة الثـالثة، لأن تـرك المرأة حتى تبيـن دون مراجعـة يتصور أن يحدث فـى الطلاق ولـو لم يتعدد، أى فى الطلاق لأول مرة، فلا يكون الحكم خاصا بالطلاق للمرة الثانية .

وبعد أن أخبر سبحـانه وتعالى عن أحوال الطـلاق فإنه تعالى أورد بلطفه حكمـا يُعلم منه أنه إذا وقع الطلاق لاستحالة المعاشرة فإنه يجب ألا يكون سببا للإضرار أو لتعمده فجاء قوله تعالى «ولا يحلُّ لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله»، وفيه جاء النهى موجها إلى الرجال بمعنى أنه لا يحل لكم أن تأخذوا مقابلا للطلاق شيئا مما سبق لكم أن أعطيتموهن مـن الهدايا ومن الصـداق والجهاز، وجاء التعبير عـن المأخوذ بكونـه «شيئا» للتدليل علـى أن الحقير والصغير منه منهيٌّ عن أخـذه، ومفاد ذلك من باب أولـى عدم إجازة أخذ شيء من مال المرأة .

والجمهور علـى أن هذا الحكـم هو الأصل مـا لـم يكـن النشوز وفساد العشـرة من جـانب المرأة فيجوز الأخذ، وبعـد أن بيَّن سبحانه وتعالى هذه القـاعدة العامة فإنه تعـالى شأنه أورد استثناء عليها بقـوله تعالى «إلا أن يخافا ألا يقيمـا حدود الله» والضمير فى «يخافـا» عائد على الزوجيـن، ومعنى القول إنـه إذا خاف الزوجـان أو اعتقدا أو علما أو اعتقـد كل منهما أنـه لن يستطيع القيام بحقوق النكاح لأمر ما كان يكون كارها الآخر، فإنه لا يكون على المرأة حرج أن تفتدى ولا على الرجل فى أن يأخذ، وهذا هو «الخلع».

وبعد ذلك جـاء قوله تعالى «فإن خفتـم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهمـا فيما افتدت به» والخطاب فيـه موجه إلى الحكام و إلى المتـوسطين بين الرجل والمـرأة، ومعناه أنكم إذا خفتم أو استشعـرتم أنه لـن يكون من الـزوجين القيام بحقـوق الزوجية كـأن يتوقع مـن المرأة الاستخفاف بحقـوق زوجها وعدم إطـاعته فتقبلـوا ما يتفق عليـه وماتختلع بـه المرأة مفتـدية نفسها، ولـو زاد عما أعطاها الـزوج لأنه لا حرج عليها فـى إعطائه و إن كثر ولا على الـزوج فى أخذه.

ثم جاء قوله تعالى «تلك حدود الله فـلا تعتدوها» متعلقا بجميع ما أورد من أحكام متعلقة بالطلاق وعـدد مراته وما يترتب عليـه وناهيا عن مخالفتهـا، ثم أتبع ذلك بقوله تعـالى «ومن يتعدَّ حدود الله فأولئك هـم الظالمون» للمبالغة فى تهديد من يخالـف ما بُيِّن من الأحكام أو يتحايل عليها.

فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

التفســــير:

المراد بقوله تعالى «فإن طلقها» هو «إن طلق الزوج زوجته بعد المرتين طلقة ثالثة» فيكون القول متعلقا بقوله تعالى «الطلاق مرتان» وليس متعلقا بآية الخلع.

وفى رأى البعض أن قوله تعالى «فإن طلقها» متعلق بالخلع، وخلصوا من ذلك إلى أن المختلعة يلحقها الطلاق، بمعنى أنه إذا خالع الرجل امرأته ثم طلقها وهى فى العدَّة لحقها الطلاق.

والحكم الذى ورد به نص الآية أنه إذا طلقَّ الرجل امرأته الطلقة الثالثة فإنها لا تحلُّ له من بعد تطليقها إلا من بعد أن تتزوج زوجا غيره، فهذا هو معنى قوله تعالى «فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره» ويفيد قوله تعالى هذا عدة أحكام.

أولها أنه لا يشترط فى نكاح المطلقة ثلاثا من آخر وجود ولىٍّ، وأنها تملك تزويج نفسها على ما يبين من إسناد النكاح إليها بقوله تعالى «حتى تنكح» .

وثانيها هو وجوب أن يكون هناك زواج من آخر بعد الطلقة الثالثة لتحل للأول بعد طلاقها، فلو كانت المرأة أَمَةً ووطأها سيِّدُها بعد طلاقها لم تحلّ للأول بهذا الوطء، والثالث هو الخاص بمعنى الزواج الذى تحل به بعد طلاقها منه للزوج الأول، وفيه قال البعض إنه يكفى مجرد عقد الزواج ولو لم يحدث فيه وطء أو جماع، وإن أثم بذلك الزوج إن كان قصد بالعقد أن يُحلَّ المرأة للزوج السابق، والجمهور على أنه لا بد أن يكون مع العقد وطء بمعنى التقاء عضو الذكورة فى الرجل بفرج المرأة الالتقاء الذى يوجب الغسل والحدَّ ويفسد الصوم والحج ويحصِّن الزوجين ويوجب كمال الصداق، ورأى آخرون أنه يشترط الإنزال مع مغيب

حشفة عضو الذكورة فى الرجل فى مكان الإحلال فى فرج المرأة،، باعتبار أن ذلك هو معنى «ذوق العُسَيْلَة» فى حديث رسول الله ﷺ «إذا طلق الرجل امرأته ثلاثا لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره ويذوق كل منهما عسيلة صاحبه»؛ ولذلك قال أصحاب هذا الرأى أنه لو وطأ الزوج الثانى امرأته وهى نائمة أو مغمى عليها لم تحل بهذا - بعد طلاقها - لمطلقها السابق لأنها لا تكون قد ذاقت عسيلته.

ويبين من التعبير عن الزواج الثانى بأنه «نكاح» مع وصف الرجل بأنه زوج «حتى تنكح زوجا غيره» أن المراد بالنكاح هو الجماع. وعند مالك، أن النكاح بشرط التحليل فاسد، وعند آخرين أنه مكروه لأن المستفاد من قول رسول الله ﷺ «لعن الله المحلِّل والمحلَّل له» لا يدل على عدم صحة النكاح، لأن المنع عن العقد لا يدل على فساده.

ويجىء قوله تعالى «فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله» مفيدا تحليل رجوع الزوجين اللذين وقع بينهما الطلاق ثلاثا لبعضهما بالزواج بعد قضاء المرأة عدتها بعد طلاقها من الزوج الآخر الذى كان زواجها منه شرطا لتحليل رجوعها للزوج الأول.

ويجىء نصحه تعالى وإرشاده الزوجين أن يكون منهما الرجوع لبعضهما بالزواج إن وقر فى ظنهما أنهما يقيمان حقوق الزوجية التى حدَّها الله.

وفى ختام الآية يجىء قوله تعالى «وتلك حدود الله يبيِّنها لقوم يعلمون» إشارة إلى جميع ما أنزل من أحكام فى شأن الإيلاء والطلاق والخلع والمراجعة، وإلى أنه سبحانه وتعالى يبين هذه الأحكام فى الكتاب، ويفصلها رسوله ﷺ بسنَّته ليعلمها أصحاب العقول، وقد يكون المراد بتعبير «لقوم يعلمون» هو الحضُّ على العلم بالأحكام والعمل بها، وقد يكون بيان خروج غير المكلفين من عداد المخاطَبين، على أن يكون العمَل بالأحكام فى شأنهم لمن يتولون أمورهم.



﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **الأجل:** في قوله تعالى «فبلغن أجلهن» هـو مدة الشيء، والمراد به آخر فترة العدة، أو ما قبله من الزمن قريبا منه.

٢ ـ **المعروف** : في قوله تعالى «فأمسكوهن بمعـروف أو سرحوهن بمعروف» المراد به ـ في الآية ـ ما هو حق للزوجة على زوجها، وتجنب الزوج الإضرار بها.

٣ ـ **الضـرار**: في قوله تعالى «ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا» المراد به المضارة.

٤ ـ **الهــزو**: في قـوله تعالـى «ولا تتخذوا آيات الله هـزوا» هو السخـرية، وهو ضـد الجد، والمراد به ـ في معنى الآية ـ غير المكترث به .

٥ ـ **نعمة الله** : المراد بها ـ في معنى الآية ـ جميع مـا أنزل الله على المؤمنين بدلالة عطف «وما أنـزل الله عليكم مـن الكتاب والحكمة» عليهـا، فتكون بمعنى عـام. وقد يكـون المعنى الخاص للنعمة فيكون المراد هو الإسلام .

٦ ـ **الكتـــاب**: المراد به القرآن العظيم .

٧ ـ **الحكمـــة** : قد يكـون المراد بها ـــ في الآية ـــ هو القـرآن العظيـم، وقد يكون ســـنة رسول الله ﷺ .

ثانيا : التفســــير:

الخطاب فى الآية موجه إلى الرجال تضمن أمرا لهم بمعنى أنه أمر لمن يطلق منهم امرأته وأشرفت فترة عدَّتها على الانتهاء ــ فيكون معنى «فبلغن أجلهن» هو قرب انتهاء فترة العدَّة وليس تمامها لأنه ليس بعد تمامها مراجعة بإرادة الرجل وحده ـ أمرٌله بأن يمسكها بمعروف أو يسرحها بمعروف، والإمساك بمعروف مجاز عن المراجعة لأن سبب الإمساك هو المراجعة، والتوجيه فيه أن يكون بمعروف بمعنى أن يكون يقصد إيفاء المرأة حقوقها ودون استهداف الإضرار بها، والذى قد يكون بمراجعتها ثم تطليقها، ثم مراجعتها ثم تطليقها لإطالة فترة عدتها. والتسريح بمعروف معناه إطلاق النساء أو تطليقهن، فيكون التسريح مجازا عن الترك وعدم منع النساء من التزوج بآخر، وبعد ذكره تعالى هذا الأمر بقوله تعالى «فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف» فإنه تعالى كرر النهى عن الإمساك بالنساء بغير المعروف تأكيدا له وتفصيلا بقوله تعالى «ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا» فكأنه تعالى قال ولا تراجعوهن إضرارابهن، ويجيء قوله تعالى «لتعتدوا» لبيان أن مراجعة النساء للإضرار بهن بإطالة فترة العدَّة عليهن هو اعتداء وهو ظلم لأن الاعتداء ظلم. ويكون الأمر كذلك أيضا لو استهدف الرجل بالمراجعة إجبار المرأة على الاختلاع، والبيِّن من وصفه تعالى هذا الفعل بالاعتداء أنه أريد به النهى عنه والزجر، ثم أوضح سبحانه وتعالى أن من يفعل ذلك يظلم نفسه فى مقام أول مع ظلمه المرأة «ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه» وظلمه نفسه يكون بافتقاده ثواب حسن المعاشرة وركوبه إثم عصيان أمره تعالى .

وبعد ذكره تعالى هذه الأحكام فإنه أوضح وجوب التزامها وعدم الخروج عليها بنهى وأمر، فجاء النهى بقوله تعالى «ولا تتخذوا آيات الله هزوا» بمعنى «لا تعرضوا عن هذه الأحكام التى أنزلها الله وتتهاونوا فى التمسك بها والمحافظة عليها، ويدخل فى المعنى أن يكون منهيا عن اتخاذ الطلاق هزلا ومزاحا ولهوا كأن يقول الرجل لامرأته أنت طالق ثم يقول كنت أمزح. لقوله ﷺ «ثلاث جدُّهن جد وهزلهن جد: الزواج والطلاق والعتق». أما الأمر فقد اشتمل على وجوب شكر الله على ما أنعم به على المؤمنين «واذكروا نعمة الله عليكم» والنعمة المقصودة قد تكون النعم بصفة عامة وردت بصيغة المفرد لأن كل نعمة هى فى ذاتها جملة نعم، وقد

تكون هى نعمة الإسلام، ثم عطف عليها ما أنـزل الله من القرآن العظيم ومن سنة نبيه ﷺ «وما أنزل عليكـم من الكتاب والحكمة»، وبيَّـن سبحانه وتعـالى أن حال الكتاب والحكمـة أنها عظه أو موعظة للمؤمنين. ثم أتبع ذلك بأمره تعالى باتقائه أو باتقاء عذابه وهو ما يكون بالقيام بحقوقه و إطـاعة أوامره، وبتحذيره مـن مخالفته «واعلموا أن الله بكل شـىء عليم» إذ يتضمن القول إشارة إلى أنه مؤاخذ الناس بما يفعلون بحكم كونه عليما بكل شىء.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾

أولا: الأســـــماء :

١ ـ **أزكى:** الزكى هو ذو البركة، وأزكى أفعل تفضيل بمعنى أعظم بركة .

٢ ـ **أطهــر:** بمعنى أكثر طهرا أو تطهرا من دنس الآثـام .

ثانيا : التفســــــير:

قيل إن الخطـاب فى الآية مـوجه إلى الأزواج الذيـن كانوا يمنعـون مطلقاتهم بعـد انتهاء عدَّتهن من الـزواج من آخرين ويرون فى هذا مهانـة لهم فكانوا يرهبون مطلقاتهـم أو من يريد الزواج منهن لمنع الزواج أو ينسبون إلى مطلقاتهم من العيوب ما يجعل الرجال يحجمون عن الزواج بهن. وقيـل إن الخطاب موجه إلى الأولياء ينهـاهم عن منعهم النساء مـن الزواج ممن يرون الـزواج منه، قـولا منهم إن الآيـة نزلـت لما منع معقـل بن يسـار أخته مـن زواجها ثـانية بمطلقها رغم ميلها إليه حين خطبها مع جملـة الخطاب. ولا يمنع أن يكون سبب نزول الآيـة

ما كان من معقل بن يسار عن أن يكون الخطاب موجها إلى جميع النساء فيكون المعنى هو النهى عن منع المطلقات إذا ما أتممن عدة الطلاق من الزواج، والمراد بـ «أزواجهن» فى قوله تعالى «أن ينكحن أزواجهن» هو من تريد المرأة الزواج منه وليس مطلِّقها. وقوله تعالى «إذا تراضوا بينهم بالمعروف» مفاده «وليكن ذلك متى استحكم الرضاء بين النساء وبين الرجال على الزواج وفقا لما هو مشروع ومتعارف عليه غير مستنكر شرعا ولا مروءة كأن يكون الرجل غير كفءٍ للمرأة. ثم يجىء قوله تعالى «ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر» مشيرا إلى أن ما فصل فيه قوله تعالى من الأمر هو عظة يعمل بها من يُكبر الله تعالى ويعظِّمه فيكون منه الامتثال والطاعة ليقينه أنه ملاقٍ جزاء فعله من طاعة أو عصيان يوم القيامة - والقول بهذا المعنى يحض جموع المؤمنين على الامتثال بالحكم الذى ورد به النص.

وتختتم الآية بقوله تعالى «ذلكم أزكى لكم وأطهر، والله يعلم وأنتم لا تعلمون» إعلاما بأن جميع هذه الأحكام - المشار إليها بلفظ ذلكم - هى الأكثر نفعا وبركة للناس والمطهرة لهم من دنس الآثام، وحضًّا على التمسك بها لأن منزلها هو العالم بما فيه مصالح العباد حين لا يعلم الناس إلا محدودين بحدود إمكاناتهم وعقولهم وهى محدودة، وبما تهوى أنفسهم وقد لا يكون فيه خيرهم .

وقد يكون جديرا بالذكر أن قوله تعالى فى الآية «ولا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن» ليس فيه ما يدل على أنه ليس للمرأة أن تزوج نفسها كما قال البعض مدلِّلين على صحة رأيهم بأنه مادام للأولياء العضل فإنه يكون لهم وحدهم تزويج المرأة. فالبيِّن من عبارة الآية أنها لم تتضمن تصريحا ولا تضمينا ما يفيد هذا المعنى، وليس معنى نهى الأولياء عن منع المرأة أن تتزوج ممن تختار أنها ليس لها حق تزويج نفسها، فليس معنى نهى الأولياء عن العضل أن صحة النكاح تتوقف على رضاهم، ولكن علة النهى هو واقع ما قد يحدث من المرأة من التحرز عن تزويج نفسها مخافة مقاطعة الأهل لها أو بطشهن بها مراعاة للعادات فجاء نهى الأولياء عن منع المرأة من التزوج ممن ارتضته زوجا لها .

■■■■■

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾

أولا: الأسـماء :

١ ـ الوالدات: جمع والدة، وهى أم الولد التى ولدته. وقيل إن المراد بهن ـ فى الآية ـ المطلقات، لورود الآية عقب آيات الطلاق متممة لأحكامه. وقيل إن المراد بهن عموم الأمهات من مطلقات وغير مطلقات .

٢ ـ الحول: فى قوله تعالى «حولين كاملين»، هو العام، فيكون المعنى أن تمام الرضاعة يكون لعامين قمريين.

٣ ـ الرضاعة : مصدر الفعل «رضِع ـ يرضَع» رضاعة ورضاعا، المراد بها، ـ فى الآية ـ تغذى الطفل بلبن أمه يمتصه من ثديها بحكم الغريزة. والرضاعة هى اللؤم .

٤ ـ المولود له: هو الوالد فى الأصل، ويدخل فى معناه ـ فى الآية ـ مالك الأمة الأم لأن المولود يكون له.

٥ ـ الوارث: هو من يرث فى الشخص إذا مات أيًا كان سبب الإرث. والمراد به ـ فى

الآية ـ وارث الولد، وخصَّه أبو حنيفة بالوارث ذى الرحم المحرم من الولد، وقال الشافعى إنه الصبى نفسه لأنه يرث الأب فهو وارثه.

٦ ـ **الفصال:** فى قوله تعالى «فإن أرادا فصالا»، المراد به ـ فى الآية ـ فطام الولد قبل عامين.

٧ ـ **التشاور:** فى قوله تعالى «عن تراض منهما وتشاور» هو المشاورة والمشورة بمعنى تبادل الآراء للخروج برأى يُعتقد أنه الأصلح، واللفظ مأخوذ من «الشور» وهو اجتناء العسل.

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى «والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين» هو أمر موجه من الله تعالى إلى المؤمنين ورد فى صورة الإخبار عن شىء، والمأمور به هو من المندوب فهو ليس واجبا. فيثاب فاعله ولا يؤثم تاركه، ومعناه أن الأفضل هو أن ترضع الوالدات أولادهن لمدة عامين كاملين، وقوله تعالى «لمن أراد أن يتم الرضاعة» قُصد به الوالدان، الأب لأنه المكلف بنفقة الإرضاع، والأم لأنه واجب عليها. ويجىء قوله تعالى «وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف» بيانا للمكلف بنفقة الإرضاع وهو الوالد فى الأصل ويلحق به مالك الأمة الأم لأن المولود يكون له مملوكا. وقد اشتمل القول على التعريف بالنفقة أو بأوجهها بأنها رزق المرضعات وكسوتهن دون إسراف ولا تقتير على ما يستفاد من لفظ «بالمعروف»، ثم جاء تفسير معنى «المعروف» بأنه ما فى مقدور المنفق بذكر مبدأ أن التكليف لا يكون إلا بمقدور «لا تكلف نفسٌ إلا وسعها».

وقد أتبع سبحانه وتعالى أمره السابق الوارد فى صورة الخبر بأمر آخر جاء مفصِّلا معنى أمره الأول بقوله تعالى «لا تضارَّ والدة بولدها ولا مولود له بولده»، والفعل الطلبى فيه نهى للوالدة عن أن تعمل عملا تضرُّ به زوجها أو تقصد ذلك، ونهى للوالد عن أن يعمل مثل ذلك أو يقصد به مثله، فيدخل فى معنى النهى عنه أن تطلب الوالدة من الأب ما ليس عدلا من النفقة ومن الكسوة وأن تشغل قلبه على ولده بالتفريط فى أمر رعايته والقيام على شئونه، كما

يدخـل فيه امتناع الأب عـن الإنفاق على رزق الوالـدة وكسوتها أو إمسـاك يده عن ذلـك مع القـدرة.

وبعد أن بيّن سبحانه وتعـالى أن واجب الإنفاق على الأم المرضعة يقع علـى عاتق الوالد أو المولود له فإنه تعالى أثبت أن هذا الـواجب يقع أيضا على وارث الولد، وذلك أخذا بمبدأ «الغُرم بالغُنم» .

ثم إنه تلـى ذلك بيان أن الأحكام السابقـة المتعلقة بمدة الإرضاع هى مـن قبيل المندوب الذى يجـوز العمل بغيره وذلـك بقوله تعالـى «فإن أرادا فصالا عـن تراض منهما وتشـاور فلا جناح عليهما» والحديث فى النص عن الوالدين ومعناه أنه يكون لهما إذا أرادا أن يُفطم الولد قبل تمام العامين وتراضيا على ذلك بعد أن تحدَّثا معا فى هذا الأمر فانتهى رأيهما إلى فطامه قبل الحـولين فإنه لا يكـون عليهما إثم فى ذلـك. ويلاحظ فـى شأن النص أنه تطلـب وجود الرضا لدى الزوجين وذلك حتى لا يكون الفطـام فعل أحدهما بناء على مصلحته الذاتية دون مصلحة الصغير، كأن ترى الأم فطـام الولد محافظة على جمالها برأيها، أو يـرى الوالد فطامه تخلصا مـن نفقة الإرضاع، فيكـون فى تراضيهمـا حفاظ علـى مصلحة الصغير، كمـا تَطَلَّب النص أن يكـون هذا التراضـى ثمرة تشاور بين الـزوجين، وذلك حـرصا على أن يكـون الرأى المنتهَى إليه وليد نقاش وتمحيص بما يكون معه أقرب إلى الصحة.

وبعد الانتهـاء من بيان مـا يكون من الإرضـاع تقوم بـه الأم جاء ذكر مـا يتعلق باستـرضاع المراضع الأولاد بقوله تعالى «وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلَّمتم ما آتيتم بـالمعروف»، والخطاب فى النـص موجه لـلآباء حسب الظـاهر من الآية؛ ولـذلك رأى الشافعية أن للـزوج الحق فى أن يسترضع مرضعـة لإرضاع ابنه وأن يمنع الزوجة مـن إرضاعه، ورأى آخرون أنه ليس لـه وحده هذا لقوله تعالـى «والوالدات يرضعن أولادهن» فتكـون إباحة استرضـاع المراضع بـاتفاق الـوالدين. وقـوله تعالـى «إذا سلمتم مـا آتيتم بالمعـروف» جاء للحض على الوفاء للمـرضع بما التزم به المكلف بنفقة الرضاعة يـؤديه على النحو المتعارف عليه والمقبول شرعا وذلك حفاظا على مصلحة الطفل كيلا تقصِّر المرضع فى إرضاعه.

وتختتم الآية بقوله تعالى «واتقوا الله، واعلموا أن الله بما تعملون بصير» أمرا بوجوب اتقاء عذاب الله وهو ما يكون بالالتزام بما شرع للناس من أحكام، وتحذيرا للناس من عصيانه ولو فى الخفاء لكونه مبصرا أحوالهم وما يكون منهم من أفعال وما تنطوى عليه قلوبهم من القصد والنيَّات .

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٢٣٤﴾

أولا: الأسماء :

١ ـ الذين يتوفون: هم الذين تقبض أرواحهم فيستوفون آجالهم، والمراد بهم المتوفون من الرجال.

٢ ـ الأزواج : فى قوله تعالى «ويذرون أزواجا» المراد بالأزواج ـ فى معنى الآية ـ النساء اللائى توفى عنهن أزواجهن .

ثانيا : التفسير:

الخطاب فى الآية موجه إلى جميع الناس متضمنا حكما فى صيغة الأمر مفاده أنه إذا مات الزوج وترك امرأة فإن عدة المرأة تكون أربعة أشهر وعشرة أيام ـ على رأى ـ وأربعة أشهر وعشر ليال ـ على رأى آخر ـ والراجح إن علة تحديد العدة بهذه الفترة هى مما يختص الله تعالى بعلمه وبمن يُعلمه الله تعالى بها من خلقه، وإن قال البعض أن تحرك الجنين يكون لثلاثة أشهر إن كان ذكرا ولأربعة أشهر إن كان أنثى وأضيف إليه عشرة أيام للاستيثاق. والواضح من النص أن أمر الاستيثاق من خلو الرحم من الجنين متروك للأرملة التى توفى عنها زوجها «يتربَّصْنَ بأنفسهن» سواء أكانت مسلمة أم كانت كتابية، وهذا الحكم العام تخصَّص

بقوله تعالـى «وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن» مما مفاده أن عـدة الأرملة الحامل تكون بوضــع الحمل. وفى شأن مبدأ حساب مدة عدة الأرملة هو موت الزوج أو العلم بموته، وقيل إنــه تاريخ انقطاعه عن المرأة متى ثبـت ـ من بعد تحقق موته إن كان فى دار حــرب ـ فإذا كـــان الـزوج مفقودا وتحقق العلـم بموته بعـد انقضاء فتـرة العدة محسوبـة من تـاريخ المــوت قضى بانقضاء عدتها. وعموم لفظ الآية يفيد أن الأرملة تعتد بهذه المدة ولو لم يكن مدخولا بها.

وبعد ذلك يجىء خطابه تعالى موجها إلـى عموم المسلمين بأنه بتمام عدَّة المتوفى عنها زوجها فـإنه يحلُّ لهـا ما كـان محــرَّما عليهـا فى فترة العـدة وفقا لمـا يعرفه الشـرع ولا ينكره العـرف، وهو معنـى قوله تعالى «فإذا بلغـن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلـن فى أنفسهن بالمعروف».

وتختتم الآية بما يفيد النهـى عن العمل بما يخالف ما أمر به سبحـانه وتعالى، والخطاب موجه إلى عموم المسلمين شاملا الأولياء والأزواج والذكور والإناث، وهذا النهى جاء مستفادا من صيغة تهديد المخالفين بمجازاتهم بإثـم مخالفتهم التى يعلمها بحكم كونه عليما خبيرا بالأفعـال وبما انطـوت عليه القلـوب، على ما يستفـاد من قـوله تعـالى «والله بمــا تعملـون خبير».

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾

أولا: الأســـــماء :

١ ـ **الخطبـــة:** فى قوله تعالــى «من خطبة النساء» هى فعل الرجل وقـوله يبدى به رغبته فى الزواج بما يستدعى عقد النكاح.

٢ ـ **الكتـــاب:** فى قوله تعالى «حتى يبلغ الكتاب أجلـه» المراد به ـ فى الآية ـ حدُّ العدَّة سُمِّى كتابا لأن كتاب الله حدَّه وفرضه.

ثانيا : التفســـــير:

الخطاب فى الآيـة موجه إلى جميع الناس والمُطـالَب بحكم نص الآية هو الـرجل الذى انتوى أن يتـزوج معتدة، فيكـون حكم الآية متعلـق بالـرجال فى شئـون النساء ولـذلك أورده الحكيم الخبير بعـد ذكر أحكام النساء المعتدات. ومعنـى قوله تعالى «ولا جنـاح عليكم فيما عرضتم بـه من خطبة النساء» أنه لا وزر عليكم فـى تعريضكم بخطبة النساء الأرامـل فى فترة العدَّة، ومعنى التعـريض هو الإشارة إلـى الرغبة فى الـزواج تلميحا لا تصريحا فيكـون بإفهام المعنـى المقصود بكـلام يحتمل معنـاه ويحتمل معنـى آخـر أو بفعل تفهـم منه الـرغبة فـى الخطبة ويقبل أن يكـون مقصوده شيئا آخر. فمن الكـلام المتضمن تعريضا بـالخطبة مثلا أن يقول الرجل للمرأة إنى عازم على الـزواج، أو إنك لجميلة، أو إنك لصالحة، ومنه أن يتحدث عن نفسه بما يرغبهـا فيه، ومن الفعل المتضـمن تعريضا بالخطبة أن يهـديها هدية أو أن يبذل جهده فـى رعايتها وقضاء حـاجاتها. وقولـه تعالى «أو أكننتـم فى أنفسكم» معناه أنـه وليس عليكم وزر أيضا إذا أسـررتم فى أنفسكم رغبتكم فـى الزواج من المعتدة من وفـاة الزوج بعد انقضاء عدتها.

وبعد ذلك يجـىء قوله تعالـى «علم الله أنكم ستذكرونهـن ولكن لا تواعدوهـن سرًّا» وفيه بيان لسبب رفعه تعالى الوزر عن التعريض بخطبة المعتدة وعن ستر الرغبة فى الزواج منها بعد انقضاء عدتها، وهو علمـه تعالى بالنفوس وأنه سيكون من الرجال التعـريض بالخطبة أو ستر الرغبة فى النفس، وفيـه أيضا نهى عن التواعد مع المعتدات سرًّا، وقيـل إن معنى التواعد سرًّا هو أن يأخذ الرجل على المعتدَّة عهدا أن تتزوجه بعـد انتهاء عدَّتها خفية وفى سرِّية، وقيل إنه

المواعـدة على الزنـا فى العدَّة ثـم الزواج بعدها، وقيـل إنه الحديـث مع المعتدة فـى شئون الجماع تـرغيبا لها فـى النكاح؛ ولـذلك جاء بعـد هذا النهى قـوله تعـالى «إلا أن تقولـوا قولا معروفـا» جاء استثنـاء من النهـى عن التـواعد سـرا مجيزا أن يكـون الحديـث فى التعـريض بالخطبة وبالقول الذى لا يستحى منه حال الجهر به مثل ذكر حُسْنِ المعاشرة إذا ما تم الزواج والثبات على الحب.

وأتبع سبحانه وتعالى النهى عن التواعد سرا بمعناه المذكور وما استثنى منه بنهى آخر جاء به قوله تعالى «ولا تعزموا عقدة النكاح حتـى يبلغ الكتاب أجله» بمعنى «لا تعزموا على عقدة النكاح خلال فترة العدة حتى تنتهى» وقيل إن المراد به النهى عن عقد النكاح فى فترة العدَّة. وتختتم الآية بقوله تعالى «واعلموا أن الله يعلـم ما فى أنفسكم فاحذروه، واعلموا أن الله غفور حليم» مفيدا أنه سبحانـه وتعالى يعلم ما فى النفوس من العزم على مـا لا يجوز وأنه محاسب به، ولـذلك جاء قـوله تعـالى «فاحـذروه» حتى يكون اجتنـاب العزم علـى ما نهى عنـه بداءة وإزالته من النفوس إن كـان قد وقع، وكما جاء قولـه هذا تحذيرا وتخويفا مـن مقارفة المنهى عنه، فإنه تعالى شـرح قلوب الطائعين بذكره أنه تعالى يغفر لمن يقلـع عما عزم عليه مخالفا أمره أو عن فعله الذى فعل من خوف الله، وأنه لا يعجـل للناس عذابهم لتكون لهم فسحة من الوقت يثوبون فيها إلى رشدهم فيتوبوا عما فعلوا ويقلعوا .

لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَـٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾

أولا: الأســـماء :

١ ـ الفريضة: فى قوله تعالى «أو تفرضوا لهن فريضـة» هى ما تمَّ فرضه أو إيجابه، فتكون مفعولا به، جاءت التاء فى اللفظ لنقله من الوصفية إلى الإسمية، أى ليكون اسما. والمراد بها

ـفى الآية ـ هو المهر.

٢ ـ الموسع: هو من وسع الله عليه حاله بمعنى الغنى .

٣ ـ المقتر : هو قليل المال، أو الفقير.

ثانيا : التفسير:

الآية من آيات الأحكام الخاصة بأحوال الرجال مع المطلقات بدأت ببيان أنه ليس ثمة وزر فى طلاق المرأة قبل الدخول بها أو قبل المساس بها، ويقبل المعنى أيضا أن يكون «ليس عليكم تبعة المهر إذا طلقتم قبل الدخول بهن أو المساس إذا كنتم لم تفرضوا مهرا»، فقوله تعالى «لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة» معناه أنه لا وزر عليكم إذا طلقتم النساء قبل المساس بهن، ويقبل المعنى أن يكون أنه ليس عليكم مهر النساء إن طلقتموهن قبل المساس بهن، وبعد ذلك يجىء قوله تعالى «أو تفرضوا لهن فريضة» مبينا أنه يستثنى من حكم عدم التزام المطلق قبل الدخول بالمهر حالة من فُرض لها مهر، فيكون معنى «أو تفرضوا لهن فريضة» هو «إلا أن تفرضوا لهن فريضة». فيكون الحكم متعلقا بحال من طلقت قبل الدخول ودون أن يكون قد فرض لها مهر، وحكمها أنه لا يلتزم المطلق بأداء مهر لها .

وبعد ذلك يجىء قوله تعالى «ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره» والضمير المتصل فى لفظ «ومتعوهن» يعود على المطلقات قبل الدخول ودون فرض المهر، والإمتاع أو التمتيع المأمور به هو شىء يعطيه المطلق للمرأة لجبر ما أصابها من أثر الطلاق. وفى شىء ما يُعطى متعةً فإنه لم يحدَّد وجاء بيانه بأنه يتعلق بما يطيقه المطلق ويليق به بمعنى أنه يتناسب مع درجة يسار الرجل أو عسره «على الموسع قدره وعلى المقتر قدره». ثم يبين النص القرآنى ماهية ما يؤديه المطلق لمطلقته فى هذه الحالة فيصفه بأنه متاع بالمعروف «متاعا بالمعروف»، كما يبيِّن حاله «حقا على المحسنين» ووصفه بأنه متاع بالمعروف يفيد أنه نوع من تمتيع المطلقة تعويضا لها عما نالها من ضرر الطلاق على ما جرى العرف الحَسنُ به، وبيان أنه حق على المحسنين أفاد وجوبه فى شأن المطلقة قبل الدخول غير المفروض لها

مهر، وفى ذكر بيان الملتزم بالحق وهو المحسن «حقا على المحسنين» ما رأى فيه البعض أنه يكون مندوبا لا واجبا أداء المتعة، ورأى فيه آخرون أنه يكون مندوبا لغير المطلقة قبل الدخول غير المفروض لها مهر، وواجبا لها.

وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

أولا: الأســـماء :

١ ـ **النصف** : فى قوله تعالى «**فنصف ما فرضتم**» هو الجزء من اثنين، والمراد به ــ فى الآيــة ـ نصف المهر.

٢ ـ **الذى بيده عقدة النكاح** : المراد به الزوج نفسه الذى طلق، وقيل : إنه ولى أمر الصغيرة والمحجور عليها.

ثانيا : التفســــير :

حكم الآية ينظم حال تطليق الرجل المرأة قبل الدخول بها فى حال فرض مهر لها. «فإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة» والحكم الذى ورد به النص أنه يكون للمرأة نصف المهر ويكون للرجل النصف الآخر.

ثم جاء قوله تعالى «إلا أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح» ورد فى صيغة الاستثناء وإن كان المراد به إيضاح أن الحكم الذى أورده النص يتعلق بمصلحة الزوجين وحقوقهما

وأنه لذلك أجيز لكل منهما أن يتنازل عن حقه فى نصف المهر ويتركه للآخر، فيكون معنى «إلا أن يعفون» هو «ما لم تتنازل المرأة عن نصف المهر للزوج المطلق فيسقط حقها فيه بالتنازل» ومعنى «أو يعفوا الذى بيده عقدة النكاح» هو أو يتنازل الزوج عن نصف المهر فيسقط حقه فيه بالتنازل. وقيل إن المراد بالذى بيده عقدة النكاح هو ولى المرأة، وهذا ما لا نراه لأنه ليس له أن يتصرف فى حقوقها المالية ومنه الحق فى نصف المهر.

ثم جاء الحض على العفو بمعنى التنازل عن الحق فى نصف المهر وإسقاطه بذلك، والخطاب موجه إلى الزوجين «وأن تعفوا أقرب للتقوى» وجاء بيان علة ما حض على فعله من التنازل فى صيغة النهى عن نسيان الفضل بين الزوجين «ولا تنسوا الفضل بينكم». بمعنى «لا تجعلوا بعضكم يتفضل على الآخر» وفى القول إفادة أن تنازل الزوج عن نصف المهر للآخر هو فضل منه و إحسان إليه وفيه حث على الحرص على فعل ذلك. وتختتم الآية بقوله تعالى «إن الله بما تعملون بصير» مفيدا علمه بما يفعله المخاطبون بالنص وأنه تعالى يجازى به حسنا للمحسن وحرمانا لغير المحسن.

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾

أولا: الأسماء :

١ ـ الصلاة الوسطى : اختلف فى تعيينها، فقيل إنها صلاة الظهر تؤدى فى وسط النهار، وقيل إنها صلاة العصر تؤدى بين صلاتى النهار وصلاتى الليل، وقيل إنها المغرب لأنها وسط بين الطول والقصر، وقيل إنها صلاة العشاء لأنها بين صلاتين ليس فيهما قصر، وقيل إنها الفجر لأنها بين صلاتى الليل والنهار، ولأنها لا تجمع مع غيرها. وقيل إنها صلاة الوتر وقيل إنها الضحى وقيل صلاة الليل وقيل صلاة الجمعة وقيل صلاة الجماعة.

٢ ـ قانتون : فى قوله تعالى «وقوموا لله قانتين» جمع قانت وهو المطيع، والخاشع.

ثانيا : التفســـــير :

الخطاب فـى الآية مـوجه إلـى جميع المـؤمنين، وهـو أمر بفعـل هو المحـافظة، وهـو ما يستوجب بدء الفعل لمـن لـم يبدأ فيه ثم المحافظة عليه والمداومـة عليه بما يفيد تكرار أدائه فى مواعيده إن كان من أفعال المواعيد، وهذا شـأن الصلاة المأمور بفعله وبالمحافظة عليه، وجاء التعبير مفيدا أن التكليف هو بـواجب المحافظة علـى الصلاة ذاتها وليس علـى أدائها فقط لبيان أهميـة أن يقوم كل مؤمن بـواجب المحافظة عليها بـإقامتها وبالدعـوة إليها والأمر بأدائها. ثـم جاء تكرار الأمر بوجوب أداء الصـلاة الوسطى والمداومة على ذلـك والقيام عليه رغم دخولها فى عمـوم الصلوات لأفضلية خاصة بها لا يعلمها إلا فارضهـا وجاء إخفاؤها بين الصلوات جميعهـا ليكون الحـرص على القيام علـى الصلوات جميعهـا والمحافظـة عليها. وبعد أن أمـر سبحانه وتعالـى بالمداومة علـى إقام الصلاة فإنـه أمر المصلِّين بالقنـوت حال قيامهم فـى الصلاة فيكون منهم الخشوع وغـض البصر وخفض الجناح وعـدم الانشغال عن الصلاة بشيء .

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾

أولا: الأســـماء :

١ ـ **الرجـــال** : فى قـوله تعـالى «فـإن خفتم فـرجالا أو ركبـانا» جمـع راجل ورجـل وهو الماشى على قدميه، أو الكائن على رجليه واقفا أو ماشيا .

٢ ـ **الركبان**: هم الراكبون. والمراد بقوله تعالى «أو ركبانا» هو حال كونكم راكبين.

ثانيا : التفســـير:

بعد ذكـره تعالى أمـره بالقنـوت فى الصلاة والخشـوع مما مفاده تعلُّـق الأمر بحـال الأمن والاطمئنان، فإنه تعالى أورد فى هذه الآية ما يدل على أن الصلاة لا تسقط عن العبد فى حال

الخوف وعدم الاطمئنان، وعلى إجازة أن تكون الصلاة مع المشى أو مع الركوب دون التزام القبلة، ومع إجازة توجه بصره ناحية ما يخشى أن يكون قدوم العدو أو الخطر من جهته. وقيل إن الخوف الذى يجيز الصلاة على هذا النحو هو الخوف من العدو حال عدم تحصُّن المسلمين بحصن، وقيل إنه الخوف الذى يهدد الحياة ولو لم يكن من عدو مثل الخوف من الوحوش، كذلك اختلف فيما إذا كان على من صلى هذه الصلاة حال خوفه أن يعيد صلاته إذا ما ذهب عنه الخوف واطمأنت نفسه أم أنه ليس عليه الإعادة، فقال مالك إنه إذا كان الخوف من غير العدو استحبت الإعادة فى الوقت إذا اطمأنت النفس، وقال أبو حنيفة إذا ذهب العدو وجبت الإعادة، وقال آخرون ليس عليهم الإعادة.

وبعد أن أباح سبحانه وتعالى الصلاة على هذا النحو للخائف جاء قوله تعالى «فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون» متضمنا أمرا مشروطا بحدوث الأمن والاطمئنان وذهاب الخوف ـ على ما يبين من النص ـ أو بالعودة من السفر إلى دار الإقامة ـ على رأى ـ ومضمون الأمر هو أداء الصلاة المعتادة أو صلاة الأمن، عُبِّرَ عنها بالذكر لأنه فى جميع أركانها، ووصفها النصُّ القرآنى بأنها الصلاة التى علمها الله الناس كما علمهم الصلاة حال الخوف التى لم يكونوا على علم بها من قبل.

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾

أولا: الأسماء:

١ ـ إخراج: فى قوله تعالى «غير إخراج» المراد به ـ فى الآية ـ إخراج الأرملة من المنزل الذى كانت تساكن فيها زوجها بفعل ورثته.

ثانيا : التفســـير:

الآية عودٌ إلـى أحكام النساء اللائى مات عنهـن أزواجهن «والذين يتوفـون منكم ويذرون أزواجا» أوصى سبحانه وتعالى أزواجهن بشأنهـن أنهم إذا ما استشعروا قرب أجلهم أن يوصوا ورثتهم، أو أن الله سبحانه وتعالى قد أوصى بدلا منهـم، فهذا ما يستفاد من تقديم تعبير «وصية لأزواجهم» علـى ذكر حكم النـص. وحكم النـص الموصى بـه أو موضوع الـوصية هـو تمتيع الأرملة لمدة سنـة، فيكون معنى «متاعـا» هو «متعوهن متاعـا» وهو ما يكون بـالإنفاق عليهن، وكذا عدم إخراجهن مـن بيوتهن، أى بإسكانهن أو بالتزام «حق السكنـى» لهم، وقد جاء ذكره رغم دخـوله فى عمـوم الإنفاق المعبَّر عنـه بالتمتع لإظهـار أهمية ذلك لأن الـورثة كانـوا فى الجاهلية و إلى نزول الآية فى الإسلام يخرجون الأرملة من مسكنها بمجرد وفاة الزوج.

ويبين من نص الآية أن حكمها جاء لصالح الأرملة ولذلك كان لها أن تتنازل بإرادتها عما يقرِّره لها من حقوق، خـاصة أن هذه الحقوق جاءت مرتبطة بفترة السنـة وهى للمرأة فترة عدَّة وفترة حداد، ولذلك أعطى نص الآية للمرأة الحق فى عدم التمسك بالحداد وما يفرضه عليها فأباح للنساء أن يتركنـه ويتزيَّن ويتطيَّبن وأن يفعلن فى أنفسهن ما يشـأن مما لا ينكره الشرع، فإذا مـا فعلن ذلك انقضى التـزام الورثة بـالإنفاق عليهن و إسكـانهن، فكأن النصَّ قـد خيَّر النساء بين مـلازمة مسكن الزوج وأخـذ النفقة وبين الخروج منه وتـركها، فهذا هو معنـى قوله تعالى «فإن خرجن فلا جناح عليكم فى ما فعلن فى أنفسهن من معروف».

واختتمت الآية بقوله تعالى «والله عزيز حكيم» جاء للحض على التزام أحكامه التى ينتقم ممن خالفها، ومنها أحكامـه تعالى فيما أوصى به للنساء، وبيانا لكون جميـع أحكامه مشرعة لصالح العباد، وفى شأن سريان حكم نص الآيـة فى الزمان، فقد كان هذا فى أول الإسلام ثم نسخ هـذا الحكم فأصبحت عـدة الأرملة أربعة أشهر وعشـر ليال أو أربعة أشهر وعشـرة أيام، ونسخت مـدة الحول. وكذلك نسـخ حكم الإنفاق والإسكان فـى مدة الحول بآيـة الميراث التى حدَّدتـه بالربع والثمن فـى سورة النساء. فالآيـة من المنسوخ حكمه من القـرآن مع بقاء لفظه يُتلى ويتعبد به .

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾

أولا: الأسـماء :

١ ـ **المطلقات :** قيل إن المراد بهن ـ فى الآية ـ جميع المطلقات سواء كنَّ مدخولا بهن أم لا. وقيل إنهن المطلقات غير المدخول بهن اللائى لم يفرض لهن مهر .

٢ ـ **المتـاع :** قيل إن المراد به ـ فى الآية ـ عموم ما يتمتع به، أى مطلق المتعة فيشمل ما هو واجب وما هو مستحب. وقيل إن المراد به نفقة العدَّة .

ثانيا : التفسـير :

النص يقرر حق المطلقة عموما، أو المطلقة قبل الدخول بها غير المفروض لها مهر فى الحصول على نفقة متعة من زوجها، أوجبها وصفه تعالى الأزواج الواجبة عليهم النفقة «بالمتقين» وليس بالمحسنين، لأنه لما كان الإحسان مندوبا يفعله الشخص أو لا يفعله باختياره، فقد اعتقد البعض أن النفقة لا تلزمهم فى هذه الحالة، فجاء وصفه تعالى الواجبة عليهم النفقة فى الآية بأنهم المتقون لأن المؤمن الحق هو من يتقى عذاب الله بالتزام أحكامه وبعدم عصيانه، فيكون إيفاء هذه النفقة واجبا وليس مندوبا .

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾

ثانيا : التفسـير :

بعد إراده تعالى آيات الأحكام السابقة جاء قوله تعالى فى هذه الآية مفيدا أنه على هذا النحو من الإيضاح تجىء آياته التى تنظم بأحكامٍ شئونَ حياتكم لتعملوا عقولكم فى استخلاصها على نحو سليم والالتزام بها، بمعنى الالتزام بالجامد منها المتعلق بأحكام العقيدة والشرع، والتزام الأصول مع مراعاة مقتضيات تغير الأحوال فى شأن ما تعلق بالمعاملات مما تكون فيه مرونة. لأن كل ذلك يتطلب إعمال العقل.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾

أولا: الأســماء :

١ ـ الذين خرجـوا من ديارهم : هم قوم مـن بنى إسرائيل كانـوا فى قرية حل بهـا الطاعون فخرجوا منها فرارا من الوباء. وقيل إنهم لم يفروا من وباء وإنما فروا من الجهاد أمروا به .

٢ ـ ألــوف: جمع كثرة مفرده «ألف» لا يقال فى عشرة فمـا دونها. وقيل إن المراد بها ـ فى الآية ـ «مؤتلفين» حال يبين هيئة الفارين خوفا من الموت .

ثانيا : التفســـير:

قوله تعـالى «ألـم تر» مـوجه إلى رسول الله ﷺ إن كـان بمعنى «ألم تعلم» وإلـى المؤمنين وغيرهم ممَّن لم يعلمـوا خبر من تروى الآية قصتهم، والخبر الذى تضمنتـه الآية يتعلق بقصة هؤلاء الألوف من بنى إسرائيل ـ على الراجح ـ ومن سكان قرية يقال لها «داوردان» فى واسط بالعراق ـ على رأى ـ الـذين فروا بأنفسهم من قريتهم عندما حل بها وبـاء الطاعون فلما نزلوا واديا أماتهـم الله موت عقوبة «فقـال لهم الله موتوا» والمعنى أن الله تعـالى أمر بموتهـم عقابا لهم، وهو مـوت يختلف عن موت الأجل الذى لا تكـون بعده حياة فى الدنيا. وقيـل إن ملاكا صاح بهم بأمـر الله أن موتوا فماتوا، ثم إنـه تعالى أحياهم بعد أن أنتنـت أجسادهم، وقيل إن نبى الله حزقيال مرَّ بهم فدعا الله أن يحييهم فأحيـاهم، وقيل إن النبى هو صموئيل أو شموئيل، وقيل إنه شمعون. وقد لا يكون صحيحا ما قـاله المفسرون من أن جثثهم أنتنت لأن ذلك إنما يكون فى موت الآجال الذى لا حياة بعده فى الحياة الدنيا على ما يبينه قوله تعالى «لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى»، فيكون الموت الذى حل بهم شبيها بما يقال عنه اليوم «الموت الإكلينيكى» أو موت جزع المـخ، وفيه تخمد حركة الإنسان ويفقـد الإحساس إلا أن الــروح

لا تكون قد فارقت جسده. ولما كانت إعادة الحياة إلى هؤلاء هى فضل من الله عليهم ليعتبروا بها فيكون منهم السعى إلى الهدى، كما كانت فضلا منه تعالى تفضل به على غيرهم من عموم الناس حين أعلمهم قصتهم ليكون بها الاعتبار فقد جاء قوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «إن الله لذو فضل على الناس» فشمل فضله الذين أماتهم ثم أحياهم وشمل غيرهم من الناس الذين علموا قصتهم واعتبروا بها. وقوله تعالى «ولكن أكثر الناس لا يشكرون» فيه بيان لواقع أن من الناس من يشكر الله على فضله، وأن هؤلاء الشاكرين أقل عددا من غير الشاكرين، وفيه حض على شكره تعالى على أفضاله على الخلق، وهو ما قد يكون بالاعتبار والاستبصار، وفيه فوق ذلك تشجيع المسلمين على الجهاد فى سبيله تعالى وتعريض النفس لشرف الاستشهاد والاستسلام لقضائه، وهو تشجيع جاء تمهيدا لأمره تعالى بالجهاد فى الآية التالية.

وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٤﴾

التفسير:

بعد أن أوضحت الآية السابقة أن قضاء الله لابد نافذ، وأن الفرار من الموت لا ينجى منه متى حان الأجل، ولما كان الموت فى سبيل الله هو أشرف الموت وأعظمه أثرا ومثوبة، فقد جاء أمره تعالى للمسلمين بأن يقاتلوا فى سبيل الله، وأن يثبتوا فيه ولا يهربوا «وقاتلوا فى سبيل الله»، وجاء قوله تعالى «واعلموا أن الله سميع عليم» محذرا المتخلفين عن الجهاد الذين ينفرون غيرهم منه بإعلامه إياهم أنه تعالى يسمع ما يقولون ويعلم ما انطوت عليه نفوسهم من بواعث، وهو إعلام مفاده أنه مجازيهم بأفعالهم وبنياتهم تنفيرا لهم من التمادى فى أفعالهم.

مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

أولا: الأســــماء :

١ ـ القـرض : فى قـوله تعـالى «قرضـا حسنا» اسـم لكل ما يلتمـس عليه الجـزاء، فيقال «أقرض فلان فلانا» بمعنـى أعطاه ما يتجازاه. والمراد به ـ فى الآية ـ كـل ما أسلف المرء من عمل، يكون صالحا أو حسنا، ويكون سيئا فيجازى به .

٢ ـ الأضعـاف : فى قـوله تعـالى «أضعـافا كثيـرة» جمع الضعـف وهو «مثـل الشىء فـى المقدار يضاف إليه أو يزاد عليه» فيكون بمعنى «مثلى الشىء».

٣ ـ كثيرة: أى بلغ عددها حدَّ الكثرة. ولا يعلمها ـ فى معنى الآية ـ إلا الله تعالى.

ثانيا : التفســــير:

بعد أن أمر سبحانه وتعالى المسلمين بالجهاد فى سبيله فى الآية السابقة، ورد قوله تعالى ـ فى الآيـة ـ «من ذا الذى يقرض الله قرضـا حسنا» جاء فى صيغة سؤال بقصـد الحض على الفعل مـوضوع السـؤال وهو «إقـراض الله» تم تقـريب المطلـوب من المسلميـن إلى أفهـام المخاطبيـن بالنـص بوصفـه بأنـه قرض ليعلمـوا أنهم مجـازون به وأنـه لن يضيــع عليهـم. ووصف سبحانه وتعالى محل القرض بأن «حَسَنٌ» فيشمل الجهاد بالنفس والمال ـ بالمعنى الخاص ـ ويكون مطلق العمل الصالح ـ بالمعنى العام ـ فيدخل فيه الجهاد بالنفس والمال. ثم جاء وصف الجزاء الذى يكون على هذا الإقراض بأنه أضعاف كثيرة للقرض «فيضاعفه له أضعافـا كثيرة»، والمضاعفـة تكون فـى النوع وفى القـدر فلمن ضحَّى بحيـاته فـى سبيل الله الخلود فى الجنـة حياةً لا انتهاء لها يـرفل فى نعيم الجنـة، ولمن ضحى بمالـه من الحسنات مالا يعرف عددها إلا الله، ومنها ثواب الدنيا وثواب الآخرة.

ويجىء قـوله تعـالى ـ فـى ختام الآية ـ «والله يقبض ويبصـط» حاضًّا الـذين يجـاهدون بأمـوالهم علـى السخاء وعدم البخـل معلما إياهـم بأنـه الذى يوسـع علـى العبـــاد أو يقتر عليهـم بحكمته التى لا يعلمها سواه، وقد يكون منه التقتيـر على من يبخل والتوسعة على من يسخو فـى عطائه. ويحتمـل المعنى أن يكـون قولـه تعالـى هذا إعـلاما للنـاس بأنـه يقبض الصدقـات ويبسط الجزاء عليها ليحـرص المؤمنون علـى بذلها؛ ولـذلك ذُيِّلت الآية بقـوله

تعالى «وإليه ترجعون» لتأكيد معنى ما سبق بيانه من أنه مجازٍ كلاً بفعله يوم القيامة ليعلم الناس أنه لا يضيع أجر من أحسَنَ عملا.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾

أولا: الأسماء :

١ ـ الملأ : الملأ من القوم هم وجوههم وأشرافهم تملأ الصدور هيبتهم حين يتمالؤون متعاونين. وهو اسم للجماعة ليس من لفظه ما يدل على الواحد منها .

٢ ـ النبى: فى قوله تعالى «لنبى لهم» هو ـ على الراجح ـ صموئيل النبى أو شموئيل، وليس صحيحا ما قال به البعض إنه يوشع بن نون لبعد الفترة الزمنية بين عهد يوشع بن نون وبين الملك الذى ستخبر عنه الآيات والذى خلفه داود عليه السلام .

ثانيا : التفسير:

جاءت الآية متعلقة بآيات الحض على الجهاد فى سبيل الله وما يكون من شأن الذين يتقاعسون عن الجهاد فى سبيله وما يكون من شأن المجاهدين ونصرة الله لهم على قلّتهم، فروت قصة قتال جرى بين بنى إسرائيل وبين العماليق الذين كانوا يسكنون فلسطين، وكانوا قد انتصروا على بنى إسرائيل واقتحموهم وشردوهم فتوجه رؤوس أسباطهم وجهاء القوم إلى صموئيل النبى ـ وهو شموئيل ـ وسألوه أن يختار لهم ملكا ينصبوه عليهم يتولى قيادتهم

ليحاربوا العماليق «ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتـل فى سبيل الله» وقد أوضح النص القـرآنى أن النبى الذى حادثه وجهـاء القوم كان أحد أنبياء بنى إسرائيل الكثيرين وأنه كان زمانـه من بعد عهد نبى الله موسى عليه السلام، لم يعيِّنه النص بالاسم لأن المراد من رواية القصة محض الاتعاظ.

وقد أوضح النص رد النبى عليهم بقوله تعالى «قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا» بمعنـى «هل ستقاتلون بالفعـل إذا كتب عليكم القتال؟»، والمعنى المبطـن فى الرد هو إظهار النبى لهم توقعه منهم أن يكون الإحجـام عن القتال إذا ما أمروا به، فيكون الاستفهام فى عبارته مفيدا التوقع.

وجاء رد بنـى إسرائيل على سـؤاله بقولـه تعالى «قـالوا ومالنا ألا نقـاتل فى سبيـل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا» فكأنهم قالوا له «كيف أننا لا نقاتل فى سبيل الله وقد جرى إخراجنا من أوطاننا وتغريبنا عن أهلنا وأبنائنا» .

فيكون المراد بقولهم إنهـم لا بد مستجيبون للقتال فى سبيل الله لتوافر الـدافع لديهم على القتال مما لا يتصور معه إحجامهم عنه.

وبعد بيان ما كان من الأمر بين بنى إسرائيل وبين نبيهم يقص علينا سبحانه وتعالى ما كان من أمرهم بعـد أن سألوا النبى أن يقيم لهم ملكـا وبعد أن أقام لهم هذا الملك وأمـرهم بأمره تعالى بالقتـال، فيقول تعالى «فلما كتب عليهـم القتال تولوا إلا قليلا منهم» بمعنـى أنهم لما استعرت بينهـم وبين عدوهم نـار المقاتلة وشـاهدوا من عـدوهم ما شاهـدوا من القوة تـولى أغلبهم فرارا من القتال إلا القليليـن منهم الذين صبروا على القتال، وهم الـذين جاوزوا النهر وقيل إن عددهم كان ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا عدد أهل بدر ـ ولا دليل على ذلك .

وتختتم الآية بقوله تعالى «والله عليم بالظالمين» إعلاما ـ فى الظاهر ـ بعلمه تعالى بالذين ظلموا أنفسهـم وأهليهم بـالتولـى عن القتال، ووعيـدا مبطنا لهـم ولمن هـم على شـاكلتهم بمجازاتهم بنكوصهم عن القتال ومخالفة أفعالِهم أقوالَهم .

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾

أولا: الأسماء والأعلام:

١ ـ **طالوت**: اسم علم أعجمى معرَّب، وهو فى العهد القديم ـ الذى بين أيدينا ـ شاول أو شاؤول، كان من سبط بنيامين الذى تقول التوراة التى بين أيدينا اليوم إنه قيل «من يهوذا يكون الرأس ومن بنيامين يكون الذَّنَب» بمعنى أن يكون المُلك فى سبط يهوذا وتكون الضعة لسبط بنيامين وأحقر الأعمال. ملك على بنى إسرائيل وتزوج نبى الله داود ابنته بعد أن قرَّبه منه طالوت أو شاول بعد قتله جالوت أو جوليات، ثم غار قلبه على داود وحاول قتله فهرب منه داود وتبعه شاول عدة مرات إلى أن تمكن منه داود فلم يقتله، واقتنع طالوت ببراءة داود مما وشى به الوشاة عنه فتصافيا، ولم يأمنه داود فهرب منه ثانية. مات طالوت منتحرا بطلبه من عبده أن يقتله بعد أن جرح فى حربه مع الفلسطينيين وقتل أبناؤه .

٢ ـ **بسطة**: البسطة هى السعة، والمراد بالبسطة فى الجسم زيادة الطول واكتمال بناء العضلات وضخامتها.

ثانيا : التفسير:

الآية استطراد فى رواية القصة تحكى ما كان من نبىٍّ بنى إسرائيل من اختيار طالوت أو شاول ملكا قام بمسح رأسه بالدهن علامة على تملكه على بنى إسرائيل، وإعلامه القوم أن الله تعالى هو الذى اختاره ليكون عليهم ملكا استجابة لطلبهم، وقد كان من بنى إسرائيل حين أخبرهم نبيهم بهذا الاختيار استنكارهم له و إبداؤهم سبب هذا الاستنكار «قالوا أنى يكون له

الملك علينا ونحـن أحقُّ بالملك منـه ولم يؤت سعة من المـال» بمعنى أنهم قالـوا «من أين يأتـى الملك لمثـل هذا؟» قالـوه لأنه كان مـن سبط بنيـامين الذى يعتقـدون أنه الأبعـد بين الأسباط الاثنـى عشر عن تولـى الملك لقول يعتقـدونه «من يهـوذا يكون الرأس ومن بنيـامين يكون الذَّنَب» لأنه لما كان من سبط بنيامين الذى لا يتولى ـ فى اعتقادهم ـ إلا أحطَّ الأعمال فإنه لا يكون متصورا فـى اعتقادهم أن يكون ملكا، وقالوه أيضا لسبـب أفصحوا عنه وهو فقره «ولم يؤت سعة من المال» إذْ كان يعمل بيديه ليكسب قوته. وترتيبا على هذا فقد ذكروا لنبيهم أنهم أحق منـه بالملك أو أن منهم من هو أحـق منه بالملك، فهم عيون الأسبـاط ورؤساؤهم، وهم مالكو الأموال، وهذا وذاك مفتقد لدى طالوت.

وجاء ردُّ نبيهـم بذكـر سببين لاختيـاره للملك على مـا يبين مـن قولـه تعالـى «قال إن الله اصطفاه عليكـم وزاده بسطة فى العلم والجسـم، والله يؤتى ملكـه من يشاء» ويبين مـن نص الآية أن السبب الأول هو اصطفاء الله له بمعنى اختياره وهو سبـب كاف ـ فى حد ذاته ـ لقبول اختياره تعـالى الذى لا يحيط بعلمـه ولا بحكمته أحد، ومع ذلـك فقد أورد الردَّ شيئا مـن علة هذا الاصطفاء وهو ما أنعم الله به عليه من البسطة فى العلم وفى الجسم، جاء ذكر البسطة فى العلم أولا لأنه به تكـون القوة وتكون سياسة الأمور التى لا تكون بحسـب أو نسب كما لا تكون بالمال، وتلاها ذكـر البسطة فى الجسم لكونها تكسب صاحبها المهابـة وأخصُّها المهابة فى عيون الأعداء لكون الحرب وقتذاك حرب نزال بين القادة فى البداية، والبسطة فى الجسم من شأنها أن تـورث المهابة فى نفـس الغريم فيقل لـديه الغريم ـ أما السبب الثانـى الذى ذكره النبى فقد أورده فى صيغة القول المأثور أو الحكمة أو المثل «والله يؤتى ملكه من يشاء» وذلك قطعا للمجادلة فى الأمر وإنهاء للاعتراض على الاختيار، لأنه لا اعتراض على أمر الله.

وجاء قولـه فى ختام الآية «والله واسـع عليم» مبينا ـ مـن جهة ـ أن اصطفاءه طـالوت كان اصطفاء بحكم كونه تعـالى الواسع الفضل والعليم بما فيه مصالح العبـاد، ومشيرا ـ من جهة ثانية ـ إلى أفضلية طالوت على غيره بما تفضل عليه تعالى من البسطة فى الجسم ومن العلم لارتباط معانيهما بصفتيه تعالى المذكورتين فى النص .

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

أولا: الأسماء والأعلام :

١ ـ التابوت: هو الصندوق الذى يضع فيه المرء حاجياته، من «التوب» وهو الرجوع، لأن المرء يرجع إليه كلما أراد أن يستخرج منه شيئا أو أن يعيده إليه.

والمراد به الصندوق الذى اصطحبه بنو إسرائيل معهم لدى خروجهم من مصر، قال فيه علماء المسلمين الكثير منه أنه أنزله الله تعالى على آدم عليه السلام تناقلته أيدى المكرمين إلى أن وصل إلى يعقوب عليه السلام ثم إلى أبنائه من بعده، فلما فسد حال بنى إسرائيل وغلبهم العماليق أخذوه فسلط الله عليهم البلاء فأعادوه إلى بنى إسرائيل على ثورين قادتهما الملائكة إلى بيت طالوت.

وفى التوراة التى بين أيدينا اليوم أنه كان فيه عظام يوسف عليه السلام، وأنه كان من خشب السنط وضع فيه موسى شهادة أعطاه الله إياها وكروبين من الذهب، كان يسبق بنى إسرائيل عند رحيلهم من مصر بمسيرة ثلاثة أيام واسمه «تابوت العهد»، وعبر به يوشع بن نون نهر الأردن، وأخذه الفلسطينيون بعد قتلهم حفنى و فينحاس حارسيه، وذهبوا به إلى جت وعقرون وبيتشمس فضربها الله بالبلاء.

٢ ـ هارون : اسم علم أعجمى معرب. هو رسول الله هارون بن عمران أو «عمرام» بن قاهات بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ثبتت نبوته بقوله تعالى فى سورة الشعراء «فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين»، وهو أخو موسى الأكبر، ووزيره كما جاء بقوله تعالى «وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا» أمه «يوكابد»، تزوج من اليشابع بنت

عميناداب فولدت له نـاداب وأبيهو والعازار و إيثامار. مات فى التيه فـى سيناء على جبل هور قبل موت موسى عليه السلام .

ثانيا : التفســـــير:

جاءت الآية مبينة قـول النبى لبنى إسرائيل فيما يبـدو أنه جاء إجابة على سـؤالهم عن آية تدل على اصطفاء الله طالوت واختياره للملك «إن آية ملكـه أن يأتيكم التابوت»لأنه لما كان التابوت قـد سلب من بنى إسرائيـل باستيلاء العماليـق عليه ويئس بنوإسرائيـل من استرداده منهم فقد كان فى عودة طالوت به إليهم آية أو دليل على اصطفاء الله له واختياره.

وقول النبى لهم «فيه سكينة من ربكم وبقية ممـا ترك آل موسى وآل هارون» هو بيان لسبب اهتمام بنى إسرائيل بهذا التابوت وهو أنه يحمل لهم السكينة والاطمئنان.

وقد يكون لتضمنه التـوراة التى أنزلت على موسـى وقد يكون لأنه كان يثبِّت بنـى إسرائيل فى القتال ويكون لهم به النصر مادام معهم.

وأنه فيه بقية مما تـرك آل موسى وآل هارون وهو- فى قول ــ رضاض الألواح التى كتب الله تعالى لموسى عليه السلام فيها التوراة وعصا موسى وعمامة هارون.

وقول النبى عن التابوت أن يجىء تحمله الملائكـة هو بيان لحال التابوت لدى الإتيان به تضمن معنى سـوق الملائكة الثورين اللذيـن حملا التابوت بعد أن وضعه العمـاليق عليهما تخلصا منه لما أصابهم من البلاء بسببه.

ثم كان من الرسول قوله لبنى إسرائيل «إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين» .

وفيه يشير إلى الإتيان بالتابوت الذى كانوا يفتقـدونه وأنه آية عظيمة لهم فيها التدليل على اصطفاء طالوت عليهم ملكـا ماداموا مؤمنين وذلك لكون المؤمن مفترضـا فيه الإيمان بآيات الله لا يجادل فيها بغير الحق.

■■■■■

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾

أولا: الأسماء والأعلام :

١ ـ **الغرفة** : فى قوله تعالى «إلا من اغترف غرفة بيده» هى الواحدة من الغرف أو الاغتراف، وهو الأخذ من الشىء باليد أو بآلة. والمراد به ـ فى الآية ـ الأخذ من الماء للشرب باليد لمرة واحدة.

٢ ـ **الذين آمنوا معه** : المراد بهم ـ فى الآية ـ الذين لم يشربوا من النهر والذين اكتفوا بشرب غرفة واحدة اغترفوها براحة اليد .

٣ ـ **الطاقة**: فى قوله تعالى «قالوا لا طاقة لنا اليوم» هى القدرة .

٤ ـ **الفئة**: هى القطعة أو المجموعة، والمراد بها ـ فى الآية ـ الجماعة من الناس.

٥ ـ **جالوت**: اسم علم أعجمى معرب، هو جوليات فى العهد القديم بطل الفلسطينيين وجبارهم الذى تحدى بنى إسرائيل أن يقاتله أحدهم فيكون الفوز نصيب قوم المنتصر فى النزال فتهيبوا نزاله إلا داود كان صبيا يتفقد إخوته الجنود، قبل التحدى وقاتله وقتله بأن ضربه بالحجر بالمقلاع بين عينيه فسقط على الأرض، فاحتز رأسه .

ثانيا : التفســــير:

الآية فى تفصيل ما حدث من طالوت بعد توليه ملك بنى إسرائيل وقيادته الجنود وما دار بينه وبينهم، تبدأ بذكر ما حدث منذ خرج طالوت بالجنود من بيت المقدس أو منذ أن انفصل عنها «فلما فصل طالوت بالجنود»، فكـان أن قال للجنود إن الله سيختبركم ويمتحن قلوبكم بنهر تجدونه أمامكـم وقد شعرتم بالظمأ. فكل من يشرب من النهـر بأن يكرع أو يروى ظمأه لا يكون من شيعتى وأتباعى، وكل من امتنع عن الشـرب منه ولم يذق ماءه فإنه يكون من شيعتى وأصحابـى «قال إن الله مبتليكم بنهـر فمن شرب منه فليـس منى ومن لـم يطعمه فإنـه منى»، وبعد ذكره هذه القاعدة وهى اعتبار الشاربيـن من النهر من غير الأتباع، واعتبار الممتنعين عن الشرب هم الأتباع، استثنى من الشاربين من اكتفى مـن الماء بشرب غرفة واحدة يغترفها بيده فجعله من أتباعه وأصحابه «إلا من اغترف غرفة بيده» ليكون أتباعه هم غير الشاربين من النهر ومن اكتفى من الشرب منه بغرفة ماء يغترفها بيـده، وليكون غير أتباعه هـم الشاربين الكارعين من الماء.

ثم تروى الآية ما حدث من الجنود وبينهم وبين بعضهم فتقول ـ فى مبتدأ الأمر ـ أنهم لما وجدوا النهر وكانوا ظامئين فإنهم شربوا منه وأفرطوا فى الشرب عامةً إلا القليل منهم فإنهم لم يشربوا أو لم يفرطوا فى الشرب مكتفين بشرب غرفـة واحدة من الماء اغترفوها باليد، والمعنى أن غالب الجنـود شربوا من المـاء مفرطين فى الشرب، وأقلهـم لم يفعل ذلك فمنهـم من لم يشرب ومنهم من اكتفى من الشرب بغرفة اغترفها بيده «فشربوا منه إلا قليلا منهم».

أما ما حدث بين الجنـود بعضهم والبعض أو دار بينهم من الحديث فقد ذكـره قوله تعالى «فلما جاوزه هـو والذين آمنوا معه قـالوا لا طاقة لنا اليـوم بجالوت وجنوده، قال الـذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله». وبداية القول تذكر أن الحوار الذى دار بين الجنود كـان بعد مجاوزتهم النهر مع طـالوت وتبين أن الجنود جميعهم كانـوا مؤمنين ومنهم الذين شـربوا من النهر وأفرطوا ـ وقيل إن المـؤمنين هم الذين لم يشربـوا والذين اكتفوا بشرب غرفـة واحدة من الماء ـ وعلـى هذا القول يكون الـذين صاحبوا طالـوت واجتازوا معه النهر هم هـؤلاء فقط ويكون الشاربـون قد تخلفوا عن مصـاحبته، فيكون معنى قـول طالوت

«فإنه منى» هو «إنه سيكون ملازما لى فى الحرب». ومضمون حوار الجنود أن منهم من قال «ليس بنا قدرة على قتال طالوت وجنوده» قالوها عندما شاهدوا عدد الأعداء وعدتهم وشاهدوا مظاهر قوتهم. ويغلب ـ لدينا ـ أن يكون قائلوا هذا هم الذين شربوا من النهر ونهلوا من الماء مما مفاده أنهم جاوزوا مع طالوت النهر وأنهم كانوا مؤمنين، فإنهم لما لم يستطيعوا كبح جماح نفوسهم عن الشرب فإنهم دلُّوا على ضعف نفوسهم عن مقاومة الشدة، ولذلك فإنهم لما شاهدوا قوة عددهم ظهر منهم دليل آخر على هذا الضعف. وباقى الحوار تمثل فى رد المتيقنين من البعث وحسن الجزاء المؤمنين بأنهم عما قريب يستشهدون فيلاقوا ربهم، تمثل فى ردٍّ هؤلاء على المتخاذلين بقولهم «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله»، و«كم» فى الجملة خبرية وليست استفهامية بمعنى «كثير» فيكون معنى قولهم هو «إنه كثير ما حدث من تغلب فئة قليلة على فئة كثيرة بإذن الله» والمراد بالغلب هو الانتصار فى الحرب والقتال، تكون الغلبة لقليلى العدد على كثيريه بالنسبة لهم، وذلك بحكمة الله وبتيسيره. وهذا القول أريد به بث الشجاعة فى قلوب المتخاذلين أو الذين أظهروا فزعهم لما شاهدوا قوة العدو.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «والله مع الصابرين» ومعناه أنه يكون فى نصرة الصابرين، يقبل أن يكون كلامه سبحانه وتعالى، ويقبل أن يكون كلام الذين ظنوا أنهم ملاقوا الله.

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠﴾

التفســـير :

الآية فى رواية وقائع ما تم بين جنود طالوت وبين جالوت جبار الفلسطينيين العماليق وجنوده، فتقول إنه عندما ظهر طالوت ومن معه إلى الجنود وشاهدوا جالوت وجنوده فإنهم ـ أى جنود طالوت ـ صاحوا جميعا ـ بعد أن قويت قلوب من كانوا ضعاف العزيمة ـ

متضرعيـن داعين بـالنصر بقولهـم «ربنا أفرغ علينـا صبرا وثبـت أقدامنا وانصـرنا علـى القوم الكافريـن». فطلبوا أن يكون منه تعـالى عليهم إفراغ الصبـر عليهم ليطهر نفوسهـم كما يكون إفراغ المـاء على الجسم وصبـه وسيلة تطهيره، وطلبـوا ثبات الأقـدام بمعنى أنهم طلبـوا منه تعالى أن يجعلهم من الصامدين فى القتال غيـر الفارين منه، ولما كان طلبهم الصبر والثبات طلبا لـوسيلة النصر، وكانـت الغايات إنما تـدرك بالأخذ بـالأسباب، فقد جاء طلبهـم النصر متأخرا عن ذلك «وانصرنا على القوم الكافرين»، ومن الدعاء يبين أن النصر إنما كان على قوم كافرين وقتذاك، وأن بنى إسرائيل كانوا هم المؤمنين .

فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾

أولا: الأســماء والأعلام :

١ ـ داود : اسم علـم أعجمى معرب. وهـو نبى الله داود بن يسَّـى ـ وهـو إيشار ـ مـن سبط يهوذا، كان يتفقَّد إخوته الثلاثة الأكبر منه وكانـوا جنودا فى جيش طالوت عندما سمع وشاهد تحدى جالوت أو جليات بطـل الفلسطينيين لبنى إسرائيل وخوفهم جميعا مـن منازلته، فقبل هو تحديه وتمكـن من قتله مستخدما الحجر والمقـلاع فضربه بالحجر بين عينيـه فلما سقط مغشيا عليـه قطع رأسه فهرب الفلسطينيـون. تزوج من ابنة طـالوت أو «شاول»، ثم تـزوج من «أبيجابل» التى كانت زوجة نابال، ثم تـزوج من «بتشبع» بنت ألبعام التى كانت زوجة «أوريا الحثى» وهى التى ولدت له سليمان عليه السلام، ومات داود بعد أن أوصى بالحكم لسليمان بعد أن حكم إسـرائيل أربعين سنة منهـا سبع سنين فى حبـرون وثلاث وثلاثون سنـة فى بيت المقدس.

التفســـــير :

تذكر الآية أن بنـى إسرائيل هزموا أعداءهـم بإذن الله تعالى الذى أيدهـم وأراد لهم النصر، كما تذكر واقعـة قتل داود عليه السلام ـ فى النـزال ـ جبار الفلسطينيين جالوت، كمـا تذكر ما كان من أمره بعد ذلـك من إيتاء الله إياه ملك بنى إسرائيل، والحكمـة، ومن تعليمه مما يشاء. وقد كان إيتاء الله الحكم داود عليه السلام من بعد موت طالوت لما كان داود فى حبرون ومعه زوجتاه: أخينوعم اليزرعيليـة، وأبيجابل التى كانت امرأة نابال الكـرملى، فجاءه رجال يهوذا ـ إحدى مملكتـى بنى إسرائيـل ـ ومسحوه ملكـا على بيت يهـوذا، بمعنى أنهم مسحـوا رأسه بالدهن الـذى يمسحون به رؤوس الملوك، والمراد ببيت يهوذا هو «مملكـة يهوذا» وبعد ذلك بسبع سنوات مسـح ملكا على مملكة إسـرائيل وهى التـى تضـم باقى أسباط بنـى إسرائيل. فهذا هو الملك الذى أتـاه الله داود عليه السلام، ثم أتاه الحكمة باصطفائه نبيـا فاجتمعت له مع الملك النبوة ولم تجتمع مـن قبله فى أحد. كذلك فإنه تعالى علمـه ما شاء أن يعلمه من أنواع العلوم والمعـارف، ومنها ـ بالنص القرآنـى ـ صنعة اللبوس ، وهى صناعـة الدروع التى تلبس على الصـدور من المعدن الخفيف الواقـى وقيل إن من هذه العلوم منطـق الطير وكلام الدواب.

وبعد ذلـك يجىء قـوله تعـالى «ولـولا دفع الله النـاس بعضهم ببعـض لفسدت الأرض». ويستفاد من قوله تعالى هذا عدة حقائق .

أولها: أنه لابد أن يكون على الأرض فى جميع الأزمان قوم مفسدون فى الدنيا وفى الدين.

وثانيها: أنه لابد أن يسخر الله أناسا يردُّون هؤلاء المفسدين عن الفساد وأنه لولا قيام هؤلاء المسخـريـن لـرد المفسـديـن عـن فسادهـم لشـاع فـى الأرض الفسـاد. وثـالـث الحقـائق المستخلصة من هذا القول أنه سبحانه وتعالى هـو الدافع المدفوعين إلى رد فساد المفسدين إليه، والمسخِّر المسخَّرين لذلك إليه؛ ولذلـك جاء قوله «ولكن الله ذو فضل على العالمين»، بمعنى أنـه قد امتنـع حصول الفسـاد فى الأرض لأنه تعـالى المتفضـل على النـاس، تفضل عليهم بعدم الإذن بتحقق فساد الأرض فلم يكن .

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾

التفســـــير :

الخطاب فى الآية موجه إلى رسول الله ﷺ، مبدؤه إعلام بأن جميع ما سبق الإخبار به - المشار إليه بـ «تلك» من أحداث التاريخ ووقائع الدهر التى منها موت الألوف ثم إحياؤهم، ومنها ما كان من تمليك طالوت على بنى إسرائيل ثم حربه والفلسطينين وتمكن داود الصبى من قتل جالوت جبار الفلسطينيين وأيلولة الملك إليه. إعلام بأن جميع هذه الأخبار قد تليت على رسول الله ﷺ، تلاها جبريل عليه السلام حقًّا وردت بحقٍّ. يعلمها أهل العلم من أهل الكتاب، ويجيء قوله تعالى «وإنك لمن المرسلين» مقررا واقع أنه عليه الصلاة والسلام رسول ربه إلى الناس، ومفيدا معنيين أولهما أنه قد علم ما علَّمه ربه من أخبار من سبق من الأمم بحكم كونه رسولا نبيا يوحى إليه. وثانيهما أنه لما كان سبحانه وتعالى قد أمر المؤمنين بالجهاد فى سبيله، وكان قد قصَّ قصة الذين خشوا على أنفسهم الموت فماتوا، ثم أحيتهم دعوة نبى، فقد جاء قوله تعالى مقررا بعثه محمدا رسولا نبيا ليعلم من يدعوهم للجهاد أنه إنما يدعوهم لما يحييهم فتكون منهم الاستجابة .

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾

التفســـير :

لما جـاء خطاب المولى تعـالى فى الآية السـابقة ناعتا محمـدا ﷺ بأنه من المـرسلين، بمعنى أنه أحد الرسل فقد جاء الحديث ـ فى الآيـة ـ عن الرسل فأشير إليهم بـ «تلك» لإفادة بُعد مرتبتهم وعلوهـا، وجاء بيان أحوالهم ومراتبهم عند الله بقوله تعـالى «فضلنا بعضهم على بعض»، والمراد بالتفضيل ــ فى هذا الموضع ـ هو الاختصاص بأمر مـا لم يختص به آخرون، فمن ذلك مثـلا أن كلا من نوح ومـوسى ومحمد عليهم صلـوات الله وسلامه كانـوا أصحاب شرائع حين لم يكن رسل آخرون أصحاب شـرائع مثل إسحاق ويعقوب والمسيح عيسى ابن مريم عليهـم السلام، ثم جاء بيان بعـض ما اختص الله به بعض الـرسل، فذكر تعالـى أنه قد اختص بعضهم بكلامـه «منهم من كلم الله»، والثابت بـالنص أنه تعالى قد كلـم موسى عليه السلام. وجاء بالحديث أنه تعالى قد كلـم آدم عليه السلام، وقيل إن ذلك كان فى الجنة قبل نزول آدم إلى الأرض. وبعد ذلك أوضح سبحانه وتعالـى أن منازل الرسل لديه مختلفة فمنهم سلام الله عليهم من تعلـو منزلته فوق منزلة غيره ــ وهم الأعلون منازل ـ على ما يبيـن من قوله تعالـى «ورفع بعضهـم درجات»، وذلـك ثابـت بقولـه تعالـى فى شـأن إدريس عليـه السلام «ورفعناه مكانا عليًا» وثابت بحديثه ﷺ فى الإسراء الذى يبين منه اختلاف مراتب الأنبياء فى السماء. ورسول الله هو الأعلى درجـة لكونه تمام الدين وكماله وخاتـم الأنبياء والرسل، بعث إلى الناس جميعا وكان الأنبياء يبعثون لأقـوامهم، وجعلت الأرض له مسجدا وطهورا وأحلت له الغنائم وأعطى الشفاعـة ووُعد المقام المحمود. ثم جاء بيان ما فُضِّل بـه عيسى ابن مريم على غيـره من الأنبياء أو اختصه الله بـه فقال تعالـى «وآتينا عيسى ابـن مريم البينات وأيـدناه بروح القدس»، والبينـات التى آتاها الله عيسى ابن مـريم منها إحياؤه الموتـى وإبراؤه الأكمه والأبرص، وخلقه من الطيـن كهيئة الطير ليكون طيرا بإذن الله، والروح القـدس الذى أيَّد الله به عيسى عليه السلام وقوّاه هو جبريل عليه السلام، وقـد يكون ذكر ما اختص به سبحانه وتعالى كلا من موسى وعيسـى عليهما السلام من الفضل مع ظهور فضله ﷺ مـرتبطا بما أورده ـ من بعد ـ سبحانه وتعـالى فى الآية من حدوث الاقتتال بين الناس من بعـد الرسل، ومنه الاقتتال بين من يتشيعون لرسـول ومن يتشيعون لآخر بغير علم. ذلك أن قـوله تعـــالى «ولـو شاء الله

ما اقتتل الذين من بعدهم» ومعناه أنه حدث اقتتـال بين الناس من بعد الرسل، وأنه تعالى لم يشأ خلاف ذلك، ولذلك فـإنه وقع. والمراد بالرسل قد يكون جميع الـرسل، وقد يكون موسى وعيسى عليهما السلام، ويكـون حال الاقتتال مستمرا من بعد رسـول الله ﷺ، فيكون حدوث القتال من بعـد كل رسول، لأن هناك مـن يتبعه على الحق وهناك مـن ينكره، كذلك فـإنه لما جاء خاتم الرسـل وكمال الدين وأنكره من أنكره من أهل الكتـاب كان الاقتتال بين الأشياع، ومنهم الذين هم على الحق ومنهم الذين على الباطل .

وقد يؤكد هذا المعنى مـن بعد إثباته أنه تعالى ـ من بعد أن بيَّـن حتمية وقوع الاقتتال بين الناس بعد الرسل ـ قال «من بعد ما جـاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر» وبملاحظة أن الحديث فى النص ورد متعلقا بالآيات وأنـه تعالى ذكرـ من قبل ـ أنه أيّد عيسى ابن مريـم بالبينات. فإنه يمكن صـرف معنى النص إلى معنى خاص مـع بقاء المعنى العام المتمثل فى سبق حدوث مثل ذلك فى زمـان ما سبق من الرسل. والمعنى المقصود أنه بعد أن أظهر الله المعجزات على يـدى المسيح عيسى ابن مريم الذى بعث فـى بنى إسرائيل وقت أن كـانت فلسطين وفيهـا بنو إسرائيـل تابعة لرومـا فإن من اليهـود من لم يـؤمن برسـالة المسيح رغم تأييده بـالآيات ومنها ما تضمنه كتاب موسى ذاته، فكان مـن اليهود ـ ظنا أنهم يتشيعون لنبـى الله موسى ـ أن كـادوا لمن آمن للمسيـح عيسى ابن مـريم عند الرومـان فكان تعذيبهـم بأيـديهم وهو اقتتـال،ثم إنـه كان ـ مـن بعـد ـ وبعد دخـول النصرانيـة روما ذاتهـا وانتشـارها فـى أوربا، كـان الاقتتال بيـن النصارى وبيـن اليهود وفيـه أذاق النصارى صنـوف العذاب بنى إسـرائيل معتقدين أنـه بهذا يكون التشيع للمسيح عيسـى ابن مريم، ثـم إنه لما أرسـل سبحانـه وتعـالى محمـدا ﷺ مـؤيدا بـالآيـات البينات ومنهـا البشـارات فى التـوراة والإنجيل رأينا مـن أهل الكتاب من ينكره ولا يؤمـن له، ورأينا من هؤلاء من أشعـل نار حرب دعوها صليبية اعتقادا منهـم أنهم بهذا يتشيعون للمسيح عيسى ابن مريـم، هاجموا فيها بلاد المسلمين فوقع القتال،كذلك وجدنا اليهود يشنونها حربا إثر حرب على المسلمين ويخربون مقدساتهم ووجدنا المسلمين يدافعون عن أرضهم ومقدساتهم فكان القتال ليفسِّر قوله تعالى «ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا» .

وقوله تعالـى «فمنهم من آمن ومنهم من كفـر» هو بيان لواقع أن من بيـن من ادعى التشيع لنبى من الأنبيـاء من هو مؤمـن صحيح الإيمان، ومنهم مـن يعدُّ كافرا لأنـه لم يؤمن بمـا أمر الكتاب الـذى يدعى إيمـانه به أن يـؤمن به. وبمـن طلب منـه الرسول الـذى يدَّعى أنـه من شيعته أن يؤمن به إذا ما أرسل.

وقوله تعـالى ـ فى ختام الآيـة ـ «ولو شاء الله ما اقتتلـوا ولكن الله يفعل ما يريـد» هو تكرار لقوله تعالى السابق، قيل إنه جاء لتأكيـد المعنى، ونقول إنه لأمر تفرَّد سبحانه وتعالى بعلمه. ومعناه أنه لو أراد تعـالى ألا يحدث اقتتال بين الناس مـن بعد الرسل لما كان قـد وقع، ولكنه حدث بإرادتـه تعالى، فصار كـأنه فعله تعالـى «ولكن الله يفعل ما يـريد» وهو تعالـى المتفرد بحكمته لا يدركها من الخلق أحد.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾

أولا: الأسـماء :

١ ـ **البيع** : مصدر الفعـل «باع ـ يبيـع» بيعا، هو عقـد من عقود المعـاوضة به ينقـل البائع بمقتضاه إلى المشترى ملكية شىء مقابل الثمن.

٢ ـ **الخلة** : هى الصداقة والمودة ـ وهذا هو المراد بها فى معنى الآية ـ وهى ـ فى اللغة ـ الخمر الحامض، وبطانة أجفان السيوف .

٣ ـ **الشفاعة**: سبق بيانهـا، والمراد بها ـ فـى الآية ـ شفاعـة من أذن له الرحمـن أن يشفع فيمن ارتضى أن تكون فيه شفاعة من عصاة المسلمين.

ثانيا : التفسـير:

الخطاب فـى الآية مـوجه إلـى المسلمين جـاء بصيغة الأمـر مما مفـاده أن يكون المـراد

بالإنفاق هو أداء الزكاة إن اعتبر الأمر أمرا بفرض أو بواجـب، وقوله تعالى «من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه ولا خلة ولا شفاعة» مفاده أن الإنفاق المطلـوب إنما يكون فى الحياة الدنيا إذْ يكون فى المقدور الإنفاق ومباشرة المصالح عن طريق البيع والشراء وأنواع المعاملات، كما يكون ممكنا الانتفـاع بالصـداقات والشفـاعات، وذلـك قبل مجـىء يوم القيـامة الـذى يكون فيـه الحساب ولا يكون فيه الاكتساب بـالتعامل ولا بالصداقات ولا بالشفاعـة من الغير، إلا من بعد أن يأذن الرحمن لمن يشاء ويرضى.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «والكافرون هـم الظالمون» هو تقرير لواقع حكمه تعالى فى الكافرين وهو أنهم ظـالمون، وقيل إن المراد بالكافرين ـ فى معنـى الآية ـ هم الممتنعون عن الإنفاق المـأمور به؛ شبَّههـم سبحانه وتعـالى بالكـافريـن أو وصفهم بأنهـم بامتناعهـم عن الإنفاق قد شارفوا على الكفر. وهو ما نراه بعيـدا عن معنى عبارة النص ونرى أنه إنما ورد قوله تعالى هذا لبيان أن الإنفاق المأمور به فى صدر الآية هو الإنفاق فى جهاد الكافرين الظالمين فيكون المـراد به الإنفاق فـى الجهاد وليس أداء الـزكاة، ويكون الأمـر بالإنفاق أمـرا بمندوب وليس أمرا بفريضة أو بواجب.

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

أولا: الأســـــماء :

١ ـ **الحي** : هو من به «حياة» ، وهى القوى التى تفيـض عنها جميع القوى الحيوانية ومنها قوة الحسّ والحركة، ولما كان ممتنعا اتصافه بصفات أصحاب الأجسام فإنه بقى أن نقول إن الإخبار عنه تعالى بالحيِّ إنما يتعلق بصفة موجودة فيه تعالى حقيقة غير معلومة حقيقتها وغير ممكن استكناه كنهها لأنها فوق العلم والقدرة، أو إنها إنما تعنى الكمال الذى لا يقبل العدم ولا يرد عليه، وهو ما يتفرد به المولى جل وعلا. وهو اسم من أسماء الله الحسنى .

٢ ـ **القيـوم** : صيغة مبـالغة للقيـام، معناه القـائم بذاتـه، والقائم بتـدبير خلقـه وحفظهم، والقائم على كل نفس بما كسبت فيجازيها بعملها.

٣ ـ **السِّنـة** : هى النعـاس الذى يـدخل على العيـن قبل أن يدخـل على النفـس والقلب فيصير نـوما، وقيل هى ريـح النوم بمعنى الفتور الـذى يسبقه ولا يفقد الإنسان خـلاله الإدراك والعقل.

ثانيا : التفســـير:

قوله تعالى «الله لا إلٰـه إلا هو» جملة مكونة من مبتدأ وخبر تتضمن معنـى نفى الألوهية عن غيره جلَّ وعلا وإثباتها له وحده. فهى إيمـان وتوحيد، وإثبات بأنه وحده المستحق أن يُعبد، ونفى الألـوهية عن غيره قـد يعنى نفى الألوهيـة الحقة عما اتخـذه الناس آلهة بزعمهـم، فلا يكون النفى متعلقا بوجودها فى الواقع وإنما متعلقا بحقيقة كونها آلهة. وقد يعنى نفى التعدد إطلاقا أو نفى الوجـود، وقد يكون الصحيح أن نفى الألوهية عما اتخـذ الناس آلهة إنما يعنى ردَّ ما اتخذه الناس آلهة إلى طبيعتها وكونها مخلـوقات أو مصنوعات وهو ما يفيد انتفاء وجود آلهة أخرى غير الله سبحانه وتعالى، وإثبات الألـوهية له وحده بما لا يختلف عن اعتبار القول نافيا وجود آلهة أخرى سواه سبحانه وتعالى.

وبعد إيراد مبـدأ الإيمان بالله وتوحيده بما يفيـد استحقاقه وحده أن يعبد جـاء الإخبار عنه تعالى بخبر آخر هو أنه «الحى القيوم» وحياتـه تعالى ليست كحياة الناس وسائر الحيوان فهى حقيقة لكننا لا نـدرك حقيقتها ولا نعرف ماهيتها، وقـد يكون ذلك من المتشابـه الذى لا يُدرك

تأويله ولا معنـاه، وإن كان معلوما أن مقتضى كمـاله تعالى يفيـد مخالفة حياته تعـالى لحياة البشر حيث لا يـرد على حياته العـدم ولا الفناء وهما مصير حيـاة كل حى سواه. والإخبـار عنه تعالى بأنه القيوم مفاده أنه القائم بتدبير خلقه منذ البدء وعلى تدبير أمورهم وحفظهم. ثم جاء قوله تعالى «لا تأخذه سنة ولا نوم» بيانـا لبعض صفات اسم «القيوم» لأنه لما كان الاسم يفيد مداومـة القيام على شئـون الخلق فيستوجـب عدم الإغفال عنهـم لحظة وكان النـوم يتضمن معنى الإغفال فقد جـاء نفى تعرضه تعالى لمـا يتعرض له المخلوق من النوم يستعيـد به قوته وطاقته، فنفى قوله تعالى أنه تعالى يرد عليه الفتور الذى يعترى الأعين قبل أن يتمكن النوم من المخلوق أو يـدخل قلبه، وجـاء ذكر «السنة» قبل ذكـر النوم لأنها تسبقـه، فكأن وصفه تعـالى نفسه بأنه «لا تأخذه سنة ولا نوم» بيان وشرح لكـونه القيوم، وجاء الإخبار عنه بأنه الحى والقيوم معرَّفين بالألف واللام لبيان أنه تعالى وحده الحى القيوم.

ثم جاء قوله تعالـى «له ما فى السموات وما فى الأرض» تقريرا بموجبـات القيومية وتدليلا علـى وحدانيتـه، لأنه وحـده مـالك السمـاوات والأرض، ولـم يتخـذ النـاس معبودا إلا مـن السـماء أو مـن الأرض فقـد عبدوا الكـواكـب والنجوم والأشخـاص والتمـاثيل والأحجـار وجميعها ممـا هو فـى السماء أو فـى الأرض فهم مملـوكون لـه تعالـى مما مفـاده أنه وحـده المستحق العبادة.

وبعد أن أقام نص الآية الدليل على استحقاقه وحده العبادة لكونه وحده الإله، فإنه تعالى أوضح خطل عقيدة من عبـدوا غيره بمظنة أنهم يشفعون لهم عند الله أو يقربـونهم إليه زلفى، فقال تعالى «مـن ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه» جاءت العبارة فـى صيغة استفهام استنكارى لبيان أن أحدا من الخلق ملائكة كانوا أم أنبياء وصـديقين لا يملكون أن يسألوه جل شأنه فى أمر أحـد إلا إذا أذن لهم أن يشفعوا، فـدل على أنه صاحـب الأمر، وأن غيره لا يملـك شيئا إلا بإذنه.

وبعد أن أوضح سبحانه وتعالى خطل عقيدة من تقرب إلى غير الله طمعا فى شفاعته لديه تعالى فإنـه ذكر أنه تعالى يحيط بجميـع ما بين أيدى كل ما هـو كائن فى السماوات والأرض وكل عاقل وبكل ما هو خلفهم، وبأنهم لا يعلمون من العلم شيئا إلا ما شاء تعالى أن يعلمهم

إياه. «يعلم ما بين أيـديهم وما خلفهم، ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بمـا شاء»، والمراد بما بين أيديهم هو أمور الدنيا، والمراد بما هـو خلفهم هو أمور الآخرة،فيكون المعنى أن جميع من هو فى السمـاوات والأرض بمن فيهم الملائكة والأنبياء وعمـوم العاقلين معلومة أمـورهم فى الدنيا والآخرة لله سبحانه وتعالى، وأنهم ـ بمـن علت مراتبهم ـ لا يعلمون من العلم الذى هو جميعه له تعالى «من علمه» إلا ما شاءت إرادته تعالى أن يُعلمهم إياه.

ثم يجىء قوله تعـالى «وسع كرسيه السماوات والأرض» فى معرض بيـان شىء من عظمته سبحانه وتعالى فوصف كرسيه بأنـه يحيط بالسماوات السبع والأرضين السبع، وفى الحديث أنه ﷺ قـال: «ما السمـاوات السبع والأرضـون السبع عنـد الكرسـى إلا كحلقة ملقـاة بأرض فلاة»، وحال الكرسى من العرش كحال السماوات والأرضين من الكرسى.

وقد رأى البعـض أن فى ذكر الكـرسى استعارة تمثيليـة وأنه ليس ثمـة كرسى ولا قـاعد ولا قعود.

وأكثر السلـف الصالح علـى أن قوله تعـالى عـن الكرسى مـن قبيل «المتشابـه» الذى لا يحيطون به علما، وفوضوا علمه لله تعالى .

وقد استتبع ذكره تعالى السماوات والأرض اللتين يحيط بهما كرسيُّه بيان أنهما على ما هو ظاهـر من أمرهمـا من العظمة لا يثقل عليـه تعالى حفظهمـا «ولا يؤوده حفظهما». ثـم تختتم الآية بقوله تعالى «وهـو العلى العظيم» لبيانه أنه تعالى المتعالى عـن مظاهر النقص التى هى صفات كل معبـود سواه وأنه تعالـى المتعالى عن الأشبـاه والأنداد، العظيم الذى يكـون كل شىء إليه حقيرا ولا قياس .

وهذه الآية «آيـة الكرسى» قيل إنها أعظم آيـات القرآن العظيم، وأن ثوابها لقارئهـا عاجل وآجل، إذا قرأها قارئ فـى زوايا بيته الأربع كان له فى كل جانب منـه حارس، ينتفى بها وجود الشيطان مـن زوايا البيـت، وأن من قرأهـا دبر كـل صلاة كـان كمن قاتـل مع أنبيـاء الله فقتل شهيدا، وأنها لا تقرأ فى بيت إلا خرج منه الشيطان .



لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

أولا: الأســـــماء :

١ ـ الإكراه : هو الإجبار على أمر، قد يكون بفعل مادى يباشر على المكرَه فيؤثر على إرادته مثل استخدام العنف معه وقد يكون معنويا بترهيبه من إلحاق أذى به أو بمن يحب أو يعول .

٢ ـ الرشـــد: مصدر الفعل «رشد ـ يرشد» يتمثل فى فعل يؤدى إلى صلاح الأمر والنجاة.

٣ ـ الغـــى : نقيض الرشد، ويتمثل فى فعل يـؤدى إلى الهلاك، فهو يختلف عن «الجهل» الذى يكون متعلقا بالعقيدة دون الأفعال .

٤ ـ الطاغوت: هو الشيطان، وقيل «هو الكاهن» وهو ضعيف .

٥ ـ العروة الوثقى: المراد بها ـ فى معنى الآية ـ الإيمان، وقيل: القرآن .

٦ ـ الانفصام : فى قوله تعالى « لاانفصام لها» هو الانقطاع .

ثانيا : التفســـــير:

قوله تعالى «لا إكراه فى الدين» يقبل أن تكـون جملته خبرية فيكون المعنى أنه غير متصور أن يكون فى الدين إكراه، لأنه لما كان الإكراه متضمنا معنى إجبار شخص ما على قبول شىء رغما عن إرادته لأنه لا يـرى فيه خيرا، وكان الدين الحق هو جماع الخيـر فإنه لا يكون متصورا أن يكون اعتناق ديـن الحق بالإجبار. ويقبل القول كـذلك أن يكون المراد بالإخبـار هو النهى عن إجبار الكافـرين على الإيمان، وحينئذ يكون حكم الآيـة منسوخا بقوله تعالـى ـ فى سورة التوبـة ـ «يا أيها النبـى جاهد الكفار والمنـافقين واغلظ عليهـم». وقيل إن النهى تعلق بـأهل الكتاب الذين قبلوا أداء الجـزية. وقد يكون الصحيح أن قوله تعالـى هذا يعنى أن مبنى الأمر

فى شأن الدين والملة هو تمكين الناس من الاختيار ليكون الابتلاء والامتحان فيكون معنى قوله تعالى هذا هو ذات معنى قوله تعالى فى سورة الكهف «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر».

ثم يجيء قوله تعالى «قد تبين الرشد من الغيِّ» معللا الحكم السابق إيراده وهو اعتبار أمر الدين والملة من أمور ما يختار فيه العبد فيكون له اختياره أو يكون عليه. وعلة الحكم هى ظهور طريق النجاة والظفر بالخير وظهور طريق الهلاك، ولما كانت النجاة رهنا بعدم إطاعة الشيطان الذى يأمر بما فيه هلاك الإنسان وبالإيمان بالله وطاعته، فقد عبَّرت الآية عمَّن سلك طريق النجاة بأنه من كفر بالشيطان وآمن بالله.

«فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله». وجاء بيان حاله بتشبيهه بحال من كاد أن يسقط فى حفرة وألقى إليه حبل قوى لا ينقطع فأمسك به فأنجاه من السقوط.

لأن المرء يكون لدى امتحان الله له بالاختيار بينه وبين الشيطان مثل من هو على شفا حفرة يكاد أن يسقط فيها، ويكون دين الحق وهو الإسلام الذى عرض عليه مثل الحبل القوى الذى لا ينقطع، إذا أمسك به فآمن بالإسلام كان قد سلك سبيل النجاة، وإن أعرض عنه كان قد اختار الهلكة.

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

أولا: الأسـماء :

١ ـ **الولى** : هو من تولى أمر آخر يحتاج الولاية والرعاية ورعاه، ومنه جاء «ولى القاصر»، وهو أيضا الحميم، والمحب.

٢ ـ **الظلمات** : المراد بها ـ فى معنى الآية ـ ظلامات الكفر والمعاصى تشبيها للكفر بعدم الإبصار الذى يكون فى الظلمة .

٣ ـ **النــور**: المراد به ـ فى معنى الآية ـ نور الإيمان والطاعة .

ثانيا : التفســـير:

بعد أن بيـن سبحانه وتعالـى ما يكون من المـرء من اختيار طـريق الدين الحـق أو اختيار طريق الهلاك مطيعا الشيطان جاء قوله تعالى «الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور» ومعناه أنه تعـالى يحب الذين أحاط علمه الأزلـى أنهم يؤمنون ويرعاهـم، وأنه يوفقهم إلى طريق الإيمان وهو نجاة لهم يختارونه فيكون منهـم ـ إن كانوا غير مؤمنين ـ أن يهتدوا إلى الإيمان فيُسلموا ليَسْلموا فيكون منهم أنهم يخرجون مــن ظلامات الكفر إلى نور الإيمان. فإن كانوا مؤمنيــن فيكون منه تعالى أنه يمنعهـم عن دخول ظلامات العصيان بمنعهـم عن مقارفة المعاصى.

وبعد ذلك ـ وفى مجال المقارنة بين المؤمنين والكافرين ـ جاء قوله تعالى «والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت» ومعنـاه أن الذين أحاط علمه تعالى أنهم يختـارون الكفر يكون أولياؤهم وأصحابهم الـذين يهدونهم إلـى العمى هم الشياطيـن وسائر المضلين، يكون فعلهـم معهم أنهم يخرجونهم من النور إلى الظلمات، فهم يخرجونهم من الإيمان الفطرى الذى جُبل عليه الناس جميعـا، ومن نور البينـات التى جاء بهـا المرسلـون وتضمنتها الكتب والصحـف إلى ظلمات الكفر والانغماس فى الغى والضلال.

وهو ما يكون تـارة بالوساوس وتارة بالإغراء بمتـع الحياة. ثم يجىء قوله تعالـى ـ فى ختام الآية ـ «أولئـك أصحاب النار، هم فيهـا خالدون» وفيه الإشارة إلـى الكافرين وإلـى أوليائهم معا، والبيان بأنهم أصحاب النار الذين يلازمونها أبدا فلا يخرجون منها، ويفهـــم من القـــول ـ بمفهـوم المخالفة ـ أن حـال المؤمنين يكون بخـلاف حال الكافـرين وأوليائهم بمعنـى أنه يكون الخلود فى الجنة، وإن اكتفى فى الإشعار بـالمعنى بإيضاح أن الله هو وليهم ليبين الفرق بين من كان الله وليه وبين من كان وليه الشيطان .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٢٥٨﴾

أولا: الأسـماء والأعلام :

١ ـ **الذى حاج إبراهيم :** هو النمرود ـ على الراجح ـ اسم علم، ابن كوش، كان عاملا على سواد العراق وما اتصل به لبيوراسب من ملوك الفرس وهو المسمى «الضحاك»، بمعنى أنه كان واليا على العراق من قبل ملك فارس الذى كان يحكمها. وقيل إن النمرود كان قد استقل بحكم العراق بعد أن قوى أمره فيها فتمرد على بيوراسب واقتطعها وحكمها.

٢ ـ **الملك :** المراد به ولاية الحكم .

ثانيا : التفسـير :

بعد حديثه تعالى فى الآية السابقة عن الكافرين أولياء الشيطان، وعن المؤمنين الذين وليهم الله مقارنا بين حال هؤلاء وهؤلاء جاء قوله تعالى فى الآية راويا قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ـ ووليه الله ـ مع «النمرود» الذى تولَّى الشيطان فتولاه.

وقوله تعالى ـ فى مبتدأ الآية ـ «ألم تر» معناه «هل علمت»، وفى التعبير معنى التعجب مما يُخبر به، والمراد بالذى حاج إبراهيم فى ربه هو النمرود بن كوش حاكم العراق من قبل بيوراسب ملك فارس وقتذاك، جادل إبراهيم عليه الصلاة والسلام فى أمر الربوبية بعد خروج إبراهيم من النار، وقيل إن النمرود ادَّعى الألوهية وطلب من الناس عبادته، وإذا صحَّ هذا تعيَّن القول بأنه كان بعد استقلاله بحكم العراق لأنه مما ينافى ما يدَّعيه أن يكون عاملا لبيوراسب .

وقوله تعالـى «أن آتاه الله الملك» معناه أنه كان منـه ما كان من المحاجة مـع إبرهيم عليه الصلاة والسـلام لمَّا أن آتـاه الله الملك، أى بسبب مـا شعربـه من القوة والـزهو نتيجـة إيتائه الملك، ويحتمل المعنـى أن يكون أنه وقع منـه ما وقع من المجادلـة فى أمر الربـوبية بعد أن آتاه الله الملك بدلا من أن يشكر الله على ذلك.

ويستدل من الآيـة على أن الكافر يُوتى المُلـك ليكون امتحانا للعباد، أو إنه يـؤتَى الحكم بالغلبة والقوة.

ووقائع ما كان بين إبراهيـم والنمرود ترويها الآية بدءا من قوله تعالِـى «إذْ قال إبراهيم رَبِّيَ الذى يحيى ويميت» يستشف من عبارة النص أن قـول إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان ردًّا على سؤال النمرود له عن ربِّه من هو، فأجـاب إبراهيم عليه الصلاة والسلام بأن ربَّه هو الذى يحيى ويميت، بمعنى أنه الوحيد الذى يقدر علـى الإحياء بالخلق من العدم، وتوفى الآجال، والإحياء بـالبعث والنشـور، ويذكـر نص الآية ردَّ النمـرود على هـذا قولـه «أنا أحيـى وأميت» فانحرف بحديث إبراهيم عليه الصلاة والسلام أو قـوله عن معناه ليظهر قدرته فى التحكم فى الخلق بأمره أن يُقتل ممن يحكـم من يأمر بقتله ـ وبأمره بإطلاق سـراح من قضى عليه بالقتل أو بالعفو عنه، فيكون ـ بزعمه ـ قد أمات من أراد موته وأحيا من أراد أن يحيى.

وقيل إنه ـ دعما لزعمه ـ أتى برجلين قتل أحدهما وأطلق الآخر.

ثم تستطرد الآيـة فتذكر أن إبراهيم عليه الصـلاة والسلام قال للنمرود مُحاجًّـا إن الله يأتى بالشمس من المشرق ـ ذاكـرا حقيقة مشاهدة معروفة ـ وتحداه ـ إن كان يـدعى الألوهية ـ أن يخالف إرادة الله فيأتـى بالشمس من جهة المغرب «قـال إبراهيم فإن الله يأتى بـالشمس من المشرق فأت بها من المغرب»، ثم تقصُّ الآية علينا ما كان عليه انتهاء المحاجة بقوله تعالى «فبهت الذى كفـر» بمعنى أنه عند سمـاعه ما تحداه بـه إبراهيم عليه الصـلاة والسلام وعلم عجزه عن الإيتاء بما تحدَّاه أن يأتى به استولت عليه الحجة وتحيّر وانقطع حديثه.

والذى نراه فى شأن مـا كان بين إبراهيم عليه الصلاة والسلام وبيـن النمرود فى المحاجة، أن حجة إبـراهيم عليه الصـلاة والسلام علـى النمرود المتمثلة فـى كونه تعـالى الـذى يحيى

ويميت، وتحدِّيه المضمر فى القول النمرود أن يفعل مثل ذلك تدليلا على ربوبيته أو قدرته، أن هذه الحجة أقوى كثيرا من حجته الثانية المتمثلة فى قوله إن الله يأتى بالشمس من المشرق، وتحديه النمرود أن يأتى بها من المغرب إثباتا لربوبيته، وذلك لأنه كان فى مقدور النمرود أن يطلب منه أن يسأل ربه أن يفعل ذلك لإثبات ربوبيته؛ ولذلك يصعب تصور انتقال إبراهيم عليه الصلاة والسلام من حجة ظاهرة قوية إلى حجة مردود عليها.

والرأى عندنا أنه لما شاهد إبراهيم عليه الصلاة والسلام وعاين التفاف النمرود حول معنى الإحياء والإماتة فى قوله فجعل من الإبقاء على حياة الحيِّ وعدم إماتته إحياءً، مع أنه ليس فيه إحياءٌ وإنما استمرار لحالة الحياة التى أوجدها الله الخالق فكان منه الإحياء، مما مفاده الإقرار بأن المحيى هو الله وحده، فإنه أراد أن يثبت للنمرود هذه الحقيقة وأنه ليس محييا أحدا وإنما تاركا حياة أنشأها الله، فقال له إن الله يأتى بالشمس من المشرق، بما يعنى أنه تعالى خلقها لتكون فى الدنيا على هذا النحو، وهذا شبيه بخلقه تعالى الحياة فى المخلوق، وأنه كما يكون فى استمرار طلوع الشمس من مشرقها إطلاق إرادة خالقها فى تسييرها لا يدحضه إلا أن يخرج بها أحد عن هذا فيطلعها من المغرب، فكذلك الحال فى شأن الكائنات الحية أو جنس الحيوان عموما، أنشأه الله وخلق فيه الحياة، فيكون فى استمراره حيا إلى أن يقضى أجله إطلاق لإرادة خالقه فيه ولا يكون فيه معنى الإحياء بعدم إماتته.

فلا يكون ما ذكره إبراهيم عليه الصلاة والسلام من أمر الشمس وتحديه النمرود أن يأتى بها من المغرب حجة ثانية بل يكون إيضاحا لذات حجته أثبت به فساد مجادلة النمرود بغير الحق.

وتنتهى الآية بقوله تعالى والله لا يهدى القوم الظالمين» وهو قول له معناه العام بمعنى أنه تعالى لا يهدى الذين اختاروا أن يكون الشيطان وليهم إلى الحق الذى يهدى إليه أولياءه، وله معناه الخاص فى شأن القصة التى روت الآية أحداثها، فيكون ذكرا لتطبيق لحكمه تعالى المذكور، وهو أنه لما كان النمرود ممَّن اتخذوا الشيطان وليا فإنه لم يهتد إلى الحق ليكون من الظالمين الكافرين.

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

أولا: الأســـماء والأعلام :

١ ـ **الذى مرَّ على القرية :** قيل إنه «عزير»، وهو ـ فى العهد القديم الذى بين أيدينا ـ عزرا، اسم علم أعجمى، وقيل هو «حزقيا»، وقيل إرميا، وقيل إنه الخضر ـ وهو مستبعد لبعد الزمن إلا بالنظر إلى أنه لايزال حيا من زمن موسى إلى الآن ـ وقيل هو إشعيا .

٢ ـ **القريـــة :** فى قوله تعالى «كالذى مرَّ على قرية» قيل إنها القرية التى خرج منها الألوف حذر الموت، وقيل هى قرية دير سابراباد أو دير سلماباذ، وقيل هى دير هرقل، وقيل هى بيت المقدس، وهو ما نرجحه لأن أحداث التاريخ تزكيه على ما سيأتى بيانه فى التفسير.

٣ ـ **العـــروش:** فى قوله تعالى «وهى خاوية على عروشها» جمع «عريش» وهو كل ما يتهيأ ليظل، وهو سقف البيت، ومنه قولهم «عريش الدالية» .

ثانيا : التفســـير :

بعد أن قصّ المولى سبحانه وتعالى ما كان من أمر النمرود ـــ وقد أشار إليه بقوله تعالى

«ألم تر» ــ مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإنه ــ فى الآية ـ ذكر قصة آخر أشار إليه بقوله تعالى «أوكالذى مرَّعلى قرية وهى خاوية على عروشها» فكأنه تعالى قال: «هل رأيت كالذى حاج إبراهيم فى ربه، أو: هل رأيت كالذى مرّعلى قرية. والذى مرَّعلى القرية هو ـ على الغالب ـ عزير، أو عزرا، والقرية التى مرَّعليها هى ـ فى رأينا ـ بيت المقدس على ما يبين من أحداث التاريخ وما جاء فى العهد القديم، وذلك أن صدقيا كان قد تولى حكم بنى إسرائيل وعصى الله ولم يحترم إرميا النبى، كما تمرَّد على نبوخذنصر ملك بابل، وانحرف عن عبادة الله، كما أن جميع كهنة بنى إسرائيل والشعب أكثروا من الخيانة ومن ارتكاب جميع أنواع الرجس ـ على ما هو ثابت فى كتابهم الذى بين أيدينا اليوم، بسفر أخبار الأيام الثانى ـ ونجسوا بيت الرب، فأرسل الله إليهم رسله ينهونهم عن ذلك فكانوا يستهزئون بهم، ويرفضون كلامه تعالى، فأصعد عليهم الله ملك الكلدانيين فأمعن فيهم القتل واستولى على كل ما فى بيت الرب وأحرق البيت وهدم سوربيت المقدس المدينة أو القرية وأحرق جميع مبانيها فتهدمت، وفى فترة دمار بيت المقدس مرَّعليها عزير أو عزرا وشاهدها «وهى خاوية على عروشها» بمعنى خالية من أهلها، بيوتها فارغة من ساكنيها،فكان منه أنه «قال أنَّى يحيى هذه الله بعد موتها» وهو قول متلهف متشوق إلى أن يعمر الله القرية وإن كان مقرونا باليأس من حدوث ذلك لأنه يراه بعيد التحقق. وعندئذ كان من الله معه أنه أماته مائة عام ثم أحياه «فأماته الله مائة عام ثم بعثه» وفى خلال موته منع عنه تعالى وحش سباع الحيوان وجوارح الطير وأعين الناظرين. وفى هذه الأثناء كان «كورش» قد تولى ملك فارس فأوحى إليه الله أن يعمر بيت المقدس ويبنى فيها بيتا لعبادة الله فجرى تعمير بيت المقدس وأعيد إلى بيت الله كل ما أخذه منه وزيادة، فأعيدت الحياة إلى مدينة بيت المقدس أو إلى القرية بإعادة تعميرها بسكناها، وبعد ذلك كان منه تعالى أن أحيا عزيرا «ثم بعثه» وكان ذلك بعد تمام مائة عام من يوم أماته، ليعلم أن القادر على إحياء نفس الإنسان بعد موته قادر على أن يعيد الحياة إلى القرية الخربة.

وتذكر الآية أنه بعد بعث الحياة فى عزير أنه سئل عن المدة التى نام خلالها «قال كم لبثت» سأله تعالى ـ ويبعد أن يكون قد كلمه لأنه ليس ممن كلمهم الله تعالى ـ فيتصور أن

يكون قد سمع هاتفا من السماء، أو أن يكون جبريل عليه السلام هو السائل. كما تذكر الإجابة رد العزير «قال لبثت يـوما أو بعض يوم» وذلك أنه كان قد مات غـدوة يوم، وأحيى قبل غروب الشمس، فلما بعث وسمع سـؤال ربه أجاب بأنه نام يوما، فلما ظهر لـه أثر الشمس لم تغرب خشى أن يكـون كاذبا فقال «أو بعـض يوم»، فقيل لـه «بل لبثت مـائة عام»، وحالئذ نظـر إلى القرية فوجدها عـامرة بساكنيها ومبانيها، وأشجارها، فكان كأنـه أُشهد على آيات الله وعُلِّم ما لم يكن يعلم فقيل له «فـانظر إلى طعامك وشرابك لـم يتسنَّه» بمعنى فـانظر إلى ما كان معك من الطعـام ومن الشراب قبل مـائة عام تشاهد أنـه لم يجر عليـه فعل السنين فلم يفسـد ولم يأسَنْ الشراب،وقيل إن ما كان معه من الطعام هو التين كان يجمعه من شجيراته قبل أن يميته الله.

وبعد ذلك أراه الله آية أخرى هى إشهاده حماره حيا فـى مربطه كهيئة يوم أن تركه قبل مائة عام، وقيل إشهاده عظام الحمـار وهى تتصل بعضها بالبعض ثم وهى تلتحـم، ثم وقد كساها الله لحما إلـى أن جاء ملك نفـخ فيه الـروح فقام الحمار ينهـق. وقيل إنه إنمـا شاهـد تجمع عظامـه هو ثم اكتسـاءها لحما ثـم نفخ الـروح فيه. لأن الله كان قـد أحيى عينيه ليـرى ورأسه ليفهم، وأن الحمار كان حيا كيوم أن قيَّده بمربطه قبل مائة عام.

ثم إنه تعالى أوضح له علـة ما كان من فعله تعالى معه ـ إلى جانب إقنـاعه بقدرته تعالى على إحيـاء الموتى وإعادة العمـران إلى القرية الخـربة ـ كما يبيـن من واو العطف فى قـوله تعالـى «ولنجعلك آية للناس» بمعنـى ولتكون دليلا للناس علـى قدرة الله تعالى علـى إحياء الموتى متى عـرفوا حقيقة قصتك، وقد كان ذلـك بعد أن دخل قريته ولم يجـد فيها ممن كان يعرفه إلا عجوزا قد عميت سألها عن خبر العزير فـأنبأته أنه خرج من مائة عام ولم يعد، فذكر لها أنه عُزيـر فقالت إنه كان مستجاب الدعـوة وطلبت منه دليلا أن يدعو الله يـرد إليها بصرها ففعل ورد الله إليها بصـرها فتعرفت عليـه وأنبأت الناس خبره وأتـت به قومه وأهلـه من الأبناء والأحفاد وتحققـت ابنته وكانت قـد أسنَّت من أنه أبـوها من علامـة كانت بين كتفيـه، وعلم الناس قصته فكان لهم آية على قدرة الله تعالى .

ويجىء قوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «فلمـا تبين له قال أعلم أن الله كل شىء قدير» مفيدا معنى أنه لما تأكد لعـزير مما حل به وعلم وشاهد أن قدرة الله لا حدود لهـا مما أقر معه بخطأ

معتقده السابق حين يئس من إعادة الحياة إلى القرية الخربة، فإنه تيقَّن من قدرة الله على كل شيء، وأقر بذلك بلسانه وأعلنه بقوله «أعلم أن الله على كل شيء قدير».

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾

أولا: الأســـماء :

١ ـ **الطيـــر** : اسم جمـع، وقيل جمع طـائر، وقيل إنه مصدر مـن الفعل «طار ــ يطير»، والطيور الأربعة المروى عنها فى الآية هى الغرنـوق. والطاووس، والديك. والحمامة، وقيل لم يكن فيها الغرنوق وإنما الغراب .

٢ ـ **الجبل** : هو المرتفع من الأرض فوق الهضبة، وقيـل هو كل مرتفع من الأرض. وقيل إن الجبال المذكورة فى الآية كانت أربعة، وقيل كانت سبعة، وقيل إنها كانت عشرة

ثانيا : التفســـير :

الآية تروى ما كان من حديث إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع ربه، وهو حديث يتصور أن يكون قد بدأه إبراهيـم عليه الصلاة والسلام لتكون معه حجة يحتج بهـا ودليل يستدل به على قدرة الله على إحياء المـوتى فى محاجاته النمـرود، وقد يكون استهدف منه التيقن أنـه تعالى سيعيده إلى الحياة إذا قتله النمرود. والمشاهد من مخـاطبة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ربه بقولـه «ربِّ» أنه قـد عمدإلـى استعطافه والتلطـف إليه قبـل أن يدعـوه لطلبه، ويجـىء قول إبراهيم أو طلبـه «كيف تحيى الموتـى» سؤالا عن كيفية إحيائه تعـالى الموتى، كمـا يبين من

حرف الاستفهام «كيـف» وهو ما يعنى تيقن إبراهيـم عليه الصلاة والسلام من قـدرة ربه على إحياء الموتى، وسؤاله عن كيفية هذا الإحياء طلبـا للمعرفة أو للعلم. وقوله تعالى لإبراهيم «أو لـم تؤمن» بمعنـى ألم تعلم وتؤمن بأننى قـادر على إحياء الموتى لتسألنى ذلـك جاء ـ منظورا مع ما كـان من إجابة طلـب إبراهيم ـ لبيـان أنه لا يضرُّ ـ مـع الإيمان ـ طلب العلـم؛ ولذلك كانت إجابة إبراهيم عليه الصلاة والسلام على السؤال هى «بلى ولكن ليطمئن قلبى»، بمعنى أنه مؤمن بقدرة الله على إحياء الموتى، لكنه يـريد أن يسكن قلبه بمعرفته وسيلة إحياء الموتى أو كيفية حدوث ذلك، أو أن يهدأ قلبه ـ إذا ما شاهـد كيفية إحياء الموتى ـ بأن الله سيحييه إذا قتله النمرود .

ثم إنه كانت إجابة الله طلب إبراهيم عليه الصـلاة والسلام بقوله تعالى له «فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك» بمعنـى خذ أربعة أنواع من الطيور وقطعهن أو قطِّع كـلا منها أجزاء وهى مائلة نحوك أو على القرب منك.

والمستفاد مـن هذا أنـه يلزم عـن تقطيع جثمـان الحيوان التقطيـع الذى تنتفـى به البنيـة حدوث المـوت، لأن قولـه تعالى «فصـرهن إليـك» بمعنى «قطعهن» إنمـا كان لبيـان مـوت الطير.

ثم أتبع ذلك قوله تعالى «ثم اجعل علـى كل جبل منهن جزءا»، وذلك ليكون تفرق أجزاء بنية كل طير من الطيور على جبال متعددة متباعـدة ليكون جمعها من بعد أبعد أثرا فى إظهار قدرته تعالى. وقوله تعالى «ثم ادعهن يأتينك سعيا» مفاده ثلاثة أمور:

أولها: أنه قد تحقق ذلـك بالفعل إذْ دعا إبراهيم عليه الصلاة والسلام الطيـر فأجابه الطير وحضر إليه ساعيا.

وثانيهـا : أن دعوة إبراهيـم عليه الصلاة والسـلام الطير إليه إنمـا كان من بعـد أن أحيا الله الطيور.

والثالث: أن إبراهيم عليـه الصلاة والسلام قد شاهد وعاين اجتمـاع أجزاء أو أوصال كل طير من الطيـور إلى باقى أجـزائه وأوصاله ثم سعـى الأوصال المجتمعة إليه فتـرد إليها الروح

لديـه، أو أنه شاهـدها وهى تجتمـع أوصالها بعضهـا إلى بعض، ثـم والروح ترد إليهـا فيكون سعيها إليه.

ويجىء قوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «واعلـم أن الله عزيز حكيم» هو تذكير لإبراهيم عليه الصلاة والسلام بما هو حق من أنه تعالى هـو الغالب على أمره، الصادرة أحكامه عن حكمة تتحقق بهـا مصالح الـدنيا والديـن وإن عزفهمها علـى الخلق لأنها فـوق ما تدركـه العقول والأبصار.

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾

أولا: الأســـــماء :

١ ـ **الحبة :** اسم جنس لكل ما يزرع ليقتات بـه، وواحدة الحبِّ، ويسمى بذر ما لا يقتات به من البقول بالحب وواحدته ـ حِبَّة بكسر الحاء.

٢ ـ **السنابل :** جمع سنبلة، وهى الهيئة التى تظهر بها بذور ما يقتات به ـ فى النبات بعد أن يكتمل نموه ـ مجتمعة ومتفردة

ثانيا : التفســـير :

قوله تعالى ـ فى الآية ـ حث على الجهاد فى سبيل الله، تعلَّق بالجهاد بالأموال، تمثل فيه الحث على الجهاد فى تشبيهـه تعالى المنفقين فى سبيل الله بالزراع، ومثـل الصدقة بالبذرة، وأوضح أنه يكـون للمنفق صدقة فـى سبيل الله سبعمائة حسنة هـى حاصل ضرب سبعـة فى مائة «كمثل حبَّة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلـة مائة حبة» وقوله تعالى «والله يضاعف لمن يشاء» يفيد ظاهره أن المضـاعفة إلى سبعمائة تكون لمن يشاء له المضـاعفة، والذى نراه أننا

نميل إلى الرأى القائل أنها المضاعفة فوق السبعمائة لأن صدر الآية أثبت **أن الصدقة تكون** لباذلها سبعمائة حسنة. فبقى أن تكون المضاعفة فوق ذلك هى المقصودة **بقوله تعالى «والله يضاعف لمن يشاء»** وهو ما يكون بالنظر إلى حال المنفق من الصلاح، **ودرجة الغنى،** وخلوص النية لله فى الإنفاق وغيره مما هو إليه تعالى أمر تقديره. ثم يجىء **قوله تعالى - فى** ختام الآية - «والله واسع عليم» لبيان أنه لا يضيق عليه أن يوسع على المنفق فى **الجهاد فى** سبيله، وأنه بحكم علمه بحال المنفق ونيته من الإنفاق يضاعف **له بقدر حاله الذى** يعلمه.

ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾

أولا: الأسمـــاء:

١ - **المن**: هو ذكر النعمة التى أنعم بها على من أنفقت عليه أو بذلت له على سبيل التقريع، كأن يقول «ها أنذا قد أحسنت إليك وأصلحت حالك»، أو أن يتحدث بإحسانه إلى أن يبلغ حديثه من أخذ الصدقة فيؤذيه هذا .

٢ - **الأذى**: هو عموم ما يتأذى منه الإنسان، والمراد به - فى معنى الآية - هو السب والتشكى.

ثانيا : التفسـيـر :

وردت الآية بعد سابقتها التى حثَّت على الإنفاق فى سبيل الله لتبين كيفية الإنفاق الذى يثاب به فاعله ومؤديه وماهيته، فجاء قوله تعالى «الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله» مبينا أن الإنفاق المقصود هو الذى يبتغى به المنفق وجه الله وليس غيره، فلا يعد من قبيل الإنفاق الذى يثاب به ما ينفقه المنفق ليقال إنه كريم أو إنه صالح أو منفق. وهذا الشرط يعتبر وجوده

لازما قبل الإنفاق وخلال وقته. وبعد هذا جاء قوله تعالى بذكر شرط آخر هو عدم إتباع الإنفاق بمنٍّ أو بأذى «ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى» فلا يمنون على من أعطوا الصدقة، ولا يتسببون فى إيذائه بحديثهم عما أحسنوا به إليه أو ما تصدقوا به عليه. والامتناع عن المن والأذى يعتبر شرطا لاحقا على حدوث الإنفاق أو التصدق .

ويجيء بيان أنه بتوافر هذين الشرطين يكون للمنفق أجره الذى وعد الله به المنفقين فى سبيله بقوله تعالى «لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» فيكون المعنى أنه يكون لمن أنفق مبتغيا وجه الله ولم يُتبع إنفاقه بالمن على من أحسن إليه ولا بإيذائه فإنه يكون له أجره الذى وعد الله به المحسنين ولا يكون له أن يخشى عدم قبول صدقته ولا أن يحزن لضياع فائدة ما أنفق من المال لأنه يجازى به ما يفضله ويزيد عليه، فإن كان من الصالحين كانت له الجنة حيث لا خوف ولا حزن.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾

أولا: الأسماء :

١ ـ القول المعروف : المراد به ـ فى الآية ـ القول الطيب الذى يرد به الشخص من سأله صدقة، مثل قول أحدهم «يرزقك الله».

٢ ـ المغفرة : هى الغفران والعفو عن الإساءة أو السيئة وعدم المؤاخذة بها. والمراد بها ـ فى معنى الآية ـ ستر سؤال طالب الصدقة و إلحافه فى طلبها.

ثانيا : التفسير :

بعد أن ذكر سبحانه وتعالى فى الآية السابقة شروط الإنفاق فى سبيل الله الذى يؤجر عليه المنفق من الله، فإنه تعالى ـ فى هذه الآية ـ أورد علة اشتراطه أن يكون التصدق دون منٍّ من المتصدق ولا إيذاء، جاء بيانها فى جملة تقريرية مفادها أن عدم إعطاء السائل صدقة أو

عطية إذا ما صاحبه قول طيب ممن سئل الصدقة فلم يعطهاوأتبعه عدم إذاعته ما كان من أمر السائل وستره مـا وقع منه من إلحاف فى السـؤال، يكون عند الله وعند الناس خيـرا من إعطاء السائل صدقة ثم الإساءة إليه بقول أو بفعل.

وتختتم الآيـة بقوله تعالـى «والله غنى حليم» لإفادة أنـه تعالى إنما أمـر بالصدقة لصـالح المتصدق لكونه تعالـى غنيا عن عبادة الخلق إياه ومنها أداء العبادات المـالية أو الصدقات. ولأنه تعالى قادر أن يغنى الفقير فلا يسأل الغنى الصدقة، والقول كذلك يفيد أنه تعالى بحكم كونه حليمـا يؤجل عقاب مـن آذى من تصدَّق عليه بصـدقة، لعلَّه يتوب فيغفـر له، وإلا كان مستحقا عقابه وإن أُخِّر له .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

أولا: الأســــماء :

١ ـ الرئـــــاء : فى قوله تعـالى «رئاء الناس» هو المراءاة، وهو «الـرياء» وهو أداء العمل على أعين الناس ليشاهدوه، ويلحق به نشره بأية وسيلة ليعلم به من لم يشهده.

٢ ـ الصفــوان : هو الحجر الكبير الأملس، وهو اسم جنس .

٣ ـ الوابــل : هو المطر الشديد الوقع .

٤ ـ الصلــد: هو الأملـس الذى ليـس عليه شىء، والمـراد «الذى ليـس عليه شـىء من التراب».

ثانيا : التفســـير :

من بعد ذكره تعالى شروط الصدقة التى يؤجر عليها باذلها، وإيضاحه أنه يفضلها عدم إعطاء الصدقة مع الكلمة الطيبة والمغفرة فإنه تعالى أورد فى هذه الآية حكما مفاده أن الصدقة يبطلها أن يقع من معطيها منٌّ أو أذى، على ما يستفاد من قوله تعالى «لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى» والمتصور أن يكون الإبطال مُذْهبًا ثوابها من البدء فلا يكون لمعطيها ثواب.

فيمحى ما كان له من ثواب عليها من وقت إعطائها، والمتصور أيضا أن يكون الإبطال من وقت حدوث المنِّ أو وقوع الأذى، فيكون لمعطى الصدقة ثوابها عن الفترة من وقت إعطائها إلى حين وقوع المنِّ أو الأذى، لكنه لا يربو ولا يضاعف بعد ذلك.

ويؤيد أن الإبطال يمحو كل ثواب للصدقة من وقت إعطائها ـ فى رأينا أمران :

أولهما : أنه جاء التعبير عن أثر المنِّ أو الأذى «بالإبطال» ومعلوم أن «البطلان» يلحق العمل فيعدم أثره منذ البداية وأنه بهذا يختلف عن «الفسخ».

والثانى : أنه تعالى شبه أثر المنِّ والأذى فى الصدقة بفعل من أنفق ماله مع اجتماع شرطين هما: الإنفاق رئاء الناس، والكفر «كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر» لأنه معلوم أن الكافر يؤجر على الحسنة يؤديها فى حياته الدنيا خيرا يؤتيه الله إياه، وأنه لما كان قد حصل على أجره متمثلا فى مشاهدة الخلق له حال إنفاقه وعلمهم بهذا وتحدثهم به، فإنه لا يعود له أجرٌ يثاب به فى الحياة الدنيا.

ويؤيد هذا النظر أيضا المثال الذى ضربه الله فى الآية للكافر الذى ينفق ماله رئاء الناس والذى شبَّه به المؤمن الذى أبطل صدقته بالمن والأذى فأصبح حاله مثل حاله. والذى تم التمثيل به هو الحجر الكبير الأملس، الذى كان عليه تراب ثم هطل عليه المطر الشديد، فيكون حاله من بعد انقطاع المطر أنه يكون حجرا أملس ليس عليه من التراب شىء، فيكون حاله أنه كأن لم يكن عليه شىء من الأصل، ويكون المعنى أنه إذا كان لمن أنفق ماله من المؤمنين ثواب فعله فإنه بالمن والأذى يذهب ما كان له من الأجر كما يذهب المطر الشديد

ما كان على الحجر الأملس من تراب قبل هطوله؛ ولذلك جاء قوله تعالى من بعد «لا يقدرون على شيء مما كسبوا» بمعنى أنهم لا يجدون أثـرا لما اكتسبوه من قبل من الحسنات، والقول يشمل الكـافريـن المشبَّه بهم الـذين ينفقـون أموالهم رئاء النـاس، ويشمل المشبهيـن وهم المؤمنون الذين يتبعون صدقاتهم بالمن والأذى.

وقولـه تعالى ــ فى ختام الآيـة ـ «والله لا يهدى القـوم الكافريـن» يتضمن نهيا عـن إبطال الصدقات بالمن والأذى حتـى لا يكون بين المؤمن والكافر وجه شبه، وإعـلاما للمؤمنين بأن من صفات الكافرين المراءاة والمن والأذى، وأنهم بذلك لا يهتدون إلى ما فيه الخير، والمراد من الإعلام الانتهاء عما نهى عنه سبحانه وتعالى المؤمنين .

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾

أولا: الأســــماء :

١ ـ **الربــوة:** هى المكـان المرتفع ارتفاعـا يسيرا من الأرض مع كثـافة ترابه أو خصـوبة أرضه مما يُحسن به نباته على المعروف.

٢ ـ **الطـــلّ:** فى قوله تعالى «فإن لم يصبها وابلٌ فطلٌّ» هو الرذاذ من المطر أو الليِّن منه.

ثانيا : التفســـير :

بعد أن مثَّل الله تعـالى قِصة نفقة المؤمن المتبـوعة بالمن والأذى بنفقة الكافـر الذى ينفق رئاء الناس، وشبه نفقة الاثنين بـالحجر الأملس يصيبه المطر الشديد فلا يتـرك عليه شيئا مما كان قد علـق عليه من التراب، فإنـه ـ فى مجال المقارنـة بنفقة المؤمن الذى لـم يبتغ بنفقته سوى وجـه الله ـ تحدث عـن هذه بأن وصفهـا بأنهـا تنفق ابتغاء مـرضاة الله وتثبيتا مـن نفس

معطيها «ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم» بمعنى أنها صدقة ينفقها المؤمن مبتغيا بها وجهه تعالى، فهو يخفيها ولا يظهرها، ينفقها وهو ثابت على إيمانه، أو متثبتا من أن من يعطيه إياها مستحقٌّ لها محتاج، ثم مثَّل سبحانه وتعالى أثر هذه الصدقة بالبستان القائم على ربوة من الأرض وليس به أنهار تجرى «كمثل جنة بربوة». وأظهر حال المشبَّه به ليُعلم أثر نفقة المؤمن المبذولة ابتغاء مرضاته تعالى وتثبيتا من النفس بقوله تعالى «أصابها وابلٌ فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطلٌّ» والمعنى أن هذه الجنة المشبَّه بها إذا أصابها وابلٌ من المطر فإنها ستؤتى ثمارها ضعفين، فإذا لم يصبها هذا المطر فإنه مصيبها رذاذه أو اللين منه ليكون شأنه فيها الإثمار وإن قلَّ عما يكون عليه إثمارها إذا كان الوابل. ومفاد هذا المثل أنه فى جميع الأحوال سيكون للمؤمن الذى ينفق فى سبيل الله وتثبيتا من نفسه الحسنات يثاب بها على فعله وإن كانت مضاعفتها ستكون بإرادته تعالى وبسائر أحوال معطى الصدقة .

وقوله تعالى ــ فى ختام الآية ـ «والله بما تعملون بصير» أريد به الترغيب فى التصدق المستهدف وجه الله تثبيتا من النفس، والترهيب من التصدق رئاء الناس، لأنه لما كان تعالى بصيرا فإنه يكون عالما بالنوايا فيجازى بها .

أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾

أولا: الأسـماء :

١ ـ الجنـة: فى قوله تعالى «أن تكون له جنة» هى البستان الممتلىء بالأشجار الملتفة

المتكاثفة.

٢ ـ **النخيل**: اسم جمع، والمفرد نخلة وهى النبتة المعـروفة التى تثمر البلح على المعروف منه فى بلاد العرب ومنـه ما يثمر غيره مثل جوز الهند، ومنه ما لا يثمر ثمـرا يقتات به. وقيل هو جمع الجمع بمعنى أنه جمـع «نخل» ذُكر فى الآية ولم تذكر ثماره لأنـه ينتفع به كله بخشبه، وبسعفه، وبليفه فضلا عن ثماره.

٣ ـ **الأعنـاب**: جمع العنبة وهى ثمرة الكرم، ذكرت دون ذكـر الكرمة لأنه لا ينتفع من الكرم بغير ثماره.

٤ ـ **الثمرات**: جمع ثمرة وهـى ما تخرج الأشجار مما يـؤكل. والمراد بها فـى الآية ثمرات جميـع أنواع الأشجـار المثمرة وليـس فقـط ثمار النخيـل والكـرم بدلالـة قولـه تعـالى «كـل الثمرات»، وقيل إن المراد بها عموم المنافع.

٥ ـ **الكبر**: هو كبر السِّنِّ، والمراد بـه ـ فى الآية ـ بلوغ الشيخوخة وحلـول الضعف بالشيخ على ما يبين من التعبير عنه بأنه مصاب يصاب «وأصابه الكبر».

٦ ـ **ضعفاء** : جمع ضعيف، والمراد باللفظ ـ فى الآية ـ العاجزون عن كسب عيشهم .

٧ ـ **الإعصار**: هو الريح الشديدة التى تلتف حول نفسها كما يلتف الثوب المعصور.

٨ ـ **نـــار**: المراد بها فى الآية نار السموم .

ثانيا : التفســـير :

الآية الشريفة نزلت فى بيان هول ما يلقـاه من أمضى عمره فى طاعة الله حتى إذا ما اقترب أجله واحتاج إلـى رضاء ربه عليه عمل بعمل الشيطـان فخسر صالح أعماله. والمـراد بالبيان التمثيل لحال من أدى الصدقات ثم أبطلها بالمن والأذى.

فقوله تعالى «أيـود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجـرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات» جاء وصفا تشبيها لحال مـن أدَّى الصدقات، مثله مثل من امتلك جنة مليئة بالأشجـار المثمرة من كل الأنواع ومنها النخيـل والكرم جاء ذكرهما ذكـرا للخاص بعد

العام، وقوله تعالى «تجرى من تحتها الأنهار» وهـى التى تغذى الأشجار وتمدها بحاجتها من الماء لتوالى إثمارهـا، جاء لبيان مضاعفة حسنات الصدقات، ولذلـك وصف صاحب الجنة بأن لـه فيها من كـل الثمرات كما يكون للمتصـدق ثواب الدنيـا وثواب الآخرة. والسـؤال فى مبتدأ الآية بقوله تعالى «أيحب أحدكم» هو سؤال استنكارى بمعنى «أنه لا يحب أحدكم».

وتمام وصف حال صاحـب الجنة المشبه به هو أنه أصابه الكبر ولـه ذرية ضعفاء «وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء» بمعنى أنه أصابه وهـن الشيخوخة وضعفها فلم يعد قادرا على كسب عيشه، وأن له ذريـة ضعفاء لا يقدرون على كسب عيشهم فضـلا عن ترتيب معاشـه و إعالته. والمعنى أن حال من أمضى حياته فى فعل الخيـر حتى إذا ما اقترب أجله وأصبح أشد حاجة إلى القرب من الله ونيل رضائه فعمل بعمل الشيطـان فحبط عمله يكون شبيها بحال صاحب الجنة الذى أصـابه الكبر وله ذريـة ضعفاء. وأن حال من ينفق فـى الصدقات ثم يُتبـع إنفاقه بالمن والأذى شبيه بحال هذا وذاك لأنه أذهب حسناته وأحبط أعماله الطيبة بالمن والأذى.

ويكمل وصف صاحب الجنة المشبه به حال من عمل الخير حتى إذا ما قرب أجله عمل بعمل الشيطـان، وحال من ينفق فـى الصدقات ثم يتبـع ما ينفق بـالمن والأذى بقوله تعـالى «فأصابها إعصار فيـه نار فاحترقت» بمعنى أن إعصارا تلبست فيه السمـوم ضرب جنة الرجل المشبه به فاحترقت.

فيكون احتراق جنته وقد حدث فى الوقت الذى هو أشد ما فيه حاجة إلى ثمرها لوهنه وهن الشيخوخـة وعدم قـدرته علـى كسب عيشه، مـع وجود أبنـاء ضعفاء لـه لا يستطيعون تـدبير معاشه ولا كسب عيشهم، وحدوث ذلك جميعه من بعـد رغد من العيش وبلهنية مع ثمار جنة وارفة كانت تؤتـى أكلها، يكون احتراق جنته هذه هو الخسران المبيـن. والتشبيه مفاده أن من ينفق فى الصـدقات ثم يتبع الصـدقة بالمن والأذى يُبطـل ويحبط عمله مثل صـاحب الجنة التى احترقت وهو فـى أشد الاحتياج إليها. والآية بما حوت من التشبيـه والتمثيل قمة البلاغة فى إيصال المعنى إلى الأفهام. وربما لذلك جاء قولـه تعالى ـ فى ختامها ـ «كذلك يبين الله لكم الآيـات لعلكم تتفكرون» بمعنـى أنه علـى هذا النحو يـذكر الله لكم الأحكـام والوصـايا والعظات لتفهموها ولتعملوا بها .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾

التفســـير :

الآية ـ كما يبدو من عبارتها وألفاظها ـ متعلقة بالزكاة وبصدقة التطوع، تبين بعض ما تكون فيه الزكاة وماهية الإنفاق وشروطه، والخطاب فيها موجه إلى عموم المسلمين «يا أيها الذين آمنوا»، وتبيِّن أن الإنفاق فى الصدقات على العموم يجب أن يكون من طيب الكسب من المال ومن الذهب والفضة والطعام وغيره، وكذا من جميع ما اكتسب المرء وحاز مما تخرجه الأرض من ثمار الزرع ومن المعادن والبترول ونحوه «أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض»، وقوله تعالى «ومما أخرجنا لكم من الأرض» يبين تعلق الحكم بالزكاة المفروضة لأنها تكون فى الثمار وفى كل ما يخرج من الأرض.

ومن بعد الأمر بأن يكون الانفاق من طيب الكسب وما خرج من الأرض جاء تأكيد الأمر بنهى عن أن يكون الإنفاق فى الصدقات وفى الزكاة من ردىء الكسب أو ردىء ما تخرج الأرض لمزيد من البيان والإيضاح لما يجب أن يكون منه الإنفاق «ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون» بمعنى «ولا تقصدوا إلى الخبيث من الكسب ومما تخرج الأرض تخرجون منه صدقاتكم وزكاتكم».

ثم يذكر سبحانه وتعالى المؤمنين بأن حالهم أنهم فى عقود معاوضتهم لا يقبلون أخذ الخبيث أو الردىء ممن يتعاملون معه إلا تساهلا منهم على ما يبين من التعبير عنه بالإغماض «ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه» والمعنى المراد أنه مادمتم لا تقبلون فى معاملاتكم قبول الردىء من الأشياء إلا تساهلا منكم فلا يكن إنفاقكم فى الصدقات من هذا الردىء.

ثم يجىء قوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «واعلموا أن الله غنى حميد» إعلاما للمخاطبين

بنص الآية بأنـه تعالى غنى عن نفقاتهـم التى أمروا بها لينتفعوا هم بهـا، والقول بهذا المعنى يتضمن حثًّا للمؤمنيـن أن يكون الإنفاق من طيبات الكسب، وإخبارا بـأنه يستحق أن يحمد على قبول صدقاتهم الطيبة لأنه تعالى يثيب بها.

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾

أولا: الأسـماء :

١ ـ **الفحشاء** : المراد بها ـ فى الآية ـ البخل، وهو خصلة فحشاء.

٢ ـ **الفضل** : فى قوله تعالى «والله يعدكم مغفرة منه وفضلا» المراد به خير الدنيا .

ثانيا: التفسـير :

بعد أمره تعالى المؤمنين بالإنفاق من طيبات الرزق وتجنب الإنفاق من خبيثه فإنه تعالى ـ فى الآية ـ أوضح للمؤمنين سبب مـراودة النفس صاحبها أن يكون الإنفـاق من الخبيث دون الطيب، فبيَّن أن الشيطان يوسوس للمنفق فيوهمه بأنه إن أنفق من خير ماله فإنه يفتقر أو تكون له الخسارة، وجاء التعبير عن إيحاء الشيطان بأنه وعـد مع أن الوعد يكون بالخير لأن تخويفه المنفق من الإنفـاق ظهر كأن المراد بـه خيره. وبعد بيان ما تكـون عليه وسوسة الشيطـان فإنه تعالى أخبـر عن أن الشيطان يتبع وسوستـه بأمره بالبخـل وهو فحشاء. وقيل إنه الأمـر بالبخل وبغيره من سائر المعاصى «الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء».

وبعد ذلك يورد تعـالى ـ فى مجال المقارنـة ـ ما يكون عليه وعد الله المنفقيـن من خير ما كسبـوا» «والله يعدكـم مغفرة منـه وفضـلا». والمعنى أنـه تعـالى يعـد المنفق مـن خيـر مالـه «المغفرة» وهى خيـر الآخرة لأنها غفران الـذنب، نسبت إليه تعـالى بقوله «مغفـرة منه» لبيان عظمتها لكونها منه تعالى فلا يقاس بها وعد الشيطان. كما أنه تعالى يعده «الفضـل» وهو خير الدنيا، فيكون وعـد الله بخير الآخرة والأولى. والمستفاد من البيان هو وجـوب الانحياز إلى أمر

الله وطاعته وردُّ وسوسة الشيطان.

ثم يجيء قوله تعالى - فى ختام الآية - «والله واسع عليم» مفيدا أنه واسع الرحمة وأنه عليم بما ينفق المنفقون من خير ما لهم فيثيبهم به بواسع رحمته، والقول فى مجموعه حث على الطاعة فى الإنفاق.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾

أولا: الأســـماء :

١ - **الحكمة** : قيل إنها القرآن العظيم معرفته ناسخه ومنسوخه، محكمه ومتشابهه، وقيل إنه الفقه فيه. وقيل إن المراد بها النُّبوة، وقيل إنها نور يفرق بين الإلهام والوسواس. وقد يكون المراد بها - فى معنى الآية - معنى خاص هو المعرفة التامة بما ورد من أحكام الإنفاق فى سبيل الله.

ثانيا: التفســـير :

قوله تعالى فى مبتدأ الآية «يؤتى الحكمة من يشاء» هو إخبار عن واقع أنه تعالى يمنح العلم النافع وأعلاه العلم بالقرآن والتفقه فيه لمن تشاء إرادته أن ينعم عليه بهذا، وقوله تعالى «ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا» وقد ورد فى شكل جملة اعتراضية، هو تقرير لحقٍّ لا يرد عليه شك مفاده أن من ينعم عليه الله بنعمة العلم النافع يكون قد أوتى خير الدنيا والآخرة. لأنه به تحيا القلوب فى الدنيا ويغفر للعلماء فى الآخرة على ما هو مستفاد من قول رسول الله ﷺ «يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يميز العلماء فيقول: يا معشر العلماء إنى لم أضع فيكم علمى لأعذبكم، اذهبوا فقد غفرت لكم».

وقوله تعالى - فى ختام الآية - «وما يذَّكر إلا أولوا الألباب» هو حث على الحرص على العلم على ما هو مستفاد من عبارة الآية من أنه لا يتعظ بما ورد فى القرآن ولا يتفكر فى الآيات

إلا أصحاب العقول المتبصرة غير المتَّبعة سبيل الهوى، وهى عقول الذين أوتوا الحكمة. لأنه تعالى لا ينعم بنعمة العلم إلا على من حرص عليه.

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾

أولا: الأسـماء :

١ ـ النـذر : هو عقد القلب على شيء قد يكون دفع مال أو أداء عمل، والتزامه على وجه مخصوص ـ أصله الخوف لأن الناذر ينذر نذره خوفا من وقوع مكروه، أو لخوفه من التقصير فى الوفاء به.

ثانيا: التفسـير :

الآية فى شأن الإنفاق وقُرن به النذور لأنها قد تكون إنفاقا لمال أو أداء لعمل، وقوله تعالى «وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه» معناه أنه تعالى يعلم حال النفقات التى ينفقها باذلوها من حيث هى قليلة أم كثيرة، أعطيت سرا أم أعطيت فى علانية، كما يعلم الباعث عليها وفيم أنفقت، بمعنى أنه تعالى يعلم ما إذا كان قد ابتغى بها المنفق وجهه تعالى أم أنه ابتغى أن يقال إنه متصدق، كما أنه يعلم ما إذا كانت قد أنفقت فى طاعة أم أنفقت فى معصية، فهو تعالى يعلم كل ما تعلق بها وتعلقت به ويجازى به. وكذلك فإنه تعالى يعلم كل ما تعلق بالنذور من شئون وأحوال تعلقت بها فيجازى به.

ويرتبط معنى عبارة صدر الآية بقوله تعالى ـ فى ختامها ـ «وما للظالمين من أنصار» لأن المراد بالظالمين أنهم المنحرفون بالصدقة والنذر عن معانيهما، فهم المنفقون رئاء الناس والمتبعون ما أنفقوا منًّا وأذى، والمنفقون من خبيث أموالهم، والمنفقون فى باطل مثل استجلاب شهود الزور. كذلك فإنهم الناذرون فى معصية، والممتنعون عن الوفاء بما نذروا. ولأن معنى أنهم ليس لهم أنصار هو أنهم يعدمون وجود ناصر لهم ينصرهم من بأس الله، أو

شفيع يشفع لهم لديـه، أو مدافع يدفع عنهم جزاء أفعالهم. فيكون وجـه الارتباط أنه لما كان المولـى سبحانه وتعـالى عليما بنفقـاتكم ونذوركم ومجـازيكم بها، وكـان شأن من خـالف أحكامه تعـالى فى شأن النفقـات والنذور أنه لن يجد لـه من دون الله نصيرا يدفـع عنه الجزاء فإنه يكون صالح العباد فى التزام أحكام النفقات والنذور وعدم مخالفتها .

إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾

التفســـير :

الآية الشـريفة فى بيـان المفاضلة بين الصـدقة المعلنة وبيـن الصدقة المخفـاة ردًا على سؤال النـاس «يارسول الله أصـدقة السر أفضـل أم صدقـة العلانية؟» وقـوله تعالـى «إن تبدوا الصدقات فنعما هى» معنـاه أنه لاضير فى أن تكون الصدقة معلنة وأنهـا تكون خيرا فى ذاتها وخيرا لمعطيهـا. وقيل إن المراد بـالصدقات المعلنـة هى صدقـات التطوع، وقيل هـى عموم الصدقات، وقيل هـى الصدقات المفروضة أى الزكـاة. والذى نراه أنه لما كانـت الزكاة عبادة مفروضـة شأنها شـأن الصلاة والصوم، فضـلا عن كونهـا من أركان الإسـلام فإنه لاضيـر من إعلانها، بل أنه قد يكـون فى إعلانها حثًا على التمثل بالمنفق شريطـة ألا يكون مستهدفا من علانية الإنفاق المراءاة، وأن يبتغى وجه الله.

وقوله تعالى «وإن تخفوها وتؤتوها الفقـراء فهو خير لكم» مفاده أن إعطاء الصدقات خفية يفضل إعطـاءها فى العلن. والـذى نراه أن المراد بالصـدقات فى قولـه تعالى هذا صـدقات التطوع، واشتـرط النص القـرآنى أن يكون الإعطـاء للفقراء، وقد يعنـى القول ضـرورة التحرى عمَّن تكون له الصدقة لأنه لما كانت الصدقـة مخفاة فإن من الأغنياء من قد يسألها ويقبلها. فيكون المعنى أن إعطاء صدقات التطوع سرًا للفقراء يفضل إعطاءها إياهم فى العلن. ومعنى

أنه الأفضل أنه تكون عليه المثوبة أكثر منها حال الإعطاء في العلن. ويجيء قوله تعالى ـ في بيان فضل الصدقة المخفاة ـ «ويكفر عنكم من سيئاتكم» مبينا أنه تعالى يكفِّر بهذه الصدقات المخفاة بعض سيئات المتصدق، فهو لا يكفر بها جميع السيئات لأنه يكون منها ما يتعلق بحقوق العباد فلا يُعفى عنها إلا بعفو العبد صاحب الحق فيها.

وقوله تعالى ـ في ختام الآية ـ «والله بما تعلمون خبير» تضمن حثًّا على إنفاق الصدقات في السرِّ والعلن وإن اختلفا في الأفضلية فهو مجازٍ بكل منهما المتصدق بحكم علمه بما أنفق وبمبتغاه من الإنفاق.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾

االتفسير :

قيل إن الآية الشريفة نزلت في شأن التصدق على غير من يدين بالإسلام فأجازته، إذ كان ﷺ قد نهى عن التصدق على غير من آمن ليكون في ذلك دافع على الإيمان ـ في قول ـ وقيل إن بعض المؤمنين حجبوا الصدقة عن أقاربهم الذين لم يؤمنوا فنزلت الآية لبيان جواز إعطاء الصدقة لغير المسلم، والمراد بالصدقة في هذا المقام صدقة التطوع أو النفل وليس الصدقة المفروضة أو الزكاة .

والخطاب في الآية موجه إلى رسول الله ﷺ، يخبره المولى تعالى أنه غير مكلف بهداية الناس جميعا فهو بشير ونذير، غير مطلوب منه سوى إبلاغ الرسالة والتبشير والإنذار، أما أمر الهداية فهو بيد الله تعالى، يهدى إلى الحق من شاءت إرادته تعالى أن يكون من المهتدين. ويتضمن القول في ثناياه النهى عن منع صدقة التطوع عن غير المسلم.

وقولـه تعالـى «وما تنفقـوا من خيـر فلأنفسكـم» مفاده أن فـائدة إنفاقكـم فى أوجـه البر المتعددة تعود عليكم أيها المنفقون فى الدنيا والآخرة. والقول بهذا المعنى يتضمن حثًّا على أن يكون الإنفاق من الطيب وأن يبتغى به وجه الله، غير متبوع بمنٍّ ولا أذى.

وبعد ذلك يجىء قوله تعالى «وما تنفقـون إلا ابتغاء وجه الله» جاء فى صيغة النفى والمراد به النهـى عن أن يكون المبتغـى من الإنفـاق شىء آخر خـلاف وجه الله تعالـى. ويتبعه قـوله تعالـى «وما تنفقوا مـن خير يـوفَّ أليكم وأنت لا تظلمـون» حثًّا على الإنفـاق بإظهـار أن هذا الإنفاق لن يُنقص من أمـوال المنفق شيئا و إنما سيخلفه فى الدنيا خيـرا وفى الآخرة حسنات وتكفيرا عن بعض السيئات، وتأكد وعده تعالى المؤمنين بذلك بإثباته أنهم لن يظلموا بمعنى أنهم لن يُنقصوا مما وعدهم الله به شيئا.

لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾

أولا: الأســـماء :

١ ـ **الذين أحصـروا فى سبيل الله** : هم كـل من حبسه الجهـاد فى سبيل الله أو العمـل فى سبيله عن السعى عن كسب الرزق أو أصابته الجروح فى الجهاد بما عاقه عن التكسب، وقيل هم قوم كانوا يسكنون سقيفة المسجد يشتغلون بالتفقه فى الدين ويخرجون مجاهدين فى كل سرية يبعثها رسول الله ﷺ

٢ ـ **الجـــاهل** : المراد به ـ فى الآية ـ الذى لا يعرف حال الذين أحصروا فى سبيل الله .

٣ ـ **التعفف** : هو ترك الشىء والإعراض عنه مع القدرة على أخذه.

٤ ـ **الإلحـــاف**: فى قوله تعالـى «لا يسألون الناس إلحافا» هو الإلحاح سمـى إلحافا لأنه

يغطى القلب كما يغطى اللحاف جسد الملتحف به.

ثانيا: التفسـيـر :

الآية الشريفة فى بيان وجه إنفاق صدقة التطوع أو فى ذكر مثال لما يجب أن تكون فيه أو فى مثله. بدأت بقوله تعالى «للفقراء» بمعنى «أعطوا صدقاتكم للفقراء» أو اعمدوا إلى الفقراء تعطوهم الصدقات، ثم جاء بيان هؤلاء الفقراء أو التعريف بهم بقوله تعالى «الذين أحصروا فى سبيل الله» بمعنى الذين منعهم الجهاد فى سبيل الله وكل ما شابهه من أن يسعوا على أرزاقهم، ومنه الذين أصابهم الجهاد بأمراض أو عاهات حالت بينهم وبين السعى على الرزق بما خلفته فيهم من عجز، وهذا ما يفصح عنه وصفهم بأنهم «لا يستطيعون ضربا فى الأرض».

ومن لطف الله بالمؤمنين أن أشار إليهم بما يهديهم إلى معرفة هؤلاء الفقراء فقال تعالى «يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا» فأوضح أنهم يتعففون عن سؤال الناس وذكر تعالى أن الجاهل يحسبهم أغنياء استنتاجا من عدم السؤال وعدم الإلحاح فيه، وأنه من الممكن تحرى حقيقة أمرهم باستخبار هيئاتهم وما تدل عليه. وفى القول حث الناس على تجنب أن يوصفوا بالجهل فيكون منهم التحرى عن هؤلاء الفقراء والنظر إلى هيئاتهم وما يكونون عليه فى المظهر والصحة والملبس، حتى إذا ما عرفوهم تصدقوا عليهم.

ثم يجىء ختام الآية قوله تعالى «وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم» ترغيبا فى الإنفاق عامة وفى الإنفاق على الفقراء المذكورين على وجه الخصوص، لأنه تعالى بحكم علمه بما يكون من المنفق سيكون منه له نعم الجزاء من خير الدنيا والآخرة .

ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

التفســـير :

نص الآية إخبار عن حال من أطاعوا أمره تعـالى بالإنفاق فى سبيله وعلى الفقراء، ورد فى صدر الآية تعيين من ورد بـالنص حكمهم فقال تعالى «الذين ينفقون أمـوالهم بالليل والنهار سرًّا وعـلانية» فهم الذيـن ينفقون أموالهم فـى جميع الأوقات ويكـون إنفاقهم فى السـر كما يكون فـى العلن. وقـد ورد ذكر الليـل قبل النهـار لأن فيه الخفـاء ومعناه وفـى النهار الـوضوح والظهور، وهذا يوافق ذكر السرِّ قبل العلن للتدليل على أن نفقة السرِّ تفضل نفقة العلن.

أما ما يكون مـن أمر هؤلاء المنفقين فيفصح عنه قـوله تعالى «فلهم أجرهـم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنـون» والقول يبيِّن أن لهم أجرا، ذكر أنه عند ربهـم ليكون اليقين بأنه مبذول لهـم، وأخفيت مـاهية هـذا الأجر لكـونه مخبوءا عنـد ربهم مـع الثقة بـأنه كـل الخير وجماعه؛ ولذلك قال تعالى «ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» لأن من وعده الله حسن الجزاء ظاهره والمخفى يكون له أن يأمن مكر الله فلا يحزن .

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾

أولا: الأســـماء :

١ ـ الربـا : هو ـ فى الأصل ـ الزيادة، والمراد به ربـا النسيئة. وهو ما كان عليـه العـرب ـ ولايزال مـوجودا ـ إذ كان أحدهم يقـرض الآخر مالا على أن يردَّه بمضى الحـول، فإذا مضى

الحول قال له «ادفع أو اربِ» بمعنى زد على المبلغ، ومنه ربا المضاعفة وكان مبلغ القرض يؤدى ومعه مثله بمضى الحول وفيه جاء قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة».

٢ ـ الذى يتخبطه الشيطان: المراد به ـ فى الآية ـ المصروع أى من أصابه الصرع.

٣ ـ المسُّ : هو الجنون، أصله اللمس باليد فقيل إن الشيطان قد يمس الآدمى فيحدث به الجنون، وقيل إن ذلك كان معتقد العرب .

ثانيا: التفسير :

الآية الشريفة نزلت فى تحريم الربا وبيان الجزاء عليه. فجاء قوله تعالى «الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس» مبينا الهيئة التى يبعث عليها آكل الربا فى الآخرة، فهو يقوم يوم القيامة متخبطا فى ذاته تخبط المصروع فى الحياة الدنيا بفعل الشيطان الذى يفقد سيطرة عقله على حركاته وأفعاله فيكون شأنه شأن المجنون حال إصابته بالصرع أو يكون جنونه مؤقتا متقطعا. وخروج آكل الربا على هذه الحال يوم القيامة يكون علامة له يعرف بها. وقوله تعالى هذا يثبت ـ على الراجح ـ أنه يكون من الشيطان فى الحياة الدنيا مسُّ البعض فيصيبهم الصرع أو ما يشبهه، وهو ما يكون الاحتراز منه والتحصن بتلاوة كتاب الله والتمسك بطاعته لقوله تعالى «إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين».

ثم يذكر سبحانه وتعالى حجة آكلى الربا التى يبدونها ليستحلوه وهى قولهم «إنما البيع مثل الربا» بمعنى أن الربا يشبه البيع لأنه فى كل منهما يكون الكسب بمعنى حصول كل من البائع والمقرض على عوض يزيد على ما أداه فى المبيع أو ما أقرضه من مال، وهى حجة داحضة أثبت سبحانه وتعالى فسادها وفساد الاحتجاج بها بقوله تعالى «وأحلَّ الله البيع وحرَّم الربا»، ومعلوم أن الحكم الشرعى الثابت بدليل شرعى لا يكون ثمة مجال للبحث فى علته فتكون طاعته واجبة ويكون تاركه مستحقا العقاب. وذلك فضلا عما هو معروف من أن من علل تحريم الربا أن فيه عدوانا على الإخوَّة الإنسانية المأمور بالمحافظة عليها لأن فيه استغلالا لحاجة الإنسان وضعفه بالزيادة عليه.

وبعد ذكره تعالـى حكم تحريم الربا فإن ذكـر حكم من سمع حكمه تعالى فـى شأن الربا فاتعظ به وامتنع عن أكله، فذكر سبحانه وتعالى أنه يكون له ما حصل عليه من الربا قبل نزول حكمه تعـالى فى الربـا فلا يؤخـذ منه ما دفع إليـه منه، ليكون أمـره بعد ذلك موكـولا إلى الله يعصمه مـن العود إليه ومن ضعـف النفس، وذلك على مـا يبين من قـوله تعالى «فمـن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله».

ثم إنـه تعالى لما كـان عالما بالقلـوب وبأحوال الخلـق وأن منهم من قد يعيـد الشيطان إغواءه فيعود لما نهى عنه آكلا الربا، فقد جاء قوله تعالى «ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالـدون» فبيَّن تعالى أنه يكـون جزاء من أقلع عن الربـا ثم عاد إليه أنه يكـون فى عداد الكافرين فيكون أمـره فى الآخرة ملازمة النار والخلود فيها. وقيـل إن المعنى المستفاد من هذا أن مرتكـب الكبيرة يعتبر كـافرا وأنه يخلد فـى النار لا يخرج منهـا. وقد يكون الصحيـح أنه لا يكفى ارتكاب الكبيرة و إنما أن يكون ارتكابها مصحوبا باستحلالها لأنه يكون متضمنا معنى إنكار النص القرآنـى الذى يحرمها فيكون كفرا. وقـد يكون المراد هو مرتكب الكبيـرة من بعد توبته عنها فيعود إليهـا مع الإصرار على مقارفتها فيكون فعله من قبيـل الكفر بما يستوجب أن يكون جزاؤه جزاء الكافر وهو النار يخلد فيها.

يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾

التفســـير :

الآية الشريفة نزلـت فى بيان الفرق بين الربا وفى ظاهره الكسـب، وبين إعطاء الصدقات وظاهره نقص المال والافتقـار، وهذا الظاهر هو ما يعتقده الجهلاء، فجاء قـوله تعالى «يمحق الله الربا ويربى الصدقـات» مبينا أنه تعالى يهلك ما دخل من الربا علـى المال ويذهب بركة المال ذاته، وأنه تعـالى يزيد مال المتصدق بمالـه والمراد بذلك ما يكون منه تعـالى مع آكل الربا ومع المتصدق فـى الحياة الدنيا دون إغفال حساب الآخرة بتعذيـب آكل الربا والمغفرة

للمتصدق. وقد اختص سبحانه وتعالى آكل الربا بذكر مآله فى الآخرة تضمينا لا تصريحا بقوله تعالى «والله لايحب كل كفار أثيم» والكَفار هو معتاد الكفر المتمسك به، ويقبل أن يكون وصفا لمن انتهى عن أكل الربا ثم عاد إليه مع الإصرار، وكونه أثيما أو وصفه بذلك إنما هو لاستمرائه فعل الإثم المنهى عنه، وحكمه أن الله لايحبه، ولمن لايحبه الله الخلود فى النار لأنه يحرم شفاعة الشافعين .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾

التفسير:

الآية الشريفة فى بيان مآل المؤمنين، أوضح فيه أن المقصودين بالنص الموعودين بالوعد الذى تضمنته الآية هم الذين آمنوا فهم المسلمون المؤمنون بكل ما وجب الإيمان به، فهم المؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله، الذين شهدوا شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . وهم الذين قرنوا إيمانهم بعمل صالحات الأعمال، وحرصوا على إقام الصلاة وأداء الزكاة، جاء ذكرهما مع دخولها فى عموم الأعمال الصالحة لأهميتهما ولكونهما دعامتين أساسيتين للدين.

أما مصيرهم فهو ما جاء فيه قوله تعالى « لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» بمعنى أنه يكون لهم ثواب كل طاعة وكل عبادة وكل نفقة وثواب كل انتهاء عما نهى عنه سبحانه وتعالى، ووصف الأجر بأنه عند ربهم مفاده اليقين بحصولهم عليه لأنه عند من لا تضيع عنده الحقوق. وهؤلاء لايخشى عليهم من شىء فى الدنيا والآخرة لأنهم أصحاب الحظ الموفور بما كان منهم من الإيمان المقرون بالعمل؛ ولذلك يكون لهم إلا يحزنوا فى الآخرة لأن مصيرهم يكون الجنة وليس فيها حزن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾

التفســـير:

الآية الشريفة نزلت فيمن كان له عند الناس ربا عن مال أعطاه إياه قبل تحريم الربا وكان مزمعا أن يحصل عليه مع علمه بتحريمه، ربما بدعوى دخوله فى معنى « ما سلف» فجاء قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا» بمعنى يا أيها المؤمنون، ودل على أن المراد به المؤمنون فى الظاهر قوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ « إن كنتم مؤمنين » فدل على أنهم لا يوصفون بالإيمان حقيقة إلا إذا فعلوا المأمور به فى الآية ، وهو اتقاء عذاب الله، ووسيلته المذكورة فى النص ان يتركوا ما لهم من ربا عند الناس فلا يأخذوه.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾

أولا : الأســـماء:

حرب: فى قوله « فأذنوا بحرب» ليس المراد بها الحرب المعروفة على الحقيقة، وإنما الإعراض وعدم المصاحبة.

ثانيا : التفســـير:

عبارة الآية تتمة لأمره تعالى المرابين الوارد فى الآية السابقة، فيقول لهم سبحانه وتعالى إنكم إذا لم تستجيوا لأمرى فتكون منكم التقوى ويكون منكم ترك مالكم من الربا لدى الناس وعدم أخذه معترفين بحرمته فاعلموا أنكم قد خسرتم محبة الله تعالى وحب رسول الله ﷺ. والمعنى يتضمن تهديدا لأن من خسر حب الله ورسوله لن تعوضه الدنيا وزينتها

يكسبها عما فقد. ثم يقول لهم سبحانه وتعالى أنهم إذا اختاروا التوبة عما كان منهم فإنه يكون لهم استرداد ما أعطوا فقط دون زيادة فوقه، فلا يَظلمون بذلك مدينيهم لأنهم لا يأخذون منهم فوق ما أعطوهم، ولا يُظلمون هم لأنهم يستردون ما أعطوا .

وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾

ولا : الأسـماء:

١ ـ نظرة : المراد بها ـ فى معنى الآية ـ الانتظار، بمعنى الإمهال والتأخير.

٢ ـ الميسرة: المراد بها الوقت الذى يتحقق فيه حصول اليسر أو اليسار.

ثانيا : التفسـير:

بعد أن أمر سبحانه وتعالى المرابين باتقاء عذابه وترك مالهم من ربا عند مدينيهم والاكتفاء باسترداد رءوس أموالهم التى أقرضوهم، فإنه تعالى فى هذه الآية أخبر عن حال يتوقع وجودها وهى أن يكون المدين الملزم بالوفاء بالدين معسرا غير قادر على الوفاء ـ وهى الحال التى كان يلزم معها قبل تحريم الربا الحصول على الزيادة ـ فأمر تعالى المقرض بالانتظار على المدين المعسر وإمهاله إلى أن يتحقق يساره فتكون مطالبته بالرد «وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة» ، ثم إنه تعالى بعد ذلك، ولما كانت دواعى الإمهال هى رعاية الأخوة فى الدين وفى الإنسانية ، وأنها تكون محل رعاية أوْفى فيما لو تم التنازل عن مبلغ القرض ذاته أو عن رأس المال ذاته فيكون صدقة للمقرض المتنازل، فإنه تعالى أوضح أن تنازل المقرض عن رأس ماله والتصدق به على المقترض المعسر يكون أكثر فائدة له وتحقيقا لمصلحته من استرداد رأس المال ، وهو مفاد قوله تعالى « وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون» ، وذلك لأن الفائدة ستكون بركة فى المال فى الدنيا وحسن ثواب الآخرة..

وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

التفســـــير:

الخطاب فى الآية موجه إلى المؤمنين أو إلى المقرضين الذى أمروا بعدم أخذ ما لديهم من الربا عند مدينيهم اكتفاء باسترداد رءوس أموالهم التى أقرضوها، مع حثهم على التصدق بها على مدينيهم إن كانوا معسرين أو إمهالهم فى الوفاء إلى حين ميسرة أمرا منه تعالى. والآية تأمرهم بأن يكون منهم اتقاء عذاب الله يوم القيامة، الذى ترجع فيه النفوس إلى خالقها ليكون فيها حكمه وليكون فيما بين بعضها والبعض فصله وقضاؤه وبه تستوفى النفوس مالها من خير الله الموعود به أو من عذابه بما قدَّمت فى دنياها من خير أو شر، فلا تظلم نفس شيئا. والآية بهذا المعنى حث على التمسك بأوامره تعالى ونواهيه وعلى فعل المندوب ومنه التصدق على المدين المعسر بمبلغ دينه. والمشهور أن هذه الآية هى آخر ما نزل من القرآن على رسول الله ﷺ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ

إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۚ وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۖ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

أولا : الأسـماء:

١ ـ **الدين:** فى قوله تعالى « إذا تداينتم بدين»، المراد به المعنى الخاص للدين وهو المبلغ المقتَرَض العالق فى ذمة المقترِض إلى حين الوفاء به للمقرض ، جاء لتمييزه عن الدين بالمعنى العام وهو الجزاء.

٢ ـ **الأجل:** فى قوله تعالى « إلى أجل مسمى» هو الوقت المحدد بين الدائن والمدين للوفاء بالدين فيه أو المتفق على عدم مجاوزته .

٣ ـ **الكاتب:** فى قوله تعالى « وليكتب بينكم كاتب» المراد به كاتب وثيقة التداين فى محرَّر..

٤ ـ **الذى عليه الحق:** المراد به ـ فى الآية ـ المشهود عليه أو المقر بالدين وهو المدين.

٥ ـ **السفيه:** هو من به سفاهة أو حمق، أو من يبذر ماله دون مراعاة مصلحته ودون ترو، فيكون متلف ماله.

٦ ـ الضعيف: فى قوله تعـالى «أو ضعيفا» هو غير مكتمل القوة على وعـى الأمر وإملاء ما يريد إملاءه على الكاتب مثل الصبى والشيخ الخرف.

٧ ـ الشهيد: فى قوله تعالى « واستشهدوا شهيدين» هو شاهد واقعة التداين العارف بمبلغ الدين المقر بما شاهد وعاين.

٨ ـ الأقسط: فى قوله تعالى « ذلكم أقسط عند الله» هو الأعدل

٩ ـ الأقوم: فى قوله تعالى « وأقوم للشهادة» هو الأكثر إثباتا للحدث والمعين عليه.

١٠ ـ الفسوق: فى قوله تعالى « وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم » هو الخروج عن الطاعة.

ثانيا : التفســـير:

الآيـة من آيـات الأحكام وردت فـى شأن المعـامـلات جاء الخطـاب فيها مـوجها إلـى المؤمنين فبيـن أنه يجوز عند الفصـل بين أهل الذمـة بعضهم والبعض إعمال أحكـامهم إن كانـت تقضى بخلاف ذلك. وأول حكـم ورد به نص الآيـة هو ما عبـر عنه قوله تعـالى « إذا تداينتـم بديـن إلى أجل مسمـى فاكتبوه» وهـو أمر بمنـدوب مفاده أنه يتعيـن إثبات الـدين بالكتابة، وأنه إذا كـان موعد الوفاء محددا بمعرفة الدائن أو متفقا عليـه بين الدائن والمدين فإنـه يجب أن تشمل الكتابـة ذكر أجل الـدين الذى يتعيـن الوفاء بالـدين فيه أو إلـى حين حلوله.

والحكم الثانى الذى ورد به نص الآية هو اشتراط العـدالة فيمن يتولى كتابة عقد القرض أو تدوين المحرر المثبت الـدين، والمراد بكونه عادلا هو ألا يكون مائلا إلـى أحد طرفى عقد القرض على حسـاب الآخر، أو أن يكون على معرفـة ودراية بكتابة الوثـائق أو العقود، وارتبط بهذا الحكم أمـره تعالى للكاتب بعدم الامتنـاع عن الاستجابة إلى الكتابـة تطلب منه وأن تكون كتابته موافقةً ما علَّمه الله من كيفية تدوين الوثائق والمحررات. « وليكتب بينكم كاتب بالعدل، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله » ، ثم إنه تعالى ـ إظهارا لأهمية نهيه الكاتب عن الامتناع عن كتابة محرر الدين إذا ما طلب منه ذلك ـ أعاد سبحانه وتعالى عليه مضمون النهى فى صيغة أمر بقوله تعالى « فليكتب» وبعد ذلك أورد سبحانه وتعالى كيفية الكتابة أو

التدوين بقوله « وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا. فأعطى المشهود عليه وهو المدين ـ المعبر عنه بأنه الذى عليه الحق ـ أعطاه حق إملاء الوثيقة على الكاتب ترتيبا على كونه المقر بالدين وبمضمون المحرر، وجاء أمر الله له أن يتقى الله فى نفسه وماله لدى قيامه بالإملاء على الكاتب وألا ينقص من مبلغ الدين شيئا ولو كان حقيرا.

ثم إنه لما كان متصورا أن يكون بين المدينين غير القادر على الإملاء أو على حسن الفهم والإدراك ثم التعبير عنه بما يكتب، فقد جاء قوله تعالى « فإن كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل » والمعنى أنه إذا كان المدين فى المحرر به سبب يمنعه عن الإدراك على نحو حسن، أو عن الإملاء، أو عن التصرف فى ماله بتدبير وروية كأن يكون سفيها لا يحسن التصرف فى ماله أو لا يدرك الأمور على نحو تام، أو أن يكون صبيا أو شيخا خرفا ناقص الإدراك ، أو كان أخرس لا يستطيع النطق ، فإنه يحل محله فى الإملاء وليه الشرعى أو القيم عليه أو وكيله، ويكون على هذا أن يقوم بإملاء الكاتب بالعدل.

وبعد ذلك جاء قوله تعالى « واستشهدوا شهيدين من رجالكم، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء» وهو قول يتضمن حكما هو تطلب وجود شهود على وقائع التداين أو المعاملات بصفة عامة، وأن تثبت شهادة الشهود على المحرر المثبت المعاملة، كما يتضمن بيان شروط صحة الشهادة وهى أن تكون شهادة رجلين بالغين، قيل إنه يشترط فيهما الحرية وقيل لا يشترط، ويقوم مقام شهادة الرجل شهادة رجل وامرأتين. وذلك لتعلق الشهادة بالمعاملات وليست فى الحدود أو القصاص، ووصف الشاهدين بأنهما من رجال المخاطبين بالنص أى من المؤمنين وبأنهما مرضىٌّ عن شهادتهما.

وبعد ذلك جاء بيان سبب تطلب امرأتين تشهدان محل الرجل ليكون الشهود رجلا وامرأتين، جاء بقوله تعالى « أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى» وذلك لأن غلبة الأمر أن يكون من المرأة سرعة نسيان ما شهدت وعلمت، فاحتيط لهذا إذا ما طلبت لتشهد بما عاينت يتطلب أن تكون معها أخرى حتى إذا ما اعترى إحديهما النسيان ذكرتها الأخرى

بما نسيته، والمعنى أنـه قد دفع لتطلب هذا الحرص على أن تكون الشهـادة بالصحيح الذى تم .

وتلى ذلك أمره تعـالى الشهود بعدم الامتناع عن الشهادة إذا ما دعـوا إليها أو طلب منهم أداؤها « ولا يـأب الشهداء إذا ما دعوا» ، وأتبعـه نصحه تعالـى المتعاملين أو أمره إيـاهم أن يحرصـوا على إثبات معامـلاتهم الماليـة بالكتابـة مهما كانت قيمـة الحقوق موضـوع هذه المعامـلات وألا يملوا ذلك أو يسـأموه « ولا تسأموا أن تكتبـوه صغيرا أو كبيرا» وكمـل نصحه تعالـى المؤمنين بإثبـاته وجوب تضمن الكتـابة ذكر الأجـل المحدد للوفاء فيـه بمستحقات المتعاملين أو الذى يجب عدم تجاوزه « إلى أجله » وأوضح سبحانه وتعالى علة ما نصح به بقوله تعالى « ذلكـم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا» فبيـن أن فى اتباع ما أمر به تعالى ونصح فى شأن إثبات المعاملات مـا من شأنه تحقيق العدل على نحو أفضل بعدم تعريض الحقوق للضياع، كما أنه يؤدى إلى اكتمال الدليل حيث تكون الكتابة داعمة شهادة الشهود مثبتة صحتها، ومؤدى هذا جميعا ألا يكون محل لأن تعترى النفوس ريبة.

وبعد ذكره تعـالى ما ذكر من الأحكـام العامة أو القواعـد العامة لإثبات المعامـلات، فإنه تعالى ـ وهو الأعلم بشئون العباد وأحوالهم ـ اختص بالمعاملات التجارية بحكم خاص ورد فى صيغة الاستثناء من القـواعد العامة فلم يتطلب لإثباتها الكتابة أو إنـه تعالى أورد ما يفيد ذلـك إذا ما اعتبـرت أحكام الآيـة بمثابـة تـوجيهات لأولـى الأمر فـى المجتمعات وإلـى المشرعيـن يهتدون بها فى تشـريعاتهم، فهذا هـو البين من قـوله تعالى « إلا أن تكـون تجارة حاضـرة تديـرونها بينكـم فليس عليكـم جناح ألا تكتبوهـا» ، وبعد ذلـك جاء قـوله تعـالى «وأشهدوا إذا تبـايعتم» بمعنى أنـه لا تلزم الكتابـة لإثبات معامـلات البيع والشراء التجـارية فيجوز الاكتفاء لدى إثباتها بشهادة الشهود. وبصرف النظر عن علة الاكتفاء بشهادة الشهود عوضا عن الكتابة لإثبات المعاملات التجارية وكونها صعوبة حدوث الكتابة مع متطلبات المعامـلات التجاريـة من السرعـة فالمشاهـد أن هذا الحكـم هو السائد اليـوم فى غـالب التشريعـات الوضعيـة فى دول العـالم، ويفضلهـا تشريعـه تعالـى بلا جـدال، ومن شـواهد أفضليته اشتـراطه ألا يكون فـى المعاملات التجـارية وفـى إثباتها وغيـرها من المعـاملات

المالية عموما، اشتراطه ألا يكون في ذلك مضارة فلا يكون إضرار من طرف لآخر ولا من كاتب لمتعامل، ولا يكون ضرر بطرف ولا لكاتب فيكون أساس التعامل هو الشرف والعدل. وليس ما يدعيه ذوو النفوس الخربة من إباحة الحصول من المتعامل على الكسب على أى نحو وبأى وسيلة. ويكمل المراد من توجيهه تعالى المؤمنين إلى مناحى الخير فى تعاملاتهم بتهديده تعالى من يخالف عن أمره فيكون منه الإضرار بالغير فى تعاملاته، وذلك بقوله تعالى « وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم » ، بمعنى أنه يكون منكم خروجا عن طاعته تعالى يستوجب عقابه إياهم، وقد تبعه قوله تعالى « واتقوا الله ، ويعلمكم الله » وهو أمر باتقاء عذابه تعالى بوسائله التى منها تجنب الإضرار بالغير فى المعاملات، وإعلام بأنه تعالى قد علم المؤمنين ما يجب أن تكون عليه معاملاتهم.

تم تختتم الآية بقوله تعالى « والله بكل شىء عليم » وهو تذكير للمخاطبين بأحكام الآية بأنه تعالى يعلم كل ما يكون منهم وأنه تعالى محاسبهم به، وذلك ليكون الحرص على طاعته والتزام أحكامه.

﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾

أولا : الأسماء:

الرهان: فى قوله تعالى « فرهان مقبوضة » جمع رهن، وهو عقد يلتزم بمقتضاه الراهن أن **يسلم المرتهن** شيئا ذا قيمة أو مالا قيميا مقابل حق يكون للمرتهن عليه، يلتزم المرتهن **بإعادته إلى الراهن** إذا ما أوفاه الراهن حقه فى خلال الأجل ، ويعتبر الشىء المرهون ضمانا

للدَّين، فيكـون للمرتهن إذا امتنع المديـن الراهن عن الـوفاء له بحقه فى الأجـل أن يأخذ الشيء المرهون عوضا عن حقه ، أو أن يتصرف فيه بالبيع ليستوفى حقه من ثمنه.

* **ثانيا : التفســـير:**

الحكم الوارد به قوله تعالى - فى الآية - يتعلق بإثبات المعاملات أو التداين الذى قد يقع فى حال السفر مع عـدم وجود كاتب يحرر وثيقة التداين التى تثبتـه «وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبـا» ، فكان الحال التى يكـون فيها تطبيق الحكم هـى حال السفر مع عـدم وجود كاتـب، والحكم الذى ورد بـه النص هو إبـاحة الرهـن حالتئذ، بمعنـى أن يأخذ الـدائن فى المعاملة ضمانا مـن المدين شيئا يعتبر مرهونا لـديه. ثم إنه مع إباحته تعالـى الرهن فى مثل هذه الحال فإنــه حثَّ حثا مستترا على عدم أخذه بـإظهاره تعالى أنه قد يأتمـن الدائن مدينه فلا يثبت حقـه بكتابة ولا بشهادة شهـود، ولا يستحصل من المديـن على رهن ضمانـا للوفاء بدينه « فإن أمن بعضكم بعضا». ثم إنه تعالى لمـا حث على مثل هذا العمل الطيب فإنه أمر المدين المؤتمن بـأن يؤدى أمانته « فليؤد الذى اؤتمن أمانتـه» وأمره أن يتقى عذاب الله فلا ينكر الدَّين ولا ينقص منه شيئا .

وبعد ذلـك جاء أمره تعـالى للشهـود بألا يمتنعوا عـن الشهادة بالحـق إذا ما دعـوا إليها ومعنى الأمر ينصرف إلى المدينين أيضا ليكون قولهم فى شأن مديوناتهم قول الحق فيكون منهم كما لو كانوا يشهدون على أنفسهم ، « ولا تكتموا الشهادة » . وأتبع ذلك سبحانه وتعالى ببيان أن عدم الشهادة والشهادة بغير الحق من الشاهد ومـن المدين هى إثم نسبه تعالى إلى قلب الشاهـد فجعل القلب هو الآثـم أو فاعل الإثم لكـون القلب أشرف عضو فـى الإنسان وللتدليل على عظم الإثم بما يستوجب تغليـظ عقوبته، لأنه لا يكون إثم اللسان وإنما إثم القلب والسريرة.

وتختتم الآية بقولـه على « والله بما تعملون عليم» تحذيرا للشهود وللمـدينين من كتمان الشهادة ومن عدم أدائها على وجهها لأن العالم بها مؤاخذ عليها.

﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾

التفسـير:

المراد بقولـه تعالى « لله ما فى السمـاوات وما فى الأرض » هو أن يعلم النـاس أن ما فى أيديهم من المال ليس مالهم فى الحق و إنما هو مال الله وضعه بيـن أيديهم، حتى لا يكون من أحدهم الاعتقاد أنه وحده صاحب التصرف فيه بما شاء وعلى نحو ما شاء.

وقوله تعـالى « و إن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفـوه يحاسبكم به الله» إنما يتعلـق بالأفعال التى وقعت وليس بما جال فى النفس ولم يخرج إلى حيز الوجود أو التنفيذ لقوله ﷺ « إن الله تجاوز عـن أمتى ما حـدثت به نفسهـا ما لم تعمل أو تتكلـم» فيدخل فـى هذا إلى جـانب الأفعال ذات الأثر المادى ما هو معنوى أو ما تعلق بالأخلاق مثل الكبر، والحسد، والكفران ، وكتمان الشهـادة. فيكون المعنى أنه إذا ظهـر منكم فى الوجـود ما أكننتم فى أنفسكـم من الشرور والآثام بعمل، فـإنه تعالى مؤاخذكم به يـوم القيامة، وليس بين هذا وبين قـوله تعالى «أو تخفوه» تعارض لأن الإخفـاء المؤاخذ به هـو ما سبق بيانـه من الأعمال المعنويـة التى يكون لها وجود فعلا، أما تصور المعاصى داخـل النفس الذى لا يكون له أثر مادى ولا معنوى فالراجح أنه لا عقاب عليه.

ويجىء قوله تعالى « فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء» بيانا لأنه تعالى برحمته قد يغفر لمرتكـب الخطيئة خطيئتـه فلا يعذبـه بها، وأنـه قد لا يغفـر له ويعذبـه بعدلـه دون أن يظلم المعذَّب شيئا . وتختتم الآية بقوله تعالى « والله على كل شىء قدير» بيانا لقدرته تعالى على كل شىء بما فى ذلك المغفرة والعذاب.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾

التفســـــير:

وردت الآية الشريفة فى ختام السورة تعظيما لرسول الله ﷺ ولأتباعه بعد أن وردت شهادته تعالى له ولهم فى صدر السورة بكمال الإيمان وحسن الطاعة، فكأن ذكر الإيمان فى هذه الآية أريد به الإيمان بالأحكام التى وردت فى هذه السورة وفى غيرها آمن بها رسول الله ﷺ وآمن بها المؤمنون فى مجموعهم. وآمن بها كل منهم، وهو إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، دون تفرقة بين الرسل كأن يكون الإيمان ببعضهم مع إنكار آخرين. ولذلك يكون قول المؤمنين الذين امتثلوا لأوامره تعالى ونواهيه هو «سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» فهو إقرار بأنهم بلغتهم رسالة ربهم وبأنهم على طاعته ويطلبون منه المغفرة، ويقرون بالرجوع إليه فى الآخرة ليكون الحساب.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾

التفسـير:

قوله تعالى فى مبتدأ الآية « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » هو بيان لواقع أن التكليف لا يكون إلا بمقدور، ولذلك جاء قوله تعالى بعد ذلك « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت» مفاده أنه لما كان التكليف هو بما تكون عليه القدرة فإن مقتضى العدل أن يكون للمكلف ثواب فعله ما كلف به ينعم به ، وأن يكون عليه وزر عدم أدائه ما كلف به فيكون به عذابه.

وبعد ذلك جاء تعليمه تعالى المؤمنين ما يجب أن يكون عليه دعاؤهم إياه، ومبدأ الدعاء هو طلب عدم المؤاخذة على النسيان وعلى الخطأ. والراجح أن المراد بالنسيان هو ترك الواجب فهو إثم مقترف سلبا، لأنه مرفوع عن أمته ﷺ إثم النسيان، وأن المراد بالخطأ هو المعاصى لكونها توصف به، ثم يلى ذلك الطلب منه تعالى ألا يكون التكليف بالشاق من التكاليف مثل قتل النفس الذى كان واجبا فى بنى إسرائيل على التائب، ويجىء من بعده طلب عدم التعرض للعقوبات التى لا يطيقها الداعى السائل بتجنبيه مقارفة ما يؤدى إلى استحقاقها من الآثام والذنوب. ثم يأتى طلب العفو ومحو آثار الذنوب وغفرانها وستر العيوب والدخول فى باب رحمته تعالى.

وبعد ذلك يكون إقرار الداعى معبوديته لله وبكونه تعالى مالكه وسيده، وسؤاله أن يكون منه وبه النصرة على أعداء دين الله الكافرين.

■■■■

تعقيب :

بعد الفراغ من تفسير سورة البقرة ـ ولا انتهاء لمعانى ما تضمَّنت ولا فراغ لقوله جلَّ وعلا ولا لفهمه وتدبُّره إلى يوم الدين ـ نذكر بعضا مما قيل فى السورة لما قد يكون فيه من فائدة .

المشهور أن اسم السورة «سورة البقرة»، وقيل: «الأفضل أن يقال السورة التى تذكر فيها البقرة». وربما يكون الصحيح أن ذلك إنما كان فى بدء الإسلام لما كان الكافرون يستهزئون بالمسلمين محتالين على ذلك بذكر أسماء السور، وهو ما انقطع فانقطع التمسك بمعلوله.

يقال لها «فسطـاط القرآن» وذلك لما جمـع فيها من أحكام لـم تذكر فى غيـرها، فقيل إن فيها ألف أمر، وألف نهى، وألف خبر، سمِّيت «سنام القرآن» وسنام كل شىء أعلاه.

السورة مدنية، آياتها ست وثمانون ومائتان ـ فى رأى ـ وسبع وثمانون ومائتان فى رأى آخر، وفيها آخر آية نزلت فى القرآن وهى قوله تعـالى «واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله» ـ الآية ٢٨١ ـ وقد نزلت فى حجة الوداع بمعنى أنها نزلت خارج منطقة المدينة المنورة وفى نطاق مكة، ولا يحول هـذا دون اعتبارها مـدنية لأن «المـدنى» من القـرآن هو ـ علـى الراجـح ـ ما نـزل بعد الهجرة إلى المدينـة المنورة. وبعد نزول هذه الآية بفترة زمنية قصيـرة قُبض رسول الله ﷺ إلى ربِّه.

ارتبطت بفاتحة الكتاب بروابط منها أن الفاتحة اشتملت على بيان الربوبية فى مقام أول، فالعبوديـة فى مقام ثان. ثم طلـب الهداية فى المقاصـد الدينية والمطالب اليقينيـة، وكذلك جاءت سورة البقرة مشتملـة على بيان معرفة الرب فـى مقام أول كما فى قوله تعـالى «يؤمنون بالغيب»، وعلى العبادات ومـا يتعلق بها فى مقام ثان، ثم على طلب مـا يحتاج إليه المرء فى العاجل والآجل. كما أنه جاء فى ختام الفاتحة طلب الهداية. وفى أول سورة البقرة إشارة إليه بقوله تعالى «هدًى للمتقين» .

وروى عن رسول الله ﷺ أنـه قال «اقرءوا سورة البقرة فـإن أخذها بركة، وتـركها حسرة، ولا يستطيعها البطلـة»، وأنه ﷺ قال « لا تجعلوا بيـوتكم مقابـر إن الشيطان ينفر من البيـت الذى تقرأ فيه سورة البقرة ».

■■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

[٢]

سورة آل عمـــران

تقديم: فى أوجه الارتباط بينها وبين سورة « البقرة » :

بين السـورة وبين سـابقتها فـى المصحف «سـورة البقرة» أوجـه ارتباط عـديدة لاحظهـا السلف الصالح، نستخلصها من أقوالهم ونفصِّلها ونوجزها فيما يأتى:

١ ـ إن رسول الله ﷺ أطلق علـى السورتين معا اسم «الزهراويـن» أو إنه ﷺ وصفهما بهذا فدلَّ على وجود ارتباط بينهما .

٢ ـ تتأكد العلاقة بين السورتين بقول رسول الله ﷺ «يـؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وسورة آل عمران كأنهما غمامتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما»، وبقوله ﷺ «اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين سورة البقرة وسورة آل عمران».

٣ ـ إن الكثير مما ورد ذكره فـى سـورة البقرة مجملا ورد تفصيله أو شـرحـه فى سـورة آل عمران، كما أن البيِّن أن سورة البقـرة تكفلت بإقامة الحجة على الكافـرين وجاءت سورة آل عمران فأزالت الشبهة، ومن هذا وذاك الآتى :

(أ) إنه ورد فى سورة البقرة ذكر «الكتاب»، وجاء فى سورة آل عمران بيان «حقِّية الكتاب» متضمنا إنزاله، وتصديقـه للكتب التى سبقته فى النزول، وكونه هـاديا إلى الصراط المستقيم. وتكرر هذا فى السورة .

(ب) ورد فى سورة آل عمران ما يعتبـر تاليا لما ذكر فى سورة البقرة أو لازمـا له، إذ جاء ذكر

خلق الناس فى سورة البقرة، وجاء فى سورة آل عمران ذكر تصويرهم فى الأرحام.

(جـ) إنـه ورد فى سورة البقـرة قصة خلق آدم من غيـر أب ولا أم، فكان ذكر ذلـك أشبه أن يكون تقدمة لذكر قصة خلق المسيح عيسى ابـن مريم من غير أب، ليكون فيما ورد فى سورة البقرة إقامة الحجة على قدرته تعالـى أن يخلق بشرا من أب ولا أم، وليكون فيما ورد فى سورة آل عمران متعلقا بخلـق المسيح عيسى ابن مريـم عليه السلام إزالة للشبهـة وردًّا على إنكار اليهود أن يكون خلقه عليه السلام بدون أب فقالوا فى مريم بهتانا عظيما.

٤ ـ إنه ورد فى سورة البقرة فى مفتتحها ذكر المتقين ـ فى الآية الثانيـــة ـ وذكر الكافــرين ـ فى الآيـة السادسة ـ وجاء فـى وصف النار ـ فى الآيـة ٢٤ ـ أنها «أعدَّت للكافـرين». فكأن السورة قد بينـت ـ بعد ذكر المتقين والكـافرين مصير الكافـرين مع وصف النار بـأنها أعدت لهم. وجاءت سورة آل عمـران فبينت ـ فى الآية ١٣٣ ـ مصير المتقين مـع وصف الجنة التى أعدت لهم بقـوله تعالى «وجنة عـرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين». فكـان معنى ما جاء فى سورة آل عمران متمما معنى ما ورد فى سورة البقرة .

٥ ـ افتتحت سورة البقرة بذكر المتقين ـ فى الآية الثانية ـ ووصفوا فيها ـ فى الآية الخامسة ـ بأنهم المفلحون، واختتمت سورة آل عمران بقوله تعالى «واتقوا الله لعلكم تفلحون».

ـ وفـى وصف المـؤمنين ـ فـى مفتتح سورة البقـرة ـ جـاء قوله تعـالى ـ فـى الآية الـرابعة «والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون»، وجاء فى ختام سورة آل عمران ـ فى الآية ١٩٩ ـ قوله تعالى «وإن مـن أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم».

ـ كذلك فإنه لما نزل قوله تعالى فى سورة البقرة «من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا» كان من اليهود أنهـم قالوا «يا محمد، هـل افتقر ربُّك فيسأل عبـاده القرض» فنزل قوله تعـالى فى سورة آل عمران «لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء».

ـ ورد فى سورة البقرة أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام سأل ربه أن يرزق بنيه فى وادى مكة رسولا منهم «ربنا وابعث فيهم رسولا منهم»، وجاء ذكر إجابته تعالى دعوة إبراهيم عليه الصلاة

والسلام فى سورة آل عمران بقـوله تعالى «لقد منَّ الله على المؤمنيـن إذْ بعث فيهم رسولا من أنفسهم» [الآية ١٦٤] . .

ومن جماع ذلك يبين تكامل المعانى بتلاوة السورتين مع التدبر حتى لكأنهما كيان واحد، وهو ما يوضح القول بوجود ارتباط بينهما دعى إلى تسميتهما معا مجتمعتين «الزهراوين».



أولا : الأســـماء:

١ ـ الٓـمٓ: سبق بيانها، والقـول فيها إنها أسماء أحرف، وأننا نميل إلـى رأى القائلين إنها من المتشابه .

٢ ـ الحى القيوم : سبق بيان المعنى فى تفسير آية الكرسى فى سورة البقرة .

ثانيا : التفســـير:

قوله تعالى «الله لا إلٰه إلا هو الحي القيوم» هو نفى لـوجود آلهة ســـواه جـلَّ وعلا مع ذكـر ما يفيـد أنه الحـيُّ الذى لا يموت حيـن يموت كـل حى سواه فتكـون الحياة المقصـودة مما اختص تعالـى بعلمه بلا قياس علـى حياة المخلوقات، وأنه تعـالى القائم على سلطـانه فلا يزول، والقائم على الأنفس ـ على ما سبق تفصيله فى تفسير آية الكرسى فى سورة البقرة .

وقيل فـى سبب نزول الآية أن النصـارى خاصموا رسول الله ﷺ فـى أمر عيسى ابن مـريم، فزعمـوا أن الله تعالى أبـوه، فقال لهم ﷺ مـا مفاده أن الولـد يشبه أباه. وأن الله حـيٌّ لا يموت حين يَرِدُ علـى عيسى عليه السلام الفناء، وأن الله قـائم على كل شىء يحفظه ويـرزقه حين لا يملك عيسى عليه السلام هذا، وأن الله لا يخفى عليـه شىء فى الأرض ولا فى السماء حين أن

عيسى عليه السلام لا يعلـم من هذا شيئا إلا ما علّمه الله، وأن الله صوّر عيسـى عليه السلام فى رحم أمـه كما شاء، وأنه تعـالى لا يأكل ولا يشـرب ولا يحدث الحدث، حين أن عيسـى عليه السـلام حملته أمـه ثم وضعتـه كما تحمـل الأنثى ولـدهـا وتضعه وأنـه كان يـأكل ويشـرب ويحدث الحدث، فعـرفوا الحق واستيقنته أنفسهم ثم جحـدوه، فأنزل الله تعالى قولـه تعالى الآية افتتحها تعالى بتنزيه نفسه مما قالوا .

نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ

أولا : الأســـماء والأعلام :

١ ـ **الكتــاب**: المراد به القرآن العظيم، وُصف باسـم الجنس معرَّفًا «الكتاب»، وجاء ذكر التوراة والإنجيل بعد ذلك فى الآية التالية باسميهما بيانا لأنه الأوْلى أن يطلق عليه «الكتاب» بين الكتب المنزلة لكماله.

٢ ـ **الحق**: فى قوله تعالـى «بالحق» هو الصدق فيما أخبر به، أو بحقيقـــة كونه من عنـد الله تعالى.

٣ ـ **المصدِّق** : فى قوله تعالى «مصدَّقا» هو من صدَّق قول آخر أو دعواه.

٤ ـ **ما بين يديه**: فى قوله تعالى «مصدقا لما بين يديه»، المراد به جميع الكتب والصحف المنزلة من رب العالمين .

٥ ـ **التوراة** : هى كتاب الله الـذى أنزل على موسـى عليه السلام، والكلمة «تـوراة» عبرية، معناها: التعليم أو الشريعـة، وهى الخمسة الأسفار الأولى من كتاب العهد القـديم الذى بين أيدينا اليـوم وهى: سفر التكويـن، وسفر الخروج، وسفر الـلاويين، وسفر العدد، وسفـر التثنية. ويرى أهل التـوراة أن كاتبها هو موسى عليـه السلام، ولا يبدو هذا لنا صحيحـا لأسباب كثيرة منها أن المتحـدث فى التوراة يستعمل ضميـر الغائب فيقول «قـال موسى...» مما مفـاده أنه

يتحدث عن غيره، فلو كان موسى عليه السلام هو كاتبها لكان قد استعمل ضمير المتكلم. ومنها أن كاتبها يروى ويقصُّ حكاية موت موسى عليه السلام، ومن غير المتصور عقلا أن يكون موسى عليه السلام هو راوى قصة موته.

٦ - **الإنجيل**: هو كتاب الله الذى أنزله على المسيح عيسى ابن مريم، قيل إنه من اللغة السريانية وأن أصله فيها «إنكليون». وهو - فى كتاب العهد الجديد - الذى بين أيدينا اليوم - الأسفار الأربعة المسمَّاة: إنجيل متَّى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا». والثابت لدينا أنه لم يكتبها المسيح عليه السلام ولم يأمر كاتبيها بتدوينها، وأن كاتبيها كتبوها بعد فترة طويلة من تاريخ رفعه عليه السلام، وكانوا من أتباع تلاميذه وحوارييه، لم يتعاصروا بل عاش كل منهم فى زمان غير زمان الآخرين .

ثانيا : التفسير:

بعد تنزيهه تعالى ذاته أن يكون له شريك فى الألوهية وإثبات الألوهية له وحده، ووصفه ذاته بأنه الحى القيوم، فإنه تعالى ذكر لرسوله ﷺ - ليعلم الناس جميعهم - أنه تعالى هو منزل القرآن العظيم على رسوله ﷺ، جاء قوله تعالى - فى وصف فعل التنزيل - بلفظ «نزَّل» لبيان أنه نزل عليه ﷺ منجما بمعنى أنه نزل جزءا بعد جزء أو شيئا بعد شيء، ووصف نزوله بأنه كان بالحق، أى أنه نزل بالحق يخبر به ومن الحق جلّ وعلا، ثم بيَّن حاله بأنه مصدق لما سبق من الكتب والصحف التى أنزلت على الأنبياء والرسل من قبل «مصدقا لما بين يديه» وكونه مصدِّقا لها إنما كان لأنه صدَّق بكونها كتب الله المنزلة على رسله، ولأنها لما كانت قد أخبرت وتنبأت ببعثة رسول الله ﷺ وبالقرآن العظيم كتابا ينزله عليه سبحانه وتعالى، وكان ما كان من بعثته ﷺ ونزول القرآن العظيم عليه، فإنه كان فى ذلك إثبات صدق الكتب التى أخبرت عنه وكونها منزلة من لدنه تعالى، فهو تصديق لها وبها، ثم جاء ذكره تنزيله التوراة والإنجيل قبل تنزيله القرآن. ورد ذكرهما بالتخصيص مع دخولهما فى مجموع الكتب المنزلة لكونهما قد بشَّرا صراحة ببعثة رسول الله ﷺ فكان فيهما ما يهدى الناس إلى الحق، أو ما يفترض أن يهديهم إليه، وجاء التعبير عن تنزليهما بلفظ «أنزل» لبيان أن كلا منهما نزل دفعة واحدة وليس منجما .

هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾

أولا : الأســـماء:

١ ـ **الهـــدى**: فى قولـه تعالى «هدى للناس»، هـو الهداية ، جاء فى جملـة الآية «حالاً» لبيان أن الكتابين كانا هداية للناس، أو إنهما نزلا لأجل هدايتهم .

٢ ـ **الفرقان** : هو القرآن العظيم، سمِّـى فرقانا لأنه يفرق بين الحق والبـاطل، وبين الحلال والحرام.

٣ ـ **آيات الله** : هى آيات الكتب المنزلة. ويقبل أن يكـون المعنى آيات الله ومعجزاته على العموم .

ثانيا : التفســير:

بعد ذكره تعالـى أنه نزَّل القرآن على رسوله ﷺ بـالحق مصدقا لما سبق إنـزاله من الكتب على رسلـه وأنه تعالـى أنزل التوراة والإنجيـل ـ خصَّهما بالـذكر ـ ربمـا لأن ما سبق شـريعة موسـى قد درس أو أُنْسِىَ، فلم يعـد ـ قبل نزول القـرآن ـ من شـريعة غيرها، ولأن الإنجيـل قد أبقى على شريعة موسى و إن كان قد صحح ما كان عليه الانحراف بتطبيقها وتأويلها، ولذلك كان وصفه تعالى حال الكتـابين بأنهما هدى للناس، ولقد كانا هكذا بـالفعل، فعندما أنزلت التوراة علـى موسى عليـه السلام فإنهـا كانت هـدى للناس اهتدى بهـا من آمنوا بهـا وعملوا بشريعتها، وعندما أنزل الإنجيل على المسيح عيسى ابن مريم فإنه كان هدى للناس لأنه فى مجموعـه كان فـى شأن عقيـدة توحيد الله وتـوقيره، مـع تصحيح التطبيـق الخاطـىء لأحكام الشريعة والفهم الخاطىء والمنحرف لها، كذلك فإن الكتابين بما تضمَّنا من تبشير برسول الله ﷺ ينزل عليه القرآن، وبطلبهمـا من المؤمنين بهما الإيمان له ﷺ وبكتابـه، إن الكتابين بهذا يعتبران هدى للنـاس لأن من يؤمن بما بشَّرا بـه ودعيا إليه واستجاب له يكون مـن المهتدين.

ولهذا فإنــه تعالى أعاد ذكر تنـزيله القرآن من بعد ذكـره إنزاله التوراة والإنجيل ووصفـه إياهما أنهما هدى للناس، ليكون الهدى هو الإرشاد إلى القـرآن يؤمن به. وذلك بملاحظة سبق ذكره وذكر إنزاله فى الآية السابقة .

وقوله تعالى «إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد» يشمل جميع من كفروا بالآيات بمن فيهـم هؤلاء الذين كفـروا بآيات التوراة حيـن نزولها فلم يـؤمنوا لموسى وهـارون عليهما السلام، وهؤلاء الذيـن لم يؤمنوا للمسيح عيسى ابن مـريم وبالإنجيل حين نزولـه عليه وقالوا فيه مـا قالوا، ويشمل الـذين كفروا بـآيات الله وشواهـده التى وردت فى التوراة وفـى الإنجيل تبشِّر ببعثة رسـول الله ﷺ وتصفه وتذكر وحيـه تعالى إليه بـالقرآن، فكان كفرهـم بهذه الآيات أنهم لم يؤمنوا لـه ولم يسلموا، كما يشمل جميع من كفروا بما أنـزل على رسل الله جميعا من آيات وما أيَّدهم به سبحانه وتعالى مـن المعجزات. ومصير هؤلاء هو العذاب الشديد. يوقعه الله تعالى بهم انتقاما منهم لما وقع منهم مـن الكفر بالآيات، ولا يجدون من دونه تعالى منقذا ولا ناصرا أو شفيعـا لكونه وحده العزيـز الغالب على أمره، وهذا علـى ما يبين من قولـه تعالى «والله عزيز ذو انتقام» .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾

التفســـير

بعد أن ذكر سبحانه وتعالى ـ فى الآية السابقة ـ أنه معذب الكافرين بآياته وبما أنزل من الكتب بقدرته التـى لا غالـب لها ولا مانع منها، انتقامـا من الكافرين، فإنه أعلـم الناس ـ فى هذه الآية ـ وأخبرهم أنه يعلـم كل شيء كائن وكـل حدث يحدث فى الأرض وفـى السماء، جاء التعبيـر عن المعنى بجملـة منفية بأنـه تعالـى لا يخفى عليه شـيء، وذلك لأنه لمـا كان متصورا أن يكـون الكفر مخفيا فـى الصدور غير معلـن وأن يكون مـن الكافر الخـداع فيحسبه الناس مؤمنا، فإنه سبحانه وتعالى أخبر أنه لا تخفى عليه خافية ولو كانت فى مكنون الصدور، ليتيقَّن الكافر أنه ملاقٍ بكفره عذاب ربه العزيز ذى الانتقام .

هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾

أولا : الأســـماء:

١ ـ الأرحـــام : جمع رحـم، وهو القـرابة، وهو العضـو من جسم الأنثـى الذى يكـون فيه الجنين.

ثانيا : التفســير:

الآية بيان لمظهـر من مظاهر قيومية الله التـى ذكرت فى مفتتح السورة، وعلمه المـذكور فى الآية السابقـة، فهو بحكم كونـه القيوم يصور الناس فى الأرحـام فيجعل لها الهيئة التـى يريد والشكل الـذى يرضـاه، بما فـى ذلك الهيئـة الخارجيـة والتكويـن الداخلـى شامـلا مكنات الشخـص وقدراتـه، وهو بمـا هو كـائن من الأمـر العالـم وحده بمـا يكون عليـه تحول هيئـة المخلوق فى الرحم، فلا يعلم هذا أحد إلا بما علَّمه الله، وهو العالم بما اختار له من هيئة ومن طبع.

وبعد ذلـك يجىء قوله تعـالى «لا إلٰه إلا هو العـزيز الحكيم» جاء نفيـا للألوهية عـن غيره وإثباتها لـه وحده، ثم وصف نفسه تعـالى بأنه العزيز الحكيـم، وفى وصفه تعالى نفسـه بأنه العزيز القادر الذى لا يُغلـب ولا يعتريه ضعف ردٌّ على من زعموا الربـوبية للمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، فـلا يكون إلها وقد ورد عليه التصوير فى الأرحام والتطـور فيها من طور إلى طور، وهذا ليـس شأن العزيز الذى لا يعتريـه ضعـف، فلزم أن يكون وحده العزيـز، وفى وصفه تعالى نفسـه بالحكيم مَنٌّ على الخلـق الذين صوَّرهـم فى الأرحام فأحسَنَ صـورهم، إذْ كان تصويرهم فى الأرحام بوافر حكمته ليشكروه على ما أنعم عليهم به بحكمته جل وعلا.



هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾

أولا: الأسـماء:

١ ـ الكتـاب: هو القرآن العظيم فى معنى الآية .

٢ ـ المحكم : فى قوله تعالى «منه آيات محكمات» هـو الواضح المعنى، الظاهر الدلالة، المحكم العبارة فلا يقبل الاحتمال والاشتباه، فيكون المراد بـا لآيات البينات ـ فى الآية ـ هو ما عرف تأويله منها وفهم معناه وتفسيره.

٣ ـ أم الكتاب: معنى التعبير «أصل الكتاب وعمدتـه»، ومنه اعتبرت الآيات المحكمات بمثابة الأصل الذى يرجع إليه عند الناس الأمر فى شأن الفروع.

ورد التعبير بإفراد «الأم» مع أن الآيات متعددة لبيان وحدة أصلها.

٤ ـ أُخـر : فى قولـه تعالى «وأُخر متشابهـات» «جمع أخرى»، والمراد به وصفـا للآيات أنها آيات خلاف الآيات المحكمة وغيرها .

٥ ـ المتشابه : فى قولـه تعالى «وأُخر متشابهات»، هـو ما ليس لأحد لعلمه بمعنـاها سبيل لكونه مما استأثـر الله تعالى بعلمه، ومنه وقت قيام الساعة، وخروج يـأجوج ومأجوج، وخروج الدَّجال، ونزول عيسى عليه السلام، ومعانى الأحرف المقطعة فى أوائل السور. وقيل إن القرآن كله محكم لقولـه تعالى «كتاب أحكمت آياته»، وقيل إنـه كله متشابه لقوله تعالـى فيه «كتابا متشابهـا» وهذا غير صحيح لأن المـراد بكون الكتاب أحكمت آيـاته أنها محكمة فـى النظم

والرصف وأنهـا حق من عند الله، والمـراد بأنه متشابه هـو وقوع التباس عند بعـض الناس فى معانيه، فيكون معنى التشابه كمعناه فى قوله تعالى «إن البقر تشابه علينا». ولفظ «متشابهات» «جمع»، مفرده «متشـابهـة».

٦ ـ **الزيـغ** : فى قوله تعالـى «فأما الذين فى قلوبهم زيغ» هو الميـل، ومنه قولهم «زاغت الشمس»، «وزاغـت الأبصار»، والمـراد به فـى الآية ـــ الميل عـن الحق، والعـدول عنه إلـى الأهـــواء .

٧ ـ **الفتنـــة** : سبق بيـان معناه، والمراد بها فتنـة المؤمنين عـن دينهم بالتلبيس، ومنـاقضة المحكم بالمتشـابه، وبتأويله بـالهوى. كما كان من طـائفة «المجسمة» الذيـن استمدوا من الآيات التى تتحدث عن يد الله تعالى، ووجهه ما جعلوه أساسا لباطلهم أن لله جسما كجسم المخلوقات .

٨ ـ **التأويـل** : فى قوله تعالى «ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلـه»، وقوله تعالى «وما يعلم تأويله إلا الله». هو التفسير أو هو بمعناه، أى مـا يؤول إليه الأمر فى المعنى. والمراد به فـى قوله تعالى «وابتغاء تأويلـه» هو التأويل الباطـل، والمراد به فى قولـه تعالى «وما يعلم تـأويله إلا الله» هو التأويل الصحيح .

٩ ـ **الراســخ** : فى قوله تعالى «والراسخون فى العلـم»، هو الثابت من كل شىء، فالجبل راسخ، والشجر ـ فى الأرض ـ راسخ والراسخون فى العلم هم الثابتون على الإيمان عن علم، والمراد بالعلم ـ فـى معنى الآية ـ هو العلم بالشرع المقتبـس عن سيد الخلق ﷺ؛ وذلك لأن عبارة الآية تمتدحهم .

ثانيا : التفســـير:

عبارة الآية استئناف لما سبق بيانه من حديثه تعـالى شأنه عن ذاته، قد يكون سبب نزولها إبطال زعم وفد نصارى نجران فى المسيح وبيان أنهم حاولوا فتنة المسلمين بما ورد ذكره فى وصف المسيح عليه السلام فـى القرآن بأنه كلمة الله تعالى وروح منه. فجاء قـوله تعالى «هو الذى أنزل عليك الكتاب» مثبتا أنه تعالى وحده الرب المعبود، وأنه مُنزل القرآن العظيم على

رسوله ﷺ، بما يفيد كون القرآن العظيم كتاب الله بالحق، وكون المصطفى عليه الصلاة والسلام رسوله الحق. وفى هذا إبطال لحجة المجادل فى كون القرآن كتاب الله، وكون محمد ﷺ رسول الله. ثم يصف سبحانه وتعالى القرآن العظيم بقوله تعالى «منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأُخر متشابهات ». فبين تعالى أن القرآن يتضمن بين دفتيه نوعين من الآيات: أولاها الآيات المحكمات وهى الآيات الواضحة المعنى الظاهرة البيان. وذكر المولى بعد ذلك سمة هذه الآيات فوصفها بأنها أم الكتاب «هن أم الكتاب» بمعنى أنها أصله الذى تردُّ إليه الفروع، فيدخل فيها الآيات التى وردت فى بيان الفرائض والواجبات، والآيات المتضمنة الوعد والوعيد، والآيات الفارقة بين الحلال والحرام، والمحدِّدة الحدود. والثانية هى الآيات المتشابهات، وحكمها أنه يؤمن بها ولا يُعمل، والراجح فى شأنها أنها مما استأثر الله تعالى علمها بذاته، ومنها الأحرف المقَّطعة فى أوائل السور، وقيل إن منها القصص والأمثال، وهذا ضعيف .

وبعد ذكره تعالى نوعى الآيات فإنه نبه إلى وجوب الإيمان بالآيات المتشابهات وعدم العمل بها ترتيبا على عدم إدراك معانيها، فجاء قوله تعالى «فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله»، ويفهم من القول ـ بمفهوم المخالفة ـ أن غير الذين فى قلوبهم زيغ لا يتبعون المتشابه من الآيات، فيكون فى القول حثٌّ على عدم اتباع المتشابه، والاكتفاء بالإيمان به، والمراد بالذين فى قلوبهم زيغ أنهم الذين يتبعون الأهواء أو أنهم أصحاب النوايا الخبيثة؛ ولذلك نُعتوا بما انطوت عليه سرائرهم وماابتغوه من وراء اتباعهم المتشابه من الآيات «ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله»، فالنص يفضح بواعثهم ويظهر غاياتهم فيبيِّن أنهم يريدون بذلك فتنة المسلمين عن دينهم بضربهم القرآن بعضه ببعض قصد إظهار تناقض بين معانيه أو تناقض بين المحكم وبين المتشابه، وقصد الانحراف بمعانيه عن الصحيح ليأتوا بتأويل باطل فاسد، فقوله تعالى «وابتغاء تأويله» معناه ابتغاء تأويله على نحو باطل غير صحيح يوافق أهواءهم الخبيثة المنحرفة.

ويجئ بيانه قاطعا بالنهى عن اتباع المتشابه من الآيات ببيان أن البحث فيها واتباعها والتمسك بتأويلها هو الحرث فى البحر الذى لا يرجى منه خير، لأنه تعالى قد استأثر ذاته

بالعلم بها «وما يعلم تأويله إلا الله».

ثم جاء بيـان وجوب الإيمان بالمتشـابه والحث على ذلك بـذكره تعالى أن هـذا هو حال الراسخين فى العلم. أى الذين استقر فى قلوبهم الإيمان عن علم بأحكام الشرع، وذلك لكى يقتدى بهم سائر المؤمنين «والراسخون فى العلم يقـولون آمنا به كل من عند ربنا» فهم يعلنون إيمانهم به ويقـرُّون بأنه والمحكم من الآيات تنـزيل الله تعالى، ذُكر بلفظ «الـرب» فى إشارة إلى الحكمة مـن إنزال المتشابه وهـى تربية المؤمنيـن على ما يحبُّه الله لهـم ليكمل فيهم أن يكونوا من المؤمنين بالغيب وبكل ما غاب عن أفهامهم إدراكه .

وتختتم الآيـة بقوله تعـالى «ومـا يذَّكر إلا أولـوا الألباب» للحث علـى الإيمان بـالمحكم والمتشابـه والعمل بالمحكـم وترك اتباع المتشـابه بمدحه تعـالى من يكـون ذلك شأنـه مع المحكم والمتشابه من القـرآن فيقول ما قاله الراسخون فى العلم ويؤمـن بما آمنوا به، ويقف حيث وقفوا فـلا يكون منه اتباع المتشابه، وجـاء مدح ملتزم هذا بأنه ذو العقـل، فدل على أن فى التزام هذا مصلحة الملتزم .

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾

أولا : الأســــماء:

١ ـ الوهـــاب: صيغة مبالغة من «واهب» اسم فاعل من الفعل «وهب ـ يهب» .

ثانيا : التفســـير:

القول ـ فـى مبتدأ الآية ـ «ربنا لاتزغ قلـوبنا» دعاء أو سؤال الله مسألة، يقبـل أن يكون هو قول الراسخيـن فى العلم ويقبل أن يكون قول رسـول الله ﷺ أُمر أن يقوله، ويقولـه المؤمنون. ومعنى إزاغة القلـب هو الميل عن الـدين، ويتصور أن يكون المـراد به عدم الابتلاء بـأعمال تثقل علـى السائلين فيعجـزوا عنها، ويتصور أن يكـون معنى السـؤال هو طلب السـائلين ألا

يزيغوا فيـزيغ الله قلوبهم، وقد ثبت أن أكثـر دعاء رسول الله ﷺ كان قوله: «يـا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبى على دينك» .

وتمام الدعـاء «وهب لنا من لدنك رحمـة»، فالسؤال سؤالٌ بهبة، ومحلهـا النعيم الصادر عن الرحمة وليس الرحمة ذاتها، لأنه لما كانت الرحمة راجعة إلى صفة الذات فإنه لا يتصور أن يكون فيها هبـة، فيكون معنى السؤال هو طلـب النعيم يتفضل به الله على السـائل الداعى دون أن يكون سببه فعل السائل و إنما موجبات رحمته تعالى، جاء ذكرها بأنها من لدنه تعالى ولفظ «لدن» وهـو «ظرف» قد يكون للـزمان وقد يكون للمكـان بمعنى «عند» وليس مـرادفا له معنى يرتبط بمعنى الهبة.

وقول السائلين فى ختام دعائهم «إنك أنت الـوهاب» جاء بعد سؤالهم التنعم تفضلا من الله بموجبات رحمته من الإحسان الذى منه التثبيت على الحق، ولكونه تفضلا منه تعالى فإنه ذُكر بصفته التى توافق تفضله وهى كونه الوهاب، فجاءت بمثابة تعليل للسؤال أو ســببا لنَيْلِ ما سئل .

رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾

أولا : الأســـــماء:

١ ـ **الجــــامع**: اسم فـاعل مـن الفعل «جمع ـ يجمع» بمعنى مـن يضم أشيـاء الشىء بعضها إلى بعض، أو يضم أشيـاء إلى أخرى فيكون منها «جمع» ، والمراد به ـ فى الآية ـ أنه تعالى يبعث الناس ويحييهم ويجمعهم إليه بعد تفرقهم فى حياتهم ومماتهم .

٢ ـ **النـاس** : المراد بهم عموم الناس من مكلفين وغير مكلفين .

٣ ـ **اليـوم** : فى قوله تعالى «ليوم لا ريب فيه» هو يوم القيامة .

٤ ـ **الميعاد** : مصدر ميمى بمعنى «الحـدث»، ورد ذكره ـ فى الآية ـ لـلإشعار بعلَّة الحكم لأن الألوهية منافية للإخلاف .

ثانيا : التفســـير:

القول فى الـراسخين فى العلم وقول المؤمنيـن يتضمن إقرارا بالبعث يوم القيـامة، ويقبل معناه أن يكون أنـه تعالى يجمع النـاس فى قبورهم وفى أى مكـان كانت أجسادهـم إلى يوم بعثهم وجمعهم أى إلى يوم القيامة، وصف بأنه لاريب فيه ولا شك، ومضمون ذلك أنه يجب ألا يكـون لدى النـاس شـكٌّ فيه، يقـع فيكـون، ويكون مـا فيـه من حشـر النـاس وحسابهـم ومجازاتهـم بأفعـالهم وبـرحمته تعالـى. ثم جـاء قوله ــ فى ختـام الآية ــ «إن الله لا يخلف الميعاد» لنفى الـريبة عن وقوع يـوم القيامةووقوع مـا فيه، ولتأكيد معنـى ما سبق ذكره مـن أنه تعالى يجمع الناس ويحاسبهم .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ١٠﴾

التفســـير:

عبارة الآيـة الشريفـة جملة تقريـرية تثبت حـال الكافـرين ومآلهـم، ويفهم مـن الصيغة التقريرية للعبارة أن المراد بالكافرين أو «الذين كفروا» ـ فى معنى الآية ـ جميع الكافرين فى كل زمـان ومكان، وإن كانت الآيـة قد نزلت ــ على ما قيل ــ فى وفد نصارى نجـران، أو فى مشركى العرب .

ومعنى قوله تعالى «لن تغنى عنهم أموالهـم ولا أولادهم من الله شيئا» هو نفى قاطع لتصور أن يكون للكافر شىء يتحصَّن به فيمنع عنـه عذاب الله، ولعبارة الجملة معنى آخر مضمونه أن الاغتناء لا يكون إلا بالله والاحتماء به، فإن الأموال التـى تمنع الضرر وتجلب المنفعة فى الدنيا مع الناس لا تغنى من الله شيئا ولا تحول دون عذابه، وكذلك الحال فى الأبناء الذين يستنصر بهم فى الحياة الدنيا، فإنهم لا يملكون لأنفسهم مـن الله يوم القيامة نفعا فلا يملكون لآبائهم شيئا. وجاء ذكـر المال قبل الأولاد لأنه يستخدم فـى جلب الأنصار قبل أن يقع مـا يستوجب

الاستعانة بهم، ولأن المـرء إن كان ذا مال ورجال لا يستعين بأولاده فـى نضال إلا لضرورة من بعد نفاد المال ونقص الرجال لحبِّه لهم وحرصه عليهم.

وتختتم الآيـة بتقرير واقـع مآل الكافـرين فى الآخرة وهـو كونهم حطـب النار فهم الـذين يؤججونها ويزيدون استعارها، يشتعلون فيزيدونها اشتعالا .

كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾

أولا : الأســـماء:

١ ـ **آل فرعـــون:** الفرعـون المقصود هو فـرعون موسى عليـه السلام أو فرعـون الخروج بمعنى الملك الذى كان له الحكم زمن خروج بنى إسـرائيل من مصر مع موسى عليه السلام. وقد سبق ـ فى سورة البقـرة ـ بيان أنه فى رأينا لـم يكن مصريا، وأنـه كان سادس ملوك الأسرة الهكسوسية الأولـى. وآله هم قومـه الذين دعاهم مـوسى عليه السلام ـ بـدعوته فرعـون ـ إلى الإيمان فاتَّبعوا فرعون فأوردهم النار.

٢ ـ **الذين من قبلهم** : هم أهل الأمم السـابقة على زمان فرعون موسى، فيـدخل فيهم قوم نوح عليه السلام .

ثانيا : التفســـير:

بعد ذكره تعالى مآل الكـافرين يوم القيامة حين يصبحون للنار وقودا فإنه تعـالى يذكر ـ فى هذه الآيـة ـ أن شأن هؤلاء الكـافرين هو ذات شـأن آل فرعون ـ بمعنـى فرعون وقومـه ـ وذات شأن من جاء قبلهم من الأمم ممن اشتركوا معهـم فى صفة الكفر، فهذا هو ما يفهم من وصفه تعالى آل فرعون والذين سبقوهم بأنهم كذبوا بآياته، ليكون المعنى هو «كشأن الذين كفروا من آل فرعون والذين كفروا ممن سبقهم من الأمم» فهذا مـا يبين من قوله تعالى «**كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا**»، فيكون المراد بالآيات المكذَّب بها هى الآيات التى جاء بها

موسى عليه السلام والتى جاء بها الأنبياء من قبله، والآيات والبشارات التى تضمنتها الكتب.

ويبيِّن الله تعالـى عاقبة الكافريـن ـ وإن جاء الذكر خاصـا بآل فرعون والذيـن من قبلهم ـ بقوله تعالـى «فأخذهم الله بذنوبهم» بمعنى أنـه جازاهم بأعمالهم فعاقبهم لأنهـا إنما كانت ذنوبـا إثر ذنوب، فإنهـم لمَّا كفروا بآيـات الله ارتكبوا الذنوب، ولمـا جاء حسابهم وجـد لهم ذنوب أخرى ــ على ما يبين من فـاء السببية فى «فأخـذهم»، وبالباء المبيِّنة سبـب الأخذ فى «بذنـوبهم» ـ فـاستحق أن يكـون لهم أشد العـذاب وبذلك جـاء وصفه تعـالى فى معـاقبته الكافرين «والله شديد العقاب» .

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ١٢﴾

التفســـير:

. الخطاب فى الآية موجـه إلى رسول الله ﷺ، مضمونه أن يخبر الذين كفـروابأنهم سيُغلبون ويحشرون إلى جهنم. ويبيـن من مضمون القول أن هناك سببا دعا إلـى أن يؤمر رسول الله ﷺ بقوله للكافريـن، وهذا السبب يخلص فى أنه لما هزم المسلمون مشركـى العرب فى بدر قال بعض اليهود لبعضهم «إنه لرسول الله الذى أخبر أنه يـأتى من بعد موسى» وأزمعوا أن يؤمنوا به فمنعهم من ذلك إخـوتهم وقالوا لهم «انتظروا مـا يكون من أمره فى قادم» فلمـا كانت «أحد» وهـزم المسلمون قـالت اليهـود «لا والله، مـا هو الـرسول المبشـر بـه» وانطلق منهـم قادتهـم ليتحالفوا مع أبى سفيـان رأس المشركين وأعوانه، فأنزل الله الآية. وقيل إنهـا نزلت لما طلب رسول الله ﷺ من اليهود أن يُسلموا، فقـالوا له «لا يغرنك ما لقيت من قريـش فى بدر فإنهم لا يحسنون قتالا، و إنما لو قاتلتنا لعرفت أنا نحـن الناس». فيكون على الحالين أن الكافرين هم اليهود الذين تآمـروا على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين وحالفوا عليهم المشـركين، أو الذين توعَّدوا رسول الله ﷺ والمؤمنين أنهم إن لاقوهـم فى قتال لعرفوا قوة بأسهم .

ومعنى قوله تعالى «ستغلبون وتحشرون إلى جهنم» يقوله رسول الله ﷺ للكافرين أنهم سيهزمون فى لقائهم المؤمنين فى الحرب، ثم يكون حشرهم يوم القيامة فى جهنم، بمعنى أنهم سيلقون جزاءهم فى الدنيا على كفرانهم وعلى قولهم وفعلهم هزيمة نكراء، ثم يلقونه فى الآخرة خلودا فى جهنم يحشرون إليها ويجمعون فيها. والثابت أنه تحققت هزيمة اليهود وقُتل من بنى قريظة فى يوم واحد ستمائة قتيل، وأُجلى بنو النضير عن مساكنهم، وفتحت خيبر، وضربت على اليهود الجزية، وأن الله نصر المسلمين على مشركى مكة ودخلها المسلمون فيكون الإخبار عن هزيمة الكافرين قد تحقق سواء أكانوا هم اليهود أم كانوا اليهود ومشركى العرب.

ثم يصف المولى سبحانه وتعالى جهنم التى يحشر إليها الكافرون بأنها «بئس المهاد» إفادة عن أن أفضل أحوال الكافرين سيء، لأنه لما كان المهاد أو الفراش هو الموضع الذى تكون فيه راحة المرء، وكان مهاد الكافرين الذى فيه راحتهم هو جهنم، فإنه يكون معلوما أن لهم من العذاب فوق العذاب ما لا يبلغ إدراكه تصور.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ١٣﴾

التفسير:

الخطاب فى الآية موجه إلى الكافرين الذين أخبرهم رسول الله ﷺ - بأمر ربه - أنهم سيغلبون وسيحشرون إلى جهنم. والخطاب إكمال لقول رسول الله، فيه يذكرهم سبحانه وتعالى بواقعة حدثت وعاينوها وكان فى نتيجتها - غير المتوقعة طبقا للمعتاد من الأمور - آية ودليل على أنه تعالى ينصر من ينصره. والواقعة المذكورة هى معركة بدر التقت فيها فى القتال طائفتان أو فئتان أو مجموعتان، أولاهما فئة المؤمنين، وصفوا بأنهم المقاتلون فى سبيل الله

لبيان علو منـزلتهم فى الإيمان لأنه لا يبذل نفسـه فى سبيل الله إلا من هو علـى أعلى درجات الإيمان، والثانية هى فئة الكافرين، وصفوا بالكفر ـ وليس بذكر أنهم يقاتلون كما وصف بذلك المؤمنون ـ وذلك لبيان انعدام قيمة قتالهم وعدم استحقاقه أن يقال له قتال.

وتفصيل ما كـان فى الواقعة يوجزه قـوله تعالى «يرونهم مثليهـم رأى العين». والمعلوم أن عدد المسلميـن فى «بـدر» كان ثـلاثمائة وبضعـة عشر، وأن عـدد المشركيـن كان تسعمـائة وخمسين مقاتلا بأسلحتهـم معهم سبعمائة جمل ومائة حصان. وفى بيان الـرائين والمرئيين فى معنى الآية، وفى عددهم أقوال. فقيـل إن الرائين هم المشركون رأوا المسلمين مثليهـم أى ضعف عددهـم وعدتهم، وقيل إنهم رأوا المسلمين ثـلاثة أمثالهم لأنهم رأوا مثليهـم إضافة إلى عددهم. وأنه قـد هال المشركين هذا فأوقع فى قلوبهم الخـوف فهابوا المسلمين وجبنوا عن قتالهـم بشراسة فكانـت هزيمة الكافريـن وكان انتصار المسلمين علـى قلتهم. وقيل إن الرائين كانـوا هم المسلمين وأن المرئيين كانـوا هم المشركين، وأنه لما كـان عدد المشركين ثلاثة أمثال عـدد المسلمين فى الواقع، وكان قولـه تعالى «فإن يكن منكم مـائة صابرة يغلبوا مائتين» مفيـدًا معنى أن الفئة المؤمنـة تغلب مثلى عددها مـن الكافرين، فـإن المسلمين لما رأوا الكافرين مثليهم آمنوا أنهـم غالبوهم فامتلأوا حماسا وشجاعة فـدان لهم النصر. والرؤية كانت رؤيـة عين أو ما شابههـا، ويُقبل أن تكون هى ـ فـى حد ذاتها ـ الآيـة، ويقبل أن تكون نتيجة القتال وهى انتصار الفئة القليلة المؤمنة هى الآية.

وقولـه تعالـى «والله يؤيد بنصـره من يشاء» هـو إثبات لـواقع مفاده أن كـل شىء بـأمر الله وبإذنه، يجعل له الأسباب التى تؤدى إليه وهو تعـالى فى غير حاجة إلى أسباب، ولكن ليعلم الناس أن يأخذوا بها، والقول جاء بتطبيق للواقع يتعلق بالنصر فى القتال فهو يكون نصيب من شاءت إرادة الله له النصر فيكون منه تعالى العون والمساعدة.

ثم يطلب المولى سبحانـه وتعالى من المؤمنين تدبر حكمته بإعمـال عقولهم بطلبه منهم أن تكون لهم فيمـا رُوى من شأن الفئتين عبرة بهـا يعتبرون وعظة منها يتعظون، ووصفـه تعالى من يعتبر ويتعظ بأنـه ذو بصر ـ وهو بمعنى بصيرة ـ هو حث للمؤمنيـن على الاعتبار بما ضرب سبحانه وتعالى من أمثال .

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾﴾

أولا: الأسـماء:

١ ـ الشهوات: جمع «شهوة» وهى ما تشتهيه النفس، والمراد بها ـ فى الآية ـ «المشهيات نفسها» أى ما يُشتهَى .

٢ ـ القناطير: جمع «قنطار»، والمراد به ـ فى الآية ـ المال الكثير، وقيل إنه من الموازين، فيه اثنا عشر ألف أوقية، لأنه ألف «رطل»، والرطل اثنتا عشرة أوقية. وقيل إنه ألف ألف أوقية. و إنه اثنا عشر ألف درهم وألف دينار.

٣ـ المقنطر: صفة للشيء الموزون بالقنطار تدل على المبالغة فى الكثرة مشتقة من «القنطار» على هيئة اسم المفعول وردت على عادة العرب فى وصف الشيء بما يشتق منه للمبالغة، ومثله فى قوله تعالى «حجرا محجورا» ،و «نسيا منسيا».

٤ ـ الذهب: مؤنث، هى المعدن المعروف، وقيل الذهب الحمراء. جمعه أذهاب، وذهوب، وذهبان.

٥ ـ الفضة: هى المعدن المعروف، تجمع على فضة .

٦ ـ الخيل: قيل إنه جمع مفرده «خائل» مشتق من الخيلاء لأنه يمشى فى خيلاء أو لأنه يتخايل به، وقيل إنه اسم جمع لا مفرد له من لفظه، واحده فرس. وهو الحيوان المعروف.

٧ ـ المسوَّم: فى قوله تعالى «والخيل المسوَّمة» بمعنى «السائمة» أى المرسلة فى المرعى، من قولهم «وسم ماشيته» بمعنى أطلقها فى المرعى. وقيل إن معناها هو «المطهَّمة» من «السيما» بمعنى الحُسْن، وقد يكون هذا هو المراد بها فى الآية .

٨ ـ **الأنعــام:** هى الإبل ، والبقر، والغنم. واختصت الإبل وحدها بلفظ «النعم» .

٩ ـ **المتــاع :** فى قوله تعالى «متاع الحياة الدنيا». هو ما يُتمتع به .

ثانيا : التفســـير:

بعد ذكره تعالى أنه لاينفع الكافرين أمـوالهم ولا أولادهم يوم القيامة كان الانتقال من ذكر حال الخـاص أى حال الكافريـن إلى ذكر حال العـام ـ أى عموم الناس ــ فجاء قوله تعـالى «زُيِّن للنـاس حب الشهوات»، بمعنـى أنه زين فـى قلوبهم حـب بعض الأشياء فـأصبحت لديهـم مشهَّية أى تشتهيها نفوسهـم. جاء الفعل فى نـص الآية مبنيا للمجهول. والـذى زين المشهيات ابتداءً هو الله سبحـانه وتعالى لأنه أحسَنَ كل شىء خلقـه، وزيَّنها أن تكون حلالا طيبا مـن حلال، والـذى زيَّنها حرامـا أو من حـرام، أو ينشغل بها المـرء ويمتلئ قلبـه بحبها فيغفل عن طاعة ربِّه هو الشيطان.

ثم يجـىء قولـه تعالى ببيـان هذه المشهيـات أو الأكثر خطورة منهـا «من النســاء والبنين والقناطير المقنطـرة من الذهب والفضة والخيـل المسوَّمة والأنعام والحـرث». وجاءت «من» قبل ذكر المشهيـات لبيان أنها من المشهيـات وليست جميعها، وذكرت النسـاء فى مقام أول لأنهن يأتين فى مقدِّمـة ما يشتهى الرجال وقد يورث حبُّهن والرغبة فـى إرضائهن قطعَ الرحم وجمع المال مـن كل طريق ولـو بغير الحق، لأن المرأة قـد تطلب من زوجها أن يقطـع صلته برحِمـه وذوى قربـاه، وقد ترهقـه بالمطالـب فيضطر إلـى تحصيل المال بطـريق غيـر مشروع لإنفاقه فـى طلباتها جلبا لرضـاها، وقد نقل عن رسـول الله ﷺ أنه قال «ما تركـت بعدى فتنة أشد على الرجال من النساء»، وتلى ذلك ذكر البنين بمعنى الأبناء عموما من ذكور وإناث، قد يرى المرء أن الأفضل لهم أن يحييهـم حياة رغدة وأن يترك لهـم من بعد وفاتـه مالا يتمتعون به فيقبل على جمع المال بما ينسيه ذكر ربِّه أو يجمعه من كل طريق ولو كان غير مشروع.

وتلى ذلـك ذكر القناطيـر المقنطرة من الذهـب والفضة، والبيِّن مـن وصفها بالكثـرة أنها ليست ما يتخـذ للزينة من الـذهب والفضة وأنها المـال المكتنز، ذكر مستقلا بعـد ذكر النساء والبنين لأن حب اكتناز المال قـد يملأ قلب المرء لذاته إرضاء لغريـزة «حب الاقتناء» كما هو

المشاهد فى بعض غير ذوى الأزواج ممَّن لم يخلفوا أبناء يخشون عليهم الفاقة بعدهم، وممَّن أنعم الله عليهم بما يكفى حاجتهم، ترى أحدهم ينفق عمره فى جمع المال وترتيبه فيملأ حبه عليه نفسه فيشغله عن ذكر الله، أو يغفل عن أداء حق الله فيه وعن التصدق منه، أو يجمعه من أى طريق ولو كان غير شرعى. ثم جاء ذكر «الخيل المسوَّمة، والأنعام، والحرث». وهى من مظاهر غنى المرء فيكون فى اقتنائها دليل عليه، كما يكون بها الزهو والخيلاء، فالمرء يزهو بالخيل المطهمة تكون له فيظهر بها على الناس ظهور قارون فى قومه، ويملك البقر والغنم والإبل، ويملك الزراعات فيبدو فى أعين الناس من عيونهم أو يرتقى بها أعلى المناصب فيملأه الكبر وهو نقيصة تبعده عن المنعم عليه الذى ابتلاه بملكها لينظر أيشكر أم يكفر فيقول إنه أوتيها عن علم منه واستحقاق .

وبعد ذكر جميع هذه المشهيات يجيء قوله تعالى «ذلك متاع الحياة الدنيا» مبيِّنًا حقيقة كل هذه المشهيات وغيرها بتقريره تعالى أنها ليست سوى متاع قليل بالنظر إلى أنه لا يُتمتع به إلا فى الحياة الدنيا أى فى حياة المرء - وهى - مهما طالت - قصيرة لا تقاس بالحياة الآخرة وهى خلود؛ ولذلك اختتمت الآية بقوله تعالى «والله عنده حسن المآب» بمعنى أنه تعالى عنده حسن المنقلب، جنَّته التى وُعد بها المتقون. نسبت إلى الاسم الجليل للتفخيم وترغيبا فيما هو عند الله تعالى، وبيانا لأن ما فيها يفضل مشهيات الحياة الدنيا فى النوع، ويزيد عليها فى الكم، ويفوقها لأنه خالد لا يزول، ولا يزول تمتع المتقين به .

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾

التفسير :

بعد ذكره تعالى - فى الآية السابقة - المشهيات التى تتوق إليها النفوس فى الحياة الدنيا،

ونعته تعالى إياها بأنها محض متاع يتمتع به فى الحياة الدنيا القصيرة الأمد. فإنه تعالى أخبر فى الآية عن المتاع الذى أُعدَّ للمتقين فبين فى مفتتح الآية أنه خير من متاع الحياة الدنيا السابق ذكره أو ذكر الأهم منه من النساء والبنين وغيرهما، فقوله تعالى «قل أؤنبئكم بخير من ذلكم» والأمر بالقول موجه إلى رسول الله ﷺ يقوله للمؤمنين وهو قوله تعالى، وهذا مفاده الإعلام بما هو أفضل من صور متاع الحياة الدنيا المشار إليه بـ «ذلكم». وجاء بيان هذا الأفضل بأنه جنات تجرى من تحتها الأنهار فهى مبتدأ مؤخر ـ لأن الخبر شبه جملة ـ جاء مقدَّما لبيان المتمتعين بهذا الخير «للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار»، والذين اتقوا هم المتبتِّلون إليه تعالى المعرضون عمَّن سواه المتقون عذابه، والخير الذى وعدوا به وهو الجنات حالها أنها من عند الله للتدليل على حتمية بلوغه لأن ما عند الله لا يضيع. ووصفت هذه الجنات بأن فى أرضها تجرى الأنهار التى ليست كأنهار الدنيا على ما سبق بيانه فى تفسير سورة البقرة. كما جاء بالنص ذكر حال هؤلاء المتقين فى الجنات وهو الخلود «خالدين فيها» .

وبعد ذكره تعالى حال المتقين وهو خلودهم فى الجنات، ذكر تعالى بعض ما يتمتعون به فى هذا الخلود وهو بعض مالهم مما وُعدوا «وأزواج مطهرة ورضوان من الله» فيكون لهم فى الجنات أزواج مطهرات من كل ما يستقذر من النساء خَلقا وخُلقا ـ والحديث خاص بالرجال لأن محبِّى النساء والبنين فى الدنيا هم الرجال ـ كما يكون لهم الرضاء العظيم من مولاهم الحق، فهو «الرضوان» وصف بأنه من الله لتأكيد حصوله ولتفخيمه .

ثم يجىء ختام الآية قوله تعالى «والله بصير بالعباد» مفيدا علمه بأحوال الخلق جميعا وبأفعالهم ومجازاته إياهم بها، ومنهم المتقون الذين ذكرهم سبحانه وتعالى وأظهر ما لهم فى الآخرة، فكان لهم ما كان بحكم علمه ما ظهر من حالهم وفعلهم وما خفى .

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآية الشريفة ـ حديث عن المتقين المذكورين فى الآية السابقة، فيكون الإخبار عن المتقين بأنهم «الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار» قد جاء خيرا لمحذوف، ويقبل أن يكون نعتا لهم أو بدلا منهم، وقولهم المذكور تبعه سؤالهم الله أن يغفر لهم ذنوبهم وأن يقيهم عذاب النار، وقد استدل البعض بالآية على كفاية الإيمان سببا لاستحقاق المغفرة والوقاية من النار، لأن المتقين سألوا الله مغفرته والوقاية من النار ولم يجمعوا إليه عمل الطاعات. والرأى عندنا أن العمل بالطاعات متضمن فى معنى الإيمان وهو ما يفصله صفات الداعين بالمغفرة المعلنين إيمانهم الواردة فى الآية التالية .

ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾

أولا : الأســـماء:

١ ـ **الأســحار**: جمع سحر، هو آخر الليل سمِّى «سحرًا» لما فيه من الخفاء كالسحر يقال للشىء الخفىِّ، وقيل هو الثلث الأخير للَّيل إلى طلوع الفجر.

ثانيا : التفســـير:

جاء قوله تعالى «الصابرين» صفة للذين يقولون ربنا إننا آمنا، وعطف عليها باقى صفاتهم، فيكون من صفات هؤلاء أنهم صابرون، صبروا على طاعة الله، وصبروا على هوى النفس فصبروا عن محارمه كما صبروا فى الضراء والبأساء وحين البأس، وأنهم صادقون فى نياتهم وأقوالهم سرا وعلانية؛ ولذلك فإنهم صدقوا الله حين قالوا إنهم آمنوا، وأنهم قانتون مطيعون الله قائمون على طاعته وعبادته لا يفترون، وأنهم منفقون من أموالهم فى سبيل الله وفى الصدقات، وأنهم مستغفرون ربهم فى الأسحار دبر الصلاة،فيشهدون صلاة الصبح.

والبين من تعدُّد صفـات القائلين «ربنا إننا آمنا» أنهـم الكاملون إيمانا، فكأن تعـدُّد صفاتهم بيان لكمال صلاحهم وتقواهم.

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٨﴾

أولا : الأســـــماء:

١ ـ **أولوا العلـــم** : هم العلماء آتاهـم الله العلم، وقيل إن المراد بهم ـ فـى الآية ـ الأنبياء عليهم السلام، وقيل المهاجرون والأنصار، وقيل علماء مؤمنى أهل الكتاب .

٢ ـ **القســـط** : هو العدل .

ثانيا : التفســـير:

قيل فـى سبب نزول الآيـة أنه لما دخل رسـول الله ﷺ مدينته قـدم عليه حبران مـن الشام عاينا المدينة فوجداها شبيهة بمدينة الرسول المبشر به فى الكتاب، وشاهدا فى رسول الله ﷺ صفات النبـى المبشَّر بـه، فسألاه عـن شهادة يخبـرهما بهـا فإن فعـل آمنا لـه، فنزلـت الآية. ويمكننا الإشـارة إلى مـا بقى فـى كتاب اليهـود المسمى بـالعهد القـديم مـن هذه البشـارة المتعلقة بمدينة رسـول الله ﷺ ودخوله إياها. فقد ورد فى سفر أشعيـاء فى الإصحاح الحادى والعشريـن ما مفاده أن الله يبعـث من بعد مـوسى نبيَّيْـن يدخل أولهمـا مدينته راكبـا حمارا، ويدخل الثانى مـدينته راكبا جملا أو ناقة. وهو ما تحقق بدخـول المسيح عيسى عليه السلام بيت المقدس راكبا حمـارا، كما دخل رسول الله ﷺ المدينة راكبا ناقتـه القصواء. كذلك ورد فى ذات السفر وذات الإصحاح أنه فـى بلاد العرب يخرج النبى المبشر به من وطنـه هربا من أعدائه أعداء الـدين فيهاجر إلـى مدينته، مع دعـوة أهل المدينة للقـائه، وهو ما كان مـن أمر هجرته ﷺ والتقاء الانصار إياه. وورد أيضا فى ذات السفـر فى الإصحاح الثانى والأربعين أنه من أرض قيدار بن بنايوت بن إسماعيل عليه السلام يخرج نبى يأتى بتسبيحة جديدة وبهتاف

يسمع من بعيد، وقد خرج ﷺ من مكة أرض قيدار وذهب إلى المدينة وأعلن عن الصلاة بالأذان يسمع من بعيد.

وقيل فى مناسبة نزول الآية أنها نزلت حين قال اليهود والنصارى لرسول الله ﷺ: «ديننا أفضل من دينك» فنزلت الآية.

ومعنى قوله تعالى «شهد الله أنه لا إلٰه إلا هو» - مع فتح همزة أَن - أنه شهد تعالى بأنه، ومضمون الشهادة نفى الألوهية عن سواه و إثباتها له وحده «لا إلٰه إلا هو»، وجاء قوله تعالى «والملائكة وأولوا العلم» معطوفا على لفظ الجلالة مفيدا إقرار الملائكة بمضمون الشهادة و إيمان العلماء بها، وَوُصف إقرار أولئك و إيمان هؤلاء بأنه شهادة مجازا.

وقوله تعالى «قائما بالقسط» جاءت فيه «قائما» حالاً من فاعل الفعل «شهد» فهو تعالى فى شهادته قائم عليها بالعدل والحق، فالمراد بالقول بيان كماله جلَّ وعلا .

ويجيء قوله تعالى - فى ختام الآية - «لا إلٰه إلا هو العزيز الحكيم» متضمنا نفى الألوهية عن غيره تعالى و إثباتها له وحده بما قد يكون تكرارا لمضمون الشهادة لبيان مدى أهميتها وتنبيها إلى وجوب الاهتمام بها والإقرار. وقد يكون ذكرا لشهادة الملائكة وأولى العلم فتكون الشهادة الأولى شهادته جل وعلا.

ووصفه ذاته أو وصف الملائكة وأولى العلم سبحانه وتعالى فى شهادتهم بأنه العزيز الحكيم جاء فيه ذكر صفة العزيز قبل صفة الحكيم لبيان أن العلم بقدرته تعالى سبق العلم بحكمته، وقيل إن صفة العزيز تعلقت بقول «لا إلٰه إلا هو»، وأن صفة الحكيم تعلقت بقوله «قائما بالقسط» .

إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾

أولا : الأســــماء:

١ ـ الـــدين : قيل إن المـراد به ـ فـى الآية ـ الطـاعة والملـة، وقيل إنه والإسـلام بمعنى واحد. والـرأى عندنا أن الديـن هو «العقيدة والشـريعة معا مقتـرنين» بمعنى أنه الإيمـان بالله وتوحيـده وعدم الشرك به ــ وهذا هو الإسـلام بالمعنى العـام ـ مقترنا بـالشريعة وهـى الأوامر والنواهى والأحكام. وأنه بهذا يقال إن اليهودية دين، والإسلام دين ولا يقال هذا عن النصرانية لأن المسيح عليه السلام لم يأت بشريعة بل صحَّح العقيدة ونقَّى شريعة موسى من تفسيرات خاطئة .

٢ ـ الإسلام : هو الطاعة والانقياد بمعنى طاعة الله والانقيـاد له و إسلام الوجه إليه والرضاء بحكمه، ومقتضاه الإيمان بالله وعدم الشرك به، وهذا هو الإسـلام بالمعنى العام الذى دعا إليه جميع الرسـل، والذى كان قبل بعثة رسول الله ﷺ وكـان معه مسلمون، فقد دعا إبـراهيم عليه الصلاة والسلام ربَّه أن يجعلـه و إسماعيل مسلِمَيْن، كما أنه ويعقـوب عليهما السلام أوصيا أبناءهمـا ألا يموتوا إلا وهم مسلمـون، وأقرَّ أبناء يعقوب لـه إذْ حضره الموت بأنهـم مسلمون. وللإسلام معنى آخر هو ما ندعوه «الإسلام بالمعنى الخاص» وهو «الإسلام الدين» الذى كمل باقتران الشـريعة بالعقيدة وتوافـر أركانه الخمسة: شهادة ألا إلٰـه إلا الله وأن محمدا رسول الله، و إقام الصلاة، و إيتاء الزكاة، وصيام شهر رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا. ومعنى اقتران العقيدة بالشريعة منه أنه مع عماده مـن الإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به، يتضمن شريعة تنظم أمور العباد والبلاد .

ثانيا : التفســـير:

معنى الآية مـرتبط بما جادل فيه نصارى نجـران رسول الله ﷺ فى شأن الديـن أو ما زعمه اليهود من أن دينهم أفضل من الإسلام. فورد قولـه تعالى «إن الدين عند الله الإسلام» قطع فى الأمر فأثبت أنه ليس من دين عند الله سوى الإسـلام، ولما كان رب العزة تعالى شأنه هو الذى يرسل الأنبيـاء داعين للدين الحق وهو بـه الأعلم، فإن معنى القول أن ما يعتنقـه بعض الناس من الملل ـ غير الإسـلام ـ و يطلقون عليه أنه «دين» لا يكون شأنه كـذلك عند الله، فليس من

ملة عنده تعـالى يقال لها «دين» غير الإسـلام. والمعنى أنه فى شأن الأمم التـى سبقت بعثته ﷺ، تكون ملة من آمن ـ بما دعا إليه الأنبياء والرسل من الإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به ـ هى الإسلام دينا مقبولا عند الله، ويكون دين مـن آمن بعقيدة الإسلام بمعنى توحيد الله وعدم الشرك به فى التوراة وبالشريعة التى تضمَّنتها هـو الإسلام. فأما من بعد بعثة رسول الله ﷺ فلا يعدُّ مقبـولا دينًا ممَّن بلغته الـرسالة سوى الإسـلام ـ بمعناه الخـاص ـ وهو الذى دعـا إليـه رسول الله ﷺ.

وقولـه تعالى «وما اختلـف الذين أوتوا الكتـاب إلا من بعد مـا جاءهم العلم بغيـا بينهـم» يثبت عـدة أمور، فهو يثبـت وقوع الاختلاف بيـن أهل الكتـاب، وهو اختلاف يشمـل اختلاف أصحـاب كـلٍّ من مـوسـى وعيسـى عليهما السـلام مـع أنفسهـم أو مع بعضهـم والبعـض. واختلافهم مع أصحاب النبى الآخر أو المتشيعين له، ثم اختلافهم مع المسلمين. وهـو يثبت ـ من جهة ثانية ـ أن هذا الاختلاف إنما كان مـن بعد معرفة أهل الكتاب حقيقة أمر الدين فلم يكن عن جهـل منهم بالحق. ثـم إنه يثبت أخيرا أن هذا الاختـلاف لم يُرد به وجـه الحق ولم يكـن عن اعتقـاد يعتقـدونـه وإنما كـان ظلمـا مـن المختلفين الـذيـن حـركتهم أهـواؤهـم والمصـالح.

وتفسير ذلك قد يتضح من ملاحظة أنه من بعـد أن علم بنو إسرائيل من كتاب موسى ومن خطبته الوارد بعضها فيما بيـن أيدينا اليوم من التوراة ـ فى سفر التثنيـة ـ أن الله سيبعث نبيا من إخوة بنى إسرائيـل ـ أبناء إسماعيل ـ يشبه مـوسى عليه السلام فى حرفته الـرعى، وفى زواجه بأكثر من زوجة، وفى كونه رجل حرب، وكونه صاحب شريعة. وأنه يوحى إليه من ربه فيبلغ ما أوحى إليه شفـاهة ـ لعدم معـرفته الكتابة ـ فإن غالبهم أنكـر رسول الله ﷺ ولم يؤمـن به من اليهود إلا قليلون فكان الاختلاف ظلمـا من المنكرين، وأنه لما جاء المسيح عيسـى ابن مريم على نحو مـا تنبأ بمقدمه إشعياء النبـى فى العهد القديـم أنكره غالب بنى إسـرائيل بظلمهم فوقـع الخلاف بينهـم وبين من آمنـوا به، وأنه لمـا بعث الله رسـوله ﷺ بالحـق أنكره غـالب النصارى رغم أن نبـيَّ الله عيسى ابن مريم أخبر عـن مجيئه ودعا إلى الإيمان بـه، ولا يزال من نبوءته شىء ليس بقليل فى إنجيل لوقا ـ وفيه يسمِّيه بأفعل التفضيل من الفعل حمد ـ يحمـد

ـ بمعنى «أحمد» فى اللغة اليونانية القديمة المترجم عنها الإنجيل، فكان فى إنكارهم خلاف بينهم وبين من آمن لـه. كذلك فالمشاهد أن بين طوائف أهل كل كتـاب من مظاهر الخلاف مـا يقيم العـداوة بيـن بعضهم والبعـض علـى نحو مـا هو مشـاهـد اليوم بيـن البـروتستانـت والكاثوليك فى أيـرلندا و إنجلترا. وليس الواقع على هذا الخلاف حق يعتقـدونه لكنه الباطل والأهواء تـدفع منكـرى الحق إلى التمسـك بالبـاطل ظلمـا لأنفسهم ولأتباعهـم مدفـوعين بالمصالح الدنيوية.

ثم يجيء قـوله تعالى «ومن يكفر بـآيات الله فإن الله سريع الحساب» مبيِّنًـا أن إنكار أدلته تعالـى التى وردت فـى التوراة والإنجيـل مُعلمةً أن الديـن الحق هـو الإسلام بعـد أن بشرت برسالـة رسول الله ﷺ وأخبرت به وبالقـرآن كتابا ينزل عليـه آمرةً بالإيمان للرسـول وبالكتاب واعتناق ما يـدعو إليه من الـدين، وأن إنكار الآيات التـى وردت بالقرآن العظيم تثبـت صحة تنـزيله مـن رب العزة، أن ذلـك كفرٌ يستـوجب الجـزاء، ومخبرًا أنـه تعالـى سيعجل لهـؤلاء الكافرين الظالمين حسابهم .

فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

ثانيا : التفســـير:

الخطاب فى الآية موجَّه إلى رســـول الله ﷺ، والمــراد بالذين حاجُّوه أو يحـاجونه هـم ـ بالنظر إلى أسباب نـزول الآية ـ وفد نصارى نجران الذين حاجوه فـى أمر المسيح عيسى ابن مريـم عليه السلام، أو هـم اليهود الذيـن زعموا أن دينهم أفضـل من دينه، والمعنـى يقبل أن يكونوا عموم الناس، ومعنى قـوله تعالى «فإن حاجوك» هو «إن جادلوك فـى أمر الدين بعد أن أقمت عليهم الحجـج» وقوله تعالى «فقل أسلمـت وجهىَ لله ومن اتبعن» هو توجيـه له عليه

الصلاة والسلام بأن ينهى الجدال بعبارة غير مختلـف على إقرار المجادلين بها لأن مضمونها الإيمان بوجود الخالق وتسليم الأمر إليه .لأنه لما كان الرسول وأتباعه فيما أعلنوه من إيمانهم لا يخالفون عقيدة مجادليهم فإنه لا يكون لاستمـرار الجدال والمحاجة سبب يدعو إلى ذلك. ويكون قـول الرسـول عليه الصـلاة والسلام فى هـذا شبيه بقـول إبراهيـم عليه السـلام «إنى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين».

وبعد ذلك يؤمَر رسول الله ﷺ أن يقول لأهل الكتـاب وللأميين: هل أسلمتم؟ «وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أءسلمتم» والذين أوتوا الكتاب هم اليهود والنصارى، والأميون هـم غير اليهـودالذيـن كانـوا يسمونهـم الأميين بمعنـى «الأمميين» أى أبنـاء الأمم الأخـرى غير بنـى إسرائيـل، والمراد بهم مشـركو العرب لأنـه قد خرج مـن عداد الأميين أو الأمميـن النصارى لكونهم من أهل الكتاب فيبقى مشركو العرب. ويفترض سؤاله ﷺ إياهم عن إسلامهم أنه قد أبلغهم دعوته وطلب منهم أن يسلموا مما مفاده أنه كُلِّف ـ عليه الصلاة والسلام ـ من ربه أن يبلغهم الـرسالة وأن يطلب منهـم أن يسلموا، فكأن معنـى السؤال هو طلب الإسـلام أو الأمر بـه.

ثم يأتى قوله تعالى مبينا أن إجابتهم قـد تفيد أنهم أسلموا وقد تفيد إعراضهـم عن الإسلام ورفضه غيـر أن الآية لـم تذكر شيئـا عن إجابتهـم و إنما ذكـرت الحالين اللـذيْن يكـون على أحدهما أمـر أهل الكتاب والأميين، وذلك بقطع النظـر عما تكون عليه إجابتهـم عن السؤال. فهم إما أن يكونوا قد استجابوا لدعوة الرسول إياهم للإيمان فأسلموا. وإما أن يكونوا قد تولوا عن الدعوة وأعرضوا عـن الإسلام. وجاء قوله تعالى ليبيِّن أنهم إن كانوا قـد استجابوا لدعوته للإسلام وأسلموا فإنهـم يكونوا قد اهتدوا إلى الحق بإذنه، وأما إن كـانت الأخرى فكان منهم الإعراض فإنه لا يكون تثريب على رسول الله ﷺ، لأنـه أدَّى ما كُلِّف أن يؤديه وهو الدعوة إلى الدين الحق لكنه ﷺ ليس عليه هداهم.

ولهذا جـاء قولـه تعالى «فـإنما عليـك البلاغ» مبينـا أن حدود ما كلـف به عليـه الصلاة والسلام أن يُبلغ الدعوة وأن يطلب من الناس أن يؤمنوا.

وقيل إن هذا المعنى قد نسخ بآية الجهاد. والذى نراه هو اختلاف المعنى واختلاف المراد بما كُلِّف به رسول الله ﷺ فى الآية عنه فى آيـة الجهاد مما لا يتصور معه أن تكون آية الجهاد ناسخـة حكم الآية، مـع ملاحظة أنـه غير متيقن من معـرفة أيهما سبقـت الأخرى فى تـاريخ النزول .

وقوله تعالـى فى ختام الآية «والله بصير بالعباد» يفيـد أنه العالم بأمر المجادليـن بالباطل، وأمر الذين دعوا إلى الإسلام وما كان منهم كما أنـه العالم بأمر الذين اتبعوا رسول الله فأسلموا وجوههم لله، وأنه تعالى مجازٍ كلا بفعله ونواياه .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾

أولا : الأســـماء:

١ ـ الذين يكفـرون بآيات الله : المراد بهم فى الآيـة بنو إسرائيل، كفر أسلافهـم بآيات الله وأدلته منذ أن كان موسـى عليه السلام بين ظهرانيهم فعبدوا العجل، وكفروا بآيـاته التى آتاها المسيح عيسى ابن مريم دالـة على نبوته فأنكروه وقالوا على أمِّه بهتـانا عظيما، وقبلوا ما كان عليه أسلافهـم من الكفر وارتضوه وساروا علـى إثرهم فيه فكـانوا كافرين، وجـاءتهم الآيات الدالَّة عن بعثه ﷺ نبيا وأوصافه فى كتابهم فعرفوها وأنكروه فكانوا كافرين .

٢ ـ النبيـــون : فى قوله تعالى «ويقتلون النبيين» هم أنبيـاء بنى إسرائيل المتعدِّدين الذين كثروا لما كثر من بنى إسرائيل الزيغ عن الحق فكانوا يُرسلون إليهم لهدايتهم، ويمتلىء كتاب العهد القديم بأسماء كثيرين منهم .

ثانيا : التفســـير:

لما كان الذين جادلـوا رسول الله ﷺ فى الدين وحاجُّوه من بنى إسرائيـل قوما أقاموا على الباطل صموا وعموا وليس لديهم استعداد للاقتنـاع وقبول الحق، فإنه تعالى أوضح فى الآية

أنهم لن يؤمنوا لرسول الله ﷺ لأنهم اختاروا الكفر فحقَّ عليهم العذاب، وجاء وصفهم بأنهم الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق للتدليل على أن من يفعل ذلك لا يؤمل فيه أن يُهتدى وأن مصيره العذاب الأليم يخلد فيه مهانا .

وكفرهم بآيات الله تمثَّل فى كفر آبائهم بالآيات التى أنزلت على موسى عليه السلام وعلى الأنبياء من بعده وبالآيات التى آتاها اللهُ تعالى المسيح عيسى ابن مريم، ولما كان معاصرو رسول الله منهم قد اعتقدوا صواب ما فعل آباؤهم من الكفر فضلا عن كفرهم بالآيات التى وردت فى التوراة مبشِّرةً ببعثه ﷺ، وواصفةً إيَّاه فعرفوها وأنكروه فإنه كان حقا أن يوصفوا بالكفر. وقتلهم النبيين بغير حق إنما كان لما جاء فى خطبة موسى عليه السلام فيهم التى بشَّرهم فيها ببعثة المصطفى عليه الصلاة والسلام وطلب منهم متى جاء أن يؤمنوا به، ثم حذَّرهم أن يُخدعوا بالأنبياء الكذبة أو مدَّعى النبوة، وقال إن جزاءهم أن يقتلوا ـ وهذا لا يزال موجودا فى سفر التثنية فى الإصحاح الثامن عشر من التوراة التى بين أيدينا اليوم ــ لما كان هذا فإنهم كانوا إذا ما جاءهم نبىٌّ ودعاهم لتقويم انحرافهم وخاطبهم بما لا تهوى أنفسهم، كانوا يدَّعون عليه الكذب ويقتلونه؛ ولذلك وصف قتلهم النبيين بأنه بغير حق. كذلك فإنه كان يقوم من بعد الأنبياء مصلحون يكملون رسالة الأنبياء فيدعونهم إلى ما كان يدعوهم إليه النبيون فكانوا يقتلونهم أيضا بغير الحق .

والآية فى ذكرها أن آخرين كانوا يأمرون بالقسط من بعد النبيين دليلٌ على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والراجح أنه واجب على كل من له ولاية، فهو على ربِّ الأسرة فى أسرته وعلى ولىِّ الأمر فى المجتمع، وعلة ذلك أنه يخشى من أن يؤدى قيام آحاد الناس به إلى وقوع المنازعات بين الناس، وأن قوله تعالى «الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر» يفيد أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب على ولىِّ الأمر. ولولىِّ الأمر أن يختار من يقوم عنه بهذا الواجب مثل النيابة العامة أو المحتسب على ما يبين من قوله تعالى «ولتكن منكم أمة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» وفيها «من» فى لفظ «منكم» تفيد التبعيض، فيكون المعنى هو اختيار البعض منكم لأداء هذا الواجب.

ثم جاء قـوله تعالى ـ فـى ختام الآية ـ فبشرهـم بعـذاب أليم ـ دليلا على أن هـؤلاء الذين حاجُّوا رسول الله ﷺ وأشباههم فى كل زمان مستمرون على ما كان عليه أسلافهم الذين قتلوا النبيِّين وقتلوا الذين أمروهم بالعدل والتقوى من البـاطل، فهم لن يؤمنوا وسيكون عاقبة أمرهم أن يلاقوا عذاب الله فى الآخرة.

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

التفســـــــير:

المشار إليهم فـى الآية هم الذيـن كفروا بآيات الله وقتلـوا النبيين بغير حق، والـذين ساروا على نهجهـم من خلفهـم وقبلوا فعلهـم فصاروا مثلهـم أو فى حكمهـم، ذكر الله تعـالى أنـه بأفعـالهم حبطت أعمالهـم فى الدنيا والآخـرة والمراد بأفعالهـم المذكورة أفعال الخيـر التى يؤتونها فى حياتهـم الدنيا مثل الصدقات وصلة الرحـم وهى التى يثابـون عليها فى الدنيا خيرا فى عاجلتهم، ولا يثابون عليها فى الآخرة لكفرهـم، فجاء قوله تعالى ليبيِّن أنهم بقتلهم النبيين والذين يـأمرون بالقسط قد أبطلـوا أفعال الخير التى أتوهـا فما عادوا يؤجرون عليهـا خيرا فى الدنيا، ولـذلك فإنهم ـ لما كـانوا محرومين من ثـواب الآخرة عليها ـ يكونون قـد فقدوا ثواب هـذه الأعمـال فى الـدنيـا والآخـرة. ومن الآيـة يبيـن أن السيئـات تـذهب الحسنـات لـدى الكافـرين.

وقوله تعالى «وما لهم من ناصرين» لبيـان أنه لن يجيرهم أحد من عذاب الله، ولأنه لما لم يجد النبيون والآمرون بـالقسط نصيرا ينصرهم من هـؤلاء الكافرين، فقد جاء منـاسبا أن يذكر قوله تعالى إنهم لن يجدوا لهم ناصرا يدفع عنهم العذاب بما فعلوا .



﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

أولا : الأسماء:

١ ـ النصيب : فى قوله تعالى «أوتوا نصيبا» هو الحظ .

٢ ـ الكتاب : المراد به ـ فى الآية ـ التوراة. وقيل إنه القرآن وافق ما فى التوراة فى شأن العقيدة، وبشرت برسول الله ﷺ .

ثانيا : التفسير:

بدأت الآية باستفهام موجه إلى رسول الله ﷺ أريد به التعجب «ألـم تر» ، والتعجب إنما كان لبيان تناقض حال المرويِّ عن حالهم وهم اليهود فهم يحتجُّون بالتوراة دليلا فى يدهم على صحة دعواهم الكاذبة، فإذا ما كذَّبتهم التوراة وأثبتت زيف دعواهم أعرضوا عنها وطرحوها لأنها لم تنصرهم.

وقيل إن سبب نزول الآية أن اليهود ادَّعوا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان يهوديا، وهو ما أنكره عليهم رسول الله ﷺ الذى دعاهم إلى التوراة يحتكمون إليها، فلما وجدوها لا تذكر هذا بل تثبت أن التوراة أنزلت من بعده عليه السلام مما لا يتصوَّر معها أن يكون إبراهيم قد اعتنقها فصار يهوديا أعرضوا عنها.

وقيل إن سبب نزولها أنه زنى رجل من بنى إسرائيل بامرأة مثله وكانا من علية القوم فأراد اليهود تخليصهما من عقوبة الرجم المنصوص عليها فى التوراة فاحتكموا فيها إلى رسول الله ﷺ ـ ولم تكن آية «الرجم» فى القرآن قد نزلت بعد، فقال لهم رسول الله ﷺ «إنما أقضى بما جاء فى التوراة» فجيء بها فوجد بها آية الرجم فرُجما، فغضب اليهود وشمل غضبهم ما جاء فى التوراة خاصا بالرجم.

وجاء وصفه تعالى اليهود أو علماءهم بأنهم أوتوا نصيبا من العلم الذى تتضمنه التوراة أو

من العلـم بها ـ كما يبيـن من حرف الجـر «من» فى قولـه تعالى «إلـى الذين أوتوا نصيبـا من الكتاب» جاء وصفه تعالى هذا مبيِّنًا ثلاثة أمور:

أولهـا: أن اليهود أو علمـاءهم لـم يحطيوا بعلـم التوراة إحاطة تـامة، وأنهم مع هـذا تباهوا بهذا العلم واستكبروا ولم يؤمنوا بما أنزل العليم الخبير.

وثانيهـا : أنه ليس لأحـد أن يحيط علمه بكامـل كلام الله جلَّ وعـلا، وهذا قد يفسِّـر عدم العلم بـالمتشابـه من القـرآن، ويبين علَّـة الكشف المطَّـرد عن معـانٍ لآيات القـرآن العظيم تناسب كشوف العلم مع الزمن وملاءمة أحكامه لكل زمان ومكان.

وثالثها : أنه تعـالى هو الأعلم بالكتاب بما يـوجب طاعته فيما عُلم مـن سببه من الأحكام والأوامر والنواهى وفيما لم يُعلم .

ثم إنه تعالى بيَّن ما كان من أمـر اليهود حين دعاهم رسول الله ﷺ لإحضار التوراة و إظهار ما بها مـن دليل على صحة دعواهم أن إبـراهيم عليه السلام كان يهوديـا، أو لاستخراج حكم الزنى فيها لتطبيقه ـ على ما جاء فى سبـب نزول الآية ـ «يُدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم»، وبيَّن ما أسفر عنـه النظر فى التوراة من عدم وجـود نصٍّ يؤيد زعمهم أن إبراهيـم عليه السلام كان يهوديـا ـ على قول فى سبـب النزول ـ أو من وجود حكم الـرجم ـ على قول آخـر ـ إذْ كان منهم أنهـم أعرضوا عـن التوراة بعـد أن مالوا عنهـا، لأنه لما تبيَّـن لهم أنهـا لـم تنصرهـم فى زعمهـم الكاذب فإنهم جاءوا عنها وكرهوا التمسك بها معرضين عنها، فكأنهم كرهوا بقلوبهـم الالتجاء إليهـا وابتعدوا بجسومهـم عنها أو أبغدوهـا عنهم وطرحـوها، على مـا يبين من قـوله تعالى «ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون».

وقوله تعـالى «ثم يتولى فريـق منهم» الذى وصف المتولِّـين بأنهم فريق من بنـى إسرائيل وليس جميعهم يقبـل أن يكون هذا الفريـق هو علماء بنى إسرائيـل وأحبارهم تولـوا معرضين فتبعهم سـائر القوم اقتداء بهـم وتمثلا. ويقبـل أن يكون هو مـن لم يؤمـن لرسـول الله ﷺ ولم يُسلم، فيكون الذين لـم يتولَّوا معرضين هم الذين أسلموا من اليهود. والقول يفسِّر حال اليهود فى كل زمان مستقلا عن سبب نزول الآية .

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

التفســـير:

أشار سبحانه وتعالى إلى ما كان من اليهـود من التولِّى والإعراض عن التوراة باسم الإشارة «ذلك» ثم ذكـر سبب فعلهم هذا وأشباهـه واستخفافهم بالمعاصـى والذنوب يرتكبونهـا بأنه اعتقادهـم فى قلوبهـم والتعبير عـن معتقدهم بـاللسان أنهم لـن يعذبـوا فى الآخرة إلا أيـاما معدودات لن تـزيد على أربعين يومـا هى مدة عبادتهـم العجل أو هى مدة عبورهـم النار من باب دخولها إلى باب خروجهم منها «بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات».

ثم يبيِّـن سبحانـه وتعالـى أن ما اعتقـدوا بقلوبهـم وما قـالوا بـألسنتهم إنمـا كان نتيجـة انخداعهـم فى أمر دينهم بمـا افتروه على الديـن وكذبهم فـى الكتاب لأن قولهم إن النـار لن تمسهم إلا أيـاما معـدودات إنما كـان نتيجة قولهـم الخادع «نحـن أبناء الله وأحبـاؤه» الذى استخلصوا منه أنه تعالى لن يطيل عذاب أبنـائه وأحبائه، وقولهم «إن أنبياءنا يشفعون لنا عند الله»؛ ولما كـان هذا جميعـه وأمثاله مـن مفترياـتهم فـى دينهم، وكان خـادعهم فكـان منهم الاستخفاف بـالمعاصـى والذنوب فقـد حقَّ قـوله تعالـى فيهم «وغـرَّهم فى دينهـم ما كـانوا يفترون».

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

التفســـير:

الحديـث فى الآية عـن اليهود الذيـن غرَّهم فى دينهـم ما كانـوا يفترون. حدث سبحـانه

وتعالى رسـوله ﷺ وأمته فى شأنهـم فبدأ حديثه بلفـظ استفهام «فكيف» المراد به تهـويل ما سيذكر وإعظامه أو إعظام خطورته، وهو حالهم فـى يوم جمعهم وهو يوم القيامة أو يوم الدين والجزاء «إذا جمعنـاهم ليوم»، وجـاء بيان اليوم المـذكور بـأنه حق لاشـك فيه، فلا شـك فى وقوعه ولا شك فى وقوع ما يقع فيه «لا ريب فيه».

ثم تلى ذلك ما يكون فيه من شأن الناس جميعـا إذْ يجازَى كلٌّ بما يفعل من خير ومن شرٍّ «ووفيت كلُّ نفس ما كسبـت»، ولا يظلم فيه أحد، فلا ينقص له من حسنـاته وثواب ما فعـل، ولا يزاد له فى العذاب عمَّا استحق جزاء على ما اقترف.

و إنه لما كان الذين غرَّهم فى دينهم ما كـانوا يفترون هم بعض الناس فإنهم ملاقون جزاء ما كان منهم والقول بهذا المعنى يتضمن معنى الـوعيد لهم بعذاب يفسد دعواهم أن النار لن تمسَّهم إلا أيامًا معدودات .

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾

أولا : الأســـماء:

١ ـ اللهــــم : لفظ الجـلالة (الله) منـادَى، أصله يـا ألله، حُذفـت منها أداة النـداء «يا» وعوِّض عنها الميم.

٢ ـ مالـــك الملك : هو الملك الحقيقى يتصـرف فى كل شىء ـ لدخـوله فى مجموع الملك ـ بمـا يشاء، كيف يشاء، وقتمـا يشاء. بالإيجاد والإعـدام، والإحياء، والإماتة، والإثـابة والتعذيب بلا شريك ولا معارض. وقيل إن المراد بـ «الملك» فى قوله تعالى «تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممَّن تشاء» هو النبوة، وقيل المال والأنصار، وقيل الدنيا والآخرة.

ثانيا : التفســـير:

الخطاب ـ فى الآية ـ موجَّه إلى رسول الله ﷺ، أمره ربُّه أن يقول ما طُلب منه قوله. وسبب الطلب أنـه لما فتح رسول الله ﷺ مكـة وعد أمَّته مُلك فـارس والروم فقال المنافقـون واليهود «من أين لمحمد ملك فارس والروم وهم أعز وأمنـع من ذلك، ألم يكف محمدا مكة والمدينة حتى يطمع فى ملك فارس والروم» فنزلت الآية .

ومضمون القول دعاء إلى الله مصحـوب بالتضرع إليه مع الإقرار بأن كل خيـر هو من عنده تعالى. فـوصفه تعالى بأنه مـالك الملك فى الدعاء «قـل اللهم مالك الملك» فيه إقـرار بأنه تعالى وحده المتصرِّف فى كل شيء بإرادته فإذا أراد فلا رادَّ لمشيئته. وقول «تؤتى الملك من تشاء وتنزع المُلك ممن تشاء» فيه أمران:

أولهما : الإقرار له تعالى والشهادة بأنه الذى يؤتى المُلك من شاء أن يؤتاه ويهيىء لذلك الأسباب لتكون إرادتـه، وأنه تعالى ينزع المُلـك ممن كان له إذا شاءت إرادتـه ذلك ولا يحول دون نفاذ إرادته تعالى شيء من قوة من بيده الملك وسلطانه .

والثانـى: هو التمـاس أن ينعم الله علـى أمة رسـول الله ﷺ بالمُلـك الذى وعـدهم إيـاه، وسؤاله تعالى أن تكون مشيئته، وهو مُلك فارس والروم.

ويقبل القول أن يكـون مفسِّرا فعله تعالى بنقله النبـوة من أبناء يعقوب أو من بنـى إسرائيل إلى أبناء إسماعيل ومن بيت المقدس إلى مكة وبلاد العرب.

وقول «وتعزُّ من تشاء وتـذل من تشاء» يتضمن ذات الإقرار له تعالى جدُّه بـأنه بحكم كونه مالك المُلك المتصرف فيه بإرادته تكون منه العـزَّة وتكون منه المذلة، ويتضمن سؤاله تعالى أن يعزَّ أمته ولا يذلَّها، والعزَّة المطلوبة هى العزَّة فى الـدنيا بالنصر على أعداء الدين وبالتوفيق فى طاعته تعالـى، والعزَّة فى الآخرة تكون بالإبعاد عن جهنم وبـدخول الجنة، ويقبل المعنى أن يكون بإذلال المشركين فى الدنيا بالقتل وبـإلقائهم فى القليب، وفى الآخرة بالعذاب، كما يقبل المعنى ـ فى عمومه ـ أن يكون سـؤال الله النصر على فارس والروم فتكون للمسلمين عزة الدنيا، والجنة لمن يستشهد منهم فى القتال فتكـون لهم عزة الآخرة، وأن يكون لأعداء الدين

الذل فى الدنيا بهزيمتهم واندحارهم أمام جيوش المسلمين، وذل الآخرة بتعذيبهم بإصرارهم على الكفر.

وقول «بيدك الخير، إنك على كل شىء قدير» هو إقرار له تعالى بأنه الذى عنده جماع الخير ومنه ما سئل أن يجود به على رسوله ﷺ وعلى المسلمين، وبقدرته على كل شىء، ومنه ملك فارس والروم وقوتهما. فكأن القول دعاء له تعالى أن يكون تحقُّق ما وعد رسوله ﷺ؛ ولذا تكون الآية تبشيرا بالفتح .

والمشهور أن الآية مما يتقرب به إلى الله فى طلب الرزق وقضاء الدين استنادا إلى ما روى من أن معاذ بن جبل شكى لرسول الله دينًا كان عليه فقال له «يا معاذ أتحب أن يقضى دينك؟» قال نعم، قال «قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممَّن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء، بيدك الخير إنك على كل شىء قدير» .

﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٢٧﴾

التفسير

القول فى الآية ذكر لبعض معجزات الله فيما يدعو به رسول الله ﷺ ربَّه وهو يسأله سؤله، يعلمنا أن يكون دعاؤنا مقرونا، بما يفيد إقرارنا بأنه وحده المتصرِّف فى الأقدار بذكر بعض ما وصف به ذاته أو بعض فعاله التى لا يقدر عليها سواه. وقول «تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل» معناه تدخل كل منهما فى الآخر فكأن زوال أحدهما ولوج فى الآخر أو ولوج للآخر فيه، وقيل إنه لما كان الغالب فى بلاد الدنيا فيما خلا عند خط الاستواء أن يكون أحدهما فى وقت ما أقصر من الآخر على التبادل فيكون الأمر كما لو كان دخول ما نقص من أحدهما فى الآخر. والتعبير بلفظ «الولوج» بفعله «تولج» يتضمن تشبيها بالنكاح فكأنه يكون

بين النهار والليل نكاحا معنويا تتوالد منه الأشياء على ما يؤكده قوله تعالى «يغشى الليل النهار» فيكون كل من الليل والنهار مع الآخر مولِجا ومولَجًا فيه، شبه البعل والزوج فما تولَّد فى النهار فأمه النهار وأبوه الليل، وما تولَّد فى الليل فأمه الليل وأبوه النهار.

وقول «تخرج الحىَّ من الميت وتخرج الميت من الحى» هو ذكر لمعجزة أخرى لا يقدر عليها إلا الله، قد يكون المراد به هو خروج ما تبدو الحياة ظاهرة فيه مما لم تكن الحياة فيه ظاهرة مثل خروج الطائر وهى حىٌّ من البيضة التى لا تظهر فيها معالم الحياة، ومثل خروج الإنسان وهو حىٌّ من النطفة لا يظهر فيها أثر الحياة، وعلى عكس ذلك يكون خروج البيضة وهى مما لا تظهر فيه الحياة من الدجاجة وهى الحيَّة، وخروج النطفة وهى مما لا تظهر فيها الحياة من الرجل وهو حىٌّ، ومثل هذا وذاك خروج النخلة الحيَّة من النواة غير الظاهرة فيها الحياة، وخروج النواة غير الظاهرة فيها الحياة من النخلة وهى الحيَّة.

وقد يكون المراد بالحياة والموت معنى معنويا أو مجازيا فيكون المراد بالحياة هو الإيمان والمراد بالموت هو الكفر فيكون المعنى أنه يخرج من صلب الكافر مؤمنا، ويخرج من صلب المؤمن كافرا .

وقول «وترزق من تشاء بغير حساب» هو ذكر لأحد مظاهر قدرته لبيان أن القادر على هذا قادر على أن ينزع الملك ممن يشاء فيذله ويؤتيه من يشاء ويعزَّه.

ومعنى أنه تعالى يرزق من يشاء بغير حساب أنه تعالى يتفضل برزقه على من يشاء كما شاءت إرادته أن يكون عليه الرزق، فلا يضيق عليه ولا يحاسبه على رزقه .

لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾

أولا : الأَســـــماء:

١ ـ **تقـــاة :** هو ما يتقى منه، بمعنى «اتقاء» جاء اللفظ فى جملة الآية مفعولا مطلقا .

ثانيا : التفســـير:

عبارة الآيـة وردت فى صيغة تقـريرية والجملـة منفية، والمـراد بها النهى فتكـون «لا» فى مبتدأ القول ناهية. والمعنى أنه تعالى ينهى المؤمنين عن أن يتخذوا الكافرين أولياء بمعنى أن يجعلوهم بطانتهم وجنودهم الذين يستعينون بهـم «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء». وقوله تعالى «من دون المؤمنين» يعنى بدلا من المؤمنيـن، أو متجاوزين عن المؤمنين إلى الكافرين أو معهـم وإلى جـوارهم. والـراجح فـى الرأى أنـه يجوز الاستعـانة بغيـر المؤمنيـن فى قتـال المشركين، وليس فى قتـال البغاة المسلمين الذين خرجوا على الحاكـم. وقيل إن الآية نزلت فى عبادة بن الصـامت الأنصارى وكان له نحو خمسمائة رجل مـن اليهود سأل رسول الله ﷺ أن يخرج بهم يوم الأحزاب مستظهرا على العدو، فنزلت الآية .

ثم إنه تعالى بيَّن ما يكون عليه فاعل المنهـى عنه بقوله تعالى «ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شـىء» ومعناه أنه لا يكون ممَّـن هم فى ولاية الله أو علـى دينه، والمراد بالقـول إظهار استهجان الفعل.

ثم يـأتى قوله تعـالى «إلا أن تتقوا منهم تقـاة» موردا استثناءً ـ يفيـد الإباحة ـ علـى حكمه تعالى بعدم اتخاذ الكـافرين أولياء أو عدم موالاتهم، فأجاز ذلـك إذا ما كان بقصد اتقاء أذى يخشى معه على النفس أو سلامة الجسم، فيكـون له أن يظهر لهم المودة، كما يكون للمرء أن ينطق الكفـر بلسانه وقلبـه مطمئن بـالإيمان فى مثـل هذه الأحوال. فمفـاد الاستثناء أنـه جاء برخصة ترخص للمضطر أن يواد الكافرين فى ظاهر الأمر.

وفى ختام الآية يحث الله تعالـى المؤمنين على طاعته تعالى فيما نهى عنـه بتحذيرهم من عقابـه المعبَّر عنـه فى الآية بلفـظ «نفسه»، بـاعثا فى نفـوسهم المهـابة بتذكيـرهم أنهـم إليه راجعون فيلقون حسابهم .

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

ثانيا : التفسـير:

بعد أن نهى سبحانه وتعالى المؤمنين عن موالاة الكافرين من دون المؤمنين، وبمناسبة سؤال من سأل رسول الله ﷺ أن يأذن له فى الاستعانة بمن حالف من اليهود على المشركين.

ولعلمه تعالى بأنه قد يشق على البعض أن يلتزم أمره ألاّ يتخذ ممَّن والَى من الكافرين أصفياء ومعاونين، فلا يكون منه الالتزام أو يقوم به على كره منه، لما كان هذا فإنه تعالى أمر رسوله أن يخاطب المسلمين بجملة الآية.

وقوله تعالى «قل إن تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله» مخاطبٌ به رسول الله ﷺ، وما بعد لفظ «قل» هو ما أمره الله أن يقوله للمؤمنين.

ومعناه أنه سبحانه وتعالى يعلم ما انطوت عليه الصدور وانعقدت عليه العزائم، جاء ذكره قبل ذكر ما يكون من إبدائه فى صورة عمل إيجابى أو سلبى لأنه ما من فعل عمديٍّ إلا وقد سبق تنفيذه التفكير فيه و إرادة فعله مما يكون فى النفس.

والعلم به وهو لايزال سرًّا فى النفس يقتضى وجوب العلم به من باب أولى إذا ما ظهر فى صورة فعل.

ومع ذلك ذكر سبحانه وتعالى أنه يعلم به إذا ما أبدى لإبراز معنى المحاسبة به، ووجوب المساءلة به إن كان يستوجب عقوبة فى الدنيا .

وقوله تعالى «ويعلم ما فى السماوات والأرض» وهو ذكر للعام من بعد ذكر الخاص لتأكيد المعنى وبيان أنه تعالى لا يغرب عنه شىء فى عموم السماوات والأرض وما فيهما ومنه ما يسرُّ الخلق فى نفوسهم وما يعلنون .

واختتام الآية بقوله تعالى «والله على كل شىء قدير» هو إثبات لقدرته من بعد إثبات علمه

ليعلم الناس أنه لما كـان عليما بما يسرون ويعلنون وقادرا على كل شيء فإنـه تعالى سائلهم عن أفعالهم وما يضمرون فيتجنب الخلق عصيانه تحسبا للمساءلة وتجنبا للعقاب.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾

أولا : الأســــماء:

١ ـ **النفس** : فى قوله تعالى «**يوم تجد كل نفـس**» **المراد بها النفس** المكلفة أو نفس البالغ العاقل.

فيخرج عنها من مات طفلا غير مميز، ومن كان مجنونا جنونا مطبقا منذ بلوغه .

٢ ـ **المحضَـر** : فى قـوله تعـالى «**مـا عملت من خيـر محضرا**» اسـم مفعول مـن الفعل الرباعى «أحضر ـ يحضر» ويبين **من اللفظ أن هناك من يُحضر الأعمال** يـوم القيامة قد يكون الملائكة الكاتبين وقد يكون المكلفين **بإحضار الأعمال** .

٣ ـ **الأمـــد** : فى قـوله تعالـى «**أمدا بعيـدا**» هو غايـة **الشيء** ومنتهاه، وهـو مدة لهـا حدٌّ مجهول.

والمراد به ـ فى الآية ـ الغاية **الطويلة**، **وقـد يكون المراد به** المسافة البعيدة على ما يستفاد من قوله تعالى «ياليت بينى وبينك **بُعد المشرقين**» .

ثانيا : التفســـير:

بعد أن ذكر سبحانه وتعالى **علمه بما يسرُّ الخلـق فى نفوسهم** وما يبدون فى بيان المساءلة به، فإنه تعالى أورد ـ فى الآية ـ **ما يكون فى** يوم المساءلة **والحساب** فقال تعالى «يوم تجد كل

نفس ما عملت من خير محضرا، وما عملت من سوء تودُّ لو أن بينها وبينه أمدا بعيـــدا».

فبيَّن تعالى أنه فـى هذا اليوم وهو يوم الدين تجد النفوس المكلفة المبعْـوثة كل ما عملت فى دنيـاها من خير ومـن شر معروضـا عليها فى الصحـف المحضرة أو منظورا لها فـى صور ـ على رأى ـ وجاء ذكر الخبر أولا مع بيان إحضاره لبيان أن الخير مراد بذاته.

وبعد ذلك ذكر ما يكـون من النفوس حين تعرض عليها الشرور والآثام التـى اقترفت، فهى تتمنى لـو كان بينهـا وبين يـوم الدين الـذى عرضـت عليها فيه سيئـاتها أمـد بعيد أو مسـافة بعيـــدة.

تتمنى هذا رغم أنــه يعرض عليها فى هذا اليوم مـا كسبت من خير لفزعها مـن السوء الذى اقترفـت ولخوفها مـن عقاب الله عليه، ويقبـل المعنى أن يكـون تمنى النفوس أن يكـون بينها وبين ما عملت من سوء أمدا بعيـــدا .

ثم إنه لمـا كان المعنى المراد إيصاله للنـاس من ذكر ما يكون يوم الحسـاب هو التحسب لهذا اليوم بالتزام الطاعة وتجنب العصيان جاء قوله تعالى «ويحذركم الله نفسه» للحث على فعل الخير والمنع من عمـل السوء، بعد أن أورده تعالى فى الآية الثامنـة والعشرين للمنع عن موالاة الكفار.

ثم إنه تعالى أظهـر للعباد أن تحذيره إياهم نفسه إنما كان مـن واسع رحمته بهم لأنهم إذا حذروه تجنبوا إغضـابه فطلبوا رضاه بفعل الخيـر وتجنبوا سخطه بالابتعاد عـن الشرور والآثام فكان بذلك خلاصهم من العذاب واستحقاقهم الثواب.

ولهذا جاء قوله تعالى ـ من بعد تحذيره ـ «والله رءوف بالعباد» .

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾

التفســـــــير:

الخطاب فى الآية موجه إلى رسول الله ﷺ أن يأمـر الناس أو أن يأمر المؤمنين الذين أعلنوا حبهم لله تعالى باتباعه لإثبات حبهم لله الذى يقولون به.

وفى معنى حب العبـد لله قيل إنه اختصاص العبد ربَّه بالعبادة والتقـرب واتباع أمره، وقال الصوفية إنه لذة القلوب بما تدركه من الأمور الشريفة الإلهية التى لا تدرك بالحواس.

وأمره ﷺ المؤمنين باتباعه معناه الاقتداء به والعمل بسنَّته والتزام أوامره.

ومضمون الأمر هو ما جـاء بقوله تعالى يقوله ﷺ «إن كنتم تحبـون الله فاتبعونى» أداة شرط وفعله .

ثم يجىء جواب الشرط فى قوله تعالى يقوله ﷺ «يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم» بمعنى أنه تعالى يقرِّب إليه من أثبت حبَّه له ويرضى عنه.

عبَّر عنـه تعالى بـالحبِّ على سبيـل المجاز، لأن شـأن المحبِّ مع حبيبـه أنه يقرِّبـه إليه ويرضى عنه.

كذلك فإنه تعالى يغفر لمن أحبَّه ذنوبه فيتجاوز له عنها ولا يعاقبه بها .

وقوله تعـالى «والله غفور رحيم» قد يكون هـو قول رسول الله ﷺ للمؤمنين، وقد يكـون بيانا لعلة غفرانه تعالى ذنوب محبيه.

ومعناه أنه يقرِّب محبِّيه منه تعالى ويرضى عنهـم ويغفر لهم ذنوبهم بموجب صفتيه: كونه الغفور، وكونه الرحيم .

وقيل فـى سبب نزول الآيـة أن قومـا أتوا رسول الله ﷺ فقـالوا: «يا محمـد إنا نحـب ربَّنا» فنزلت الآية .

﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

التفســـــير:

الخطاب فى الآية موجه إلى رسول الله ﷺ، أمره سبحانه وتعالى أن يأمر الناس جميعا وأن يأمر المؤمنين بالتزام طاعة الله وطاعة رسوله «قل أطيعوا الله والرسول» .

والمراد بالطاعة التزام طاعة الله والرسول فى كل أمر وفى كل نهى .

والنصُّ يؤكد وجوب التزام طاعة رسول الله ﷺ فى كل ما أمر ونهى بصفته رسول الله وليس بصفته البشرية فقط.

ويردُّ على قول القائلين «بل نتبع كلام الله وفيه الكفاية عن السنَّة»

ويجىء قوله تعالى «فإن تولوا فإن الله لايحب الكافرين» موضِّحًا عدة معان:

أولها : أن التولِّى عن قول رسول الله ﷺبقول ربِّه متوقَّع حصوله من الكافرين أو من بعضهم ـ على الغالب ـ كما يبين من حرف الشرط «إنْ» وهو يفيد احتمال الحدثين المعبَّر عنهما بفعل الشرط : (التولِّى، وعدم التولِّى) مع تغليب وقوعه.

والثانى: هو حثُّ المؤمنين على عدم التولِّى عما أمروا به لئلا يدخلوا فى عداد الكافرين.

وثالثها: أنه سبحانه وتعالى اعتبر التولِّى عن الطاعة كفرا، وعلى هذا فإن كل من تولى عن دعوة رسول الله ﷺ يعدُّ كافرا.

والله لايحب الكافرين؛ ولذلك فإنه لا يغفر لهم ولا يشملهم برحمته فيكون لهم عذاب الحريق .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ٣٣﴾

أولا : الأســـماء والأعلام :

١ ـ نـــــوح : اسم علـم أعجمى معرب، هـو نبى الله نوح بـن لامك بـن متوشالـح، وهو صـاحب السفيـن والمنسوب إليـه الطـوفان فيقـال «طوفـان نوح» وسيـأتـى تفصيلـــه فـى موضعـــه.

أنجب سام، وحام، ويافث، ويام، تخلف رابعهم عن ركوب السفينة وكان كافرا فكان من المغرقين. كان صاحب شريعة وقد أُنسيت، يقـال له «آدم الثانى» لقوله تعالى «وجعلنا ذريته هم الباقين».

تناسل من ابنه سام العرب وبنوإسرائيل والفرس والروم.

ومن حام الجنس الـزنجى وقدماء المصريين ـ علـى الراجح ـ ومن يافـث الترك ويأجوج ومأجوج والفرنجة.

وقيل وقدماء المصريين ـ فى رأى ـ توفى وعمره تسعمائة وخمسون سنة.

٢ ـ عمران : اسم علم أعجمى معرب المقصود ـ فى الآية ـ هو عمران أبو مريم العذراء أم عيسى عليه السلام، أنجبها من زوجه «حنَّة» .

وهناك عمران آخر هو أبو موسى وهارون عليهما السلام .

ثانيا : التفســـير:

عبارة الآيـة جاءت فى جملـة تقريـرية تضمنت بيـان من اصطفاهـم الله على العــالمين، والمراد بالاصطفاء هو الاختيار للنبوة. أو اختيار دين المذكورين بنص الآية.

والمراد بـــ «العالمين» هـو أهل زمـانهم، فيكون المعنـى أنه تعالـى اختار للنبـوة آدم عليه السلام أول الخلق واصطفى نوحا عليه السلام لها أيضا واختـــاره رسولا نبيًّا.

وكذلك اختـــار لها آل إبراهيـــم وآل عمران.

فمن آل إبـراهيم كان إسمـاعيل و إسحاق و يعقوب والأسبـاط وموسى، وهـارون، ومحمد

عليه الصلاة والسلام، ومن آل عمران كان المسيح عيسى ابـن مريم عليه السلام. وقد ناسب نزول الآية ما كان من اليهود من إدلال بأنهـم أبناء إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، وما كان من نصارى نجـران من غلو فى أمر عيسى عليه السلام فجعلـوه إلٰها أو ابن الله. فكان نزول الآيـة لبيان أن الله يختار للنبـوة من يشاء مـن المصطفين، وأنـه اختار لها آدم ونـوحا وآل إبراهيم وآل عمـران فاصطفاهم على أهل زمـانهم. ويقبل القول أن يكون معنـاه أنه اصطفى لهم جميعا الـدين الذى دعوا إليـه وهو الإسلام ـ بمعناه العـام السابق تفصيله ــ إلى أن جاء محمد ﷺ بالإسلام ـ بمعناه الخاص ـ فكمل به الدين.

وقد بعث الـرسل بالرحمة وللـرحمة إلا محمدا ﷺ فإنـه بعث رحمة بذاته للعـالمين «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»؛ ولذلك فإنه كما قال «رحمة مهداة».

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤﴾

وقولـه تعالى «ذرية بعضهـا من بعض» مفـاده أن هؤلاء المصطفين ذرية واحـدة تشعبت البعض من البعض فى التناصر فى الدين وفـى الإخلاص والتوحيد كما يكون عليه الحال فى التشعُّب فى النسب. ويجىء قوله تعالى ـ فـى ختام الآية ـ والله سميع عليم بمعنى أنه تعالى يسمع ما يقول عباده ويعلم ما يعملون وما تكنُّه صدورهم وما انطوت عليه طباعهم وما جبلوا عليه من الخلق فيصطفى منهم من يشاء لما يشاء.

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٣٥﴾

لا : الأسـماء:

١ ـ **المحـرَّر**: فى قوله تعالى «ما فى بطنى محرَّرا» هو خادم المعبد فى اليهودية، لا يعمل

للدنيا ولا يتزوج، يتفرغ للعبـادة ولخدمة بيت الله، وقيل دُعِي «محرَّرا» لأنه لـم تكن تجوز عليه أحكام العبودية. وكان من الذكور.

ثانيا : التفســـير:

الآية وردت فى بيان اصطفاء الأنبياء والرسل وتعلقـت باصطفاء المسيح عيسى ابن مريم للردّ على مزاعم من ألَّهوه ومن قالوا عنه ابن الله.

فتذكـر ما كـان من امـرأة عمران «حنَّـة» حين حملـت بعد أن أدركهـا اليأس مـن الحمل وانقطع عنها الطمث فنذرت ما فى بطنها ليكون خادما لمعبد الرب.

وهو ما يتضمَّـن تمنيها على الله أن يرزقهـا ذكرا لأنه لم يكـن يُقبل خادما فـى المعبد غير الذكور، ويؤكد هذا أنها سألت الله تعالى أن يقبل نذرها.

ولما كان قبول ما فـى بطنها خادما للمعبد لا يكون إلا إذا كان ذكرا فـإنها تكون قد ضمَّنت نذرها سؤالها الله أن يهبها الذكر.

ثم إنه كان منها أنها توسَّلت إليه تعالى أن يسمع دعاءها فنادته باسميه: السميع، والعليم، فهو السامع دعاءها العالم بنيَّتها وإخلاصها، ليستجيب لها تفضلا منه وإحسانا .

فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾

أولا : الأســـماء والأعلام :

١ ـ مريــم : اسم علم أعجمى، وهى مريم العذراء أم المسيح عيسى عليه السلام.

ومعنى الاسم العابـدة، ورد ذكر حياتها وما كان منهـا وما عاصرت من أحداث إلـى وفاتها

فى تفسير سورة البقرة .

ثانيا : التفسـير:

تروى الآيـة الشريفة ما كـان من أم مريـم «حنة» عندمـا وضعت حملها وتبيَّنته أنثـى مما مفاده عدم صلاحيتها لما نذرت.

ويلاحظ فى عبارة النـص أنه رغم أن الحديث تعلق بما فى بطن حنـة «نذرت لك ما فى بطنـى» وهو فـى المعنى واللفـظ مـذكَّر، فـإن التعبير عنـه بعد مـولـده جاء بضميـر المؤنـث «وضعتها» وهذا إنما كان لِما عُلم من أنها وضعت أنثى فجاز تأنيث الضمير.

وقول حنَّة «إنى وضعتها أنثـى» لم يكن المراد به إعلام الله بجنس مولـودها فهى تعلم أنه تعالى أعلم.

لكنه جاء تعبير عن تحسُّـرها لمَّا وجدت مولودها أنثى فعلمت أنه لـن يصلح لخدمة بيت عبادة الله، أى أنه لـن يكون محررا؛ ولهذا جـاء قوله تعالـى «والله أعلم بما وضعت» جـاء فى جملة اعتـراضية ليس المراد منهـا هو معناهـا الظاهر مـن كونه تعالـى أعلم بجنس المـولود، وإنما المراد بهـا بيان أنها لاتعلم من أمـر مولودتها الأنثـى شيئا مما هو فى علمـه تعالى لأن إرادته تعالى شاءت أن يصطفيهـا من نساء بنى إسرائيل وعلى نساء العـالمين بأن تحمل نبىَّ الله عيسى عليه السلام فهى تفضـل الذكر الذى تمنته، فكأن معنى قوله تعـالى أن أم مريم لـم تعلم قدر الأنثى التى وضعتها .

وقوله تعالى «وليس الذكر كالأنثى» وردت عبارتـه فى جملة اعتراضية أخرى مفادها ـ من جهة ـ نفى المماثلة بين الذكر والأنثى على وجـه العموم، ومن جهة أخرى نفى مماثلة الذكر للأنثى التى وضعتها على وجه خاص.

ثم يجىء قول أم مريم «وإنى سمَّيتها مريم» معطوفا على قولها «إنى وضعتها أنثى» بهدف أن يعصمهـا سبحانـه وتعالـى وأن يجعلهـا من المقـرَّبين إليـه بـالعبادة علـى معنى اسمهـا «العابدة» .

وليكون فى جعلها عابـدة عوضا عن عدم قبولها خادما لبيـت عباد الله، وقيل إن فى القول. استعطافا لله ليشملها برعايته بعد أن مات أبوها قبل مولدها.

وارتبطت غـايتها هذه بما خـاطبت به ربهـا على ما جـاء فى قوله تعـالى فى ختـام الآية «وإنى أعيذها بـك وذريتها من الشيطان الرجيم» فهى استعاذت بـالله وتعلقت به أن يحفظها من الشيطان المرجوم المطرود من رحمة الله فلا يتمكـن من إغوائها والإيقاع بها فى الخطايا، كما استعاذت به أن يحفظ ذريتها أيضا من الشيطـان الرجيم، وفى استعاذتها هذه دعاء لله أن يبقيها حية وأن يكـون منها نسل يحفظه الله من الشيطـان؛ ولذلك فإن الشيطان لـم يصل إلى مريم ولا إلى عيسى عليه السلام. وذلك لأنهما كان من المخلصين، وقد قال سبحانه وتعالى فى كتـابـه العـزيـز قـول إبليـس اللعيـن «ولأغـوينهـم أجمعيـن * إلا عبـــادك منهـــم المخلصيـن».

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

أولا : الأســـــماء والأعلام :

١ ـ **القبـــول** : فى قوله تعالى «فتقبلها ربُّها بقبول حسن» قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ قبولها خادمة لبيت عبادة الله، ولم تقبل من قبلها أنثى لذلك.

والقبول مصدر من الفعل «قبل ـ يقبل» وقد لا يكون هذا صحيحا، لأن الثابت أنها خطبت ليوسف النجار وليس لمـن يقبل خادما لبيت عبـادة الله فى اليهوديـة أن يتزوج، فيكون المعنى أنه تعالى تلقاها منذ ولادتها وأظهر فيها الكرامة، كما قبل دعاء أمها فيها .

٢ ـ **النبـــات** : فى قولـه تعالى «وأنبتها نباتا حسنـا» المراد به التربية، ففـى القول استعارة تمثيلية .

٣ ـ **المحراب** : هو مكان فى المعبـد فى شكل غرفة تشكل بعض مكونـاته وهي: الكوى المسقَّفة، والهيكل، والمحراب، والغرفات.

وقيل إنه غرفة بنيت لمريم فى بيت المقدس.

وقد يكون الصحيح أن المحراب كان موجودا فى المعبـد لكونه من مكوناته ثم خصص لتقيم فيه مريم.

٤ ـ **الــرزق** : فى قولـه تعالى «وجد عندها رزقـا» قيل إنه كان فاكهة الشتـاء فى الصيف، وفاكهة الصيف فى الشتاء وأنها من ثمارالجنة .

٥ ـ **زكريـــا** : اسم علم أعجمـى معرب أصله زخارى، هـو نبى الله زكريا عليـه السلام من نسل سليمان بن داود من سبط يهوذا، وامرأته إلياصبات من نسل هارون بن عمران.

وهوـ عند النصارى مجـرد كاهن من فرقة «أبيا»، وهو أبو يحيـى عليه السلام وهو المسمَّى عند النصارى يوحنا المعمدان.

وهو زوج خالة مريم عاش مائة سنة.

وقيل إن اليهود لما اتهموه بـالزنا بمريم دخل شجرة هاربا منهــم فقطعوها وقطعوه داخلها بالمنشار.

ثانيا : التفســـير:

تروى الآية ما كان من شأن مريم منذ ولادتها، وكان مبتدأ الأمر أنه سبحانه وتعالى قبلها أن تقيم فـى معبد الـرب عابـدة ولم تكـن قبلها تقبـل فيه أنثـى، وأنه تعـالى قبلهـا من عـابديـه المخلَصين منذ ولادتها، وأظهر فيها الكرامة فكان قبوله لها هو القبول الحسن.

كما أنه تعالى ربَّاها التربية الحسنة وأنشأها فى طاعته، وجعل كفالتها لزكريا عليه السلام، عهد إليه بـواجب رعايتها والمحافظـة عليها ضامنا لمصـالحها بعد أن تنافس فـى هذا كهنة

المعبد فتساهمـوا فيها فخرج سهم زكريا لثـلاث مرات فكان له كفالتها «فتقبَّلهـا ربُّها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفَّلها زكريا».

ومع وضوح بيـان قبول الله لمريم فإن الضمير المتصل فى لفظ «ربُّها» يكـون راجعا على مريم ـ وهذا هو الراجح ـ

وقيل إنـه يعود على أمهـا صاحبة القـول المذكـور فى الآية السـابقة «ربِّ إنى وضعتهـا أنثى».

ثم تروى الآية بعض أحداث فترة وجود مريم فـى محراب المعبد بقوله تعالى «كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا».

ذلك أنه لم يكـن يدخل على مريم المحراب غيـر زكريا، فلذلك كان وحـده الذى عاين رزق الله الذى كان يؤتيها ويتعجب من ذلك لأنـه كان يغلق عليها الأبواب مما لا يتمكن معه أحد من الولوج إليها أو إيصال شىء لها.

وقد كان طبيعيا أن يتساءل زكريا عن مصدر هذا الـرزق، وأن يتوجه بسؤاله إلى مريم ذاتها ولذلك سـألها «قال يا مريـم أنَّى لك هذا» بمعنى مـن أين لك هذا الرزق. وقـد استدل بهذا على أنه تعالى قد يؤتى الأولياء كرامة، لأن هذا الرزق الذى آتاه مريم كان كرامة، ولما لم تكن لمريم نبوَّة، فإنه بقى أن تكون صدِّيقة فيكون للأولياء والصديقين كرامة.

وتبين الآية أن إجابة مريم إنما كانت لائقة بمثلها «قالت هو من عند الله» بمعنى أن رازقها هو الله وأنه بعض من رزقه، وأنه من رزق الجنة.

وتختتم الآيـة بقوله تعـالى «إن الله يرزق من يشـاء بغير حساب»، والقـول ليس قول مـريم وإنما هو قوله تعالى جاء تعليلا لكون الرزق من عنده تعالى .

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾

التفســــــير :

ورد ذكر قصة زكريا هذه من خلال رواية قصة مريـم لكون الأخيرة ظرفا مصاحبا لها، وقوله تعالى «هنالك دعا زكريا ربَّه» معناه «ومن هاهنا دعا زكريا ربَّه».

ولفظ «هنـالك» يتكـون من : «هنـا» وهى ظـرف مكان، والـلام ـ لإفـادة البعد، والكـاف للخطاب، فيكون معنى اللفظ هو «فى ذلك المكان».

ودعاء زكريـا ربه إنما كان لرؤيتـه الثمار التى عند مريـم فى غير أوانها، فرأى فـى الثمر ما يشبه الولد، ورأى فى عقر امرأته وشيخوخته ما يشبه كونه فى غير أوانه فكان دعاؤه .

وتمثل دعاء زكريا فى قوله «ربِّ هب لى من لدنك ذرية طيبة».

والبيِّن مـن القرآن العظيم أنـه دعا ربه ثـلاث مرات، منهـا دعاؤه بالـدعاء الوارد فـى هذه الآية، ومنها دعاؤه بقولـه «ربِّ إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبًا»، ومنهـا دعاؤه بقوله «رب لا تذرنى فردا».

وسؤاله ربه فى الآيـة إنما كان بأن يهبه الذرية الطيبة، اعتبرهـا هبة من الله لأن الهبة تمنح بغير مقابل، لأنه رأى فـى شيخوخته وفى عقر امرأته ما يفيد انقطاع سبـب امتناع الذرية فشبَّه لديه بانعدام المقابـل، وهى هبة من لدنه تعالى لأنه لا يقدر على إجـابة طلبه ودعائه ســوى الله.

وطلبه الذرية إنمـا كان بولد واحد ولم يكـن بعديدين، ولم يحدِّد جنســه وإنما طلب من ربه أن يكون طيبا بمعنى مباركا صالحا تقيًّا .

ثم كان اختتامه دعاءه بقوله «إنك سميع الدعاء» اقتدى فيه بإبراهيم عليه الصلاة والسلام قال «الحمد لله الذى وهب لـى على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربى لسميع الـدعاء»، قاله تعليلا لدعائه والتماسا من الله أن تكون منه الإجابة .

فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾

أولا : الأســـماء والأعلام :

١ ـ **الملائكة** : المراد جبريل عليه السلام، فقد كـان هو المنادِى، جاء ذكره بصيغة الجمع للتعظيم، أو من قبيل إسناد فعل البعض للكل .

٢ ـ **المحـــراب**: المراد به محراب المعبد، ويقبل المعنى أن يكون المحراب الذى كانت فيه مريم .

٣ ـ **يحيى** : اسم علم أعجمى، وقيل إنه اسم عربى منقول من الفعل مثل يزيد.

وهو يـوحنا المعمدان فـى الإنجيل الذى بين أيـدينا اليوم، نبـىء صغيرا ودعا النـاس إلى عبادة الله. وبشّـر بقدوم المسيح الذى تنبـأ به إشعياء النبـى، وهو الذى عمَّده فـى نهر الأردن. قتله هيرودس الحاكم الرومانى على فلسطين لأنـه كان دائم التعريض به وبهيروديا امرأة أخيه فيلبس التى كان يعشقها وتعشقه كما كان يستهويه جمال ابنتها سميراميس.

فطلبت هيروديا من سميـراميس أن تتجمَّل له وأن ترقص له فاهتـاج شيطانه داخله وطلب منها أن تسأله ما تريد فيعطيها إلى نصف مملكته، فلم تطلب سوى رأس يحيى فقتله .

٤ ـ **الكلمـــة**: فى قولـه تعالى «مصدقا بكلمة مـن الله» هو المسيح عيسى ابن مـريم عليه السلام.

سمى كـذلك لأنه وُجـد بكلمة «كن» ولقـوله تعالـى فيه «إنما المسيـح عيسى ابن مـريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم » .

٥ ـ **الســيد** : فى قوله تعالى «وسيدا وحصورا» هو التقىُّ، وهو الفقيه العالـم.

وقيل الفائق أقرانه بالخير.

٦ ـ **الحصور**: فى قوله تعالى «وسيدا وحضورا» هو الذى لا يأتى النساء مع قدرته على ذلك.

وقيل هو العنين الذى لا ذَكر له يتأتى به النكاح، ولا يُنزل.

ثانيا: التفسير:

تروى الآية الشريفة ما كان من أمر زكريا بعد دعائه ربه أن يهبه الذرية الطيبة فتقول إن جبريل عليه السلام ناداه أثناء قيامه فى الصلاة فى محراب المعبد.

ذُكر جبريل بلفظ الجمع «الملائكة» لعظيم شأنه «فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب».

وكان قول جبريل عليه السلام له هو بتبشيره بإجابة الله دعاءه وأنه ينجب ابنا يدعوه يحيى «إن الله يبشرك بيحيى».

وقيل فى سبب اختيار الاسم أنه سُمِّى به لأن الله أحيا به عقر أمه، وقيل لأنه الله أحيا قلبه بالإيمان.

وبعد ذلك أورد جبريل عليه السلام أوصاف هذا الابن المبشَّر به فقال فى حاله «مصدقا بكلمة من الله» بمعنى أنه يصدِّق ما ورد فى كتاب العهد القديم فى شأن مبعث المسيح عيسى ابن مريم نبيًّا فى بنى إسرائيل فيكون المسيح هو كلمة الله أو كلمة من الله.

وفى الإنجيل الذى بين أيدينا اليوم أن يحيى ـ وهو فيه يوحنا ـ كان يكرز ببشارة المسيح، وقال جبريل عليه السلام فى أوصافه إنه يكون فقيها عالما يفوق أقرانه بالخير «وسيدا»، وأنه يكون ممتنعا عن مباشرة النساء «وحصورا».

وأن الله يبعثه نبيا فى بنى إسرائيل «ونبيا» فيكون معدودا فى عداد الصالحين على ما جاء فى دعوة سليمان عليه السلام «وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين».

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ غـــلام : الغلام هو الولد الذكر، مشتق من الغُلمة وهى شدة طلب النكاح .

٢ ـ عاقــر: العاقر هى العقيم التى لا تلد، دعيت المـرأة التى لا تلد عاقرا لأنها تكون ذات عقر على النسب .

ثانيا : التفســـير:

تروى الآية الشـريفة ما كان من زكـريا بعد أن بشَّره جبـريل عليه السلام بأنــه يخلف ولدا على ما وصفه له. ف

تذكر أن زكـريا خاطب ربه ــ ولم يخاطب المـلاك الذى بشَّره ـ فقال «ربِّ أنَّـى يكون لى غلام» بمعنى «كيف يكون لى غلام»، أو «من أين يكـون لى غلام» وذكره الغلام يفيد أنه أخبر عند التبشير بقوله تعالى «إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى».

وقوله هذا يفيد تعجبه لأمر الله معه.

وتبيِّن الآية الشريفة أن زكريا أبدى لربِّه أسباب تعجُّبه مما بُشِّر به بمخاطبته ربه قائلا «وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقـر» لأنه كان قد بلغ من العمر التسعين أو ما فوقهـا على الراجح، وهو سن لا ينجب فيه الرجل عادة.

كما كانت امرأته عاقرا لم تحمل ولم تلد فى شبابها، مما يكاد معه مستحيلا ـ على طبيعة الأشياء ـ أن يكون منه ومنها حمل و إنجاب.

فيكون قـول زكريا قـد ورد على سبيل استعظـام قدرة الله، وليـس إنكارا للبشارة استمـاعا لوسوسة الشيطان كما زعم البعض .

وكانت إجابة الله على استعظامه أمر ربه معه أنـه ينجب على الكبر من زوجه العـاقر قوله تعالـى «قال كذلكَ الله يفعـل ما يشاء» بمعنى أنـه على هذا النحـو الذى رأيته عجيبا خـارقا للعادة يأتى فعله تعالى على ما تكون مشيئته، لأنه إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون .

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **الرمـز** : فى قوله تعالى «إلا رمزا» هو الإشارة أو العلامة، والمراد به ـ فى الآية ـ الإيماء والتحريك فيشمل الإشارة بـاليد والوحى بالرأس، وقيل إنه كان بتحريـك الشفتين أو بالكتابة على الأرض، أو الإشارة بالمسبحة .

٢ ـ **العشى**: فى قوله تعالـى «وسبِّح بالعشىِّ والإبكار». هو الوقت مـن الزوال إلى الغروب، وقيل من العصر إلى ذهاب صدر الليل .

٣ ـ **الإبكـار**: المراد به وقت الإبكار وهو من الفجر إلى الضحى .

ثانيا : التفسـير:

الآية الشريفة استئناف لمـا كان من زكريا مع ربه فتذكر أنه عنـدما بلغته البشارة وامتلأت نفسه بالسعادة فإنه تعجل تحققها فطلب من ربه أن يعطيه دليلا على حصول الحمل أو على العلوق ليكون منه الشكر الخاص بها لله «قال ربِّ اجعل لى آية».

كذلك تذكر الآية أنه سبحانه وتعالى بين له ما يكون عليه هذا الدليل «قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا» فكان الدليل هو أن يعجز زكريا عن الكلام.

قيل فيه إن لسانه تضخم فلم يكن فى مقـدوره أن يتكلم إلا بذكر الله وشكره فكان فى ذلك آية.

وقيل إن عـدم الكلام كـان من الصوم وقتـذاك فهو صيـام عن الكلام طلـب من زكـريا أن يؤديه، وفى أثناء فتـرة الصوم لـم يكن يحادث الناس إلا بالإشارة باليـد والإيماء بالرأس، وقيل بالكتابة على الأرض أوباستعمال المسبحة، وقيل بتحريك الشفتين.

وقد ذكر تعالى مدة عدم الكلام بأنها ثلاثة أيـام وقيل إنها تعنى ثلاث ليال لقوله تعالى فى سورة مريم «ثلاث ليـال» إلا أنه اقتصر فى الآية على ذكر الأيام، وقيل إنهـا كانت ثلاث ليال. وكان صوم الأيام تباعا صوما متصلا .

وبعد أن أعطى الله سبحـانه وتعالى زكـريا الآية التى طلبها فـإنه تعالى أمـره أن يكون منه خلال هذه الأيام التى منع فيها من الكلام شكر ربـه على هذه النعمة التى أنعم بها عليه على وجه الخصـوص، أوعليها وعلى غيرهـا من النعم بـذكره تعالـى كثيراً فتكون الكثرة فـى عدد مرات الذكر وفى زمانه ووقته «واذكر ربك كثيرا».

كما أمره تعالى أن يسبحه فى وقت العشى وفى وقت الإبكار، والمراد بالتسبيح هو الصلاة فتكون منه الصلاة فى جميع الأوقات «واذكر ربـك كثيرا، وسبح بالعشى والإبكار». ويؤيد أن يكون المراد بالتسبيح هـو الصلاة أن ذكره جاء مقيدا بالوقت وهذا حـال الصلاة على ما يبين من قوله تعالى «فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون».

وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾

التفسـير:

الآية عود إلى قصة مريم فى بيان أحكام اصطفاء آل عمران، فتذكر أن جبريل عليه السلام خاطبها قـائلا «يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفـاك على نساء العالمين»، ذكـر جبريل عليه السلام بلفظ الجمع «الملائكة» للتعظيم ـ على مـا سبق عليه القول ـ والراجح أنه عليه السلام كلمها، وقيل إنه ألهمها هذا.

ونرى ذلك مستبعدا لصراحة النص ولموافقة هذا ما دلّت عليه الأخبار .

وقد قال البعض ـ مستدلا بمخاطبة جبريل مريم ـ إنها كانت نبيَّة، وقد يكون الصحيح أنه كان من باب الكرامة التى يمنُّ بها الله على خواص عباده.

ومعنى «الاصطفاء» فى قوله تعالى «إن الله اصطفاك» هو اختياره إياها فى مبتدأ الأمر وتمييزها على كل محرَّر يخدم بيت العبادة واختصاصها بالكرامات .

والمراد بالاصطفاء فى قوله تعالى «وطهرك واصطفاك على نساء العالمين» هو اختيارها من دون نساء العالمين للحمل بعيسى عليه السلام بغير أب وهو ما لم يكن لأحد من النساء، وأن يجعلها وابنها آية للعالمين.

والواضح من الآية أنه منذ الاختيار الأول أو الاصطفاء الأول طهَّر سبحانه وتعالى مريم.

وقيل فى شأن هذا أنه طهرها من الأقذار التى تتأتى للنساء لتكون فيها القدرة والصلاحية على ملازمة بيت الله للعبادة.

وقيل إنه تعالى طهرها بالطاعة عن المعصية ونزَّهها عن الأخلاق الذميمة والطباع الرديئة .

ثم يجىء قوله تعالى فى مريم على لسان جبريل عليه السلام «واصطفاك على نساء العالمين» فيه ذكر الاصطفاء الثانى وفيه ما يفيد العلو على نساء العالمين فى شأن هذا الاصطفاء كما يبين من حرف الجر «على» .

وقيل إن المراد بالعالمين جميع العصور فتكون مريم قد اصطفاها الله على نساء العالمين فى جميع الأزمنة.

ووفقا لهذا المعنى قال البعض إنها تفضل فاطمة الزهراء وتفضل السيدة خديجة رضى الله تعالى عنهما وأرضاهما.

ولا نرى ذلك صحيحا لأن اصطفاءها بالحمل فى المسيح عيسى ابن مريم واختصاصها بهذا الفضل علت به على نساء العالمين فى خصوصيته لا يفيد أفضليتها المطلقة على النساء فى جميع العصور فى شتى أنحاء المفاضلة. وقال البعض إن الاصطفاء الثانى إنما

كان على نساء العالمين فى زمانها، وهذا هو المشهور.

يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾

التفســـير:

عبارة الآية من جملة ما قال جبريل عليه السلام لمريم أبلغها أمر الله تعالى أو وصيته إليها بالمحافظة على الصلاة فلا تفتر عن العبـادة، وبالقنوت فى الصلاة فتطيلها ولا تتعجل الفراغ منها.

وبعد ذكر الصلاة جاء ذكـر أركانها مبالغة فى إظهار واجب المحافظـة عليها «اقنتى لربك واسجدى واركعى» جاء ذكر السجود قبل الركـوع لأن فيه إظهار أقصى مراتب الخضوع، ولأنه لم يكن فى صلاة اليهود ركوع.

ثم جاء ذكر الركوع لبيان أنه لا تكون صلاة مقبولة عند الله الصلاة الخالية من الركوع، وقيل إن الركوع المقصود هو الخشوع والتواضع .

وقيل إن فى قـوله تعالى «واركعى مـع الراكعين» ما يفيـد أنها كانت تصلى الجمـاعة مع المصلين، وقيل إنها كانت تصلى فى محرابها مقتدية بالمصلين الجماعة.

أو إنها كانت تصلى فيـه مع النساء مقتديات بالمصلين فكن يصليـن الجماعة على هذا النحو.

وجاء قولـــه تعالى «مع الراكعين» وليس مـعْ الراكعات، لأنهن كنَّ مع الراكعين فذكـــروا من بـــاب التغليب .

ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ــ الأقـــــــلام : فى قـوله تعـالى «إذ يلقون أقـلامهم» المراد بهـا الأقـلام التـى كان الأحبــار والكهنة يكتبون بها التوراة اقترعوا بها تبركا بها.

وقيل هى سهام من النشاب، وهى القداح .

التفســـير:

الإشارة فـى الآية هى إلى قصـة مريم وما داخلهـا من قصة زكـريا عليه السلام، لـم يكن الرسول ﷺ يعرف عنها شيئا ولـم يكن العرب يعرفونها.

وكان اليهود الـذين أنكروا نزول الوحى علـى رسول الله ﷺ يعرفونها و إن اعتقـدوا فى شأن بعض أحداثها ما اعتقدوا عن باطل اعتنقوه، وكذلك كان يعرفها النصارى.

ولما كان من لـم يؤمن لرسول الله ﷺ من هـؤلاء وهؤلاء قد أنكر أنه النبى المبشّـر به الذى يوحى إليـه، فقد جاء قوله تعـالى «ذلك من أنبـاء الغيب نوحيه إليك» مبينـا أن وقائع القصة المرويَّة كانت غيبا عــن رسول الله ﷺ وعن قومه، لـم يكن يعرفه ولـم يكـونوا يعرفونه، ومثبتا أن معرفته ﷺ ومعرفة قومه بها جاء بعد نزول الوحى عليه بها.

وفى هذا احتجاج على من أنكروا نبوته عليه الصلاة والسلام بإقامة الدليل على أنه يوحى إليه من ربه.

وجاء قولـه تعالى «وما كنـت لديهم إذ يلقون أقلامهـم أيهم يكفل مريـم» يتضمن تهكما على منكرى نبوة رسول الله ﷺ، لأن معرفته بالقصة المرويـة يثبت أنه نبى يوحى إليه من ربه، لأنه إن لم يكـن كذلك لـم يكن ثمـة سبيل لمعرفته بـالقصة المروية إلا أن يكون حـاضرا مع الذيـن تدافعوا لكفالـة مريم وتنـافسوا فى ذلـك، ثم كان منهم الاقتـراع فى ذلك بـاستخدام أقلامهم فى الاقتراع لتكون الكفالة لمن يعلو قلمه، وهو ما كان لزكريا.

ولما كان محققا ﷺ أنه لـم يحضر هذه الواقعات فإنه لا يبقى إلا أن يكون قد أوحى إليه من ربه ذكر واقعات القصة، ومنها أنه كان من المقترعيـن اختصام وتنافس فى شأن الكفالة الذى

كان قبل الاقتراع - على الراجح - وإن قال البعض إن كان بعده .

وفى الآية دليل على جواز اللجوء إلى القرعة فى تمييز الحقوق .

إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

أولا : الأســـماء والأعلام :

١ ـ **المسيـح** : المراد بـه الممسوح بالدهـن علامة علـى الملك، ذلك أن اليهود كـانوا يمسحون رءوس ملوكهـم بالدهن، يفعل ذلك الكـاهن تدليلا على تنصيـب الممسوح ملكا، ولما كـان اليهود يعتقدون أن المبشَّر بـه يكون ملكا لإسرائيـل فإنهم أسموه «المسيـح»، وهو عندهم يسمَّى «المسيًّا» وهو رسول الله وكلمته عيسى ابن مريم عليه السلام .

٢ ـ **الوجيــه** : فى قولـه تعالى «وجيها فى الـدنيا والآخرة» هو ذو الجـاه والقدر والشرف، والمراد بوجاهة الدنيا النبوة التى أوتيها، وبوجاهة الآخرة الشفاعة تقبل منه .

٣ ـ **عيسى** : اسم علم أعجمى معرب أصله «يسوع» أو أيشوع .

٤ ـ **المقربون** : فى قولـه تعالى «ومن المقـربين» المراد بهم المقـربون من الله تعالـى يوم القيامة.

وقيل إن تقريب المسيح عليه السلام كان برفعه إلى السماء وصحبته الملائكة .

ثانيا : التفســـير:

تذكر الآية ما كان لدى تبشير مريم بحـدوث واقعات الاصطفاء الثانى وهو اختيارها لتكون أُمًّا لنبى الله عيسى عليه السـلام، فتقول إن جبريل عليه السلام خاطبها قـائلا «يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه» .

فاعتبر مضمون الإبلاغ بشـارة لها، فضلا عن كونه مما بشِّر به فى التـوراة على ما جاء فيها

«جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من ساعير وتلألأ من جبل فاران» وهو إعلام بنزول التوراة على موسى عليه السلام فى جبل سيناء، وتنبؤ بظهور المسيح فى فلسطين لأن ساعير منطقة فى فلسطين أخذ اسمها من جبل ساعير، وتبشير ببعث رسول الله ﷺ من مكة حيث جبل فاران. فضلا عن كون فاران اسما لمكة ورد ذكره فى التوراة .

وجاء ذكر المبشر به بأنه كلمة من الله لأنه خلق بكلمة الله وحدها بغير واسطة أب كشأن البشر جميعهم، فكان للكلمة فى شأنه الأثر الكامل.

ثم ذكر اسمه كاملا وهو «المسيح عيسى ابن مريم» فجعل القول من لفظ المسيح ـ ومعناه الممسوح بالدهن ـ اسما له عليه السلام أو لقبا.

ثم ذكر اسمه بالعربى وهو عيسى، ثم أورد به صفة جعلها من الاسم «ابن مريم» ليكون المراد بالاسم ــ على هذا النحو ــ السمة والعلامة التى يميز بها. لاشتماله على اللقب، والاسم، والصفة.

وبعد ذلك جاء بيان حاله عليه السلام وهو كونه وجيها فى الدنيا والآخرة، نال فى الدنيا شرف النبوة ونال فى الآخرة شرف الشفاعة، وكونه يوم القيامة من المقربين إليه تعالى .

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **المهـد** : هو مقر الصبى فى رضاعه .

٢ ـ **الكهل** : فى قوله تعالى «وكهلا» هو المرء ما بين الشاب والشيخ، أو ما بين الأربعين والستين

ثانيا : التفسـير:

عبارة الآية جاءت معطوفة على حال المسيح عيسى ابن مريم المذكور فى الآية السابقة فتذكر أنه من حاله أن يكلم الناس فى طفولته.

وقيل إنه تكلم لساعة واحدة برأ فيها أمه مما اتهمها به البعض.

أنكر البعض هذا وقالوا إنه لو كان قد تكلم لعلم النصارى بهذا:

وهذا خطأ لسببين أن الثابت فى الإنجيل الذى بين أيدينا اليوم إنه لم يكن لمريم حين ولدت المسيح مكان فى البيت وأنها ولدته ووضعته فى مذود، وأنه بعد أن توجهت به إلى قومها لم يكن معها غير يوسف النجار ورجل بار يدعى سمعان، فيكون هذان هما اللذان سمعا كلامه.

ولما كان عددهما لم يبلغ حد التواتر فإنه لم يؤخذ به حين أنكره المنكرون مما اضطرهما إلى السكوت فخفى عن النصارى أمر تكلمه فى المهد .

وقد ساوى النص بين كلامه عليه السلام فى المهد وكلامه فى الكهولة، ويستفاد من عبارة النص أنه لا يمكث فى الأرض بعد فترة الكهولة، والمعلوم أنه عليه السلام رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.

كذلك يثبت الناس أنه من الصالحين أى من المعدودين فى عدادهم، وفى ذلك إضافة لمعلوم بالضرورة لكونه رسولا نبيا .

قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾

التفســــير:

تخبر الآية الشريفة عما كان من مريم بعد إبلاغها معنى الاصطفاء الثانى، فقد خاطبت ربها قائلة «رب أنى يكون لى ولد» وعبارتها جاءت استفهاما على المجاز لإظهار تعجبها من الأمر المبلغ به واستبعادها أن يتحقق وفقا للجريان العادى للأمور.

ولذلك فإنها أوردت سبب هذا التعجب بقولها «ولم يمسسنى بشر» وهو ما يعنى أنه لم

يجتمع معها رجل اجتماع الرجل بالأنثى فى نكاح مشروع بعقد أو فى غيره .

ثم تروى الآية ما قاله الله لها، قاله جبريل عليه السلام والنسبة لله تعالى وورود العبارة على هذا النحو كان تشريفا لجبريل عليه السلام، «قال كذلك يخلق الله ما يشاء» بمعنى أنه على هذا النحو يكون خلق الله المسيح عيسى ابن مريم من غير أب .

وبعد ذلك أورد قول الله بيان الخلق على هذا النحو كيف يكون «إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون» .

وبهذا ينتفى سبب التعجب لأن المعنى أن إرادته تعالى هى أن يخلق المسيح عيسى ابن مريم بغير واسطة الرجل.

وأنه تعالى متى شاء شيئا أو متى شاء لشىء أن يتحقق فإنه يقول له «كن» فتكون مشيئته بتحقق ما شاء. وقيل إن قول «كن» إنما كان على سبيل التمثيل لتقريب المعنى، وأنه تكفى المشيئة الإلٰهية لوجود ما شاءت أن يكون .

وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ الكتـاب : قيل إن المراد به الكتابة أى الخط باليد.

والذى نراه أن ذلك بعيد عما يثبته الواقع فالثابت من الآثار أن هناك كتابات استعملت الأحرف أو ما يدل عليها فى لغات قديمة سبقت عهد المسيح عليه السلام وزمانه.

ونرى أن المراد بالكتاب هو ما أنزل الله على الأنبياء والرسل قبله عليه السلام من **الصحف** والكتب فيدخل فيها صحف إدريس عليه السلام وصحف إبراهيم وموسى، والزبور.

٢ ـ الحكمة: المراد بها الفقه يفرق به بين الحلال والحرام، ولذلك كان منه عليه السلام أن صحّح لأحبار اليهود معنى الراحة يوم السبت .

ثانيا: التفســـير:

جملة الآيـة معطوفة علـى قوله تعـالى «يبشرك» فيكـون معنى الآية أنـه تعالى يعلِّـم هذا المولود كتبه التى أنزلها على الأنبياء والرسل الذين سبقوه.

وقد ورد فـى الإنجيل الذى بين أيـدينا اليوم أن أحبار الفـريسيين والصدوقيين مـن اليهود كانوا يتعجبون مما يعلم من شأن الكتب السابقة حين يستمعون إليه يعظ الناس فى المعبد أو فى الأسواق، ويقولـون من أين له العلم بهذا، وأنــه تعالى يعلمه الفقه ليكون منـه تصحيح ما اعتقد اليهود أنه من صحيح الشريعة أو العقيدة.

كذلك تذكـر الآية أنه تعالى يكون منـه أن يعلمه التوراة والإنجيل جاء ذكرهمـا على وجه خاص رغـم دخولهما فى عمـوم الكتاب لبيان شرفهمـا ـ من جهة ـ ولأنه لما كانـت التوراة متضمنة الشريعة التى أقرها المسيح ولم يأت بغيرهـا ولم ينسخها فقد لزم ذكر أنه تعالى علَّمه إياها لبيان أن تصحيحه ما كان عليه تطبيقها إنما كان بما علمه ربه.

وجاء ذكر الإنجيـل موصوفا بأنـه مما علم الله به المسيـح مع أنه أنزل عليه، لبيـان أنه لم يحو شريعة وإنما كان تعليما بالصحيح فى الشريعة وبما يكون عليه الإعلام به .

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾

أولا: الأســـماء :

١ ـ هيئـــــة فى قوله تعالى «كهيئة الطير» هـى الشكل الخارجى للشىء الذى يظهر

فى عين الرائى.

٢ـ الأكمــه: هو الأعمى منذ مولده. وقيل إنه الذى لم يخلق له حدقة .

٣ـ الأبــرص : هو الذى به برص، وهو مرض جلدى غير معدٍ يفقد معه الجزء المصاب من الجلد لونه فيستحيل أبيض، وهو مما لم يعرف له دواء شاف .

ثانيا : التفســـير:

جاء قولـه تعالى «ورسولا إلـى بنى إسرائيل» معطـوفا على قولـه تعالى فى الآيـة السابقة «ويعلمه الكتاب والحكمة» فيكون المعنى «ويبعثه رسولا إلى بنى إسرائيل» .

ويستفاد من هذا أنه عليه السلام قد بعث إلى بنى إسرائيل قومه فقط ولم يبعث للعالمين، وهو ما يتأكد فيما نسب إليه من القول فـى الإنجيل الذى بين أيدينا اليوم «إنما جئت لأهدى خراف بيت إسرائيل الضالة» .

ونحن نعلم أن من قومه هؤلاء من قال فيه بهتـانا عظيما فزعم أنه ابن سفاح. وأن منهم من قال إنه كان رجلا صالحا ولم يكن نبيا.

والمعلوم أن رسالته دامت لثلاث سنوات فقط إذْ أوحى إليه وهو فى الثلاثين ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.

ثم تذكـر الآية الشريفة قول عيسـى لقومه ـ بصفته رسـولا ـ وما يدل عليه مـن الفعل، وهو المذكور بقـوله تعالى «أنى قـد جئتكم بآية من ربكـم أنى أخلق لكم من الطيـن كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله».

وأول ما يستخلص مـن عبارة الآية أنه عليه السلام قـال ذلك فى معرض الدعـوة للإيمان بالله علـى نحو صحيح، وفـى معرض التدليـل على قـدرته على مـا يستفاد من وصفـه العمل المعجز الذى سيأتى به بأنه «آية» أى دليل على أنه بعث بالحق.

ثم بنسبته إلى ربه ورب المخاطبين «بآية من ربكم».

وثانى ما يستخلص منها أنه عليه السلام لم يزعم أنه يخلق من عدم أو من البدء، فوصف

ما يخلقه بأنه شىء يشبه هيئة الطير أو يماثـل هيئته، يرسمه على الطين أو يشكِّله به على نحو ما يفعـل صانعو التماثيـل «أنى أخلق لكـم من الطين كهيئـة الطير»، فيكون عليه السـلام قد استعمل مـادة جاهـزة من قبـل هى الطين الـذى خلقه الله ممـا لا يكون معـه فعله خلقًـا من العـدم.

وثالث ما يستخلص منها أن بث الروح فيما صنع على شكل الطير إنما كان بأمر الله و إذنه الذى أعلمه أن ينفـخ فيما رسم على الطين أو شكَّلـه منه على هيئة الطير ليكـون بعث الحياة فيه بإذنه تعالى ولا يكـون معه نفخ عيسى سوى سبب ظاهر، أو فى الظاهـر لدخول الحياة من الله فى الشكل المرسوم أو المصنوع.

ورابع ما يستخلص من الآية أنه فعل ذلـك فبعث الله الحياة فيما صنع من الطين أو رسمه عليه.

وقيل إنه كان خفاشا لأنه يجمع من صفات الحيوان خصائصه فهو يلد و يرضع و يحيض، و يأخذ من الطير خلة الطيران.

والرأى عندنا أن القول بأنه كان الخفاش ما صنـع، يوافق قوله تعالى «كهيئة الطير» إذ ليس للخفاش من صفات الطيـر إلا أنه يطير أو أنه يُرى طائرا فتكون هيئته كهيئـة الطير، وحقيقته أنه حيوان .

وبعد ذلك تذكر الآيـة أنه عليه السلام قال «وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيـى الموتى بإذن الله».

والمعنى أنه قال هذا وفعله فى الظاهر أمام الـرائين أو المشاهدين، وأنه عليه السلام أخبر أن شفاء الأكمه والأبرص و إحياء الموتى إنما كان بـإذن الله و بأمره، حتى لا يُتوهـم أنه الفاعل فيؤلَّه.

وجاء فـى الإنجيل الذى بيـن أيدينـا اليوم أنه شفـى الأبرص والمفلوج وصـاحـب اليـــد اليابسـة، وأنه أحيا ابـن الأرملة فى مـدينة نابين، وشفـى الأعمى منذ مـولده، وأحيا لعـازر من الموت، وأحيا ابنة العشَّار.

وقال البعض أنه أقام سام بن نوح من الأموات ثم قال له «مت» فمات لوقته .

كذلك تذكر الآية أنه قال للناس إنه قادر على أن ينبئهم بالطعام الذى طعموه وبما يحفظونه فى بيوتهم من الطعام وما يدخرون منه ومما له قيمة.

وقيل إن المراد بما أكلوا وما ادخروا إنما كان بعد نزول المائدة وأخذ البعض شيئا من الطعام احتفظوا به فى بيوتهم مخالفين نهيه عليه السلام عن فعل ذلك.

والملاحظ أنه عند ذكر إتيانه بهذا الفعل لم يجىء ذكر قوله «بإذن الله» ولا يتوهم أنه قصد نسبة الفعل إليه إذ يبين من قوله بعد هذا «إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين» .

بمعنى أنه فى الأربعة الخوارق العظيمة التى أتاها آية للناس أو للمؤمنين منهم أو الذين يدَّعون أنهم مؤمنون على أنه رسول من رب العالمين الذى أمدَّه بالآيات الخوارق فكان فاعلها على الحقيقة .

وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى مبتدأ الآية - «ومصدقا لما بين يدى من التوراة» قاله عيسى عليه السلام مبينا حاله فيما أضمر من معنى فى قوله «قد جئتكم بآية» بمعنى «قد جئتكم محتجًا بآية» فيكون معطوفا عليه.

ومعنى أنه عليه السلام جاء مصدقا بالتوراة يتضمن معنى أنه جاء كما وصف فيها لدى التبشير به فيها فيكون فى مجيئه تصديق لها.

كما أنه يعنى أنه آمن بها وصدق، والثابت عنه أنه قال «ما جئت لأنقض بل لأكمل»، وأنه كان على شريعة موسى عليه السلام .

ويبين عيسـى عليه السلام دوره فـى شريعة موسـى بقوله «ولأحـلَّ لكم بعض الـذى حرِّم عليكم».

وليس معنى هذا أنه بدَّل فى شريعة موسـى عليه السلام أو أنه جاء بما ينسخ البعض منها كما قال به البعض.

إذْ أن ما حـرِّم على بنـى إسرائيـل لم يكـن من الشريعـة الموسـوية ولكنـه كان مـن فعل الفريسيين والصدوقيين والكهنة.

وجاء الفعل «حُرِّم» فى الآية مبنيا للمجهول للتدليل على أن المحرِّم لم يكن هو الله.

فمن ذلك مثـلا أن اليهود أخذوا على المسيح عليـه السلام أنه شفى مريضـا يوم السبت، وأن تلاميذه اضطروا لأخذ طعامهم.

فضرب لهم مثالا من فعل داود عليه السلام وجنوده من اجتياز بستان يوم السبت فى حرب لهم أخـذوا منه ماطعمـوا ليدلِّل لهم علـى أن تطبيقهم حكم السبـت كان تطبيقا خـاطئا لأن الضرورات تبيح المحظورات.

وأثبت لهم أنه لا يحرم فعـل الخير يوم السبت. فلم يكن هذا منه تشـريعا جديدا أو نسخا لحكـم فى الشـريعـة، وإنما كـان تصحيحـا لتطبيقها عمـا انحـرف به الكهنـة عـن معناهـا الحقيقى.

كذلك فإن المسيـح لم يقل بإباحة شرب الخمـر ولا بإباحة أكل الخنزيـر، وإنما قال بهذا النصارى من بعده استنادا إلى قول له «إنه ليس ما يدخل الفم هو الذى به يتنجس لكنه الذى يخرج منه» فانحرفوا بمعناه عما قصده عليه السلام.

وهو نهيهم عن الغيبة والنميمة بوصفها أنها تنجس الفم .

ويجيء في ختام الآية ذكر قول المسيح لبني إسرائيل «وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون» .

وفيه ذكر الآيات بلفظ الواحد للتدليل على أنها لم يقصد بها إلا هدف واحد هو الإيمان له فصارت كأنها دليل واحد أمرهم أن يأخذوا به ويطيعوه ليتقوا بهذا عذاب الله .

إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾

التفسير :

بعد أن ذكر المسيح عليه السلام ما أوتي من الآيات باعتبارها حججا وأدلة على نبوّته عليه السلام وأنه نبي مرسل من ربه.

فإنه عليه السلام آتاهم بالحجة الكبرى التي تدور في فلكها جميع الحجج التي سبق ذكرها والتي هو المقصد إثبات موضوعها مع كونها الدالّ عليه وهي قوله .

«إن الله ربي وربكم فاعبدوه» لأن قوله هذا هو قول جميع الأنبياء المرسلين من رب العباد.

فلم يقل أحد منهم أنه إله ولم يطلب أحدهم أن يُعبد من دون الله، وهذا دليل على كونه نبيا مرسلا.

ثم إنه عليه السلام أوضح أن من يؤمن بأن الذي يدعو إليه وإلى عبادته هو رب الناس أجمعين.

واحد لا شريك له يكون قد التزم الطريق المستقيم الذي يهدي إلى الجنة بإذنه.

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ الأنصـــار: فى قوله تعالى «قال من أنصـارى إلى الله» جمع «نصير»، وهو من يناصر أحدا لينصره .

٢ ـ الحـواريون : جمع «حـوارى» وهو مـن خلص مـن الأصحاب فصـار من خـاصتهم لصاحبه.

والمراد بهم الذين رافقوه ممن آمنوا به فسموا بالتلاميذ وبالحواريين .

ثانيا : التفســـير:

تتكلم الآية عما كان بيـن المسيح عليه السلام وبين اليهود من بعد دعـوتهم للإيمان بما بعث به وعبادة الله وولوج الطريق المستقيم فيقول سبحانه وتعالى:

«فلما أحـس عيسى منهـم الكفر قال مـن أنصارى إلى الله»، والمعنـى أنه استشعـر عليه السلام فيهم الكفر أو الاستمرار فيه وعدم العزم على الإيمان.

وقد اعترض البعض على هذا وقال إن الكفر هو مما لا يُحسُّ وأن القول مجاز مرسل.

وهذا غير صحيح فقد كانت دلائل الكفر والاستمرار عليه مما يحس ويستشعر من الأفعال المادية المشاهدة والمعروفة.

فلقد كاد اليهود للمسيح عليه السلام عند الحاكم الرومانى. كما أنهم قالوا عنه «ببعل زبول يخرج الشياطين» فرموه بالكفر، واحتال عليه الفريسيون وقالوا له:

«اخرج واذهب من هنا لأن هيروس يريد أن يقتلك» وهم يقصدون به شرا.

كذلك امتحنه الكتبة بالسؤال عن الجزية تدفع لقيصر بقصد الإيقاع به.

ثم إن اليهود رافقوا جنود الرومان ليدلوهم عليه ليأخذوه فيقتلوه، وهذا جميعه وبعضه يكفى لاستشعار دوامهم على الكفر وعدم استعدادهم للإيمان.

ولذلك كان من سؤاله من آمن له «من أنصارى إلى الله؟» بمعنى من ينصرنى حال التجائى إلى الله ؟ ويقبل المعنى أن يكون: «من يشاركنى فى توجهى لنصرة الله تعالى؟».

وهذا يفسرقول الحواريين «نحن أنصار الله» بمعنى أنهم ينصرون الله تعالى بمناصرتهم إيـــاه.

ثم يبين القول أنهم أتبعوا معاهدتهم إياه على مناصرته بقولهم «آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون» فأقروا بإيمانهم بالله الذى أرسله بالحق وأشهدوه على قولهم أنهم مسلمون.

وقد كانوا مسلمين لانقيادهم لما دعاهم إليه، وكانوا مسلمين لأنهم أسلموا وجوههم لله على ما كان عليه دعوى الأنبياء والرسل من قبله الذين ما نادوا بغير الإسلام .

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣﴾

أولا: الأســـماء:

١ ــ **الشاهدون** : فى قوله تعالى «فاكتبنا مع الشاهدين» هم الذين شهدوا للأنبياء فصدقوهم.

وقيل هم الأنبياء لأن كل نبى يشهد لأمته وعليها.

وقيـل إن المراد بهـم محمد ﷺ وأمتـه، أمته تشهـد له بتبليـغ الرسـالة، وهـو يشهد لهـم بالصدق، ثم هم يشهدون على غيرهم من الأمم .

ثانيا: التفســـير:

القول قول الحـواريين لإظهار أمرهم مـع المبالغة فى إظهـار إيمانهم فقالوا «ربنـا آمنا بما أنزلت» والمراد به ما أنزل على المسيح عليه السلام أى بالإنجيل.

وبما أنـزل عن النبيين من قبلـه، وقالوا «واتبعنـا الرسول» وهـو إقرار منهم على تصـديقهم بعيسى عليه السلام رسولا من رب العزة.

وشهادة على أنفسهم أنهم اتبعوه فأطاعوه وامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه.

ثـم يكون منهم الدعاء لله تعالى يسألونه أن يكتبهم مع الشاهدين ويشمل الدعاء أن يكون المطلوب هو إدخالهم فى زمرة الصديقين، وأن يتم إثبات ذلك فى صحف الأزل .



أولا: الأســـــماء :

الماكرون : فى قولـه تعالى «والله خير المـاكرين»، جمع «مـاكر»، وهو من بـه مكر. قيل إن أصله «الشر» ومنه قـولهم «مكر الليل» إذا أظلم، وقيل هو «الالتفاف» بمعنـى صرف الغير عما يقصده بحيلة .

ثانيا: التفســـير:

توجز الآية الشريفة ما كان من حال الـذين أحسَّ عيسى منهـم الكفر معه، وما كان فعل الله معه بهم. فمعنى قوله تعالى «ومكروا ومكر الله» أن هؤلاء كان منهـم المكر بعيسى عليه السلام ليقتلوه، فكان تشاور رؤساء كهنة اليهود والكتبة فى كيفية الإمساك به مع تدبير قتله وذلك قرب

عيد الفطير «الفصح»، ثم اتفقوا مع يهوذا الإسخريوطى أحد تلاميذه ومعهم رؤساء الجند على كيفية تسليمهم إيَّاه، وعلى ثمن فعله فضة يأخذها، وكان ذلك منهم مكرا. وكان منه تعالى أنه أعلمه بهذا فأخبر به وقال لأحد تلاميذه ويدعى سمعان ـ وهو بطرس ـ إن أحدهم سيبيعه بدراهم معدودة فى إشارة إلى سعى اليهود للإيقاع به. وكان ذلك مكرا من الله تعالى ردًّا على مكر اليهود. كذلك فإن يهوذا الإسخريوطى توجه سرا إلى اليهود ليقبض ثمن خيانته ثلاثين درهما فاصطحبه اليهود معهم إلى هيرودس الحاكم الرومانى للجليل فبعث معهم الجنود للقبض على المسيح عليه السلام، فكان هذا من المتآمرين مكرا. ثم كان منه تعالى أنه ألقى شبه المسيح على يهوذا الإسخريوطى لما دخل على المسيح ليدل عليه ورجع إلى القوم فأخذوه بدلا منه ورفع الله المسيح عليه السلام إلى السماء، فكان ذلك مكرا من الله. ثم إن اليهود طلبوا من بيلاطس الحاكم الرومانى على اليهودية أن يصلب المقبوض عليه اعتقادا منهم أنه المسيح عليه السلام وألحوا عليه حتى فعل، فكان هذا منهم مكرا، وكان من الله أنهم إنما صلبوا وقتلوا الخائن من تلاميذ المسيح والذى تواطأ معهم عليه، فكان ذلك مكرا من الله.

ويجىء قوله تعالى «والله خير الماكرين» لبيان أمرين أولهما أنه إذا كان المكر يعنى الالتفاف حول الشىء أو صرف الغير عن شىء يريده بحيلة يلتبس معها الأمر عليه فإن الله قادر على هذا مما لا يمكن لأحد أن يكون له فيه ندٌّ أو شبيه، ولهذا فإنه تعالى القوى القهار، وثانيهما أنه تعالى إذْ يمكر بالماكرين فإن مكره يكون خيرا وعدلا ولا يكون إلا فى الخير.

إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾

أولا: الأســـــماء :

١ ـ **المتوفِّى** : فى قولـه تعالى «إنى متوفيـك» اسم فاعل مـن الفعل «توفَّى ـ يتـوفى» وهو مشتق من «وفَّى» ومعنـاه «تم»، فيقال: «وفى الشىء» بمعنى تمَّ، والفعل «وفَّـى» بتشديد الفاء يعنى «أوفى» فيقـال «وفَّى فلانا حقه» بمعنـى أوفاه حقه أو سدده إليـه تاما. فالمتوفِّـى هو من أوفى الغير حقَّـه. ولما كان استيفاء الإنسان أيـامه فى الدنيا معنـاه موته بالضرورة، فـإنه يقال «توفى الله فلانا» بمعنى قبض روحه، وذلك على الطبيعى من أمر العباد دون إخلال أو مساس بمعنى اللفظ. والمـراد باللفظ ـ فى معنـى الآية ـ أنه تعـالى موفٍ عيسى عليه السـلام أيامه على الأرض أو التـى قُدِّر له أن يحياهـا عليها، لكنه لا يمنع أن يكـون له استمرارها فـى مكان آخر، كما لا يعنى بالضرورة أن يكون استيفاؤها مستوجبا موته عليه السلام .

٢ ـ **الرافـع** : فى قوله تعالى «ورافعك إلىَّ» اسم فاعل من الفعل «رفع ـ يرفع» بمعنى يقيم شيئا من مكـان إلى مكان يعلوه، والمـراد برفع المسيح عليـه السلام هو رفعه مـن الأرض إلى السماء التى عيَّنها الله سبحانه وتعالى له.

٣ ـ **المطهِّـر**: فى قـوله تعالـى «ومطهرك من الذيـن كفروا» اسم فـاعل من الفعـل «طهَّر ـ يطهِّر» وهو مـن طهَّر شيئا من نجـاسة أو دنس. والمراد بـه ـ فى معنى الآيـة ـ أنه تعالـى طهر المسيـح عليه السـلام مـن مـلاحقيه ليقتلـوه بـإبعـاده عنهم بـرفعـه إليـه. وفيه تشـبيه لهـم بالنجاســة.

٤ ـ **الذين اتبعوا** : فى قوله تعالـى «وجاعل الذين اتبعوك»، المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ الذى آمنوا للمسيح عليه السلام واتبعوه. وقيل إنهم المسلمون أمة رسول الله ﷺ لأنهم اتبعوا دين الفطرة الذى دعا إليه عيسى عليه السلام كما دعا إليه جميع الأنبياء والرسل .

٥ ـ **الذيـن كفروا** : المراد بهـم الذيـن كفروا بالمسيـح عليه السلام رسـولا من ربـه، وهم اليهود.

ثانيا: التفســـير:

تذكر الآية الشريفة ما كان منه تعالى حين أحيط بعيسى عليه السلام قصد أخذه وقتله بعد

أن تآمر عليه اليهود والحاكم الرومانى مستعينين بالتلميذ الخائن ليدل عليه، فيقول تعالى «إذْ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إليَّ ومطهرك من الذي كفروا»، والمعنى أنه سبحانه وتعالى قد أعلم عيسى عليه السلام بما سيكون من أمره بما قاله له، وكان قوله له «إنى متوفيك ورافعك إلى»، وفى معناه قيل إنه وقع تقديم الوفاة على الرفع وأن الرفع سيكون الحدث الأول ثم تكون الوفاة من بعد، وقيل إن المراد بالوفاة هو النوم وأنه عليه السلام نام ثم رفع إلى السماء وهو نائم. والذى نراه أن معنى قوله تعالى «إنى متوفيك» هو «إنى متوفيك أيامك المقدرة لك على الأرض فى هذا الزمان، وأنها أوشكت على الانتهاء»، وبعد ذلك جاء قوله تعالى «ورافعك إلىَّ»، وفيه بيان لما يكون من أمره بعد تمام أيامه المقدرة على الأرض فى ذلك الزمان، وهو أنه تعالى يرفعه إليه بمعنى أنه يرفعه إلى السماء الموكول أمرها له تعالى والتى يعيِّنها له، وبعد ذلك يبيِّن سبحانه وتعالى ماهية فعله مع المسيح عليه السلام فيذكر أنه كان تطهيرا له من الكافرين على ما جاء فى قوله تعالى «ومطهرك من الذين كفروا» وفيه تشبيه للكافرين بأنهم نجاسة، والمتيقن أن منهم اليهود لأنهم الذين كفروا بنبوته عليه السلام ، وقد يكون معهم الرومان وقتذاك لأنهم شاركوهم إثم ملاحقته لقتله .

ثم يجىء قوله تعالى ـ مما قال تعالى لعيسى عليه السلام ـ «وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة» والمعنى أنه سبحانه وتعالى قدَّر فكان ما قدَّر أن يكون الذين اتبعوا المسيح عيسى ابن مريم فوق اليهود إلى يوم القيامة. والذين اتبعوا المسيح عليه السلام هم الذين آمنوا له وبدعوته فى وقته وقد تحقق وقتذاك علوهم على اليهود لأن روما أو الإمبراطورية الرومانية اعتنقت النصرانية أو آمنت بدعوة المسيح عليه السلام وكان اليهود من الخاضعين لها فكان الرومان سادتهم. وهم النصارى فى علاقتهم باليهود إلى أن تقوم الساعة، فما من بلد يدين بالنصرانية ومن رعاياه اليهود إلا وكان النصارى فيه هم الأعلى قامة ومقاما فوق اليهود فيه و إن سيطر اليهود فيه على الأعمال المالية، وهم المسلمون آمنوا بالمسيح عليه السلام رسولا من ربه، وآمنوا بالإنجيل الذى أنزل عليه كتابا من الله، وزادوا على النصارى أنهم آمنوا بما لم يؤمن به النصارى فيما بشَّر به عيسى عليه السلام برسول يأتى من بعده اسمه أحمد، وصدقوه فيما وصف به نفسه أنه بشر وليس إلها ولا ابن الله مما هو

موجود فى الإنجيل الموجود بين يدينا اليوم، فقد قال حين سُئل عن موعد الساعة «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء»، كما قال لمريم «اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلٰهى وإلٰهكم»؛ ولذلك حق للمسلمين ـ بنص الآية ـ أن يكونوا فوق اليهود إلى يوم القيامة، وحقَّ لهم ـ بالقياس والمنطق ـ أن يكونوا فوق اليهود والنصارى إلى يوم القيامة .

ثم يبين سبحانه وتعالى ما يكون عليه الأمر إذا جاء يوم القيامة بقوله تعالى «ثم إلىَّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون» وفيه تعلَّق حكم الآية بمن اتبعوا المسيح عيسى ابن مريم وبالكافرين معه عليه السلام باعتباره المخاطب أصلا من ربه. فيذكر سبحانه وتعالى أن الجميع يكون مآلهم ومصيرهم إليه فى ذلك اليوم وفيه يكون قضاؤه فيما وقع فيه اختلاف بين الطوائف فى أمور الدين وفى شأن المسيح عيسى ابن مريم.

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾

التفســــــير:

تفصح عبارة الآية عن مصير اليهود الذين كفروا بنبوة المسيح عليه السلام وظاهر الآية أنه قدر عليهم عذاب الدنيا والآخرة وأنه يكون عذابا شديدا. واعترض على هذا بأنه تعالى ذكر فى الآية السابقة أنه يكون قضاؤه فيهم وفى الذين اتبعوه يوم القيامة.

والرأى عندنا أنه لما كان تعذيب الكافرين غير مقصود لذاته، وأنه تعالى يحب من العباد أن يؤمنوا بالحق فإنه تعالى أفصح فى الآية عن بطلان عقيدة الذين كفروا ومنهم الذين كفروا المسيح ودعوته لعله يكون منهم من يعود إلى الحق فيؤمن، فأما من بقى منهم على الكفر فإنه يلقى العذاب الشديد فى الدنيا وفى الآخرة «فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة» وعذابهم فى الدنيا يكون بإذلالهم وبقتلهم وبالاستيلاء على أموالهم، وبأخذ

الجزية منهم، وقد سبق بيان ما تعرض له اليهود فى أسبانيا وفى أوروبا فى العصور الوسطى وما لقوا فى عهد الملك جون فى انجلترا وفى عهد فيليب الجميل فى فرنسا، وما لاقوا على يدى هتلر فى العصر الحديث، ثم يكون لهم العذاب الشديد فى الآخرة جزاء على كفرهم. وقد ذكر سبحانه وتعالى ـ فى شأن عذاب الآخرة ـ أنهم لن يجدوا من يغيثهم من هذا العذاب أو يدفعه عنهم على ما جاء بقوله تعالى «وما لهم من ناصرين».

وليس من تعارض بين إظهاره تعالى خطل عقيدة الكافرين وأنه تعالى معذبهم بها فى الدنيا والآخرة وبين ذكره تعالى فى الآية السابقة أنه يحكم بينهم وبين من اتبعوا المسيح عليه السلام يوم القيامة، لأنه كان من الفريقين فى الحياة الدنيا أن كلاً منهم تمسَّك بعقيدته وادَّعى أنه على دين الحق، وأنه كان من الكافرين من قعد عن إعمال عقله فى التفرقة بين الحق والباطل فاعتقد ـ خطأ ـ بصحة عقيدته، كما كان منهم من علم ببطلانها واستمسك بها على علمه ببطلانها، وشأن هذا وذاك يوم يقضى سبحانه وتعالى بقضائه بين الكافرين والمؤمنين أن يتيقن من الحق ومن أنه كان على الباطل، كما يكون للمؤمنين فى ذلك اليوم فى قضاء ربهم نصرٌ لهم على الكافرين الذين يخزيهم قضاء الله عزَّ وعلا .

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٧﴾

التفسير:

بعد أن بين سبحانه وتعالى بيان حال الكافرين وما قدَّره لهم فى الآية السابقة، وجاء ذكرهم أو ذكر حالهم قبل ذكر المؤمنين لتعلق حكمهم بقوله تعالى «فوق الذين كفروا» فى الآية ٥٥، فإنه تعالى أورد فى هذه الآية بيان حال المؤمنين فقال تعالى «وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات» وفيه وصف المؤمنين بأنهم الذين يضمرون الإيمان فى قلوبهم، والذين يوافق عملهم ما وقر فى قلوبهم لأن الإيمان هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل. وجدير بالذكر فى هذا المقام أنه لم يتطلب مع الكفر عملا سيئا لاستحقاق العذاب للتدليل على

بشاعة جرم الكفر وكفايته وحده سببا للعذاب الشديد .

وحال المؤمنيـن الموصوف فى الآيـة هو استيفاؤهم أجـورهم على الإيمان وعلـى العمل الصالح، يـوفيهم الله إيَّاه برحمتـه، والأجر الذى يستوفـونه هو ما أعـد لهم من النعيم فـى جنة الخلد.

وتختتم الآية بقوله تعالى «والله لا يحب الظالمين» وفيه يلاحظ أنه تعالى وصف الكافرين بأنهـم ظالمون فهـم ظلموا أنفسهم أول مـا ظلموا بكفـرهم، ثم كـان ظلمهم من كفـروه من الأنبياء ومنهم عيسى ابن مريم عليه السلام موضوع الحديث فى الآيات، وقد وصف سبحانه وتعالـى الكفر بأنه ظلـم عظيم. والمراد بأنـه لا يحب الظالمين أنـه تعالى لا يرحمهـم وبئس المصير مصير من يطرده الله من رحمته، وتكون له نار جهنم يخلد فيها مهانا .

ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾

أولا: الأســـــماء :

١ ـ الذكـــر : المراد بـه القرآن العظيم، وقيـل إنه اللوح المحفـوظ والقرآن جزء منـه، ولما كانـت «من» تفيـد التبعيض فـإن المتلو يكـون بعضا من الـذكر، فيكـون الذكـر ـ وهـو الأعم الأشمل ـ هو اللوح المحفوظ.

٢ ـ الحكيـم : المراد بـه ـ فـى معنى الآيـة ـ المحكم، وهـو ما أُحكـم نظمه وامتنـع على الباطل وامتلأ حكمة، وقيل إن «الحكيم» صفة صاحب الذكر فهى من صفاته جلَّ وعلا .

ثانيا: التفســـير:

المخاطـب بالآيـة هو سيـد الخلق رسول الله ﷺ، فعليـه يعود الضميـر المتصل فـى لفظ «عليك». تحدث إليه ربُّه فى شأن ما تلى عليه من الآيات والذكر والحكيم، فأشار إليها باسم الإشارة «ذلك» وهو يشير للبعيد للتدليل على بعد منـزلة المشار إليه وشرفه. والمشار إليه هو ما تُلى علـى رسول الله ﷺ ومنه قصـة عيسى عليه السـلام، عبَّر عـن تلاوته علـى رسول الله ﷺ

بالفعل المضارع لأن روايـة قصة عيسى عليه السلام لـم تنته، وليتـم استحضار مضمون المتلو على رسول الله ﷺ فى الذهن كما لو كان من أحداث الحاضر.

وقد وصف سبحانـه وتعالى هذا الذى تلاه علـى رسوله ﷺ بأنه «من الآيـات» أى أنه من الأدلة على صدق نبوتـه لأنه لمَّا كان لـم يحضر واقعات قصة المسيـح عليه السلام وأمه، وما كان من الكافـرين معه وما كان منه تعالى معهـم ومعه، ولما كان لم يأته العلـم بها من كتاب قرأه وهو الأميُّ الذى لا يقرأ، كما أنه لم يكن من علماء أهل الكتاب الذين علموا القصة، فإنه لم يبق إلا أن يكون نبيًّا أوحى إليه من ربه بما علم منه القصة.

كذلك فإنه تعالى أوضح أن المتلو على رسوله الكريم هو بعض القرآن العظيم أو بعض ما كتب فـى اللوح المحفوظ ـ والمراد به القرآن العظيـم ـ وهو بعـض ما فى اللـوح المحفوظ. والمعنى أن المتلو والمخبر به هو الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾

التفسـيـر:

يبين معنـى الآية من معرفـة أسباب نزولها، ومـوجزه أن وفد نصـارى نجران عندما حـاجوا رسول الله ﷺ فى أمر عيسى عليه السلام، فأنكـر عليهم ﷺ قولهم فيه إنه الله، وأنكروا عليه أن يقول إنه عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم فإنهم سألوه قائلين «ما تقول فى عيسى ابن مريم؟» فقال ﷺ «ما عندى فيه شـىء يومى هذا فأقيموا حتى أخبركم بما يقـال لى فيه صبح الغداة» فنزلـت الآية إلى قولـه تعالى «فنجعل لعنـة الله على الكاذبيـن»، ومعناه أن يتلاعنوا، وهـو ما خشى وفد نجران نتيجته فكان تصالحهم على الجزية .

ومعنى قوله تعالى «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم» جاء ردًّا على سـؤال وفد نجـران ـ حين أنكر عليهم رسول الله ﷺ قولهـم إن المسيح هـو الله ـ فقالوا «هل رأيت بشرا يخلق من

غير أب» فجاء قوله تعالى بما يفيد الإجابة علـى السؤال بالإيجاب، ومدلِّلا على ذلك بطريق القياس والاستنتاج العقلى، فذكر حال آدم عليه السـلام وما كان فيه من العجب. إذْ خلقه الله من تراب، فلم يخلق من أب ولا من أم ـ وهو أمر أغرب من خلق عيسى عليه السلام لأنه خلق من أم»، ثم جـاء قوله تعالى «ثـم قال كن فيكون»، وفيه جـاءت «ثم» لتفيد التراخى الـزمانى بمعنى مضى فترة زمنية بين خلق آدم أو إنشائه مـن العدم وبين بث الروح فيه وتصييره جسدا، وقيل إنها كانت أربعيـن سنة بقى فيها رسم آدم ملقى على باب الجنـة قبل أن تنفخ فيه الروح وبعدها صار بشرا سويا. ومعنى قوله تعالـى «ثم قال له كن فيكون» أنه قال له كن فكان، ولا يعارض هـذا أن يقال إن قولـه تعالى «كن فيكـون» إنما كان قبـل خلق آدم لأن إرادته تعـالى محققة منـذ القول وهو أنـه لابد كائن، ويبقى أن يكـون ذلك فى الـوقت الذى شـاءت إرادته تعالى أن يكون فيه.

وفى المثال آيـة أخرى وهى أنه آدم عليـه السلام مرَّ بمراحـل خلال خلقه، فقد خلـق من التراب، ثم جعل التراب طينـا، ثم جُعل الطين صلصالا، ثم خُلق عليه السـلام، وكذلك كان حال المسيح عليه السلام فى خلقه، فقد خلق من نطفة مـريم بجعلها قابلة بذاتها لذلك، ثم مرَّ فى رحمها بما يمر به الجنين من مراحل الخلق إلى أن وُلد عليه السلام .

وقد استدلَّ بالآية على جواز الاستدلال بالقياس والاستنتاج، ترتيبا على إقامة الحجة على المحاجِّين به.

ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾

أولا: الأســــماء :

الممترون : فى قوله تعالى «فلا تكن من الممترين» جمع «الممترى» وهو الشاكُّ المرتاب، والمراد بهم ـ فى معنى الآية ـ المشركون .

ثانيا: التفســير:

قوله تعالى «الحقُّ من ربك» جاء خبرا لمحذوف هو ما سبـق ذكره من القَصص والأخبار،

فيكون المعنى: أن القصص المذكور آنفا هو الحق من ربك، وبيان أنه من الله جاء لتأكيد معنى كونه الحق ومفاده أن ما يزعمه الآخرون بخلافه هو باطل وافتراء ، ومنه أن عيسى عليه السلام إنما كان بشرا رسولا مخلوقا بآية كما خلق آدم عليه السلام بآية.

وقوله تعالى «فلا تكن من الممترين» خوطب به رسول الله ﷺ، ويخاطب به المؤمنون فى جميع الأزمنة، وهو نهى للرسول عليه الصلاة والسلام أن تساور نفسه الشكوك فى صحَّة ما رُوِى له من القصص فيكون منه ما هو كائن من المشركين الممترين ـ وهذا على الظاهر ـ لأنه ﷺ لا يتصور فى شأنه أن يرتاب فيما أنزل إليه أو يشك، وإنما أريد به تثبيته ﷺ على اليقين لتكون فيه أسباب النصر فى المحاجَّة ـ من جهة ـ كما أريد به أن يعلم المؤمنون أن ورود الشك فى حقِّية ما أبلغ إليهم من ربهم هو من الشناعة بحيث يجعلهم قريبى الشبه بالمشركين، فينزجروا عنه ويثبتوا على الإيمان.

فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

التفسير:

الآية الشريفة استئناف لخطاب المولى سبحانه وتعالى رسوله عليه الصلاة والسلام، والخطاب متعلق بالمحاجاة التى كانت بين رسول الله ﷺ وبين وفد نجران، وفيه يطلب منه سبحانه وتعالى أن يكون منه مع المحاجين أمرٌ عيَّنه النص وهو المباهلة أو التلاعن، وجعل شرطه استمرار مجادلة المجادلين المحاجين فى أمر عيسى عليه السلام، فقوله تعالى «فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم» معناه أنه إذا أصرَّ المجادلون من وفد نجران على جدالهم وحاجُّوك فى أمر عيسى عليه السلام ـ فهو المعنى بـ «فيه» ـ بعد العلم بحقيقته الذى علمته من الآيات التى أنزلت عليك به ـ فكأنها وصفت بأنها العلم لأنها أنزلت به ـ فتكون

المحاجاة منهم بعد نزول الآيات بالعلم هى فعل الشرط.

أما جوابه فهو أن يـدعوهم عليه الصلاة والسلام إلى التباهل أو المبـاهلة، وهى صورة من التلاعن أو الملاعنة، وفيهـا يحصل التضرع إلى الله فى الدعاء مع طلـب استنزال لعنته تعالى وعذابه ومنـه عذاب الدنيا علـى وجه خاص على الكاذب أو علـى صاحب الدعـوة الكاذبة، وكان الأصل فيـه أن يكون بين المتنازعين فقط. وكـونه وسيلة لإظهار الحق إنمـا كان لأن من يضربه الله بالأذى يكون هو الظاهر فيه الكذب.

وقد عبَّر سبحـانه وتعالى عن المباهلـة بذكر ما يقع فيهـا من أفعال فبــدأ بـأن طلب من رسوله ﷺ أن يدعو المحاجين إليها «فقل تعالوا» ثم طلب منه أن يكون مع المباهلين أبناؤهم ونساؤهـم بمعنى أن يكـون هؤلاء مـع المتباهليـن أنفسهم ليحيـق عذابـه تعالـى بالكـاذبين وأبنائهم ونسائهم فتشملهم جميعا اللعنة، وجاء ذكر الأبناء والنساء قبل ذكر أنفس المتباهلين لأن المرء يخشى على أبنائه ونسائه الشر أكثر من خشيته على نفسه.

وجاء إشراك الأبناء والنساء فى المباهلة تدليلا على ثقة رسول الله ﷺ فى كونه على الحق وفى كون المحاجين على البـاطل، ولبثِّ الرعب فى قلوبهم من نتيجتها إذا مـا كانوا يحاجُّون لمجرد المحاجاة عنادا مـن أنفسهم مع عدم اطمئنانهم إلى صحة عقيـدتهم وزعمهم، أو مع علمهم بهذا.

ثم إنـه تعالى بيَّـن ما يكون فـى الدعاء فى المبـاهلة وهو أن تحـلُّ لعنة الله بالكـاذب من الفريقين «ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين».

والثابت أن المحاجِّين ـ لما طلب منهم رسـول الله ﷺ المباهلة ـ أنهم رجعوا إلى قومهم فى الأمـر فقال لهـم القائلون منهـم ـ «لقد علمتـم أن الرجـل نبيٌّ مرسـل، ولئن لاعنتمـوه أنه لاستئصالكم، ومـا لاعن قوم نبيًّا فبقى كبيرهـم ولانبت صغيرهم، فإن أبيتم أن تتبعـوه فوادعوه وارجعوا» وهذا ما كان إذْ صالحـوه على الجزية يدفعونها وقصة المباهلة هـذه دليل ـ فى حد ذاتها ـ على نبوته ﷺ، وعلى علم علماء أهل الكتاب بهذا .



﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾

أولا: الأسـمـاء :

القصص : مصدر من الفعل «قصَّ ـ يقصُّ» قصًّا، وقصصا، أصله تتبع الأثر، فيقال «فلان يقصُّ أثر فلان» بمعنى أن يتتبعه، ويقال «قاصٌّ» لمن يروى الأخبار لأنه يتتبعها خبرا بعد خبر ليرويها.

ثانيا: التفسـير:

الحديث فى الآية لرسول الله ﷺ ولأمته، وقوله تعالى «إن هذا لهو القصص الحق» جملة إسمية، اسم «إنَّ» فيها هو «هذا» أى المذكور فى شأن عيسى عليه السلام مما ورد فى الآيات. وجملة «لهو القصص الحق» خبرها، ومعناها أن «الحقَّ» هو صفة القصص، أو أن ما ورد فى شأن المسيح عليه السلام وطبيعته هو الحق، وليس ما يدَّعيه القائلون من النصارى من أنه إلٰه، أو ابن الله .

وقوله تعالى «وما من إلٰه إلا الله» هو تقرير منه تعالى بنفى وجود إلٰه إلاّه وإثبات الألوهية له وحده. وفى نفيه الألوهية عن غيره ردٌّ على عقيدة التثليث لدى النصارى وهى القول «بالأب، والابن، والروح القدس» انحرافا بمعناه فى الإنجيل الذى بين أيدينا اليوم مفسَّرا بما جاء فى التوراة وفى قول داود عليه السلام، ومؤدَّاه أن المراد بوصفه تعالى بالأب أنه يحنو على المؤمنين فيكون فى عطفه عليهم بمرتبة الأب، وأن المؤمنين يوصفون بأنهم أبناء الله، وأن الروح القدس هو الذى يضع كلام الله فى فم الرسول الذى تنبأ المسيح عليه السلام بقدومه من بعده والذى طلب من أتباعه الإيمان به، وهو ذات الروح أو الملاك الذى قاد موسى عليه السلام فى خروجه من مصر.

كما أنه ردٌّ أيضا على أصحاب العقائد المثنوية ومنهم المجوس الذين قالوا بوجود إلٰهين:

أحدهما للخير هـو «هرمز» والثانى للشر وهـو «إهرمن». فالقول يردُّ علـى هؤلاء وهؤلاء ويثبت كذب عقيدتهم .

وقوله تعالـى ـ فى ختام الآية ـ «وإن الله لهو العـزيز الحكيم» هو إعلام بأنه تعـالى الغالب على أمره القـادر على كل شيء، لا يحول دون قدرتـه حائل ولا مانع، وأنه الحكيـم المتقن ما خلق وما صنـع الذى لديه العلم الحـقُّ. فكأن المراد به زيـادة تأكيد أن ما أخبر بـه هو العلم الحق، وأنه تعالى هو الإلٰه الواحد بما يثبت زيف القائلين من النصارى أن المسيح هو الله، أو أنه ابن الله .

فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾

أولا: الأســــماء :

المفسدون : فـى قولـه تعالـى «عليـم بالمفسديـن»، المـــراد بهم ــ فـى معنى الآيـة ـ أصحـاب العقيـدة الفاسدة ويقبـل المعنى أن يكـون خاصًا بـالمجادلين بغيـر الحق الـذين جادلـوا رسول الله ﷺ فى شأن عيسى عليه السـلام. ويقبل المعنى أيضا أن يكون المفسدون هـم كل من يعمل الفساد فى الأرض وكل من يعمل على نشره.

ثانيا: التفســـير:

جملة الآية استئناف لحديثه تعالى مع رسوله ﷺ فى شأن المحاجاة التى كانت بينه وبين وفد نصـارى نجران، ويقبل أن يكـون فى شأن كـل من دعاه رسـول الله ﷺ للإيمان وأقـام له الحجة.

وقوله تعالى «فإن تولَّوا» معناه هو «إذا أعرض عنك هؤلاء ورفضوا أن يصدقوك ويتبعوك من بعد أن قـدمت لهم الأدلـة القاطعة علـى صدق نبـوتك ومنها صـدق ما أنبأت عـن المسيح عيسى ابن مـريم». والقول يتكون مـن أداة شرط وفعلها. ثم يأتـى جواب الشرط بقولـه تعالى «فإن الله عليم بالمفسدين» ومعناه أنه تعالى يعذبهـم بإعراضهم الذى وصفه سبحانه وتعالى بالفساد، لأن مفاد كـونه تعالى عليما أنه قـد علم ما كان منهم من إعـراض عن الحق، ومفاد

وصفه تعالى فعلهم هـذا أو إعراضهم بالفساد ووصفهم بأنهم مفسدون أنهـم قد اقترفوا الإثم بما يستوجب عقـابهم؛ ولذلك فإنه تعالـى معاقبهم بإعراضهم أو بفسـادهم، فيكون مضمون القول هو الوعيد.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٦٤)

أولا: الأسـمـاء :

١ ـ **أهل الكتاب** : المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ نصـارى نجران، وقيل إنهم يهود المدينة، وقيل عموم أهل الكتاب من يهود ونصارى.

٢ ـ **سـواء** : هو العـدل، وقيل إن «سـواء» مصدر، بمعنـى مستويـة، أن يتساوى فـى أمر الكلام التوراة والإنجيل والقرآن يتفقون عليه ولا يختلفون .

٣ ـ **الأربـاب** : فى قوله تعالى «ولا يتخذ بعضنا بعضـا أربابا» جمع «رب»، والمـراد بهم ـ فى معنى الآية ـ الأحبار والكهنة، وُصفوا بالأربـاب لأن أتباعهم كانوا يطيعونهم فيما يحلُّون وفيما يحرِّمون فصاروا منهم بمنزلة الأرباب .

وقيل إن المراد بهم الذيـن اعتقد أنهم أرباب كما اعتقد اليهود فى عـزير أنه ابن الله، وكما اعتقدت النصارى فى المسيح أنه الله .

٤ ـ **المسلمون** : فى قوله تعالى «اشهدوا بأنا مسلمون»، هم الذين اتبعوا دين الحق، وقيل هـم المسلمون أتباع محمد ﷺ لا يخفون إسلامهم .

ثانيا: التفسـير:

الخطاب فى الآية موجَّه إلى رسول الله ﷺ وإلى المسلميـن، يأمره ربه ويأمرهم أن يدعوا

وفد نجـران أو عموم أهل الكتاب إلـى كلام هو الحق والعـدل الذى لا تختلف بشأنـه التوراة والإنجيل والقرآن.

ثم بين سبحانه وتعالـى لرسوله عليه الصلاة والسلام كيف يكون حديثـه معهم فهو فلابد أن يبدأ بدعوتهم إلـى المطلوب «قل يا أهل الكتاب تعالوا» أى «هلـم أهل الكتاب» وأعقب ذلك بيان مـادعوا إليه «إلى كلمة سواء بيننـا وبينكم» أى إلى كلام عدل بيننـا وبينكم، يتفق عليه قرآننا وتوراتكم وإنجيلكم ولا يختلفون.

وبعد ذلـك جاء بيان ماهيـة هذا الكلام العدل المتفـق عليه فى القرآن والتـوراة والإنجيل بقوله تعالى «ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله» بمعنى إننا وإيـاكم نختـص الله تعالـى وحده بالعبـادة نخلص لـه فيها ولا نعبـد سواه، والمعنـى أنه الإقرار بتوحيـده واستحقاقه تعالى وحده أن يعبـد. ثم بعدم الإشراك به، وهو مـا يقتضى عدم القول بألوهيـة أحد ولا ببنوة أحد له تعالـى، وعدم عبادة غيره أو التعبد باللجـوء إليه. وكذلك بعدم اتخـاذ بعضنا بعضا أربـابا من دونـه تعالى، فـلا يعتقد أحد أن مـا أحلَّه رجال دينـه هو الحلال، ومـا حرَّموه هـو الحرام فتكون الطاعـة لهم والالتفات عمَّـا أحلَّ الله وما حـرَّم فيصير رجال الدين بمرتبة الأرباب يحلُّون ويحرِّمون.

وذلك لأن الثابت أن كهنة بنى إسرائيل حرَّموا عليهم الكثير مما لـم يحرمه الله عليهم شمل ذلك المأكل والعمل ومنـه تحريم أكل السمك الذى ليس له قشور، وتحـريم عمل الخير فى السبت.، كما أن أحبار النصـارى أحلُّوا الكثير مما حرَّم الله، فأحلوا شـرب الخمر وهو المحرَّم فى الشريعة فى تـوراة موسى وفى قول داود عليه السلام، كما أحلوا أكـل الخنزير وهو المحرم أكله فـى الشريعة أيضا. كمـا حرَّموا الزواج بـأكثر من واحـدة ومنعوا الطلاق وهو المبـاح فى الشريعة. فكان من طاعة أتباعهم لهم ومخالفتهم أحكام الله فيها ما جعل من الكهنة والأحبار الذين حرَّموا ما أحلَّ الله وأحلُّوا ما حرَّمه ما جعلهم بمرتبة الأرباب أطاعوهم من دون الله .

ثم يجىء قولـه تعالى ـ فى ختام الآية ـــ «فإن تولوا فقولوا اشهدوا بـأنا مسلمون». وأول ما يبين من عبارة النص أن المطلوب منهم القول هـم المسلمون وليس رسول الله ﷺ وحده، وهو

ما يفيد أن الأمر بدعوة أهل الكتاب من بدايته كان موجها لرسول الله ﷺ وللمؤمنين. ومفاد قوله تعالى أنه إذا أعرض عنكم أهل الكتاب وتولَّوا عن الكلمة السواء التى دعوتموهم إليها والتى اتفقت عليها التوراة والإنجيل والقرآن فليكن منكم أن تقولوا لهم «اشهدوا بأنا مسلمون»، والمعنى أنهم يقرُّون بإسلامهم، ويعلنونه ولا يخفونه، ويشهدون على ذلك المشركين ثقة منهم أنهم على الحق وأن المشركين على الباطل، وأن باطل المشركين لا يضرهم شيئا.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥﴾

التفسير:

الخطاب فى الآية موجه إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى إذ زعمت اليهود أن إبراهيم عليه السلام كان يهوديا وزعمت النصارى أنه كان نصرانيا، فنزلت الآية ترد عليهم بأنه إذا كان المقصود من محاجتهم أنه كان على دين موسى أو على دين المسيح. فإنه لما كان الثابت فى التاريخ أن إبراهيم عليه السلام هو جد موسى عليه السلام الأعلى، وأن بينه وبينه ستة أجيال على عمود النسب فإنه من غير المتصور أن يكون على ملة حفيده التى وردت فى التوراة التى أنزلت عليه من بعد وفاة إبراهيم، وقد كان بين مولد إبراهيم ومولد موسى عليهما السلام أربعمائة وخمس وعشرون سنة، وبين وفاة إبراهيم ومولد موسى مائتان وخمسون سنة. كذلك فإنه كان بين عصر إبراهيم عليه السلام وبين مولد المسيح عليه السلام ألف وثمانمائة سنة مما لا يتصور معه أن يكون إبراهيم على دين المسيح عليه السلام.

فإن قيل إنه كان على دين يوافقه دين موسى، أو يوافقه دين المسيح، فإنه كان متوجبا أن يجىء بيان هذا وإثباته فى التوراة أو فى الإنجيل كما جاء فى القرآن أنه عليه السلام كان حنيفا مسلما، وكما جاء فيه أن محمدا اتبع ملة إبراهيم حنيفا.

وبخلوِّ التوراة والإنجيل من نصوص تثبت هذا فـإنه يكون محققا أن دليلا واحدا لم يشهد لليهود ولا للنصارى أن إبراهيم عليه السلام كان يهوديا أو نصرانيا .

وقـوله تعـالـى ـ فـى ختـام الآية ـ «أفـلا تعقلـون» ، ومعناه «ألا تعقلـون بطـلان قولكـم وحماقته؟» وهو بطلان يثبته العلم بالتاريخ ويثبته إعمال المنطق فى استقراء التوراة والإنجيل اللذيْن خليا ممـا يفيد أن إبراهيم عليه السلام آمـن بما فيهما أو بما فى أيهما، كمـا خليا مما يفيد أنهمـا يدعوان إلى ملـة إبراهيم، وفـى القول تمهيد لإثبـات أنه عليه السلام كـان حنيفا مسلما بنص القرآن الثابت، مع خلو التوراة والإنجيل من نص.

هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾

التفســــــير:

«هــا» فى أول الكـلام حـرف تنبيه، دخلـت علـى المبتدأ «أنتـم» لأن خبـره اسم إشـارة «هـؤلاء»، فيكون المعنـى «أنتـم هؤلاء المحـاجـون» والقـول خطاب لهـم يتضمـن تقريعـا لمحاجتهم فيما لـم يعلموا من أمره شيئا، فقوله تعـالـى «حاججتم فيما لكم به علم» المراد به ما كان من أمـر عقيدة موسى ودعوته. وعقيـدة المسيح ودعوته، يفترض أن يكون لـديهم علم بهما أو بـدعوتهمـا من التـوراة والإنجيل، أو أنـه كان فـى مقدورهـم هذا لـوروده فى التـوراة والإنجيل، أما الذى ليـس به علم وتحاجوا فيه فهـو ما تعلق بملة إبراهيم عليـه السلام خلت التوراة والإنجيل من الإخبار عنها مما لا يتصور معه أن يكون لهم بها علم؛ ولهذا يكون السؤال عن سبب محـاجتهم فى أمر ملـة إبراهيم تقريعـا لهم على المحاجـة فيما لم يتأتَّ لهـم فيه أسباب العلم، تدليلا على أنهـم يجادلون بغير علم. ولهذا جاء قوله تعـالـى ـ فى ختام الآية ـ «والله يعلم وأنتم لا تعلمـون» متضمنا أن عنده العلم الصحيـح فى شأن إبراهيـم عليه السلام وملته، وأنهم لا علم لهم بهذا. والقول تمهيد وإعداد للنفوس لتلقِّى الحقيقة فى شأن إبراهيم عليه السلام.

﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾

أولا: الأسـماء :

«اليهودى، والنصرانى، والحنيف، والمسلم ، والمشرك». سبق بيانها فى سورة البقرة الآيات من ١٢٦ إلى ١٤٠ .

ثانيا: التفسـير:

القول هو الفصل في أمر إبراهيم عليه السلام وملته، يقوله خالق إبراهيم وباعثه بالحق من بعد أن بين سبحانه وتعالى لليهود والنصارى الزاعمين أنه كان على ملتهم أنهم إنما يقولون فيما لم يأت لهم فيه علم يدعونه، فهو رجمٌ بغيب لم يتأتَّ لهم من كتبهم أن يعلموا من حقيقته شيئا.

والقول الفصل أنه لم يكن عليه الصلاة والسلام يهوديا كما أنه لم يكن نصرانيا، فهذا نفيٌ قاطع عن أن تكون ملته هى اليهودية أو النصرانية، وبعد ذلك جاء بيان ماهية ملَّته وما كان عليه، بإثباته تعالى أنه كان حنيفا مسلما. والمعنى أنه كان مائلا عن العقائد الباطلة جميعها، ما كان معروفا على زمنه وكان عليه قومه ممن يُعرفون بأنهم «أصحاب الروحانيات» كانوا يؤمنون بوجود إلٰه لاتدركه الحواس، ويعتقدون فى ضرورة وجود وسيط بين الإنسان وبينه يُتقرب به إليه، وفى شأن هذا الوسيط انقسموا فريقين، عرف أحدهما باسم «أصحاب الهياكل» أى الكواكب، وعرف الآخر باسم «أصحاب الأشخاص»، جعل أولهما من الكواكب أربابا آلهة واعتبر بعضهم الشمس كبيرهم، والله رب هذه الأرباب، وجعل الثانى من الأشخاص وصورهم المنصوبة أمام الأعين فى هيئة تماثيل وأصنام وسطاء إلى الكواكب التى تأفل ولا تظهر فى النهار، لتوصلهم الكواكب إلى الله، وقالوا عنهم «هؤلاء شفعاؤنا عند الله».

وكما مال إبراهيم عليه الصلاة والسلام عن هذه العقائد التى كانت سائدة فى قومه، فإنه كذلك مال عن العقائد الباطلة التى كانت سائدة لدى أقوام أخرى، ومنها عبادة «البعلزبول»، وعبادة الحيوان والطير، فكان بهذا على الحنيفية، وهى الميل عن الباطل والميل إلى الحق.

ويأتى بيان أنه عليه السلام كان مائلا إلى الحق ببيان أنه كان مسلما، فإسلام إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان انقياده لله تعالى، فهو إيمان بالله تعالى، وتوحيده، وعدم الشرك به. وهذا هو الإسلام ـ بالمعنى العام ـ الذى نادى به جميع الرسل والأنبياء. وهو بعض الإسلام ـ بمعناه الخاص ـ أو الإسلام الذى كمل بمحمد ﷺ، فكان بعضه الآخر الذى به كمل الدين وتمَّ هو «الشريعة» وهى الأحكام التى تنظم المعاملات والعلاقات وقواعد التجريم والعقاب مع أركان الإسلام الخمسة.

وبعد ذلك يجىء قوله تعالى ـ فى وصف إبراهيم عليه الصلاة والسلام ـ بنفى كونه من المشركين.

ويلاحظ من عبارة النص أنه أخرج إبراهيم عليه الصلاة والسلام من زمرة المشركين، فالإشراك جاء صفة لغير المسلمين ولم يأت صفة لليهودية ولا النصرانية، لأن كلا منهما هى ـ فى شأن العقيدة ـ إسلام، ولكن أتباع كل منهما هم الذين أفسدوا عقيدتهم بالشرك، فاليهود قالوا إن عزيرا ابن الله، وأطاعوا كهنتهم فيما خالفوا فيه أوامر ربهم ونواهيه فجعلوا منهم أربابا يأمرون فتكون طاعتهم واجبة من دون الله. والنصارى قالوا بالتثليث وبأن عيسى عليه السلام هو الرب. فلا يكون إبراهيم عليه الصلاة والسلام من هؤلاء ولا من هؤلاء ليثبت لهم أنه كان حنيفا مسلما ولم يكن من المشركين.

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾

أولا: الأســــــماء :

١ ـ الأوْلَـى : فى قوله تعـالى «إن أوْلى الناس» هو الأقرب، وهو الأحـقُّ، أفعل تفضيل من «ولِيَه ـ يليه» وليا. والمـراد به ـ فى معنى الآية ـ أقرب الناس وأخصُّهم بـإبراهيم عليه الصلاة والسلام.

٢ ـ الذيـن اتبعوه : فى قولـه تعالى.«للَّذين اتبعوه» هـم الذين آمنوا بإبراهيـم عليه الصلاة والسلام فـى زمانه، والمعـروف منهم سـارة زوجه، وابن أخيـه لوط، ثم هـاجر، وقيـل إن ملك الهكسوس فى مصر آمن لـه، وقيل أيضا أنه دعا و إسماعيل إلى الحنيفية فـى الجزيرة العربية فآمـن لهما قبيلتـا: جرهم، والعمـاليق اللتـان كانتـا تقيمان حول الكعبـة، وبقيتا لفتـرة على الحنيفية ثم انحرفا بها إلى عبادة الأشخاص .

٣ ـ هذا النبى : هو محمد ﷺ، وقيل: المراد أتباع محمد ﷺ .

ثانيا: التفســـير:

بعد أن أظهـر سبحانه وتعـالى أن إبـراهيم عليه الصـلاة والسلام كان حنيفـا مسلما،فـإنه تعالى بيَّن ـ فى هذه الآية ـ أن الأحقَّ أن ينتسبوا لإبراهيم عليه الصلاة والسلام هم الذين على الحنيفية، وأولهم ـ فى ترتيب الزمان ـ هم الذين آمنوا له من قومه ومن غيرهم ممن دعاهم إلى الحنيفية، ومعلوم أنه دعا قومه أهل بابل إليها فكفـروه ولم يؤمنوا له، ثم توجه إلى « حاران» فى الشام فى شمال سـوريا ومنها تزوج سارة ابنة عمِّـه ودعا إلى الحنيفية فلم يؤمـن له غير سارة وابن أخيه لوط، ثم سار بزوجه إلى مصـر والتقى ملكها أو ملوك الأسرة الهكسوسية الأولى على الراجح ـ الذى أهدى سارة جارية تخدمهـا هى هاجر، آمنت لإبراهيم، وقيل إن الملك وكان اسمه سنان بن علوان، وقيل طوليس ـ قد آمـن لإبراهيم. ويدخل فى عداد هؤلاء الأوَّلين ذكرا ـ بإطلاق معنى اتباعه عليه السلام ـ رسـول الله ﷺ، فهو القائل «إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيمـا ملة إبراهيم حنيفا»، والذى قـال له رب العزَّة «ثم أوحينا إليـك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا ».

وبعد ذكـر هؤلاء الذين اتبعـوا إبراهيم فـى عصره أو الذيـن اتبعوه على الإطلاق ومنهـــم

رسول الله ﷺ يجيء ذكره عليه الصلاة والسلام على وجه خاص «وهذا النبى»، ويحتمل المعنى أن يكون المراد بالتعبير هو «الذين اتبعوا هـذا النبى» لكونه ﷺ داخلا فى عداد الذين اتبعوا إبراهيم.

ثم يجيء قوله تعالى «والله ولىُّ المؤمنين» بمعنى أنـه تعالى ناصرٌ المؤمنين على أعدائهم وعلى مجادليهم، لأنه كما يكون شأن الولى مع مـن والاه ينصره فإنه تعالى يكون منه ذلك مع الذين آمنوا .

وقيل إن سبب نزول الآيـة أن رؤساء اليهود قالوا لرسول الله ﷺ «والله يـا محمد لقد علمت أنَّا أولى بدين إبـراهيم منك ومـن غيرك، وإنه كـان يهوديا، ومـا بك إلا الحسـد»، فـأنزل الله الآيــة .

وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾

أولا: الأســــماء :

طائفة من أهل الكتاب: قيل إن المراد بهم نفرٌ من اليهود دعوا حذيفة، وعمارا، ومعاذا إلى اليهودية، وقيـل إنهم بعض النصارى أو أحبـارهم ـ قولا بـأن المراد بأهل الكتـاب فى السورة النصارى ـ وقيل إنهم بعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى .

ثانيا: التفســير:

الخطاب فـى الآية لعموم المسلميـن بيَّن لهم سبحانـه وتعالى أنـه يكون دائما مـن أهل الكتاب من يـدعونهم إلى الضـلال، وأوّله دعوتهم للارتـداد عن الإسلام، ومنه دعـوتهم إلى الضلال بتزيين الإثم فى عيونهم على المشاهد اليوم من قيامهم على أندية الفسق والملاهى تشرب فيهـا الخمر وتبـاشر فيهـا جميع أنواع الـرزايا والفسـوق تقوم عليهـا الغوانـى الحسان لإضلال من يستجيب لدعوتهم من المسلمين، فيكـون هذه الطائفة الضالة من أهل الكتاب

إشباع ما فى نفوسهم من المؤمنين من رغبة فى إضلال المؤمنين بدعوتهم إلى الضلال. وقيل إن المراد بإضلالهم المؤمنين هو إهلاكهم، ولا تعارض فى المعنى لأن فى الارتداد عن الدين هلاك الروح بتعريضها للخلود فى النار فى الآخرة مع استحقاق عقوبة الدنيا وهى «حدُّ الردة» كما أن فى الارتماء فى أحضان الفاحشة هلاك النفس والمال.

وقوله تعالى «وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون» هو بيان لواقع حال الفئة التى تحاول إضلال المؤمنين من أهل الكتاب، وهو أنهم يهلكون أنفسهم، لأنه بفعلهم يضاعف لهم العذاب، لأنه يكون لهم به من الله سخط فوق سخط، وغضب فوق غضب. وهو أمر لا يشعرون به لما ران على قلوبهم التى اعترتها غشاوة حجبتها عن النظر والتدبر.

يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

التفسير:

الخطاب فى الآية موجه إلى أهل الكتاب الذين بلغتهم الدعوة للإسلام فلم يؤمنوا فكانوا كافرين، والخطاب جاء فى صيغة الاستفهام والمراد به إظهار انعدام سبب الكفر لديهم وبيان أنه وليد عناد و إصرار على الكفر مع شهود دليل صحة ما يدعون إليه.

وقوله تعالى «لم تكفرون» يفيد أن مبدأ الكفر يكون عند عدم الاستجابة للدعوة للإسلام بعد بلوغها. لأن من كان على اليهودية ولم تبلغه دعوة المسيح عليه السلام ودعوة محمد عليه الصلاة والسلام لا يكون كافرا، وكذلك فإن من كان على النصرانية ولم تبلغه رسالة محمد ﷺ لا يكون كافرا. أما هؤلاء الذين تخاطبهم الآية فهم أهل الكتاب الذين بلغتهم دعوته ﷺ ودعاهم للإسلام فأبوا.

وقد ذكر سبحانه وتعالى أنهم قد كفروا بآيات الله، أى كفروا بالأدلة التى أقامها سبحانه وتعالى على نبوّة رسوله ﷺ، وصدق دعوته، وكون القرآن كتابا منزلا منه جل شأنه. فتشمل آيات القرآن العظيم ومعجزة تضمنُّه ما تضمَّن من قصص الأولين ومن أحكام لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، وما أمدَّ به سبحانه وتعالى رسوله الكريم من آيات دالة على

نبوته، كما تشمل ما تضمنته التوراة والإنجيل من تبشير به ﷺ ومن مجيئه بالقرآن العظيم.

وقوله تعالى «وأنتـم تشهدون» يبيِّن أن كفرهم إنما كان عنادا مـن أنفسهم لأنهم يشهدون بصحة كتبهم، فكان ما يوافق زعمهم إيمانهم بها أنهم يؤمنون بما دعا إليه رسول الله ﷺ، كما أنهم شهدوا معجزة القرآن العظيم، فلم يبق إلا أن كفرهم يعدم سببا يقيمه أو يدعمه .

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾

التفســــــير:

جملة الآية استئناف لمخاطبـة أهل الكتاب الذين لم يستجيبوا للدعـوة للإسلام، جاءت أيضا فـى صيغة الاستفهـام لبيان انعـدام سبب إصرارهـم على الكفـر إلا أن يكون عنـادا من أنفسهم مع تيقنهم من الحق ومعرفته .

وقوله تعالى «لـم تلبسون الحق بالباطـل» هو سؤال عن سبب خلطهم بين الإيمان بموسى أو بموسى وعيسى عليهمـا السلام ـ وهو حق ـ وبيـن كفرهم بنبوة محمد ﷺ ـ وهـو باطل ـ أو بين التوراة والإنجيل المنزليـن من الله ـ وهما حقٌّ ـ وبين ما زيف منهما وحـرِّف ـ وهو باطل ـ وهو سؤال يبيِّن أنهم قد فعلوا ذلك ويثبته عليهم.

وقولـه تعالى «وتكتمـون الحق» يراد به مـا أخفوه مما وجـدوه فى كتبهم دالا علـى أنه ﷺ النبيُّ المبشَّر بـه فى التوراة والإنجيل، الذى دعا كـلٌّ من موسى، وعيسى عليهمـا السلام إلى تصديقه والإيمان به، سئلوا أيضا عن سبب إتيانهم به.

ثم يجيء قوله تعالى «وأنتم تعلمون» مبينا أنهـم فى خلطهم الحق بالباطل، وفى كتمانهم الحق كانـوا يعلمون الحق ويحيدون عنه بإرادة ظـاهرة وباطنة، ولم يكن الأمـر ملتبسا عليهم فهمه. وفيه إظهار لبشاعة فعلهم واستحقاقهم عليه أشد العذاب .



﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾

أولا: الأســـــماء :

١ ـ **أهل الكتاب:** المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ إنهم الذين كان بينهم ومنهم القول.

٢ ـ **الذين آمنوا :** المراد بهم أصحاب رسول الله ﷺ، أو النبى وأصحابه.

٣ ـ **وجه النهـــار :** هو أوله .

ثانيا: التفســـير:

الآية إخبار مـن الله سبحانه وتعالى عـن حديث قالتـه جماعة من اليهود لجمـاعة أخرى منهم، وبيان للمقصـود منه، وكان مضمون الحديث ــ فى مبتدئه ـ أن أفراد الجمـاعة الأولى طلبوا مـن الباقين أن يظهــــروا للمؤمنيــن فى وجه النهار أنهـم قد آمنـــوا بما أنـــزل على رسـول الله ﷺ، فإذا جاء آخر النهـار أعلنوا لهـم أنهم قد رجعوا فيما آمنوا بـه بعد أن رجعوا إلى كتبهم وعلمائهم فعلموا أنـه ﷺ ليس نبيًّا أو أنه ليس النبىَّ المبشَّرَ به، أمـا المقصود منه فهو بث الـريبة والشك فى نفـوس المؤمنين فـى صحَّة نبوة رسـول الله ﷺ لمَّا يرون ممن آمـن من اليهود ارتدادهم بعد البحث والتقصى.

وقد أفصح عن حـديث الجماعة الأولى وبيَّن قولهـم قوله تعالى «وقالت طـائفة من أهل الكتاب آمنوا بـالذى أنزل على الـذين آمنوا وجه النهـار واكفروا آخره» وفيه جـاء وصف أتباع رسول الله ﷺ على لسان أهل الكتاب بأنهم «الذين آمنوا» دالا على علم هذه الجماعة بصحة ما آمن به أتباع رسـول الله ﷺ، كذلك فإنه أفصح عن قصد القائلين ممـا حثُّوا الآخرين على فعله، وهو بث الـريبة فى نفوس المؤمنين، ذكـره تعالى بقيَّة قولهم «لعلهــم يرجعون» . ومعناه لعلهم أن يرجعوا عن دينهم إلى ما كانوا عليه من الكفر .



وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

التفســــــير:

هذه الآيـة هى أشكل مـا فى السورة، اختلفـت فى شأن تفسيـرها الآراء، والذى نـراه فيها واحدا من اثنين والله الأعلم بمراده. على أولهما يكـون قول «ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم» هو قول أفـراد الجماعة الأولـى من اليهود للجمـاعة الثـانية منهم، أو هـو قول كهنتهم وسـادتهم لباقيهم، وهو نهى عن إظهار إيمانهم بـالإسلام أول النهار لعموم المسلمين وأن يختصوا به من كانوا على دينهم فآمنـوا بالإسلام فيكون الذين آمنوا حقا من اليهود هـم الذين يؤذن لمظهرى الإيمـان كذبـا أول النهار أن يظهـروه لهم؛ وذلـك لأنـه كان يسـىء اليهود أن منهـم من آمـن بالإسلام فكانوا يـريدون إعادتهم إلى اليهودية، ولأنهم الذين يحتمـل منهم العودة إلى الكفر حين يـرون من أقـرانهم الرجـوع عن الإسلام بـدعوى أنـه كان بعد بحـث وسؤال. وأن بـاقى حديث أفراد هذه الجماعـة مع الآخرين من اليهود هو قولهم «أن يؤتـى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجـوكم عند ربكـم»، فصل بينه وبين سـابقه من القـول جملة «قل إن الهـدى هدى الله»، وهى أمر منه تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام ردًا على مضمون حديثهم .

ومعنى باقى حديث الجماعة الأولى من اليهود مـع الجماعة الثانية منهم هو طمأنتهم إلى أن أحدا من الخلق ومنهم المسلمـون لن يؤتى من الله تعالى مثل ما أوتـى اليهود فهم قد أوتوا الكتاب (التوراة) والحجة، والمن والسلوى، وفلق البحر وغيرها من الآيات. وطمأنتهم إلى أن المسلمين لن يستطيعوا محاجتهم عند ربهم يوم القيامة، فإن حاجُّوهم فإنهم منتصرون .

أما أمره تعـالى رسوله فقـد تضمنه قوله تعـالى «قل إن الهدى هـدى الله»، ومعناه أن يقول لليهود «إن الهدى هدى الله» والمراد به إعلامهم أنه ليس صحيحا أن الله اختصَّ بنى إسرائيل

بالهدى، بالكتاب والشريعة وبالنبوة تكون فيهم وبهـا تكون الهداية فهو تعالى يختص بها من يشاء فـالهدى من عنده، وقـد شاءت إرادته تعـالى أن يكون الهـدى فى أبناء إسماعيـل وفى العرب فبعث فيهم رسول الله ﷺ، وأنزل عليه كتابا كمـا أنزل على موسى عليه السلام من قبل كتابا، وجعله صاحب شـريعة كما كان موسى صاحب شريعة، وأمـدَّه بالبينات والآيات كما أمدَّ موسى من قبل بالبينات والآيات.

ثم يجيء باقى قوله ﷺ الـذى أمر ـ من ربِّه ـ أن يقوله «قل إن الفضـــل بيـــد الله يؤتيه من يشاء».

وهو بيـان لما سبـق أن قالـه ﷺ من كون الهـدى هدى الله. فيبيِّـن أن الفضل بيـد الله وأنه يمنحه من تشـاء إرادته أن يكون له. وقد كـان هذا بالإسلام كـان تمام الدين فأصبـح الـدين عند الله الإسـلام، ولـم تعد شريعـة إلا شريعته، ولـم يعـد مقبولا عند الله غيره، فهـو الأفضل لا مراء، وقـد شاءت إرادته تعالـى أن يؤتاه أبناء إسمـاعيل وليس اليهـــود وأن يصطفى لـه نبيا رسول الله ﷺ.

وختام الآية قوله تعالى «والله واسع عليم» هـو بيان منه تعالى يفسِّر علة قول رسول الله ﷺ، ومعناه أنه بحكم كونـه تعالى الواسع القدرة يفعل ما يشاء فقـد آتى محمدا ﷺ فضله ففضَّله على العالميـن وجعل الدين الذى أتـى به هو تمام الـدين المقبول عنده تعالـى، وأنه العليم يعلم حيث يضع رسالته.

أما الـرأى الثانى فى تفسيـر معنى الآية فهـو أن تكون الآية كلهـا خطابا للمؤمنيـن من الله لتثبيت قلوبهم، فيكون المعنى أنه تعالى طلب منهم ألا يصدقوا غير من تبع دينهم «ولا تؤمنوا إلا لمن تبـع دينكم»، وألا يصدقوا أن أحـدا سيحاجهم فـى دينهم عند ربهم أو أن أحـدا قادر على ذلـك «أو يحاجوكم عنـد ربكم»، ثم إنه تعـالى بيَّن سبب ذلـك وهو أنه تعالـى جعلهم الهادين برسولهم ﷺ، والمهتدين، وأنه تعالى فضَّلهم على بنى إسرائيل بجعله رسوله الخاتم منهم وفيهم وهذا مـن فضله الذى يختص به من يشاء «فـإن الهدى هدى الله»، و«إن الفضل بيد الله».

يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

التفســـــير:

الآية بيان لكونـه تعالى الهادى بأمره صـاحب الفضل العظيم، يبين أنه بمـوجبات رحمته بالعباد قد اختص بـالنبوة محمدا ﷺ دعا إلى الإسلام وهو الديـن عند الله، وأنزل عليه القرآن مصدقا للكتـب ومهيمنا عليها، فكان ذلـك تفضلا منه على العبـاد بوافر فضله وعظيمـه لأنه جماع خير الدنيا والآخرة .

۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

أولا: الأســـــماء :

١ ـ **من تـأمنه بقنطار:** فى قوله تعـالى «من إن تأمنه بقنطار» قيل إنهـم النصارى، يؤتمنون على الكثير وهو الموصوف بأنه قنطار علامة على الكثرة .

٢ ـ **من تأمنـه بدينار :** فى قـوله تعالى «مـن إن تأمنه بدينـار» قيل إنهم اليهود يغلـب على طبعهم خيانة الأمانة فى الأموال لحبهم الزائد لها ورغبتهم فى جمعها .

٣ ـ **القائـــــم :** فى قولـه تعالى «إلا مادمـت عليه قائما» المـراد به القائم على المطـالبة بحقِّه المداوم على ذلك، والقيام مجاز عن المبالغة فى المطالبة .

٤ ـ **الأميُّـــــون :** فى قـوله تعالـى «قالوا ليس علينا فـى الأميين سبيل» هـم الأمميون أو

«الأمم» وهم سائر الشعوب عدا بنى إسرائيل .

٥ ـ الدينــــار : عملة ذهبيــة، فيها أربعة وعشرون قيــراطا، والقيراط قدر وزن ثــلاث حبات شعير متوسطة الحجم.

ثانيا: التفســـير:

الآية الشريفـة فى بيان بعض عيوب أهل الكتـاب أو بعضهم وهـم اليهود ـ علـى الراجح ـ وهو خيانة الأمانة، وسببـه توضحه الآية وهو تعللهم بسبب مرجعه إلى عقيـدتهم التى انحرفوا بها، وبدأ سبحانه وتعالى الآية بنفى هذا العيب عن بعض أهل الكتاب ـ وهم النصارى على الراجح ـ فبيَّـن سبحانه وتعالى أنه إذا اؤتمـن أحدهم على مبلغ كبير أو علـى شىء ذى قيمة ماليـة كبيرة فإنه لا يخـون الأمانة ويردُّه إلـى من ائتمنه عليه «ومـن أهل الكتاب من إن تـأمنه بقنطار يؤده إليـك». وفى القول جاء «القنطـار» تعبيرا عن الشىء ذى القيمـة الكبيرة. وقيل إن عبد الله بن سلام استودعه قرشىٌّ ألفا أوقية ذهبا ومائتان فأدَّاها إليه.

وتلى ذلك ذكر الطائفة الثانية من أهـل الكتاب وهم أصحاب العيب المراد إبرازه فى الآية وهـم اليهود، والعيب المبرز فيهم هو خيانة الأمانــة، جاء التعبير عنه بقوله تعالى «ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يـؤده إليك إلا مادمت عليه قائما»، ومعناه أنه إذا اؤتمن أحـدهم على مبلغ من المال ضئيل أو علـى شىء ذى قيمة قليلة فإنـه يستحل أكله ولا يردُّه إلى صـاحبه إلا إذا أكره على ذلك بدوام قيام المؤتمن على المطالبة بأمانته، وجاء التعبير عن الأمانة بالدينار الواحد، لبيان قلة قيمة الأمانة، والذى يخون فى القليل يخون ـ من باب أولى ـ فى الكثير .

وبعد ذلك أورد تعالى العلـة التى يحتج بها اليهود فى تبريرهم أكـل حقوق الناس وخيانة الأمانة وهى قولهم أنه ليس عليهم شىء إذا ما أكلـوا أموال غير اليهود «ذلك بأنهـم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل»، وقد أطلق اليهود على غير بنى إسرائيل اسم «الأميين» أو «الأمميين» أو «الأمم» تحقيرا لهم، ومن هؤلاء العرب.

ثم يجىء ذكـر حجة اليهود التى يبرِّرون بها فعـل ذلك مع غير اليهود وهى قـولهم على الله الكذب «ويقولـون على الله الكذب وهم يعلمون» وجـاء فى تفسير ذلك ادعوا أنهـم ظلموهم

وغصبوا أمـوالهم فيكـون فى استحلالهـم أكل أمـوالهم قصاص منهـم واسترداد لحقـوقهم. والذى نـراه أن كذبهـم على الله هو انحـرافهم بما جـاء فى التـوراة عن معانيـه قصدا لتبـرير أفعالهم القبيحة ومنها خيانة الأمانة، ومن ذلك أنهم اعتبروا ما جاء فى التوراة ـ ومنه الموجود فى التـوراة التى بين أيدينـا اليوم عن واقعة أخـذ اليهود الذهـب والحلى من المصرييـن قبل خروجهـم تستعيره المرأة اليهـودية من المصريـة وقد انتوت الاستيـلاء عليه وأخذه معهـا فى الخروج من مصر، اعتبروا ما جاء فى التوراة فى هذا الشأن دليلا على إباحة عدم ردِّ الأمانة إذا كان المؤتمـن أو صاحب الأمانة غيريهـودى، كما رأوا فى دعوة موسى عليـه السلام اليهودى الدائن والمقـرض أن يرحم أخاه اليهـودى المدين أو المقترض لـدى مطالبته إيَّاه أن يـردَّ إليه حقه، وأن يتصدَّق به عليه إذا أمكنه ذلك، رأوا فى ذلك أنه يعنى ـ بمفهوم المخالفة ـ أن يعنى عدم رحمة غيـر اليهودى فى شئون المال فأبـاحوا لأنفسهم أكل مال غير اليهـودى. وهذا من قبيل افتراء الكذب على التوراة وعلى منزلها .

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ٧٦﴾

التفســـــــير:

عبارة الآية متعلقة بقـول اليهود فى تبرير أكلهم مال غير اليهـود مثبتة أن حجتهم داحضة، فقوله تعالـى «بلى» جاء جوابا لقولهـم «ليس علينا فى الأميين سبيل»، وهـو إيجاب لما نفوه عنهم أو عليهـم، فيكون معنى القـول هو «بلى» عليهـم فى الأميين سبيـل، أى أن عليهم وزر ذلك .

ثم يأتى تقرير هذا ووجود السبيل عليهم آكلى أموال الناس بالباطل بقوله تعالى «من أوفى بعهده واتَّقى فإن الله يحب المتقين». ومعناه أن الذى يوفى بعهده الذى قطعه على نفسه ومنه عهده على نفسه أن يردَّ لصاحب الأمانة أمانته أو لصاحب الحق حقَّه، أو الذى أوفى بعهد الله الذى عـاهده بـأن يردَّ الأمانـة إلى المـؤتمِن، أو بأن يـردَّ الحق إلـى صاحبه، فـإنه يكـون من المتَّقين، وحال هؤلاء أن الله يحبُّهم، فيكون من الله معه أن يدخله برحمته فى رحمته.

ويفهم من القول ـ بمفهوم المخالفة ـ أن الذى لا يوفى بالعهد ويتّقى أكل مال الناس بغير الحق ـ ومنهم اليهود القائلون «ليس علينا فى الأميين سبيل»، أن هذا الذى لا يوفى بالعهد فلا يردُّ الأمانة ولا يتّقى أكل أموال الناس بالباطل أنه يكون من المبغوضين منه تعالى وبئس المصير مصير من استوجب بفعله غضب الله عليه، فيكون مفاد الآية هو ذم هؤلاء وتوعدهم بالعذاب البئس بما كانوا يفعلون ..

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

أولا: الأسـماء :

١ ـ **الذين يشترون بعهد الله:** المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ الذين يستبدلون به.

٢ـ **عهـد الله :** هو أمره تعالى بإيتاء الحقوق أصحابَها، وقيل هو ما عهد به تعالى لليهود فى التوراة من إبانة أمر النبىِّ المبشَّر به، وقيل هو ما فطر الله عليه العقول من كراهة الباطل وحبِّ الحق .

٣ ـ **الخـلاَق :** فى قوله تعالى «أولئك لا خلاق لهم» المراد به ـ فى معنى الآية ـ النصيب من النعيم والحظ فيه .

ثانيا: التفسـير:

الآية الشريفة فى بيان حال الذين يستحلُّون أكل مال الغير بالباطل ويستخفُّون فى سبيل ذلك باليمين يحلفونها ليتحقق لهم ما يريدون. بدأت بقوله تعالى «إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا» جاءت فيه «إن» لتأكيد المخبر عنه. واسمها ـ وهو المبتدأ ـ «الذين يشترون بعهد الله» أى الذين يستبدلون بأوامر الله الآمرة بإعطاء الحقوق أصحابها وعدم أكل

أموال الناس بالباطـل شيئا آخر، ثم جاء قوله تعـالى «وأيمانهـــم» بمعنى أنهـم يضيفون إلى ما استبدلـوا به شيئا آخر: اليمين الفـاجرة يحلفونها لكي يأخـذوا بديل ما استبدلـوه. ثم جاء وصف ما يأخذون مقـابلا لعهد الله واليمين الفاجرة بأنه الثمن القليـل «ثمنا قليلا» وهو المال الحرام الذى يـأكلونه وصف بأنـه ثمن قليل لأنه قليـل القيمة بالنسبة لما فقـدوه بفعلهم من فوات الثواب، وما جنوه من الإثم .

وتفصيل الأمر أن القاعدة الشرعية ـ فى الإثبـات ـ تقول: «إن البيِّنة على المدَّعى، واليمين على من أنكر»، بمعنى أنـه يكون عبء الإثبات على من يدَّعى حقًّـا على آخر فيكون عليه أن يقيم الـدليل على صحَّـة ما يدَّعيـه، والمراد بالبيِّنـة هو شهادة الشهـود ـ بالمعنـى الخاص ـ والدليل عموما ومنه الدليل الكتابى ـ بالمعنـى العام ـ فإذا لم يكن للمدَّعى دليل على صحَّة دعواه وجحد المدَّعى عليه حقَّه وما يدَّعيه، أُلزم المدَّعى عليه أن يحلف يمينا ببراءة ذمته مما يدَّعيـه عليه خصمـه، فإن حلفها قُضـى له ورفضـت دعوى المدَّعـى، وسميت اليميـن التى يحلفها المدَّعى عليه كذبا، وعن علم بذلك وإرادة بقصد أكل مال خصمه «اليمين الفاجرة» فقولـه تعالـى «إن الذين يشتـرون بعهد الله وأيمانهـم ثمنا قليـلا» هو ذكر الـذين سيخبـر عن حالهم، أو الـذين تعلق بهم الإخبـار، وهم الذين ينكرون مـا عليهم من الحقوق للنـاس ـ فى الخصومات القضائية ـ ويحلفون على ذلك ليقضى لهم.

وقيل إن الآية نـزلت لما كان لـلأشعث بن قيس مـال عند يهودى أو أرض فاستقضـاه إيَّاه عند رسول الله ﷺ، ولم يكن للأشعث بيِّنة وجحـد اليهودى ما عليه، فطلب منه رسول الله ﷺ أن يحلف على ذلك، فنزلت الآية، وقيل عن حـدث آخر وقع بين امرئ القيس وبين رجل من حضرمـوت. وليس بذى بال ــ من الناحية الشـرعية ـ مراعـاة سبب نزول الآية لأنهـا تعلقت بقاعـدة من قـواعد الإثبـات تسرى بـذاتها بقطـع النظر عـن السبب الـذى أدَّى إلى إظهـار حكمهـا.

أما المخبر عنـه، أو خبر هؤلاء الذين يشتـرون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليـلا، فهو وصفهم ـ فى مقام أول ـ بأنهـم لا خلاق لهم فى الآخرة، ومعنى أنه لا يكون لهــم خلاق فى الآخـرة أنه لا يكون لهم فيها نصيب فـى نعيمها، وهو بيان لكون أول ما يخسرون فائق القيمـة بالنسبة لما

أكلوه من حقوق الناس فى الـدنيا، ثم ذكره تعالى أنه لا يكلمهم يوم القيامـة بمعنى أنه تعالى لا يكلمهم بما يسـرُّهم ويسعدهم، ولا يكلمهم بذاتـه ليبين هوان نفوسهم عليـه، بل تكلمهم الملائكة بأمره فى شـأن حسابهم، وذلك كناية عن غضبه تعالى عليهم. ثـم قوله تعـالى أنه لا ينظر إليهـم فى ذلك اليوم ومعنـى أنه تعالى لا ينظـر إليهم أنه لا ينظـر إلى ما يحتاجـون من الرحمة والرأفة والعطـف، فلا ينظر إليهم نظرة رحمة ولا يُحْسن إليهم فيكـون جزاؤهم رهنا بما قدَّمت أيديهـم، ثم إنه تعالى لا يزكيهم بتطهيرهـم من دنس ذنوبهم بمغفرته بـل يتركهم على دنسهم. ومقتضـى هذا كله أن يكـون لهم العـذاب المؤلم الـذى بينت الآية فـى ختامهـا أنه خاتمة أمر الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا .

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

التفســــــير:

تتحدث الآية الشريفة عن فعـل شنيع قارفه فريق من أهل الكتاب خانـوا أمانة المحافظة على الكتـاب وإعلانه للناس فكـان منهم ليُّ ألسنتهم بـالكتاب ليحسبه الناس مـن الكتاب على خـلاف الحقيقة «وإن منهـم لفريقـا يلوون ألسنتهـم بالكتـاب لتحسبوه مـن الكتاب». فالقول يتعلق بفـريق أو جماعة من أهل الكتـاب، وهم الذين تحملوا وزر الفعل بمبـاشرتهم إيَّاه، والفعل هـو «لَيُّ الألسنة» ومعناه هو فتل الألسنـة فى القراءة بالتحريف فـى الحركات أو التنويـن لإبراز معنى خـلاف المعنى الحقيقى للألفـاظ والعبارات، ويقبل المعنـى أن يكون بتلاوة عبـارات تشبه عبارات آيات التـوراة والإنجيل وتلاوتهـا بذات أسلوب تلاوتهـا، تكون بديلا عن أخرى أو تكون مضافة إليها. والغرض من لى الألسنة بالكتاب على هذا النحو هو أن يحسب المسلمون أن هذا الذى يُتلى هو من صحيـح الكتاب الذى أنزل على عيسى وموسى

عليهما السلام مــن ربهما، حين أن واقع الأمر أنه ليـس من الكتاب فى شىء، وإنمـا هو قول البشر قاله المحرِّفون بألسنتهم وجاءوا به من عند أنفسهم.

وفى شأن التحريف هذا فقد قيل أنه لم يكن بتغيير الألفاظ فى التوراة والإنجيل وإنما كان بوسيلتين إحـداهما هى القراءة علـى نحويفهم منها معـه معنى يخالف معنـى النصوص وما تدل عليه. وبتأويل النصوص بما يخرج بها عـن معناها الحقيقى المراد، ومفاد هذا القول أنه لم يَعْتـرِ عبارات النصـوص ذاتها تغيير ولا تحـريف مـادى. وقيل إن التحريـف إنما كـان فى عبارات النصوص ذاتهـا بطرق ثلاثة هـى الإضافة، والحذف، والتبـديل. والذى نراه أنــه وقع تحريف مـادىٌّ فى مادة نصوص التـوراة والإنجيل نكتفى بالإشـارة إليه ـ فى هـذا الموضع ـ على أن يـأتى تفصيله فى مـوضعه إن شاء الله، يـدلُّ على ذلك ــ على سبيل المثال ــ وجود اختلاف فى عـدد الأجيال التى تفصل بين عيسـى عليه السلام وبين داود، وكـذا التى تفصل بين داود عليه السلام وبين إبراهيم عليه الصلاة والسلام بين الأناجيل بعضها والبعض، وبين الأناجيل ــ من جهة وبين كتـاب العهد القديم من جهـة أخرى، مما مفاده بـالقطع أن يكون فيها غير الصحيح، ووجود اختلاف بين أسماء الأجيال التى تفصل بين داود عليه السلام وبين إبراهيم عليه الصـلاة والسلام كما وردت فى الإنجيل وبين هذه التـى وردت فى كتاب العهد القديم مما مفـاده القطع بوقوع تحريف مادى فـى نصوص أحدهما على الأقل، كـذلك فإنه معلوم أنــه ليس ثمة إجمـاع بين اليهود أنفسهم علـى اعتبار جميع أسفـار العهد القديـم من الكتاب وأن منهم مـن ينكر دخول بعض الأسفار فيـه ومن هذه الأسفار سفر «استيـر»، كذلك فإن الظـاهر فى عبـارات الأناجيل الأربعـة الموجـودة بين أيدينـا اليوم أن بينها وبيـن بعضها اختلافـات جوهرية منهـا ـ على سبيل المثـال ـ الاختلاف فـى شخص حامل الخشبـة التى صلب عليها المسيح بزعمهم، فمن الأناجيل ما يقـول إنه كان رجلا يدعى سمعان القيروانى (إنجيل مرقس) ومنهـا ما قال إنه المسيح ذاته (إنجيـل لوقا)، كما اختلف بين الأنـاجيل فى عدد الذين شهـدوا واقعة الصلب المدَّعاة من أتبـاعه وحول أشخاصهم، وهو مـا يقطع بوقوع التحريف المادى فى النصوص .

وبعد ذلك يذكر سبحانه وتعالى سلوكا لهؤلاء المحرِّفين يأتونه من بعد تحريفهم كلام الله

هو قولهم أن ما قاموا بتحريفه هو كلام الله، يصرِّحون بهذا خداعا للناس «ويقولون هو من عند الله». ثم يؤكد سبحانه وتعالى ما سبق أن بيَّنه من أن ما جاءوا به ليس من الكتاب بقوله تعالى «وما هو من عند الله» فنفى أن يكون ما جاءوا به منزلا من لدنه تعالى، ثم أكد تعالى المعنى المستفاد من ادعائهم أن ما أتوا به هو من عند الله على خلاف الواقع المتمثل فى كونه من عند أنفسهم وأنه ليس منزلا من الله، وهو أنهم كاذبون، فوصفهم تعالى بذلك صراحة بقوله «ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون» مثبتا عليهم الكذب فيما ادَّعوه وأنهم تعمدوا الكذب على الله، كما تعمدوا تحريف كلام الله فى الكتاب فكانوا فيما فعلوا وما قالوا كاذبين.

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾

أولا: الأسماء :

١ ـ **البشر:** فى قوله تعالى «ما كان لبشر»، المراد بهم فى معنى الآية ـ الأنبياء والرسل.

٢ ـ **الحكم :** يقبل المعنى أن يكون المراد به «الحكومة» أو الرئاسة يجتمع مع النبوة كما كان عليه الأمر مع داود وسليمان عليهما السلام إذْ كان كل منهما رأس الكيان اليهودى المشابه «للدولة» فى المعروف اليوم، وكما كان عليه أمر محمد ﷺ إذْ كان له جماع أمر الدين والدنيا فى الدولة الإسلامية دون فصل بينهما. ويقبل المعنى أن يكون المراد به هو الحكمة.

٣ ـ **العباد:** فى قوله تعالى «ثم يقول للناس كونوا عبادا لى»، جمع «عبد» من العبادة، ولهذا لم يجىء اللفظ «عبيدا» لأنه من العبودية.

٤ ـ **الربانيون** : فى قوله تعالى «ولكن كونوا ربانيين»، جمع ربَّانى، وهو الفقيه العالم، وهو التقى، وقيل إنه منسوب إلى الرب، وزيدت الألف والنون فى النسب للمبالغة.

ثانيا: التفســـير:

بعد أن ذكر سبحانه وتعالى أنه وقع تحـريف من بعض أهل الكتاب فى التوراة والإنجيل، فإنه تعالى ـ فـى رأينا ـ قد أشار إلى وقوع هذا التحريف فـى الإنجيل فى شأن طبيعة المسيح عليه السلام بما أدَّى إلى الاعتقاد فى ربوبيته، فقولـه تعالى «ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقـول للناس كونوا عبادا لى مـن دون الله» هو ـ من جهة ـ تنـزيه لأنبياء الله عليهم السلام عن ادعاء الألوهية، وعن أن يطلبوا من أتباعهم عبادتهم، وهو ـ من جهة ثانية ـ يتضمن إشارة إلى مخالفة من زعم من النصـارى أن المسيح هو الله تجسَّد فى صورة البشـر ما أمرهم به المسيح عليه السلام أن يعبدوا الله وحده.

وهو ما نقدم الدليـل على حدوثه من التاريخ، إذْ أن اعتبار المسيـح عليه السلام إلٰها وابن الله إنما كان بقـرار من المؤتمر المسكـونى أو المجمع المسكونـى الذى انعقد فى نيقيـة سنة ٣٢٥ للميلاد بدعوة من قسطنطين لبحث موضـوع طبيعة المسيح، وفيه قال «آريوس» وأتباعه بالطبيعة البشرية للمسيـح عليه السلام وكونه بشرا مخلوقا، وقال «المريميـة إنه ومريم إلٰهان، وقال «بولس الشمشاطى» وأتباعه أنه عليه السـلام إنسان خلق من اللاهوت فكان ابتداؤه من مريم ثم حلَّت فيـه المحبة والمشيئة فدُعى «ابن الله»، وقال فيه أتباع «بـولس الرسول»: «ربنا هو المسيـح»، وانتهى هـذا المؤتمر بصـدور قرار المجمـع المسكونى بـاعتبار المسيـح عليه السلام ربًّـا هو ابـن الله المساوى له فـى الجوهـر وفق قـراره القائل «نؤمـن برب واحـد يسوع المسيح ابـن الله الوحيد، المـولود من الأب قبـل كل الدهـور من نور، إلٰـه حق من إلٰـه حق، مولود غير مخلـوق، مساوٍ للأب فى الجوهر، الـذى به كان كل شىء، هذا هـو الذى من أجلنا نحن البشر ومـن أجل خلاص نفوسنـا نزل من السماء وتجسـد من الروح القدس ومـن مريم العذراء، وتأنس وصلب فـى عهد بيلاطس، وتألـم وقبر وقام من الأموات فـى اليوم الثالث كما كتب فى الكتـب، وصعد إلى السماء وجلـس عن يمين الأب، وأيضا يـأتى فى مجده ليـدين الأحياء والأمـوات، الذى ليـس لملكه انتهـاء» وكان بعـد صدور هـذا القرار ضـرورة إحداث

تحريف فى الإنجيل لإثبات صحة ما انتهى إليه قرار المجمع المسكونى، ولو كان موجودا فى الإنجيل النصوص المحرَّفة ـ من قبل ـ لما كان هناك اختلاف حول طبيعته عليه السلام، ولَمَا قال آريوس وأتباعه بطبيعته البشرية عليه السلام.

وبعد أن نـزَّه سبحانه وتعالـى أنبياءه الذيـن اختصَّهم بالنبـوة وآتاهم الحكمة عـن ادعاء الألوهية وعن طلب عبادتهم ومنهم المسيح عيسى ابن مريم مع إشارة إليه على وجه خاص، فإنه تعالـى ذكر ما يكون من قول أنبيائه لأتبـاعهم «ولكن كونوا ربانييـن» والمعنى أن ما يكون من الأنبياء مـع متَّبعيهم هو أن يطلبوا منهم أن يتقـوا الله تعالى وأن يتفقهوا فـى العلم ليصيروا جديرين أن ينسبوا إليه تعالى.

ثم يبين من عبارة النـص أن الأنبياء يوضحون لأتباعهم كيفية الوصـول لأن يكونوا ربانيين بقوله تعالى «بمـا كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون»، وفى القـول تكرَّر ذكر «بما كنتم» للتدليل على استقلال التعليم عن الـدرس، أو استقلال الاستمرار على التعليم عن الاستمرار على القراءة وتحصيل العلـم، وجاء ذكر التعليم، قبل الدراسة لعلو شـرف التعليم على شرف الدراسة ولكونه لا يكون إلا لدارس، وقيل لأن الخطاب من الأنبياء يكون ـ فى مقام أول ـ لأهل العلم من أتباعهم الذين يعلِّمون، ثم يكون ـ مـن بعد ـ لعموم الأتباع، وقد يدعم هذا النظر أن المسيح عليه السلام كان يفصل الأمور لتلاميـذه ويطلب منهم أن يهدوا الضالين، ثم يخطب فى الجموع، فكأنه عليـه السلام كان يبدأ بطلبه من حوارييه تعليم العامـة ما تعلموه. ثم يثنِّى بطلبه من جموع الشعب أن يعرفوا أو أن يدرسوا.

والمراد بالآية إثبـات زيف دعوى القائلين إن المسيح عليه السلام نـادى بعبادته من دون الله .

وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾

التفســــــــير:

الحديث فى الآيـة استئناف لما سبق بيانه فـى الآية السابقة، وهو ما معنـاه أنه ليس لبشر يؤتيه الله الحكـم والنبوة ويرسله للناس داعيا إلـى عبادته وحده وترك الأنداد ثـم يكون منه أن يطلب من الناس أن يعبدوه، فيكـون قوله تعالى «ولا يأمركم» مفيـدا معنى أنه «ولا يكون له أن يأمـركم» أى أنه لا يتصـور من مثل هـذا النبى الـذى نهى عن عبـادة غير الله وعن عبـادته، لا يتصور منه أن يأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أربابا، لتعارض ذلك مع أساس دعوته.

وقيل ـ فى أسباب نزول الآية ـ إن رسول الله ﷺ كان ينهى عن عبادة الملائكة وعبادة عزير وعبادة المسيح عليهم السلام، فقيل له «أنتخذك ربًّا» فنزلت الآية.

ويجىء قوله تعالى «أيأمركم بالكفر بعد إذْأنتم مسلمون» لإثبات عدم تصور أن يصدر من نبى قولٌ يتضمن دعوة أتباعـه إلى عبادته أو عبادة الملائكة أو الأنبياء. فقوله تعـالى «أيأمركم بالكفر» مفـاده أن عبادة الملائكة والأنبيـاء هى كفر بالله، ومفـاده أيضا أنه لا يصدر مثـل هذا الأمر من نبى، فجـاءت صيغة الاستفهام فى قوله تعالـى «أيأمركم بالكفر» للإنكـار. وجاء قوله تعالى «بعد إذْ أنتم مسلمـون» مبيِّنًا أن أتباع كل نبىٍّ يكونون مسلمين ـ على مـا سبق بيانه من الإسلام بمعناه العام بمعنى الانقياد لله وتسليم الوجـه إليه والإيمان به وتوحيده وعدم الإشراك بهــ ولذلـك كان بعيـدا عن التصـور أن يكون من نبـى دعا النـاس للإيمـان فآمنـوا وأسلموا استجابـة له، أن تكون منه دعـوتهم للكفر والشـرك بالله بعد إيمـانهم وإسلامهم. وفـى القول إشارة إلى عـدم تصور أن يكون المسيح عيسى عليه السـلام قد دعا أتباعه لعبـادته، وإلا كان شأنه معهم أنه دعاهم إلى الكفر بعد أن كانوا مسلمين .

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾

أولا: الأســــــماء :

١ ـ **ميثـاق النبيين**: هو العهد الـذى أخذه تعالى علـى الأنبياء عليهـم السلام مـن آدم إليه عليه الصلاة والسلام أن يؤمن بعضهم ببعض، وأن يأخذ كل منهم عهدا على قومه بهذا، وقيل هو العهد الذى أخذه الله على النبيين لئن بعث ﷺ وأحـدهم حيٌّ ليؤمنن به ولينصرنه، والذى أخذه عليهم أن يأخذ كل منهم عهدا على قومه بذلك .

٢ ـ **الإصر** : فى قوله تعـالى «وأخذتم على ذلكم إصرى»، هو العهـد، أصله من «الإصار» وهو رباط يعقد به ويشدُّ فكأن العهد سمِّى بذلك لأنه يتقيَّد به من أخذ عليه.

ثانيا: التفســـير:

قولـه تعالـى: «وإذْ أخذ الله ميثـاق النبيين» معنـاه «واذكر وقـت أن أخذ الله ميثـاق النبيين والعهد عليهـم»، وبعد ذلك جـاء بيان ماهيـة هذا العهـد مسبوقا بعبـارة مرتبطة فـى المعنى بمضمون العهد أو الميثاق جـاء بها قوله تعالى «لمـا آتيتكم من كتاب وحكمة» فكأنـه تعالى قال للأنبياء إنه مـن مقتضى ما أنزلت عليكم من كتب وصحائف فيها مـن العلم ما يخبر عن المصطفين للنبوة، ومن مقتضى ما أودعت فيكم مـن الحكمة فإنه يكون منكم إعطاء العهد، والعهد المقصود هو عهد على أنفسهم وعهد أن يأخـذوه على أممهم، ومضمونه هو المذكور بقوله تعـالى «ثم جاءكم رسـول مصدِّق لما معكم لتـؤمنن به ولتنصرنه». ويبيـن من «ثم» أن الرسول الذى طُلب الإيمـان به ومناصرته يجىء من بعد رسل الأمـم السابقة جميعهم فيكون آخرهم، وهو محمد ﷺ. وما طلب من النبيين ومن أممهم هو الإيمان له ﷺ ونصره ونصر دينه الذى يدعو إليه.

ثم يبين سبحـانه وتعالى ما كـان منه مع النبيين عنـد أخذ العهد عليهم إذ كان منـه تعالى سؤالهم «قال أأقـررتم وأخذتم على ذلكم إصـرى» بمعنى هل تقرُّون بإيمانكـم بهذا الرسول الخاتم وتنصرونـه، وتقرون بأنكم آخذون من أتبـاعكم العهد على أن يؤمنوا بـه وينصروه. وقد كانت إجابـة الأنبياء ـ على ما يبيِّنه نص الآية ــ أنهم «قالوا أقررنا» بمعنى أنهـم أقروا بإعطاء العهد وتعهدوا بالارتباط به والتقيُّد فيكون ملزما لهم.

وبعد ذلك يبين سبحانـه وتعالى قوة هذا العهد ومدى ارتباط النبيِّين به بقـوله تعالى «قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين»، ومعناه أنـه تعالى قال لهم «فليشهد بعضكم على بعض بذلك الإقـرار، وليشهد كل منكم علـى أمته فيه»، ثم إنه تعـالى أوضح قوة هـذا العهد ومدى وجوب التقيـد به والالتزام بتنفيـذه إذْ أنه تعالى أشهـد نفسه عليه. وفـى القول تحذيـر لمجرد التفكير فى مخالفة العهد لكونه تعالى شاهدا على إعطائه والالتزام له.

فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾

التفســــير:

جاء قولـه تعالى فى الآية متعلقا بحـال أمم النبيين، ولَيس بالنبيين لأنـه لايتصور فيهم أن يتولوا بـالإعراض عن الإيمان بمحمـد ﷺ بعد إعطاء العهد علـى الإيمان به ومناصـرته، ولا يتصور فيهم ـ ولهم العصمة ـ أن يكونوا فاسقين فيكون معنى قوله تعالى هو أن من يعرض عن الإيمان بمحمد ﷺ ويحجـم عن مناصرتـه من أتباع النبيين الـذين أعطوا العهد علـى ذلك وأخذوه على أممهم وأتباعهـم، فإنه يكون كافرا بلغ فى كفره أفحـش المراتب، والمعنى يفيد الوعيد والترهيب من عدم الإيمان لرسول الله ﷺ ومناصرته من أتبارع موسى والمسيح عليهما السلام .

أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾

التفســــير:

قوله تعالى فى الآية يتعلق باليهود والنصـارى الذين تنازعوا فيما بينهم أى الطائفتين على دين إبراهيـم عليه الصلاة والسلام، فاختصمـوا إلى رسول الله ﷺ فقال «كلا الفـريقين بريء من دين إبراهيم» فغضبوا قائلين «والله ما نأخذ بدينك» فنزلت الآية .

وقوله تعالى «أفغير دين الله يبغون» جاء فى صيغة الاستفهام والمراد به الإنكار والتوبيخ، إنكار ما يبغون من دين غير الإسلام الذى تم به الدين والذى هو الدين عند الله، والتوبيخ على ابتغائهم غير الحق.

ويجىء قوله تعالى «وله أسلم من فى السماوات والأرض طوعا وكرها» لبيان خروج رافضى دين الله، المبتغين غيره عما عليه جميع من فى السماوات والأرض من أصحاب العقول، وهؤلاء جميعا على الإسلام آمنوا به وانقادوا له جلَّ وعلا.

ويصف سبحانه وتعالى إيمان أهل السماوات والأرض بأنه كان «طوعا وكرها»، جىء بالمصدرين فى قوله تعالى فى موضع الحال، والمراد بالإسلام طوعا هو الإيمان عن علم سواء أكان العلم بطريق الاستدلال العقلى مثل علم البشر، أم كان العلم بغير استدلال عقلى مثل علم الملائكة. والمراد بالإسلام كرها قد يكون إسلام الذين تتناوبهم الوساوس والشكوك،وقد يكون هو إسلام من أسلم من خوف السيف، أو إسلام الكافر عند موته الذى لا ينتفع به.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «وإليه يرجعون» هو تحذير من الإصرار على ابتغاء دين غير دين الله، وحثٌّ على اعتناق الإسلام، لأنه لما كان الدين عنده تعالى هو الإسلام مما مفاده أنه تعالى لن يقبل ممَّن يرجع إليه تعالى للحساب فى الآخرة دينا غيره، وكان الذين ابتغوا دينا غير الإسلام راجعين إليه تعالى يوم القيامة للحساب، فإنه لا يكون من الخير لهم أن يطلبوا غير الإسلام دينا لأنه سيرفض منه تعالى، ويكون خيرهم فى الدخول فى الإسلام .

قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾

التفســـــير:

الخطاب فـى الآية موجَّه إلـى رسول الله ﷺ أُمر أن يقول مخبـرا عن نفسه وعن المـؤمنين أنهم آمنـوا بالله، بمعنى أنــه ﷺ يقرُّ بـإيمانه وأمتـه بالله تعالـى «قل آمنـا بالله» فهو إقـرار شبيه بالإقرار الذى أقـرَّ به النبيون من قبل مخبريـن عن أنفسهم وعن أممهم، ومناسبـة ذلك أنه لما أخذ عليهم العهـد أن يؤمنوا بالله وبمحمـد عليه الصلاة والسلام رسـولا يأتى من بعـدهم وأن ينصروه، لـم يكن عليـه الصلاة والسـلام فيهم، فكان أن طلـب منه ربـه تعالـى شأنـه أن يُقرَّ بالإيمـان كما أقروا، ثـم إنه لما كـان متصورا منهـم أن يؤخذ عليهـم العهد بأن ينصـروه عليه الصلاة والسلام حين يبعث بـرسالة ربه لأنه لم يكن قد بعث بعـد، وكان غير متصور أن ينصر عليه الصلاة والسلام هؤلاء الأنبياء الـذين سبقوه فى الزمان؛ فإنه تعالى لـم يأخذ عليه العهد أن ينصرهم.

ثم إنه تعالى طلب منه ﷺ أن يقر بنفسه وعن أمته بإيمانه بما أنزل عليه من القرآن العظيم وصف بـأنه أنزل على الـرسول وعلى المؤمنيـن «وما أنزل علينـا» لأنه وإن كان قد نـزل عليه وحده ﷺ إلا أنه ﷺ أبلغهم به فصار كأنه أنزل عليهم .

وتلى ذلك طلبه سبحـانه وتعالى من رسولـه ﷺ أن يقر بنفسه وعن أمته بالإيمـان بما أنزل الله من الصحف والوصـايا على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقـوب والأسباط، وما أوحى به إليهم فبلغوه. وجاء ذكر هؤلاء لأن اليهود والنصارى يـؤمنون بهم أنبياء فيمن يؤمنون بهم من الأنبياء. وأعقبه طلبه تعـالى من نبيِّه الكريم أن يقـرُّ بالإيمان بما أوتى موسـى وعيسى والنبيون من ربهـم، أى أن يقرَّ عليـه الصلاة والسـلام بالتوراة والإنجيـل كتابيـن منزليـن على مـوسى وعيسى عليهما السـلام وبما أيَّد به سبحـانه وتعالى كـلاً منهم من الآيات والمعجـزات، ثم أضاف إليهم بـاقى الأنبياء «والنبيون»، يقر عليه الصـلاة والسلام بأن ما أنزل عليهـم إنما كان من ربهم، وجاء ذكر باقى الأنبياء بلفظ يفيد العموم لسببين:

أولهما أن من الأنبياء من قصَّ نبأهم على رسـوله ربُّ العزة سبحانه وتعالى، وأن منهم من لم يخبره تعالى عنهم بذكر أسمائهم أو لـم يخبر عن قصصهم فى كتابه الكريم.

وثانيهما: لبيان أنه عليه الصلاة والسلام وأمته يؤمنون بجميع الأنبياء، فليس حاله عليه الصلاة والسلام كحال أهل الكتاب يؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون ببعض، وهو ما يفصح عنه باقى قوله عليه الصلاة والسلام بأمر ربِّه «لا نفرق بين أحد منهم».

وبعد ذلك يجيء ختام إقراره ﷺ قوله «ونحن له مسلمون» والمعنى أنه عليه الصلاة والسلام وأمته مستسلمون لله بالطاعة والانقياد فيما أمر وما نهى، وأنهم المسلمون، والمعنى أنهم المسلمون إسلام سابقيهم من الأمم التى آمنت بما دعت إليه الأنبياء والرسل وهو الإسلام بالمعنى العام أى الإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به، وأنهم المسلمون بما جاء به رسول الله ﷺ، وهو الإسلام بالمعنى الخاص المعروفة أركانه من شهادة ألا إلٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله، و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج لمن استطاع إليه سبيلا.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾

أولا: الأسماء :

الإسلام: هو الإسلام ـ بالمعنى الخاص ـ الذى دعا إليه رسول الله ﷺ .

ثانيا: التفسير:

مفاد قوله تعالى فى الآية أنه جلَّ شأنه لا يقبل من أحدٍ بلغته دعوة رسول الله ﷺ للإسلام ملة وشرعة غير الإسلام يؤمن بها ويأتيه تعالى بها، فإن فعل أى إذا اعتنق ملة أخرى كانت تغنى صاحبها قبل مبعث رسول الله ﷺ وأعرض عن الإسلام فإنه لا يجد فى الآخرة سوى الخسران المبين، لأنه يكون قد حرم ثواب تعبده فى الدنيا وفقا لما اعتنق من الملل وهذه خسارة كما يكون قد خسر ما جبل عليه من الفطرة وهو الإسلام .

■■■■

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾

أولا: الأســـــماء :

١ ـ **القــــوم** : فى قوله تعـالى «كيف يهدى الله قوما» قيل إنهم أهـل الكتاب آمنوا بكتبهم وما جاء فيها من تبشيـر برسول الله ﷺ فكانوا مؤمنين، فلما بعث الله رسـوله ﷺ أنكروه فكانوا بذلك كافرين كما كفروا بكتبهم. وقيل إنهم اثنا عشر رجلا ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بقريش، ثم عادوا يسألون هل إلى الإيمان سبيل.

٢ ـ **الرســول** : المراد به ـ فى معنى الآية ـ محمد ﷺ .

ثانيا: التفســـير:

معنى قوله تعالى فى مبتدأ الآية «كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم» هو: كيف يهدى الله إلى الدين الحق قوما عادوا للكفر مـن بعد أن آمنوا، والقول ـ وإن ورد فى صيغة استفهام ـ إلا أن المراد بـه توبيخ مـن كفر بعد الإيمان وبيـان أنه لاسبيل إلـى الهدى إلا الطريـق الذى سلكوه من قبل ثم تركوه، والقول ـ بهذا المعنى ـ لا يغلق طريق التوبة أمام المرتد وإن تضمن جحد الارتداد وإظهار شناعته .

ويقبل القول أن يكون المراد بـه جحد فعل أهل الكتاب الذين آمنوا بكتبهـم وما جاء فيها متعلقا بـالتبشير برسول الله ﷺ فكـانوا مؤمنين، فلمـا جاءهم علـى نحو ما وصف فـى كتبهم أنكروه ولم يؤمنوا له فكانوا كافرين.

ويصف سبحانه وتعالى الذين كفروا بعد إيمان بأنهم شهدوا ـ فى فتـرة إيمانهم ـ أنه ﷺ حق، شهد بـذلك الذين آمنوا لرسـول الله ﷺ واعتنقوا الإسلام، وشهد به أهل الكتـاب عندما آمنوا بكتبهم وفيها التبشير برسول الله ﷺ، فهذا الثابـت فيهم بقوله تعالى «وشهدوا أن الرسول حق».

كما يبين سبحانه وتعالى أن عودة هؤلاء للكفر كانت بعد أن جاءتهم البينات والأدلة التى تثبت أنه ﷺ النبى الحق، وهى القرآن العظيم لمن أسلم ثم ارتدّ عن الإسلام، وهى البشارات التى تضمنتها الكتب بالنسبة لأهل الكتاب .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «والله لا يهدى القوم الظالمين» يفيد أنه تعالى لا يهدى إلى الحق من استمر على ظلمه نفسه فامتنع عن النظر فى الإيمان، فيكون معنى «الظالمين» هو المستمرون على ظلم أنفسهم بإرادتهم، العازفون عن مراجعتها، فتكون إرادته تعالى هى ما فى علمه الأزلى ألا يكونوا مهتدين .

أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٧﴾

التفسـير:

يخبر سبحانه وتعالى فى الآية عن مصير الذين كفروا بعد إيمانهم واستمروا على ظلمهم أنفسهم باستمرارهم على الكفر غير ناظرين فيه نظرة عقل وتدبر. أشار إليهم بـ «أولئك» جاءت فى جملة الآية «مبتدأ»، ثم جاء لفظ «جزاؤهم» مبتدأ ثانيا، وخبره هو قوله تعالى «أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»، ويكون المبتدأ الثانى وخبره معا خبرا للمبتدأ الأول. فيكون المعنى أن جزاء المذكورين هو أن تغمرهم اللعنة، وهى لعنة الله الذى طردهم من رحمته بما طبع فيهم من عدم استعداد للهدى، وهى لعنة الملائكة يلعنونهم ويسألون الله إبعادهم عن رحمته، وهى لعنة المؤمنين من الناس، فيكون المراد بـ «أجمعين» هو «سبحانه وتعالى، والملائكة، واللاعنون من الناس»، ويقبل المعنى أن يكون لفظ «أجمعين» حالاً للناس، لأن الناس يلعن بعضهم بعضا بمن فيهم الكافر يلعن آخر بدعوى أنه كافر لأنه يرى نفسه مصلحا .



﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٨٨﴾

التفســــــير:

جملة الآية استئناف للحديث عن الظالمين الملعونين من الله والملائكة والناس أجمعين، تضمنت بيان حالهم فجاء قوله تعالى «خالدين فيها» مبينا حالهم فى اللعنة وهو الخلود فيها، ومفاده الخلود فى العذاب الذى هو من مستتبعات اللعنة. وهو ما أوضحه قوله تعالى «لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون» فبيَّن أن خلودهم يكون فى العذاب الذى هو من مستتبعات لعنهم، وأنه لا تخفف عليهم شدته ولا يمهلون فيه ولا يؤخر عنهم، كما أنه لا ينظر فى أمر ذلك لهم، مما مفاده انقطاع الأمل أن يكون لهم تخفيف فى العذاب أو إمهال.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٨٩﴾

التفســــــير:

جملة الآية استئناف للحديث عن الذين كفروا بعد إيمانهم، وهم الذين بيَّن سبحانه وتعالى أنهم يلعنون من الله والملائكة والناس أجمعين وأنه يكون لهم الخلود فى العذاب، جاءت الآية بباب من أبواب رحمته تعالى يُفتح للتائبين، فاستثنى من استحقاق الخلود فى العذاب ومنه التائبون عن كفرهم بعد الإيمان، وإذا كانت التوبة تفيد الندم ــ وهو إحساس معنوى ليس فى ذاته مظهر مادِّىٌّ محسوس ـ فإنه تعالى تطلب أن يكون معه الإصلاح «إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا» والإصلاح يكون بسلوك إيجابى يتمثل أول ما يتمثل فى الدخول فى الإسلام، ثم يكون بالتزام أوامره تعالى ونواهيه ليكون العمل صالحا.

وحكم هؤلاء المستثنين من العذاب بما كان منهم من توبة وإصلاح أنه تعالى يغفر لهم ويرحمهم «فإن الله غفور رحيم» يغفر لهم ما كان منهم من الكفر الذى تابوا عنه بموجبات رحمته التى تشملهم فلا يعذبهم به فى الآخرة .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ٩٠﴾

أولا : الأســـــماء :

الذين كفروا بعد إيمـانهم ثم ازدادوا كفرا: هم اليهود آمنـوا بموسى عليه السـلام والتوراة، فلما جاء عيسى عليه السلام أنكروه فكفروا بذلـك، ثم إنه لما بُعث ﷺ أنكروه فازدادوا بذلك كفرا. وهم أهل الكتـاب عموما آمنوا بالرسول الـذى بشَّرت به كتبهم بإيمانهـم بكتبهم فكانوا مؤمنين، فلما بُعـث ﷺ أنكروه فكانوا كافرين، ثـم حاجوه وتآمروا عليه وحـاربوا دينه فازدادوا بذلك كفرا. وهـم المرتدون عن الإسلام بعد الدخـول فيه، آمنوا ثم ارتدُّوا فكانوا كـافرين بعد إيمان، ثم عملوا على إعادة المسلمين إلى كفرهـم وحاولوا فتنتهم عن دينهم، فازدادوا بذلك كفرا.

ثانيا: التفســـــير:

بعد ذكره تعالى ـ فـى الآية السابقة ـ ما يكون عليه مصير الذين تـابوا وأصلحوا بعد كفرهم من بعد إيمان، فإنه تعالى أورد ـ فى هذه الآية ــ مصير الآخرين من الذين كفروا بعد إيمان ثم ازدادوا كفرا، وهو وصـف يجتمع فيه وعليه كل من: اليهـود لكونهم آمنوا بموسـى عليه السلام رسولا نبيـا ثم كفروا بالمسيـح عليه السلام، وازدادوا كفـرا بكفرهم رسول الله ﷺ ودينـه. وأهل الكتاب الذين آمنـوا بما جاء فى كتبهم متعلقا بـالتبشير برسول الله ﷺ، ثم كفروا بـه رسولا نبيا حين بعثه الله، ثم ازدادوا كفرا بمناوءته والتآمر عليه وعلى المؤمنين وبمحاجته، وما ادَّعوه على الله تعالى من اتخاذه أبناء، وما قالوا به من تأليه عيسى عليه السلام .

ومصير هؤلاء حدَّده سبحانه وتعالى بقوله «لـن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون». ومعنى قوله تعالى «لن تقبل توبتهم» مفاده أمران:

أولهما: أنه ستكون منهم توبة.

وثانيهما: أن هذه التـوبة لن تقبل منهم ـ وفـى شأن هذ التوبة التى تكـون منهم فقد تكون هى التوبـة عند حضور الموت فلا تقبـل، وقد تكون هى التوبـة عما اقترفوا من الـذنوب أثناء كفرهـم ـ أى توبة الكافر عن غير الكفر ـ فهى لا تقبل .

ويجىء قـوله تعـالى ـ فـى ختام الآية ــ «وأولئك هـم الضالون» مثبتـا عليهم أنهـم أهل الضلال، وأنهم الضالُّون طـريق النجاة، ومعناه أنهم لاشك معذبون. ولا يعنـى وصفهم بأنهم الضالون أن غيرهـم لا يكون ضالا و إنما مفاده إثبات الضلال فيهـم واسـتحقاقهم العــذاب به.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

أولا : الأســــــماء :

المــــــلء: فى قوله تعالى «ملء الأرض ذهبا» هـو ما يأخذه الإناء إذا امتلأ، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ القدر الذى يملأ الأرض من مشرقها إلى مغربها.

ونرى أنه ما يملأ باطن الأرض من تحت قشرتها.

ثانيا: التفســــــير:

الآية الشـريفة تتحدث عـن مصير الذين كفـروا وأصروا على الكفـر وبقوا عليه إلـى حين موتهم فماتوا كافـرين، ويبين مغايرة حال هؤلاء عن حال الذيـن كفروا ثم ازدادوا كفرًا الذين لن تقبل تـوبتهم ـ المخبر عنهم فى الآيـة السابقة ـ من مـلاحظة أنه تعالى ـ عنـد الإخبار عن مصيرهـم قال «لن تقبل توبتهم» فلم تدخـل «الفاء» على خبر «إن»، أما عند الإخبار عن مصير الذين ماتوا كافرين فقد قال تعالى «فلن يقبل من أحدهم» فدخلت «الفاء» فى خبر «إن» فلزم

أن يكون لذلك سبب، والسبب يبين من ملاحظة أن ما كان من الأولين هو الكفر والزيادة فيه من بعد الإيمان.

على حين أن ما كان من الآخرين هو الموت على الكفر.

ويستخلص من هذا أن علة المصير المذكور هى الموت على الكفر، وأنه لو كانت التوبة قد تمت من الأوَّلين على وجهها لقُبلت لأنه لا يترتب على الكفر والزيادة فيه عدم قبول التوبة، ولكن عدم قبولها واستحقاق العذاب الأليم يترتبان على الموت على الكفر، ولذلك دخلت «الفاء» على خبر «إن» لإظهار علاقة السببية بين عدم قبول التوبة واستحقاق العذاب الأليم وبين الموت على الكفر.

وقوله تعالى «فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبًا ولو افتدى به» قيل إن معناه أنه لن تقبل من أحدهم فدية ما للخلاص من العذاب، وجاء فيه ذكر «ملء الأرض ذهبا» لبيان الكثرة، وأن المراد بـ «ملء الأرض ذهبًا» هو ما يغطيها من المشرق إلى المغرب، وأنه لما كان من المستحيل أن يغطى أحد سطح الأرض ذهبا من مشرقها إلى مغربها فإنه يكون المعنى هو استحالة قبول الفدية واستحالة الخلاص.

وقيل إن المعنى أنه لن يقبل من أحدهم ضعف ملء الأرض ذهبًا، فيكون معنى قوله تعالى هو «لو افتدى بمثله معه».

وقيل إن المعنى هو أنه «لا يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا لو تصدَّق به، وأنه لو افتدى به أيضا لم يقبل منه».

والرأى عندنا أن عدم القبول مقرَّر بالنص «فلن يقبل من أحدهم»، وموضوعه هو الكثير الذى دل عليه قوله تعالى «ملء الأرض ذهبا». وفيه نرى أن المراد به هو ما يملأ جوف الأرض، فيكون الامتلاء بمعناه اللغوى «ما يملأ الوعاء» وليس ما يحيط بالأرض من مشرقها إلى مغربها، الذى قد لا يزيد على سمك شعرة فيكون ممكنا تصور وجوده، دليلنا على ذلك قوله تعالى «ولو افتدى به» جاءت فيه «لو» تفيد امتناع أن يقع من أحدهم افتداء نفسه بما يملأ الأرض ذهبا يوم القيامة.

وجاءت «الـواو» لبيان امتناع آخر هـو امتناع حصول الفعـل ذاته على أهـل الدنيا ـ وهـو ملء باطـن الأرض ذهبا ـ على الإطـلاق، بمعنى أنـه مهما تقـدم العلم، وإن أصبـح فى مقـدور الإنسان أن يحقن باطن الأرض بما يريد إلى مركـز الكرة الأرضية، فإنه لن يتمكن من أن يملأ بـاطن الأرض ذهبـا، وسبب ذلـك أن الذهـب هـو بعض مـا يخرج مـن جوف الأرض الـذى يضـــم ـ إلى جواره ومعـه ـ الكثيـر مثل البترول، والفحـم، والبعض لا يملأ الكـل، فيكون المعنى أن من مات على الكفر فقد تحقق فيه سبب عدم قبول التوبة.

ولذلك فـإنه يخلد فى العذاب، وإنه مـن المستحيل خلاصه من العذاب، وهـذه الاستحالة مثل استحالة أن يفتدى أحـد نفسه يوم القيامة بمستحيل آخر على أهل الـدنيا مهما بلغوا من العلم وهو أن يملؤوا جوف الأرض بالذهب.

وبعد ذلك يجـىء تأكيد المعنى المستفـاد عقلا فى شأن مصيـر الذين ماتـوا على الكفر بإيراده صراحـة بقوله تعالى «أولئك لهـم عذاب أليم» بمعنى أنه مقدَّر عليهـم أن يخلدوا فى أشد العذاب، وبقوله تعالى «وما لهم من ناصرين».

وقد دل علـى أنه لمَّا امتنـع عليهم أن يفيدوا مـن المال، فإنـه امتنع عليهم أن يفيـدوا من الأعوان، وفـى القول الإشـارة إلى أنه لا تكـون فيهم شفـاعة، فلا يكـون لهم إلا سـوء عملهم بالموت على الكفر سببا لسوء العذاب.

لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ البـــــرُّ: ضد العقوق، قيل هو الإحسان والخير، وقيل إنه الجنة.

٢ ـ ما يحبون : فى قوله تعـالى «حتى تنفقوا مما تحبون» قيل هو المـال يحبه كل الناس، وقيل هو أنفس المال، وقيل هو كل ما يحبه المرء .

ثانيا: التفســـــــير:

الحديث فى الآية للمؤمنين بعد الحديث عـن مصير الكافرين الذين ازدادوا كفرا، والذين ماتوا على الكفر.

وفى الآية بيـان ما ينفع المؤمنيـن فيصل إليهم ما ينفعهـم ويصيبوا به برَّ طـاعته فيصبحوا أبرارا من أهل الجنة وهى برٌّ يصيبونه.

وهذا الذى ينفع المؤمنين هو الإنفاق مما يحبُّون من المال وكل نفيس يحبونه.

أو أنهم ينفقون مما يحبون أن يستأثروا به لأنفسهم لفضل له على غيره.

ويستفاد من قوله تعالى «لن تنالوا البرَّ حتَّى» أنه جعل نيْلَ البرِّ معلَّقًا على شىء.

والمعنى أن مجرد الإيمان مع العمل الصالح ـ الـذى لم يتضمن ما علِّق عليه نيلُ البر ـ لا يكون من شأنه أن ينيل المؤمن البرَّ.

وهذا الذى علِّـق عليه نيل البرِّ هـو الإنفاق مما يحب المـرء من المال ومن كـل ذى قيمة مالية فى أوجه الخير لوجه الله .

وقولـه تعالـى «وما تنفقوا مـن شىء فـإن الله به عليـم» هو حث للمـؤمنين علـى أن يكون إنفاقهم من أجود ما يملكون.

لأنه لما كان سبحانه وتعالى عالما طبيعة ما أخرجوا من أموالهم ومطعوماتهم وملبوساتهم وكافة ما يستفاد به ويكون منه الإنفاق.

وكان تعالى مجازيا كلا منهم بما أخرج من ماله وأنفق وفقا لحاله من اليسار والعسر، فإنه يكون ثوابه على قدر ما أنفق المنفق من ماله بالنظر إلى حاله، فيكون فى ذلك حثٌّ للمؤمنين على أن يكون إنفـاقهم فى سبيل الله مـن أفضل ما يملكون وأغلـى ما يحبون ليكون لهـم البرُّ الذين ابتغوا وكانوا به يوعـــدون .

■■■■■

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٩٣﴾

أولا : الأســــــماء :

١ ـ الحـــلُّ : فى قوله تعالى «كان حلاً لبنى إسرائيل» المراد به الحلال أكله.

والحلُّ ليس صفة ذاتية فى الشىء وإنما هى وصف يلحق به بناء على حكمه تعالى فيه.

٢ ـ إسرائيل : هو نبى الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام .

ثانيا: التفســــــير:

الآية الشريفة ردٌّ على مزاعم اليهود أنهم على دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام وإنكارهم على رسول الله ﷺ قوله إنه على دين إبراهيم، محتجين بأنه عليه الصلاة والسلام يأكل مطعومات كانت محرَّمة على عهد إبراهيم فكانت محرَّمة منه تعالى على إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

وهى ردٌّ أيضا على قولهم «إنه ليس فى الشرائع نسخ ولا فى الأحكام.

وإنه لما كان فى القرآن نسخ فإنه يكون محمد «هو كاتبه». فكانت الآيـــة ردًّا على هذا وذاك.

فقوله تعالى «كل الطعام كان حلاً لبنى إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه» معناه أنه حتى زمان يعقوب عليه السلام كان كل الطعام حلالا أكله لم يحرم الله منه شيئا على بنى إسرائيل أوغيرهم.

والمعنى أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يكن محرما عليه شىء من الطعام .

ويجيء قوله تعالى «إلا ما حرَّم إسرائيل على نفسه» مبيِّنًا أن يعقوب عليه السلام حرَّم على نفسه بعض أنواع المطعومات مما لم يحرِّم الله، وقيل إن ذلك كان تقرُّبا إليه تعالى، وقيل إنه كان قد مرض ونذر لله تعالى أن يمتنع عن أكل طعام بعينه إذا ما شفى من مرضه، فلما شفى حرَّمه على نفسه. وقد حرم على نفسه أكل «عرق النسا» فى البهائم.

وقد بيَّن سبحانه وتعالى أن جميع المطعومات كانت محلَّلة إلى نزول التوراة بقوله تعالى «من قبل أن تنزل التوراة».

ويفهم من قوله تعالى هذا ــ بمفهوم المخالفة ــ أنه بنزول التوراة تم تحريم بعض المطعومات على بنى إسرائيل.

ومعلوم أن التوراة أنزلت على موسى عليه السلام وأن بينه وبين جدِّه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ستة أجيال على عمود النسب وأن بينه وبين جدِّه يعقوب أربعة أجيال .

ثم يجيء قوله تعالى «قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين» أمرا منه تعالى أن يجعل احتكامهم إلى التوراة، ليكون قوله عليه الصلاة والسلام لليهود هو قمة التحدى، لأنه سيعلم منه أنهم كاذبون ، فيكون قوله تعالى يقوله رسوله ﷺ «إن كنتم صادقين» مفيدا اليقين بكذبهم.

وبيان ذلك أنهم يجدون فى التوراة أنه فى شريعة نوح عليه السلام ـ التى كانت سارية إلى أن نزلت التوراة على موسى عليه السلام فنسخت بعض أحكامها ــ كانت كل المطعومات حلالا أكلها، ولا تزال التوراة التى بين أيدينا اليوم مثبتةً هذا فقد جاء فى الإصحاحين الثانى والثالث من سفر التكوين أنه تعالى قال لنوح عليه السلام «ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء.

مع كل ما يدب على الأرض وكل أسماك البحر قد دفعت إلى أيديكم ، كل دابة حية تكون لكم طعاما» ـ ومعنى هذا هو صحة قوله تعالى أنه لم يكن شيء محرما أكله من قبله تعالى على إبراهيم عليه الصلاة والسلام ولا على يعقوب عليه السلام.

وهذا يثبت كذب اليهود أنه كان محرما على إبراهيم ويعقوب ما يحرمون أكله.

كذلك فإنهم يجدون فى التوراة ـ ولا يزال موجودا فى التوراة التى بين أيدينا اليوم ـ أنه ورد تحريم بعض المطعومات على بنى إسرائيل فى التوراة.

فقد ورد فى الإصحاح الحادى عشر من سفر لاويين «وكلم الربُّ موسى وهارون قائلا لهما كلِّما بنـى إسرائيل قـائلين هذه هـى الحيوانات التى تـأكلونها مـن جميع البهائم التـى على الأرض، كل ما شقَّ ظلفا وقسمـه ظلفين ويجتر من البهائم فإياه تأكلون، إلا هـذه فلا تأكلوها مما يجترُّ ومما يشق الظلف.... الخ». والمعنى أن أول تحريم لبعض المطعومات منه تعالى إنما كان بعـد زمان إبراهيم وزمان إسرائيـل عيلهما السلام. وأن التوراة نسخت حكـم شريعة نوح عليه السلام. فيكون قد ثبت من كتابهم أمران.

أولهما: كـذب زعمهم أن إبراهيـم عليه الصلاة والسـلام كان محرَّمـا عليه من الطعـام ما يحرمونه على أنفسهم.

وثانيهما : أنَّ نسخ الشرائع والأحكام ثابت فى التوراة مما يبطل زعمهم أن فى وجود ناسخ ومنسوخ فى القرآن العظيم دليلا على أن محمدا ﷺ هو كاتبه.

ومعلوم أن تحريـم ما حرِّم أكله على بنـى إسرائيل فى التـوراة إنما كان عقابا لهـم على ما اجترحوا من السيئات فهو إنما كان بظلمهم، وهذا ما يثبته قوله تعالى «فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم».

فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾

أولا : الأســــــماء :

١ ـ الكـــذب: المراد به ـ فى معنى الآية ـ الزعم بأن تحريم أكل ما هو محرم على اليهود كان قبل نزول التوراة علـى أيام من سبق موسى عليه السلام من الأنبيـاء، فكان محرما عليهم

وعلى أممهم .

ثانيا : التفســــــير :

قوله تعالى «فمن افترى على الله الكذب» هو تعيين لمن أورد نصَّ الآية حكمه أو التعريف به.

والذين افتروا على الله الكذب هم الذين زعموا أن المحرَّم على اليهود أكله كان محرما أكله على إبراهيم ويعقوب عليهما السلام وعلى أمتهما وهم الذين كذَّبت التوراة دعواهم، وصفوا بأنهم «افتروا على الله الكذب» بمعنى أنهم ابتدعوه واختلقوه عدوا على الحق.

وقوله تعالى «من بعد ذلك» المراد به «من بعد أن دُعوا إلى الاحتكام إلى التوراة التى تثبت كذبهم فيما ادعوه.

ولذلك فإن نعتهم بأنهم ظالمون بقوله تعالى «فأولئك هم الظالمون» إنما كان لإصرارهم على زعمهم بعد أن تبين لهم كذبه من التوراة، فظلموا أنفسهم بإصرارهم على الباطل كما ظلموا أتباعهم الذين صدقوهم، فكانوا الأحق بالوعيد الذى يتضمنه وصفهم بأنهم «ظالمون» لأن الظلم قرين الكفر، يستحق العذاب الأليم، والخلود فيه.

قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾

التفســــــير:

قوله تعالى ـ فى مبتدأ الآية ـ «قل صدق الله» أمرٌ منه تعالى إلى رسوله ﷺ أن يقول «صدق الله»، والمعنى أن ما ذكره تعالى فى محكم قرآنه من أنه لم يكن محرَّما على إبراهيم ويعقوب عليهما السلام شىء مما حرَّمه بنو إسرائيل على أنفسهم، وأنه لم يكن منه تعالى تحريم بعض المطعومات على بنى إسرائيل إلا بنزول التوراة على موسى عليه السلام هو حق، وأنه

تعالى الـذى أنزل القرآن العظيم علـى محمد ﷺ، لا ينفى ذلك أن مـن آياته ما ينسـخ آيات أخرى لفظا وحكما، أو حكما مع بقاء اللفظ .

وقوله تعالـى «فاتبعوا ملَّة إبراهيم حنيفا» هـو أمرٌ منه تعالى يصحُّ فيه أن يكـون موجها إلى بنى إسـرائيل بأن يتبعوا مـا كان عليه إبراهيـم عليه الصلاة والسـلام الذى كان مائلا عـن كل باطل فكان يأكل من صنوف المطعومات ما حرَّمه بنو إسرائيل على أنفسهم، ومنه شرب ألبان الإبل، وذلك ليستقيم أمرهـم فيما يدَّعونه من أنهم على ملة إبـراهيم، وذلك إلى أن يشرح الله قلوب من شاء أن يفتح قلبه للإيمان والإسلام منهم .

ويصحُّ فيه أن يكون موَّجها إلى المؤمنين ألا يصغوا لباطل اليهود الذين يزعمون، وأن يتبعوا ملة أبيهم إبراهيم الذى مال عن الباطل فى العقيدة والفعل.

ثم يجىء قوله تعالـى ـ فى نعت إبراهيم عليه الصلاة والسلام ـ «ومـا كان من المشركين» نافيا ـ من جهة ـ عنه ﷺ أنه كان من المشـركين، ومثبتا ـ من جهة أخرى ـ الشرك على اليهود الذين أصرُّوا على دعواهم من بعد أن تبيَّن لهم من التوراة كذبهم.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ أول بيت : قيل إن المراد به أول ما بنى من بيوت عبادة الله بحساب الزمان.

وقيل إن المراد به أول مـا بنى من بيوت عبادة الله بحسب تشريـف الله لها، بمعنى أفضلها مقاما عنده تعالى.

٢ـ بكة: قيل إنها مكة المكرمة ،وإن اللفظ لغة فيها أو اسم من أسمائها.

وقيل إنها موضع البيت و إن مكة هى البلد بكاملها.

والاسم مصدر الفعل «بكَّ ـ يبك » بكًّا، بمعنى «زَحم».

سميت مكة به لأن الناس تزدحم بالحجيج فى موسم الحج.

ثانيا : التفســـــير:

ناسب نـزول الآية فى موضعها أنـه سبقها أمره تعالى الكافـرين اليهود باتباع ملـة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومنها تعظيمه البيت الحرام، فكان منه تعالى ذكر البيت وفضله وحرمته.

وقيـل فى سبـب نزول الآيـة أن اليهود زعمـت أن بيـت المقدس أعظـم من الكعبـة وأن المسلمين قالوا «بل الكعبة أعظم» فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ،فنـزلت الآية إلى قوله تعالى فى الآية اللاحقة عليها «مقام إبراهيم» .

ومعنى قوله تعالـى«إن أول بيت وضع للناس» يراد به تعيين أول بيت وُضـع من قبله تعالى وبأمره وهيىء مكانا لعبادته.

و إنه من حيث أوَّلية الـوجود للعبادة بحساب الزمان فإنه ـ على مـا تقرُّ به التوراة المحتج بها على اليهود ـ هـو الكعبة إذْ بناها إبراهيم عليه الصلاة والسلام و إسمـاعيل، على حين تم بناء بيت عبادة بيت المقـدس فى عهد سليمان عليه السلام ، وقد سبقه إبـراهيم عليه الصلاة والسلام فى الوجود بزمـان طويل ـ على ما يقرُّبه اليهود بتوراتهم ــ بما يثبت أسبقية بناء بيت المسجد الحرام على بناء مسجد بيت المقدس.

ولانغفل ما قيل من أن أول من بنى الكعبة هم الملائكة بنوه قبل آدم عليه السلام، ثم أعاد بناءه آدم، فشيت ، فإبراهيم، فالعماليق، فجرهم، فقصى، فقري.

أو إنه نزل مع آدم من الجنة ، ثم رفع بعدموته إلى السماء.

فأما إن أريد بالأسبقية أسبقية الشرف عنده تعالى فإنه تعالى أثبت هذه الأسبقية أو الأوَّلية للمسجد الحرام.

ثم إنـه تعالـى ـ بعد تعيينـه أى المسجدين هـو الأول ـ ذكـر حاله فبيـن أنه هـيء للعبادة «مباركا منه تعـالى» بمعنى أنه يكثر فيه ثـواب فعل الخير لفاعله ، ويغفر فيـه لمن حج إليه لله

وفى الله ذنبـه. وأنه هادٍ إلى الجنـة، تكون منه الهدايـة لمن يأتيـه للعبادة مخلصا فى عبـادته تعالى وتوقيره وتوقيربيته الحرام، وذلك على ما يستفـاد من قوله تعالى فى ختام الآية «مباركا وهدًى للعالمين».

فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾

أولا : الأســــــماء :

١ ـ الآيات البينات: فى قولـه تعالى «فيه آيات بينـات» قيل إنها المعجزات الظـاهرة فيه وفى شأنـه ، ومنها إهلاك من قصده بسوء، وعـدم تعرضه لهجوم ضوارى السبـاع، وعدم علو الطير إياه.

ونرى أنه ـ إن جاز اعتبـارهلاك من قصده بسوء آية ومعجزة ـ فإن غيـر ذلك لا يعدُّ كذلك لأن السباع لا تغيـر ـ على الغالـب ـ على مكان مـأهول مزدحـم دائما كما أنه قيـل إن الطير شوهد يطير فوقه .

وإنه مع ورود «آيات بينات» نكرة فإنه يُفضل تـرك الأمر فيها لعلمه تعالى ، وقد يكون منها غفران ذنب من حج البيت ، لا نعرف سببه وعلته .

٢ ـ مقام إبراهيم: سبق بيانـه، وقيل إنه من الآيـات البينات لأن أثر القدميـن فى الصخرة الصماء آية.

والرأى عندنـا أن ظهور أثر القدميـن فى الحجر يعد آيـة لدى المؤمنين بـأنه ذات الحجر الذى وقف عليه إبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما ارتفع البناء.

أما غيرهـم فيرون مثله فى كثيـر من الحفريات آثـار أقدام الإنسان الأول والحيوانـات على كثير من الصخور الصلـدة ـ مما لا يعد معه الأثر آيـة ـ وذلك لأنها لم تكن وقـت السير عليها حجرا صلدا بل كانت مكونات أرضية رخوة جمدت وتصلبت بمرور الزمان.

ولذلـك نرى أن ذكر وجود مقـام إبراهيم بـالمسجد الحرام هـو إثبات لوجوده بـه، وأن فى استمرار وجوده فى مكانـه على طول الزمان آية عظيمة، ولكن لا يعتبر وجـود أثر القدمين عليه بالضرورة هو الآية المعنيَّة.

ثانيا : التفســـــــير:

قوله تعالى ـ فى مبتدأ الآية ـ «فيـه آيات بينات» وفيه يعود الضمير المتصل فى «فيه» على أول بيت أى على البيت الحرام يفيد أنه فيه آيات عظيمة، قد يكون منها إهلاك كل من قصده بسوء، ومنها غفرانه تعالى ذنب من يحج البيت.

وقوله تعالى «مقام إبراهيم» يدل على أن مـن هذه الآيات البينات وجود مقام إبراهيم عليه الصلاة والسـلام فى مكانه مـن المسجد على تطـاول الزمان عليـه وتعاقب القبائل السـاكنة بجوار الحرم، واختلاف الحكام على الإقليم.

ثم إنـه تعالى بين حكـم من دخل الحـرم، ذكر بأنـه مقام إبراهيم علـى ما يبين مـن عودة الضمير المتصل فى لفظ «دخله» عليه، فكان المراد به هو الحرم. فأوضح سبحانه وتعالى أنه يكون آمنا .

وقد سبق شرح معنى «أمان» من دخل الحرم فى سورة البقرة ـ

ومنه أنـه لا يقع فيـه اعتداء مـن أحد علـى أحد، ولا يـلاحق فيـه من وجـب عليه حـد أو قصاص، بل يضيق عليه حتى يخرج من الحرم فيلاحـق بذنبه وجرمه، ومنه أن من دخله بحقه دخل بحسنةٍ وخرج من سيئة مغفورا له.

وبعد ذلك يجىء قوله تعالى «ولله على النـاس حج البيت» مبينا أن حج البيت هو حق لله تعالـى على النـاس، وواجب عليهـم يتحتم الإتيان بـه، وهوـــ على المعـروف ـ أحـد أركان

الإسلام الخمسة ـ.

ثم إنه لمـا كان أمر الحج قـد يشق على بعض النـاس لأسباب متعددة. قد يكـون منها ما يتعلق بالقدرة على تحمـل مشاقه، وقد يكون منها القدرة على تحمل نفقاتـه، وكان تعالى قد يسَّر على النـاس أمور دينهم ولـم يوجـب عليهم إلا ما هو فـى حدود القدرة فإنه تعـالى خصَّ الذين قـدروا على سبيل الحج بحكـم إيجابه، بقوله تعـالى «من إستطاع إليـه سبيلا»، فجاء بدلا من الناس بدل البعض من الكل.

ثـم إنه لمـا كان الأصل فى التكليـف أن يكون فى البالـغ العاقل، فالـراجح أن الطفل إذا حج ثم بلغ وقدر على الحج كان واجبا عليه.

وتختتم الآية بقوله تعـالى «ومن كفر فإن الله غنى عن العالميـن» وإيراد القول بعد إيجاب حج البيـت وبعد ذكر هـذه العبادة مرتبطـة بملة إبـراهيم عليه الصـلاة والسلام يوضـح عدة أمـــور:

أولها: أنه سبحـانه وتعالى يعتبـر من ترك الحج كـافرا به لا يرى فـى حجِّه برًّا ولا فى تـركه مأثما، غير خائفٍ من عقوبة تركه وغير راجٍ منه ثـوابا، يعتبره تعالى كافرا. ويؤيد هذا قوله ﷺ «من مات ولـم يحج حجة الإسلام، لـم يمنعه مرض حابـس أو سلطان جائر أو حاجـة ظاهرة فليمت على أى حال شاء يهوديا أو نصرانيا».

وقد يكون المعنى المقصود أنه تعـالى فى غير حاجة إلى حج الكافريـن البيت الذين أبوا ذلك حين طلب منهم الحج، وذلك على ما روى مـن أن النبى ﷺ التقى باليهود بعد نزول آية «ومن يبتغ غيـر الإسلام دينا فلن يقبل منه»، فقـالت اليهود «فنحن مسلمون» فقـال لهم النبى ﷺ «إن الله تعالى فرض على المسلمين حج البيت» فقالوا «لم يكتب علينا» وأبوا أن يحجوا، فنزل قوله تعالى «ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين» .

فيكون الكافرون ـ فى معنى الآية ـ هم عموم الكافرين من قبل أن يطلب منهم الحج.

وثانـى ما يبين مـن قوله تعـالى هذا هـو ظهور العلاقـة بين الحج وبيـن ملة إبراهيـم عليه الصلاة والسلام ـــ على ما يستفاد مـن ورود قوله تعالى هـذا فى هذا الموضـع رادًّا على أهل

الكتاب فى شأن عبادة الحج فى عودٍ منه تعالى لمخاطبتهم أو التحدث عنهم من بعد سبق ردِّه تعالى عليهم.

وثالث ما يبين من القول أن الله تعالى فرض الحج وهو فى غنى عن حج الناس البيت، ومفاد هذا أنَّ فيه مصالح الناس التى يجىء فى أولها أنه به يغفر ذنب المخطىء فيعود من حجه كيوم ولدته أمه، ومن شأن من عرف ذلك أن يستهين بما يلاقى من المشاقِّ فى الحج فلا يصدُّه ما فى الحج من مشقَّة عن تمنِّيه والسعى إليه.

وقد قيل إن جميع الأنبياء من بعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد حجَّوا البيت، على خلاف فى شأن هود وصالح عليهما السلام .

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٩٨﴾

التفسير:

الخطاب فى الآية منه تعالى إلى رسوله ﷺ يأمره أن يسأل أهل الكتاب عن سبب كفرهم بآيات الله الدالة على نبوته ﷺ وعلى صحة الإسلام والتبشير به فى كتبهم؛ ولذلك جاءت مخاطبتهم منه ﷺ باسمهم الدالِّ على أنهم أوتوا الكتاب والبينات والآيات الدالة على نبوَّته ﷺ تقبيحا لحالهم «قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله».

وقوله تعالى «والله شهيد على ما تعملون» هو وعيد لأهل الكتاب الكافرين بآيات الله لأن فى إبراز معنى شهادته تعالى عملهم ما يفيد أنه مجازيهم به. فيكون قوله تعالى وعيدا لهم بجزاء ما يفعلون .

ومفاد هذا أنه يكون المراد بأهل الكتاب ـ فى معنى الآية ـ اليهود والنصارى.

ولكن قيل إن المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ هم اليهود أخذا بما روى من أن يهوديا طاعنا

فى السِّنِّ كـان يدعى «شماس بن قيس» مـرَّ على جماعة من الأوس والخـزرج مجتمعين فى سلام فساءه ذلك وبعـث إليهم من يزكى نار مـا كان بينهما فى الجاهلية مـن العداء حتى كاد الفريقان أن يقتتلا بعد أن قام من كل منهما رجـل ليقتتلا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فردَّهم عن دعوى الجـاهلية إلى الحـق. وعرف القوم أنهـا كانت نـزغة من الشيطـان وكيدا من عـدوهم فتصافـوا وتصالحوا فـأنزل تعالـى فى شأن شمـاس وما صنـع قوله «قـل يا أهل الكتـاب لم تكفرون».

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ سبيل الله: المراد بها ـ فى معنى الآية ـ ملَّة الإسلام، السبيل الحق إليه تعالى.

٢ ـ العـــوج : فى قوله تعالى «تبغونها عوجا» هوالميل عن الاستواء.

والمراد به ـ فى معنـى الآية ـ ابتغاء طريق معوج بمعنى أنه لا يهدى إليـه تعالى ولا يوصل للحق.

٣ ـ شـــــهداء: فى قولـه تعالى «وأنتم شهداء» قد يكـون المراد به ـ فى معنى الآيـة ـ هو «وأنتم شهـود عدل عند أهل ملَّتكـم الذين يسـألونكم ويستشهـدون بكم»، وقد يكون ــ فى معنى الآية ـ بمعنى: «علماء عارفون» .

ثانيا: التفســير:

الخطاب فـى الآية مـوجه إلى رسـول الله ﷺ يأمـره ربُّه أن يقول لأهـل الكتاب منـاديهم باسمهم ـ تقريعا لهم. «يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن».

ومعنى القول أنه كان منهم أنهم يصدُّون الذين آمنوا بالحق لما جاءهم وآمنوا وأسلموا عن

الدين الحق أو أنهم كانوا يبعدونهم عنه.

ويبيِّن النص أنهم بفعلهم هـذا كانوا يبتغون الميل عن الحق طريقـا يسير فيه الناس، لأنه لا يكون ابتغاء الشـىء إلا عن إرادة واعية، فيكون فـى ابتغاء الطريق المعـوج علم باعوجـاجه وإرادة إضلال من يكون عليه «تبغونها عوجا».

ويذكر النص حالهم فى صدِّهم الناس عـن الطريق المستقيم بقوله تعالى «وأنتم شهداء» فتفيد أنهم كـانوا يسألون من الناس عمـا ورد فى كتبهم فى شأن التبشير بـرسول الله ﷺ وذكر أوصافه باعتبارهم شهود عدل.

أو أنهم يعلمون أنه ﷺ هو النبـى المبشَّر به فى الكتب، ثم يكون منهم ــ مع ذلك ـ إخفاء الحقيقة قصـدا لإضلال الناس وإبعـادهم عـن الطريق المستقيـم والدفع بهـم إلى الطـريق المعوج طريق الضلال.

وقولـه تعالـى ـ فى ختـام الآية ــ «وما الله بغافـل عما تعملـون» هو تهديـد لهؤلاء بـإنزال العذاب الأليم بهم جزاء على فعلهم.

ولأن الفعل منهم مشهـود فقد ناسب أن يكون وصفه تعـالى ذاته فى شأن الفعل بـأنه غير غافـل عنه، لأن الأمر الظـاهر تكون عدم مـلاحظته وإدراكه نتيجـة إغفال النظر إليـه أو إغفال مراقبته.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾

التفســــــير:

أول ما يلاحظ فـى عبارة الآية أنه تعالى هو الـذى يخاطب المؤمنين بذاته «يـا أيها الذين آمنوا»، وهـذا يخالف مـا كان عليه أمـره تعالى مـع أهل الكتاب فـى الآيات السابقـة إذْ كان تعالى يطلب من رسوله عليه الصلاة والسلام أن يخاطبهم، على ما يبين من قوله تعالى: «قل

يا أهل الكتاب»، وهذا لبيان فضل المؤمنين على أهل الكتاب وعلو شأنهم.

وقوله تعالى «إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب» هو أداة شرط وفعلها، والفعل يتمثل فى استجابة المؤمنين لما يريده منهم بعض أهل الكتاب.

قيل إنهم شماس بن قيس اليهودى ومن والاه الذين أرادوا إشعال الفتنة بين الأوس والخزرج.

وجواب الشرط هو ما جاء بقوله تعالى «يردوكم بعد إيمانكم كافرين» ومعناه أنه يكون منكم الارتداد عن الإسلام فتكونوا كافرين.

والمستفاد من هذا أن فى إحياء الضغائن التى كانت بين القبائل وفى السير بدعوى الجاهلية كفرا بما دعا إليه ﷺ يجب أن يحذر المؤمن الاقتراب منه.

والقول بهذا المعنى فيه حث للمؤمنين على الثبات على الإيمان. وعلى الحذر من كيد الكائدين لهم من أهل الكتاب .

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾

التفسـيـر:

الراجح أن الخطاب فى الآية موجه إلى المؤمنين الذين تعرضوا لكيد بعض أهل الكتاب الذين أرادوا إثارة الفتن بينهم فكاد المؤمنون أن يستجيبوا لدعوى الجاهلية، فجاء قوله تعالى «وكيف تكفرون» لبيان استبعاد وقوع فعل الكفر من المؤمنين.

والمراد بالكفر هو الاقتتال بين المسلمين بدعاوى الجاهلية، لأن المسلم لا يقتل عدوا مسلما عمدا إلا وهو كافر، وذلك لاستبعاد وقوع الكفر ـ على الحقيقة ـ من المخاطبين بالنص، وإن كان غير ممتنع قبول أن يكون المخاطبون عموم المؤمنين .

وتبين علة استبعاد وقوع الكفر من المخاطبين بالنص من قوله تعالى «وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله» لأنه لما كانت آيات الله المتلوّة عليهم تثبت نبوته ﷺ، وكان النبى بينهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم مما لا يبقى معه مكان لريبة أو شك أنه رسول الله فإنه يستبعد أن يكون من عاقل كفر بعد إيمان وبين يديه يتلى عليه كتاب الله، وأمام ناظريه رسوله ﷺ .

وقوله تعالى «ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم» مفاده أنه يكون للمعتصم بالله الطريق المستقيم الدين الحق الذى يهدى للحق ويعصم من العذاب. وهو الذى يخالف ما استهدف بعض أهل الكتاب أن يلجئوا إليه المؤمنين من الطرق وهو الطريق المعوج الموصل إلى الهلاك.

والذى يعتصم بالله هو المعتصم بدينه تعالى والمتمسك به، فيكون فى القول حثٌّ للمؤمنين على الالتجاء إليه تعالى وعلى التمسك بالدين فلا يطيعون الكفار ولا يخشونهم ليظلوا بهديه تعالى على الطريق المستقيم مبعدين عما اعوج من الطريق وما أراده لهم - من أهل الكتاب - الغاوون .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾

التفسير:

الآية الشريفة خطاب للمؤمنين، تكرر فيه نداؤهم منه تعالى لتشريفهم، وقد تضمن أمرا لهم أن يتّقوه حقَّ تقاته «اتقوا الله حقَّ تقاته».

ولما كان من المحال أن يفى أحدٌ ربَّه ما يستحق من التقوى .

فقد رأى البعض أن الآية قد نسخت بقوله تعالى «فاتقوا الله ما استطعتم»، وقالوا إنه بعد نزول قوله تعالى «اتقوا الله حق تقاته» قام الناس على الصلاة حتى تقرحت جباههم وورمت

عراقيبهـم، فنزل قولـه تعالى «فـاتقوا الله ما استطعتـم»، وقيل إنه ليـس ثمة نسخ لـلآية، وإن اتقـــاء الله حق تقـاته لا يكون بعمـل ما يخرج عـن حدود القدرة لأن التكليـف لا يكون إلا بمقدور.

ومعنى قولـه تعالى «ولا تموتن إلا وأنتـم مسلمون» هو تنبيه للمسلمين مـن أن صلاح الأمر إنما يكون بالمحافظة على الإسلام إلى لحظة الموت.

والمراد بـالإسلام عند المـوت هو «الإيمان» لأنـه لا تكون بالمـرء عند الموت قـدرة على العمل؛ ولهذا يرد فى دعاء صلاة الجنازة قول «اللهـم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن أمتَّه منا فأمته على الإيمان».

وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾

أولا: الأســـــــماء :

١ ـ حبل الله: الراجح أنه القرآن العظيم، وقيل هو الإخلاص لله وطاعته.

٢ ـ الشَّـــفا : فى قوله تعالى «على شفا حفرة» هو الطرف من الشىء .

ثانيا : التفســــــير:

القـــول فى الآية خطـاب منه تعالـى للمؤمنين يـأمرهـم أن يتمســـكوا بكتابه الكـريم يلتزمـون أوامره ونـواهيه ليكـون لهم فيه العصمـة من التـردِّى فيما يعـرضهم لسخطـه تعـالى عليهم.

وجاء ذكر حـالهم فى اعتصامهم بحبل الله بـأنهم يكون جمعا «جميعا» بمعنـى أن يكونوا مجتمعين عليه فى وحدة تجعلهم كيانا واحدا.

وقد أعقب ذلـك نهيه تعالى إيـاهم عن تفرقة هـذا الجمع أو أن ينفر منه كـل منهـم «ولا تفـرقوا».

ويدخل فى معنـى التفرق ـ من باب أولى ــ وقوع شقاق ونزاع بين المؤمنيـن شبيه بما كان عليه حال القبائل فى الجاهلية .

وفى مجال المقارنة التى تظهر فضل الاعتصـام بحبل الله والاجتماع على ذلك على الكفر والتشـرذم الذى كـانت عليـه القبـائل فى الجـاهليـة يجىء قـوله تعـالـى «واذكروا نعمـة الله عليكـم».

والنعمـة المقصودة هـى نعمة الهـداية لـلإسـلام ألَّف بيـن القلوب وجمـع بين القبـائل المتناحرة، ولذلك جاء ذكر ما كان عليه حال المخاطبين بالنص قبل الإنعام عليهم بالإسلام، وهو وقوع العداوة بين بعضهم والبعض «إذْ كنتم أعداء»، وتلاه بيان أثر الإسلام فى هذه الحال وهو تحويلها من عداء إلى ألفة بين القلوب «فألَّف بين قلوبكم».

ومـن ذلك مـا كـان بين الأوس والخـزرج إذْ زال بـالإسلام عـداء حـروب استمرت لمـائة وعشريـن سنة بين القبيلتيـن، فكان من أثر ذلـك أن تآخى المسلمـون ومنهم من كـان العداء بينهم مستحكما قبل الإسلام «فأصبحتم بنعمته إخوانا».

وقوله تعالـى «وكنتم على شفا حفرة من النـار فأنقذكم منها» معناه أن المخـاطبين بالنص كانوا قبل إسلامهم على حافة حفرة فى جهنم لا يفرق بين أحدهم وبينها إلا أن يموت فيسقط فيها.

فكان فى إيمانهم برسول الله ﷺ النجاة لهم من السقوط فى هاوية الجحيم.

وقد نسب المولى سبحـانه وتعالى الإنقاذ من السقوط فى النار إليـه لأن الهداية تكون منه تعالى.

وبعد ذلك يبيـن سبحانه وتعالى للمـؤمنين أن بيانه حـالهم على هذا النحو مـن الوضوح ليكون الالتزام بما أمرعن فهم وتدبر هو شأن فعله تعالى فى أوامره وأحكامه إذْ يكون منه البيان والإيضاح و إظهار الأدلة التـى تستجيب لها العقول والأفهام الواعية، وذلـك ليستمر المؤمنون على ما هم عليه من الهدى باقتناع من العقول والأفهام أنه الخير لهم والنجاة .

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

أولا : الأســــــماء :

١ ـ الخيـــــر: المراد به صلاح الـدين وصلاح الدنيا، يكون صفـة فى السلوك أو الشىء وخاصية له أو يكون مؤداه. وقيل هو اتباع القرآن والسنَّة .

٢ ـ المعـــروف : قيل إن المراد به فى الآية هو جميع الطاعات فيما عدا الإيمان بالله .

٣ ـ المنكــر : هو كل مـا ينكره الشرع فيحرِّمه، فيعد فعلـه محرَّما، والمراد به ــ فى معنى الآية ـ معصيته.

ثانيا: التفســـــير:

الخطاب فى الآية منه تعـالى لأمة محمد ﷺ أمرهم أن يقيموا منهم مـن يقوم على واجب الدعاء إلى فعـل الخير وهو ما فيه صلاح الديـن والدنيا، ثم خصَّ تعالى مـن فعل الخير الأمر بالطـاعات والنهى عن المعـاصى مع دخول الأمـر والنهى المذكـورين فى فعل الخيـر إبرازا لأهميتهمـا.

وفى قولـه تعالى «ولتكن منكم أمة»، وفيـه جاء «مِن» للتبعيض. ما يفيد أن الـدعاء للخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو فرض علـى الكفاية وليس فرض عين، يسقط عن الأمة بقيام البعض به.

ويستخلص منه معنى آخر، وهو إنه لما كان من مناحى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر المطالبة بإيقاع العقوبات الدنيوية على المجرمين، أو ما يسمى «بحق الادعاء»، وكان مفاد قوله تعالى «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير» أنه يكون لكم أن تختاروا منكم أو أن تقيموا من بينكم من يقوم على أداء هذا العمل، فإنه يكون القول مشيرا إلى تعيين من يباشر الدعوى الجنائية عن جميع الأمة، وهو ما يشبه نظام النيابة العامة فى التشريعات الحديثة، ويكون له نفس وظيفتها.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «وأولئك هم المفلحون» معناه ـ على الراجح ـ أن من يقوم بهذا العمل، وهو الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هم خير الناس وأكثرهم فلاحا.

وشرط ذلك أن يكون فاعل ذلك آمرا نفسه بفعل الخير، ناهيها عن فعل الشر.

لكن عدم أخذه نفسه بهذا لا يفيد عدم إيجاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عليه وإن كان ممن استحقوا اللوم بقوله تعالى فيه وأمثاله «أتأمرون الناس بالبرِّ وتنسون أنفسكم».

وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾

التفسير:

جملة الآية استئناف لمخاطبته تعالى المسلمين، جاء خطابه لهم بالنهى بعد أن كان فى الآية السابقة بأمرٍ، والنهى هو عن التشبه أو التمثل بمن كانوا قبلهم. وذلك على ما يبين من ذكر فعل المنهى عن التشبه بهم فى صيغة الماضى «كالذين تفرقوا»، والمراد بهم اليهود والنصارى، فقد ورد عن عوف بن مالك أنه قال إن رسول الله ﷺ قال إن اليهود افترقت على إحدى وسبعين فرقة، واحدة فى الجنة وسبعون فى النار، وإن النصارى افترقت على اثنتين وسبعين فرقة إحدى وسبعون فى النار، وواحدة فى الجنة.

وبقطع النظر عمـا إذا كان الحديث المذكور متـواترا أو مشهورا أم كان حديـث آحاد، فإن الثابت أن اليهود قـد اختلفوا طوائف فى أمر دينهم، وأن النصارى كذلـك اختلفوا طوائف فى أمر دينهم، ولم يكن اختلاف هؤلاء واختلاف هؤلاء فى الفروع فقط من الدين والشريعة و إنما كان فى الأصول أو فى الأصول والفروع، وهذا هـو الاختلاف والتفرق المنهى عنه، وهو أمر آخر غير الاختلاف فى الفروع الذى يكون فيه رحمة بالناس.

وجاء قـوله تعالـى مبينا أن اختلاف السابقيـن ـ المنهى عـن أن يقع من المسلميـن بينهم وبين بعضهم البعض اختـلاف مثله ـ إنما كان من بعد أن جاءهـم البينات والآيات وأخصها التوراة والإنجيل وكان مفترضا أن يكون معهما ومع كـل منهما الاجتماع على الأمر ما لم تكن الأهواء هى التى تخلق الرأى وتنطق به.

ولذلك جاء وصفـه تعالى هؤلاء الذين تفرقـوا واختلفوا من بعد ما جاءهـم البينات بأنهم لهم عذاب عظيـم، جاء ذكره ليكون فـى ذلك تهديد لمـن يتمثلهم ووعيد بأن يكـون له ذات المصير، فيكون الازدجار عن التفرق فى الدين والتشرذم أخذا بما تهوى الأنفس .

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾

أولا : الأســــماء :

اليــــوم : فى قوله تعالـى «يوم تبيض وجوه وتسود وجوه» هو وقت مـراد منه تعالى» قيل إنه وقت البعث من القبور، وقيل هو وقت قـراءة الصحف. وقيل الوقت الذى يظهر فيه رجحان الحسنات السيئات ـ فى الميزان ـ أو رجحان السيئات الحسنات.

ثانيا: التفســـير:

بعد أن نهـى سبحانه وتعـالى المـؤمنين عن التفـرق فى الديـن شأن غيـرهـم الموعـودين بالعذاب العظيم فى الآية السـابقة، فإنه تعالى ـ فى الآية ـ حـدَّد وقت إيقاع العذاب العظيم

بالذين تفرقوا فى الدين واختلفوا فقال عنه إنه يوم، حدَّده بحدث يحدث فيه أو فى جزء منه.

وهذا الحدث هو تشبع وجوه البعض بالبياض مع إشراق بشرتهم ـ تشريفا لهم ـ واسوداد وجوه آخرين ـ إظهارا لسوء عملهم ـ

وقيل إن البياض والسواد يكون للجسم كله، أسند كل منهما للوجه لكونه أشرف أعضاء الجسم. وقد قيل إن ذلك يكون وقت البعث من القبور، وقيل وقت قراءة الصحف، وقيل وقت ظهور نتيجة ما يكون من الموازنة بين الحسنات والسيئات فى الميزان.

وبعد بيان وقت تعذيب الذين افترقوا فى الدين واختلفوا وتحديده بالحدث المذكور، فإنه تعالى ذكر حال الذين اسودَّت وجوههم، ومنهم الذين افترقوا فى الدين واختلفوا فقال «فأما الذين اسودَّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم» .

بدأ تعالى بذكر حالهم لأنهم الذين كان حديثه تعالى مع المؤمنين متعلقا بهم ناهيا عن التشبه بهم ومفارقة فعلهم.

وعبارة القول وردت فى صيغة استفهام جاء للتوبيخ وللتعجيب.

وقوله تعالى «أكفرتم بعد إيمانكم» ينسب إليهم الكفر بعد الإيمان، وفى هذا تشترك جميع طوائف اليهود وطوائف النصارى الذين لم يؤمنوا برسول الله ﷺ نبيا وبالإسلام دينًا ممَّن وصلتهم دعوته ﷺ.

بيان ذلك أن جميع الكفار قد أقروا على أنفسهم بالإيمان حين أخذوا من ظهور آبائهم وأشهدهم سبحانه وتعالى على أنفسهم «ألست بربكم قالوا بلى»، وأنهم جميعا قد أوتوا دين الفطرة فى نفوسهم، وكان فى مقدورهم إذا أعملوا عقولهم وأخذوا بالدلائل الواضحة والآيات البينات أن يؤمنوا برسول الله ﷺ، وهو ما لم يفعلوا فكان ذلك منهم كفرا بعد إيمانهم الإيمان الفطرى.

ومصير هؤلاء فى هذا اليوم المذكور هو ما يكون مع أمره تعالى إياهم أن يذوقوا العذاب بكفرهم «فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون».

والمعنى أن كل شىء فيهم حتى الشعرة فى الـرأس أو فى البدن تذوق هذا العذاب ليكون العذاب عظيما، فالأمر الذى انطوى عليه القول هو أمر تسخير بذوق العذاب، وسبب العذاب العظيم هذا الكفر على ما يبين من «باء السببية» فى قوله تعالي «بما كنتم تكفرون» .

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾

التفســــــير:

الحديث فى الآية عن المؤمنين الذين أمرهم سبحانه وتعالى أن يعتصموا بحبله جميعا لا يتفرقـون، وبأن تكون منهم أمـة تدعو للخير وتـأمر بالمعروف وتنهـى عن المنكر، ونهاهـم عن التفرق فـى الدين والاختلاف، عـن الذين التزمـوا منهم أوامره تعـالى ونواهيه، تحـدث عنهم سبحانه وتعـالى بأنهم الذيـن ابيضَّت وجوههم، بمعنـى أنهم يظهرون فى اليوم المـذكور وقد ابيضت وجوههم أو وجوههم وأجسامهم وظهرت عليها إشراقات رضائه تعالى.

أمـا حالهـم فقد عبَّـر عنه قـوله تعـالى «ففـى رحمة الله»، فهـم فى الجنـة، فكأن التعبيـر «بالحـال» عن «المحـل» وهو الجنـة، وهـم فـى الجنة يخلـدون لا يخرجـون منها ولا يـذوقون الموت إلا الموتة الأولى.

ودخولهم الجنـة وخلودهم فيها لم يكن بسبـب ما عملوا، وإنما كان مـا عملوا سببا لأن يدخلهم الله فى رحمته برحمته، فدخلوا الجنـة ليخلدوا فيها برحمته «ففى رحمة الله»، فما من أحد يدخل الجنة بعملـه لأنه إن قضى عمره كله فى عبادة الله وعمل الخيـر لا يوفى قدر نعمة واحدة أنعمها الله عليه، فيكون مدينا لا دائنا لا يستحق بعمله الجنة.

تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾

التفســـــــير:

بعد ذكره تعالى فى الآيات السابقات أحوال أهل الكتاب ومشركيهم وأحوال المؤمنين وأوامره فيهم وما يكون منهم وفيهم، فإنه تعالى خاطب رسوله الكريم فى الآية بقوله تعالى «تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق»، والمعنى أنه تعالى قد تلى على الرسول عليه الصلاة والسلام آياته بالحق، لابسها ولابسته. وفى عبارة النص يلاحظ أنه تعالى نسب الآيات إلى لفظ الجلالة فقال تعالى «آيات الله» وأنه أشار إليها باسم الإشارة «تلك» للبعيد، وفى هذا وذاك تنبيه إلى عظم قدرها، وأنه تعالى ذكر أنه تاليها بمعنى قارئها شيئا فشيئا على رسوله ﷺ، حين أن تاليها على الرسول هو جبريل عليه السلام، إلا أنه لما كان جبريل عليه السلام لم يفعل إلا ما أمره رب العزة فكأنه تعالى هو الفاعل على الحقيقة، فكان تعظيما للتلاوة على رسول الله أن تنسب إليه تعالى وأن يجيء الكلام بنون العظمة «نتلوها» .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «وما الله يريد ظلما للعالمين»، والمعنى أنه تعالى لن يظلم أحدا من العباد، فلا يحرم أحدًا ثواب حُسْنٍ فعله أو ينقص له منه، كما لا يزيد فى عذاب مستحق العذاب عما كسب من السيئات.

ونفيه تعالى إرادة الظلم عنه لا يعنى أنه يتصور الظلم فيه تعالى، فهذا من قبيل نفى المستحيل حدوثه مثل قوله تعالى «لم يلد ولم يولد»، ونفى الظلم قد تعلق بجميع آحاد العباد على ما يبين من لفظ «للعالمين» فتعلق النفى بالواحد من الجمع المعرَّف فشمل جميع أفراده. فيكون المعنى أن المعذَّبين إنما يكون عذابهم بظلمهم أنفسهم.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ١٠٩﴾

التفســـــــير:

بعد أن ذكر سبحانه وتعالى أمره مع الناس يوم الحساب فإنه تعالى قال فى الآية ـ بقصد تربية المهابة فى النفوس ـ ما يفيد أنه تعالى إنما ذكر ما يكون من شأن الناس وهو بعض ما يعود إليه تعالى شأنه ويكون.

فقوله تعالى «ولله ما فى السماوات والأرض» يفيد وجود مخلوقات عاقلة وأخرى غير عاقلة فى السماوات وفى الأرض، ولهذا جاء التعبير عنها بـ «ما» للتغليب.

وتختلف فى معنـى «السماوات» الآراء، وهو يفيد أيضـا أن جميع شأن ما فـى السماوات والأرض هو له تعالى، وهـو ما قد يكون منه فى الآخرة ما لا نعلمه، وربما أتبـع سبحانه وتعالى هذا بقوله تعـالى «و إلى الله تُرجع الأمور» جـاءت فيه الأمور جمعا معرَّفا وجـاء الفعل «ترجع» مبنيا للمجهول فدل على أن جميع أمور ما هو فى السماوات وفى الأرض من عاقل وغير عاقل يكون لله مرجعها يوم الفصل.

ومعنى أنه يكون له تعالى مرجعها جميعا، أنه يكون له التصرف فى أمرها، وهو ما إن تفكَّر فيه المرء أحـسَّ بضآلة كينونتـه للكون فكانت منـه مهابة ذلك اليـوم الذى ترجع فيـه إلى الله الأمور.

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾

التفســـــــــير:

القول منـه تعالى استئنـاف لخطابه المـؤمنين لتثبيتهـم على ما هـم عليه من الاتفـاق فى الدين وفى عمل الخير وعدم الاختلاف فى أمر الديـن والتفـرق فيه، أو إتمـام لقــوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته» .

وقوله تعـالى «كنتم خير أمـة» جاءت فيه «كان» لتـدلَّ على الوجود فـى الماضى، دون أن تنفيه فى الحاضر ولا المستقبل، بمعنى أنها و إن دلَّـت على وجود الأمر المروىِّ أو المخبر عنه فى الماضى إلا أنها لا تثبت انقطاعه.

وقد يكون الخطاب فى الآية موجها إلى أمة محمد ﷺ فتكون «كان» الناسخة فى «كنتم» قد جاءت للأزلية، فبينت أن المخبر عنه هو أمر أزلى، وهذا المخبر عنه أن أمته ﷺ هى خير أمة أخرجت للناس، قُدِّر لها هذا فى اللوح المحفوظ.

ومعنى أنها أخرجت للناس أنها ظهرت لهم ـ على الظاهر ـ وقد يكون الصحيح أنها كانت خير الأمم وأفضلها، وأنه كان فيها الخير لغيرها من الأمم وللناس، فيكون المستفاد من «اللام» فى لفظ «للناس» أنها إنما كانت لصالح الناس ولخيرهم.

ثم يبين سبب خيرية أمته ﷺ وأفضليتها على الأمم بقوله تعالى «تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله».

ويلاحظ فى شأن هذا السبب أنه كان سببا لكونهم خير أمة كما كان فعله منهم نتيجة لكونهم خير أمة، وأن الأمر بالمعروف تمثل فى دعوتهم الأمم للإيمان بالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا نبيا، وبالقرآن العظيم كتابا منزلا من لدنه تعالى مهيمنا على الكتب، وتمثل فى مقاتلة الكافرين عليه لأن قول «لا إله إلا الله» هو رأس المعروف، وأن النهى عن المنكر تمثل فى النهى عن التكذيب برسول الله ﷺ، وهو رأس المنكر، وأنه تأخر ذكر الإيمان بالله عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأن فيه تعريضا بأهل الكتاب الذين يدعون إيمانهم بالله، مع أن الإيمان به تعالى يقتضى توحيده تعالى وهم به يشركون، ولأن الدعوة للإيمان هى ـ فى الأصل ـ مهمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وبعد ذلك يذكر سبحانه وتعالى أهل الكتاب الذين يدَّعون أنهم مؤمنون لإيمانهم بموسى عليه السلام وحده ـ وهو إيمان اليهود ـ أو لإيمانهم بموسى وعيسى عليهما السلام ـ وهم النصارى ـ فيقول تعالى فيهم «ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم» فيبيِّن أنهم ليسوا مؤمنين إيمانا كاملا.

والإيمان الناقص لن يفيدهم فى الآخرة لأنهم سيأتون الله بدين غير الإسلام فلا يقبل منهم؛ ولذلك قال تعالى «ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم» فيكون المعنى أنهم لو آمنوا بمحمد ﷺ فأسلموا مع إيمانهم بموسى وعيسى عليهما السلام لكان ذلك خيرا لهم بالحق

مما يعتقدونه من أنهم مؤمنون وأن لهم الخير.

ثم يذكر الله أنه يكون من أهل الكتاب مـن يؤمن بمحمد ﷺ رسولا نبيا فيسلم، فيتحقق له الخيرية، وكان من هـؤلاء ـ وقت نزول الآية ـ عبد الله بن سلاَم، وثعلبـة بن سعية، ولكن هؤلاء يكونـون أقلية بالنسبة إلـى الذين امتنعـوا عن الإيمان علـى ما يدل عليه قـوله تعالـى «منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون».

وفيها وصف تعالـى الباقين على ملتهم لم يؤمنـوا إيمانا كاملا بأنهـم فاسـقون، خرجـوا عن طـاعة الله ومـا أوجبه عليهـم فى كتبهم أنهـم يؤمنـون برسـول الله ﷺ حين يبعـث بتمـام الدين.

لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾

أولا: الأســــــماء:

١ ـ **الأذى**: فى قوله تعالى «لن يضـروكم إلا أذى» هو «الإيذاء» بمعنى المساس بمصلحة أو حق، فمنه المسـاس بحق الشخص فى سلامة جسمـه وهو ما يكون بالضـــرب والجـــرح وما شابههما أو يزيـد عليهما، ومنه المساس بحق الشخص فى صيانة سمعتـه وشرفه، وهو ما يكون بالسـب، ومنه المساس بمصلحة الشخص ألا ينغّـص عليه صفو حياته، وهـو ما يكون بإثارة الضوضاء و إسماعه ألفاظا لا يرتاح لها سمعه أو لا يقبلها خُلقه.

٢ ـ **الأدبــار**: جمع «دبر» وهو مـؤخرة الشيء، والمراد بتولية الأدبار هو الفـرار من المعركة يلتف المحارب فيولى خصمه ظهره فرارا منه.

ثانيا: التفســــــــير:

الآية الشـريفة تطمئن المؤمنيـن إلى أنه لن يصيبهـم من أهل الكتـاب ـ الذين يعـادونهم حسدا من عند أنفسهـم ويتعرضون لمن آمن منهم بصنوف الاعتـداء ـ إلا الأذى اليسير، الذى قد يتمثـل فى إيذاء سمعهـم بالقـول، أو بالقول فـى رسول الله ـ تـزييفا لمـا فى التوراة ــ غير

الحق.

وقيل إن سبب نزول الآية أنه عمد رؤساء اليهود إلى من آمن من اليهود بالإسلام فآذوهم بالقول على ما كان منهم من إعلان إسلامهم، فنزلت الآية تعلم المؤمنين عامة والمؤمنين من أهل الكتاب أن هذا الإيذاء بالقول هو غاية ما سيقدر عليه أهل الكتاب.

وبعد ذلك يقول تعالى «وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون» وفيه إشارة إلى أنه يقع قتال بين أهل الكتاب المعادين للإسلام والمسلمين وبين المسلمين، وأنه فى هذا القتال تكون الهزيمة نصيب أعداء الله، يفرون من المسلمين ولا يكون لهم على المسلمين نصر.

وقد تحقَّق ما وعد الله به المسلمين فى هذه الآية بعد أن تحقق قوله بأنه يكون بين الفريقين قتال، وذلك لوقوع مقاتلة يهود بنى قينقاع، وبنى قريظة، والنضير، ويهود خيبر المسلمين، وتحقق عدم ثباتهم فى القتال وتوليتهم الأدبار دون أن يلحقوا بالمسلمين خسارة ذات بال، وتحقق هزيمتهم هزيمة لمن تعد لهم بعدها قائمة؛فكانت الآية دليلا على نبوتّه ﷺ.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾

أولا: الأسماء:

١ - الذلة: هى الذل وهى المذلة، تكون بالخضوع للغير، والمراد بها - فى معنى الآية - مذلة نفوس اليهود وقطع منعتهم بسيادة المسلمين عليهم، والتزامهم أن يؤدوا إليهم الجزية.

وقيل إن المراد بها ذلة التمسك بالباطل.

٢ ـ حبل الله : فى قولـه تعالى «إلا بحبل من الله» المـراد به وسيلة النجاة من الـذلة، وهى الاعتصام بـذمة الله، وكتـابه الـذى سلَّمهم من القتـل والسبى وسبـى الأبناء والاستيـلاء على الأموال.

٣ ـحبل النـاس: فى قوله تعالى «وحبل من النـاس» المراد به «ذمة المسلمين» الذين لم يمعنوا فيهم القتل والسبى.

٤ ـ المسكنة: هى قلة المال، والمـراد بها ـ فى معنى الآية ـ الظهور بمظهـر المساكين مع وجود المال، كناية عن البخل.

ثانيا: التفســـــــــير:

الحديـث فى الآيـة عن اليهود يقـول تعالـى إنه قُدِّر عليهـم أن يعيشوا أذلاء أينمـا وجدوا «ضربت عليهم الذلة أيـن ما ثقفوا»، وقد كان ذلك حظهم فى الجزيرة العـربية، وفى كل بلد أقاموا فيه حيث تشهـد أحداث التاريخ أنهم ما استقرت منهم جماعـة فى بلد من البلدان إلا كانوا فيه فى مرتبة دنيا دون مرتبة مواطنى البلد، وإنهم إلى اليوم بعد أن استولوا على فلسطين وأقامـوا كيانا لا يزالـون فى هذا الكيـان يستجدون من الـولايات المتحدة الأمريكيـة الأموال والسلاح، غيـر آمنين على أنفسهـم وما تحت أيديهـم ما يجىء بـه الغد، يتهددهـم أن تمنع عنهم الولايات المتحدة الأمريكية المعونات فلا تقوم لهم قائمة، وهذه مذلة.

ويجىء قولـه تعالى «إلا بحبل مـن الله وحبل من الناس» بيـانا لأنه يكون لهـم استثناءً من الذل الـذى ضرب عليهم خـروج منه، وسيلتـه الاعتصام بالله تعـالى وكتابـه والاعتصام بـذمة الناس. ومـن الاعتصام بذمة الله تعـالى وذمة المسلميـن ما خرجـوا به عن ذلة القتـل والسبى والاستيلاء على أموالهم بدفع الجزية فلا يكون فيهم هذا.

ومنه التجـاؤهم إلى الأقويـاء أفرادا ودولا ليحموهم وليـوفروا لهم وسائل معيشتهـم، ومنه ارتماؤهم قبلاً فى أحضان المملكة المتحدة التى ساعدتهم على إقامة كيان لهم فى فلسطين يقيهم المذلة.

ومنه تبعيتهم اليوم للـولايات المتحدة الأمريكية ـ علـى ما فى ذلك من مذلـة ـ لتحميهم ولتجبر الدول على إمدادهم بالمال بأسباب مختلفـة كما كان من إجبار ألمانيا على إعطائهم الأموال بدعوى أنها تعويض عما أصابهم من عذاب من النازى.

وبعد ذلك يـذكر سبحانه وتعـالى أن خروجهم من الـذلة المضروبة عليهـم بحبل من الله وحبل من الناس لا تأثير له على مصيرهم فى الآخرة الذى هو مصير من غضب الله عليه، فقوله تعالى «وباءوا بغضـب من الله» معناه أنهم الأحق بغضب الله رجعوا إليه بـه، أى أنهم يرجعون إلى الله تعالى متلبسين غضبه بما يستوجب عقابهم أشد العقاب.

ويبين سبحانه وتعالى أنه يكون لهم ـ وإن حازوا الأموال ـ المسكنة فى الحياة الدنيا، فهم يظهرون بمظهـر المساكيـن، وقد كـان هذا هـو المشهود مـن أحوالهـم فيما سكنـوا من دول العالم.

وهوــ فى جزء منه ــ راجع إلى مـا جبلوا عليه مـن البخل، وراجع ـ فـى جزء منه ــ إلى الخوف الذى يعترى أنفسهم من سلبهم أموالهم إذا ما ظهرت عليهم أمارات الغنى فى البلاد التى قطنوها. ومـن مظاهر هذه المسكنة اليوم مـا يبديه الكيان القائم لهم فـى فلسطين باسم «دولـة إسرائيـل» من مظـاهـر الفقر والحـاجـة إلى المـال رغم استيـلائهـم على ممتلكـات الفلسطينيين وممتلكـات دولتهم ورغم ما ملكـوا من مقومات القـوة، مما هو دليل علـى بقاء كلمة الله فيهم أفرادا وكيانا مجمعا إلى يوم الدين .

وبعد ذلـك يوضح سبحانـه وتعالى سبب حكمـه فى اليهود ، فيقـول تعالى «ذلك بـأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق»

أى أن سبب ذلك كان فى مقام أول ـ كفرهم بالآيات الدالة على نبوة رسول الله ﷺ.

وكان مقـام ثان ــ قتل أسلافهـم أنبياء الله بغيـر حق، وإقـرار اللاحقين منهـم ما كـان من أسلافهم فصار أمرهم أنهم كمقترفيه أنفسهم.

ثم يقـول تعالى «ذلـك بما عصوا وكـانوا يعتـدون»، بمعنى أنه كـان منهم الكفر بـالآيات الدالة على نبوة محمد ﷺ، وكان منهم قتل الأنبياء عصيانا منهم لما ورد فى التوراة وما أمرهم

به موسـى عليه السلام أنه إذا بعث الله من أبنـاء إسماعيل عليه السلام النبى المبشَّـر به أنهم يؤمنون به ويتبعونه، كما كان منهم عدوانـا بغير الحق على الأنبياء المبعوثين لهدايتهم، فكان بهذا تحقق سبب ما قُدِّر عليهم من الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله .

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾

أولا: الأســـــــماء:

١ ـ **آناء الليـــل** : هى ساعاته، واحدته «أَنَى» .

ثانيا: التفســـــــير:

بعد حديثه تعـالى عن أهل الكتاب الذين بـاءوا بغضب من الله، فإنه تعالـى أخبر عن فئة أخرى من أهل الكتاب.

وبدأ قوله تعالى بذكره عدم التساوى فى الأمربين فئات أهل الكتاب، فقوله تعالى «ليسوا سواء» وفيه يعـود الضمير المتصل فى «ليسوا» علـى أهل الكتاب، بمعنى أنهم غيـر متساوين فى الحال.

وقد قيل إن معنى القول أنه لايتساوى المؤمنون والكافرون من أهل الكتاب .

ثم يجىء تفصيـل هذا القول بقولـه تعالى «من أهـل الكتاب أمة قائمـة»، ومعناه أن أهل الكتاب أمتـان، جاء ذكر إحـداهما ـ فـى الآية ـ مـع إغفال ذكر الأخـرى، تشريفا للمـذكورة، والمراد «بالأمـة» الجماعة أو الطائفـة، ومعنى أنها قائمة هـو أنها أو أن أفرادها علـى الطريق المستقيم، أو أنهم قائمون على طاعة الله.

ويذكر سبحانه وتعالـى فعل هؤلاء المؤمنين من أهل الكتاب القائمين علـى طاعته بقوله «يتلون آيات الله آنـاء الليل وهم يسجدون»، فقولـه تعالى «يتلون آيات الله» معنـاه أنهم يتلون

القرآن العظيم، وقوله تعالى «وهم يسجدون» يفيد أن ذلك يكون منهم حال سجودهم، ولكن لما كان المعروف أنه ليس فى السجود قراءة للقرآن، فإنه يكون المراد بالسجود هو الصلاة عبَّر به عنها لأنِ المرء يكون أقرب ما يكون إلى ربه فى السجود، أما وقت هذا فهو «آناء الليل» أى فى ساعات الليل، وهو ما قد يكون فى صلاة العشاء، وقد يكون المراد ما يكون فى التهجد.

وفى سبب نزول الآية، قيل إن اليهود ساءهم أن آمن برسول الله ﷺ قوم منهم فقال أحبارهم «ما آمن بمحمد وتبعه إلا أشرارنا، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم» فأنزل الله تعالى الآية.

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ۖ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾

التفسير:

قوله تعالى فى بيان أحوال الفئة المؤمنة من أهل الكتاب فقوله تعالى «يؤمنون بالله واليوم الآخر» معناه أنهم يؤمنون بالله وباليوم الآخر على الوجه الصحيح الذى عليه المسلمون وليس على ما هو عليه إيمان اليهود الذين يقولون على الله ما يقال على البشر فيذكرون أنه تعتريه الانفعالات فيخضع لسورة الغضب، ثم يهدأ غضبه. كما ينسبون له عزيرا ابنا، ويؤمنون باليوم الآخر إيمانا يبعد عما هو عليه، فأصبح إيمانهم وعدم الإيمان سواء فى انعدام القيمة.

ومن حال هؤلاء أنهم يعملون على إصلاح الغير لإكمال ما به من نقص ويعملون على الحض على الطاعات حبًّا فى الدين فيأمرون بعمل الخير والإقامة على الطاعات، وينهون عن العصيان، ويسارعون فى فعل الخيرات لا يؤخرونها عن أوقاتها خشية أن يدركهم الموت فيفوتهم ثواب فعلها، وفى ذكر المسارعة فى الخيرات إشارة إلى مدى حرص هؤلاء المؤمنين على إرضاء الله وطاعته «ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات».

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾

أولا: الأسـماء :

الذين كفروا: قد يكون المـراد بهم أهل الكتاب الذيـن كفروا ما جاء فى كتبهـم من تبشير برسول الله ﷺ وطلـب الإيمان به إذا ما بعثه ربه، وكفـروا رسول الله ﷺ فلم يؤمنوا لـه. ويؤكد هذا مـا قيل من أن يهود بنـى قريظة وبنـى النضير تفاخـروا على رسول الله ﷺ بكثرة أمـوالهم وأولادهم. وقيـل إن المراد بهم عمـوم الكفار لأنهم قـالوا «نحـن أكثر أموالا وأولادا ومـا نحن بمعذبين».

ثانيا: التفسـير:

قولـه تعالى ــ فى الآية ـ يبيِّـن أن شيئا ما لـن يدفع عـن الكافرين ضررا يوم القيامـة ولن يجزيهم بهم شيئـا. والمراد بالكافرين قـد يكون الكافرين بمحمد ﷺ مـن أهل الكتاب، وقد يكون عموم الكـافرين، ولا يمنع كون المراد بـالنص أحدهما أن ينال حكـم النص الآخر، لأن حكمه تعالى قـد نال الكافرين من أهل الكتـاب بكفرهم وهو ما يتصف به عمـوم الكافرين، ولأنه تعلق بعموم الكافرين بسبب كفرهم وهو ما يشاركهم فيه الكافرون من أهل الكتاب.

واختصاصه سبحانه وتعالـى بالذكر الأموال والأولاد موضحا أنها لن تدفـع عن الكافرين يوم القيامـة شيئا من العذاب إنما كان لأن الأمـوال والأولاد أو الناصرين هم دعامـة القوة فى الحياة الـدنيا يدفع بهـم المرء عن نفسه مـا يراد به من ضـرر أو أذى، ولأن الكافرين مـن أهل الكتاب تباهوا بما لديهم من أموال وأولاد، ولأن سـائر الكفار قالوا «نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين»، فجـاء قوله تعالى قاطعا بـأن أسباب القوة فى الحياة الدنيـا تعدم قيمتها فى الآخرة وأنها لن تغنى عن أصحابها الكافرين شيئا من العذاب.

وجاء قوله تعالـى «وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» مرتبطا بعـلاقة سببية بما سبق

وقد وصف المولى هـذه الأمة من أهل الكتاب أو أفرادها بأنهـم من الصالحين، أى أنهم معدودون بين الذين صلح حالهم عنده تعالى، الذين فازوا فوزا عظيما.

وفى القـول ردٌّ بليغ على قـول أحبار اليهـود «إن الذين آمنـوا بمحمد هم شـرارنا» فـأثبت سبحانه وتعالى أنهم أهل الخير فيهم فى الدنيا والآخرة.

﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾

التفســـــير:

جملة الآية الشريفة استئناف لحديثه تعــالى فى بيان حال المؤمنين من أهل الكتـــاب ــ على الراجح ــ وقيل إنها تتحدث عن أمة رسول الله ﷺ، فيكون الحديث متعلقا بالمخاطبين بقوله تعالى «كنتم خير أمة».

ومفاد قوله تعالى «وما يفعلوا من خير فلن يكفروه» أنـه جميع ما يأتونه فى دنياهم من فعل الطاعات والإحسان سيثابون عليه لا يحرمون ثوابه فى الآخرة.

ويفهم من النص بمفهوم المخالفة أن ما يأتيه أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا برسول الله ﷺ سيُكفرون مـا فعلوا من خيـر من دنياهـم فى أخراهـم، بمعنى أنهـم يأخذون ثـوابه فى الـدنيا ويحرمونه فى الآخرة .

وقولـه تعالـى «والله عليم بـالمتقين» يفيد كـون المؤمنيـن من أهـل الكتاب متَّقيـن، وهذا صحيح لأنهم بإيمـانهم برسول الله ﷺ صحَّ إيمانهم بكتبهم ورسلهـم، وآمنوا برسول الله ﷺ وأسلموا فاتقوا عذاب الله الذى لم يتَّقه من لم يؤمن برسول الله ﷺ.

ويقبل النص أن يكون المراد «بالمتقين» فيه عموم المتقين فيدخل فيهم المؤمنون من أهل الكتاب. ويفيد قولـه تعالى أيضا أنه تعالـى ينيل هؤلاء المتقين ما أعدَّه مـن النعيم للمتقين، فيكون فى ذكر علمه تعالى بهم إشارة إلى نيلهم ما وعدهم فى الآخرة.



تقريـره من أن شيئا مـا من أسباب القـوة لن يغنى عن الكـافرين شيئـا من العذاب، فـأوضح سبحانـه وتعالى أنهم (المشـار إليهم بـ: أولئك) هـم الذين يلازمـون النار ملازمة الصـاحب صاحبه «وأولئك أصحاب النار»، كما بيَّن أنهم يخلـدون فى النار، لا يخرجون منها ولا يموتون فينتهى عذابهم.

مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾

أولا: الأســـــماء :

١ ـ **الصـــرُّ** : فى قولـه تعالى «فيها صرٌّ» هو البـرد الشديد، وأصل الصرِّ والصرصـر الريح الباردة. وقيل هو صوت لهيب النار فى الريح. وقيل هو البـَرد .

٢ ـ **الحـــرث** : فى قوله تعالى «أصابت حرث قوم» المراد به الزرع .

ثانيا: التفســــير:

الحديث فى الآية الشـريفة عن الكفار الذين أوضح سبحانه وتعـالى أن أموالهم وأولادهم لن تغنى عنهـم من الله شيئا يوم القيـامة، فتتحدث الآية عمـا ينفقون ولم تذكـر تعلق الإنفاق بالأموال وحدها؛ لذلك ولما كان «الإنفـاق» يتضمَّن معنى «الإنفاد» وهو متصور أن يكون فى كل شىء مـن دعائم القوة، ومنه مـا يكون من إنفاد الرجـال والأعوان فى الحرب، فـإنه يكون متصورا ـ لدينا ـ أن يشمل الإنفاق المال والأولاد. ولما كان الإنفاق يتطلب أن يكون للمنفـق ـ قبلا ـ القدرة على ما ينفق أو السيطرة عليه، فـإن النص يكون مبينا أن حيازة المال فى الدنيا والسيطرة على الأولاد والأعوان لا تغنى عن الكافر شيئـا من الله، كما أن إنفادهما من الكافـر لا يغنى عنه من الله شيئا .

بيان ذلك أن ما ملكه الكافرون من أموال فى الدنيا لم يغن عنهم من الله شيئا فيها، فقد استخدمت اليهود المال فى رشاء علمائهم وكهنتهم ليحرِّفوا التوراة فلم يغن عنهم ذلك ـ فى الدنيا ـ من الله شيئا، وأظهر الله دينه عليهم، واستخدمت قريش مالها فى التظاهر على رسول الله ﷺ، فى بدر وفى أحد، فلم يغن عنهم ذلك من الله شيئا ونصر الله دينه ورسوله وفتح له عليهم مكة.

كذلك فقد تمتع الكافرون من هؤلاء وهؤلاء بالأولاد والأنصار فلم يغنوا عنهم من الله شيئا، فقد أسلم من هؤلاء بعضهم فلم يكونوا لهم فى الدنيا، وبقى آخرون على الكفر فلم تغن عنهم كثرتهم من الله شيئا، ثم إنه كان منهم إنفاد الأبناء والأعوان فى قتالهم المؤمنين فكان انتصار المؤمنين عليهم، وكان منهم إنفاد المال فى الصدقات والقربات وصلة الرحم فى الدنيا، فلم ينفعهم هذا فى أخراهم .

وجاء بيان عدم انتفاع الكافرين بما أنفدوا من الأموال والأولاد بمثال ورد بقوله تعالى «مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صرٌّ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته» وصورة المثال وعلاقته بحال الكافرين تتمثل فى تشبيه إنفاد الكافرين أموالهم فى الدنيا فى محاربة دين الله ورسوله ﷺ، وفى الإنفاق فى أوجه الخير بطبيعتها مثل الصدقات وصلة الرحم، وإنفادهم الرجال والأعوان فى محاربة دين الله، تشبيه فعل الكافرين هذا بفعل قوم أنفقوا المال وجلبوا الأعوان، فحرثوا أرضا وبذروا فيها البذور فأنبتت زرعا.

وتتمثل صورة المثال أيضا وعلاقته بحال الكافرين المنفقين بوصفه تعالى أصحاب الزرع بأنهم «ظلموا أنفسهم»، والمعنى أنهم ظلموا أنفسهم بكفرهم وارتكابهم المعاصى وهو ما استحقوا به غضب الله عليهم.

وهذه صفة يشاركهم فيها الذين كفروا وأنفقوا فى كفرهم فى الضلال وفى الخير، إذْ أنهم ظلموا أنفسهم بكفرهم وبارتكابهم المعاصى.

كذلك تتمثل صورة المثال وعلاقته بحال الكافرين المنفقين فى عاقبة أمر كل منهما، فقد انتهى أمر أصحاب الزرع الذين أنفقوا عليه فى كفرهم وظلمهم أنفسهم إلى هلاكه عن آخره

بريح فيها بَـرَد أو فيها نار أتت عليه فضاع عليهـم ما أنفقوا عليه وضاع عليهم ثمـرة ما أنفقوا فلم يجنوا شيئا سوى الخسران المبين، وبالمثل فقد انتهى حال الكافرين الذين أنفدوا المال فى محـاربة دين الله وفـى أفعالِ الخير فـى الدنيـا واستعانوا فـى محاربتهم ديـن الله بالأولاد والأعوان إلى التلـف والخسارة، فلم يجنوا سوى فقـدهم الأموال والبنين فى الـدنيا، حتى إذا أتوا الله يوم القيامة وحسبـوا أنهم يثابون على ما أنفقوا من أموالهم فـى فعل الخير وجدوه غير متقبَّل منه تعالى، إذْ جعل الله أعمالهم هباء منثورا. والآية دليلٌ على أن فعل الخير من الكافر لا ينفعه فى الآخرة.

وبعد ذلك يجىء قوله تعالى «وما ظلمهـم الله، ولكن أنفسهم يظلمون» نافيا أن يكون منه تعالى فى عدم تقبل إنفاق الكافرين من أموالهم فى فعل الخير ظلمٌ لهم، كما أنه لم يكن فى إهلاكه حرث القـوم الذين ظلموا أنفسهم بالكفـر وارتكاب المعاصى ظلم لهم، ومثبتـا ـ من جهة أخـرى ـ أن ذلك كـان من هؤلاء وهـؤلاء بظلمهم أنفسهـم، ولا يعنى ذكر أنهـم يظلمون أنفسهم أنهـم لا يظلمون غيرهم، وإنمـا هو ذكر للسبب الـذى استحقوا به أن يذهـب عليهم ثمرة مـا أنفقوا، جـاء ذكره بـالفعل المضـارع، «يظلمون» لبيـان استمراريـة ظلمهم أنفسهـم بإصرارهم على الكفر والاستمرار فيه.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾

أولا: الأســــــماء :

١ ـ البطـــانة : فى قوله تعالى «لا تتخذوا بطانـة» من «البطن» بمعنى داخل الشىء، ومنه بطانة الثـوب بمعنى ما يواجـه منه بدن مرتديـه. والمراد بها ـ فـى معنى الآية ـ خـاصة المرء

الذين يستبطنون أمره بحكم قربهم منه، يسمى بها الواحد، والجمع، والمذكر، والمؤنث، وهى نقيض الظهارة.

٢ ـ الخبـال: فى قوله تعالى «لا يألونكـم خبالا» هو الفساد يصيب الإنسان فيصيبه بخلل فى وظائف الأعضاء يؤدى به إلى الجنون أو المرض عموما. ويستعمل بمعنى الشر والفساد.

٣ ـ البغضـاء : هى العداوة، والكره الشديد .

ثانيا: التفسـير:

جملة الآية نصيحة للمؤمنين منه تعالى وردت فى صيغة النهى عن فعل لبيان أهمية الأخذ بها، والمخاطب بقوله تعالى هم المؤمنون «يـا أيها الذين آمنوا» والفعل المنهى عنه هو اتخاذ بطانة من دون المؤمنين «لا تتخذوا بطانة من دونكم» فهو نهى للمؤمنين ـ ومنهم الحكام ـ عن أن يتخذوا خاصتهم الذين يعرفون دخائل أحوالهم من غير المؤمنين، فيشمل المنهى عن اتخاذهم بطانة الكافرين والمنافقين. والنهى عن اتخاذ هؤلاء خاصة للمؤمنين سببه توقِّى فتنة هؤلاء من يوالونهم و إفسادهم، أو تواطؤهم عليهم لعلة فى نفوسهم لم تبرأ. وتشهد أحداث التاريخ على توفر هذا السبب، فإنه لما اتخذ بعض أمراء الدولة العباسية من الموالى الذين يظهرون الإسلام ومن بعض الكتابيين خلصاء لهم، زيَّن لهم هؤلاء بعض صور اللهو وأعانوهم فيه ففتنوهم عن دينهم، كذلك كان حال ملوك الطوائف فى الأندلس عندما اتخذ بعضهم من أهل البلاد ندماء لهم وخلصاء فإنهم زينوا لهم الاقتتال بين بعضهم والبعض، وهو فتنة بين المسلمين.

ثم يوضح سبحانه وتعالى حال غير المؤمنين المتخذين بطانة ممَّن اتخذوهم ومن المؤمنين عامة بقوله تعالى «لا يألونكم خبالا ودُّوا ما عنتم» ، والمعنى أنهم لا يقصرُّون فى إفسادكم ولا فى عمل ما يفسد عليكم أموركم.

ويذكر سبحانه وتعالى علة عدم تقصير غير المؤمنين فى فعل ما يفسد المؤمنين وهى حبُّهم أن يروهم فى مشقة وعنت، يعانون المصائب والمضار «ودُّوا ما عنتم».

ويتبع سبحانه وتعالى قوله فى بيان حال غير المؤمنين ممَّن والوهم بتنبيه المؤمنين إلى ملاحظة علامات مظاهر ما يكنه بطانتهم غير المؤمنين لهم ليستظهروا منها دخائل نفوسهم فيقول تعالى «قد بدت البغضاء من أفواههم» والمعنى أن عداوتهم للمؤمنين وكراهتهم لهم

تظهر مـن فلتات ألسنتهم مهما حـاولوا إخفاء دواخلهـم، وقـد كان من ذلـك ـ بعد نزول قـوله تعالى بزمن طويل ـ «أن بشّارا قال فى شعره:

إبليس أكرم من أبيكم آدم * فتمثلوا يا معشـــر الفجّار

النار معدنه وآدم طينـــة * والطين لا يسمو سموَّ النـار

فأظهر أنه يكنُّ عقيـدة المجوس يرون طهارة النار فوق كل شىء ويقـدسونها، وأن البرامكة كانوا يتغامزون ويتهـامسون بأفضليتهم وأفضلية جنسهم على العرب المسلميـن، وهو ما كان أحد أسباب نكبتهم.

كما كان من خلصاء ملـوك الطوائف فى الأندلس قولهم ممازحيـن «نحن أهل البلد» فى إشارة إلى أن المسلمين احتلوا بلادهم.

وجميع ذلـك مما تزلف بـه الألسنة فتظهر بعـض ما تكنه النفـوس؛ ولذلك قال سبحـانه وتعالى «وما تخفـى صدورهم أكبر» وقوله هذا تقـرير لواقع وهو أن ما تنطـوى عليه نفوس غير المؤمنين من بغضاء وكراهية أكبر بكثير مما يظهر منهم عفو الخاطر مما تنزلق به ألسنتهم .

وتختتم الآية بقوله تعالى «قد بيَّنا لكـم الآيات إن كنتم تعقلون» والقول فى مجموعه حثٌّ للمؤمنين على أن ينتهوا عن اتخاذ غير المؤمنين بطانة لهم من دون المؤمنين، لأنه ما من أحد لا يودُّ أن يوصف بأنه عاقل أو بأنه ممَّن يعقلون الأمور.

ومعنى القـول أنه تعالـى قد أظهر للمـؤمنين نهيه عن اتخـاذ غير المؤمنيـن بطانة بـالنص الصريح، كما أنه تعـالى أطلع المؤمنين على الآيات التى يستظهـرون منها دخيلة خلصائهم فيعرفوا الولى من العدو ليكون منهم العمل بما يوافق العقل.

وقـد قيل فـى سبب نـزول الآيـة أنه كـان رجال مـن المسلميـن يوادون رجـالا من اليهـود ويقربونهم، فنزلت الآية تنهاهم عن هذا خشية أن يفتنهم خلصاؤهم عن دين الله.

وقيل إنها نزلت لنهى المؤمنين فى المدينة عن تولِّى المنافقين فيها.

ولا تأثير لسبـب نزول الآية على وجـوب التزام ما تضمنته مـن نهى لعمومية الحكـم الذى وردت به .

هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾

أولا: الأسـماء :

١ ـ **الأنـامل** : جمع «أنملة» وهى طرف الإصبع .

٢ ـ **الغيـظ** : هو الحنق والغضب من أمر أثاره .

ثانيا: التفسـير :

بعد نهيه تعالى المؤمنين عن اتخاذ غير المؤمنين بطانة لهم وخلصاء، فإنه تعالى ـ فى الآية ـ يبيِّن للمؤمنين الذين اتخذوا غير المؤمنين بطانة لهم من دون المؤمنين ـ وهم المخاطبون بنص الآية ـ خطأ فعلهم، فيقول تعالى «ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم» وفيه جاءت «ها» للتنبيه، «وأنتم» مبتدأ، خبره «جملة تحبونهم»، و «أولاء» منادى. وقيل: «أنتم مبتدأ، وأولاء خبره».

وجملة الآية بيان لحال غريبة تتثمل فى حب المؤمنين لخلصائهم غير المؤمنين وعدم حب هؤلاء الخلصاء لهم. والمراد بحب المؤمنين بطانتهم وخلصاءهم غير المؤمنين هو مصادقتهم والإحسان إليهم، وربما كان المراد بهم حبهم لهم أن يؤمنوا بالدين فيكون منهم أنهم يسلمون، والمراد بعدم حب البطانة والخلصاء للمؤمنين كراهتهم لهم أو كراهتهم أن يروهم فى خير ورغبتهم أن يردُّوهم إلى الضلال أو أن يفتنوهم فى دينهم.

وفى ذات الغرض وهو إيضاح خطأ فعل المؤمنين المتخذين من غير المؤمنين بطانة يقول تعالى «وتؤمنون بالكتاب كله» أى بجنس الكتاب فيشمل التوراة والإنجيل والقرآن، وفى هذا تلميح إلى أن حب المؤمنين غير المؤمنين من بطانتهم مرجعه ـ فى جزء منه ـ يعود إلى إيمان

المؤمنين بكتبهـم مع إيمانهم بـالقرآن العظيم. وقد اكتفى بـذكر إيمان المؤمنيـن بكتب أهل الكتاب، ويكـون هذا مشيـرا إلى حب المـؤمنين لبطـانتهم من أهـل الكتاب لإفـادة المعنى المقابل أو المضـاد وهو عدم إيمان أهل الكتاب بـالقرآن العظيم مما يكون سببـا من أسباب عدم حبهم المؤمنين.

ولا يعنى ذكره تعـالى أن المؤمنين يؤمنـون بالكتاب كله متضمنا التـوراة والإنجيل أن ذلك من مظـاهر خطأ المؤمنيـن وإنما يعنى إبراز كـون الخطأ فى حبِّ نـاقصى الإيمان الذيـن لم يؤمنوا بالكتاب كله بعدم إيمانهم بالقرآن.

ثم إنه تعالى ـ فى معرض بيان حال البطانة من أهل الكتاب مع من والوهم من المؤمنين ـ يقول «وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ» والمعنى أنهم عندما يكونون فى حضرتكم ينافقونكم بقولهم «آمنا» أى يظهرون لكم ما يكون من المؤمن أو يقولون ذلك بأفواههم، ثم إذا خلوا بعضهم ببعض كـان من شدة غيظهم منكم وحنقهم عليكم أنهم يفعلون فعـل العاجز الكـاره المغضب الـذى عجز عن الانتقـام ممن يكره وهـو عض أنـامل الأصابع من شـدة الغيظ، ولا يعنى قوله تعالـى أنهم يعضون الأنامل من الغيـظ أنهم يفعلون ذلك بالفعل، فهو كناية عن شدة غيظهم .

وجاء قوله تعـالى لرسوله ﷺ «قل موتـوا بغيظكم» ترتيبا على استظهار حقـد غير المؤمنين على المؤمنين، وقـد يكون المراد به أن يخاطب رسـول الله ﷺ غير المؤمنين بما يكرهـونه مع التدليل على معرفة المؤمنين دواخلهم، وقد يكون المراد بالقول هو الدعاء عليهم بدوام الغيظ منهم لدوام قوة المسلمين وازديادها .

وقوله تعـالى ـ فى ختـام الآية ـ «إن الله عليم بـذات الصدور»، قـــد يكون تتمة قـــول رسول الله ﷺ للكـافريـن، فيكون معنـاه أن يعلمهم أن الله جـلَّ وعلا عليـم بما انطـوت عليه نفوسهم من كراهـة للمسلمين وإن أخفوا هذا، وأنه تعالى مجازيهم بهذا. وقـد يكون هو قوله تعالـى فيكون لبيان عدم التعجـب مما أطلع الله تعالـى عليه رسولـه الكريم مما احتبـس فى الصدور، لأنه العليم بما فيها وما انطوت عليه.

إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾

أولا: الأسـماء :

الـكيـد : فى قوله تعالى «لا يضركم كيدهم شيئا». هو المكر، أصله المشقة، والمراد به المكر السيء.

ثانيا: التفسير:

الآية الشريفة فى أمرين مرتبطين، أولهما إظهار مشاعر غير المؤمنين من المؤمنين التى أوضحها قوله تعالى «إن تمسسكم حسنة تسؤهم و إن تصبكم سيئة يفرحوا بها» ومعناه أنهم لما كانوا يكرهونكم ولا يحبونكم فإنه إذا أصابتكم من ربكم نعمة عاينوها ـ كنصر على عدو ـ أو لاحظوها ـ كاجتماع شملكم وعدم تفرق كلمتكم ـ فإنهم يحزنون، و إذا أصابتكم محنة كظهور للعدو عليكم أو مكروه مثل وباء، أو ضرر مثل تفرقكم واختلافكم فى الأمر، فإنهم يسعدون بهذا حسدا من أنفسهم وشماتة فيكم .

وثانى الأمرين هو طمأنة المؤمنين من جهة كيد غير المؤمنين وكراهتهم لهم و إن اشتدت. وهو ما جاء به قوله تعالى «و إن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا». وقوله تعالى هذا يفيد عدة أمور، فهو يثبت وجود كيد غير المؤمنين للمؤمنين، ويثبت أن الأصل فى الكيد مع التدبير أن يكون منه ضرر، وأن هذا الضرر لا يكون إلا بإذن الله، فإن شاء لم يجعل له أثرا، و إن شاء ردَّه إلى نحر الكائدين. كذلك فإنه يثبت أنه لما كان تعالى ولىَّ المؤمنين، ويدافع عن الذين آمنوا فإنه يدفع عن المسلمين كيد أعدائهم إذا صبروا واتقوا. و إذا كان من الصبر المراد صبرهم على أذى غير المؤمنين فإن المفهوم المقبول للصبر أعم من هذا وأشمل لأنه يشمل الصبر على الطاعات على ما هو إيجابى منها بفعل أو أفعال مثل الصلاة ومثل الحج، وما هو

سلبي مثل الصوم فهو امتناع عن شهوة البطن وشهوة الفرج، ويشمل الصبر على التزام نواهيه وفيها كبح جماح النفس عما تهفو إليه وتشتهيه، وهو من صفات المؤمنين لا يكمل إيمانهم إلاّ به. والقول يثبت أن المؤمنين الصابرين يتقون بإيمانهم الذى كمل بصبرهم عذاب الله فى الآخرة ، من بعد أن وقاهم الله به كيد أعدائهم فى الدنيا، فكأن «الواو» فى قوله تعالى «وتتقوا» كانت بمعنى «فاء السببية» ـ فيما نراه ـ وقد تكون للإضافة .

وفى ختام الآية يجيء قوله تعالى «إن الله بما يعملون محيط» وهو تأكيد لكونه تعالى معاقبا غير المؤمنين بكيدهم للمؤمنين وبما أخفوه فى نفوسهم وعملوا بمقتضاه، لأنه لما كان تعالى محيطا علمه بأعمالهم ودوافعهم إليها فإنه تعيَّن أن يكون محاسبهم عليها ومجازيهم بأفعالهم ما يستحقون من العذاب.

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

أولا: الأسماء :

١ ـ **الأهل**: فى قوله تعالى «وإذ غدوت من أهلك» المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ والخطاب لرسول الله ﷺ، زوجه ﷺ عائشة رضى الله عنها. وهى بعض أهله، وصفت بأنها أهله تكريما لها ولبيان قدرها عنده ﷺ.

٢ ـ **المقاعد** : جمع مقعد، هو محل القعود، ويطلق مجازا على المكان مطلقا. والمراد به ـ فى معنى الآية ـ أماكن المقاتلين المتخذة للقتال، وصفوف كل فئة منهم من رماة، وفرسان، وحملة سيوف .

ثانيا: التفسير:

الآية الشريفة خوطب بها رسول الله ﷺ، وصلتها بما سبقها من آيات تتعلق بما تطلبه الله تعالى فى المؤمنين من الصبر ليكفيهم الله شر كيد أعدائهم، ونرى أنها تتعلق أيضا بما يكون

من المنافقين من أهـل الكتاب مع المؤمنين من أفعال تنم عما فى نفـوسهم من حقد عليهم بملاحظة سبب نزول الآية.

وقد قيل فى مناسبة نزول الآية أنه لما اجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ ليثأروا لقتلاهم فى بدر وخرجوا ومعهم بنـو كنانة وأهل تهامة حتى نزلوا موضعا علـى شفير واد مقابل المدينة، وسمع رسول الله ﷺ، كـان منه أن أبدى رأيه لمن معه مـن الرجال أن تكون منهم الإقـامة فى المدينة، وأن يتركوا عدوهم حيث اتخذ مكانـه، فإن أقاموا ما شاءوا أن يقيموا أقام المسلمون فى المدينة، و إن دخلوا المـدينة عليهم قاتلوهم، وأيَّد رأى رسول الله ﷺ عبـد الله بن أبى ابن سلول لكراهته الخروج. ورأى آخرون غير رأيه ﷺ واقترحوا عليه الخروج لملاقاة عدوهم كيلا يرى أعـداؤهم فـى فعلهم جبنـا. ولم يزل هـؤلاء برسـول الله ﷺ حتى دخـل بيته ولبـس لأمة الحرب ثم خرج على المـؤمنين بها وكان ذلك يوم جمعة بعد الفـراغ من الصلاة، وندم القوم اعتقادا منهم أنهم أكـرهوه ﷺ على النزول على رأيهم وسألوه العـدول عن الخروج فقال ﷺ «ما ينبغـى لنبىٍّ إذا لبس لأمتـه أن يضعها حتى يقاتـــل»، ثم خرج فـى ألف من الرجــــال، وعندما بلـغ ما بين المدينة وأحـد انخذل عنه المنافق عبـد الله بن أبى بمن معه وكـانوا ثلث الرجال.

فكان هذا مـن فعال المنافقين المظهـرة دخائل نفوسهم. ثـم تبع المنخذلين عـن نصرة رسول الله ﷺ عبد الله بن عمرو بن حزام ليثنيهم عن فعلهـم فأبوا فقال لهم «أبعدكم الله تعالى أعداء الله، فسيغنـى الله تعالى عنكـم نبيَّه»، فكان هـذا منهم من فعـال المنافقين. ثـم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشعـب من أحد من عدوة الوادى إلى الجبل فجعـل ظهر جنوده إلى جبل أحد وقال «لا يقاتـل أحدٌ حتى نأمر بالقتال»، واستعد رسـول الله ﷺ للقتال ومشى على رجليه يصفُّ الجنود كلاً منهم فى مكانه، وتأخر ﷺ ومن معه من الرجال وفقا لخطَّته للحرب، وجعل عبـد الله بن جبير علـى رأس رماة النبل وطلب منـه ومن تحت إمـرته أن يمنعوهـم من الخيَّالة بالنبل فلا يباغتوهم، وأمره بـالثبات حتى لا يؤتى المسلمون من جهته أو بسببه واتخذ ﷺ جناحين من المقاتليـن ووقع القتال يوم السبت وكان فى شهر شـوال سنة ثلاث للهجرة، والآية الشريفة نزلت مشيرة إلى هذا اليوم وأحداثه .

فيكون المراد بقـوله تعالى لرسولـه ﷺ «و إذْ غدوت من أهلك» هو «واذكر خـروجك غدوة يوم من عند أهلك (عائشة رضى الله عنها)» . والمراد مـن قوله تعالى «تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال» ما كان منه ﷺ من قيامه على صفِّ جنوده فى أماكنهم وفق خطته للقتال.

وقد جاءت جملة القول حـالا يبيِّن هيئة الفاعل للفعل «غدوت». وقوله تعـالى ـ فى ختام الآية ـ «والله سميع عليم» معناه أنـه تعالى سمع كـل ما قيل فـى هذا اليوم أو فى غـزوة أحد منـه ﷺ ومن المؤمنين ومن المنافقين، وأنه علـم أمر كل من كان له شأن فى الغـزوة أو فى أحداثها، ومما سمع سبحانـه وتعالى ما قاله الرماة الذين أمَّـر عليهم ﷺ عبد الله بن جبير من أنهم لـم يغنموا فى مـواقعهم ما غنمـه باقى المسلمون، وممـا علم ما كـان منهم من تـركهم مواقعهـم البعض إثـر البعض مخـالفين أمره ﷺ بـالثبات، ممـا تسبب فـى إلحاق الهـزيمة بالمسلمين.

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١٢٢﴾

أولا: الأســـــماء :

طائفتـــان : المراد بهما القوتان من الرجال اللتان شكَّلتا جناحى قوات رسول الله ﷺ فى تشكيل المعـركة وكانت إحـداهما من بنى سلمـة من الخزرج، والأخـرى من بنى حارثـة من الأوس. وقيل إن المراد بهما طائفتان إحداهما من المهاجرين والأخرى من الأنصار.

ثانيا: التفســـــير:

عبـارة الآية تـروى بعض مـا كان يـوم موقعـة أحـد مشفوعـا بأمـر يتضمن تـوجيها لازمـا للمسلمين، وقوله تعالى «إذ همَّت طائفتان» بدلا من «إذْ غدوت» يبيِّن المقصود بالتذكير، وقد يكون ظـرفا وقع فيه تبـويؤه ﷺ المؤمنين مقـاعد للقتال. ومعنـاه ـ والله أعلم ـ أنـه حدث أن فرقتين من قـوات رسول الله ﷺ ـ قد تكونان الجناحيـن فى تشكيل المعركة ـ وقـد تكونان فئة

من المهاجرين وأخرى من الأنصار ـ أوشكتا على الانهزام داخليا فى نفوسهم ـ وهو مما يؤدى إلى الهزيمة ـ وذلك حين رأوا انخذال عبد الله بن أبى ابن سلول ومن معه من المقاتلين عن رسول الله ﷺ فشعروا بقلَّتهم وضعف سلاحهم بالنسبة لعدد عدوهم وعدَّته وسلاحه. والظاهر من عبارة النص ـ «همَّت طائفتان» أنه كان منهم إرادة، ويستبعد فى شأنهم أن تكون إرادة مخالفة رسول الله ﷺ، لأن ذلك لا يحدث من المؤمنين، فبقى أن يكون المراد بكونهم «همُّوا» أنهم حدثوا أنفسهم فى هذا وتناوبتهم الوساوس .

وقوله تعالى «والله وليهما» جملة اعتراضية تفيد أنه تعالى ناصرهما بصبرهما و إيمانهما. تبعها قوله تعالى «وعلى الله فليتوكل المؤمنون» وهو أمر للمؤمنين ـ يشمل الطائفتين اللتين همَّتا أن تفشلا ـ أن يعتمدوا عليه سبحانه وتعالى وأن يوكلوا إليه أمورهم، ويتضمن معنًى مفاده أن من توابع الإيمان الصحيح الذى لا ينفصل عنه التوكل على الله فى كبير الأمر وصغيره .

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

أولا: الأسـماء والأعلام :

١ ـ بـدر: اسم علم، قيل إنه لرجل من جهينة كانت له بئر أطلق عليها اسمه، وقيل هى اسم البئر، وقيل هى اسم موضع من الأرض بين مكة والمدينة، وقيل هى اسم الوادى الذى به البئر. وفى هذا الموضع من الأرض كان التقاء رسول الله ﷺ والمشركين فى أول قتال خاضه رسول الله ﷺ معهم، وكان ذلك فى السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة، وكان يوم جمعة.

٢ ـ الأذلـة : فى قوله تعالى «وأنتم أذلة»، جمع قلة لـ «ذليـل» جاء لبيان اجتماع قلة العدد مع الذلة إحساسًا فى النفوس بقلة العـدد والعدَّة، ولا يدخل فى عداد الأذلـة

رسول الله ﷺ لثقته فـى نصر ربه مما لا يكون معـه الشعور بالضعف، ولأنـه ﷺ لم يتصف إلا بالكمال بالنسبة للبشر، وليس منه الشعور بنقص القدر.

ثانيا: التفســــير:

قـوله تعـالـى فى الآيـة تمثيـل لأثر الإيمـان مع التقـوى والتـوكل علـى الله بمثـال يعرفـه المسلمون، وهو ما كان فـى غزوة بدر، ففى هذه الغزوة كان المسلمون قلـة بالنسبة للمشركين وكانت عدَّتهم للقتـال دون عُدَّة المشركين واستصغر المسلمون أنفسهم لما شـاهدوه من قلة عددهـم وضعف عدَّتهـم «وأنتم أذلة»، غير أنهـم آمنوا بنصر الله وصبـروا على القتال وتـوكلوا على الله ربهم فكان منه تعالى أنه نصرهم على عدوِّهم «ولقد نصركم الله ببدر».

ويتعلق المعنى المراد إيصاله للمؤمنين بتذكيرهم ما كان فى غزوة بدر بقوله تعالى «فاتقوا الله»، أمر باتقاء الله أو اتقاء عذابه أو ناره، وهو إنما يكون بالتزام أوامره وتجنب نواهيه، لم يذكر مع الأمر بالتقوى الأمر بالتزام الصبر لكونه صفة لازمة للمؤمنين مرتبطة بالإيمان، أو لكونه من عناصـر التقوى لأن من لا يصبر علـى قضاء الله لا يعدُّ قابـلا إياه، ومن لا يصبر علـى العبادات وعلى تجنب ما نهى عنه تعالى مما هو محبب للنفس لا يكون قد كمل إيمانه.

وتبين الصلة بين أمـره تعالى المؤمنين بالصبـر والتقوى والتوكل عليه وبين مـا وعدهم إياه من النصر على الأعداء وهو ما يتمنونه من قـوله تعالى «لعلكم تشكرون»، لأنه لما كان الشكر إنما يكون على نعمة أنعم بها سبحانه وتعالى عليهـم، وكان ما يتمناه المؤمنون هو النصر فإنه يكون فـى ذكر شكر المـؤمنين ربهم إشـارة إلى وعده إيـاهم بالنصـر، يؤكد هـذا قوله تعـالى «لعلكم» وهو إذا ما قيل منـه تعالى أفاد تحقق الشىء، بما يفيد أنـه سيكون منهم الشكر على ما كان منه تعالى من النصر.

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾

التفســــــير:

الخطاب فـى الآية موجـه إلى المؤمنيـن المقاتليـن الذين استصغـروا أمرهم لمـا رأوا قلة عددهم وضعف عـدَّتهم مقارنين بعدد عدوهم وعـدته، قاله لهم رســول الله ﷺ فى غـزوة بدرـ على قول ـ ومعنـاه أن المؤمنين التزمـوا الصبر والتقوى فدان لهـم النصر بإذنه مـن بعد إمدادهم بالملائكة، وقيل كان فى أُحد فلـم يلتزم المؤمنون قول رسول الله ﷺ ولم يصبروا ولم يتقوا فلم يمدهـم الله بالملائكة، ونميل إلى أن ذلـك إنما كان فى بدرـ والله أعلـم ـ لأن قوله تعالى «إذْ تقـول للمؤمنين» مفاده أنـه ﷺ قال القول للمؤمنيـن فعلا، وقوله «ألـن يكفيكم أن يمدكم ربكـم» معناه أنه كان دوام فى الإمداد وتـواصل «دفعة دفعة» وهو وصف دقيـق لواقع حدث على دفعات متعـاقبة متلاحقة يفيد صحة الحدوث، وليس عـدم الحدوث، وكذا على ما يبيـن من تحديـد عدد الملائكـة الذين أمـدَّ الله بهم قـوات المؤمنين، فلـو لم يكن قـد تم الإمداد بهم وبهذا العدد بالفعل لاكتفى بذكر ما يفيد كثرتهم دون تحديد العدد .

ومعنى قوله ﷺ للمؤمنين «ألن يكفيكم» وفيه جـاءت الهمزة للإنكار، ما يفيد أنه ﷺ أنكر عليهم عـدم اكتفائهم بمـا أمدهـم به ربهم مـن الملائكة، وهـو ما كـان منهم لشدة يـأسهم وبملاحظـة النقص الشديد فـى عددهم بالنسبـة لعدد المشركين، ممـا كانوا يرجـون معه أن يمدهم الله بأكثر مما أمدَّهم به من الملائكة.

ووصفه تعالى المـلائكة بأنهم منزلون «مـن الملائكة منزلين» وفيه جـاءت «منزلين» حالا للملائكة قـد يكون فى صيغة «اسم المفعول» فيكـون مفاد ذلك أنهم أُنزلوا مـن السماء، وقد يكـون فى صيغـة «اسـم الفاعـل» فيكـون مفاد هـذا أنهم أنـزلـوا الرعـب فـى قلوب أعـداء المسـلمين .

بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾

أولا: الأســــــماء :

١ ـ الفــــور: فى قـوله تعالى «ويـأتوكم من فـورهـم» مصدر مـن «فار ـ يفور» وهـو زيادة حجم الشـىء زيادة كبيرة من أثـر السخونة أو شدة الحـرارة فيكون منه الغليان. ويطلـق على الغضب لأنه فوران النفس. وعلى الحال التى لا تأخير فيها ولا إبطاء .

٢ ـ المســـوَّم : فى قوله تعالـى «من الملائكة مسوَّمين». هو من التسـويم بمعنى إظهار علامة الشىء. يجىء «اسم فاعل» ـ بكسر الواو ـ فيكون من يسم شيئا بِسِمةٍ أو يُعلِّمه بعلامة، ويجىء اسم مفعول ـ بفتحها ـ .

ثانيا: التفســـــير :

الآية ـ فى رأينا ــ تبيِّن أن إمداده تعالى المؤمنين بثلاثة آلاف من المـلائكة ونصرهم على عدوهم إنما كان فى غزوة بدر وأن حديثه تعالى فى هذه الآية هو المتعلق بغزوة أحد .

وورود «بلى» فى مقـدِّمة قوله تعـالى أو قول رسوله ﷺ هـو إيجاب لما جاء بعـد «لن» فى الآية السابقة، فيكون المعنى «بلى يكفيكم هذا».

وقوله تعالـى «إن تصبروا وتتقوا» ـ وفيه جاءت ـ «إن» «أداة شرط، والشـرط أو فعله هو صبر المؤمنين على الجهـاد ومشاقه واتقاء الله بتجنب معاصيه ــ يكمله قوله تعالى «ويـأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين»، وفيه جاءت جملة «يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين» جواب الشرط، وقـوله تعالى «ويأتوكم من فورهم هذا» قـد يكون معطوفا علـى فعل الشرط فيكون منـه، فيكون المراد مـن قوله تعالـى هو: «إذا صبرتـم واتقيتم وجاءكـم أعداؤكم فورا»، وقد يكون حالا مبينا هيئة المـؤمنين أو هيئة أعدائهم فيقبل أن يكون المراد هو: «إذا كـانت حالكم أنكم صابرون وقت مجـىء أعدائكم إليكم من فورهم»، ويقبل أن يكون هو: «إذا صبرتم واتقيتم حـال كون أعدائكم آتين إليكم من فورهم». ومعنى القول ــ فى مجموعه ــ والخطاب فيه للمؤمنين ــ أنه إذا صبرتم واتقيتـم وقدم إليكم أعداؤكم لقتالكم مـن فورة غضبهم متعجلين متسرعين فإنه تعالـى يمدكم بخمسة آلاف من الملائكة المعلَّمين بعلامات يُعرفون بها .

والرأى لـدينا أنه لما كـان سبحانه وتعالـى قد أثبت أن الإمـداد إنما كان بثلاثـة آلاف من الملائكة وليس بخمسـة آلاف ـ فى الآيات السابقة ــ وأنه أعقبه نصر الله المؤمنين بـإيمانهم وصبرهـم وتقواهم، وأنه لـم يثبت فى جملـة الآية تحقق جـواب الشرط وهو إمداد المـؤمنين بخمسة آلاف من المـلائكة مسومين ممـا مفاده عدم تحقق فعـل الشرط وهو صبر المـؤمنين وتقواهم وهو وصف حال المسلمين فى غزوة أحد من الرماة تحت إمرة عبد الله بن جبير الذين لم يصبروا، وتعجلوا الأستيلاء على الغنائم ولم يمتنعـوا عما نهاهم عنه رسول الله ﷺ من ترك أماكنهم فخالفوه ﷺ فلم يكونوا من المتقين، ولم ينصـرهم سبحانه وتعالى، فإنه يكون المراد بقوله تعالـى ـ فى الآية السابقة ـ ما كـان من قوله ﷺ للمسلمين فى غزوة بـدر. وأن قوله لهم بما ورد فى عبارة هذه الآيـة إنما كان فى غزوة أحد، وفيها لـم يتحقق فعـل الشرط فى قوله ﷺ فلم يصبر المسلمون ولم يتَّقوا، فلم يتحقق جوابه، إذْ لم يمدهم الله فيها بالملائكة المسومين، ولذلك لم نخض فيما كانت عليه علامات المـلائكة المسومين،لإنه لم ينزل هؤلاء فى أحد، أما الذين نزلوا فقد كانوا فى بدر ووصفوا بأنهم منزلون .

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾

التفسـيـر:

جملة الآية تعليق على ما سبق ذكره من إمداد الله المـؤمنين الصابرين المتقين بالملائكة فى قتالهم عدوهم إذا ماخشوا قوته مع ضعفهم وبيان له. فقوله تعالى «وما جعله الله إلا بشرى لكم» يفيد أن غاية مثل هذا الإمداد هى تبشيركم بالنصر حين ترون أن الله معكم، فليس معنى الإمداد بالملائكة بذاته أنه يرتِّب النصر ويرتبط بحدوثه ارتباط العلة بالمعلول.

وقد تأكد هذا المعنى بقوله تعالى «ولتطمئـن قلوبكم به» ومعناه أن الإمداد بالملائكة كان لتبشيركم بالنصر ولتهدئة نفوسكم وطمأنة قلوبكم فتهدأ ولا تخشى نتائج قلة عددكم بالقياس

إلى كثرة عدوكم والمراد أيضا إيضاح أنه ليس بالإمداد بالملائكة يكون النصر.

ثم يجىء قوله تعالى «وما النصر إلا من عند الله» مثبتًا المعنى فى الأذهان، مفيدًا أنه تعالى الذى ينصر من ينتصر على العموم، وأنه قد يجعل لذلك الأسباب، وهى بذاتها لا تأثير لها إلا بإرادته.

ووصفه تعالى ذاته ـ فى هذا الموضع من الآية ـ له دلالته فهو تعالى ذو العزَّة الغالب على أمره فهو الغالب من رأى أن يُغلب فيعز بعزته من شاء أن يعزَّه، وهو تعالى يفعل ما يشاء بحكمته التى لا يعلم أبعادها ولا أغوارها البشر. فلا عجب إذا نصر، ولا اعتراض إذا لم ينصر.

لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾

أولا: الأسماء :

١ ـ الطرف : فى قوله تعالى «ليقطع طرفا» هو ما بعد من مكونات شىء عن وسطه وقلبه، ولهذا يطلق على الكف وعلى القدم، والمراد به ـ فى معنى الآية. قوات العدو التى تطرفت عن تجمعه فاقتربت من المسلمين، وقيل إن المراد أشراف العدو وصناديده كانوا من أشراف قريش فى غزوة بدر.

٢ ـ الخائب : هو من لم يصب نجحا كان يأمل فيه ويسعى إليه.

ثانيا: التفسير :

قوله تعالى فى الآية متعلق بقوله تعالى «ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة» لأن الإمداد بالملائكة والنصر بهم كان فى بدر ولم يكن فى أحد على ما سبق بيانه، وهما الغزوتان اللتان ورد بشأنهما حديثه تعالى ـ فى الآيات ـ عن الإمداد بالملائكة.

ومعنى قوله تعالى «ليقطع طرفا من الذين كفروا» أن المراد من الإمداد بالملائكة كان إهلاك بعض العدو الذين قد يكونون قواته التى ابتعدت عن مركز قيادته واقتربت من المسلمين، وقد يكونون أشراف القوم وصناديدهم، شُبِّه إهلاكهم بقطع الطرف من الإنسان أو الحيوان لأنه يعجزه فلا يُحْسن أن يقوم على أمر نفسه بعده. كذلك كان المراد من الإمداد بالملائكة أن يخزى الله الكافرين فيرتدوا مغيظين منهزمين. وهو ما عبَّر عنه صراحة قوله تعالى «فينقلبوا خاسرين» مفيدا أنه تكون عاقبة أمر المشركين أنهم يندحرون فيرتدوا منقطعى الأمل فى نصر كانوا يأملونه ويطمعون فيه.

لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾

التفسير:

الخطاب فى الآية لرسول الله ﷺ قيل إن سبب توجيهه إليه ﷺ وهو سبب نزول الآية أنه ﷺ لما أصيبت رباعيته فى أحد وشج وجهه الكريم قال «كيف يفلح قوم صنعوا هذا بنبيهم» أو إنه ﷺ قال «اللهم العن أبا سفيان، اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن سهيل بن عمرو، اللهم العن صفوان بن أمية» فنزل قوله تعالى يُعلمه ﷺ أن أمر البقاء على الكفر بما يستوجب العذاب والطرد من رحمة الله، ومثله أمر التوبة التى تجب ما قبلها ويغفر بها الذنب، ليس مما يختص به عليه الصلاةوالسلام، فلا هو قادر على تعذيبهم ـ وإن أراد ـ ولا هو قادر على أن يحبِّب إليهم التوبة أو أن يجعله تعالى يقبلها.

وجملة القول فيها إيضاح لرسول الله ﷺ أنه ليس عليه سوى إبلاغهم الدعوة وجهادهم مع ترك أمر إيمانهم أو تعذيبهم إليه تعالى. ولا يعنى قوله تعالى هذا أنه تخطئة لرسوله ﷺ فى أمر من أمور الدين مما لا ينطق فيه رسول الله ﷺ عن هوى.

وإنما هو بيان له بحدود ما كلف به ليتأسَّى به المسلمون فيؤدون ما عليهم من الدعوة لله

والجهاد فى سبيله غير متأثرين بالاستجابة لهم أو الإعراض عنهم.

ووصفه تعالى المشركين بأنهم ظالمون «فإنهـم ظالمون» جاء ـ فى الآية ـ متعلقا بما قبله «أو يعذبهم» فيكون معنـى القول «أو يعذبهم لأنهم ظالمون» أو «أو يعـذب الظالمين منهـم»، فكأنه ورد بذكر علة التعذيب.

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾

التفســــــير:

جملة الآية مرتبطة بما سبق تقريره فى الآية الســابقة من أنه ليس لرسول الله ﷺ ـ فى شأن عذاب أعدائه أو التوبة عليهم شىء ـ وأن الأمر فى هذا لله تعالى. فجاء قوله تعالى «ولله ما فى السماوات والأرض» مقررا أن ملكه جامع كل ما حوت السماوات وكل ما أظلت مما هو على الأرض وفيها.

جاء التعبير عن هذا جميعـه بـ «ما» لدخول العاقل وغير العاقل فيمـا فى ذلك، ومن جملة ما يملكه تعالى ويملك أمره ويكون فيه أمره تعالى نـافذا هم هؤلاء الذين خاطب رسوله عليه الصلاة والسلام بشأنهم فيما يكون من التوبة عليهم أو تعذيبهم.

وقوله تعالـى «يغفر لمن يشاء ويعذب من يشـاء» يفيد أنه سيكون منه تعالـى أن يغفر لمن يشاء من المؤمنين أن يغفر لـه ذنبه تفضلا منه تعالى، وأنه سيكون منه تعالـى تعذيب من شاء أن يُعمل فيه عدله فاستحق العذاب.

وفى معنى هذه المشيئة وحدودها فإنه يبين من إطلاق عبارة النص أنه ليس ثمة ما يقيِّدها فلها أن تغفر ولها أن تعذب.

وقال البعـض إن الغفران لا يكـون إلا بتوبـة، واستدلوا علـى ذلك بقـوله تعـالى فـى الآية السابقة «أو يعذبهـم فإنهم ظالمون» قولا منهـم إنه لما كان سبب العذاب هـو الظلم، فإنه لا

تكون مغفرة مع وجوده، والـذى يعدم وجوده هو التوبة. والذى نراه أنـه لا يجوز القول بالحجر على رحمة الله التى وسعت كل شىء وتضييقها بغير دليل قطعى.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «والله غفور رحيم» يفيد ما قيل بعدم تقييد رحمته تعالى لأنه يغفر الذنـوب لمن يشاء فيشمله برحمته التـى وسعت كل شىء فناسب ذلـك أن يصف نفسه تعالى بأنه الغفور الرحيم.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾

التفســـــير:

الآية الشريفـة من آيات الأحكام، ووردت بتحـريم الربا، وقيل فـى مناسبة إيرادهـا فى هذا الموضع مـن السورة إنه لما كانت الآيـات المقبلات ستتكلم عن الإنفاق فـى سبيل الله وهو مما يتطلب جمع المال الـذى سيكون منه الإنفاق، ومن أسهل طرق جمعه «الـربا»، فإنه ورد النص ـ فى هذا الموضع ـ بتحريمه.

وقيل إنـه لما كان الربـا ـ من بين المعـاصى ـ قـد أذن فيه بالحرب بقـوله تعالى «فـإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله»، وكان مأذونا فى الحرب بالقتل.

فقد نـاسب ورود الآية حـديثه تعالـى فى الآيـات السابقات عـن الحرب بين المـؤمنين والمشركين، فيكـون مفاد قوله تعـالى ـ فى الآيـة ـ هو «إنكم أيهـا المؤمنون إن لم تتقـوا الربا هزمتم وقتلتم».

والآية نهى عـن الربا عمومـا، وذكره تعالى «ربـا المضاعفة» لا يعنى أنـه وحده المختص بالتحـريم، فـاختصاصـه بالـذكر كـان لأنه كـان الأكثر شيـوعا، ولأنـه الأقسى علـى الطرف الضعيف أو المدين، إذْ فيه يضاعف دينه كلما عجز عن الوفاء به فى أجله.

وقولـه تعالى «واتقوا الله لعلكـم تفلحون» هو تأكيـد للنهى عن الربـا، فيه إبراز لكونـه من

المعاصى التى تورد عذاب الله وثأره فجاء الأمر باتقـائها فى إشارة إلى كون ذلك بالانتهاء عن أكل الـربا، وفيه حـث على الانتهاء عـن ذلك ليكـون الفلاح والنجح فيمـا يؤمل فيـه الفلاح والنجح، فعبارة النص تجمع بين التخويف والإطمـاع أو بين الخوف والرجاء، ليكون الامتثال ولتكون الطاعة.

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۝١٣١﴾

التفســـــير:

قوله تعالى هذا يفيد عدة أمور:

أولها : أن أكل الربا أو عدم الانتهاء عنه التزاما بأمره تعالى أو بنهيه عنه يورد النار.

وثانيها : أن النـار قد أعدَّت ـ فـى الأصل ـ ليدخلها الكـافرون، ويدخلها العصـاة من أمة محمد ﷺ بـأعمالهم السيئـة على أصحابها الـذين أعدت لهـم، أو أن فى النار طبقـة أعدَّت للكافرين.

وثالثهـا : أنه تعـالى قد جعـل من أكل الـربا سببـا لإدخال آكله الطبقـة من النـار المعدة للكافرين بمعنى أنه ساوى بينه وبين الكفر فى استحقاق العذاب بما يعنى اقتراب إثم مقارفة الربا من إثم الكفر وجرمه.

وأخيرا فـإنه تعالـى بنهيه المؤمنيـن عن أكل الـربا يكـون قد بيَّن لهـم سبيل اتقاء عـذابه الموصوف بالآية، وهى التزام نهيه تعالى.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٣٢﴾

التفســـــير:

الآية الشريفة ـ علـى قصر جملتها ـ تضمنت بيان عدة أمور منها: أنـه وصفـ ﷺ فيها بأنه «الرسـول»، ففيه إعلام بأنـه بلَّغ ما أرسل بـه، وفصَّل الشريعة، ومنهـا مساواته جلَّ وعـلا بين

طاعتـه وطاعة الـرسول عليه الصـلاة والسلام فى الإيجـاب، ومنها أنه تعـالى يطمئن بـالآية هؤلاء الـذين عصوا رسول الله ﷺ، بمـن فيهم الذين خـالفوا أمره بـالثبات فى مواقعهـم وهم الرمـاة، ومنهم الذين فـرُّوا من المعركة، يطمئنهـم إلى أنه فى مقـدورهم الدخول فـى رحمته تعالى بطاعته تعالى وطاعة رسوله، فلا يكون منهم اليأس من الرحمة .

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾

التفســــــير:

قوله تعالى ـ فى مبتدأ الآية ـ «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم» هو أمرٌ منه تعالى جاء معطوفا على ما قبلـه «وأطيعوا الله»، ومن قبله «واتقوا النـار». وفيه حث للمؤمنين علـى الإسراع وعدم التوانى فى الأخذ بـأسباب النجاة لأنه لاأحد يعلم مدى امتداد العمر بـه ليسع توبةً، أو قصره فلا يسع.

والأمر بالإسراع إلى المغفرة «وسارعوا إلى مغفـرة» المراد به هو الإسراع إلى الأخذ بأسباب المغفرة، أما المغفرة فهى منه تعالى، وأسباب المغفرة هى الأعمال الصـالحة ،وهى العبادات، وهى الطاعات وهى التـوبة إليه تعالى. وبعده يجىء الأمر بالمسارعـة إلى السعى إلى الجنة، ارتبط بلوغهـا بتحقق المغفرة منه تعـالى، وجاء ذكرهـا من بعد ذكر المغفـرة لأن المغفرة هى سبيل بلوغ الجنة، فلا جنة بغير رحمته تعالى ومغفرته.

ثم إنه تعالى وصف الجنة بذكر عرضها موصـوفا دون ذكر طولها ـ ويفهم عقلا أنه أكبر منه ـ فقـال تعالى «عرضهـا السماوات والأرض» حذفت أداة التشبيـه للمبالغة، فكأن القـول هو «عرضها كعرض السماوات والأرض». والمقصود بالسماوات هو السماوات السبع، وبالأرض هو الأرضون السبع.

ثم ذكر تعالى أن هذه الجنة أعدت للمتقين بمعنى أنهم أصحابها الذين أعدت لهم، فإذا دخلها غيرهم رحمة منه تعالى كان ذلك على أصحابها وتبعًا لهم.

ومفاد القـول أن هؤلاء المسارعين إلـى مغفرة ربهم وجنَّته هـم من المتقين الذيـن أعدت لهم الجنة .

ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾

أولا: الأســــــماء :

١ ـ الكاظمون الغيظ : فى قوله تعالى «والكاظمين الغيظ»، المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ الذيـن امتلأت نفوسهم بـه فتجرعوه وأمسكوا عليـه صابريـن على ذلك، لا ينقمون علـى من أغاظهم، ولا ينفذون فيه انتقامهم مع قدرتهم على ذلك.

الأصل فيـه هو «شد فـوهة القربـة عند امتلائهـا» شبِّه به امتـلاء النفس غيظا وربطهـا عن إخراجه فى شكل انتقام أو حنق .

٢ ـ السرَّاء والضـراء : المراد بهمـا ـ فـى معنى الآيـة ـ حـالتا اليسـر والعسر، أو السـرور. والاغتمام.

٣ ـ العافــون : فى قـوله تعالى «والعـافين عن الناس» جمـع «العافى»، المراد بهـم فى الآية المتجاوزيـن عن أخطاء الناس فـى حقوقهم لا يؤاخـذونهم بها، ويتسامحـون معهم إذا أساءوا إليهم.

ثانيا: التفســـــــير:

قوله فى مبتدأ الآية «الذين ينفقون فى السـراء والضراء» هو وصف للمتقين المذكورين فى الآية السابقة الذين أعدت لهم الجنة، فذكر سبحـانه وتعالى أن من صفاتهم أنهم ينفقون فى

حال يسرهم وفـى حال عسرهم، ولمَّا كان الإنفـاق على العسر دليلا على الثقة فـى الله تعالى يرزق مـن يشاء وكـان ذلك لا يكون إلا مـن مؤمن، فقـد ظهرمـدى التناقض بيـن خلق الـذين أعدت لهم الجنة وسلوكهـم الذى يجب أن يسارع إلى التمثل به كل طـامع فيها، وبين خلق آكلى الربا الذى نُهى عنه المؤمنون وسلوكهم .

ثم يذكر سبحانـه وتعالى صفة أخرى من صِفات المتقين الذيـن أعدت لهـم الجنة، والتى يسعى المؤمنون ليبلغوها وأمروا من ربهم بالإسراع إلى ما يوصلهم للمغفرة من ربهم ليبلغوها، هذه الصفة هى كونهم يكظمون غيظهم، ومفاد هـذا أنهم يتعرضون من الناس لما يثير غيظهم بما يستدعـى الحنق ويثير الحفيظة، لكنهم لا يفعلـون وإنما يتجرعون غيظهم ويكتمـونه فى أنفسهم لا يبدونه، ولا تمتلىء نفوسهم برغبة الانتقام ممَّن أغاظوهم .

وبعد ذلـك يقول تعالى فـى هؤلاء إنهم العـافون عن النـاس «والعافين عن النـاس» وهى صفة ترتبط بكظم الغيـظ لأن كاظم غيظه لا ينفذه فيمن أغضبه، فإن أنفذه فيـه لم يكن عافيا عنه، لأنه لما كان العـافى عن الناس هو من تجاوز عن أخطائهم فـى حقه فلم ير أن ينتقم ولا أن يأخذ حقَّـه بالدعوى أو المطـالبة فإنه تعيـن أن يكون ـ فى مقـام أول ـ كاظما غيظـه ـ وقد يكون فى هذا القـول إظهار فضل ما كان منه ﷺ إذْ عفـا عن الرماة الذين تخلـوا عن مواقعهم فى أحد مخالفين أمره، وتركه ما قال عند مشاهـدته ما فعل المشركون بأسد الله حمزة بن عبد المطلب وكظم غيظه بعدم إنفاذ ما قال .

ويجىء قـوله تعالـى ـ فـى ختام الآية ـــ «والله يحب المحسنين» مبينـا أن الإنفـــاق فى السراء والضراء، وكظم الغيظ والعفـو عن الناس هو من الإحسان فى معناه عنـده تعالى لقوله تعالى إنـه يحب الموصوفيـن به، فضلا عن كـونه من الإحسان عنـد الناس لما فيه مـن إنعام عليهم.

كما يجـىء مبينا أن فـاعلى الإنفـاق وكظم الغيـظ والعفو عـن الناس ـــ وقد أحبهـم الله ـ سيكونون من المغفور لهم من ربهم الموعودين بالجنة .



وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾

أولا: الأســــماء :

الفاحشـــة : المراد بها ـ فى معنى الآية ـ الواحدة من الآثام المسماة بالكبائر، وقيل هى المعصية التى وقعت بالفعل ولم يقف الأمر بها عند حد محادثة النفس أو القول باللسان.

ثانيا: التفســـــير:

قيل إن قـوله تعالـى ـ فى الآيـة ـ جاء تتمـة ما أنزل حيـن قال المسلمون لـرسول الله ﷺ «اليهود كانوا أكـــرم على الله تعالى منا» فنزل قـوله تعـــالى «وســارعوا إلـى مغفرة من ربكم وجنـــة».

ونرى أن قـوله تعالى ــ فى الآية ــ «والذين إذا فعلـوا فاحشة أو ظلموا أنفسهـم ذكروا الله فاستغفروا لـذنوبهم» تضمن عطف «الذيـن إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهـم» ثم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم علـى المحسنين الذين ذكر سبحانه وتعالى فى الآيـة السابقة أنه يحبهم، فيكونون محبوبين لديه تعالى نالوا مغفرته واستحقوا جنَّته ».

والمعنيُّون بقوله تعالـى هـم المؤمنون الذين ارتكبوا فاحشـة أو كبيرة من الكبائر، أو ارتكبوا صغيرة من الصغائر ـ وهو المعبَّر عنه بظلمهم أنفسهم ــ ثم كان منهم بعد ارتكابهم الذنب أن تذكروا الله تعالى، والمعنى أنهم راجعوا أنفسهم فـى مخالفتهم أمره أو نهيه، وعصيانه فتذكروا ما نسـوه من أمره أو تناسـوه، وتذكروا يوم يعـرضون عليه بعـد أن غضوا عنه الطرف متنـاسين، فكان عاقبة ذلك أنهـم أحسُّوا هول ما فعلوا وخشوا مايلقون مـن العذاب لا يملك أن يعفيهم منه إلاَّ تعالى فاستغفروه أى طلبوا منه المغفرة .

وقوله تعالى «ومن يغفر الذنوب إلا الله» هو جملة اعتراضية تفيد واقع أنه وحده الذى له أمر العذاب وأمر المغفرة على ما سبق ذكره «يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء»، وهو قول يتضمن الإشارة إلى صواب فعل المستغفرين الذين سألوه أن يغفر ذنبهم لأنه تعالى هو وحده الذى يغفر الذنب.

وبعد قوله تعالى الذى وقع اعتراضا بين المعطوفين: سابقه ولاحقه، يجىء قوله تعالى «ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون». بمعنى أنهم لم يثبتوا على مقارفة الكبيرة أو الصغيرة مستمرين، لا يستغفرون ربهم منه ولا إليه يتوبون مع علمهم بأن فعلهم عصيان منهيٌّ عنه، مع الإصرار على ارتكاب الذنب وعلى العصيان.

والمعنى أنه إذا استغفر مرتكب الكبيرة أو الصغيرة من ذنبه أحبه الله، كما أنه تعالى يحب الذين لم يقيموا على ارتكاب المعاصى بغير استغفار ولا توبة، أى أنه يحب الذين عدلوا عن ارتكاب المعاصى بعد ارتكابها، أو الذين استغفروه وتابوا إليه كلما زلُّوا فارتكبوها.

وقيل إن مناسبة نزول الآية أن رجلين من المسلمين تآخيا، فخرج أحدهما فى غزوة مع رسول الله ﷺ ، وكان الآخر يتعهد زوجه، فشاهدها ذات يوم وقد اغتسلت ونشرت شعرها فأثاره حسنها فأقبل إليها يريد أن يقبِّلها فوضعت كفها على وجهها فقبَّل ظاهر كفها، ثم استحى منها فرجع، ثم ندم عن فعله فخرج إلى الجبال يسأل الله المغفرة و يتوب إليه. فلما عاد صاحبه وعلم من زوجه ما كان منه، خرج فى إثره لينتقم منه، فوجده ساجدا يسأل الله أن يغفر له ذنبه، فأخذه الرجل إلى رسول الله ﷺ ليرى فيه رأيه فنزلت الآية.

فسأل الناس عما إذا كان حكم الآية خاصا بالرجل وحده، فأجاب رسول الله ﷺ بأنه للناس عامة .

وقيل إن إبليس عليه لعنة الله لم يحزنه شىء من قوله تعالى فى كتابه مثل ما أحزنه قوله تعالى فى هذه الآية لأنها ـ عنده ـ لا يضرُّ بعدها أحد من الخلق بذنب ارتكبه إذا ما تاب واستغفر، وأنه لذلك دعا جنده وسألهم رأيهم فقالوا «نفتح لهم باب الأهواء فلا يتوبون ولا يستغفرون» .

أُولَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾

التفســــــير:

أشار سبحانه وتعالى إلى الذين استغفروا لـذنوبهم ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ـ المذكورين فى الآية السابقة باسم الإشارة أولئك لبيان بعد منزلتهم فى الفضل، وبعد أن ذكر سبحانه وتعالى أنـه يحبهم حبَّه المحسنين أو أنه يحب منهم توبتهـم إليه واستغفاره من بعد مقارفتهم الذنب.

فإنه تعالى ـ فى الآية ـ يبين ثمرة هذا الحب ومعناه، فقال تعالى «جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهـار». بمعنى أنه يكون جزاء توبتهم واستغفاره تعـالى أنه تعالى يغفر لهم خطـاياهم، وفى عبـارة النص «مغفرة من ربهـم» جاءت «مغفرة» «منونـة» للتفخيم فخامة ذاتها، ثم نسبـت إلى ربِّ المستغفرين بما يضفى عليها أو على معنـاها فخامة أخرى لتناسب قدرها.

ثم ذكـر تعالى الجنـات ضمن جزاء التـائبين المستغفريـن، والتفضل بها أو الإنعـام على المغفور لهم بدخـولها هو من توابع المغفـرة، وهى جنات داخلة ضمن الجنة المـوصوفة أنها عرضها كعـرض السماوات والأرض، زيد على وصفها الآنـف بالسعة وصف جـريان الأنهار فيها للإشعار بحسن المقام فيها وجمال ما فيها بما يلذ الأعين.

وبين سبحانه وتعالى أن المغفور لهم ذنوبهم يخلدون فى هذه الجنات .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «ونعم أجر العاملين» هو قول يفيد معنيين:

فهو ـ مـن جهة ـ تقرير بـأن الجزاء الذى يلقاه هؤلاء الـذين استغفروا لذنوبهـم ولم يصروا علـى ما فعلـوا وهـم يعلمون، هـو أجـر عظيم خليـق أن يمـدح، وصف بـالأجـر لبيان أنهـم يستحقونه، فى بيان لعظم أثر التوبة والاستغفار، وهوـــ من جهة ثانية ـ يبين أن هناك فارقا بين

منزلة هؤلاء ومنزلـة المتقين الذين اتقوا ربهم فلم يخطئوا بارتكاب الكبـائر، إذ أنه تعالى دعا هؤلاء المتقين بالمحسنين، وذكر أنهم أحباؤه أصلا.

وذلك على حين أنه تعالى دعا التائبين من الـذنب المستغفرين بالعاملين فبيَّن أنهم نالوا ما نالوا بـالتوبة والاستغفار وعدم إصرارهم علـى الذنب مع العلم، وأنهم دخلـوا فى معية من أحبهم الله من بعد المتقين .

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾

أولا: الأســــماء :

١ ـ **سُنن**: جمع سنـة، وهى ما يُستـن أو يُسن من قبل الشـارع أو المشرع وهو التشـريع أو القانـون أو الأمر النـافذ بـالقوة، شبِّـه بالسـن لأنه حـاد قاطــع يفصـل بين المشـروع وغير المشــروع، ولأنه ينطوى علـى الحدود. والمراد بهـا ـ فـى معنى الآية ــ الوقائع المتـلاحقة المتماثلـة التى كـانت مـن الأمم السابقـة أو فيها كمـا شاءت إرادة الله ــ وقيل إن المـراد بها الشرائع والأديان.

٢ ـ **المكــذبون** : فى قولـه تعالى «عاقبـة المكذبين»، المراد بهـم الذين كذبـوا الأنبياء والرسل.

ثانيا: التفســــير:

الخطاب فى الآية موجه إلى المؤمنين، مبدؤه إخبار بـأمر منظور، ونهايته أمر بالنظر فيما هو معروض على النظارة ليكون تدبر المعنى المراد إيصاله للعقول .

أما الإخبار فهـو ـ على الشائع ـ بحـدوث واقعات من أمم سبقت أمـة محمد ﷺ، وانتهاء هذه الواقعات على ما جرت به إرادة الله وسننه وطبيعة الأمور.

والذى نراه هو ما قال به البعض وهو أن الإخبار كان بانقضاء سنن أو شرائع سادت فى أمم سابقة، وانقضاؤها إنما كان بالإنساء أو بالنسخ، ومناسبة ذلك هو زعم اليهود أن شريعة موسى وما سنَّه الله تعالى له لا ينسخ وزعمهم أن القرآن كلام محمد ﷺ لما فيه من ناسخ ومنسوخ.

فقوله تعالى «قد خلت من قبلكم سنن» هو إخبار وتقرير بأنه كان قبل الشريعة الإسلامية - شرائع والمراد بها الأحكام وليس العقيدة - وجرى انقضاؤها.

ومن هذه الشرائع شريعة نوح عليه السلام، فالثابت من التوراة ومن القرآن أن الله تعالى أنزل على نوح شريعة بمعنى أحكام معاملات وأوامر ونواه، ومنها عدم تحريم شىء من المطعومات من الحيوان الذى يعيش فى البر أو فى البحر، أو يطير بجناحيه، وقد أنسيت هذه الشريعة، ونسخت قبل إنسائها بشريعة موسى عليه السلام، كذلك فقد نسخت شريعة موسى بالشريعة الإسلامية، لأن ما أقرَّه منها القرآن العظيم أصبح النص القرآنى هو ما سنَّه فيه الشارع الحكيم سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى «فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين» قيل إنه يعنى أمره تعالى المؤمنين أن يسيروا فى الأرض (أى أن يتجولوا فيها) وأن يُعملوا عقولهم فيما يرون أو يعلمون من أخبار من كذب الرسل والأنبياء من سوء العاقبة.

ونرى فيه - مقروءا مع قوله تعالى «قد خلت من قبلكم سنن» - أنه يعنى أن الشرائع السابقة كلها أو بعضها قد جرى عليها النسخ، وليس بشرط أن يكون النسخ منه تعالى، بدلالة أنه تعالى لم ينسبه فى الآية إليه، فمنه ما جرى نسخه بفعل البشر ومن أدواته التحريف.

وهو أمر لا يزال قائما مستمرا إلى اليوم، ومنه على سبيل المثال، ما فعله اليهود من تحريمهم مطعومات لم يحرمها عليهم سبحانه وتعالى فى التوراة وتحليلهم أكل أموال غير اليهود بالباطل وهو ما لم يحلُّه الله لهم فى التوراة.

ومنه أيضا ما فعله النصارى من تحريمهم الطلاق ومنعه وقد كان مشروعا فى شريعة

موسى بتحريفهم الإنجيل بتدوينهم فيه أنه قيل للمسيح عليه السلام «جاء فى الكتاب أن أعطوا المرأة كتاب طلاقها» أى أعطوها ما يدل على تطليقها، فقال عليه السلام «أما أنا فأقول لكم إن ما جمعه الربُّ لايفرقه إنسان»، ومنه أيضا أن المسيح عليه السلام كان يحرِّم أكل الخنزير وشرب الخمر، فلما دخلت النصرانية روما وكان من الشعوب الخاضعة لروما شعوب تأكل الخنزير وتشرب الخمر ويصعب عليها ألاتفعل هذا، أراد الرومان ألا يكون تمسُّك بأحكام الشريعة التى تحرم أكل الخنزير وشرب الخمر لئلا يكون ذلك مانعا من اعتناق هذه الشعوب النصرانية، فكان منهم تحليلها بتأويل نصوص الإنجيل أو أقوال المسيح عليه السلام.

ومنه أيضا ما هو مشاهد اليوم من الجماعات التبشيرية العاملة فى النصف الجنوبى من قارة أفريقيا حيث يجمع الرجال بين عدة نساء فكان من الجماعات التبشيرية إغفال النصوص المحرَّفة فى الإنجيل التى حرَّموا بها التزوج بأكثر من واحدة، كي لا يكون فى التمسك بها مانعا من اعتناق هؤلاء النصرانية .

فيكون معنى قوله تعالى «فسيروا فى الأرض» هو الأمر بالسياحة فى الزمان والمكان فيخبروا ما كان من أمر النسخ فى كل زمان وفى كل مكان، بما يثبت كذب دعوى اليهود أنه ليس من أحكام الشريعة ناسخ ومنسوخ.

وقوله تعالى «فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين» يفيد أنهم متى فعلوا هذا وأعملوا فيه عقولهم فإنه سيتبيَّن لهم سوء عاقبة المكذبين، والمكذبون المعنيُّون بالقول هم الذين كذبوا على الشريعة وعلى أوامره تعالى فيها بالتحريف، والذين كذَّبوا بأن فى الشريعة ناسخ ومنسوخ، والذين كذبوا بالقرآن العظيم كتابا ناسخا ـ فى الشريعة ـ ما جاءت به التوراة. وكذبوا برسوله عليه الصلاة والسلام رسولا مرسلا من ربه.

وقد كانت عاقبة اليهود أن ضربت عليهم الذلة والمسكنة أبد الدهر على ما سبق استظهاره من قبل، وكانت عاقبة النصارى أنهم لا تجتمع لهم كلمة وأنهم ينقسمون طوائف تقوم بينهم الحروب ويسقط فيهم القتلى جزاء بما كانوا يكفرون .

هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾

التفســـــير:

المشار إليه فى الآية بـاسم الإشارة «هذا» هو القرآن العظيم، أو ما ذكـره تعالى فى الآيات السابقـات من أخبـار الكافريـن، والمتقين، والتـائبين، وصفـه تعالى بـأنه «بيـان للناس» أى لجميع الناس ليعملوا فيه عقـولهم فيكون لهم فيه العظة والعبرة بما يتضمنـه من وعد ووعيد. ووصفه تعالى بأنه هدى لهم؛ لأن من شأنه أن يهدى إلى الحق إذا ما ابتعد الناس عن الحكم بما تهـوى الأنفس. وقولـه تعالى فيـه «وموعظة للمتقيـن» قد يفيد أن الـذين سيتعظون بـه هم الذيـن قدَّر سبحـانه وتعالـى فى شـأنهم أن يكونـوا من المتَّقيـن، لأنهم بإعمـالهم عقـولهم سيختارون طريق الحق و يبتعدون عن الباطل فيكون دخولهم فى عداد المتقين.

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾

أولا: الأســـماء :

الأعلـــون : جمع، واحـده «الأعلى» أفعل تفضيـل من «عال»، والمـراد به ـ فـى معنـى الآية ـ وفيها جاءت جملة «وأنتم الأعلون» حالا، هم الغالبون، أو الأعلى شأنا.

ثانيا: التفســـــير:

الخطاب فـى الآية للمـؤمنين ولأصحاب رسـول الله ﷺ، وهو عـود لقصة «أُحـد» تضمن التسريـة عن المؤمنيـن ووعدا لهم بـالغلبة على عدوهـم، وهو ما كـان من بعد إذْ لـم يخض الصحابة حربا مع رسول الله ﷺ أو بعده إلا كتب الله لهم وللمؤمنين معهم النصر والغلبة. ذلك أنـه أثَّر فـى نفـوس صحابـة رسـول الله ﷺ ما كـان فى «أُحـد» وحـزنوا علـى مـن فقدوا مـن المهاجرين وهم حمزة بن عبد المطلب ومصعـب بن عمير، وعبد الله بن جحش، وعثمان بن شماس، وسعد ـ مولى عتبة ـ رضى الله تعالى عنهم، كما فقدوا سبعين رجلا من الأنصار.

فجاء أمره تعالى لهم ألا يجعلوا مما لحق بهم فى «أحد» سببا يوهن نفوسهم فتضعف عن مقاتلة أعداء الدين، وألا يسترسلوا فى أحزانهم على من فقدوا من الأعزاء من المهاجرين والأنصار حال كونهم الغالبين فى عاقبة الأمر كما قدَّر سبحانه وتعالى وكونهم الأعلى شأنا من أعدائهم لكونهم على الحق حين أن عدوهم على الباطل .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «إن كنتم مؤمنين» لا يفيد معنى احتمال ألا يكون المخاطبون بالقول مؤمنين، وإنما معناه أنكم لما كنتم مؤمنين، وكان من شأن الإيمان الصحيح أن يبعث فى النفس الثقة بمؤازرته تعالى، فإنه يتوجب عليكم ألا تخشوا عدوكم وأن تثقوا فى نصره تعالى إياكم بحكم أنكم الأعلى وأنكم الغالبون بأمره .

إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾

أولا: الأسماء :

١ ـ القرح : فى قوله تعالى «إن يمسسكم قرح»، هو الجرح، وقيل إن قرئ بالفتح فهو الجرح، وإن قرئ بالضم فهو ألمه. والمراد به ـ فى معنى الآية ـ ما نال المسلمين فى «أُحد» من قتل الأعزاء، شبه بالجرح فى الجسم.

٢ ـ الشهداء : فى قوله تعالى «ويتخذ منكم شهداء»، هم الذين أكرمهم الله بالشهادة فى جهاد المشركين، وقيل إنهم سمُّوا «شهداء» لأن أرواحهم تصل الجنة، ولا تصل أرواح غيرهم إليها، فيشهدوها، أو تشهدها أرواحهم .

ثانيا : التفسير :

الآية الشريفة استئناف لخطابه تعالى المؤمنين، جاء قوله تعالى للتسرية عنهم، فقوله

تعالى «إن يمسسكم قرح فقـد مسَّ القوم قرح مثله» معناه: «إذا كان المشركـون قد نالوا منكم يوم أُحـد وأصابوا منكم القتلـى، فقد نلتم منهـم قبل ذلك يـوم «بدر» وقتلتم منهم أشـرافهم، ويجوز أن يكون المراد بما ناله المؤمنون منهم مـن قتلوهم منهم يوم «أحد»، وما كان من حال المشركين يوم ذاك إذْ رجعوا خائبين لم يفيدوا شيئا مما جنوا فى المعركة.

وقوله تعـالى «وتلك الأيام نـداولها بين الناس» أشير فيـه إلى الأيام باسـم الإشارة «تلك» تعظيما لها، والمراد بها الأوقات أو الأزمنة وليس الأيـام على حقيقتها بمعنى أنها تعنى أوقات الغلبة والظفر، بيَّـن سبحانه وتعالى أن سنَّته تعـالى جرت على أن تتبادل بيـن الأمم والأقوام، كـان هـذا فـى المـاضـى وسيبقـى مـادامـت الـدنيـا، ويشهـد علـى صحـة هـذا اختـلاف الإمبراطوريات والـدول على السيطرة والسيادة. وعلاقة تقـريره تعالى هذا الواقـع بما كان من غلبة المسلمين فى «بـدر»، ونيلهم الأذى فى «أحد» أن زمن كل منهمـا داخل ضمن الأوقات المذكور أنـه يتداول فيها الظفر والغلبة بيـن الدول، فكما دان الظفر للمسلمين فـى «بدر» فقد تخلَّى عنهم بعصيانهم رسـول الله ﷺ فى «أحد». وقوله تعالى هذا فيـه حثٌّ للمسلمين على ألا يكون فيما عانوا فى «أحد» سبب يثنيهم عـن مواصلة الجهاد، وعلى الأخذ بأسباب النصر والتزام طاعة رسول الله ﷺ .

ويبين سبحانه وتعالى علة مداولة النصر بين المؤمنين والمشركين بقوله تعالى «وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء»، جاء فيه لفظ «ليعلم» بمعنى «ليميز»، وعلمه تعالى وتمييزه بين المؤمنين وغير المؤمنين ثابت ومحقَّق، وإنما المراد به هو تحقق التمييز بين هؤلاء وهؤلاء لدى المؤمنيـن بما يستظهرونه من سلـوك كل فريق، وليس المـراد بالمؤمنين هو الـذين آمنوا بالإسلام دينا وبرسول الله ﷺ رسولا نبيا، لأن كل المخـاطبين بالنص هم كذلك، وإنما المراد بهم الثابتون على الإيمان، الراسخون فيه لايتزلزلون بما يصيبهم من أذى من المشركين .

ثم إنـه تعالى أوضـح أن من بين المـراد إيضاحـه من تبادل مـواقع النصر بيـن المسلمين والمشركين هو أن يُقتل من المسلمين من يقتل ليكونوا شهداء مكرمين بشرف الشهادة.

والقول يفيد أن هناك فرقا بين إرادته تعالى وبين أوامره لأن إرادته تعالى تعلقت بعلمه الأزلى، فقد نهى سبحانه وتعالى الكافرين عن قتل المسلمين، وأراد أن يكون من المسلمين شهداء، فخالفت الإرادة النهى، كذلك كان منه تعالى أنه نهى آدم عن الأكل من الشجرة، وأراد له أن يأكل منها، فكانت الإرادة على خلاف النهى.

وقوله تعالى - فى ختام الآية - «والله لا يحب الظالمين» مفاده أن الكافرين ظالمون، وأن المنافقين الذين تخلوا عن رسول الله ﷺ. ورأسهم عبد الله بن أبى هم ظالمون، وأنه تعالى لا يحب الظالمين، فإن كان قد قدّر لهم أن يكون لهم فى يوم نصر على المؤمنين فهو استدراج لهم وابتلاء للمسلمين لحكمة لديه تعالى، ومفاده - بمفهوم المخالفة - أنه تعالى يحب المؤمنين، وأنَّ لهم ألا يخشوا عدوَّهم، لأن حب الله تعالى إياهم مؤداه أنه ناصرهم على عدوهم فى الدنيا ومجازيهم خيرا فى الآخرة .

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾

التفسير:

جملة الآية الشريفة استئناف لبيان علة مداولة الأيام بين المؤمنين والمشركين، ذكر منها تعالى - فى الآية - تطهيره المؤمنين من ذنوبهم بما يصيبهم به من عدوهم فيكون فيما يلقون تكفير عن ذنوبهم وتخليص لهم من عقوباتها، ومن العلة أيضا - وعلى وجه مقابل - إهلاكه تعالى الكافرين، والمراد بهم الذين حاربوا رسول الله ﷺ يوم «أحد» واستمروا على الكفر، والمشهور أنه تعالى محقهم جميعا.

وفى جملة الآية يلاحظ بلاغة ذكر لفظ «يمحص» عند بيان فعله تعالى - المقصود - بالمسلمين، وذكر لفظ «يمحق» عند بيان فعله تعالى - المقصود - بالكافرين، لتعلقه بالصلة والتقابل بين نقيضين. فالتمحيص فيه إزالة، وهى إزالة الأوشاب التى علقت بعين المؤمنين أى بأشخاصهم مع بقاء الأشخاص أو «العين»، بمعنى أن الإزالة تكون للشوائب التى علقت

بها، فيكون من بعد ذلك بقاء «العين» أو الأشخاص نقية طاهرة. أما «المحق» فهو إزالة أيضا، لكنها إزالة «العين» ذاتها أو الأشخاص بإهلاكهـم. ويكفى بمعنى المقابلة بين اللفظين سببا للتسرية عن المؤمنين. وبث الثقة والطمأنينة فى نفوسهم .

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾

التفســـــــــير:

الخطاب فى الآية مـوجه إلى المؤمنين الذين هُـزموا فى «أحد» يجئ منه تعـالى بعد ذكره علل مـداولة الأيـام والنصر والهـزيمة بين المسلميـن والكفار، بـدأ باستفهـام استنكارى «أم حسبتم»، والأمر المستنكر حدوثه أو وقوعه هو الاعتقاد من المسلمين أنهم يدخلون الجنة دون أن يجاهـدوا ودون أن يصبروا «أن تدخلـوا الجنة ولمَّا يعلـم الله الذيـن جاهدوا منكـم ويعلم الصابرين».

فقوله تعالى «ولما يعلم الله» ليس يعنى أنه تعالى قد قدَّر ما كان ليعلم المجاهدين ويعلم الصابرين، لأنه تعالى هو الأعلم ولا يجوز عليه عدم العلم. وإنما المراد به إثبات أنه كان من المسلمين قعود عـن الجهاد وتقاعس، ونفاد صبـر وعدم التحلِّى به، وأنهـم استحقوا بهذا ألا يكون لهم النصر لأنهم لم يأخذوا بأسبابه.

فيكون المعنى المراد إيصالـه لأفهام المســـلمين هو أنه «لما كان ممـا لا يقبله العقـــل أن يطمع فى الجنـة من لا يعمل صالحا، فإنـه يكون أيضا مما لا يقبله العقـــل أنكم طمعتم فى النصر علـى عدوكم فى «أحد» ولـم تأخذوا بأسبابـه، فلم تجاهدوا ولـم تصبـروا، والقـــول بهذا المعنـى فيه حـث للمؤمنيـن على الأخـذ بأسبـاب النصر ومنهـــا الجهـاد والمجاهـدة والصبـــر.

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ١٤٣﴾

أولا: الأسـمـاء :

المـوت : المراد بـه ـ فـى معنى الآية ـ هو الاستشهاد، أو الحرب يحدث فيها القتل. وليس فى تمنى الاستشهاد شىء يكره لأنه لا يعنى إلا طلب أن يُكرم المرء بـه ولا يعنى طلب الهزيمة .

ثانيا : التفسـير:

قوله تعالى فى الآيـة خطاب لطائفة من مقاتلى «أحد» الذين لـم يثبتوا فى القتال وأظهروا فيه جبنا، وكـانوا ممَّن فاتهم القتـال فى «بدر» فأبدوا حزنهـم لهذا وقالوا «ليتنا قتلنـا كما قتل أصحاب بدر واستشهدنا كما استشهدوا» .

فقوله تعالى «ولقد كنتم تمنون الموت من قبـل أن تلقوه» هو تبكيت لهم ببيـان التناقض بين قـولهم وفعلهم، وهـو تذكير لهـم بما أبـدوه من تمنى القتـل والموت فى الحـرب ليفوزوا بالشهادة.

وقولـه تعالـى «من قبـل أن تلقوه» مفاده أن تمنيهـم الموت بـأفواههـم كان يحـدث وهم بعيدون عن ميدان القتال.

ثم يجىء قوله تعالى «فقد رأيتموه وأنتم تنظـرون» مفيدا أنهم عندما حدث وقابلوا الموت فى ميدان القتال.

عبَّر عنه بالرؤيـة، وزيد بأن ذلك كان منهم حال إلقاء النظر، ليفيـد المعاينة الحسِّية، كان منهم الجبن والتخاذل وليس الحـرص على الشهادة، فلم يثبتوا فى قتال فهزمـوا. فقوله تعالى هذا عتاب لهـؤلاء الذين تشدقوا بطلب الشهـادة فى سبيل الله، فلما أتيح لهـم أن يبلغوها أو ينتصروا جبنوا وهربوا فلم يكرموا بالشهادة ولم يجنوا نصرا.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

أولا: الأســـــماء والأعلام :

١ ـ محمـــــد : اسم علم، هو أول أسماء رسول الله ﷺ وأشهرها، مأخوذ من اسم المفعول للفعل «حمَّـد»، سمَّاه به جـدُّه عبد المطلب لـرؤيا رآها، وقـال إنه أراد له ﷺ أن يُحمـد فى السمـاء وفـى الأرض، ومـن معـانـى الاسـم «من يُحمـد كثيـرا»، و «مـن كثـرت خصالـــه المحمودة».

وهو ﷺ محمد بن عبد الله بـن عبد المطلب بن هاشم بن عبد منـاف بن قصيٍّ بن كلاب ابن مرَّة بن كعب بن لؤى بـن غالب بن فهربن مالك بن النضربن كنانـة بن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضربن نزاربن معد بن عدنان من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

وقـد اختلف فـى عدد الأجيـال وفى الأسمـاء بين عـدنان وبيـن إسماعيـل، والذى ذكـره الجوانى النسابة وهو المشهور فهو أن عدنان بـن إدٍّ بن إدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان، ابن نبت بن حمل بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الله.

وأمه عليه الصلاة والسلام هى آمنة بنت وهب بن عبـد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ـ وهو قريش ـ .

وُلد ﷺ يوم الإثنين فى الحادى عشر ـ فى قول ـ وفـى الثانى عشر ـ فى قول آخر ـ من شهر ربيع الأول مـن عام الفيل وكـان حدث الفيل فـى منتصف المحرم مـن تلك السنة، وتـوافق السنة الثـامنة والإربعين مـن ملك كسـرى أنوشروان وسنـة إحدى وثمانيـن وثمانمـائة لغلبة الإسكندر الأكبر على دارا ملك فارس، وهى سنة ألف وثلاثمائة وست عشرة لنبوخذ نصَّر.

مات أبوه ﷺ بيثرب ـ وهى المدينة المنورة ـ ودفن بها ورسول الله ﷺ حمل فى بطن أمه ـ فى قول ـ وقيل «وله شهران» ـ فى قول آخر ـ أرضعته حليمة بنت أبى ذويب بن الحارث السعدية، تسلمته من أمه وتوجهت به إلى بلادها بادية بنى سعد، توفيت أمه ﷺ وعمره ست سنوات، وتوفى جده عبد المطلب وعمره ثمان سنوات فكفله عمه أبو طالب، توجه به أبو طالب إلى الشام فى تجارة له وعمره ﷺ ثلاث عشرة سنة وكان بها راهب يدعى «بحيرا» قال لأبى طالب «ارجع بهذا الغلام واحذر عليه من اليهود فإنه كائن له شأن عظيم».

كان ﷺ أعظم الناس مروءة وحلما وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وأبعدهم عن الفحش فسمِّى فى قومه «الأمين».

تزوج من السيدة خديجة رضى الله عنها وعمره خمس وعشرون سنة وكان عمرها يومذاك أربعون سنة وبقيت معه بعد مبعثه عشر سنين وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات، ومنها أنجب ﷺ عبد الله والقاسم وإبراهيم من الذكور، وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة من الإناث.

بعث رسولا إلى الناس جميعا لما بلغ أربعين سنة وكانت السيدة خديجة رضى الله عنها أول من آمن له، أذن لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة لما اشتد عليهم أذى قريش ـ وهى المسماة بالهجرة الأولى ـ وأسرى به ﷺ فى سنة اثنتى عشرة للنبوّة، ومات عمه أبو طالب سنة عشر من النبوة، سافر إلى الطائف بعد موت عمه يلتمس النصرة من ثقيف فخذلته واجتمع منها عليه السفهاء فقال ﷺ «اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربى، على من تكلنى، إن لم يكن بك علىَّ غضب فلا أبالى».

ثم قدم ﷺ مكة، وجعل يعرض نفسه على القبائل فى موسم الحج ويدعوهم إلى الإسلام، وصادف أنه عرض نفسه ودينه يوما على نفرٍ من الخزرج من أهل يثرب وتلى عليهم القرآن فآمنوا به وصدقوه، فلما رجعوا إلى يثرب ذكروا ذلك لقومهم ودعوهم للإسلام فآمنوا، فلما كان العام المقبل حضر من يثرب قوم بايعوا رسول الله ﷺ فيما يعرف «ببيعة النساء»

فأرسل معهـم رسول الله ﷺ مصعب بن عميربن هـاشم بن عبد مناف بن عبـد الدارليعلمهم الشريعة ويقرئهم القرآن، وعلى يديه آمن كثيرون وأسلموا.

وفى سنة ثلاث عشرة من مبعثه ﷺ عاد مصعب بن عميرإلى مكة ومعه رجال ونساء ممن أسلموا مـن أهل يثرب بايعـوا رسول الله ﷺ فيما يعرف «ببيعـة العقبة الثانية» وفيهـا قال ﷺ: «أبايعكم علـى أن تمنعونى مما تمنعون منه نسـاءكم وأولادكم» ثم بسط يده وبسطـوا أيديهم وبايعوه ورجعوا إلى يثرب، فـأمر ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة فتتابـع خروجهم إليها، ثم هاجرإليها ﷺ فى التـاسع من ربيع الأول، وما بين أول المحرم من سنة الهجـرة إلى يوم وفاته ﷺ عشر سنوات وشهـران، وما بين يوم هجرته ويـوم وفاته ﷺ تسع سنوات وأحـد عشر شهرا واثنان وعشرون يوما، وبيــن الهجرة وبين مولد المسيح عليه السلام ستمـائة وإحدى وثلاثون سنة، وبين الهجرة وبين مولده ﷺ ثلاث وخمسون سنة وشهران وثمانية أيام.

غزا ﷺ الغزوات: غزوة بـدر، وغزوة بنى قينقاع، وغزوة قرقرة الكدر، وغـزوة أحد، وغزوة بنى النضير، وغـزوة ذات الرقاع، وغـزوة بدر الثـانية، وغزوة الخنـدق ـ وهى الأحـزاب ـ وغـزوة بنى قريظـة، وغزوة ذى قـرد، وغزوة بنى المصطلـق، وغزوة خيبـر، توجه ليعتمـر فيما عـرف «بعمرة الحديبية»، واعتمر فيما يعرف «بعمرة القضاء»، بعد فتحه مكـة أرسل خالد بن الوليد إلى بنى خزيمة فى سرية يدعوهم للإسلام، وغـزا غزوة حنين، وغزا غزوة تبوك، وحج ما يعرف «بحجة الوداع»، وبعد عودته منها إلى المدينة المنورة مرض ﷺ فى أواخرشهر صفروكان ببيت زوجه زينب بنـت جحش، ثم اشتد عليـه مرضه وهـو فى بيت زوجــه ميمونة بنت الحـارث فجمع نساءه واستأذنهن أن يبقى فى مرضه ببيت إحداهـن فأَذِنَّ له أن يبقى فى بيت عائشة رضى الله عنها فانتقل إليه وبقى به حتى توفى ﷺ فـى ضحى يوم الإثنين، ودفن ﷺ تحت فراشه الذى مات عليه.

وأولاده ﷺ هم مـن سبق ذكرهم، أنجبهـم من السيدة خـديجة رضى الله عنها، وإبـراهيم أنجبه من مارية سنة ثمان من الهجرة فى شهر ذى الحجة، وتوفى سنة عشر، تزوج ﷺ خمس عشرة امرأة دخـل بثلاث عشرة منهن، وقيـل دخل بإحدى عشـرة منهن، وتوفى عـن تسع غير

مارية سريته، والتسع هن: عائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر، وسودة بنت زمعة، وزينب بنت جحش، وميمونة، وصفية، وجويرية، وأم حبيبة، وأم سلمة رضى الله عنهن .

٢ ـ رســـول : المراد به ـ فى معنى الآية ـ نبىٌّ من أنبياء الله تعالى أصحاب الرسالات، أو الذين خلَّفوا شريعة أنزلها الله تعالى عليهم فبقيت من بعدهم، وفى هذا يشابه رسول الله ﷺ من سبقه من الرسل، إلا أنه يختلف عنهم فى كون شريعته باقية إلى يوم الدين على حين زالت شرائع من سبقه بالإنساء، وبالتحريف، وبالنسخ، فشريعته ﷺ نسخت شريعة عيسى عليه السلام التى كانت سارية قبل بعثته ﷺ .

ثانيا : التفســــــير:

الآية الشريفة تتمة عتابه سبحانه وتعالى المنهزمين فى «أحد»، ومفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أنه لم يكن لهم أن ينهزموا ولو كان محمد ﷺ قد قُتل، لأن النبوة لا تنافى الموت، ولأن رسالات الرسل لا تنقضى بموتهم.

وقيل فى مناسبة نزول الآية أنه لما حدث فى «أحد» من بعد ما كان من خالد بن الوليد ـ وهو يومذاك من المشركين ـ أن رأى رماة المسلمين يتخلون عن مواقعهم مخالفين أمر رسول الله ﷺ، وعاين ظهورهم خالية من الحماية فكان منه أن حمل على أصحاب رسول الله ﷺ فى نحو مائتين وخمسين فارسا ففرقوهم وقتلوا منهم من قتلوا، ورمى عبد الله ابن قميئة الحارثى رسول الله ﷺ بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه الكريم وأقبل يريد قتله فتصدى له مصعب بن عمير فقتله ابن قميئة ـ وقيل إن الرامى كان عتبة بن أبى وقاص، فرجع معتقدا أنه قتل رسول الله ﷺ وصرخ قائلا إنه قتله عليه الصلاة والسلام، وروى أن إبليس صاح قائلا إن محمدا قد قتل.

فإنه ذاع فى المسلمين أن رسول الله ﷺ قد قتل، فقال البعض بطلب الأمان من أبى سفيان، واقترحوا مد اليد بالأمان للمشركين، واقترح المؤمنون العود إلى دين الكافرين، وتصدَّى لهم آخرون منهم أنس بن النضر عم أنس بن مالك الذى قال «إن كان محمد قد قتل

فإن رب محمد لـم يقتل، وما تصنعون بالحياة بعـد رسول الله ﷺ، فقاتلوا على ما قـاتل عليه وموتوا على ما مات عليه»، ثم قال «اللهم إنى أعتذر إليك مما قال هؤلاء، وأبرأ إليك مما قال المنافقون» ثم رفع سيفه مقاتلا حتى كتبت له الشهادة.

وقولـه تعالى «وما محمـد إلا رسول قد خلـت من قبله الـرسل»، جاء فيه «محمـد» مبتدأ، وخبره هو رسول خلت من قبله الرسل، والمستفاد من الجمع بين «ما» النافية» وبين «إلا» أداة الاستثناء هو إثبات أنه ﷺ يماثل من سبقه من الرسل فى «الخلو» فى منصب الرسالة، بمعنى أنه كما خلا أمثـاله من الرسل من قبـل فإنه عليه الصلاة والسلام سيخلـوا أيضا، وعبارة الآية تقرر حقيقة يفترض أن تُتخذ مبدأً لكل عقيدة وكل فعل يترتب عليها.

ثم إن قـوله تعـالى ـ بعـد هذا ـ «أفـإن مات أو قُتـل انقلبتم على أعقـابكم» هـو استفهام يتضمن معنـى الاستنكار، والمستنكر هـو أن يحدث ارتداد عـن الدين ـــ فى المعنى الظـاهر للانقلاب على الأعقاب.

وقد يكـون المراد بـالانقلاب على الأعقـاب هو الفـرار من المعركـة والنكوص عـن جهاد الكفار، وسبب وقـوع الفعل المنكر على أهل «أحـد» هو اعتقادهم قتـل رسول الله ﷺ. فيكون معنى «أفإن مـات أو قتل انقلبتم على أعقابكـم» هو «أيكون منكم إذا مـات محمد أو قتل أن تنكصوا عن الجهاد فى سبيل نشر رسالته» والسؤال ـــ على ما سبق القول ـ يفيد استنكار وقوع ذلك من أهـل «أحد»، وجاء فيه قولـه تعالى «مات أو قتـل» رغم أنه سبحانه وتعـالى نفى أن يقدر المشركون على قتله ﷺ بقوله تعالـى «والله يعصمك من الناس»، وذلك ليناسب اعتقاد أهل «أحد» أنه ﷺ قد قتل.

وبعد أن أنكر سبحانه وتعالى على أهل «أحـد» ما كان منهم أو من بعضهم المخصوصين بالإنكار قال تعالى «ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئا»، وهو إعلام لهم بأنه تعالى لن يصيبه من ارتـداد من يرتد عـن الدين ولا من تخـاذل من يتخاذل عن نصـرة دين الله أى ضرر مهما كان ضئيلا، ويفهم من عبارة النص ـ بمفهوم المخـالفة ـ أنه يصيب نفسه بالضرر، فهو

يحرم من ثواب الجهاد وثواب الطاعة ويعرض نفسه لسخط الله عزَّ وعلا فيعرضها لعذابه.

وتختتم الآية بقوله تعالى «وسيجزى الله الشاكرين»، وفيه وصف سبحانه وتعالى الذين ثبتوا على الإسلام والذين ثبتوا على جهاد الكافرين ولم يجبنوا ولم يتخاذلوا بالشاكرين لأن ثباتهم كان وليد إيمانهم فكان منهم شكرا له تعالى، أو أنهم شكروه تعالى على أن أكرمهم بشرف الشهادة واختصَّهم بشرف الثبات فى الجهاد، والقول فيه معنى إسناد كفران النعمة إلى المتخاذلين وإسناد الكفر إلى المرتدين .

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾

أولا: الأسماء :

١ ـ **النفس** : فى قوله تعالى «وما كان لنفس» هى جنس النفس بمعنى نفس إنسان، وقد يكون المراد بها نفس رسول الله ﷺ .

٢ ـ **إذن الله** : المراد به ـ فى معنى الآية ـ إذنه تعالى لملك الموت بقبض روح الحيِّ فى أى مكان كان، وأيًّا مًا كان حاله فيدخل فيه الشهيد وغير الشهيد .

٣ ـ **الكتاب**: فى قوله تعالى «كتابا مؤجلا» المراد به ـ فى معنى الآية ـ مكتوب، أى أنه تعالى كتب الموت كتابا فكان أجل الموت مكتوبا .

٤ ـ **المؤجل** : فى قوله تعالى «كتابا مؤجلا»، معناه المرجأ إلى أجل، أو الذى له أجل. وأجل الموت هو وقته أو وقت حصوله، لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى .

ثانيا : التفســـــــــير:

جملة الآية استئناف لمخاطبته سبحانه وتعالى أهل «أحد» يتضمن لوم من خشى الموت منهم فجبن أو لاذ بالفرار، ولوم من حسب أن رسول الله ﷺ قد مات فمدَّ يد الصلح للمشركين ومن زاد فى ذلـك ففكر فى العودة إلى دين آبـائه، ويتضمن ـ بعد ذلك ـ حضًّـا على الجهاد لأن من يعرف أن أجله مواتيه فى وقته سيتساوى لديه الجهاد والقعود من جهة المحافظة على النفس.

وبالنظـر إلى أن لومه تعـالى أهل «أحد» إنمـا كان لما صـدر من بعضهم من أفعـال حين خشوا الموت، ومـا صدر من آخرين حين اعتقـدوا أنه ﷺ قد قتل، فإن المراد بــ «نفس» فى قوله تعالـى «وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله» يقبل أن يكون مطلـق النفس أو نفوس أهل «أحد»، ويقبل أن يكون هو نفس رسول الله ﷺ.

ومعنى قوله تعالى أن نفسا لن تزهق بسبـب من الأسباب ـ ومنه القتل الذى قد يكون غيلة وقد يكـون فى الحرب ـ إلا إذا أذن سبحـانه وتعالـى لملك الموت الموكـل بقبض الأرواح أن يقبضها.

وقولـه تعالى «كتابـا مؤجلا» مفاده أن مـوت كل نفس مكتـوب منه تعالى ومكتـوب أيضا الإذن به ووقته المحدد فى الآجل الذى لا يتقدم ولا يتأخر.

والقول ـ على هذا ـ يفيد معنى أن الهروب عن الجهاد لن يطيل أجل من انتهى أجله، كما أن الجهاد والقتال لـن يميت من لم يـأت أجل موته أو الإذن بـه. وفيه حث على نبـذ الخوف وعلى الجهاد فى سبيل الله .

وقوله تعالى «ومن يـرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخـرة نؤته منها» يتضمن عدَّة معان، فهـو من جهة يفيـد أن من الناس من يحـب الدنيا ويسعـى لها سعيها. وأن منهـم من يحب الآخـرة ويسعى لها سعيها، فيكـون معنى «الإرادة» هو إرادة الشىء أو استهـدافه و إرادة الفعل الموصل إليه .

ويعنى أنـه سبحانه وتعـالى اعتبر الـذين خالفـوا أمر رسول الله ﷺ فـى «أحد» فنزلـوا عن مواقعهم ليغنموا مع الغانمين ما خلف المشركـون، اعتبرهم سبحانه وتعالى ممن أرادوا ثواب الدنيـــا.

وأنه تعالى اعتبر الذين ثبتوا وجاهدوا من الذين أرادوا ثواب الآخرة، وأنه اعتبر الذين خشوا على أنفسهم المـوت فأرادوا مدَّ يد الصلح لأعـداء الله ممَّن أرادوا ثواب الدنيا، واعتبـر الذين منعوهم هذا وقاتلوا حتى استشهدوا من الذين أرادوا حسن ثواب الآخرة.

ثم هو يعنى أيضـا أنه سبحانه وتعالى سيكـون منه ـ إذا شاء ـ أن يعطى كـلاً من الفريقين مما أراد، فإذا شاء مـدَّ فى عمر من جبن عن القتـال حبًّا فى الحياة، وحرمه الخلـود فى الجنة فى الآخرة.

وإذا شاء رزق الذى ترك مـوقعه فى المعركة من أجل الغنائم، وحـرمه رزق الجنة الذى لا ينفد.

وهو تعـالى إن شاء رزق الذى جـاهد فى سبيله كـرامة الشهادة فكـانت لروحه الحيـاة فى الجنة حين الأرواح فى البرزخ، وأحياه حياة طيبة فى جنة الخلد.

وإن شاء أطال لـه فى حياته فى الدنيـا وأخلده فى الجنة والآخرة، وهو إن شـــاء رزق من أنفق مالـه فى سبيل الله فى الدنيـا مثل ما أنفق أضعافـا مضاعفة، ورزقه فى الآخـرة من ثمار الجنة.

والقول وإن جاء فـى أهل «أحد» إلا أن معناه عام يفيد أنـه مراد بذاته حاكمٌ مـا يجدُّ من الأحداث .

وتختتم الآية بقوله تعالى «وسنجزى الشاكريـن» ومنهم الذين أرادوا الآخرة الذين جاهدوا فى «أحـد» وجزاؤهم أن يعطيهـم سبحانـه وتعالى ممـا أعدَّ للذيـن أرادوا الآخرة وسعـوا لها سعيها. وقد أُبهم ما يكون الجزاء وقدره، ونسب فعله إليه تعالى مع التعظيم «وسنجزى» لبيان عظم ثواب الشاكرين، وكونه مما لا تدركه العقول .

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾

أولا : الأســـماء :

ربِّيـــون : جمع، واحـده «ربى»، قيل إن اللفـظ منسوب إلى «الـرِّبة» وهى الجمـاعة الكبيرة، فيكون «الـربيون» الجماعة الكثيرة. وقيل هـم الأتباع، وقيل إن الربِّى هو الـواحد من العباد الذين ناصروا الأنبياء وصبروا معهم، فيكون «الربانيون» منسوبين إلى «الربوبية» بمعنى الذين عرفـوا الله وعبدوه عبادة معرفة. ونميل إلى أن المـراد باللفظ ـ فى معنى الآيـة ـ هو هذا الأخير.

ثانيا : التفســـير:

عبارة الآية استئناف للوم المنهـزمين فى أنفسهم الذين انهزموا بذلك فـى أحد لكونهم لم يتمثلوا بالربييـن الذين جاهدوا مع الرسـل مع أنهم الأولى أن يكون منهم هـذا لما وصفهم به سبحانه وتعالـى من كونهم خير أمة أخرجـت للناس، وكونهم من الشـــهداء علـى غيرهـم من الأمم.

وفى مراد قولـه تعالى «وكأين من نبى قـاتل معه ربيون كثير» وفيه جـاءت «وكأين» بمعنى «وكم» لبيان كثـرة حدوث المخبر عنه ـ وأصلهـا: أى، دخلت عليها كاف التشبيه ـ وقيل فى معنى «من نبى قاتل معه ربيون كثير» أن المراد بلفظ «قاتل» هو «قُتل» ـ الفعل مبنيا للمجهول وأن المعنى هو أن كثيرا من الأنبياء قُتلوا ومعهم ربيون كثيرون، أو أن كثيرا من الأنبياء قتلوا فلم ترتد أممهم.

وفى المراد من قولـه تعالى «فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ومـا ضعفوا وما استكانوا» أنه وصف لحال الذين بقوا من الربيين بعد قتل الكثيرين منهم مع أنبيائهم، فإنهم لم يصبهم

الوهـن وهو الضعف الشـديد يشعـرون به من جهـة العدو فلا يقـاتلونـه، ولذلك أظهـر النص العلاقـة بين الوهـن وبين ما أصيـب به الربيـون «لما أصابهـم فى سبيل الله» ليبيـن أن سبب الوهن وهـو ما لقيه الربيون مـن أعدائهم، ومن وصفه سبحانـه وتعالى الربِّيين أيضـا أنهم لـم يضعفوا ولم يستكينوا «ومـا ضعفوا وما استكانوا» بمعنى أن هممهم لـم تفتر عن الجهاد، وأن عقيدتهم فى الديـن وإيمانهم به لم تتزعزع، كما أنهم لم يخضعـوا لعدوهم خضوع جسد أو روح.

والرأى عندنا فى المراد من قوله تعالى «وكأيـن من نبىٍّ قاتل معه ربيون كثير» ـ والله تعالى أعلم بالصحيح ـ.

أن المراد بالفعل «قاتل» هو المقاتلة أو مقـاتلة غير المؤمنين وليس معناه «قتل» لأن الفعل «قاتـل» يفيد معنى وقوع الفعـل من شخصين أو من طـرفين ـ فى اللغـة ـ كما أن هذا هـو ما يثبته الواقـع، بيان ذلك أنه إذا كـان المقصود «بالنبىٍّ» فى معنـى الآية هو «الرسـول صاحب الرسالة» فإنه لـم يقاتل من الرسل إلاموسى عليه السلام ومحمـد ﷺ، ولم يُقتل أحدهما فى قتال، و إذا كان المقصود بالنبى عموم الأنبياء .

فإنه قد قـاتل من هؤلاء يوشع بن نون، وهـو أيضا لم يُقتل فى حربه، كمـا أنه لم يُعرف أن نبيا قُتـل فى حرب، وآيـة ذلك أن داود عليـه السلام حين قـاتل جالـوت ولم يكـن داود عليه السلام يعرف شيئا عن القتال، كما أنه لم يكن قد بعث نبيا.

ومفاد ذلـك أن المراد بقولـه تعالى «وكـأين من نبىٍّ قـاتل معه ربيـون كثير» هو بيـان كثرة حصول القتـال ووقوعه بيـن الأنبياء والمؤمنيـن بهم ـ مـن جهة ـ وبيـن أعداء الله ـ مـن جهة أخرى ـ وليس المراد بالكثرة هو كثرة عدد الأنبياء و إنما كثرة عدد واقعات القتال، أو كثرة عدد الربيين المقاتلين مع النبى.

وفى معنى لفظ «ربيين» فإننا نرى أنه يعنى المنسوبين إلى ربهم لتفانيهم فى طاعته إيمانا به وبرسوله وطاعة له تعالى ولرسوله.

وليس معنـاه المقصود فى الآية هـو «الجماعة الكثيرة العـدد» التى قيل إنها تبلـغ السبعة آلاف، لأنه لو كان ذلك صحيحـا لما احتاج الأمر إضافة لفظ «كثير» لإفـادة الكثرة زيادة على الكثرة المستفادة من معنى «ربيين»، لأن مثل هذا العدد يعتبـر كثيرا فى المقاتلين اليوم ـ على ازدياد عـدد الخلق ـ ويعتبر كثيـرا جدا بالنسبـة لعدد الخلق يـوم وقوع القتال المشار إليـه فى الآية.

ومفاد هذا أن يكون المراد مـن قوله تعالى هو «وكم حدث أن نبيا قـاتل أعداء الله ومعه من قومه مؤمنـون صحَّ إيمانهم فأصبحوا جديـرين أن ينسبوا إليه تعالى ويسموا ربـانيين» ـ وبعد ذلك يجيء قوله تعـالى «فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفـوا وما استكانوا» مشيرا إلى أنه قد أصابهم فى سبيل الله ما من شـأنه أن يوهن النفوس فتضعف عن مواجهة العدو أو أن يضطرهم إلى الخضوع إلى عدوهم والاستكانة إلى مسالمته ـ وهو ما يكون بالهزيمة تلحق بهم وبقتل الكثيرين منهـم ـ ومصرِّحًا بأن ذلك لم يحدث منهـم فلم يصبهم وهن ولا ضعف ولم يستكينوا لعدوهم.

ومعلوم أن موسى عليه السلام ومن معه قد لاقوا الهزيمة، وفى التوراة التى بين أيدينا اليوم ذكر ذلك فقد ورد فى سفر التثنية فى الإصحاحات من ٤١ إلى ٤٤ أن موسى عليه السلام قال لأتباعه «فكلمتكـم ولم تسمعوا بل عصيتم قـول الرب وطغيتم وصعدتم إلـى الجبل، فخرج الأموريـون الساكنون فـى ذلك الجبل وطـردوكم كمـا يفعل النحل وكسـروكم فى سعيـر إلى حرمة».

وقوله تعالى هذا يتضمن توبيخا للمتخاذليـن وحثا لهم على نبذ الشعور بالضعف والوهن من نفوسهـم وعلى الجهاد فـى سبيله تعالى ليكونوا جديرين أن ينسبوا إليـه تعالى وأن يكونوا جنود الله .

ويجيء قوله تعـالى ـ فى ختام الآية ــ «والله يحب الصابرين» متضمنا الثنـاء على الذين يصبرون على ما يصيبهم من المكاره فى سبيله، ومنهـا فقد الأعزاء الذين قتلوا، وفقد الأموال، وذل الهزيمة، والمـراد بالصبر ـ استـدلالا بالمراد بالآية ــ ليس صبر العاجـز المستكين لكنه

صبر القوى الإيمان الذى يدفعه إيمانه إلى عدم الاستكانة إلى الهزيمة ولا لعدو، وإلى معاودة الجهاد فى سبيل الله لنصر دينه.

وفى هذا الثناء ـ كما لا يخفى ـ حثٌّ للمنهزمين فى أحد على معاودة الجهاد فى سبيل الله ونبذ آثار الهزيمة من نفوسهم .

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٤٧﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **الذنوب** : فى قوله تعالى «اغفر لنا ذنوبنا» المراد بها فى معنى الآية هو الصغائر ـ على المشهور .

٢ ـ **الإسـراف** : فى قوله تعالى «وإسرافنا فى أمرنا»، هو الإفراط فى الشىء، وهو مجاوزة الحد. والمراد به ـ فى معنى الآية ـ هو «الكبائر» ـ على المشهور .

ثانيا : التفسـير:

يذكر سبحانه وتعالى ـ فى الآية ـ ما كان من قول الربانيين الذين قاتلوا مع الأنبياء فحاقت بهم الهزيمة ونالهم الضرر بفقد الأعزاء وخسارة المال، من بعد ذكره تعالى ما كان من فعالهم بنبذ الهزيمة من النفوس ومعاودة الجهاد، فيقول تعالى إنهم قالوا «ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين».

والرأى عندنا ـ والله أعلم ـ أن قوله تعالى فى الآية يثبت أن المشار إليهم هم المؤمنون بموسى عليه السلام ، كان منهم الفعل وصدر عنهم القول بعد أن عصوا موسى ما أمرهم به، ثم عصوا الله بعد أن ذكر لهم أن ما أمرهم به هو ما قاله له سبحانه وتعالى وأنه أمره تعالى، فكان عصيانهم موسى عليه السلام هو الذنب الذى سألوا الله أن يغفره لهم، وأن عصيانهم الله

هو الاسراف فى أمرهم، لأنه كان فيه تماد فى الإصرار على العصيان، وتطاول على أمره تعالى فاعتبروه من الكبـائر، ويدعم هذا أنه مكتوب فـى التوراة التى بين أيدينا اليـوم أن موسى عليه السلام قال لهم «فأجبتـم وقلتم لقد أخطأنا إلى الرب .... فقال الـرب قل لهم لا تصعدوا ولا تحاربـوا لأنى لسـت فى وسطكـم لئلا تنكسـروا أمام أعـدائكم، فكلمتكـم ولم تسمعـوا بل عصيتم قول الرب وطغيتم».

وتتمة قول الربِّيين المذكورين هو دعاء «وثبت أقـدامنا وانصرنا على القوم الكافرين» جاء بعد سؤالهم الله تعـالى أن يغفر لهم ذنوبهم وإسرافهـم فى أمرهم أو أن يغفر لهم مـا قرفوا من صغائر وكبائر، أو عصيانهم نبيهم وعصيانه تعالى.

وفيه إشارة إلى اقتنـاعهم بأن ما نالهم مـن الهزيمة ومن القتل ومن الخسـائر إنما كان بما قرفوا من الـذنوب صغيرها وكبيرها، وفى الإقـرار بها طلب التوبة عليهم منه تعـالى وإعلانهم براءتهم مما ارتكبوا والتوبة عنه.

ومعنى الدعاء أن يقوِّى الله عزائمهم وأن يشدَّ قلوبهم فيثبتوا فى القتال حتى ينالوا الشهادة أو ينالوا النصر الذى سألوا الله أن يثيبهم به على عدوهم.

وصفوه بالكفر لبيان أنهم بتوبتهم استحقوا أن يوصفوا بأنهم مؤمنون، وهو تعالى الذى وعد المؤمنين بالنصر «ولينصرن الله من ينصره».

فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **ثواب الدنيـــا** : المراد به ـ فى معنى الآية ـ النصر، ويجوز أن يكون معه الغنيمة تغنم

من الأعداء، سمِّى ثوابا لأن فيه معنى «الجـــزاء» على الإيمان والطاعة والجهـاد فى سبيل الله .

٢ ـ ثواب الآخـــرة : هو جزاء المؤمنيـن على إيمانهم وفعلهم الصالحـات، وحسنه هو رضوان الله، لأن فيه تكليم الله تعالى المرضى عنهم ورؤيتهم وجهه الكريم .

ثانيا : التفســـير :

قوله تعالى ـ فـى الآية ـ بيان لما كان منه تعالى مع الربِّيين الـذين كان منهم الفعل وصدر عنهم القول المذكوران، فذكر تعالى بأنه آتـاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة، «فآتاهم الله ثواب الـدنيا وحسن ثـواب الآخرة»، جـاءت «الفاء» فى قـوله تعالـى «فآتـاهم» لبيان عـلاقة السببية بين فعلهم وقولهم وبين ما أنعم الله به عليهم من الثواب .

وثواب الدنيا الذى آتاهـم الله هو نصرهم على عدوهم وفوزهم منه بـالغنائم، ذكر قبل ذكر ثواب الآخرة بمـراعاة الأسبقية فى الزمـان ـ من جهة ـ ولأن هذا هو ما سأل الـربيون ربهم أن يعطيهم ـ من جهة أخرى ـ والمراد بحسن ثـواب الآخرة الذى أنعم الله به عليهم هو أحْسَنُ ما يجازى به تعالى المؤمنين الطائعين.

وقد ورد التعبير عن إنعامه تعالى عليهم بالفعل الماضى «آتاهم» لبيان حتمية وقوع الإنعام منه تعالى عليهم بما ذكر من حسن الجزاء فى الآخرة .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «والله يحب المحسنين» يتضمن معنيين :

أولهما : وجوب إقران الإيمان بالعمل الصالح والتصدق، ليعدَّ المؤمن محسنا.

وثانيهما : أنـه تعالى يحب المحسنيـن، بمعنى أنه ينعم علـى من اتصف بالإحسـان بما يودُّه المحب لمحبوبه، ولمـا كان ما عند الله تعالى كثير لانفاد له، فـإن المعنى المراد إيصاله للمؤمنين يكون حثهم على العمل على أن يكونوا جديرين أن يوصفوا بالمحسنين لينعموا منه تعالى بما ينعم به المحبوب من حبيبه .



﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

أولا : الأســـماء :

الذين كفروا : يقبل معنى قوله تعالى فى الآية أن يكون المراد بهم ـ بمراعاة أسباب النزول ـ المنافقـون الذين قالوا للمـؤمنين عند الهزيمة فـى أحد «ارجعوا إلى إخوانكـم وادخلوا فى دينهم»، ويقبل أن يكون المراد بهم اليهود والنصارى الذين سعوا إلى بث الشك فى نبوته ﷺ فى نفـوس المؤمنين حيـن وقعت الهزيمـة فى أحد فقالـوا لهم «لو كـان محمد نبيا حقـا لما غلب»، ويقبل أن يكون المراد به عموم الكافرين فى كل زمان.

ثانيا : التفســـير:

قوله تعالى هو نهى للمـؤمنين عن طاعة الكافرين فيما يحدثونهم فيـه من أمر الدين، جاء الخطاب فيه موجهـا إليهم موصوفين «بالمـؤمنين» ليكون فى ذلك حثٌّ لهـم على أن يتمثلوا المؤمنين الربِّيين الذين ناصروا الرسل وثبتوا على إيمـانهم ولم يتأثروا بأقاويل الكافرين حين كانت لهم الغلبة عليهم .

وقد جاءت عبـارة النهى فى شكل جملـة شرطية مفادهـا أنه إن كان من المـؤمنين سماع للكافريـن وتفكير فيما يقولـون ـ عبِّر عنه بالطـاعة على بعدها مـن المؤمنين للكافـرين لبيان خطورة مؤداها عند البعض، ولمماثلتها إياها فى الإثم .

فإن ذلك قد يؤدى إلى رؤية رأى الكافريـن والتفكير فى طاعتهم أو عقد العزم عليها، وهو ما إذا حدث يكون من شأنه أحد أمرين:

أولهما : أن يعقب التفكير والتصميم ارتداد عن الدين والعودة إلى الشرك .

وثانيهما : أن يقف الأمر عند حد التفكير والتصميم فيكون منكم أحد أمرين:

إما النفاق، وإما الشك فى الدين، وكلاهما ارتداد عن الدين وعود إلى الشرك لأن من أوصاف المؤمنين أنهم لا يرتابون فى دينهم.

ويبين سبحانه وتعالى نتيجة ما يؤدى إليه السماع إلى الكافرين بقوله تعالى «فتنقلبوا خاسرين»، ومعناه أنهم يؤوبون بالخسران المبين، وهو خسران ما كسبوا بإيمانهم وما كسبوه فيه، وأنهم يبوءون بغضبه تعالى عليهم وهذا هو الخسران المبين .

بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾

التفسير:

جاءت «بل» فى مبدأ قوله تعالى لبيان الانقطاع عما سبق من القول مع بقاء معناه والمراد منه والمطلوب علم المؤمنين به، وبعدها جاء قوله تعالى «الله مولاكم» تقرير بأنه تعالى هو المتولى أمر المؤمنين المخاطبين بالنص فهو وحده الذى بيده أمرهم ومتوليه، وفى القول تقرير بأنه ليس الكافرون هم أولياء المؤمنين ولا الجديرين أن يكونوا أولياءهم، فيكون متضمنا - إلى جانب نفى ولايتهم - النهى عن موالاتهم .

ثم يجىء قوله تعالى «وهو خير الناصرين» إثبات لأنه إذا كان هناك ناصرون لأتباعهم، فإن هؤلاء الناصرين تجوز عليهم الهزيمة ويجوز عليهم ألا تؤدى مناصرتهم أتباعهم إلى نصرهم، أما سبحانه وتعالى فإنه القوى الذى لا يُغلب، والذى إن نصر أحدا فإنه لا يُغلب، فهو خير الناصرين .

والقول بهذا المعنى يتضمن حثًّا للمؤمنين على أن يلجؤوا إليه وحده ناصرا ووليًا وأن تكون الطاعة له ولرسوله .

■■■■■■

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **الذيـن كفروا** : المراد بهـم ـ فى معنى الآيـة ـ أبو سفيان والـذين معه من المشـركين الذين حاربوا رسول الله ﷺ فى أحد .

٢ ـ **الرعـــــب** : هو الخوف والفزع يملأ القلب، بسبب وبغير سبب معقول يؤدى إليه.

٣ ـ **السـلطان** : فى قـوله تعالـى «ما لـم ينزل بـه سلطانا» هـو الدليل الصحيـح والحجة البيِّنـة .

٤ ـ **المثـــوى** : فى قوله تعالى «وبئس مثوى الظالمين» هو مكان الإقامة .

ثانيا : التفســير:

جملة الآية مـن خطابه تعالى المـؤمنين من بعد هـزيمتهم فى أحد، لأنهم كـانوا يخشون عودة أبى سفيان ومن معه من المشركين إليهم مـن بعد أن ارتحلوا، فجاء قوله تعالى «سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب» مطمئنا المؤمنين إلى أنه لن يكون من المشركين عود إليهم ولا عليهم لأنه تعالى سيبث فى قلوبهم الخوف والهلع من العودة لقتال المؤمنين.

وجاء التعبير عنه تعالى بـ «نون العظمة» فى قـوله تعالى «سنلقى» لتأكيد الفعل الذى وعد به، وهو إلقاء الرعب فى قلوب الكافرين .

وقد تحقق قوله تعالى هذا إذ أنه بعد أن ارتحل المشركون وأثناء سيرهم متوجهين إلى مكة قال بعض المشركين لإخوانهم «بئس ما صنعتـم»، إنكم قتلتموهم حتى إذا لم يبق إلا الشريد تركتموهم، ارجعوا فاستأصلوهم» ، فكان منه تعالى أنه قذف فى قلوبهم الرعب من المؤمنين

فخشوا إن هم عادوا إليهم أن يكون المسلمون قد جمعوا شتاتهم واستعدوا لهم فيكون لهم النصر، فأحجموا عن العودة إلى قتالهم من جراء هذا الخوف.

وفى هذا جاء قوله ﷺ «نصرت بالرعب مسيرة شهر يقذف فى قلوب أعدائى».

ويبين سبحانه وتعالى سبب إلقائه الرعب فى قلوب الذين كفروا وعدم سماحه لهم أن يعودوا إلى المسلمين المثخنين بجراح الهزيمة، وعدم نصرهم عليهم النصر المؤزر، فيقول تعالى «بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا».

فيبيِّن تعالى أن ما كان منه تعالى كان بسبب إشراكهم بالله بما اتخذوا من الأصنام معبودين من دونه بدعوى أنهم يقربونهم إليه تعالى، وهم شرك لا يقوم عليه دليل ولا حجة صحيحة تقيم له شبهة، فلم ينزل الله تعالى على أحد من رسله ما يفيد صحة اتخاذ الأنداد.

وقد جاء قوله تعالى بنفى أنه تعالى أنزل الدليل على إجازة التوسل إليه بالأصنام لأن المشركين كانوا يؤمنون بوجود الله، وكانوا يشركون باتخاذهم الأصنام معبودات بدعوى أنهم يقربونهم إليه تعالى زلفى، فأثبت تعالى افتراءهم فيما يقولون وأنه تعالى لم ينزل حجة تسيغ اعتقادهم فيستندون إليها.

وفى ختام الآية يجىء قوله تعالى «ومأواهم النار، وبئس مثوى الظالمين» متضمنا مآل هؤلاء المشركين من بعد أن ألقى فى قلوبهم الرعب بإشراكهم بالله إشراكا عاريا من دليل يدعمه، فيذكر أنهم فى الآخرة يأوون إلى النار لا يجدون لهم مأوى غيرها، فتكون هى محل إقامتهم التى فيها يخلدون.

ثم يصف سبحانه وتعالى هذه النار التى يأوون إليها ويقيمون فيها بأنها شر مأوى ومثوى، وفى القول ذم للمشركين الذين بئس مثواهم النار.



﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾

التفســــــير:

قوله تعالى فى الآية ردٌّ على القائلين من المسلمين بعد هزيمتهم فى أحد «من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر» فنزل قوله تعالى مثبتا أنه تعالى صدقهم وعده، فقد جاء وعده تعالى إياهم بالنصر مقرونا بشرط تمسكهم بالصبر وباتقائه تعالى على ما جاء بقوله تعالى «إن تصبروا وتتقوا»، ووعدهم سبحانه وتعالى بأنهم إن بقوا على الصبر والتقوى أن يمدهم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين، فلم يكن منهم الصبر ولا التقوى، أى أنه لم يتحقق الشرط الواقف، فوجب ألا يتحقق المترتب على تحققه.

ذلك أن الثابت أنه عندما أمر رسول الله ﷺ الرماة بعدم ترك أماكنهم أنهم خالفوا أمره، وليس هذا من التقوى، وأنهم عندما رأوا الغنائم انصرفوا عن متابعة العدو وعن الجهاد، كما أنهم لما رأوا قوة العدو وكرَّه عليهم جبنوا عن قتاله، وليس فى هذا صبر.

وبعد أن أثبت سبحانه وتعالى أنه صدق المسلمين وعده فإنه تعالى فصَّل ما كان من أمرهم مع أنفسهم ومعه تعالى وما كان منه تعالى معهم وما كان بينهم وبين عدوهم.

وذلك بترتيب الأحداث كما كان وقوعها، فقال تعالى «إذ تحسونهم بإذنه» بمعنى أنه كان منكم ولكم فى مبتدأ الأمر أنكم قتلتم منهم وأعجزتم من أذن الله لكم أن تقتلوا وأن تعجزوا، لأن معنى «الحسّ» هو إصابة الحاسَّة بضرر يبطل عملها فإصابة القلب والدماغ والكبد يرتب

الموت،وإصابة غيرها يعجز عن مواصلة القتال أو عن مباشرة شئون الحياة .

ثم يذكر تعالى أنه كان منهم بعد ذلك الفشل والتنازع فى الأمر وعدم اجتماع الكلمة والعصيان، وذلك بقوله تعالى «حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون»، وفيه جاءت «حتى» لبيان أن الهزيمة إنما كانت من بعد ما كان من المسلمين المخاطبين بالقول، والذى كان منهم هو «الفشل» ، والمراد به الجبن عن ملاقاة العدو ورهبتهم إياه لما عاينوا كثرة عدده وقوة عدته، أُعتبر فشلا لأنه يؤدى إلى هزيمة النفس التى تورث الفشل، والذى كان منه أيضا التنازع فى الأمر وذلك باختلاف الرأى إذْ قال منهم البعض بمد يد الصلح للعدو وقال آخرون بجهاده وقتاله، فلم تجتمع لهم فى ذلك كلمة، وكان منهم أيضا عصيانهم، وهو ما كان بعصيان أمره ﷺ بالثبات، وأمره الرماة بعدم مبارحة أماكنهم، وهو ما خالفوه.

ويذكر سبحانه وتعالى أن ذلك إنما كان من بعد ما تحقق لهم من ظهور على عدوهم وفوز فى مبدأ القتال، وهو المعبَّر عنه بأنه ما يحبونه «من بعد ما أراكم ما تحبون» .

وبعد ذلك يبيِّن سبحانه وتعالى سبب ما وقع من المسلمين وفيهم من فشل وتنازع فى الأمر وعصيان بقوله تعالى «منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة» فبيَّن أن الجبن والتردد فى القتال كان ممن أرادوا الدنيا فتمسكوا بالحياة فجبنوا عن الحرب لما قد يكون فيها من الموت.

وأن الاختلاف فى الرأى كان لأن الذين أرادوا الدنيا فحرصوا على الحياة رأوا أن يمدوا يد المصالحة إلى أعداء الله، وأن عصيان الرماة أمر رسول الله ﷺ إنما كان لحبهم الدنيا إذْ حرصوا على جمع الغنائم وهى من خير الدنيا فضلوها على طاعته ﷺ.

وبيَّن تعالى أيضا أنه كان فى مقابل هؤلاء آخرون أحبُّوا الآخرة فلم يجبنوا عن ملاقاة عدو الله ومنهم الشهداء الذين طلبوا الآخرة وسعوا لها سعيها، والذين تمسكوا برأيهم فى وجوب مقاتلة العدو وجهاده وعدم الانصياع لرد القائلين بمصالحته، والذين عملوا على إثناء

القائلين بـالصلح عنه، والذين ثبتوا فـى أماكنهم فى القتال التى صفَّهـم فيها رسول الله ﷺ. والمعنى المـراد إيصاله للمسلميـن أنه لو كـان جميع المقاتليـن فى أحد ممـن أرادوا الآخرة لكان قد تحقق للمسلمين النصـر الموعود به لأنه كان مقدَّرا أن يتحقق الشـرط الواقف الذى يتحقق بوقوعه أو بحدوثه النصر وهو الصبر والتقوى .

ويجىء قوله تعالى «ثم صرفكم عنهم ليبتليكـم» بذكر الحدث الذى أعقب وقوعه ما ظفر به المسلمون مـن أعدائهم فى مبتـدأ القتال، وهو انصراف المسلميـن عن متابعة القتـال إلى جمع الغنائم، وذكر نتيجته وعلَّة حدوثها، فقوله تعالى «ليبتليكم» بيان لأنه أعقب هذا حدوث الأمر الذى سـاء المسلمين وهو هزيمتهـم وهو ما كان نتيجـة ما كان من المسلميـن مما سبق ذكره.

وعلة حدوث هـذا الأمر أو هذه النتيجة هـو أن تكون ابتلاء للمسلمين واختبـارا أو أن تكون بمثابة ذلك ليعلم كلٌّ مـوقعه من الإيمان الكامل، وليجازى سبحانه وتعالـى كلاًّ بما هو أهـل له .

ثم إنه تعـالى طمأن الذين كـان منهم الفشل واختلاف الأمر وعصيـان رسول الله ﷺ ممَّن عرفوا ذنبهم وأقروا به وخشوا على أنفسهم غضب الله عليهم بعد أن تيقنوا أنهم أغضبوا رسوله ﷺ، فأعلمهم أنه تعالى قد عفا عنهم فلم يعاقبهم فى الدنيا باستئصال شأفتهم.

وقد يعنى أنه تعالى لـن يؤاخذهم عليه فى الآخرة برحمته لكون إقرارهم بـالذنب توبة عنه أكَّدها أنهم لم يعودوا لمثله.

وأعقب سبحانه وتعالى هـذا بإثباته أن هذا إنمـــا كان منه فضلا تفضـــل به عليهم ولو كان بعد تـوبة منهم، ويقبل القـول أن يكون لبيان أنه تعـالى يعفـــو عن المؤمنين عامـــة بفضله وبرحمته، وأنه لما كان المخالفون عـن أمر رسول الله ﷺ فى أحد من جموع المؤمنين وكان منهـم بإقـرارهم بالـذنب الدليـل على أنهـم مؤمنون فـإنهم دخلوا فـى زمـــرة المعفى عنهـــم.

۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **الأخـــرى** : فى قوله تعالى «فى أخراكم» المـراد بها ـ فى معنى الآية ـ آخر القوم، أو ما هو خلفهم .

٢ ـ **الغــــم** : فى قوله تعالى «فأثابكم غما بغم» هوـ فى اللغة ـ التغطية، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ هو المعنى الذى عليه استعمال اللفظ وهو الكرب والحزن.

وقيـل إن الغم الأول هـو القتـل والجرح الـذى أصـاب المسلمين. وأن الغـم الثـانى هـو الإرجاف بمقتل رسول الله ﷺ .

ثانيا : التفســـير:

جاءت «إذْ» فى بداية القول لبيان تعلق القول بقولـه تعالى «ولقد عفا عنكم»وما بعده جاء ذكـرا لما كـان من المسلميـن، وقـد كان منهـم الصعود فـى وادى أحـد، ذلك أنـه كان مـن المسلمين الذهاب فى الأرض والإبعاد فى الذهاب فرارا من الموت، وكانوا فى هذا لا يلتفت بعضهم إلى بعض ولا يعرجون على أحد لأن كلا منهم مشغول بالنجاة بنفسه «إذْ تصعدون ولا تلوون علـى أحد»، وقد كان منـه ﷺ يناديهم مـن خلفهم قائلا «إلـىَّ عباد الله، يدعوهـم إلى الاجتماع إليـه ﷺ وعدم الفرار بقولـه «أنا رسول الله، إلىَّ عبـاد الله، من يكرُّ فله الجنـة»، فلما استرسل أهل أحد فى الفرار كان منه تعالى أنه أثابهم غمًّا إثر غمٍّ «فأثابكم غمًّا بغم».

جاء فيه التعبير بـالإصابة بالغم والحزن بـالإثابة من قبيل التهكم علـى الفارِّين لأن فعلهم يستوجب العقاب وليس الثواب.

والمعنى أنه سبحانه وتعالى أضابهم بالغم والنكد بما عانوا من الهزيمة ومن فقد الأحباب بالقتل وبما فقـدوا من الغنائم التى جمعوها فـى مبدأ القتال. كما أصابهم بـالغم والنكد بما سمعوه مـن إرجاف بقتله ﷺ. وقد يكـون المراد هو بيان أنـه تعالى أصـابهم بما يثير حـزنهم وغمَّهم سببا فى إثر سبب .

ثم يبيِّن سبحانه وتعالى سبب إصابتهم بالغم بعد الغم بقوله تعالى «لكيلا تحزنوا على ما فاتكـم ولا ما أصـابكم»، وقـد يكون المراد بـه لكيلا يحـزنوا على مـا فاتهـم من النصـر ومن الغنائم، ولا على ما أصابهم به من الشدائد ومنها الهـزيمة وفقدان الأحبة بالقتل، لما قد يكون فى ذلك من التدرب على الصبـر بممارسته فلا يأسون على ما فاتهم مـن خير وما أصابهم من ضرٍّ، فيكـون منهم التجلُّـد عند الكرب، وهـو من دعـائم النصر والفوز لأن بـه تكون رباطـــة الجأش .

وقوله تعـالى ـ فى ختام الآيـة ـ «والله خبير بما تعملـون» جاء فيه ذكر صفته تعـالى «خبير» لبيان علمه بمـا هو مخفى مستور فى النفوس، مـع ذكره أن ذلك يكون بشأن ما يعملـون ـ وهو الأمر الظـاهر ـ لبيان أن علمـه تعالى يشمل المعلـن والمبطن، وفيه حـثٌّ على طاعته تعـالى وترهيب من عصيانه يناسب ما وقع من أهل أحد وتنبيه لغيرهم.

■■■■■■

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **الأمنـة** : فى قوله تعالى «من بعد الغم أمنة» هو الأمن. وقيل هو الأمن مع توافر الأسباب الداعية إلى الخوف .

٢ ـ **النعاس** : هو النـوم .

٣ ـ **الطائفة التى أهمتهم أنفسهم** : فى قوله تعالى «وطائفة قد أهمتهم أنفسهم» هم المنافقون قيل إنهم معتب بن قشير وأتباعه .

٤ ـ **الجاهلية**: هى جهل حقيقة الدين. تطلق على فترة ما قبل مبعثه ﷺ، والمـراد بها ـ فى معنى الآية ـ أهل الجاهلية الكافرون .

٥ ـ **المضاجع**: فى قوله تعالى «لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم»، جمع

مفرده «المضجع»، والمراد بها ـ فى معنى الآية ـ مصارع القوم، بمعنى الأماكن التى يُصرعون فيها أو يموتون .

ثانيا : التفســــير :

يذكر سبحانه وتعالى ـ فى الآية ـ ما كـان منه تعالى تفضلا منه على المسلمين من بعد ما أصابهم من الغم وجاء القول فى الآية معطوفا علـى «فأثابكم» فى الآية السابقة. ومعنى قوله تعالـى أنه تفضل علـى المسلمين أهل أحـد ـ من بعـد ما أصـابهم من الغـم ـ بالأمـن يملأ نفوسهـم أو نفوس البعض منهـم، وآيته أن يغشى النـوم البعض منهـم ـ لأنه قيـل إن النوم لا يغشى خائفا ـ وفى ذات الوقت فإنه لم يغْشَ آخرين فلم يناموا ولم يأمنوا.

وصفهم سبحـانه وتعالـى بأنهم «قد أهمتهـم أنفسهم» وهم المنـافقون، شغلوا بـأنفسهم فاهتموا بها ففضلوها على طاعة الله، وأهمتهم فقلقوا من أجلها.

وقد وصفهم سبحـانه وتعالى أو أنـه تعالى ذكر حـالهم يظنون فى رسـول الله ﷺ ظن أهل الجاهلية الباقيـن على الشرك لم يؤمنوا بـه «يظنون بالله غير الحق ظن الجـاهلية»، فهم يظنون بالله غيـر الحق لأنهـم يظنون أنـه تعالى لـم يبعث محمـدا ﷺ رسولا نبيـا، وهذا غيـر الحق، ويظنون أنه تعالى لا ينصر رسوله ولا يُعلى دينه، وهذا غير الحق، ويظنون أن أمر محمد ﷺ وأن الله ناصره باطل، وهذا غير الحق.

ثم إنـه تعالى يـذكر قول هـؤلاء المنافقين يقـوله بعضهم لبعـض، أو يقوله البعـض منهم لرسـول الله ﷺ «هل لنا من الأمـر شىء»، والمعنى هـو «هل يكون لنـا من أمره تعالـى ووعده بالنصر شىء».

ويجىء قوله تعالى «قل إن الأمر كله لله» أمر منـه تعالى لرسوله ﷺ أن يقول لهم إن جماع الأمر له عزَّ وعلا، فهو بعـزَّته يعزُّ رسوله والمؤمنين وينصرهم فتكون لـه الغلبة وهو الذى يخذل أعداءه ويقهرهم .

ثم يبين سبحانه وتعالى حال المنافقين ويذكر فعلهم وما تسرُّ صدورهم ولا يعلنون، فيقول تعالى «يخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك» فهم يضمرون فى نفوسهم ويتحادثون فيما بينهم وبين بعضهم بما لا يستطيعون التلفظ به لرسول الله ﷺ.

ويذكر سبحانه وتعالى قول المنافقين بعضهم لبعض وفى نفوسهم أعلم الله به رسوله الكريم «لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا» والمعنى أنهم يقولون «لو كانت لنا عقول لما تركنا بيوتنا وخرجنا لقتال أهل مكة فكان موت من مات منا» أو أنهم يقولون «لو كان لنا تدبير الأمر بأنفسنا لاخترنا ألا نبرح أماكننا لقتال أهل مكة». وفى ذلك إعلان عن كراهتهم القتال، ورؤيتهم أنهم أجبروا عليه لاعتقادهم أنه يخفى لهم القتل وأنه سبب قتل من قتل منهم.

وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يقول لهم ما يرد عليهم اعتقادهم أنه لو لم يخرج الذين قتلوا منهم إلى القتال ما كان موتهم «قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتال إلى مضاجعهم» ومعنى قول رسول الله ﷺ لهم بأمر ربِّه هو أنكم أيها المنافقون لو كنتم فى بيوتكم تعتقدون أنكم آمنون وكان ما كتب فى اللوح المحفوظ مما قدر فى علمه تعالى أنكم تموتون وقتذاك لخرجتم أو لخرج المقدَّر موتهم إلى المكان الذى كتب فى اللوح المحفوظ أن يكون فيه موتهم ومصرعهم ليموتوا فيه فى الوقت الذى قدَّر فيه سبحانه وتعالى عليهم الموت فيه. ويقبل المعنى أن يكون لبرز إلى المقدَّر عليهم الموت قتلا قاتلوهم الذين كتب فى اللوح المحفوظ أنهم يقتلونهم فى الأماكن المقدَّر أن يكون فيها موتهم بالقتل وفى الوقت المقدَّر أن يتحقق ذلك فيه.

ثم أوضح سبحانه وتعالى للمنافقين أنه تعالى فرض عليهم الحرب وقدَّر عدم انتصارهم فيها وقتل من قتل منهم ومن المؤمنين ليظهر بهذه المحنة وبهذا الاختبار صبرهم على الضرِّ، وليعطيهم الفرصة للتوبة فيكون تمحيص السيئات عن قلوبهم بإزالة ما بها من الوساوس، وهذا ما جاء بقوله تعالى الذى أمر رسوله ﷺ أن يقول لهم «وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم» .

وتختتم الآية بـوعد ووعيد تضمنه قوله تعـالى «والله عليم بذات الصدور» لأنه تعـالى لما كان عليما بما انطوت عليـه الصدور ومنه ما لا يعلنه المنافقون، وكان عليمـا بما انطوت عليه صدور المـؤمنين من حـب لله ورسوله وإن لـم يتـح للبعض منهم لسبـب منعه أن يجاهـد فى سبيل الله، فإنه مؤاخذ به كلاًّ بما أضمر.

وفى القول دعوة من انطوت صدورهم على النفاق على التخلص منه ليفوزوا بعفوه، ووعيد لمن يفعل بسوء العاقبة .

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **الذيـن تولوا** : قيل إن المراد بهـم ـ فى معنى الآيـة ـ الذين هـربوا من المعركـة إلى المدينة وليس فيهم هؤلاء الذين صعدوا فى وادى أحد.

وقيل إنهم قوم معروفون بأشخاصهم تخلفوا عـن رسول الله ﷺ عند الهزيمة لثلاثة أيام ثم انصرفوا إلى أهليهم .

٢ ـ **الجمعـــان** : المراد بهمـا فى معنى الآية: جمـع رسول الله ﷺ، وجمع أبـى سفيان، وهما جيشا المسلمين والكافرين .

ثانيا : التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ بيان لموقـف الذين تخلوا عن رسول الله ﷺ فى أحد وتوجهوا إلى المدينة عندما حمَّ القتال بين جمع رسول الله ﷺ وجمع أبى سفيان، فذكر سبحانه وتعالى أن فعل هؤلاء المدبرين إنما كان من الشيطان وسـوس إليهم أنهم لم يبرءوا بعد من ذنوبهم التى

اقترفوها فـى سالف أيامهم فخشوا أن يمـوتوا قبل أن يبرءوا منها بتوبـة نصوح وفعل الخير. أو كـان من الشيطـان أوعز إليهـم بالفـرار فأطـاعوه فكـان الفرار هـو الزلـل الذى أوقعهـم فيـه الشيطان.

وقوله تعالى «بما كسبوا» مفاده قبولهم مـا وسوس به إبليس لهم، فكان بمثابة الكسب، أو أنه لما زيَّـن لهم الشيطان الفرار حسبوا أنهـم كسبوا حياتهم التـى كانوا يفقدونها لـو بقوا فى المعركة.

وجاء قوله تعالـى «ولقد عفا الله عنهم» لطمأنة هؤلاء بعد أن أقـروا بخطئهم ولاموا أنفسهم فكان ذلك منهم توبة. فذكر تعالى أنه لن يؤاخذهم على ما كان منهم من التولِّى، وأنه سيغفر لهم توليهم الذى كـان منهم ذنبا، وأنهم قد أفادوا من حلمه تعالـى إذ لم يعجل لهم العذاب بما قرفوا فلم يستأصلهم من الأرض من قبل، فكـان إنعامه عليهم من بعد بالمغفرة رحمة لهم من العقاب عن ذنبهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾

أولا: الأسـماء:

١ ـ **الذين كفروا**: المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ المنافقون.

٢ ـ **الإخـوان**: فى قوله تعالـى «وقالوا لإخوانهم» المراد بهم ـ فـى معنى الآية ـ إخوان

المنافقين فى النسب أو فى المصاحبة الذين كـانوا ضمن السرايا التى بعث بها رسول الله ﷺ إلى بئر معونة لاستطلاع أمر المشركين .

٣ ـ الغــــزى : فى قولـه تعالى «أو كانوا غـزى» جمع منقوص، مفرده «غـاز» ويصح فى الجمع أن يقال غزاة وهم المقاتلون فى غزوة من الغزوات .

٤ ـ الحســــرة : فى قوله تعالى «ليجعل الله ذلك حسرة» هى الندامة، والاهتمام على أمر فات المرء تحقيقه أو بلوغه .

ثانيا : التفســـير :

جملة الآية خطاب للمؤمنين، تضمن نهيا عن التمثـل بالمنافقين، ومن المنهى عنه إخفاء الكفر و إظهـار الإيمان ومنه مـا خصَّه نص الآيـة بالذكـر من تـرديد ما كـان يقوله المنـافقون لإخوانهم بالنسب ولأصدقائهم الذين خرجوا فى السرايا التى بعث بها رسول الله ﷺ لإثنائهم عن المضىِّ فيما بعثوا فيه، إذ كانوا يذكرونهم بمن قتل منهم فى القتال ويذكرون لهم أنهم لو لم يشاركوا فى القتال لكانوا قد نجوا بحياتهم وما ماتوا.

وجملة قولهم ذكرها سبحـانه وتعالى بقوله «لو كانوا عندنا ما مـاتوا وما قتلوا» أى أنهم لو كانوا قد مكثوا حيث هم بين أهليهم فى بيوتهم ومدنهم لما كان موتهم.

وبين سبحانه وتعالى أنهم كانوا يقولون ذلـك كلما كان لإخوانهم خروج من ديارهم سواء أكان ذلك لـدى ضربهم فى الأرض وسفـرهم فى تجارة لهـم أو فى شأن من شئـونهم أم كان ذلك فى حـرب يخوضونها مع رسول الله ﷺ أو فـى سرية تستطلع أمر المشركيـن، وربما كان ذلك منهم لإخفاء مـا يبطنون فى أنفسهم من كراهة الخروج مـع رسول الله ﷺ أو تنفيذا لأمره فيقرنـون تحذيرهـم إخوانهم منـه بتحذيـرهم من الخـروج والضرب فى الأرض ولـو لمصلحة خاصة بهم، للتمويه على المسلمين فلا يكتشفون حقيقةما يضمرون فى نفوسهم نحو الإسلام والمسلمين .

وقولـه تعالى «ليجعـل الله ذلك حسـرة فى قلوبهـم» يراد به تـأكيد النهـى عن ترديـد قول المنافقين وهو ـ قبل ذلك ـ نهى عن تصديقهم فيه. وبيان لنتيجة التزام المسلمين ما نهوا عنه وهو أنـه يورث المنـافقين حسـرة فى قلوبهـم لأنهم يـرون عدم تصـديق المسلميـن زعمهم وإطراحهـم له فيبطـل الأثر الذى كـانوا يأملـون تحققه، كمـا أنه يظهرهـم أمام الخلـق على حقيقتهم إذْ أنهـم بترديدهم وحـدهم هذا القول دون سـائر المسلمين يظهرون لهم خـروجهم عليهم، ولما كانوا يبدون لهم إيمانهم بالدين فإن خروجهم يكون خروج نفاق.

وإذا كانت هـذه الحسرة تملأ قلوبهم فـى الدنيا فإنـه تكون لهم حسرة أخرى يـوم القيامة حين يرون الفرق بين حالهم وحال المسلمين، إذ على حين يعانون المهانة والعذاب يشهدون تنعم المؤمنين بالكرامة والجنة .

وقولـه تعالى «والله يحيـى ويميت» هـو ردٌّ على زعم المنـافقين وذكر لحـقٍّ، فهو سبحـانه وتعالـى مقدِّر الحيـاة والموت قـادر على أن يبقـى على حيـاة المسافـر مهما تعـرض لأخطار الطريق وحياة المقاتل مهما صادف فى قتاله، وقادر على أن يميت القاعد عن الخروج أو عن القتال حيـث اعتقد أمانـهُ، فأمر الحيـاة والممات بيده فعلـى ما سبق بيـانه فإن شـأن الحياة والموت مما سطر فى الكتاب .

وقولـه تعالى ــ فى ختام الآيـة ـ «والله بما تعملـون بصير» هوــ فى جانـب منه ـ تحـذير للمسلمين ليمتثلوا نهيه عن تمثّـل المنافقين أو ترديد مقولاتهم، وهو ـ فى جـانب آخر ـ حثٌّ لهم على امتثال طاعتـه تعالى وطاعة رسوله ﷺ فى الجهاد، لأنه يجـازى كلاًّ بما يكون عليه عمله ولا يقبل عملا صالحا إلا إذا خلصت فيه النيَّة ليكون له جل وعلا .

وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

التفســــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ استئناف لخطابـه المؤمنين يحفزهم على امتثال طاعته فى الجهاد وعدم السماح للمنافقين الذين يدفعون غيرهم إلى القعود عن الجهاد.

فيقول سبحانه وتعالى أنكم إذا خرجتم جهادا فى سبيل الله وقتلتم فى سبيل الله تحقق لكم غفران ذنوبكم .

وفى القول يكمن الدافع على قتال العدو وعـدم الجبن لضمان المغفرة من الذنب، ثم إنه لما كان من المجاهدين من يموت بغير قتل لانقضاء أجله فإنه تعالى طمأن المؤمنين إلى أن من خرج منهـم جهادا فى سبيل الله ثم مات لسبب غير القتل أو لانقضاء أجله، فإنـه ـ أخذا بنيّته يثاب طواب الشهيد المقتول فى الجهاد فتكون له المغفرة من ربه.

وقوله تعـالى «ورحمة» قيل فيـه إنه يعنى التنعم برحمـة رسوله ﷺ الذى لان للمجـاهدين كما جاء بقوله تعالى «فبما رحمة من الله لنت لهم»، والذى وصفه تعالى بأنه بالمؤمنين رءوف رحيم، وصلة ذلك بقوله تعـالى فى الآية أنه ﷺ لما رفق بمن تولّوا يـوم أحد ولم يعنفهم أظهر سبحانه وتعالى أن ذلك إنما كان منه ﷺ بتوفيق منه تعالى .

ولا يمنع هـذا أن قوله تعالـى يفيد أن قتل مـن خرج جهادا فـى سبيله فى الحرب أو مـوته يؤدى إلى غفران ذنبه رحمة منه تعالى، فهو غافر الذنب برحمته.

ثم إنـه تعالى يثبـت أن غفران ذنب المجـاهد فى سبيله يفـوق فى الخيريـة كل ما يـأمل الكافرون والمنافقون جمعه فى حياتهم الـدنيا والانتفاع به والتنعم، لأن مصير ذلك جميعه إذا نالـوه هو الفنـاء بفناء الحيـاة الدنيا علـى حين يتنعـم من غُفر لـه ذنبه بمـا أعده الله لـه تنعم الخالدين؛ ولذلك تعيَّن أن يتنافس فى الجهاد فى سبيل الله المتنافسون .



وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾

التفسير:

الآية الشريفة فى حث المؤمنين على الطاعة على وجه العموم وعلى الطاعة فى الخروج إلى الجهاد، لأن مآل جميع الخلق، من يموت منهم ـ وهم أغلب الخلق ـ ومن يقتل، مآلهم جميعا إليه تعالى إذ يحشرون إليه فيكون غفران الذنب للمجاهدين وتكون محاسبة غيرهم بأعمالهم وبموجبات رحمته.

وقيل إن فى الآية ترتيبا لفئات المؤمنين إذا ما قرئت مع الآية السابقة، وذلك لأن من المؤمنين من يعبد الله تعالى خوفا من عذابه فآمنه الله تعالى عذابه بمغفرته ذنوبه «لمغفرة من الله».

وأن منهم من يعبد الله تعالى طمعا فى جنته فطمأنه تعالى إلى نيله مقصوده وإدخاله الجنة برحمته. «ورحمة»، وأن منهم من يعبد الله شوقا إلى رؤية وجهه الكريم فأمنه تعالى إلى نيله مقصوده فى الآخرة فذكر أنه يحشر إليه «لإلى الله تحشرون» .

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ الفظُّ : فى قوله تعالى «ولو كنت فظا»، هو الغليظ الطبع الجافى، وهو الخشن

الشرس الطبع.

٢ ـ الغليظ القلب: : المراد به السيء فى الأمور المبطنـة التى لا تظهرها الأفعال، ولا يفيد معنى غلـظ القلب أو زيـادة سمكه عـن القلب العـادى و إنما هـو كناية عن امتـلاء القلب بالضيق الذى لا يظهر منه إلا تجهم الوجه.

ثانيا : التفســـــير:

قولـه تعـالى فى الآيـة موجـه إلى رسولـه ﷺ، يقول له ســــبحانه وتعالى إنـه إنما لان جــانبه للمسلمين الذين فرُّوا من القتال يوم أحد ـ المستحقين التعنيف والتقريع على ما كان منهم من فرار وقت أن كـان الثبات لازما مع إحاطة الأهوال برسـول الله ﷺ ـ لان جانبــه ﷺ لهم بموجبـات رحمته تعالى فهو الذى أبـدلهم بعقاب يستحقونه: لين جـانب رسول الله ﷺ لهم.

ثم يقـول سبحانه وتعـالى مخاطبـا رسولـه ﷺ «ولو كنت فظـا غليظ القلب لانفضـوا من حولـك» وفيه جـاءت «لو» تفيد امتنـاع أن يكون عليـه الصلاة والسلام «فظـــا» أى خشن الطباع علـى شراسة، وأن يكـون «غليظ القلب» يخفـى فيه حنقه علـى مخالفيه ليظهـر على وجهه فى تجهم منفر، وهذه الصفات المنفية عنه ﷺ من شأنها أن تنفر الناس عمن اجتمعت فيه .

ثم يأمر المـولى سبحانه وتعالى رسـوله ﷺ أن يعفو عنهم فيما تعلق مـن خطئهم فى حقه بعدم الذود عنه والقتال دونـه حين أحاطت به الأهوال، وعدم أوبتهم إليه حيـن دعاهم لذلك من خلفهم، وزاد على ذلك طلبـه تعالى من رسوله ﷺ أن يســـتغفر لهـم فيما أخطـؤوا فيه فى حقـه تعالى بعصيـان أمر رسولـه ﷺ وقد أمرهـم الله تعـالى بطاعتـــه وجعل طاعتـــه من طاعته، وبفرارهم من الجهاد فى سبيله و إلحاق الهزيمة بالمسلمين ـ «فاعف عنهم واستغفر لهم» .

ثم إنه تعالى يطلب بعدُ من رسوله ﷺ أن يشاورهم فيما تكون فيه المشورة، وهى لا تكون فى أمور العقيدة، وإنما تكون فى أمور الحياة من سياسة، وحكم، وحرب، وسلم، وعقد معاهدات.

وفى القول ــ على رأى ـ إشارة إلى جواز الاستشارة والاجتهاد فى شأن الفروع فى أحكام العبادات على وجه الخصوص لتعلقها ـ فى جانب منها ـ للعقيدة، مع إجازة الاجتهاد عموما فى أمر المعاملات .

وفى ختام الآية يجىء قوله تعالى «فإذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين» متضمنا أمره تعالى رسوله ﷺ بأنه إذا عزم على اتخاذ أمر فى شأن من الشئون من بعد المشورة إذا كان مما تكون فيه مشورة فيكون عليه ﷺ أن يمضى فيما قرَّر بشأنه قراره متوكلا على الله .

وقيل إن المراد به أنه إذا قرر عليه الصلاة والسلام أمرا دون مشورة فإنه يكون عليه أن يمضى فيه متوكلا على ربه.

والذى يبدو لنا ــ والله أعلم ــ أن هذا يخالف أمره السابق بالمشاورة فيما تجوز فيه المشاورة .

وقوله تعالى «إن الله يحب المتوكلين» هو إقرار بواقع حبِّه تعالى أن يكون من المؤمنين التوكل عليه، والتوكل الصحيح إنما يكون ممن لم يخالط قلبه خوف أحد إلا الله سبحانه وتعالى .

ومن أخذ بأسباب الفلاح، فلا يكون ممن يجعل خوفه الناس كخوفه الله ولا ممن يقعد عن الطلب ثم يتوكل على الله ـ دون سعى ـ أن ينيله إياه .



﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

التفســـــير:

الخطاب فى الآية موجه إلى المؤمنين من بعد أن بيَّن سبحانه وتعالى فى الآية الســـابقة أنه يحـب المتوكلين، فجـاء قوله تعـالى فى الآية تشـريفا للمؤمنيـن المخـاطبين بـالنص، والنص يتضمن ذات المعنى الذى تضمنه أمره تعالى رسوله ﷺ بالتوكل على الله والذى أشار إليه قوله تعالى إنـه يحب المتوكلين، جاء فى صورة جملة شرطية تـرغب فى التمسك بطاعة الله تعالى التـى لايصح بغيرها تـوكل على الله، وتوجـب التوكل عليه تعـالى الذى هو دعـامة النصـر.

وقوله تعالى «إن ينصركم الله فلا غالب لكم» معناه أنه إذا أراد تعالى نصركم ـ كما كان فى يوم بـدر ـ فإن أحدا لـن يغلبكم، والقول ينفـى عن غير الله أن تكـون له إرادة نافذة غيـر إرادته تعالى، كما ينفى أن يكون فى مقدور أحد أن يغلب من أراد الله نصره .

ويكمل المعنى المراد إيصاله للمؤمنين قولـه تعالى «وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده» جاء فيه أداة الشرط وفعل الشرط بمعنى أنه إذا أراد أن يمنعكم عونه ـ وهو ما يتحقق به خذلانكم ـ وجاء فيه جواب الشرط فـى شكل استفهام إنكارى «فمن ذا الذى ينصركم من بعده» ومعناه أن أحدا ـ من بعد خذلانه إياكم ـ لن يستطيع نصركم .

وبتمام المعنى يجـىء قوله تعالـى المتضمن الحث على طـاعة الله الواجبة للتـوكل عليه «وعلى الله فليتوكـل المؤمنون» وصف فيـه المتوكلين عليه بالمـؤمنين ليكون فى ذلـك الدافع للمؤمنين علـى التوكل عليه تعالـى، وعلى طاعته ليصح منهـم توكلهم عليه تعالـى، وهو فى

ذات الوقت يصف الـذين توكلوا عليه تعالى وتوافـر فى توكلهم عليه تعالى شرط قبـوله ـ وهو طاعته تعالـى ـ بالمؤمنين، وذلك لزيادة الحـث على التوكل عليه تعالى وعلـى طاعته لتكون الغلبة للمؤمنين على عدوهم .

وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى مبتدأ الآية ـ «وما كان لنبىٍّ أن يغلَّ» قيل إنه يعنى أنه لنبىٍّ أن يغلَّ، وأنه لا يستقيم لنبىٍّ مـن الأنبياء أن يغلَّ، والغلُّ هو الخيانـة فى الغنيمة على ما جـرى عليه استعمال اللفظ وأصله هو «الأخذ خفية» والأخذ خفية هو السرقة.

وكان هذا المعنـى ـ فيما يبدو لنا ـ من أسباب ترديـد بعض ما قيل فى أسبـاب نزول الآية ومنه ما قيل من أن هـذه الآية نزلت فى قطعة قطيفة حمراء فقدت يـوم بدر فقال بعض الناس «لعل رسول الله ﷺ».

والذى يبدو لنا فى هذا القول ـ والله أعلم . أنـه لا يجدر ترديده، فالمعلوم أن القرآن العظيم كان يقرئه جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ فيدعـو ﷺ كتاب الوحى ويقرأ عليهم ما أنزل إليه من ربه فيدونونه. كما أنه لا يتصور من المـؤمنين ولا يقبل من المنافقين أنفسهم أن ينسبوا إليه ﷺ مثل هذا الذى قيل وهـو الذى عرف قبل بعثته بالأمين، والذى كـان رءوس القوم يأتمنونه على ما لديهم إذا مـا ارتحلوا، فضلا عن أنه لم يكن لأحد أن يدَّعـى ملكيته لهذه القطعة من القطيفة لو كان ما قيـــل من نزول الآية فيها صحيحا، وأنه ـ من جهـة أخرى ـ لم يظهر لهذه القطعة من القطيفة أثر من بعد ولا ذكر .

ومما قيل أيضا فى أسباب نزول الآية أن الرماة الذين تخلوا عن مواقعهم يوم أحد قالوا فى

تبريـر موقفهـم أنهم خشـوا ألا يقسم ﷺ الغنائم كمـا كان منـه يوم بـدر ﷺ. ويدحـض هذه المقولـة أيضا أنه ﷺ قـد قسم الغنـائم فى بدر وقـد أثبت سبحانـه وتعالـى هذا فى ســـورة الأنفال .

كذلك قيـل أنه ﷺ بعث طلائع ثم غنـم الجنود غنيمة فقسمها بينهم ولـم يقسم للطلائع شيئا فقالت الطلائع حين عادت «قسم النبى ﷺ ولم يقسم لنا» فنزلت الآية.

ويبدو لنا أنه ﷺ وقد وصفه ربُّه بأنه بالمؤمنين رءوف رحيم والرحمة تأتى لصالح المؤمنين من بعد العدل مما مفاده أن يكون الرحيم عادلا فى مقام أول، ثم أن يكون رحيما فى مقام ثان، ومن ثم فإنه لا يتصـور أن يكون ﷺ غير عادل، فضلا عن أنه يصعب تصـور أن يقول المؤمنون الذين عايشوه ﷺ فيه مثل هذا القول .

والذى نراه ـ والله أعلم ــ أن قوله تعالى «وما كان لنبى أن يغل» هو نفـى قاطع لتصور وقوع الغلِّ من نبى فيكون نفيا قاطعا لكل ما قيل أنه وقع منه ﷺ غلٌّ.

وقـد يكون المـراد بعبـارة الآية ومـا تضمنتـه هو النهـى عن الغـلِّ ــ من جهـة ــ وتوجيـه للمسلمين الذيـن تقسم بينهم الغنائم إلى وجـوب الرضا بقسمته ﷺ فلا يحـدث أحد نفسه بأنه يستحق أكثر مما أخذ على ما جبل عليه البشر من حب النفس على ما طبعوا عليه بحكم غريزة حب الاقتناء .

وقوله تعـالى «ومن يغلل يأت بمـا غلَّ يوم القيامة» قيـل فيه إن معناه أن من غلَّ يـأتى يوم القيامة حـاملا ما غلَّ علـى ظهره ورقبته معذبـا بحمله وثقله، ومفضوحـا بإظهار خيانتـه أمام الخلق.

والرأى عندنا ـ والله أعلم ــ أنه قد يكون المراد بقوله تعالى «يأت بمـا غلَّ يوم القيامة» أنه فى يوم القيامة يشهد المال المغلول على من غلَّ بخيانته الأمانة فيه .

وقد تبع ذلك قوله تعالى «ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون» ومعناه أنه فى يوم القيامة وبعدأن يأتى من غلَّ بما غله، أوبعد أن يشهد عليه ما غلَّه فإنه لما كانت كل نفس مكلفة تنال جزاءها على ما فعلت من خير ومن شر، وكان فعل من غلَّ كبيرا إثمه فإنه ينال عقاب ما فعل لا يُنقص له منه شيء ولا يزاد له فيه شيء.

وقد يكون من استيفاء الأنفس حقوقها أن من أكل هذا حقوقهم بما غلَّ يستوفون منه يوم القيامة حقوقهم منه من حسناته إن كانت له حسنات أو أن يحمل عنهم من سيئاتهم قدر ما غلَّ افتئاتا عليهم. وهو فى هذا وذاك يوفى جزاءه بما كسبت يداه .

أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾

أولا: الأســـــماء :

١ ـ **من اتبع رضوان الله:** المراد به ـ فى معنى الآية ـ كل من عمل بالطاعات فاستحق رضاءه. ومن هؤلاء من ترك الغلول، وقيل هو من جاهد فى سبيل الله. ويبدو لنا أنه وإن كان صحيحا أن المجاهد فى سبيل الله يعد متبعا رضوان الله، إلا أنه لا يقبل تخصيص معنى من اتبع رضوان الله بالمجاهد فى سبيل الله فقط دون ظهور المخصِّص .

٢ ـ **من باء بسخط من الله :** هو العامل بالمعاصى استحق غضب الله تعالى عليه وسخطه.

ثانيا: التفســـــير:

قوله تعالى فى الآية جاء فى صيغة استفهام، والمراد منه إظهار اختلاف حال الذين عملوا

بالطـاعات فاستحقـوا رضوان الله تعالـى عن حال الـذين عملوا بمعصيتـه تعالى فـاستحقوا سخطه عليهم وغضبه.

وممن عملوا بالطاعات هؤلاء الذين ابتعـدوا عن الغلول وممن عملوا فى المعصية الذين غلوا .

ويبين من النص أنه تعالى اكتفى عند ذكر العاملين بالطاعات ببيان أنهم المتبعون رضوان الله، وأنه تعالى ذكر فى شأن من باءوا بسخط منه تعالى أن مأواهم هو جهنم .

ثم إنه تعالى وصفهـا أو وصف مقامهم فيها وما هم إليه صائرون بـأنه بئس المصير، وذلك لأن رضوان الله لا يكفى لبيانه ذكر الجنة مصير العاملين بالطاعة .

لأن رضوانه أكبر من ذلك وأشمل إذ يشمل كل نعيم متصور وغير متصور، أما جهنم فيكفى ذكرها مصيرا للعـاملين فى المعاصى لتحقيق الـزجر فإذا ما وصفت بأنهـا بئس المصير أو بأن بئس المصير مصير من تكـون هى مأواه كان ذلك كافيا لردع كل ذى عقل يفكـر فى عاقبة أمره فينتهى عما نهى عنه سبحانه وتعالى .

﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ١٦٣﴾

أولا: الأســــــماء :

١ ـ درجـــات: هى الرتب يعلو بعضها فوق بعـض علو درجات الدرج بعضها فوق بعض، وهى فى الجنة منازل مختلفة لمن اتبع رضوان الله، ويقابلها ـ فى النار ـ الدركات وهى منازل أيضا ولكنها إلى أسفل فبعضها أدنى من بعض.

٢ ـ البصـــــير : فى قوله تعـالى «والله بصير بما يعملون» قيل إنه من يشـاهد ويرى حتى أنه لا يغيب عنـه ما تحت الثرى، وإبصاره منزَّه عـن أن يكون بحدقة عين وبـأجفان، ومقدس

عن أن يرجع إلى انطباع الصور والألوان فى ذاته كما ينطبع فى حدقة الإنسان، فهو فى حقه تعالى الصفة التى ينكشف بها كمال نعوت المبصرات. فهو ـ على هذا القول الذى نقلناه ـ صفة زائدة على العلم .

ثانيا: التفسير:

المراد بـ «هم» المبتدأ فى جملة قوله تعالى «هم درجات عند الله» الذين اتبعوا رضوان الله، والذين باءوا بسخط من الله.

وقيل إنهم الذين اتبعوا رضوان الله دون الذين باءوا بسخط منه تعالى احتجاجا بأن منازل أهل الجنة تكون درجات وأن منازل أهل النار تكون دركات .

والذى نراه ـ والله أعلم ـ أن المراد بـ «هم» الفريقان: الذين اتبعوا رضوانه تعالى، والذين باءوا بسخط منه.

لأن منازل أهل النار هى درجات أيضا لكنها إلى أسفل، فاسمها الخاص «دركات» فهى نوع خاص من الدرجات يتصف بأنه يتجه إلى أسفل، فتكون «الدرجات» هى الاسم العام لها.

فالمعنى هو أن بين الذين اتبعوا رضوان الله وبين الذين باءوا بسخط منه بونا شاسعا فى المقام، فريق مقامه الجنة وما هو أكثر مما لا تدركه العقول والأبصار، وفريق مقامه النار وساءت مصيرا.

وقوله تعالى «والله بصير بما يعملون» يفيد أنه تعالى قد خالف بين مصير هؤلاء وهؤلاء بحكم إحاطته بما كان من كل منهما الإحاطة التامة التى لا يغيب عنه تعالى معه ما أخفوه، وأن اختلاف المصائر كان تبعا لما أحاط به علمه.



لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾

أولا: الأســــماء :

١ ـ **المؤمنـــون**: فى قوله تعالى «لقد منَّ الله على المؤمنين» قيل إن المراد بهم المؤمنون من قومه ﷺ، وقيل: المؤمنون من العرب، وقيل: المؤمنون من الإنس. والرأى عندنا ـ والله أعلم ـ أن المراد بهم المؤمنون عند نزول نص الآية ، وكانوا وقتذاك من العرب ومن لحقوا بهم لحوق التابع بمتبوعه .

٢ ـ **الأنفس** : فى قوله تعالى «من أنفسهم» قيل إن المراد بها ــ فى معنى الآية ــ الذين ينتسب إليهم ﷺ، وقيل إنهم العرب، وقيل إنهم بنو آدم، والذى نراه ـ والله أعلم ـ أن المراد بها العرب من نسل إسماعيل عليه السلام، لأن الأنبياء كانوا من نسل يعقوب بن إسحاق عليهما السلام، فكان فضل الله تعالى على العرب العدنانيين من نسل إسماعيل أن بعث فيهم رسول الله ﷺ

ثانيا: التفســـير:

الحديث فى الآية ذكر لنعمة عظيمة أنعمها الله سبحانه وتعالى على المؤمنين كانوا وقت نزول الآية من العرب أو من تابعيهم وهى بعثه فيهم رسولا منهم أى من العرب العدنانيين، وبيان النعمة وارتباطها بكون المنعم عليهم هم العرب أو تابعيهم أن بعثه تعالى عربيا مكَّنهم من أن يعلموا مضمون رسالته كما مكَّنه ﷺ من إبلاغ الرسالة؛ ولذلك فإن نعمته تعالى

شملت كل قطر حملت إليه الرسالة من بعده ﷺ بلغة يفهمها أهله، أو كل قطر يستطيع أهله أن يفهموا الرسالة أو الكتاب، وما يسرى على الأقطار يسرى على الأفراد، فيمكن القول ـ بأنه من انتشار وسائل النشر والإذاعة اليوم ومع إلمام الكثيرين من غير العرب بالعربية و إلمام كثير من الدعاة بلغات غير العربية ـ أن نعمته تعالى شملت العالم أجمع، فتكون المنة التى بدأت على العرب قد شملت اليوم جميع المؤمنين فى أنحاء العالم.

ويفهم من قوله تعالى أنه كان من نعمته على العرب العدنانيين أنه بعث فيهم رسول الله ﷺ العربى العدنانى من نسل إسماعيل عليه السلام جدهم فأبطل سبحانه وتعالى ما كان يتيه به اليهود على العرب من أن الأنبياء من بعد إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام من أبناء يعقوب ـ وهو إسرائيل ـ وأنه تعالى ببعثه محمدا ﷺ رسولا منهم ، قد تمكنوا من العلم برسالته ومن الإحاطة بشئون دينهم. وقد تأكد هذا بقوله تعالى : « يتلو عليهم آياته » بمعنى أنه ﷺ يتلو عليهم ما يوحى إليه من ربه من القرآن العظيم فيكون تحقق النعمة عليهم والمنة بفهمهم ما يتلوه ﷺ عليهم.

ومن تمام النعمة التى أنعم الله تعالى بها على العرب أنه ﷺ يزكيهم بمعنى أنه يطهر نفوسهم من دنس الجاهلية وبطلان العقائد التى كانوا عليها ومنها الاعتقاد فى الأصنام تقربهم إلى الله، كما تطهرهم من سيء العادات مثل وأد البنات، و إدمان الخمر والتفاخر بها، ومن الإمعان فى الثأر. ومن تمام النعمة أيضا أنه يعلمهم الكتاب بمعنى أنه ﷺ صدق بالتوراة والإنجيل، وأنه فصل لهم العام من أحكام القرآن وقيّد لهم المطلق منها، وشرح لهم دينهم . ومن تمام النعمة أيضا أنه ﷺ علّمهم بسنّته الفعلية والقولية وبقضائه بينهم ـ الحكمة.

ثم يجئ قوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ « و إن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » وهو بيان لحال العرب قبل أن يبعث الله فيهم رسوله ﷺ إذ كانوا فى ضلال مبين، وهو ضلال العقيدة

وضلال الفعل، وهذا هو حال كل أمة بعد مبعثه ﷺ بلغتها رسالته فلم تؤمن بها، إذ تكون على عقيدة باطلة ـ على ما سبق ـ بيانه ـ فتكون فى ضلال مبين .

أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾

التفســـــير:

الحديث فى الآية عود إلى «أحد» وما كان بعدها، عبَّر النص القرآنى عن هزيمة المسلمين فى أحد وقتل من قتل منهم بالمصيبة لأنه أصاب المسلمين بما أضرهم.

وقوله تعالى «أولمَّا أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا» جاءت فيه الألف للاستفهام، والواو للعطف، والمراد بالمصيبة التى أصابت المسلمين هى نيل المشركين منهم فى أحد وانتصارهم عليهم، وقول المسلمين «أنى هذا» معناه أنهم قالوا متعجبين أو مستنكرين: «من أين أصابتنا الهزيمة ونالنا الانكسار وأصابنا القتل ونحن نقاتل فى سبيل الله وفينا رسول الله ﷺ، وهم مشركون».

فذكَّرهم سبحانه وتعالى أنهم قبل أن يلاقوا ما لاقوا من المشركين قد أذاقوهم مثلى ما ذاقوا منهم فقد هزموهم يوم بدر، كما كان لهم فى بداية أحد النصر عليهم وقتلهم منهم القتلى، ثم إنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يقول لهم إن ما أصابهم كان بفعلهم هم وأنهم سبب ما حاق بهم «قل هو من عند أنفسكم». لأن من أسباب هزيمتهم فى أحد تخلِّى الرماة عن مواقعهم لغنم الغنائم، وهو فعلهم، ولأنهم الذين رأوا الخروج من المدينة إلى العدو خارجها حين كان من رأيه ﷺ أن يتحصَّنَ بها فإذا دخلها المشركون قاتلهم فيها. ولأنهم أيضا الذين فضلوا يوم بدر أخذا فداء الأسرى بدلا من قتلهم على أن يستشهد منهم عددهم، فكان الأسرى سبعين رجلا، وقتل من المسلمين يوم أحد عددهم .

وقوله تعالى - فى ختام الآية - «إن الله على كل شىء قدير» هو تقرير لمعلوم، مفاده فيما وردت به الآية أنه لما كان تعالى قديرا على كل شىء، ومن مظاهر قدرته أن يؤتى النصر عند الطاعة، ويورث الخذلان عند العصيان والمخالفة، فإنه لما كان من المسلمين فى يوم أحد المخالفة والعصيان فقد حقَّ فيهم الخذلان؛ والقول تذييل يناسب قول القائلين الوارد فى الآية .

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - موجه للمسلمين الذين عانوا الهزيمة يوم أحد، يخبرهم سبحانه وتعالى أن ما أصابهم من هزيمة وقتل من قُتل منهم يوم التقى جمعهم مع جمع المشركين إنما كان بإذن الله تعالى، وقوله تعالى «فبإذن الله» جاءت فيه الفاء تفيد الشرط لبيان أنه إذا أذن الله تعالى بشىء لزم تحقق هذا المأذون به. كذلك يذكر سبحانه وتعالى أن ذلك كان لإظهار المؤمنين إيمانا كاملا من غيرهم، إذْ يصبر المؤمنون على ما أصابهم لا يتزعزع إيمانهم، على حين يتردد آخرون بين الإيمان والارتداد، ويلجأ آخرون إلى النفاق. وهو تعالى على علمه ما يكون من العباد مما لا يحتاج معه إلى اختبارهم وامتحانهم، فإنما يكون الاختبار بالمحنة لسدِّ الذريعة أمام ضعاف الإيمان، ولإشهار حال غير المؤمنين بين العباد.

■■■■■

وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾

التفســـــــير:

قولـه تعالى ــ فى مبتدأ الآيـة ـ «وليعلم الـذين نافقـوا» تتمة لجملة قـوله تعالـى «وليعلم المؤمنيـن» فقولـه تعالى متَّصـل «وليعلم المؤمنيـن وليعلم الـذين نافقـوا» والمعنى أنـه ليتم التمييزبين المؤمنيـن وبين المنافقين، ثم إنه تعالـى ذكر ما كان بين هؤلاء المنـافقين يوم أحد وبين المسلمين بقوله تعالى «وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا، قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم» والقـول يروى فى بلاغـة ما كان من عبد الله بـن أبى ابن سلول حيـن انصرف عن رسول الله ﷺ ومعه نحو ثـلاثمائة من أتباعه فتبعهم عبد الله بن عمـرو بن حرام الأنصارى، أو جابر بن عبد الله ــ فى قول آخر ـ وقال لهم «اتقوا الله ولا تتركوا نبيكـم، وقاتلوا فى سبيل الله أو ادفعــوا».

فقوله تعالى ـ فـى الآية ـ «وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعـوا» هو قصُّ ما قاله القائل من المسلمين لعبد الله بن أبى ومن معه أن يقاتلوا فى سبيل الله فيكون منهم القتال بما فيه المبادأة والهجوم، أو يكون منهم ـ على الأدنى ــ الدفاع عن النساء والأطفال، أو دفع غلبة العدو بإظهـار كثرة عدد المسلمين بـوجودهم بينهم ولولـم يقاتلوا ، لإيهام العـدو بكثرة عدد المسلمين مع كونهم ـ على الحقيقة ـ غير مقاتلين .

ويذكـر سبحانه وتعـالى رد عبد الله بـن أبى وأتباعـه المنافقين علـى من طلب منهـم من المسلمين القتـال أو الدفع «قالـوا لو نعلم قتالا لاتبعنـاكم» وهذا مـا كان من عبد الله بـن أبى

وأتباعه تعلَّلوا بأنهم استشعروا فى ذلك اليوم أن الحربَ لن تستعر بين المسلمين والمشركين فلم يروا داعيا يستدعى وجودهم مع قوات المسلمين أو يستوجب مرابطتهم وقالوا إنهم لو علموا أو استشعروا أنه ستكون بالفعل حرب بين الجمعين لبقوا مع المسلمين.

ثم يذكر سبحانه وتعالى حالهم يومذاك حين قالوا قولهم المذكور بقوله تعالى «هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان، وليس المراد من النص أنهم فى دخيلة أنفسهم أقرب للكفر منهم للإيمان، وذلك لأن هذه هى حقيقة المنافقين لم تحتج سببا لذكرها فى هذا الموضع، وإنما المراد من النص هو إيضاح أنه فى ذلك اليوم ظهر من المنافقين من العلامات ما يجعل ظاهرهم قريب الشبه بالكافرين بعيدا عن المؤمنين، ومن ذلك اجتماع قولهم المذكور لمن طلب منهم القتال أو الدفع مع تخليهم عن رسول الله ﷺ والمسلمين .

ويبين سبحانه وتعالى أن المنافقين ـ كعادتهم ـ يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ولو كانوا قد فجروا فى الفعل ولم يفلحوا فى الكذب فظهر كفرهم المخفى على نحو ما كان من عبد الله بن أبى وأصحابه حين قالوا لمن تبعهم ليثنيهم عن التخلى عن رسول الله ﷺ والمسلمين «لو نعلم قتالا لاتبعناكم» فهم كانوا آنذاك يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم؛ ولذلك ناسب ذلك أن يجىء ختام الآية قوله تعالى «والله أعلم بما يكتمون» لأنهم يكتمون كفرهم فى صدورهم ويخفون حقدهم على المسلمين وكراهتهم إياهم ظانين أنهم بذلك قد أخفوا حقيقتهم وأمنوا ما يخشون، فجاء قوله تعالى معرِّفا إياهم أنهم بمكرهم السىء لن ينجحوا فى إخفاء دخائل نفوسهم عليه تعالى فهو العالم والعليم والأعلم بما يكنون وما يعلنون، وهو المحاسبهم به فى الآخرة، والمظهر أمرهم للمؤمنين فى الدنيا .

ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾

التفســــــير:

الحديث فى الآية عن المنـــافقين الذين قال تعالى فيهم ـ فى الآية الســـابقة ـ «والله أعلم بما يكتمون» ذكر تعالى أنهم هم الذين قعدوا عن القتال أو الذين انسحبوا من مكان تجمع قوات رسول الله ﷺ مع عبد الله بن أبى، وحاولوا إثناء آخرين عن البقـــاء مع الجمع وعن القتال بالقول الذى يغرى بهذا «الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا»، كذلك فإنهم لم ينقطعوا عن القول بعد أن قُتل من قُتل ممن حاولوا إثناءهم عن البقاء مع الجمع، وعن القتال، إذْ قالوا لو أطاعونا ما قتلوا، فيكون من معانى قوله تعالى «الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا» أنهم الذين قعدوا عن الجهاد وقالوا لإخوانهم أن يقعدوا مثلهم، فلما قتل من قتل من إخوانهم قالوا بشأنهم أو لأجلهم أنهم لو كانوا قد أطاعوهم لما كانوا قد قتلوا .

وفى شأن هؤلاء المنافقين فإنه تعالى أمر رسوله الكريم ﷺ أن يتحداهم أن يمنعوا عن أنفسهم الموت فيدلِّلوا على معرفتهم بأسباب الموت وتمكنهم من توقِّيها «قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين» ولما كان المحتم أنهم لن يستطيعوا فإنه يكون قد ثبت تعريتهم أمام أنفسهم ليعلموا هم أنفسهم كذب قولهم أنه لو كان إخوانهم قد أطاعوهم لَما قتلوا، لأن الناس يعلمون كذب ما قالوا .

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾

التفســــــير:

قد يلزم قبل بيان المراد بقوله تعالى فى الآية ذكر ما قيل فى مناسبة نزولها لأهمية ذلك لدى بيان المخاطب بقوله تعالى «ولا تحسبنَّ» وبيان الرأى فيه.

فقد قيل إنه ﷺ قال: لما أصيب إخوانكم بأُحد جعل الله تعالى أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحُسْنَ مقيلهم قالوا: ياليت إخواننا يعلمون ما صنع الله تعالى لنا. فقال تعالى: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الآية .

وقيل ـ نقلا عن جابر بن عبد الله ـ أنه قال: لقينى رسول الله ﷺ فقال: «ما لى أراك منكسرا؟» فقلت: يارسول الله استشهد أبى وترك عيالا ودينا. فقال ﷺ «ألا أبشرك بما لقى الله تعالى به أباك؟» قلت بلى، قال: «ما كلم الله تعالى أحدا قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلمه كفاحا وقال: يا عبدى تمنَّ علىَّ أعطك، قال: يارب تحيينى فأقتل فيك ثانية، قال تعالى: قد سبق منى القول أنهم لا يرجعون . قال: أى ربِّى فأبلغ من ورائى، فأنزل الله تعالى الآية.

والذى نراه ـ مع اعتبار أنه لا تناقض بين الروايتين. وأنه يحتمل وقوع الحدثين المرويين معا دون أن يكون فى ذلك تعارض ـ أنه يجب عدم التعويل كثيرا على ما قيل فى سبب نزول الآية لوضوح الصلة بينها وبين قول المنافقين لإخوانهم المذكور فى الآية السابقة، ومرجعه اعتقادهم أن القتل فى سبيل الله مضرَّة يجب تلافيها وتحاشى أسبابها عن طريق القعود عن الجهاد فجاء قوله تعالى ـ فى الآية ـ لبيان فساد ما اعتقدوا .

وفى شأن المخاطب بقوله تعالى «ولا تحسبن» فإنه يكون ـ على ما ارتأيناه ـ هو رسول الله ﷺ والمسلمون جميعا الواثقون فى عظم أجر الشهادة.

وقيل إن المخاطب به هم المنافقون الذين قالوا «لو أطاعونا»، وقيل إن المخاطب به هم الذين قتلوا فى سبيل الله، وقيل إن فى مخاطبتهم به إعلاما للسامعين بحقيقة أمر الشهداء، وقيل إن قوله تعالى «ولا تحسبن» هو نفى فى صورة نهى.

وهذا القول لا ينافى ما رأيناه من أن قوله تعالى أريد به بيان فساد عقيدة المنافقين أن الموت فى سبيل الله مضرَّة يجب تلافيها وتحاشى أسبابها بالقعود عن الجهاد .

ولدى بيان المراد بقوله تعالى «ولاتحسبن الذيـن قتلوا فى سبيل الله أمواتا» يبين أنه تعالى وصف عقيدة الذين يرون أن القتل فى سبيل الله مضرَّة يجب تلافيها بأنها مجرد ظن أو حسبان وليست يقينا، فهوبالنسبة للمنافقين خطيئة لأن مصـدره عدم إيمانهم بالإسلام فهو نتاج كفر، لكنه غير ذلك بالنسبـة للمسلمين إذْ أن الظن خلاف الشك ولا شيء فيه للمسلم بـدلالة قوله تعالى «فاعتبروا يا أولى الأبصار» .

ثم إنه تعـالى يبين حقيقة أمر الذين قتلوا فى سبيل الله بقـوله تعالى «بل أحيـاء عند ربهم يرزقـون» جاء فيه التعبيـر عن حياتهـم بقوله تعالـى فى وصفهم أنهـم «أحياء» للتدليـل على استمرارية حياتهم فكأن حياتهم لم تنقطع بقتلهـم و إنما نقلوا من حياة عند الناس إلى حياة عنده تعـالى «عنـد ربهم» فتكون شبـه الجملة «عنـد ربهم» حالاً للضميـر فى «أحيـاء» وهو «هم»، وقد يفيد قوله تعالى «عند ربهم» أنهم قريبون منه تعالى قرب شرف ومكانة وليس قرب مكان، وقد يفيد تأكيد صحة استمرارية حياتهم لكونهم أحياء فى علمه تعالى .

ويجيء قوله تعالى «يرزقون» صفة لـ: «أحياء» أو حالاً من الضمير فيها لتأكيد كونهم أحياء لحاجة الحيِّ إلى ما يرتزق به .

وأخيرا فقـد يجدر الإشـارة إلى ما قيـل فى شـأن أرواح الشهداء من أنهـا تتعلق بـالأفلاك والكواكب فتلتذ بذلك وتكتسب زيادة كمال.

لأنه قول هـائم فى الخيال وإن كان فيه سلامـة قصد ونيَّة، لا يسانده دليل شـرعى ويبطله العلم لما عرف عن الأفلاك السيارة وعن الكواكـب مما لا يتصور معه أن يكون التذاذ بالتعلق فيها .

فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾

أولا: الأســـــــماء :

١ ـ الفرحـــــون : فـى قولـه تعالـى «فرحيـن بمـا آتاهـم الله» جمع، واحـده فرح، وهـو المســرور.

٢ ـ الذين لم يلحقوا بهم : المراد بهم المجاهدون فى سبيل الله الذين لم يستشهدوا وبقوا أحياء إلى موتهم بحكم انقضاء الأجل، وقيل هـم المجاهدون الذين علم الشهداء من كتاب يؤتونه أنهم يلحقون بهم فى الشهادة وقيل هم ذرية الشهيد الذين خلفهم وراءه .

ثانيا: التفســـــير:

جملة الآية استئناف لـوصف حال الذين قتلوا فـى سبيل الله، فجاء قوله تعالـى «فرحين» ذكرا لحال هؤلاء وهم الذيـن يعود عليهم الضمير فى قوله تعالى «يرزقـون» فى الآية السابقة، وحالهم أنهم مسرورون، وسبب هـذا السرور ـ كما يبين من الباء فى قوله تعـالى «بما آتاهم» ـ هو ما أنعم الله تعالى بـه عليهم بعد انتقالهم من الدنيا إلى حيث هـم، والذى أنعم به عليهم هو بعض فضله تعـالى ـ كما يبين من قـوله تعالى «من فضله» بمعنـى بعض فضله لأن «من» للتبعيض. وجـاء ذكر فضل الله دون تعييـن لبيان أنه من العظـم بحيث لا تدركـه الأبصار ولا تحيط به البصائر.

وقوله تعالى «ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم» يفيد أنهم يسرُّون بما يبشَّرون به فى شأن الـذين خلفوهم وراءهم في الدنيا، وهـم الذين لم يقتلوا بعد من المجـاهدين فى سبيل الله المقدَّر استشهادهـم والذين علم الشهداء أنهم يلحقون بهم فيـرزقون نعيم الشهادة من كتاب يـؤتونه ـ فى قول ـــ أو هم الذين لم يقتلوا فـى القتال من المجاهدين لأنهـم يثابون على الجهاد و إن لم يقتلوا، أو هم الذين خلفوهم وراءهم من الأهل والأبناء يبشرون فى أمرهـم بما يسرُّهم .

ثم يجـىء بيان مضمون البشارة التـى أسرَّت الشهداء فيما تضمَّنـه قوله تعالـى «ألا خوف عليهـم ولا هم يحـزنون» فـإذا كانـت البشارة فـى شأن الـذين يستشهـدون من بعـدهم مـن

المجاهـدين، فإن معنى قـوله تعالى يكـون أن استبشار الشهداء بما يكـون من أمرهم مرجعه معرفتهم أنهم سيفوزون بمثـل ما فازوا به، وينعمون بما نعموا به ممـا لا يخاف معه موتهم ولا يوجب أن يكون عليه حزن.

وإذا كانت البشارة فى شـأن المجاهدين الذين يبقون أحياء، فإن معنى قـوله تعالى يكون أن استبشار الشهداء بما يكون عليه أمرهم مرجعه معـرفتهم أنهم ـ وإن لم ينالوا مرتبة الشهداء ـ إلا أنهم يجـزون بجهادهـم من فضـل الله تعالى ما لا يكـون معه خوف من المـوت، ولا حزن لدى الحساب.

وإذا كانـت البشارة فى شـأن من خلفوا مـن الأهل والـذرية فإنهـم بما علموا لا يخـافون عليهم ولا يحزنهم مصيرهم، لأن الله يرعاهم من بعدهم.

ثم أنه لا يكون لهم أن يحزنـوا على ما تركوا من المال فى الدنيا لأنـه تعالى عوَّضهم عنها ما لا تساويه أموال الدنيا وخيراتها .

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٧١﴾

أولا : الأســــــماء :

١ ـ النعمـــة : فى قولـه تعالى «بنعمة من الله» قيل إن المـراد بها ـ فى معنى الآيـة ـ دفع المضرَّة ـ أو ما ينعم به الله على إخوان الشهداء من المجاهدين الذين لم يستشهدوا .

٢ ـ الفضــــل : فى قوله تعالـى «وفضل» قيل إن المراد به ـ فى معنى الآيـة ـ الخير الذى يصيب فيستوجب المسرَّة. وقيل هو ما ينال الشهداء أنفسهم من النعمة.

٣ ـ المؤمنون : فى قوله تعالى «لا يضيع أجر المؤمنين» قيل إن المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ جميع المؤمنين، وقيل إن المراد بهم الشهداء على التخصيص .

ثانيا: التفســـــــير:

جاء قوله تعالى في الآية تفسيرا لقوله تعالى فى الآية السابقة «لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»، وجاءت «يستبشرون» فى مبدأ القول لتأكيد معنى حصول البشارة للشهداء. فهم يبشَّرون بدفع المضرَّة عنهم بغفران الذنب، ويبشرون بما يوجب سرورهم مما يلْقون من حسْنِ الجزاء مما يتفضل به الله تعالى عليهم.

وهذا وذاك هما نعمة من الله وفضل. وقيل إن النعمة والفضل يدخل فيهما ما أكرم الله تعالى به الشهداء على ما روى عن رسول الله ﷺ، أنه على حين يقبض ملك الموت أرواح العباد فإنه تعالى هو الذى يقبض أرواح الشهداء، وأنه على حين يغسّل المؤمنون بعد الموت فإنهم لا يغسلون لعدم احتياجهم إلى ماء الدنيا، وأنه على حين يكفن الموتى فإنهم لا يكفنون بل يدفنون فى ثيابهم، وأنه على حين يسمى كل من يموت ميتا، فإنهم لا يسمَّون موتى، وأنه على حين يعطى الأنبياء الشفاعة يوم القيامة فإنه يكون للشهداء الشفاعة كل يوم فيمن يشفعون .

وجاء قوله تعالى - فى ختام الآية - «وأن الله لا يضيع أجر المحسنين» مفيدا - على ما يبين من واو العطف - أنه يكون من جملة ما يبشرون به أنه تعالى لا يضيع أجر المؤمنين.

ويفيد قوله «وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين» عدة معان . منها أن الشهداء يعتبرون عنده تعالى من المؤمنين فيكون لهم ما أعدّه الله تعالى للمؤمنين وهو - على ما يبين من قرنه تعالى فى آى القرآن العظيم بين أفضال الأنبياء وأفضال المؤمنين - جد عظيم

ومنها - ما يستفاد بمفهوم المخالفة - من أن غير المؤمنين تحبط أعمالهم فلا يكون لهم عليها أجر فى الآخرة .

ومنها أن الشهداء يوفون أجورهم بمعنى أنهم ينالون فوق ذلك ثواب ما قدَّموه لأنفسهم من خير فى دنياهم. وربما لهذا جاء تعبيره عما ينالون بشهادتهم بأنه من فضل الله وليس كل الفضل، لأنه يبقى منه الكثير الذى يتفضل منه تعالى على الشهداء .

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ **الذين استجابوا لله والرسول** : المراد بهم المؤمنون الذين استجابوا لدعوة رسول الله ﷺ فى اليوم التالى ليوم معركة أحد حين طلب رجالا يخرجون فى إثر المشركين ليشعروا أن بالمسلمين قوة فيخشون الرجوع إليهم، فخرجوا لما دعاهم إليه رسول الله ﷺ .

٢ ـ **القــرح** : المراد به ـ فى معنى الآية ـ هزيمة المسلمين فى يوم أحد .

٣ ـ **الذين أحسنوا** : فى قوله تعالى «للذين أحسنوا منهم» قيل إنهم الذين حسنت أعمالهم واتقوا الله من بين الذين استجابوا لدعوة رسول الله ﷺ. وقد يكون الصحيح أنهم جميع من استجابوا لله والرسول حين دعاهم ﷺ فيكون القول للمدح ولتعليل منحهم الأجر العظيم وليس لتقييد عموم «الذين استجابوا».

ثانيا : التفســـير :

الآية الشريفة فى بيان حال الذين استجابوا لدعوة رسول الله ﷺ المسلمين فى اليوم التالى ليوم موقعة أحد أن يتقدم من يريد أن يتبع المشركين ليشعروا أن بالمسلمين قوة فيخشون الرجوع إليهم لاستئصالهم، وقد اختار رسول الله ﷺ من المتقدمين إليه أبا بكر والزبير بن العوام فى سبعين رجلا لهذه المهمة الخطرة.

عبر سبحانه وتعالى عن الذين تقدموا إلى رسول الله ﷺ للمهمة الصعبة التى دعا إليها بأنهم استجابوا لله والرسول بمعنى أنهم الذين أطاعوا رسول الله فأطاعوا الله، لأن طاعته ﷺ من طاعته تعالى .

وقوله تعالى «من بعد ما أصابهم القرح» مفاده أن دعوة رسول الله ﷺ، وإجابتها كانتا من

بعد هزيمة يوم أحد، فقد كان يوم أحد هو السبت، وأذن مؤذن رسول الله ﷺ بدعوته فى اليوم التالى وهو الأحد، وفيه تمت الاستجابة .

وجاء قوله تعالى «للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم» قيل إنه وعد بعظم مثوبة المحسنين المتقين ممن عرضوا أنفسهم على رسول الله ﷺ، وقد بلغوا نحو مائتى رجل اختار منهم رسول الله ﷺ سبعين خرجوا مع أبى بكر والزبير. والمقبول أنه وعدٌ لهم جميعا جاء قوله تعالى «للذين أحسنوا منهم» مدحًا لهم، وبيانا لعلة الإنعام عليهم بعظم الأجر وهى كونهم على ما مُدحوا به وهو أنهم محسنون متقون، اعتبروا لديه تعالى هكذا لتقدمهم لما دعاهم إليه رسول الله ﷺ مع كون ذلك فى أعقاب هزيمة أحد والمعتاد أن تنتاب القلوب رعشة الخوف من ملاقاة العدو إذا كان ذلك بعد هزيمة، ومع احتمال التقائهم عدو الله بكثرة عدده وقوة عدته مع قلة عددهم وضعف عدتهم، فكافأ ذلك منهم أن يكون لهم عنده تعالى الأجر العظيم .

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾

أولا : الأسـمـاء :

النـاس : المراد بهم - فى قوله تعالى «الذين قال لهم الناس» واحد منهم بذاته هو نعيم بن مسعود، وهو أعرابى طلب منه أبو سفيان أن يخبر المؤمنين أنه شاهد أبا سفيان ومن معه يتجهزون لقتالهم فأعدوا لذلك عدَّتهم وجمعوا لهم جموعهم، مبتغيا بذلك تثبيط رسول الله ﷺ عن الخروج إلى موعد لقاء المشركين فى بدر على ما قاله أبو سفيان لرسول الله ﷺ من قبل متوعدا «موعدنا بدر القادم» أى أن موعد اقتتالهم منطقة بدر فى العام القادم.

وذلك لأن أبا سفيان أعجزه الجدب عن الخروج للقتال وساءه أن يخرج إليه رسول الله ﷺ

ولا يخرج هو، فجعل لنعيم أجرا ليخبر المؤمنين بذلك حين قابله فى مكة معتمرا؛ ففعل نعيم. والواو فى قوله تعالى «إن الناس قد جمعوا لكم» يراد بهم المشركون .

وقيل إن الذين قالوا كانوا أناسا من هذيل من وادى تهامة دخلوا المدينة فسألهم أصحاب رسول الله ﷺ عن أحوال المشركين فقالوا ما قالوا. وقيل إنهم المنافقون .

ثانيا : التفسـيـر:

الآية الشريفة فى ذكر نفر من المؤمنين يدخلون فى زمرة الذين استجابوا لله والرسول المذكورين فى الآية السابقة، وقصتهم أنهم لم يخشوا بأس الكافرين حين أُنبئوا ممن جاء من مكة إلى المدينة أنهم اجتمعوا فى جمع كبير وأعدُّوا العدة لقتال المسلمين ليلقوهم فى بدر كوعد أبى سفيان الذى توعد به رسول الله ﷺ قبل أن يغادر أُحد، لم يحدث منهم ما حدث من غيرهم من المؤمنين من كراهة الخروج للقاء المشركين مما كان من رسول الله ﷺ معه أنه قال «والذى نفسى بيده لأخرجن ولو وحدى»، فكان منهم أنهم اجتمعوا إليه ﷺ وخرجوا معه، وكانوا سبعين رجلا على خيولهم يقولون «حسبنا الله ونعم الوكيل» .

وقوله تعالى «فزادهم إيمانا» يراد به ما كان من حالهم حين قيل لهم ما قيل عن بأس عدوهم وقوته، إذْ كان من هذا القول أو من النطق به أنه زاد إيمانهم إيمانا وليس المراد بالإيمان ـ فى هذا المقام ـ هو ذات الإيمان بمعنى التصديق، وإنما المراد به ما يلحقه من «الطاعة» فهذه يجوز فيها أن يكون زيادة ونقصان بين المسلمين بعضهم والبعض.

وذكر الآية قولهم «حسبنا الله ونعم الوكيل» هو بيان لما كان عليه إيمانهم حين خرجوا للجهاد على ما أُنبئوا به من قوة العدو. أفصح عنه قولهم الذى ردَّدوه، ومعناه أنه تعالى «كافينا» وكونه تعالى يكفيهم معناه أنهم يكتفون به نصيرا، وأنه تعالى يكفيهم شر عدوهم، ثم إنهم بعد ذلك وصفوه بأنه تعالى «نعم الوكيل» أى أنه تعالى خير من يُتوكل عليه. فكان فى اجتماع قولهم مع فعلهم ما يفيد زيادة إيمانهم .

فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾

التفسير:

جملة الآية في وصف ما كان من أمر هؤلاء الذين استجابوا للرسول فخرجوا معه فيما عرف بغزوة بدر الصغرى وقد ازدادوا إيمانا يرددون «حسبنا الله ونعم الوكيل» فيقول سبحانه وتعالى أنهم عادوا من بعد خروجهم إلى ديارهم «فانقلبوا» وبيّن حالهم لدى انقلابهم إلى ديارهم ـ بمعنى عودتهم إليها ـ بأنهم كانوا منغمسين فى نعمة من نعم الله، وهى السلامة، وهى نعمة الثبات على الإيمان.

كما أنهم عادوا بفضل تفضل به تعالى عليهم «وفضل» وهو كسب كسبوه من تجارة باشرها رسول الله ﷺ حين صادف لدى العودة عيرًا محمَّلة فاشتراها وجنى منها ربحًا وفيرا قسمه على الذين معه .

وبعد ذلك يذكر تعالى أنه لم يصب هؤلاء سوء، وذلك لأن لما كان من أمر أبى سفيان أنه لم يخرج لقتال المسلمين، ولم تقع بين أصحاب رسول الله وبين المشركين حرب، فإنه لم يقع فيهم قتلى ولم يصب أحد بجراح فكانت عودتهم سالمين لم يصب أحدهم بسوء .

أما الذى نالهم من خروجهم ـ إذْ لم يصابوا بسوء ـ فهو رضوان الله، جماع الخير ومناطه، تفضل به عليهم على ما يبين من قوله تعالى «والله ذو فضل عظيم».

إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾

التفســـــــير:

المشار إليه فى قوله تعالى «إنما ذلكم الشيطان» يقبل أن يكون الرجل الذى أتى المؤمنين من قبل أبى سفيان يخيفهم من قوة المشركين، أو القوم الذين أتوا من تهامة فأخبروهم عن قوة المشركين، وصفهْ الله بالشيطـان لأنه كان من جنده فجعله منه، ويقبل أن يكـون المراْد به هو إبليس الملعـون ذاته، وفعلـه أنه يخـوِّف المؤمنين ممَّـن تولَّـوه، أى أنه يخـوفهم.شـدة بأس المشركين ليخيفهم منهم، فكأن عبارة النصِّ هـى «يخوفكم أولياءه» فيكون المفعول به الأول للفعل يخوِّف هو الضمير المتصـل فى «يخوفكم» العائدْ على المؤمنين المخـاطبين بالنص، ويكون المفعول به الثانى هو المشركين .

ثم يجىء قوله تعـالى «فلا تخافوهم وخافون » نهيا للمسلمين عـن السماع وعن أن يتأثروا بما يسمعـون من الشيطان بـوسوسته ومـا يسمعون ممَّـن كانوا وسيلتـه من الناس لإخـافتهم، فيكون متضمنا نهيا عما يؤدى إلى الخوف ـ وهـو ما يملك أمره العباد ـ وأمرا أن يكون الخوف منه تعالى لأنه الأولى أن يُخاف بأسه وأن يُخشى، وخوف عذابه تعالى يستوجب طاعته وعدم عصيانه، ومن طاعته طاعة رسوله ﷺ إذا ما دعا المؤمنين للقتال .

وقوله تعـالى «إن كنتم مؤمنين» يتضمن تحفيـزا للمسلمين على أن ينتهوا عما نهـاهم عنه من الاستماع لأعـوان الشيطان، وعلى أن يأتمروا بما أمـرهم به وهو أن يطيعوه تعـالى ويطيعوا رسولـه، كما أن فيه مدحـا للذين أطاعـوا الله والرسول فخرجـوا لم يسمعوا للشيطان وأعـوانه بأنهم مؤمنون، لأنهم الـذين لم يخافوا أولياء الشيطان من الكافرين فخـرجوا لقتالهم، وخافوا الله فاستجابوا لرسوله ولم يقعدوا .

وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾

أولا : الأســـــــماء :

الذين يسارعون فى الكفر : قيل إن المراد بهم ـ فى معنى الآيـة ـ المنافقون الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ فى أحد وفى اليوم الذى يليـه حين دعا للخروج وراء المشركين، وقيل إنهم فئة ارتدت عن الإسلام، وقيـل إنهم طائفة من المنافقين ومن اليهود استدلالا بقـوله تعالى «يا أيها الـرسول لا يحزنك الـذين يسارعون فـى الكفر من الذيـن قالوا آمنا بـأفواههم ولم تـؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا».

والذى نراه أن ما قيل قـد يكون متعلقا بمناسبة نزول الآية، وأن معنى «الـذين يسارعون فى الكفر» يشمـل كل من ارتـد عن الإسلام، لأن الـرسول عليه الصـلاة والسلام كان يشـقُّ على نفسه لهداية المشركين حتى قال له ربُّه «مـا عليك إلا البلاغ»، كما كان يستاء لهذا ـ وأكثر منه الارتداد ـ حتى قال له ربه «لست عليهم بمصيطر» .

ثانيا : التفســـــير:

الخطاب فى الآيـة موجَّه إلى رسول الله ﷺ فيـه إلماح إلى أنه ﷺ رأس الأمـة الإسلامية، نهاه ربُّـه عن أن يحزن لمعاينتـه ﷺ مسارعة بعـض الذين أعلنـوا إسلامهم فى الارتـداد عن الدين «ولا يحـزنك الذين يســارعون فى الكفر» وحزنـه ﷺ كان من خوفـه على المسلمين أن يؤذيهم المرتدون حين يعودون إلى جموع المشركين المناوئين للدين، وعلى دين الله أن يعوق انتشاره ارتداد بعض من أعلنوا إيمانهم به .

ولما كان خـوف الإضرار بالمسلمين وإعاقة انتشـار دين الله هو ما كان يثيـر حزن رسول الله ﷺ فإنه تعالـى أزال هذا الخوف ببيانه أن فعل هـؤلاء المرتدين لن يؤدى إلـى شىء من هذا ولن يضرَّ الدين ولا المسلمين «إنهم لن يضروا الله شـيئا»، ومعناه أنهم لن يضـروا المسلمين ـ شرَّفهم سبحـانه وتعالى بأن جعل الإضرار بهـم إضرارا به تعالى ـ وأنهـم لن يضروا دين الله، كُنى باسم الجلالـة عنه. وبيَّن سبحانه وتعالى أنهم لن يضـروا المسلمين بأى ضرر وإن حقر وصغر على ما يبين من لفظ «شيئا».

ثم إنه تعـالى بيَّن سبب ارتـداد من ارتدَّ عن الـدين بقوله تعـالى «يريد الله ألا يجعـل لهـم حظا فى الآخرة» وهو مـا يعنى أنه تعالى أراد لهم بحكم علمه السابـق أنهم يختارون الضلالة على الهدى ألا يكون لهـم نصيب فى ثواب الله ورحمته يوم القيامة، فيكـون منهم الارتداد عن الدين الحق .

ويأتـى قوله تعـالى ـ فى ختام الآيـة ـ «ولهم عـذاب عظيم» لبيـان تناسب الجـزاء وهو العذاب العظيم فى الآخرة مع شناعة الجرم وهو السقوط عن إرادة فى هاوية الكفر والمسارعة فى هذا كما يبين مـن لفظ «فى» عند التعبير عن جرمهم فى مبتدأ الآيـة «يسارعون فى الكفر» فناسـب ذلك أن يكون العـذاب ـ المقدَّر جـزاءً ـ عظيما، كمـا ناسب جسـامة ما استهـدفوه بارتدادهم وهو الإضرار بدين الله وبالمسلمين، وعظم من أرادوا الإضرار بهم وهم المسلمون، فحقَّ فيهم عدله تعالى أن يكون عذابهم عظيما .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾

أولا : الأســـــــماء :

الذين اشتروا الكفر بالإيمان : قيل إن المراد بهـم ـ فى معنى الآية ـ عمـوم الكفار، فيكون المراد بـالإيمان الذى استبدلـوا به الكفر هو الإيمـان الفطرى الذى جبلت عليـه النفوس، أو الإيمان بالآيات الدالة فى الآفاق وفى النفس، وقيل إن المراد بهم المرتدون من اليهود الذين أعلنوا إسلامهم استبدلوا بالإيمان الذى بثَّه فيهـم ما جاء فى التوراة الكفر به وبالإسلام، وقيل إن المراد بهم المنافقون.

وقد ينـاسـب اعتبار قوله تعالـى فى الآية تكرارا لما جـاء فى الآية السابقة لتـأكيد معناه أن يكون المراد بهم الذيـن ارتدوا عن الإسلام، يدخل فيهم الذين ارتدوا عنـه بعد يوم أحد، وكل

من يرتد عن الإسلام فى أى زمـــان .

ثانيا : التفســـــــير:

قوله تعـالى «إن الذين اشتروا الكفر بـالإيمان لن يضروا الله شيئا» هو تكـرار لمعنى مستفاد من الآية السـابقة أريد به تأكيده وبيـانه. جاء فيه التعبير عـن المرتدين عن الديـن متمثلا فى تشبيههم بالمشترى لبيان صدور الفعل منهم بـإرادة، وفى استهدافهم منه تحقيق مصلحة لهم وهى الإضرار بدين الله و إيذاء المسلمين، وفى أنهم فـى فعلهم قد تخلوا عن الصالح وأخذوا الضار؛ ولذلك ناسب ما كان منهم أن يبيِّن الله تعـالى سوء اختيارهم وعدم تحقق ما استهدفوه بفعلهم أو بصفقتهم من الإضرار بالمسلمين و إعاقة انتشار دين الله بقوله تعالى «لن يضروا الله شيئا».

وبعد ذلك يجىء قولـه تعالى «ولهم عذاب عظيم» وصف به العـذاب بغايته وهى الإيلام مع بيان مـدى شدَّته «عذاب عظيم» ليناسب سرورهم لـدى تنازلهم عن الإيمان فـى مقابل الكفر المشبَّه بسـرور المشترى حين يبتاع شيئا يرى أنـه أصلح له مما دفع فيه مـن ثمن، فدلَّ التعبير فـى نص الآية علـى عظم خسارة المـرتدين وشـدة ما يخلفه فعلهـم فى نفوسهـم فى الآخرة حين يتحققون من خسارتهم لدى مواقعة العذاب الأليم.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾

التفســـــــير:

جملة الآية فـى بيان التناقض البيِّـن بين ما يعتقده الكـافرون ويحسبونه حقًّـا وبين الحق الذى يكون فى أمرهم، فهم يحسبون أن عدم الانتقام منهم والإرخاء لهم يتمتعون بما يتمتعون به، و إطالة أعمارهم مع إمهالهم بتركهـم على ما هم عليه، يحسبون أن هذا الإملاء خيرٌ لهم،

فجاء قوله تعالى مثبتا عدم صحة هذا الظن بقوله تعالى «ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خيرٌ لأنفسهم» جاء قوله تعالى معطوفا على قوله تعالى فى الآية ١٧٦ «ولا يحزنك»، وفيه جاءت «أنما نملى لهم» مبتدأ، وخبره «خير»، وقوله تعالى «ولا يحسبن الذين كفروا» نفى ما جاء به «الخبر»، فيكون المعنى المراد إيصاله هو خطأ ما يعتقده الكافرون من أن إملاء الله لهم وإمهالهم على ما هم عليه وفيه هو خيرٌ لهم، وإثبات أن حقيقة الأمر غير هذا بمعنى أنه ليس خيرا لهم.

ويفيد القول ـ بمفهوم المخالفة وبالنظر إلى مقابلة الكافرين بالمؤمنين ـ أن هٰذا الإمهال للكافرين يكون خيرا للمؤمنين .

ثم إنه تعالى يورد علة إمهال الكافرين وعدم الإسراع بالاقتصاص منهم فى الحياة الدنيا، فيقول تعالى «إنما نملى لهم ليزدادوا إثما»، ذلك أنه لما كان فى علمه الأزلى أن الكافرين سيؤثرون الكفر على الإيمان فقد شاءت إرادته تعالى أن يكون جزاؤهم على قدر سوء نفوسهم وسوء اختيارهم فكان منه تعالى إمهالهم ليظلوا فى كفرهم سادرين، لأنه كما قيل «ما من أحدٍ بر ولا فاجر إلا والموت خيرٌ له» لأن البر يجد ما هو خير عند الله كما قال تعالى «وما عند الله خير للأبرار»، ولأن الفاجر يزداد إثما كلما طالت حياته على ما جاء بقوله تعالى «إنما نملى لهم ليزدادوا إثما».

وقد قيل إن اللام فى لفظ «ليزدادوا» كانت لبيان العاقبة، ويردُّ على هذا بأن الجملة جاءت تعليلا لما قبلها .

وقوله تعالى «ولهم عذاب مهين» جاء مبيِّنًا حال الكافرين فى الآخرة من بعد بيان حالهم فى الحياة الدنيا، لأنه لما كان حالهم فى الحياة الدنيا أنه أُملى لهم ليزدادوا إثما، وكان منهم فعل ما ازدادوا به إثما، فإنه ناسب ذلك أن يعدَّ لهم العذاب سلفا، وأنه لما كان الإملاء لهم قد مكنهم من التنعم بما أترفوا فيه، فقد ناسب ذلك أن يكون العذاب المعدُّ لهم عذابا مهينا، ليكون جزاء وفاقــا .

مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾

أولا : الأســــــماء :

١ ـ المـؤمنون : فى قـوله تعالى «ليـذر المؤمنين» المـراد به المخلصون فى إيمـانهم دون الذين أعلنوا إيمانهم بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم .

٢ ـ الخبيث : المراد به ــ فى معنى الآية ــ الذين خبثت سـرائرهم فأبطنوا الكفـر وأعلنوا الإيمان قولا بأفواههم .

٣ ـ الطيـــــب : المراد به ـ فى معنى الآية ـ المؤمنون الصادقون فى إيمانهم .

٤ ـ الغيـــب : المراد به ـ فى معنى الآية ـ المكنون فى الصدور فى شأن العقيدة .

ثانيا : التفســــــير:

جملـة الآية فـى بيان مـا يكون منـه تعالـى مـع المنافقيـن فى الحيـاة الدنيـا فيما يتعلـق بمعايشتهم المؤمنين واختـلاطهم بهم من بعد أن بيّن تعالى ما يكون عليـه حالهم فى الآخرة وما يكون إليه مآلهم من بعد إمهالهم فى الحياة الدنيا والإملاء لهم.

ويرتبط قولـه تعالى «ما كان الله ليذر المـؤمنين على ما أنتم عليه» ببيـان المخاطب بنص الآية على ما يبين من الآتى .

إن معنى القـول أنه «مـا كان الله مريـدا أن يدعَ المـؤمنين المخلصين فـى إيمانهـم على

الحال التى أنتـم عليها أيها المؤمنون» ولمـا كانت إرادته تعـالى نافذة فإن المعنـى يكون أنه تعالى لم يدع حال المـؤمنين على ما هى عليه بالفعل. وحال المؤمنيـن التى كانوا عليها هى اختلاط المـؤمنين المخلصين بالمـؤمنين فى الظاهـر أى بالمنافقيـن فى جماعة واحـدة هى جماعة المؤمنين الذين هم فى صحبة رسول الله ﷺ.

فيكـون المراد بـالمـؤمنيـن الذيـن لـم يرد الله تعـالـى أن يتركهـم علـى مـا عليه الحـال، المذكورين بلفظ «المؤمنون» هم المؤمنون المخلصون، ويكون المراد بالمؤمنين المذكورين بضمير المخـاطب «أنتم» هـم جمع المؤمنيـن الذى يضم المخلصيـن فى إيمانهـم ويضم معهم المنافقين مختلطيـن فى جمع واحد لا يعرف فيه المخلص من المنـافق، ومفاد هذا أن يكون المخاطـب بنص الآية هو جمـع المؤمنين الذى يضـم المخلص والمنافق ــ فى رأينا، والله أعلم ـ وقد قيل إن المخاطب بالنص للمنافقين، وقيل إنه للكافرين عموما .

ولما كـان مفاد قـوله تعـالى إنه لـن يترك حـال المؤمنين علـى ما هـم عليه مـن اختلاط المخلص منهم بالمنافق، أنه تعالى سيفرق بين الفريقين.

فقد جـاء قوله تعـالى «حتى يميـز الخبيث مـن الطيب» بمعنى أنـه تعالى سيفصـل بين الفريقين ويميز كلا منهما عن الآخر على ما تفيده «حتى» وهى للغاية.

عبَّر سبحانـه وتعالى عن المنـافق بالخبيث، وعـن الصادق الإيمان بالطيـب لأن المنافق خبثت طـويته ولأن المؤمن الحـق طابت سريـرته. وجاء ذكـر الخبيث قبل ذكر الطيـب لبيان وجوب نبذ المنافقين لأن المرء حين يفرز بضاعته أو مـاله يبدأ بالتخلص مما فسد منها أو منه بتنحيته أو إلقائه .

وبعد أن ذكر سبحانه وتعـالى أنه عازلٌ المنافقين عن المؤمنيـن المخلصين، بقى البحث عن الـوسيلة التـى يحصل بهـا هذا، وفيهـا قيل إن ذلـك قد يكـون بالمحـن يختبر بهـا جمع المؤمنين كما كان يوم أحد إذْ ارتد المنافقـون وبقى المؤمنون المُخلصون على إيمانهم، وقيل بإعلاء كلمة الدين ودحر الكافرين فيظهر حزن المنافقين، وقيل إنه يكون بإعلام رسول الله ﷺ.

المنافقين بالـوحى يوحى به إليه. وجاء قـوله تعالى «وما كان الله ليطلعكـم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشـاء» داعما القول بأن وسـيلة التمييز بين المنـافقين وبين المؤمنين هى الوحى يـوحى بـه إلى رسـول الله ﷺ، وإن كـان الإعلام بطريق الوحى قـد يكون بطريق مباشرة وقد يكون بطريق غير مباشرة.

فقوله تعـالى هذا جاء متعلقا ببيان وسيلـة التمييز بين المنافق والمؤمـن الصادق الإيمان، خوطب به المؤمنـون الصادقون فى إيمانهم تشريفا لهم «ومـا كان الله ليطلعكم على الغيب» ومعناه أنه تعـالى لن يطلِعكم أيهـا المؤمنون على ما انطـوت عليه قلوب المنافقيـن من كفر ونفاق.

ثم يجىء قولـه تعالى «ولكـن الله يجتبى مـن رسله مـن يشاء» ومعناه أنـه تعالـى يجتبى الرسول مـن الرسل فيخبره وحيًا بمـا فى قلوب المنافقيـن فيعرفهم. وفى القول إشـارة إلى أنه تعالى قـد اجتبى رسوله ﷺ فـأخبره بما فى قلـوب المنافقين فعرفهـم وقد كانت معـرفته ﷺ بطريق مباشر وبطريق غير مباشر، فمن المباشر إخباره بالمنافقين وإعلامه بهم بطريق الوحى، ومن غير المبـاشر أن يوحى إليـه بأمر يظهرهـم مثل دعوتهم إليـه يوم أحد، ودعوتهـم فى اليوم التالـى للخروج خلـف المشركين فكـان من المنافقيـن عدم الاستجـابة لدعـوته ﷺ إيَّـاهـم فعرفهم. أما علم المؤمنين الصادقين فى إيمانهم بهم فإنه يكون أيضا بطريقين:

إحداهما مباشرة بإخبارهم بهم من رسول الله ﷺ.

والأخرى غيـر مباشرة بطـريق الاستنتاج واستخلاص النتـائج من مقدمـاتها وهو مـا يكون بملاحظة الحرص على الحياة وعدم الاستجابة لـرسول الله إذا دعاهم للجهاد، وسعادتهم بما يسىء المسلمين وحزنهم إذا مـا أصابهم خير. ثم يجىء قوله تعالى «فـآمنوا بالله ورسله» وهو خطاب موجـه إلى عموم المؤمنين بمن فيهـم الذين يظهرون الإيمان ويبطنـون الكفر، فيكون المراد به بالنسبة للمؤمنين الصادقين فى إيمانهم أن يظلوا على إيمانهم ومنه إيمانهم بصدق ما يخبرهم به ﷺ فـى شأن المنافقين، ويكون المراد به بالنسبة للمنـافقين أن ينبذوا الكفر من

قلوبهم وأن يدخلوا فى زمرة المؤمنين الصادقين؛ ولذلك جاء قوله تعالى فى ختام الآية «وإن تؤمنوا وتتقـوا فلكم أجر عظيم» مـوضحًا أن الخطاب يشمل المنـافقين إلى جانـب المؤمنين المخلصين فقولـه تعالى «وإن تؤمنوا» يفيـد معنى ابتداء الإيمان، أو ابتـداء الإيمان الصادق، وهو ما يكون فى شأن المنافقين ـ وإن أفـاد الاستمرار على الإيمان الصادق بالنسبة للمؤمنين المخلصين، وكذلك الحال فـى شأن قوله تعالى «وتتقوا»، وذلك لأنه لـم يكن من المنافقين تقوى الله قبل ذلك واتقاء عذابه. فتكون تقواهم تابعة لإيمانهم إيمانا صادقا.

وقد جاء قوله تعالى فى صيغة جملة شرطية، أداة الشرط فيها «إن» وفعل الشرط هو «تؤمنوا وتتقوا» وجواب الشرط هو «فلكم أجـر عظيم» وُصف فيه ثوابه تعالى بأنه أجـر لأنه كان مقابل إيمانهـم الإيمان الصحيح واتقاء عـذابه بالتزام أوامـره تعالى ونواهيـه، وبأنه يكون لهـم كما يكون الأجـر للعامـل بعد أدائه عملـه، ووصف الأجـر بأنـه عظيم مـع تجهيله لـلإطماع فـى الحصول عليه.

وقيل فى منـاسبة نزول الآية أن الكفار قـالوا: إن كان محمد صـادقا فليخبرنا من يـؤمن منا ومن يكفر، فنزلت الآية .

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾

أولا : الأســــــماء :

١ ـ الذيـن يبخلون : هـم الذيـن يمتنعون عـن أداء الـواجب أداؤه، لأن البخـل هو «منـع الواجب» فيكـون المراد بهم ـ فى معنـى الآية ـ الذين لا يخرجـون الزكاة فى أموالهـم ـ لأنها واجب ـ والذين لا ينفقون فى سبيل الله ـ لأنه واجـب ـ وقيل إن المراد بهم أهل الكتاب الذين

دتموا صفة رسول الله ﷺ ونبـوته التى وردت فى التوراة اعتبروا بخلاء لأنهـم لم يؤدوا واجبهم بالإخبارعنها والإعلان .

٢ ـ الميـــراث : فـى قولـه تعالـى «ولله ميـراث السماوات والأرض» . هـو الشىء تنتقـل ملكيته إلى من لم تكن له من قبل بسبب من الأسباب. وليس هذا هو المراد به ـ على الحقيقة ـ فـى معنى الآية ـ لأنه تعالـى مالك الأمـوال جميعها مـن قبل وإنما كـانت فى يـد الناس «عارية» أى على سبيل الإعـارة، ثـم تعود إليه تعالى الأرض وما فيها بعـد فناء الخلق، فشـبه ذلك بالميراث.

ثانيا : التفســــــير:

ترتبط الآيـة بما سبق ذكره فى الآيـة ١٧٨ من أنه تعالـى يملى للكافرين ومـن الإملاء أنه تعالى يتركهم يتمتعون بالمال فى الحياة الدنيـا فجاء قوله تعالى فى الآية محذرا من أن يكون الحرص على جمـع المال سببا للامتناع عـن أداء الواجب فيه، وإذا كان يعـزُّ تصور أن يكون ذلك من المؤمنين المخلصين فى إيمانهم فإنه يتصور فى شأن المنافقين .

وقوله تعالى «ولا يحسبنَّ الذين يبخلون بما آتـاهم الله من فضله هو خيرا لهم» يوضح عدة معان، منها أن الـذى يدفع البخلاء إلى البخـل فيمتنعون عن أداء ما توجـب عليهم أداؤه من أموالهم مثل الزكـاة هو مجرد ظن أو حسبان ـ والظن لا يغنى من الحـق شيئا ـ وأنهم يحسبون أن فى الامتناع عن أداء مـا وجب أداؤه ما يحقق لهم الخير، وأنهم لو ابتغـوا وجه الحق لعلموا أن ما بأيديهم من المال هو مال الله تفضل به عليهم فكان بعض فضله.

ثم يجىء بيان خطأ البخـلاء فيما ظنوه بقوله تعالى «بل هو شرٌّ لهـم»، وهو تخطىء صريح لظنهم بقول قـاطع مفاده أن بخلهم وامتناعهـم عـن أداء ما وجب أداؤه فى أموالهـــم هو شرٌّ لهم .

ثم يأتى بيان أحد مظاهر هذا الشر بقوله تعالى «سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة» وقيل فى تفسير قوله تعالى ـ أخذا بظاهر النص ـ إنه ثعبان أقرع يطوّق مانع الزكاة يوم القيامة استنادا إلى

حديث عن أبى هـريرة قال: قال رسول الله ﷺ : من آتاه الله مالا فلم يؤد زكـاته مثل له شجاع أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمتيه يقول: أنا مالك، أنا كنزك».

وقد يكون المعنى المراد بعبارة النص أنهم يُكلفون يوم القيامة أداء ما امتنعوا عن أدائه من أموالهم مما وجب فيها فى الحياة الدنيا، فيعجزون عن ذلك، فيكون إلزامهم الأداء مثيل إلزام الطوق يطوق رقبة المرء أو حقويه .

وبعد ذلك يبيِّـن سبحانه وتعالـى فساد أساس العقيدة التـى نبع منها ظن البخـلاء أن فى البخل خيـرا لهم، وهو اعتقـادهم أن ما فـى أيديهم مـن المال هو مـالهم، فقال تعـالى «ولله ميـراث السمٰوات والأرض» فجميـع ما فـى السمـاوات وما فـى الأرض لـه سبحانـه وتعالـى لايشاركه ملكيته أحد، وما أودعـه أيدى العباد فى حياتهم الدنيا يعود إليه تعـالى بعد فنائها، كما أنهم يتركون ما كنزوا وما جمعوا عند موتهـم فيعود إليه تعالى يورثه خلفهم ليعود إليه بعد فناء الدنيـا؛ ولذلك فإن البخـلاء لا يجنون من بخلهم إلا حسرة يـورثها إياهم بخلهـم وندامة على ما كان منهم حين يرون عاقبة بخلهم يوم القيامة .

وتختتم الآيـة بقوله تعـالى «والله بمـا تعملون خبير» جـاء للترهيب مـن البخل، وجـه إلى المخاطبيـن مباشرة ولـم يجىء بشأنهـم فقال تعـالى «بما تعملـون» ولم يقل «بمـا يعملون» لإدخال المهابة فى النفوس، ومعنى أنه تعالى خبيـر بما يكون من عمل المخاطبين من إنفاق ومن بخل أنـه تعالى سيجازى البخلاء بسـوء فعلهم وفى هذا تهـديد لهم ليرتدعـوا عن سوء فعلهم .

لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾

أولا : الأســـــــماء :

الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء : قيل إن قائل القول هو فنحاص بن عازر أحد علماء اليهود، قالـه لأبى بكر فى جمع من اليهـود وافقوه فى قوله فكـانوا كأنهم قائلوه، وقـولهمْ كان بعد نزول قـوله تعالى «مـن ذا الذى يقرض الله قرضا حسنـا فيضاعفه له» فقـال فنحاص لأبى بكر إن ربك فقير يقترض منـا وإنما يقترض الفقير من الغنىِّ، ويمنع الربـا ويعطيه إيانا. فكان من أبى بكر أن ضـرب وجهه فشكاه فنحاص إلى رسول الله ﷺ فلما سـأله رسول الله ﷺ عن سبب ضربه فنحـاص ذكر له أبو بكر قول فنحـاص، فأنكر فنحاص أنه قال ذلـك فنزلت الآية تصديقا لأبى بكر. وقيل إن قائل القول هو حيى بن أخطب .

ثانيا : التفســـــير:

قوله تعالى «لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء» يتضمن أمرين :

أولهما : هو إثبات صدور القول من قائله، وتصـديق أبى بكـر رضى الله عنـه فيمـا قاله ـ بمراعاة سبب نزول الآية ـ وتكذيب خصمه لدى رسول الله ﷺ.

جاء التعبير عـن صدور القول من قـائله بقوله تعالـى «لقد سمع الله» خصَّ بـه سماع قول القائل مع كـونه سميعا لكل مسموع لبيان هـول ما نطق به القائل ولإظهار سـوء العقاب عليه لأن سماعه سماع تهديد وليس سماع قبول.

وثانى الأمرين: هو ذكر مضمون قول القائل وهو أنه تعالى فقير لطلبه الإنفاق من الناس فى سبيل الله على سبيـل القرض، وأنهم الأغنياء لأنهـم أصحاب المال المطلوب منهـم إقراضه تعالى .

ثم جاء قوله تعالى «سنكتب ما قالوا» وعيـدا لقائلى القول بتعذيبهم بالاجتراء عليه تعالى وإثباتا لتدوينه عليهم لمـؤاخذتهم به، ولحق به ما كان من أسلافهـم وأقروهم عليه من قتلهم أنبياء الله بغير الحق ليؤاخذوا بـه مع مؤاخذتهم على اجترائهم على الله تعالـى بما قالوا، وفى

إلحاقه تعـالى ذنبهم بقتل الأنبيـاء بذنبهم بالاجتـراء عليه تعالى بـالقول ما يبين منـه تساوى الفعلين فى الجسامة وبيان أن من يصدر منه أحدهما خليق بأن يصدر منه الآخر فيكون جديرا بالعذاب.

وقد عبّر عن هـذا العذاب بقوله تعالى «ونقـول ذوقوا عذاب الحريق» وهو قـول يبيّن شدة العذاب، لأن قولـه تعالى «ونقول ذوقوا» مفـاده أن المخبر عنه يكون مجرد مبـدأ العذاب كما يكون التذوق مبدأ التجرع، فيكون التعبير متضمنا أنه يكون لهم من بعده عذاب أشد، وعذاب الحريق معناه عذاب المحـرِق وهو سبحانه عزَّ وعلا، والذى يقول لهم القـول هم خزنة جهنم يقولونه لهم بأمر ربهم فنسب القول إليه تعالى .

ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾

أولا : الأســــــماء :

ظـــــلام : صيغة مبالغة من «ظالم» اسم فاعـل من الفعل «ظلم ـ يظلم» ظلما، والمراد بالمبالغة المبالغة فى كمية الظلم وليس فى كيفيته .

ثانيا : التفســــير:

القول فى الآية مخاطـب به الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء والـذين قتلوا الأنبياء بغير حق. أشـار الله تعالـى إلى العذاب الـذى توعدهـم به بـاسم الإشارة «ذلـك» جاء فـى القول «مبتدأ» وخبـره «بما قدمت أيـديكم» جاءت فيـه «الباء» لبيان سبـب العذاب وهو ما قـدمت أيدى المخـاطبين بالنـص وهو جميـع ما عملوه ومنـه قتل الأنبياء وقـولهم إن الله فقيـر وأنهم الأغنياء جاء التعبير عن وقوعه منهم بذكر أيديهم من باب التعبير عن الكل بالجزء .

وجاء قولـه تعالى «وأن الله ليس بظـلام للعبيد» مرتبطا بسبـب تعذيبهم لبيان استحقـاقهم العذاب الموصوف بأن أول ما يتذوقونه منه هو عذاب الحريق.

ويلاحظ أن فى قيام علاقة سببية بين فعلهم وبين ما استحقوا من عذاب لنفى الظلم عنه تعالى أنه لا يفيد ـ بمفهوم المخالفة ـ أن عدم تعذيبهم على ما فعلوا يعتبر ظلما منه تعالى، لأن هناك فرقا بين وجود سبب للعقاب وبين إيجاب حصوله فلا يعنى وجود السبب وجوب حصول المسبَّب، وإنما يعنى وجود المبرر السائغ لحصوله؛ ولهذا انتفى عنه تعالى أن يكون ظالما إياهم بتعذيبهم على ما فعلوا وما قالوا من قول تكاد السماوات يتفطرن منه .

ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣

أولا : الأسماء :

القربان : هو ما يتقرب به إلى الله من النعم ومن غيرها، كان فى شريعة موسى من الماشية أو الأغنام والمعز يحرق فى محرقة المعبد .

ثانيا : التفسير:

الآية الشريفة نزلت فى قوم من اليهود قيل إنهم كعب بن الأشرف، ومالك بن الصيف، ووهب بن يهوذا، وفنحاص بن عازر أو عازوراء، وحيى بن أخطب أتوا رسول الله ﷺ وطلبوا منه أن يقدم إلى الله ذبيحة ليروا ما إذا كان تعالى سينزل نارا من السماء تأكلها أم لا، فإن نزلت النار كان ذلك لهم دليلا على نبوّته ﷺ ليؤمنوا به، مدَّعين أن هذه هى علامة التفرقة بين النبى الصادق والنبىِّ الكاذب التى وردت فى التوراة .

وقد كذب اليهود فيما زعموه فقد كان نزول النار التى تأكل القربان دليلا على قبوله خلال فترة زمنية انقضت، كما أنه عندما بشَّر موسى عليه السلام برسول الله ﷺ فإنه طلب من

اليهود الإيمان له دون أن ينـزل لهم نارا من السماء تأكـل القربان، فقد جاء فى التـوراة ـ التى بين أيدينا اليوم ـ فى تأييد نبوة هارون عليه السلام فى الإصحاح التاسع من سفر اللاويين «ثم رفع هـارون يده نحـو الشعب وباركهـم وانحدر مـن عمل ذبيحة الخطيَّـة والمحرقـة وذبيحة السلامة. ودخل موسـى وهارون خيمة الاجتماع ثم خرجا وباركـا الشعب، فتراءى مجد الرب لكل الشعب وخرجت نار من عند الرب وأحرقت على المذبح المحرقة والشحم، فرأى جميع الشعب وهتفوا وسقطوا على وجوههم»، وجاء فيها فى الإصحاح الثامن عشر من سفر «تثنية»: «أقيم لهـم نبيا من وسـط إخوتهم مثلـك وأجعل كـلامى فى فمـه فيكلمهم بكل مـا أوصيه، ويكون الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه». وجاء فيه أيضا قبل هذه البشارة الواضحة برسول الله ﷺ «يقيم لك الـرب إلٰهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعـون، حسب كل مـا طلبت من الرب إلٰهـك فى حوريـب يوم الاجتماع قـائلا لا أعود أسمع صوت الرب إلٰهى ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا أموت».

ومن القوليـن يبين أن النيران التى أكلـت القربان إنما كانـت للتدليل على قبـول القربان وعلى قبـول هارون عليه السلام نبيـا فى زمن مضى، وأنـه عنـد تبشيـر موسى عليـــه السلام برسول الله ﷺ من أبناء إسماعيل «من إخوتك» وطلبه مـن اليهود أن يؤمنوا له فإنه لم يذكر أنه يأتى بعلامة النار تأكل القربان، وهذا دليـل على كذبهم فيما ادَّعوه من كتابهم الذى يستندون إليه.

ويجىء قوله تعالى «قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقيـن» وهو أمر توجيهـى منه تعالى لـرسوله الكريـم.أن يقول لليهود القائليـن له هذا القول ـ تبكيتا لهم وتدليلا على كذبهم ـ أنهم قد قتلوا من قبل رسلا كثيرين جاءوهم بالآيات الدالة على نبوتهم وجاءوهم بالدليل الذى اقترحوه، وأنهم ـ مع قيام الحجة عليهم ـ قتلوهم. وجاء التعبير عن هذا فى صيغة استفهام يتضمن معنى التبكيت والإنكار.

وقولـه تعالى «إن كنتـم صادقين» هـو نفى الصـدق عن اليهود القـائلين القول بـاعتبار أن كذبهم هو النتيجة المستخلصة مـن كونهم قد ثبت فى حقهم قتل الأنبياء الذيـن أتوا بالدليل

الذى طلبوه على صحة النبوة، مما مفاده أنهم لا يطلبون دليلا و إنما يصرُّون على الكفر ويكذبون فى ادعائهم طلب دليل .

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ١٨٤﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ الزبـر : جمع «الزبور» وهو الكتـاب المتضمن الحِكَم والأمثال دون الأحكـام .

٢ ـ **الكتاب المنير** : معناه هو «الكتاب الواضح» والمراد به ـ فى رأينا، والله أعلم ـ التوراة والإنجيل، ذكرا بلفظ «المفرد» لأنهما فى شأن العقيدة وهى الإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به كتاب واحد شأن جميع الكتب المنزلة منه تعالى، كما أنهما فى شأن أحكام المعاملات والعقوبات كتاب واحد لأن الإنجيل لم يأت بأحكام فيها تخالف أحكام التوراة و إنما أقرَّها وصحَّح ما انحرف به تطبيقها عن معناها ومضمونها .

ثانيا : التفسـير:

الخطاب فى الآية موجه إلى رسول الله ﷺ لما كذَّبه اليهود بدعوى أنه لم يقدِّم قربانا تأكله النار على ما زعموه كذبا أنه آية التدليل على نبوته ﷺ فى التوراة. فجاء قوله تعالى للتسرية عنه يبلغه أنه ليس وحده من بين الرسل الذى كذَّبه اليهود وكذَّبه قومه «فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك» فقوله تعالى يثبت سبق حصول تكذيب الرسل على ما جرت عليه طبيعة المصرِّين على الكفر.

ثم يبين سبحانه وتعالى أنه جرى تكذيب الرسل حين كان متوجبا الإيمان بهم لأنهم بعثوا بالآيات الدالة على نبوتهم والمعجزات التى يفترض أن ترى فيها العقول الواعية الدليل على

صدقهـم، كما بعثوا بالحكـم والأمثال التى تـرشد إلى طـريق الإيمان الصحيح وتهـدى إلى الطريق المستقيم مما لا يأتى به البشر بذواتهم فيكون دليلا على نبوتهم.

كما أن منهم من أنزل عليه الكتاب المنير وجرى تكذيبه فقد أنزل على موسى عليه السلام التوراة متضمنـة عقيدة التـوحيد وأحكام المعـاملات وقـواعد التجريـم والمعاقبـة، والتبشير برسول الله ﷺ ووصفه فكانت كتابا منيرا يستضاء به، ثم وقع الكفر بها وبرسول الله موسى عليه السلام بكفرهم طلبـه من بنى إسرائيل أن يؤمنوا بـرسول الله ﷺ متى جاء ـ على مـا سبق بيانه مما هو موجود فى سفر «تثنية» فى التوراة التى بين أيدينا اليوم ـ كذلك فإنه أنزل الإنجيل على المسيح عيسـى ابن مريم فكـذبه اليهود فـى زمانه، ثـم كذبه النصارى بحيـدتهم عن دعـوته إياهـم بالإيمان لرسـول الله ﷺ متى جاء ـ على ما سبـق بيانه مما هـو موجود فـى الإصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا الموجود بين أيدينا اليوم .

فيكون المستفاد من القـول أن منكرى نبوته ﷺ غارقون فى ظلامـة الجهل لا يستنيرون بما ينير، مما لا يستوجب أن يكون حزنٌ على تكذيبهم .

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾

أولا : الأســــــماء :

١ ـ المتـــاع : فى قوله تعالى «إلا متاع الغرور» هو كل ما يُتمتع به ويُنتفع .

٢ ـ الغـــرور : هو الشيطان يغرُّ الإنسان فى دينه ويغرُّه بمـا عليه من عزَّ وسلطان، ويغريه بمتع الدنيـــا .

ثانيا : التفسـيـر :

من بعد حديثه تعالى عن المكذبين برسول الله ﷺ ومخاطبته بشأنهم جاء قوله تعالى فى الآية مطمئنا رسوله عليه الصلاة والسلام بأنهم ملاقون جزاء تكذيبهم إيَّاه فى الآخرة ومتوعدا المكذبين بسوء العاقبة، وواعدا المصدِّقين بحسن ثواب الآخرة .

وقوله تعالى ـ فى مبتدأ الآية ـ «كل نفس ذائقة الموت»يفيد عدة معان :

منها أن تكذيب المكذبين إلى نهاية أقصاها ذوقهم الموت، على حين يبقى الدين الذى كذبوا به إلى يوم الدين .

ومنها أن جميع الأنفس ستذوق الموت، فيدخل فى عموم الأنفس الملائكة الذين لم يدخلوا فى عموم الفانين فى قوله تعالى «كل من عليها فان».

ومنها أن الموت إنما ينال الأجسام دون الأرواح لأن «الذوق» أو «التذوق» يكون للموت، والأجسام تفقد حواسها بالموت فلا تذوق شيئا أو تتذوقه، فتكون الأرواح الباقية على الحياة هى الذائقة .

وإتباعه تعالى قوله «كل نفس ذائقة الموت» بقوله «وإنما توفون أجوركم يوم القيامة» يفيد أنه فى يوم القيامة تقوم أجساد الخلق من قبورهم ومن أى مكان تذرَّت فيه وتحلُّ فيها أرواحهم، وأنهم فى وقت قيام أجسادهم يكون استيفاؤهم جزاء ما كان منهم فى الدنيا، جاء التعبير عنه بالفعل «توفَّون» لبيان أنه قد يعجل للناس فى الدنيا بعض جزائهم من خير أومن شر، يكون تمامه يوم القيامة فيكون جزاء فاعلى الخير خيرا ويكون جزاء فاعلى الشر شرًّا .

ثم يجىء بيان ماهية الجزاء الذى يلقاه كل من المصدِّقين والمكذبين بقوله تعالى «فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز» ، والذى يبدو لنا ـ والله أعلم ـ .

أن المستفاد من قوله تعالى «فمن زحزح عن النار» أن الناس يكونون فى الأصل قريبين

منها وذلك لما هو معلوم من أن أحدا لا يدخل الجنة بعمله وإنما برحمته تعالى، وأن الإنسان مهما فعل لا يستطيع أن يقوم بحق نعمة واحدة مما أنعم الله به عليه من النعم، ثم تكون زحزحة المصدِّقين فاعلى الخير عن النار بتكرار دفعهم عنها أو بتكرار جذبهم من بعيد إلى البعيد عنها، فإذا بلغ أمر الزحزحة إلى دخول الجنة ـ وليس فقط إلى الابتعاد عن النار كأهل الأعراف ومن يتأخر دخولهم الجنة ـ فإنه يكون قد قُدِّر لمن كان له هذا الفوز العظيم لأنه لا فوز مثل الفوز بالجنة .

ويجيء اختتام الآية بقوله تعالى «وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور» لبيان تفاهة ما يتمتع به فى الحياة الدنيا ـ وهو إلى زوال ـ مقارنا بما يتمتع به فى الآخرة وهو إلى خلود، ولا عجب من هذا فإن الذى أغرى بمتاع الحياة الدنيا هو الشيطان لا يملك إلا أن يزيِّن لأوليائه الإثم فى دنياهم، على حين أن الذى وعد بمتاع الآخرة هو الملك الحق سبحانه وتعالى مالك الدنيا والآخرة فحقَّ منه تعالى أن يكون الخلود فى نعيم الآخرة .

لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

التفسـير :

الخطاب فى الآية إلى المؤمنين مع رسول الله ﷺ، ويمتدُّ إلى المؤمنين فى كل زمان، تضمن إبلاغهم بوجوب اختبارهم بالمحن فى الحياة الدنيا، ولما كان المتصور فى الابتلاء أن يكون بالخير وأن يكون بالشر، فإنه تعالى أوضح أنه يكون للمؤمنين فى الدنيا فى أموالهم وفى أنفسهم، فيكون للصابرين منهم عليه الخير فى الآخرة.

ومعنى أن يكون الابتلاء فى المال هو أن يكون فيه النقص أو الإهلاك، ومعنى أن يكون

الابتلاء فى الأنفس هو أن ينال نفوس المؤمنيـن أو نفوس الأعزاء عليهم القتل والجرح والأسر والمرض والشدائد والمحن .

ثم إنه ذكـر تعالى أنه يصيـب الموسين أيضا أذى كثير يصـدر من الذين أوتـوا الكتاب من قبل أن ينزل القرآن على رسول الله ﷺ، أى من اليهـود والنصارى، ينطقون بما يؤذى المؤمنين فيطعنون فى دين الله ويسيئون إلى رسول الله ﷺ بوصفه بما لا يليق به من النعوت والأوصاف، ويتغزلون فى نسـاء المسلمين أو يهزءون بمظهرهم وملبسهم، ويصدر من المشـركين من غير أهل الكتاب.

وجاء ذكر الـذين أوتوا الكتاب قبل ذكر المشـركين، لأن خطأ صدور القول من الـذين أوتوا الكتاب أشد جسامة مـن صدوره من المشركين لأن كتب أهل الكتاب تنهـى عن الفحش فى القول وتأمر بمكارم الأخلاق على حين يعدم المشركون مثلها .

وتختتـم الآية بقـوله تعـالـى «وإن تصبروا وتتقـوا فإن ذلـك مـن عزم الأمـور» وهو حـضٌّ للمؤمنين على الصبر على أذى أهل الكتاب والمشركين وعلى التمسك بتقوى الله وطاعته لأن الصبر والتقـوى مما يجـب أن يعزم عليه المـؤمنون، وقـد كان هذا هـو مسلكه ﷺ مـع اليهود فلطالما صبر على أذاهم ووادعهم، كما كان مسلكه مع المنافقين حين عفا عنهم، وللمؤمنين فى رسولهم ﷺ القدوة والأسوة الحسنة .

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾

التفســــــير:

بعد أن ذكر سبحانه وتعالى ما يكون من أهـل الكتاب من إيذاء المؤمنين بالقول رغم أنهم أهل كتاب كان مفتـرضا فيهم ألا يكون منهم مثل ذلـك، فإنه تعالى أورد ذكر حـدثٍ آخر يبين فيه مدى التناقض بين كـونهم أهل كتاب وبين ما يصدر منهم من أفعال فضـلا عن كونه سببا لإيذائهم المؤمنين بالقول.

والحدث المذكور خلاصته أنه على حين أخذ الله عهدا من الذين أوتوا الكتاب ان يظهروا ما فى الكتاب من تبشير برسول الله ﷺ، وألا يكتموا خبره ووصفه عن الناس، فإنه كان منهم أن ألقوا العهـد المأخوذ عليهم أو ألقـوا ما جاء فى الكتـاب متعلقا بالتبشير بـرسول الله ﷺ وراء ظهورهـم فى مقابل متع الحياة الدنيا وزينتها .

فقوله تعالى «وإذْ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب» هو بيان واقع أنه تعالى قد أخذ عهدا وميثاقا على علماء أهـل الكتاب، وهو ميثاق أخذ عليهم بحكم كونهـم أهل العلم المسئولين عن تعليم أهل ملَّتهم شئون دينهم وتعريفهم ما جاء فى كتبهم فهم المأمورن بأمر موسى عليه السلام فـى التوراة أنه إذا بعث الله الـرسول المبشَّر به ــ الذى يأتـى من نسل إسماعيـل عليه السلام يوحى إليه بكـلام الله فينقله شفاهة ـ أن يؤمنوا له، وهم المأمـورون بأمر المسيح عيسى عليه السلام أنه متى أرسل الله من بعده الرسول الذى ينطق بما يوحى به إليه من ربه أن يؤمنوا له. فيكـون المراد بالذيـن أوتوا الكتاب ـ فـى معنى الآية ــ هم أحبار اليهود وكهنـة النصارى وأهل العلم بالكتاب منهم .

ومضمون العهد المـأخوذ عليهم أن يظهروا لأتباعهـم ما ورد فى الكتاب متعلقا بـالرسول المتنبـأ بمجيئه أى بـرسول الله ﷺ، أو بـالإعلان للنـاس عنـه ﷺ أنه الـرسول المبشـر به فـى الكتاب، ومـن العهد أيضا ألا يكون مـوقفهم سلبيا يتمثل فـى إخفاء ما ورد فى كتبهـم متعلقا بالإخبار عنه ﷺ وذكر صفـاته، أو السكوت عن الإخبار بأنه ﷺ هو المتنبـأ به فى كتبهم رسولا يكمل به الدين .

وقد ذكر النهى عن الكتمان بعد ذكر الأمر بالإظهار رغم تضمن الإظهار معنى عدم الكتمان للمبالغة فى إيجاب المأمور به «لتبيننه للناس ولا تكتمونه» وفيه لم يؤكد النهى «ولا تكتمونه» بالنون لكونه منفيا.

أما الذى كان من أحبار أهل الكتاب وعلمائهم فهو عدم مراعاة العهد أو الميثاق المأخوذ عليهم وإطراحه جاء التعبير عنه بتمثيل واستعارة بأنهم ألقوا العهد أو ألقوا الكتاب وراء ظهورهم إبرازا للاستهانة به والتخلى عنه. ويظهر سبحانه وتعالى أن ذلك إنما كان منهم مقابل منافع الحياة الدنيا وصفت بأنها ثمن قليل «فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا». ثم إنه تعالى ذمَّ المقابل الذى حصلوا عليه مقابل عدم مراعاتهم العهد المأخوذ عليهم بقوله تعالى «فبئس ما يشترون» ذمَّه تعالى لأنه يوردهم العذاب الأليم.

لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾

أولا: الأسماء:

١ - **الذين يفرحون بما أتوا:** هم - فى معنى الآية - الذين يأتون فعلا نُكرا مستقبحًا ثم يفرحون به. قيل إنهم أهل الكتاب الذين زيَّفوا ما فيه وحرَّفوه ثم فرحوا بفعلهم، وقيل إنهم أحبار اليهود الذين كانوا يتحدثون عن رسول يأتى فى آخر الزمان يكمل به الدين ذكره كتابهم، فلما بعث ﷺ وسألهم قيصر روما وكسرى الفرس أيكون هو الرسول المبشَّر به أنكروا ذلك ليكسبوا رضاءهما وأموالهما.

وقيل هم قوم من أهل الكتاب سألهم رسول الله ﷺ عن شىء فى كتابهم فكذبوه القول وأخبروه بغيره وفرحوا بما فعلوا. وقيل إنهم قوم من المنافقين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله ﷺ ثم جاءوه يعتذرون بأسباب كاذبة ثم غادروه فرحين بما فعلوا.

٢ ـ المفـــازة : فى قـوله تعـالى «فلا تحسبنهـم بمفازة» هى الفـوز «مصدر ميمـى» من الفعل «فاز ـ يفوز»، والمفازة من العـذاب هى النجاة منه اعتبـرت فوزا لأنها فوز بالسلامـة منه.

ثانيا : التفســـير:

الخطاب فى الآية لرسـول الله ﷺ وللمؤمنين الذين قد يتعرضون لفعـل الكذبة المضللين الذين يأتون الكذب ليتجنبوا ما لا يحبون أو ليكسبـوا ما يحبون ويفرحون بفعلهم كما كان من هؤلاء الذين حرَّفوا الكتاب ليخفوا صفة رسول الله ﷺ فيه، أو الذين كذبوا عليه ما سألهم عنه مما فى كتابهم، أو الذين كذبوا على الملوك حيـن سألوهم أيكون محمد هو الرسول المذكور فى كتبهـم أنه يأتى فـى آخر الزمـان، أو المتخلفين عنه ﷺ الـذين اعتذروا إليه عـن تخلفهم كاذبين، ثم فرحوا بما أتوا .

ومضمون الخطاب تضمن ذكر صفة أخرى لهؤلاء الذين يفرحون بما أتوا وهى أنهم يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلـوا كما كان من اليهود الكذبـة بادعائهم أنهم على ملـة إبراهيم عليه السلام ليحمدوا بـذلـك، وكما كـان مـن المنافقيـن حيـن ادَّعوا أنهـم يصـومون ويصلـون ويخرجون الزكاة ليحمدوا بذلك.

وصلـب الخطاب نهـى عـن الظـن فى أنهـم ينجـــون من عـذابـه تعـــالى ويفــوزون بالســلامة.

عبَّر عن النهى بقوله تعالى فى مبتدأ الآيـة «لاتحسبنَّ الذين يفرحون»، فلما طال الحديث أعيد النهـى بقوله تعـالى «فلا تحسبنهـم»، والمعنى هـو عدم صحة الظـن بأنهم ينجـون من العذاب، ثم تأكـد نيلهم ما أعد لهم من العذاب بـإثبات حصوله بقوله تعـالى «ولهم عذاب أليم».

وليس المراد بنهيه ﷺ عن الظن أنهم ينجون مـن العذاب أنه ﷺ يظن ذلك وإنما المراد به هو التعريض بظنهم هم بأنفسهم أنهم من العذاب ينجون .

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾

التفســــــــير:

الآية تعقيب على ما سبق ذكره فى الآيات السابقات فى مخاطبته تعالى رسوله الكريم من نهى عن الحزن على الـذين يسارعون فى الكفر، وإعلامه ﷺ أنهـم لن يضروا الله شيئا بمعنى أنهم لن يضروا رسـول الله، ومن ذكر قولهم إن الله فقير وإنهم الأغنياء، ومـن نهى عن الظن أن الكذبة الفرحين ينجون من العذاب.

جاء فيه قوله تعالى مقيما ذاته الأسمى جلَّ جلاله مقام ذات رسول الله ﷺ الذى لن يضره شىء مما فعل الكـافرون ومما مكروا، فهو جلَّ وعلا ملك السمـاوات والأرض ومالكهما ومن فيهما وما فيهمـا، القادر على كل شىء والذى لا يقـدر عليه أحد؛ ولذلك سيبوء الكـافرون بما فعلوا وما كذبوا ومكروا بالخسران المبين ويكون لهم منـه تعالى العذاب الذى توعدهم به فلا ينجون منه.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾

أولا : الأســــــماء :

الاختــــلاف : فى قـوله تعالى «واختـلاف الليل والنهار» هـو تعاقبهما يجىء كـل منهما خلف الآخر على ما يحدث من التفاف الكرة الأرضية حول محورها حول الشمس.

وقيل هو تفـاوتهما فى الطول والقصر باختـلاف مدى بعد الشمس وقربهـا بحسب الأزمنة وبحسب الأماكن .

ثانيا : التفســــــير :

جاءت الآية مرتبطة ـ فى المعنى ـ بالآيـة السابقة حيث جاء بها ملكيته تعالى السماوات والأرض وإثبات قـدرته على كل شـىء، فجاءت الآية لتأكيـد هذا المعنى فلم تعطـف على الآية السابقة وإنما بدأت بـ «إن».

وجملة الآية بـإيراد دليل على وحـدانية خالق الكون بسمـاواته والأرضين لما يشـاهد من ارتباط تتابع الليـل والنهار على الأرض واختلاف أحوالهما من الطـول والقصر بحال الشمس وبمجرى الشمس وكواكبها فى المجرة، وبحركة المجرة فى السماء.

ثم يذكر سبحـانه وتعالى أن ما ذكره فى الآيـة ـ وهو جد قليل ـ مـن شأن خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ينطوى على آيات مبهرات يستدل منها أصحاب العقول على وحدانية الخالق وعلى قدرته على ما خلق .

﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾

أولا : الأســــــماء :

١ ـ الذيـن يذكرون الله : هـم الذين يذكـرونه تعالى بألسنتهم بذكر أسمـائه تعالى أو صفاته مع استحضـار القلوب، لأنه لا ذكر لغـافل، وقيل هـم الذين يـذكرون الله فى قلوبهـم فتطمئن بذكره قلوبهم ولو لـم تنطق بالذكر ألسنتهم .

٢ ـ القيــام : فى قوله تعالى «قياما وقعودا» جمع قائم .

٣ ـ القعــود : جمع قاعد .

ثانيا : التفســــــير:

قوله تعالى «الذين يذكرون الله» صفة لـ «أولى الألباب» وصفوا بأنهم يذكرون الله بألسنتهم مع استحضار قلوبهم أو بذكره تعالى فى قلوبهم، وذكرهم الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم إنما يكون فى الصلاة ـ وهى ذكرٌ ـ فيها القيام وفيها القعود، ويؤديها المريض والعاجز عن القيام والقعود مضطجعا على جنبه الأيمن، فليس من ذكر الله قياما وقعودا وعلى الجنوب ما يشاهد فى حلقات الذكر من البعض ينتصبون وقوفا ثم يقعدون ثم يهبون وقوفا يميلون يمنة ويسرة حتى تحاذى جبوبهم الأرض يرددون «الله، الله» بدعوى أن ذلك تطبيق عملى لقوله تعالى فى الآية .

ومن صفات أولى الألباب أيضا أنهم يتفكرون فى خلق السماوات والأرض، جاء قوله تعالى «ويتفكرون فى خلق السمٰوات والأرض» معطوفا على قوله تعالى «الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم» لأن ذكر الله يكون فى مقام أول لأنه يتضمن إقرارا بالعبودية لله، فهو نظر للنفس يسبق النظر فى الآفاق، وفى الإشارة إلى النظر إلى الآفاق وإلى خلق الله فيها إشارة إلى الاكتفاء بالنظر فيها والتفكير وعدم النظر فى كنه الذات له جلَّ وعلا لأن ذلك مما لا يُدرك بالنظر والعقل لقصرهما عن المراد، والتفكير فى خلق السماوات والأرض يعنى فيهما بصفتهما مخلوقين كما يعنى التفكير فى كيفية خلقهما وإبداعهما.

ففى التفكير فى هذا وفى ذاك ما ينير القلب بالإيمان، فيكون من أولى الألباب أنهم يقولون «ربنا ما خلقت هذا باطلا» أشير فيه إلى السماوات والأرض باسم الإشارة «هذا» للتدليل على أنهما مخلوقان أُبدع خلقهما، وتضمن القول الاقتناع والإقرار بأن خلقهما لم يكن «باطلا» أى أنه لم يكن من قبيل العبث أو الذى يعدم فائدة، أو الذى جرى بغير حكمة.

والمعنى أن الإقرار والقول به يكون نتاج النظر فى خلق السماوات والأرض مع التدبر وليس مصاحبا له .

فإذا كان من الذين نظروا فى أنفسهم ثم فى الآفاق الإقرار بأنه تعالى لم يخلق السماوات

والأرض باطـلا فإنهم قـد عاينوا تفـرُّده تعالى بـالعظمة ينـزهونه عمـا لا يليق به «سبحـانك» ويسألونه تعالى أن يوفقهم للعمل بما استدلـوا عليه من خلقه «فقنا عذاب النار» دعاء يدعون به جاءت فيه «الفاء» لتـرتب الدعاء على ما استدلوا عليـه من عدم خلقه السماوات والأرض باطلا، فاستعاذوا من النار سائلين أن يقيهم عذابها .

رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢

التفســــــــير:

القول هو قـول أولي الألباب الذيـن استعاذوا من النار وسـألوا الله أن يقيهم عذابهـا يبدون تخوفهم من الخزى الذى يلحق بمن يدخل النار كما يخافون عذابها فيسألونه تعالى ألا يلحق بهم هذا الخزى.

وقد احتـج المعتزلة بهـذه الآية فى قـولهم إن صـاحب الكبيرة ليـس بمؤمن لأنـه يخزى بدخوله النار وقد نفى الله الخزى عن المؤمنين بقوله تعالى «يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه».

ويـرد عليهـم بأنه ليـس كل المؤمنيـن يكونـون مع النبى، وامتنـاع الخزى إنما يكـون عن الذين هم معه دون الباقين.

وقوله تعالى «ومـا للظالمين من أنصار» يدل على خلود الظالميبن فى النار لا يجدون لهم ناصرا ولا شفيعا، والمراد بالظالمين هم الكافرون لقـوله تعالى «والكافرون هـم الظالمون». أما غير الكـافرين مـن العصاة فلا يعـدمون شفيعا وإن عـدموا النـاصـر الذى يقيهم دخـول النار، فيكون إخراجهم من النار برحمته تعالى وقبوله فيهـم شفاعة الشافعين. والقول هو تذييل للآية لإظهار سوء حال الظالمين وبيان أن ما يلحق بهم من العذاب مرجعه ظلمهم .



﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣﴾

أولا : الأســــــماء :

١ ـ المنــادِى : فى قولـه تعالى «سمعنا مناديا» اسـم فاعل من الفعل «نـادى ـ ينادى»، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ هو رسول الله ﷺ نـادى للإيمان بمعنى أنه دعا له، ودعا إليه كما قال تعالى «ادع إلى سبيل ربك»، ويراد به أيضا القرآن العظيم يدعو للإيمان بالله وينادى كل من لم يسمع رسول الله ﷺ .

٢ ـ الذنــوب : فى قولـه تعالى «فاغفـر لنا ذنوبنا» جمـع ذنب والمراد بها ـ فى معنى الآية ـ الكبائر، أو المعاصى المرتكبة عمدا .

٣ ـ السـيئات : فى قـوله تعـالى «وكفـر عنا سيئاتنـا» هى الصغـائر، أو المعاصـى التى ترتكب إهمالا أو بغير علم بتأثيمها .

ثانيا : التفســــير:

القول الـذى تتضمنه عبارة الآية هـو قول المتفكريـن فى خلق السماوات والأرض الـذين استدلوا من عظم خلقه على وحدانيته وقدرته فدعوه بما يلائم ما خبروه عن أمره تعالى بطريق النظر والعقل، يتبعونـه بذكرهم أنهم كان لهـم فى الدليل السمعى أيضا سبـب لإيمانهم بالله وبمعرفتـه؛ ولذلـك فإنهم أتبعـوا ذلك بدعـائه أيضا بـدعاء يلائم مـا عرفوه عنـه تعالـى من السماع.

فقولهم الـوارد بقوله تعالى «ربنـا إننا سمعنا مناديا ينـادى للإيمان أن آمنوا بربكـم فآمنا» يفيد أنهم قد سمعوا دعاءه ﷺ الناس للإيمان بـالإسلام فكان منهم أن بادروا إلى الإيمان بما دعا إليه.

والقول يبين منه أن الذى أعمل عقله وتدبَّر فـى خلق الله يكون أسرع إلى الإيمان ممَّن قعد عن إعمـال العقل؛ ولذلك فـإن المتدبرين فـى خلق السماوات والأرض بادروا إلـى الإيمان بمجرد سماعهم دعوة رسول الله ﷺ كما يبين من «الفاء» فى قولهم «فآمنا».

وقد جاءت «أن» فى قولـه تعالى «أن آمنوا بربكم» مفسِّرة نداء الـرسول ﷺ وليست مفسرةً الإيمان، وجاءت «الفاء» فى قولهم «فآمنا» معطـوفة على «سمعنا» لبيان إسراعهم فى الإيمان بغير تمهُّل وارتباط الإيمان بالسماع بعلاقة سببية ظاهرة .

أما دعاء هؤلاء مـن بعد إيمانهم لما سمعوا دعـوة رسول الله ﷺ فهو «ربنا فاغفر لنـا ذنوبنا وكفر عنـا سيئاتنا وتـوفنا مع الأبـرار» بدأوه بالتضـرع إليه تعالـى مبدين خضـوعهم له مقـرِّين بربوبيته فسألوه منادينه «ربَّنا» ثم سألـوه أن يغفر لهم ما كان منهم من الكبائر أو من المعاصى المرتكبة بإرادة، وأن يكفر عنهم ما اقترفوا من الصغائر أو من المعاصى المرتكبة بتقصيرهم أو بعدم علمهم، مشيرين إلـى ترتب المغفرة والتكفير على الإيمان على مـا يبين من «الفاء» فى قولهم «فاغفر لنا»، ويلاحظ أن الفعل «اغفر» تعدى إلى المفعول به مباشرة، وأن الفعل «كفِّر» تعدَّى إلى المفعول بحرف «عن» لأن فيه معنى الإذهاب أو الإبعاد.

وختام دعـائهم تمثل فـى قولهم «وتـوفنا مع الأبرار» فيـه رجاء أن يكونـوا عند وفاتهـم فى صحبة الأبرار الذين سبقـوهم والذين يأتون من بعدهم بمعنـى أن تقبض أرواحهم كما تقبض أرواح الأبرار فـى كل آن، وأن يلحقوا بالأبـرار وهو قول يفيـد تذللهم وهضمهم أنفسهـم بعدم اعتبارهم أنفسهم أبرارا ولـذلك كان سؤالهم أن يلحقوا بالأبرار وأن يتبعـوهم، وهذا من حُسْنِ أدب مخاطبة المولى سبحانه وتعالى وهو من خُلق المؤمنين .

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ١٩٤﴾

التفسـير:

القول من دعـاء الذين آمنوا لـرسول الله ﷺ من بعد أن تـدبروا آيات الله فى الآفـاق، أو هو تتمة دعائهم تضـرعوا إليه بقولهم «ربنا» ثم سـألوه أن يؤتيهم ما وعدهم علـى رسله «وآتنا ما وعدتنا على رسلك» .

والمراد به يقبل أن يكون «مـا وعدتنا به من ثواب جزاءً على تصـديقنا برسلك»، ويقبل أن يكون «الجزاء الذى وعدتنا به وأخبرنا به رسلك».

وجاء ذكر الرسـل بصيغة الجمع مع كون المنادى للإيمان هـو رسول الله ﷺ لأنهم جميعا نادوا بعقيدة واحـدة هى الإيمان بالله وتوحيـده وعدم الشرك به، ولأنه ﷺ صـدَّق بهم جميعا، وكان به تمام الـدين وهو الإسلام من البدء . والمطلـوب من الدعاء هو الثواب يكـون لهم من بعد الوفاة.

وسؤالهـم سبحانه وتعـالى ألا يخزيهـم يوم القيامـة من بعد سـؤالهم الثواب مفـاده أنهم يطلبون ألاَّ يلحقهم يوم القيامـة ـ قبل نيلهم الثواب ـ خزىٌ أو إهانـة أو تخجيل، أشدُّه دخول النار لمن قدِّر له أن يخرج منها، وأقلُّه هو العذاب الروحانى وعرض السيئات.

ويمثل الدعاء بعدم الخـزى مع الدعاء بالثواب فرط رغبة الداعين فـى النجاة من هول يوم الحساب و إلحاحهم فى الدعاء، والله يحب الملحِّين فى الدعاء .

ويجىء قـول الداعين «إنك لا تخلـف الميعاد» تذييـلا لدعائهـم لبيان ثقتهم فيه تعـالى وثقتهم أن وعده حـقٌّ لابد واقع لأنه تعـالى لا يخلف وعده، ولا ينـافى هذا سؤالهـم إيَّاه جل وعلا ما سألوه مع وجود وعده.

لأن سؤالهـم يفيد سؤالـه تعالى أن يـوفقهم إلـى العمل الصالـح الذى يصيرون بـه أهلا للحصول على وعده تعالى.



فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾

التفســـــــــير:

قولـه تعالى فى الآيـة هو ذكرٌ وبيـان لما كان منه تعـالى مع دعـاء الداعين، بيَّن سبحـانه وتعالى أنه أجابهـم واستجاب لهم، أجابهم بأن ردَّ عليهم، واستجاب لهـم فأنالهم مطلبهم، وجاء التعبير عن الاستجابـة بالفعل الماضى لإظهار تحققها بالفعـل «فاستجاب لهم ربهم»، ثم جاء بيان السبـب الظاهرى لاستجابته تعالى لمـا دعوا به بقوله تعالـى «أنى لا أضيع عمل عامل منكـم» وهو ما عملوه مـن الصالحات ومنها النظر فـى أنفسهم ثم النظر فـى الآفاق مع التدبـر مما خلصوا معه إلـى استنتاج وجود خـالق واحد للكـون مدبِّر له، ثـم إيمانهم بـدعوة رسول الله ﷺ بمجرد سمـاعها، ويبين من قـوله تعالى «أنـى لا أضيع عمل عامـل منكم» أنه بهذا جرت سنَّته تعالى فى خلقه.

وقلنا إن القول يظهر السبب الظاهر لاستجابته تعالـى لدعاء الداعين لأنه تعالى لا يتوجب عليه شـىء فليست الأعمال مـوجبة للثواب لأنهـا إذا لم تقبـل منه تعالـى كانت ضـائعة أو هالكة، ولأنها ـ وإن قبلت ـ لا توجب عليه تعالى شيئا .

ثم إنه تعـالى بيَّن أنه فـى هذا يتساوى الرجـال والنساء لإظهار عموم المعنـى «من ذكر أو أنثى» وقيـل إن أم سلمة قـالت للنبى ﷺ «يـارسول الله، ألا أسمع الله ذكـر النساء فـى الهجرة

بشيء؟» فنزلت الآية. وليس بذى شأن أن يكون هذا سبب نزول الآية أو ألا يكون فالآية توضح تساوى النساء والرجال فى الحصول على الثواب على الأعمال، وتبيِّن علة ذلك بقوله تعالى «بعضكم من بعض» فالذكر من الأنثى والأنثى من الذكر، وهما على دين واحد إخوة فيه.

وتفصيل ذلك جاء فى شأن المهاجرين على وجه الخصوص فقال تعالى «فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم» ومعناه أن الذين هاجروا من أرض إلى أرض، ومنهم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة المنورة، وكانت هجرتهم خروجا من ديارهم جبرا عن قسر واضطرار لما عانوا من أذى المشركين، ثم قاتلوا المشركين والكفار فى سبيل الله، فكان منهم من قتل وكان منهم من لم يقتل فلم يضعف لما رأى قتل من قُتل شهيدا واستمر مجاهدا مقاتلا، كل أولئك يكون أمره تعالى معهم أنه يكفر عنهم سيئاتهم.

ويلاحظ أنه ليس المقصود بمن يكفر سبحانه وتعالى عنهم سيئاتهم ـ فى قوله تعالى ـ هم الذين اجتمعت فيهم جميع الصفات المذكورة أو الذين قاموا بالأفعال جميعها، فقد جاء وصفهم بجميع الصفات أو جاءت الأعمال على تعددها منسوبة إليهم كجمع واحد لبيان أنهم بمثابة كيان واحد يثاب بعضهم بفعل البعض فيكفى أحدهم أن تكون له صفة من الصفات المذكورة أو يكون منه عمل من الأعمال.

وقوله تعالى «لأكفرن عنهم سيئاتهم» جاء جوابا لقسم محذوف، ومعنى تكفيره تعالى عنهم سيئاتهم أنه يمحوها من الكتاب الذى يكتب فيه الحفظة ما يكون من المكلف أو أنه تعالى يمحوها من القلب، والمراد بالسيئات هى الصغائر لأنها التى تبدل بها الحسنات بغير توبة ـ فى رأى الجمهور ـ والذى نراه والله أعلم أنها ـ فى هذا المقام ـ تشمل الكبيرة لأن الأفعال إنما كانت من المهاجرين، وهؤلاء آمنوا وأسلموا وتركوا الكفر، والإسلام يجبُّ ما قبله، فيكون سبحانه وتعالى مكفرا عنهم ما وقع منهم من الكبائر والصغائر.

وقوله تعالى «ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله» هو ذكر لفضل الله عليهم - من جهة - وإشارة - من جهة أخرى - إلى استجابته تعالى دعاءهم إيَّاه بقولهم «وآتنا ما وعدتنا على رسلك»، وقولهم ولا تخزنا يوم القيامة، فقد وعدهم سبحانه وتعالى على رسله حسن ثواب الآخرة فبيَّنه تعالى بأنه إدخالهم الجنة تجرى من تحتها الأنهار، وسألوه ألا يخزيهم يوم القيامة فكان منه تعالى إكرامهم؛ ولذلك وُصف ما كان منه تعالى بأنه ثواب أثابهم إياه، وصفه تعالى بأنه منه تعظيما له وتفخيما .

ويجيء قوله تعالى - فى ختام الآية - «والله عنده حسن الثواب» تذييل يفيد أنه لا يملك الثواب يوم القيامة ولا يقدر عليه إلاه، ومؤكدا أنه بحكم قدرته وحده عليه جاعل للداعين حسن الثواب.

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾

التفســــــــير:

الآية الشريفة من الآيات التى يتوصل إلى استيضاح المراد منها بمعرفة مناسبة نزولها فقد نظر المؤمنون إلى أحوال المشركين يتنقلون فى البلاد يباشرون تجارتهم فيكسبون الأموال ويعيشون فى رغد من العيش ناعمين بما كسبوا وجنوا، ونظروا أنفسهم فإذا هم هلكى من الجوع يعانون شظف العيش فقال بعضهم «إن أعداء الله تعالى فيما نرى من الخير، وقد هلكنا من الجوع والجهد» فنزلت الآية .

والمخاطب بها هم المؤمنون، وجَّه الخطاب إلى رسول الله ﷺ لكونه رأس المؤمنين فيكون خطابه خطابا لهم.

وقوله تعالى نهى عن الاغترار بما عليه الكفار من وفور الحظ، يباشرون تجارتهم متنقلين بين البلاد يتكسبون فيكسبون، جاء النهى متعلقا بالسبب وهو التقلب فى البلاد والمراد به المسبب أو النتيجة أى الكسب وبلهنية العيش. فيكون القول نهيا عن الاغترار بما عليه

الكافرون من رغد العيش والسلامة.

﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧﴾

التفسـير:

جملة الآية إتمام لمعنى قوله تعالى فى الآية السابقة، فقد جاءت الآيـة السابقـة بنهى عن الاغترار بحـال الكافرين، وجـاءت هذه الآية ببيان انتفـاء سبب الاغترار وبيان مصيـر الكـافرين .

فقولـه تعالى «متـاع قليل» جاء خبرا لمبتـدأ محذوف تقديـره «هو» فيكون المعنـى هو أن تقلبهم فى البلاد متاعٌ قليل، فهو متاع لأنه متـعٌ يتمتعون بها، وهو قليل لأنه لا يطول لأكثر من حياة المتمتعين وهى قصيرة، ولأنـه ضيئل بالقياس إلى ما يفوتهم مـن خير الآخرة الذى يحرم منه الكافرون .

وقوله تعالى «ثـم مأواهـم جهنم وبئس المهاد» يفيد أنه يكون لهم مـن بعد التمتع بالتنقل فى البـلاد وبالكسـب والعيش الهنـىء، يكون لهـم من بعـد هذا المـأوى الذى يـأوون إليـه ويصير إليـه أمرهم وفيه يستقـرون، وهو جهنم، اكتفـى بذكرهـا دون إشارة إلى عذابهـا لأن فيه كناية إظهـار عذابها، ثم عبّـر عنها بأنها بئـس المهاد فليس أبـأس حالا ممن هجـع إلى مهجـع ليستريـح فكـان مهجعه نـارا تلظى، مهدوه لأنفسهـم فـى دنياهـم بكفـرهم وسـوء أعمـالهم.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨﴾

أولا : الأســـــــماء :

١ ـ النـــــزل : فى قولـه تعالى «نزلا مـن عند الله»، هو ما يعد للنـزيل ـ وهو الضيـف ـ من الطعام والشراب والصحبة. وهو المكان المنزول .

ثانيا : التفســــــير:

الآية فى بيان حال المؤمنين الذين عانوا شظـف العيش مقارنين بالكافرين الذين تقلبوا فى البلاد، جاءت «لكن» فى بـداية قوله تعالى ـ وهى للاستدراك ـ لرفـع التوهـم الناشىء عن تقلب الكافريـن فى البلاد، وهو ما كان بإظهـار أنه لايضر المؤمنين أنهم لـم يتقلبوا فى البلاد تقلب الكافـرين ولم يهنؤوا بمـا هنؤوا به لأن لهم مـا وعدهم ربهم وهـو ما يفضل ما تمتـع به الكافرون فى دنياهم، وصفهـم سبحانه وتعالى بأنهم متقون لأنهم بإيمـانهم اتقوا متع الحياة الدنيا التى تمتع بها الكافرون، ولأنهم اتقوا الشرك والمعصية، واتقوا عذابه تعالى.

وذكر تعالى أنــه يكون لهم بتقواهم عوضـا عن متاع الحياة الدنيا جنـات تجرى من تحتها الأنهار يخلـدون فيها متنعميـن، وفى القـول ردٌّ على اعتقـاد الكافـرين أنهـم المتمتعون وأن المؤمنين هم المحرومون، وبيان لأن الكافرين فى خسران مبين.

وبيَّـن سـبحانه وتعـالى أن هـذه الجنات تكـون منـازل المـؤمنين المتقيـن ومنهـا يكـون زادهــم .

ثم أوضح تعـالى أن جميع ما سبق ذكره مـن الجنات التى تجرى من تحتهـا الأنهار تكون للمتقين نزلا من عنده تعـالى فإنه أوضح أنها بعض مما عنده تعالـى وأنها فى حد ذاتها، وأنَّ ما عنده تعالى خيرٌ للمتقين مما تنعم به الكافرون فى دنياهم .

«وما عند الله خير للأبـرار». وفى وصف المتقين بالأبرار ما يفيد اعتبـار البرِّ من التقوى، فإذا كان ما ذكـر مما عنده تعالـى من الجنات هو ما نـالوه بصفتهم أبرارا فـإن ما لـم يذكـر مما هو عنده تعالى يكون لهم بصفتهم متقين .

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾

أولا : الأسـماء :

أهل الكتاب : المشهور أن المراد بمن خُصَّ منهم بـ «من» فى الآية هو النجاشى ملك الحبشة، و «النجاشى» لقبه، واسمه «أصحمة» توفى فى شهر رجب سنة تسع للهجرة، قيل إنه لما مات قال رسول الله ﷺ «اخرجوا فصلُّوا على أخ لكم»، ثم خرج فصلَّى بالمسلمين مكبرا أربع تكبيرات، فقال المنافقون: «انظروا إلى هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط» فنزلت الآية.

وقيل إن المراد بهم قوم من النصارى أسلموا، وقيل قوم من اليهود أسلموا، وقيل إنها نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب جميعهم .

والذى نراه - والله أعلم - أن المراد بالبعض من أهل الكتاب على ما يبين من قوله تعالى «من أهل الكتاب» هم الذين أسلموا منهم لأنه سبحانه وتعالى ذكر أنهم المؤمنون بما أنزل إلى المسلمين «وما أنزل إليكم». أى أنهم آمنوا بالقرآن العظيم مما مفاده بالضرورة أن يكونوا مسلمين مؤمنين بالقرآن وبرسول الله ﷺ، وليس ثمة ما يمنع أن يكون النجاشى ملك الحبشة آنذاك منهم إذا كان قد عُرف عنه أنه أسلم أو كان رسول الله ﷺ قد علم من ربِّه بإسلامه.

ولا يمنع ذلك أيضا من أن يكون ﷺ قد صلَّى عليه بعد موته دون أن يُسلم بأمر خاص من ربِّ العزة نقله إليه جبريل عليه السلام حين نعاه إلى رسول الله ﷺ، لما كان منه مع المهاجرين الهجرة الأولى إلى الحبشة.

التفســـــير:

لمَّا كان منه تعالى الإخبار عن فعل غالب أهل الكتاب مع المؤمنين وفعل المنافقين منهم وما تكنُّه صدورهم، فـإنه تعـالى شأنـه بيَّن أن منهم مـن صحَّ إيمـانهم، فهم آمنـوا بالله لأن نفوسهم جبلت علـى الإيمان ولأنهم أهل كتاب، وجميع كتب الله على عقيـدة واحدة قوامها الإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به، وآمنوا بالقرآن العظيـم «وما أنزل إليكـم» جاء ذكره مقدَّما على ذكر إيمانهم بكتبهم «وما أنزل إليهم» لبيان أن المخصوصين بالذكر من أهل الكتاب هم الذين آمنوا بالله والقرآن وبرسول الله ﷺ الذى أنزل عليه القرآن، أى أنهم الذين أسلموا منهم؛ ولذلك كان تطلب الإيمـان بالقرآن شرطا فيهم قبل تطلب الإيمان بكتبهـم مع أنها أسبق منه تنزيـلا ، وهم آمنوا بكتبهـم وكان إيمانهم بهـا هو دافعهم علـى الإيمان برسـول الله ﷺ الذى طلبت منهم كتبهم أنه متى جاء أن يؤمنوا له.

ثم إنه تعالى بيَّن حـال هؤلاء المؤمنين من أهل الكتاب فى إيمانهم فـذكر أنه يكون منهم حال كـونهم خاشعين لله، فهـو إيمان مبعثه الخضوع لله ومصـاحِبه، وليس الخوف مـن القتل مثل حـال المنافقين، كمـا بيَّن تعالـى أنهم لـم يشتروا بآيـات الله ثمنا قليلا «خـاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنـا قليلا» فهم لم يحرفوا الكتاب ولـم يؤولوه مقابل منافع الـدنيا التى هى ثمن قليل بالقياس إلى قِصر زمن الانتفاع بها وضآلتها مقيسَة ومقارنةً بما عند الله .

أما ما يكـون لهؤلاء عنده تعالـى فيعبِّر عنه قولـه تعالى «أولئك لهـم أجرهم عند ربهـــم» جـاءت الإشارة إليهـم فيه بلفـظ «أولئك» وليـس بلفظ هـؤلاء لبيان بعـد مرتبتهـم فى العلـو والسموِّ، وبيَّن أن لهم عنده تعالى أجر طاعتهم وعملهـم فوق وعدهم أن يؤتيهم أجرهم مرتين لسبق إيمـانهم بكتبهم ورسلهـم ثم لإيمانهـم بالقرآن العظيـم وبمحمد ﷺ «أولئك يـؤتون أجرهم مرتين».

وبعد ذلك يجـىء قوله تعالـى «إن الله سريع الحساب» تـذييلا يبيِّن علة إعطـائهم الأجر الذى وعدهم به وكناية عن قرب حصولهم عليه على ما يستفاد من سرعة الحساب .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٢٠٠﴾

التفسير:

الآية الشريفة هى آخر آية فى السورة وبها اختتمت الآيات العشر التى سبقتها التى تضمنت التفكر فى خلق الله مع التدبر من ذوى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض، وينزهونه تعالى ويسألونه الوقاية من النار ومن الخزى، الذين سمعوا مناديا ينادى للإيمان فآمنوا وسألوه تعالى المغفرة وأن يتوفاهم مع الأبرار، فكان منه تعالى أن استجاب لهم برحمته لأنه لا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى، عوَّض الذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيله خيرًا مما تركوا وأثابهم على ما قاسوا وكفر عنهم سيئاتهم، ونهى عن الاغترار بتقلب الذين كفروا فى البلاد وأثاب المتقين جنات تجرى من تحتها الأنهار نزلا من عنده خيرا للأبرار، ووعد الذين آمنوا من أهل الكتاب أجرهم يعجِّل لهم .

جاءت الآية ختاما لهذه الآيات فتضمنت وصاياه تعالى للمؤمنين ليجمعوا بين الظهور على العدو فى الدنيا وبين الفوز بنعيم الآخرة، فأوصاهم تعالى بالصبر، وهو الصبر على المصيبة، والصبر على الطاعات، والصبر عن المعاصى، وأوصاهم بالمصابرة وهى فعل بين طرفين كلاهما يكون صابرا فى مواجهة الآخر، فهى الصبر الذى يواجهون به صبر عدوهم على شدائد الحرب وأهوالها ليكون صبرهم أطول من صبر عدوهم وأشد، وأوصاهم بالمرابطة فى الثغور - وهى من الصبر - يربطون خلالها خيلهم ويحبسون أنفسهم مترصدين العدو مستعدين له، ثم أوصاهم بتقواه تعالى بعدم مخالفة أوامره ومنها وصاياه تعالى التى أوصى بها، وبيَّن لهم أنه بذلك يكون لهم النجح والفلاح، يظهرون على عدوهم فى الدنيا، ويفوزون بنعيم الآخرة :



بســـم ٱللّه ٱلرحمن ٱلرحيـــم

ســـورة النســـاء

تقـــديم:

فى أوجه الارتباط بينها وبين سورة آل عمران :

بين السورة وبين سورة آل عمران شىء من الارتبـاط يسيغ أن يكون ترتيبها فى المصحف تاليا لسورة آل عمران ومن مظاهره ما يأتى :

١ ـ اختتمت سورة آل عمران بالأمر بالتقوى «واتقوا الله لعلكم تفلحون»، وافتتحت السورة بالأمر بالتقوى «يا أيها الناس اتقوا ربكم» .

٢ ـ جـاء ذكر قصة غـزوة أحد فى سـورة آل عمران تـامة مستوفـاة، وجاء فى السـورة قصة المنافقين الـذين كان منهم التخلى عن المعـركة وعن رسول الله ﷺ فانقســم أصحاب رسول الله فى شأن ما يتبع معهم فرقتين، فقال تعالـى «فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا».

٣ ـ ورد ذكر ما كـان منه ﷺ فى اليوم التالى ليـوم أُحد من دعوة المؤمنين للخـروج فى إثر الكافـرين وذكـر الذين استجـابوا لـه فى سورة آل عمـران بقولـه تعالى «الـذين استجـابوا لله والرسول»، وأشير فى السورة إلى الحدث بقوله تعالى «ولا تهنوا فى ابتغاء القوم».



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ النـــاس : المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ المكلفون من وقت نزول النص القرآنى الآمر إلى يوم تقوم الساعة، واختلف فى شأن العبيد والنساء، فقيل ـ فى رأى ـ إنه لما كان المجمع عليه أن منافع العبد تصرف جميعها إلى سيّده، فإنه يكون فى تكليفه بالخطاب فى الآية صرفٌ لمنفعته عن سيده، استوجب إخراجه من عداد المكلفين المخاطبين بالنص، وقيل إنه يدخل فى عداد المخاطبين بالنص استثناء من مبدأ صرف منافع العبد جميعها لسيّده قياسا على حالة تضايق العبادة فى الوقت. كذلك اختلف فى شأن النساء فقال البعض إنهن يخرجن عن التكليف بما أمر به النص، والراجح غير ذلك لما هو معروف من تغليب المذكر على المؤنث عند اجتماعهما، فضلا عن أنه قد ثبت بدليل من خارج النص مشاركة النساء فى الأحكام ومنها أحكام الصلاة والصوم والزكاة وغيرها، وقد ورد فيها الخطاب موجها إلى جمع المذكر أو بمثل صيغة هذا الخطاب .

٢ ـ النفس الواحدة : فى قوله تعالى «من نفس واحدة» المراد بها ـ فى معنى الآية ـ آدم عليه السلام .

٣ ـ الـــزوج : فى قوله تعالى «وخلق منها زوجها» المراد به ـ فى معنى الآية ـ حواء

خلقت مـن ضلع آدم عليه السـلام الأيسر، وأنكر البعـض ذلك وقال إن المـراد بقوله تعـالى «وخلق منهـا زوجها» أنـه تعالى خلـق زوجها مـن جنسها، وإنها خلقـت من التـراب، وقال آخرون إنها كانت حورية خلقت مما يخلق منه الحور، وهو قول لا دليل عليه.

٤ ـ الأرحـــام : المراد بهـا ـ فـى معنى الآيـة ـ هـم الأقارب الـذين يجمـع بينهم وبيـن بعضهم صلة النسب وإن بعدت .

٥ ـ الرقيـــب : هو المطَّلـع، ومنه «المـرقب» وهو المكـان العالى الـذى يتخذ مـوضعا لمراقبة ما هو دونه . والمراد به ـ فى معنى الآية ـ الحفيظ .

ثانيا : التفســـير:

الخطاب فى الآية موجَّه إلى عموم المكلفين، يأمر بالتقوى عموما «اتقوا ربكم» أى باتقاء عذابه تعـالى بأداء حقه تعالى بـأداء الطاعات واجتناب المعاصى، وأداء حقـوق العباد وعدم الاعتداء عليهم، ومما ورد فى السورة متعلقا بحقوق العباد رعاية حال اليتامى، وصلة الأرحام، والعدل فى النكاح، وأحكام الإرث المشروعة.

وبعد أمره تعالى المكلفين بتقواه تعالى أو باتقائه فإنه ذكر صفته التى أصدر بها أمره تعالى إليهم أن يتَّقوه فقـال تعالى «الذى خلقكـم من نفس واحدة» فـأظهر أنه تعالـى القادر عليهم لأنه الذى أنشـأهم من العدم والقـادر على أن يفنيهم كما أنشـأهم وذلك لتكون تقـواه تعالى وليدة خشيته وخـوفا من عقابه، كـذلك فإنه تعالى أظهـر بذكر الصفة فضله علـى المخاطبين وإنعامه عليهم بخلقهم من العدم، لتكون تقواه أداءً لواجب شكره على نعمته.

والقول بهذا المعنى يتضمَّن حثًّا على التحلِّى بالتقوى وتوبيخا لمن نأى عنها .

ومعنى أنه خلق الناس مـن نفس واحدة أنه تعالى خلق الجنس البشـرى الذى منه جميع الناس وقت نزول النص من أصل واحد هو آدم عليه السلام، وعلى هذا فإنه لا يمتنع قبول قول القائلين أنه كان قبل آدم عليه السلام على الأرض ملائكة وجنٌّ وحيوان يشبه الإنسان، بل إنه لا يمتنع قبول ما أثبتته الحفريات أنه كان قبل التاريخ الذى حدَّده علماء المسلمين والتاريخ

الذى تذكـره التوراة التى بين أيـدينا اليوم لخلق آدم مـا يعرف بالإنسان الأول الـذى عثر على حفريات له فى كينيا، ولا ما عرف بعده ممـا يسميه العلماء: إنسان جاوة، و إنسان نياندرثال، و إنسان الصين القديم، باعتبارهم أشكالا من خلقه تعالى تشبه البشر الذين كان مبدأ خلقهم خلقه تعالى آدم عليه السلام .

ثم يذكـر سبحانه وتعالـى أنه خلق من أصل البشـر هذا زوجه، أى أنه خلـق من آدم زوجه حواء، جاء التعبيـر عن إنشائها بالخلق مـن بعد ذكر إنشاء آدم بالخلق لبيـان اختلاف خلقها و إنشائها عن خلق لآدم و إنشائه إذْ خلق آدم مـن التراب أما حواء فخلقت من مادة آدم، ومن ضلعه الأيسر على المشهور.

ثم يجىء قوله تعـالى «وبثَّ منهما رجالا كثيرا ونساء»، ومعنى أنه تعـالى «بثَّ منهما» أنه أخرج منهما ونشـر وفرق، وحدوث ذلك منهمـا كان بطريق التنـاسل، فيكون «البث» فـى هذا الموضع قرين الخلق فـى قوله تعالى «الذى خلقكم»، والمراد بأنه تعـالى بثَّ منهما الرجال والنساء أنه بثَّ منهما الذكور والإناث.

وفى القول دليلٌ على أن «الخنثى» ليس بجنس مستقل؛ ولهذا فإنه يلحق بالأقرب إليه من الجنسين.

وجاء وصف الرجال بـالكثرة دون وصف النسـاء به لافتراض أنهـم أكثر،لـزواج الرجل بأكثر من امرأة ولا عكس .

ثم إنـه تعالى كـرر الأمر باتقـائه وعطف على اسم الجـلالة الأرحام ليكـون أمره باتقـائها، واتقاؤه تعالـى يكون باتقاء عصيانه، واتقـاء الأرحام يكون بعدم قطعها، ووصف تعـالى نفسه بأنه الذى يتساءلون به وعطف الأرحام عليه بما يفيد حصول التساؤل بها أيضا إنما كان جريا على ما تعارف عليـه العرب من التوسل به تعـالى وبالرحم لاستقضاء الحقـوق أو لنيل الطلبة بقولهم «أسألك بالله وبالرحم» وهو غير الحلف؛ ولذلك فالراجح أنه لا نهى فيه.

وقولـه تعالى ــ فى ختام الآيـة ـ «إن الله كان عليكـم رقيبا» هو تعليـل لأمره تعالـى وبيان

لوجوب امتثالـه وطاعته، لأنه لما كان الرقيـب المطلع على ما يكون من النـاس من طاعته أو عصيانـه، فإنه يـؤاخذهـم علـى ما يكون منهم، فيكـون منهم اتقاؤه خشيـة عذابه، ولمـا كان الحفيظ عليهم فقد وجب عليهم اتقاؤه بطاعته وتجنب معصيته شكرا له .

وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾

أولا : الأســــــماء :

١ ـ **الخبيــــث** : المـــراد بـه ـ فـى معنى الآيـة ـ الـــردىء من الشـــىء، أو الأمر غيـر المشروع.

٢ ـ **الطيـــب** : المراد به ـ فى معنى الآية ـ الجيد من الشىء. أو العمل الصالح .

٣ ـ **الحـــوب** : فى قوله تعالى «إنه كان حوبا كبيرا» هو الإثم، وهو الظلم، وخصَّه البعض بالذنب العظيم .

ثانيا : التفســــــير:

جملـة الآية خطـاب للأوليـاء على اليتـامى والأوصيـاء، نـاسب القـول بها مـا سبق مـن الحديـث عن الأرحام أو القرابـة بالنسب لأن الـولاية تكون لقـريب اليتيم والغالـب أن يكون الوصىُّ على اليتيم من الأقارب .

وقـد تضمنت جملـة الآية أمـرا، ونهيـا، وبيانـا. جاء الأمـر بقولـه تعـالى «وآتـوا اليتامـى أموالهم»، واليتيـم من الإنسان هو من مـات أبوه، وخصَّه الشرع والعرف بـالصغار دون الكبار، ولما كان «الإيتاء» يعنى «الإعطـاء» وكان غير جائز إعطاء اليتيم الصغير مالـه و إنما يحفظه له وليُّه أو الوصى عليه، فإن المراد بالأمر يكون أحد وجهين :

أولهما : أن يكون الإنفاق من مال اليتيم الصغير عليـه وحده، فيكون الإنفاق بمثابة إعطاء المال إيَّاه أو إيتاءه إياه.

والثانى: أن يكون رد مال مـن كان يتيما إليه بعد البلوغ مع العقل، فيكـون المراد «باليتيم» هو «من كان يتيما». ويتضمن معنى «الإيتاء» الوفاء الكامل غير المنقوص .

والنهى تضمنه قوله تعالى «ولا تتبدلوا الخبيث بـالطيب، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم»، وهو نهى عن فعلين:

أولهما : هو استبدال الخبيث بالطيب. بأن يكون للولى أو الوصى مال ردىء ـ بمعنى شىء له قيمة مـالية ـ ويكون فى مـال اليتيم الذى يحفظه له الولـى أو الوصى شىء من نـوعه جيد، فيقوم الـولى أو الوصى بـاستبدال الجيد من مـاله بالردىء مـن مال اليتيم، كأن يكـون لليتيم مواش أو أغنام صحيحة سليمة ويكـون للولى مثلها ولكن هزيلة أو مريضـة فيستبدل بعددها مثلها مـن خاصة اليتيـم، ويقول «هـذه بتلك». أو أن تكون لـه لديه عملـة زائفة فيضعهـا فى أموال اليتيم ويأخذ منها ما يقابل قيمتها من العملة السليمة. والذى لا شك فيه هو أن فى مثل هذا العمل ما يحمل معنى استبدال العمل الخبيث بالعمل الطيب ,

وثانى الأمرين المنهى عنهما هو «أكل أموال اليتيـم إلى أموال الولى أو الوصى» ويبين من تعدِّى الفعل بـ «إلى» أن وسيلة أكل مال اليتيم تتم بطريق ضمِّ ماله إلى مال الولى أو الوصى بفعل الـولى أو الـوصىِّ، ثـم يكون أكـل مال اليتيـم بالإنفـاق من مـال الولـى ومال الـوصى مجموعين إلـى بعضهما، ثم احتساب مـا تم إنفاقه على جـانب اليتيم، أو احتساب مـا يزيد على قدر مـا أنفق عليه أو استفاد بـه عليه بقصد الاستفادة من مـاله، فيكون ما أنفـق الولى أو الوصـىُّ على نفسه قصدا مـن مال اليتيم أكـلا له، سواء لأن الإنفـاق يكون على الغالـب فى الطعام، أم لمشابهته الأكل.

ويلاحظ أننا قد تطلبنا فى الفعل المنهى عنـه أن يكون بقصد تحقيق مصلحة للولى على حساب اليتيم لأن النهـى عن الخلط فى الإنفاق قد نسـخ بآية «وإن تخالطوهم فـإخوانكم»

ونرى ـ والله أعلم ـ أن النسخ إنما تعلّق بفعل خلط الأموال، فهو يفترض عدم انعقاد النية على أكل مال اليتيم لأنه عمـل مستقبح منهى عنه، فإن كان الخلط بين الأمـوال هو وسيلة تحقيقه عدّت الوسيلة غير مشروعة لعدم مشروعية الغاية .

وأخيرا فإن البيان الذى تضمنتـه الآية تمثل فى قوله تعالى «إنه كـان حوبا كبيرا»، وقيل إن الضمير فـى «إنه» يعود على أكـل مال اليتيم، وصـف بأنه ظلـم كبير أو أنه إثم كبيـر، أو ذنب عظيم مبالغة فى تهويل أمره ليتم الانتهاء عنه.

والذى نراه ـ والله أعلم ـ أن الوصف يلحق بكل فعل يتحقق به مخالفة ما أُمر به أو ما نهى عنه، فيكون منـه عدم ردّ أموال اليتامى إليهـم بعد بلوغهم مـع الرشد، لأنه أكل لهـا منذ كان البالغ يتيما حين وضعـت فى يدى الولى أو الوصى، ويكون منه تبـدل الخبيث بالطيب، لأنه يتضمن إلحاق الخسـارة قصدا بالقاصـر وتحقيق منفعة على حسابـه وهو من قبيل أكـل ماله فضلا عن مخالفتـه واجبات الولاية أو الوصايـة، ويكون منه أخيرا أكل أموال اليتيـم بالـمعنى المذكور فى نص الآية .

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ **اليتـــامى** : المراد بهـم ـ فى معنـى الآية ـ يتـامى النساء الـلائى فى ولاية ولـىٍّ من الحديثات عهد بالبلوغ .

٢ ـ **النسـاء** : المراد بهن ـ فى معنى الآية ـ النسـاء الأجنبيات بمعنى غير اليتامى اللائى

فى ولاية الولى من غير المحرَّمات .

٣ ـ مثنى وثـلاث ورباع : أسماء أعـداد معدولة، فمثنى معـدلة عن لفظ «اثنيـن» ومعناه، وكذلك ثلاث ورباع.

التفســـــير:

لما كان قولـه تعالى قد تناول بالنهى ألأفعـال المنكرة التى كان يباشرها بعـض من يتولون أمور اليتامى فـى أموالهم، فإنه تعالى تناول أمـرا منكرا آخر كان يباشره بعض مـن يتولون أمور اليتامى فى شـأن أنفسهم على وجه أصلى وفى شـأن أموالهم بطريق التبعية، وهـو غير متعلق بجميع اليتامى و إنما فقط بطائفة منهم هى يتامى النساء اللائى يحلُّ الزواج منهنْ.

والفعل المنكر الـذى كان يباشره بعض الـذين يتولون أمـورهن أنهم كانوا يتـزوجون منهن دون أن يقسطوا لهن مهـورهن، وعن رغبة فى الاستفادة مـن أموالهن، فجاء قولـه تعالى «و إن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طـاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع» فيه إلماح للصرف عن الزواج مـن يتامى النساء اللائى يتولـى المخاطبون بالنص أمورهـن، وفيه ترغيب فى الزواج من غيرهـن عبَّر عنه المستفاد من النص من أن ذلك يكون أولـى إذا ما كانت هناك خشية من أن يكـون فى الزواج منهن عدم الإقسـاط لهن بمعنى عدم العـدل لهن «و إن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى»، وعبَّر عنه أيضا وصف غيرهن بأنهن يطبن للمتولين أموريتامى النساء «فانكحوا ما طاب لكم» .

وفى قـوله تعالى «فـانكحوا ما طـاب لكـم من النساء مثنى وثـلاث ورباع» ما يفيد ــ فى مبدئه ـ الزواج بأى عدد من النساء، فيدخل فيه الزواج بواحدة.

وفى قوله تعالـى «مثنى وثلاث ورباع» تقييد لعموم المباح بإجازة الجمـع بين اثنتين ـ فى الزواج ـ وبين ثلاث، وبين أربع.

فختم الأعـداد على الأربعة يفيـد عدم جواز الـزيادة على ذلـك. وقد قال البعـض بجوار الزواج بـأى عدد من النسـاء، وقال آخرون إن النـص يجيز الـزواج بتسع هن مجمـوع الأعداد

المذكورة فى الآية. وإجماع فقهاء الأمصار على أنـه لا يجوز التزوج مع الجمع بأكثر من أربع استدلالا بما كان مـن رسول الله ﷺ من أمره «غيلان» حين أسلم وكان متـزوجا بعشر نسوة، أن يمسك أربعا منهن وأن يفارق الباقيات.

ويلاحظ فـى هذا الشأن أن مشروعية الـزواج بأربع خاصـة بالأحرار، فلا يدخـل العبيد فى عداد المخاطبين بـالنص لأن الخطاب يتعلق بإنسان متـى طابت له امرأة قدر علـى نكاحها، وليس هذا هو حال العبد لأنه لا يجوز له الزواج إلا بإذن سيِّده، ولأنه تعالى قال «فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ملكـت أيمانكم» وهو ما لا يمكن أن يدخل فيه العبـد لأنه لا يكون له ملك يمين.

وقد خالف الإمام مـالك هذا القول فجوز للعبيد أن ينكحوا أربعا كالأحـرار، قولا منه بأنهم لما كانوا يملكـون الطلاق فإنهم يملكون الزواج، والمـراد من قوله تعالى «فـانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع» هو الإباحة فى شأن ما زاد على الواحدة ـ وليس الأمر به.

أما فى شأن الزواج عموما فإن الناس ينقسمون فيه أربعة أقسام:

قسم يميل إلى الزواج ويقدر عليه، فيستحبُّ له.

وقسم لا تميل نفسه إلى الزواج ولا يقدر على نفقته، فيكره له.

وقسم يميل إلى الزواج ولا يقدر عليه، فيكره له ويؤمر بالصوم.

وقسم لا تميل نفسه للزواج ولا يقدر عليه، فيكره له. وقيـل فى هذا كثير مما لا موضع له فى هذا الحديث.

ثم يجيء قوله تعالى «فإن خفتم ألا تعدلوا فـواحدة أو ما ملكت أيمانكم» جاء بعد إباحة الزواج بأكثر من واحدة إلى أربع، ترتيبا على أنه قد يترتب على هذه التوسعة فى الزواج خشية الميل عن العـدل بين الزوجات وإن كُنَّ اثنتيـن فقط، فذكر سبحـانه وتعالى أنه يكـون حائط الاقتصار علـى زوجة واحـدة. فإن خاف ألا يعـدل مع الـواحدة بـإعطائها حقـوقها فليكـن له

التسرِّى بالإماء مما ملكت يمينه، وهؤلاء ينحصر العدل معهن فى حُسن الملكة والرفق بهن الرفق اللازم بالرقيق، دون الحق فى الوطء أو فى القسم، بمعنى قسمة الليالى بينهن. ثم إنه تعالى بيَّن أن الاقتصار فى الزواج على واحدة عند الخوف من عدم العدل، أو الاقتصار على واحدة مع التسرى بالإماء يكون أقرب إلى الابتعاد عن الميل عن العدل، بمعنى أنه يكون أقرب إلى العدل من غيره الذى قد يكون فيه ميل عن العدل وهو الزواج بأكثر من واحدة. والمقصود بالعدل هو العدل فى الإنفاق وفى قسمة الليالى بين الزوجات وليس العدل فى الحب، لأنه مما لايملك المرء فيه نفسه لقوله ﷺ «ربِّ هذا قسمى فيما أملك، فلا تؤاخذنى فيما لا أملك» .

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ **الصدُقات** : فى قوله تعالى «صدقاتهن نحلة» جمع «صَدُقة» بفتح الصاد وضم الدال، وهو المَهر.

٢ ـ **النِّحلة** : فى قوله تعالى «صدقاتهن نِحلة» بكسر النون، هى الفريضة المفروضة منه تعالى.

٣ ـ **الهنىء** : فى قوله تعالى «هنيئا مريئا»، هو ما هنؤ للمرأ، أو ما هنأ به .

٤ ـ **المرىء** : فى قوله تعالى «هنيئا مريئا» هو ما مرؤ من الطعام بمعنى أنه لم يثقل على المعدة وخرج منها بغير ألم .

ثانيا : التفسير:

الخطاب فى الآية موجَّه إلى الرجال الراغبين فى النكاح ومنهم الذين يرغبون فى نكاح

من يتـولون أمورهـن من اليتامـى الحديثى العهد بـالبلوغ، وقيل إنـه لأولياء النساء، وقيـل إنه يشملهم.

وقوله تعالى «وآتوا النساء صدقاتهن نِحلة» يفيد عدة معان :

أولها : أنه جعل أداء المهر فريضة مشروعة منه تعالى، إذْ جاء لفظ «نِحلة» حالا يبيِّن هيئة المفعول به وهو الصدُقـات أو المهور، فبيَّن أن أداءها فريضة مفروضة منـه تعالى؛ ولهذا جعل أداء المهر مـن أركان الزواج الصحيح، ولـم يكن أمره كـذلك من قبـل فقد كان الرجـل يقول للمرأة «أتزوجك على أن ترثينى وأرثك» فتقول «نعم» فيتم الزواج.

وثانيها : أنه جعل المهر حقا للمرأة المتزوج بها، وقـد كان من قبل يأخذه وليُّها أو ينتفع هو به بدلالة قول كاهن مدين عند تزويجه موسى عليه السلام إحدى ابنتيه «إنى أريد أن أُنكحك إحدى ابنتىَّ هاتين على أن تؤجرنى ثمانى حجج».

وثـالثها : هـو أمـره تعالـى أن يكـون أداء المهور إلـى النسـاء المتزوج بهـن يـدفعه إليهـن المتزوجون بهن أو يدفعه إليهن أولياؤهن الذى يتسلمون المهور من الأزواج نيابة عنهن .

وقولـه تعالى «فإن طبـن لكم عن شىء منـه نفسا فكلوه هنيئـا مريئا» خوطـب به الأزواج الذين التزموا بأداء المهور المعجَّل منها والمؤجل.

والخطاب يتضمن حكما يترتب على الإقرار للزوجـات بحقهن فى مهورهن مما تعتبر معه المهور مملوكة لهن. لأنه لما كان للمالك أن يتصرف فى ماله بالهبة فإنه أجيز للزوجة أن تهب من مهرها وهو ملكها لزوجها، وأجيز للأزواج أن يأخذوا ما وهبتهم زوجاتهم من مهورهن، و إن اشترط لذلـك أن يكون المعطى للأزواج من المهـور أو الموهوب لهم أو المتبرع بـه منها جزءا قليلا من المهر على ما يبين من وصفه بأنـه شىء من المهر «منه شيئا»، فلا يجوز أن يكون فى مجموع المهر ولا فى أكثره و إلا ذهب بفرضيته.

واشترط لذلك أيضا أن تكون هبته الأزواج أو التبرع به لهم طواعية وعن رضاء صحيح بغير اضطرار ولا إكراه ولو كان مبعثه إساءة معاملتهن ليفعلن ذلك .

ويبين من قوله تعالى «فكلوه هنيئا مريئا» أنه إذا أكتمل توافر الشرطين المذكورين فى هبة النساء أزواجهم من مهورهن أو التبرع لهم بها حلَّ للأزواج أخذ ما وُهبوا أو ما تُبرع به لهم، عُبِّر عن أخذه بالأكل لأنه مما ينفق فيه المال، وعبِّر عن استطابة أخذه وعدم الإثم فيه بتشبيه حاله عند أخذه بما يكون عليه حال الطعام الطيب المصدر والطيب نوعا من كونه هنيئا لطاعمه مريئا .

وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾

أولا : الأســــماء :

الســفهاء : جمع «السفيه» قيل إنه المبذِّر، وقيل إنه الصبى والمجنون والمحجور عليه، وقيل إنه الجاهل بالأحكام. والراجح أنه الذى يقصر عن الإحسان لنفسه فى سياسة ماله فلا يتدبر أمره فى الإنفاق فيكون منه إتلاف ماله، وهو سبب للحجر عليه، وهو مما يستدلُّ عليه بالواقعات ولا يشترط فيه الجنون.

ثانيا : التفســير:

الآية الشريفة عودٌ إلى الأحكام المتعلقة بأموال اليتامى التى يقوم عليها الأولياء والأوصياء الذين أمروا من قبل أن يؤتوا اليتامى أموالهم متى بلغوا الحلُم، جاء النص ناهيا عن دفع أموال اليتامى - الذين يبلغون الحلم وهم سفهاء لا يحسنون تدبير حياتهم وإدارة أموالهم فيسرفون على أنفسهم فيها بما يهلكها - إليهم، وينصرف النهى - من باب أولى - إلى من بلغ الحلم وبه جنون، فيكون أمر هؤلاء هو الحجر عليهم ليقوم وليُّهم عنهم أو القيِّم عليهم بإدارة أموالهم، وهو ما تأكد بقوله تعالى - فى سورة البقرة - «فإن كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يملَّ هو فليملل وليُّه بالعدل». ولعله لذلك وصف تعالى أموال اليتامى

السفهاء بأنها أموال المتـولِّين أمورهـم «أموالكم» لإظهار أن الغاية مـن عدم إعطائها السفهاء هو المحافظة عليها محافظة صاحب المال علـى ماله، والخشية عليها من أن يبدِّدها السفيه فيكون فى هذا ضرره.

ولذات السبب فإنــه تعالى وصف أموال اليتامـى الذين بلغوا الحلم سفهاء بـأنها جُعلت للأولياء عليهم قيامـا «التى جعل الله لكم قياما»، والمعنى الظاهر للوصـف أنه بها يقوم عيش المتولِّين أمور اليتامى.

والمراد به أنه يقوم بهـا عيش اليتامى جعلوا بمنزلة المتولِّين أمورهـم لبيان أن الرابطة التى تربط بين اليتامى وبين المتولِّين تجعلهم بمرتبـة أنفسهم، فكأن ما يقوم به عيش اليتامى يقيم عيش المتولين أمورهم، وفى هذا مخاطبة لضمائر هؤلاء لاستنهاض همَّتهم فى الحرص على أموال اليتامى. فضلا عن مناسبة عدم نسبة الأموال للسفهاء ـ فى هذا الموضع من الآية ـ لأن السفاهة لا يناسبها المِلك .

وقوله تعالى «وارزقوهم فيها» هو أمر للمتـولين أمر السفهاء بإدارة أموالهم فيما يتكسب فيه بالمال، ليكون الإنفاق عليهم من ربح أموالهم وليس من رؤوس أموالهم حرصا على أموالهم من النفاد فى الإنفاق عليهم. ويستوجب إدارة أموال السفهاء فيما يتكسب فيه بها أداء زكاتها إذا ما وجبت فيها.

وقوله تعالى «واكسوهم» هو بيان لوجـه من الأوجه التى يكون فيها إنفاق أرباح إدارة أموال السفهاء وهو كســوتهم تجىء بعد الإنفاق على طعـامهم و إيوائهم بحكم أسبقيـة الأهم على المهم .

واختتمت الآيـة بجملة «وقولوا لهـم قولا معروفـا» أمر منه تعـالى بما يتعين أن يكـون عليه حديث المخاطبين بالنص المتولِّين أمور السفهاء مع هؤلاء، وهو أمر بمطلوب إيجابى يتطلب ـ فى المعنى ـــ وجود نهى عن ضدِّه، فلا يكـون من المخاطبين بالنص الإسـاءة إلى السفهاء بالقول منًّـا عليهم بما يقومـون به تصريحا أو تلميحا بـأنهم يتفضلون به عليهـم، و إنما يكون

منهم الإحسان إليهم بالقول كقول أحدهم «إن هذا هو مالك، وغداً إن شاء الله يصلح الله أمرك وتتسلَّم مالك ويخلص لك التصرف فيه» .

وأخيرا فإنه يلزم التنويه إلى أن ما أمر الله تعالى به فى هذه الآية القائمين على أمور السفهاء الذين بلغوا الحُلم، من إدارة أموالهم لصالحهم والإنفاق عليهم من أرباحها وأن يكون قولهم معهمْ قولا معروفا يحسنون به إليهم هو أمر يمتد ليشمل جميع الأولياء والأوصياء على اليتامى، فيكون جميعهم مخاطبا بالنص لاتحاد العلة .

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ الرشد : فى قوله تعالى «فإن آنستم منهم رشدا» المراد به ـ فى معنى الآية ـ حُسْن إدارة المال والتصرف فيه .

٢ ـ الإسراف : فى قوله تعالى «ولا تأكلوها إسرافا» هو تجاوز الحد المباح إلى غير المباح. والمراد به ــ فى معنى الآية ــ الإفراط فى إنفاق المال دون وجه يستوجب هذا .

٣ ـ البدار : فى قوله تعالى «إسرافا وبدارا» هو المبادرة والإسراع . من «البدار» وهو الامتلاء، ومنه البدر لامتلائه نورا .

ثانيا: التفســــــير:

بعد أن أوجـب تعالى علـى الأولياء والأوصيـاء أن يدفعوا إلـى اليتامى الـذين تـولوا إدارة أموالهم مالهم، ثم نهى عن دفعها إلى السفهاء منهـم، فإنه أصبح مطلوبا معرفة الوقت الذى يتم فيه ردُّ أمـوال اليتامى إليهم، ومعـرفة كيفية تمييز السفهـاء الذين يمتنع ردُّ أمـوالهم إليهم، فجاءت الآية ببيان ذلك، فيكون الخطاب فيها للأولياء .

بدأت الآية ببيان ما يتـوجب على الأولياء والأوصياء فعله تمهيدا لردِّ أمـوال اليتامى إليهم فقال تعالـى «وابتلوا اليتامى» والمعنـى المراد هو إجراء اختبـارهم فيما يتعلق بضبـط الأموال وإدارتها والتصرف فيها، وهو مـا يكون بتتبع أحوالهم فى المحافظة علـى المال والتصرف فيه ومراقبتهم فى هذا، وباختبارهم فى إجراء بعض الأعمال المالية، ورأى البعض أنه يرتبط بهذا الاختبار ملاحظة صلاحهم فى الدين والاعتداد به .

وموعد إجراء هذا الاختبـار يتحدد بقوله تعالى «حتى إذا بلغوا النكـاح» وظاهر النص يبيِّن أن الاختبار إنما يكـون قبل بلوغ النكاح فـإذا استدل به على توافـر الرشد لدى اليتيـم دفع إليه ماله، وقيـل إنه يكون بعد بلـوغ النكاح. والمراد ببلوغ النكـاح هو البلوغ فى الـواقع أو حكما، ويكون فـى الواقـع بالنسبـة للذكـر والأنثى بـالاحتلام، وبـالنسبة لـلأنثى وحـدها بـالحيض وبالحمـل، ويكون حكما بتمام الخـامسة عشرة للـذكر والأنثى ــ على رأى ـ وبتمام الثـامنة عشرة للـذكر والسابعة عشـرة للأنثى ـ علـى رأى آخر ـ ويرتبـط الحكم الوارد به النـص على نتيجة هذا الاختبار على ما يبين من قوله تعالى «فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم» بمعنى أنه إذا أثبت هذا الاختبار توافر الرشد لدى اليتيـم تعيَّن أن يردَّ إليه الولى ماله عند بلوغه النكاح رشيدا.

فأما إذا ثبت مـن الاختبار عدم توافر الرشد لديـه فإنه لا تدفع إليه أمواله، وقيـل إنه لا تُدفع إليه أمواله وإن شمط ـ بمعنـى ولو خالط شعره بياض المشيب ـ وقيل لا يؤخـر دفع أمواله إليه لأكثر من سبع سنـوات، لأن الهدف من عدم الدفع كـان تأديبه ليرعوى فى الإنفـاق، ومن لـم

يتأدب لسبع سنوات بعد البلوغ لا يؤمل فى تأدبه، وقيل لا تدفع إليه أمواله إلى أن يبلغ خمسا وعشرين سنة لأنه يكون قد بلغ فى هذه السِنِّ أشدَّه.

والرأى الذى نميل إليه أنه لما كان المراد بعدم دفع أموال اليتيم إليه إذا بلغ الحلم سفيها هو التحرز من سفه الصبا وليس من السفه عموما فإنه لا يجوز منع البالغ السفيه أمواله تردُّ إليه بدعوى سفاهته لأنه لا تكون سفاهة الصبا حالئذ هى المراعى التحرز منها؛ ولذلك يتعيَّن أن يكون ذلك إلى فترة زمنية محدودة نرى ألا تزيد على بلوغه خمسا وعشرين سنة .

وقوله تعالى «ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا» هى نهى للأولياء والأوصياء أن يفعلوا ما من شأنه أن يؤدى إلى تآكل أموال اليتامى بإسرافهم فى الإنفاق دون مبرِّر يستوجب الإنفاق أو يستوجب الزيادة فيه، وأن يسرعوا فى الإنفاق من هذه الأموال قبل بلوغ اليتامى سِنَّ النكاح وأمر بالتزامهم بدفع أموالهم إليهم.

والقول يتضمن إشارة إلى وجوب دفع أموال اليتامى إليهم إذا ما كبروا وعدم جواز منع دفعها إليهم من الأولياء والأوصياء إلى ما بلغوا من العمر لعلَّة سفه الصبا .

وبعد ذلك يجىء توجيهه تعالى إلى الأولياء والأوصياء بما يتعين عليهم الالتزام به فى قوله تعالى «ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف». وهو يتعلق بما يأخذه الولى أو الوصى لنفسه من مال اليتيم القائم على رعاية أمواله فنهى الولى أو الوصى الغنى عن أن يأخذ شيئا من مال اليتيم، جاء النهى فى صورة أمر بالتعفف عن أخذ شىء منه لنفسه «فليستعفف» بمعنى أن يعف نفسه عن أخذ شىء منه، وأباح للولى أو الوصى الفقير أن يأخذ من مال اليتيم ما يفى بحاجاته الضرورية «فليأكل بالمعروف» أى أن يأخذ منه على النحو الذى تعارف عليه الناس وأقرَّه الشرع.

ولما كان من غير المقبول فى التصور أن يبيح الله تعالى محرَّما، فإننا لم نر رأى القائلين أن المراد بتعفف الغنى هو أن يعف عن الحرام ـ والمراد به الأخذ من مال اليتيم ـ لأنه لو كان الموصى بالتعفف عنه حراما لما أباحه الله تعالى للولى أو الوصى الفقير .

ويبقى بعد ذلك وصف هذا الذى يأخذه الولى أو الوصى الفقير من مال اليتيم، بمعنى هل يعتبر أجرا له على رعايته ماله أم لا .

والذى نراه أنه يعتبر أجرا يتعفَّف عنه من أغناه الله ويأخذه الفقير؛ ولذا فإننا لم نر أيضا رأى من قال إن حكم النص قد نسخ بقوله تعالى «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما» لأن الأجر ليس ظلما، وغاية ما فى الأمر أنه تعالى لم يجعل أجر الولى أو الوصى الفقير بقدر عمله وإنما بما يكفى حاجته فقط مراعاة لضعف اليتيم.

ويجى بعد ذلك قوله تعالى «فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم» توجيها آخر للأولياء أو الأوصياء بأن يقيموا البيِّنة على ردِّهم أموال اليتامى إليهم إذا دفعت إليهم ببلوغهم النكاح مع الرشد أو بعد ذلك، وقيل إن الاستشهاد يكون أيضا عند الإنفاق على اليتامى.

والمراد بإقامة البيِّنة على دفع أموال اليتامى إليهم هو دفع الشبهة، ورأى المالكية والشافعية أن التدليل على الدفع بالبيِّنة واجب.

وأن قوله تعالى يتضمن أمر وجوب. ويبدو - والله أعلم - أن قوله تعالى - فى ختام الآية بعد إيراد حكم الإشهاد على الدفع - «وكفى بالله حسيبا» يدلِّل على أن المراد بإقامة البيِّنة هو دفع الشبهة وليس إيجابها، لأن معنى القول هو أنه «ليس ثمة شاهد أفضل منه تعالى» فهو الكافى شاهدا والكافى محاسبا .

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾

أولا : الأســــــماء :

١ ـ الرجـــال: في قـوله تعالـى «للرجال نصيـب» المراد بهم ـ في معنى الآيـة ـ الأولاد الذكور «بالنسبة للوالدين»، والذكور عموما «بالنسبة للأقربين الموروثين».

٢ ـ الأقـــربون : المراد بهم ـ في معنى الآية ـ الأقرباء الموروثون .

٣ ـ النســـاء : في قـوله تعالـى «وللنساء نصيب» المـراد بهن ـ فـي معنى الآية ـ البنات «بالنسبة للوالدين»، والإناث عموما «بالنسبة للأقربين الموروثين».

٤ ـ المفـــروض : فـي قولـه تعالـى «نصيبا مفـروضا» اسـم مفعول مـن الفعل «فـرض ـ يفرض»، والمراد به ـ في معنى الآية ـ ما أوجبه تعالى وله معالم وحدود .

ثانيا : التفســـــير:

ناسب مكان الآيـة من حيث ترتيبها في آيـات السورة أنه سبقها بيان أحكام رعـاية أموال اليتامى وهي المنتقلـة إليهم بالإرث فناسب ذلك أن تكـون الآية تالية لها، ومناسبـة نزولها أن رجلا يدعـى أوس بن ثابت الأنصاري تـوفي عن امرأة ، وبنتين وابـن له منها فأخذ ابنـا عمٍّ له ماله ولم يتـركا شيئا لأرملته ولا لأبنائه، لأنهم كـانوا في الجاهلية لا يورثـون النساء ولا الذكور الصغار الذين لا يـركبون الخيل محاربين، فذكرت ذلـك لرسول الله ﷺ فدعاهما إليـه، فأبديا حجتهما مـا كان عليه الأمر فـي الجاهلية، فصرفهمـا رسول الله ﷺ إلى أن يحدث الله لـه في الأمر أمرا، فأنزل الله الآية .

وتضمنت الآية إظهار أمور ثلاثة :

أولها : بيان علة الميراث، وهي القرابة.

وثانيها : إظهار عمومية القرابة سببا للإرث قربت أم بعدت .

وثالثها : إجمال النصيب المفروض الذي فصلته من بعد آية المواريث.

فقوله تعـالى «للرجال نصيب ممـا ترك الوالدان والأقـربون» مفاده أن للأبناء الـذكور حظ ونصيب فيما يتركـه والداهم من المال بوفاتهمـا، وأنه للذكور عموما حظ ونصيـب فيما يتركه أقاربهم بموتهم من أموال.

وقوله تعـالى «وللنساء نصيب مما ترك الـوالدان والأقربون» مفاده أن للبنـات حظا ونصيبا مما يخلف والـداهن من أموال، وأنـه للإناث عموما نصيـب وحظ فيما يخلف أقـاربهن من أموال بموتهم .

فالقـول ـ على هذا ــ يثبت أحقية النساء فـى الإرث كمبدأ عام بمـا يخالف ما كـان عليه الحال فـى الجاهلية مـن عدم توريـث النساء، كما أثبت حـق الذكور فـى الإرث ـ ولو كـانوا أطفالا لا يركبون خيلا ولا يستطيعون نزالا ـ وهو أيضا مخـالف ما كان عليه الحال فى الجاهلية من عدم توريث صغار الذكور ولو كانوا الأبناء .

وقوله تعالى «مما قلَّ منه أو كثر» هو إشـارة إلى اختلاف نصيب الذكور عن نصيب الإناث فى الإرث بطريق الفـرض الذى تتحدث عنه الآية «نصيبا مفروضـا»، وأن هذا الاختلاف يكون بزيادة نصيب أحدهما على نصيب الآخر .

وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾

أولا : الأســــــماء :

١ ـ **القســـمة**: المراد بها ـ فى معنى الآية ـ قسمة التركة بين الورثة .

٢ ـ **أولوا القربى** : المراد بهم ـ فـى معنى الآية الأقارب الذين لا يرثـون سواء بالحجب أم لكونهم من ذوى الأرحام .

ثانيا: التفســـــــير:

الخطاب فى الآيـة للورثة يوصيهم ربهم بـأنه إذا ما حضر مجلس قسمة التـركة أقارب لا يرثـون أو يتامى أو فقـراء أو مساكين فليكـن منهم إكرامهم بـإعطائهم شيئـا من أموال التـركة الموروثة، وأن يتبعوا فعلهم بـالإحسان إلى هؤلاء المرزوقين من التركة بالقـول كأن يدعوا لهم ويعتذروا عن قلة ما أعطوهم .

وقد قيل إن الآيـة منسوخة بآية الميراث، وقيـل إنها غير منسوخة لأنهـا لا تتعرض لأنصبة الورثة و إنما تتعلق بأمر مستحب هو مشاركة من حضر القسمة ممن لا نصيب له فيها .

وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾

التفســـــــير:

قيل إن الخطاب فـى الآية موجَّه إلى الأوصياء علـى اليتامى أمرهم تعـالى أن يخشوه وأن يخافوا علـى ذريتهم وأبنائهم أن يتـركوهم بالموت ضعـافا يكون عليهم أوصيـاء يكون منهم معهم مثل ما هـو كائن منهم مع اليتامى الذيـن تحت وصايتهم، والأمر ـ بهـذا المعنى ـ حثٌّ للأوصيـاء على حسن إدارة أمـوال اليتامى وعـدم أكلها وتهـديدا لهم أن يُفعـل بأبنائهـم من بعـدهم مثـل ما يفعلـون مـع اليتامـى الـذين هـم عليهم أوصيـاء، وأن يسـدِّدوا لهم القــول فيعلموهم شئون الـدين وما هم بحاجة إلـى العلم به، ويقولوا لهم مثـل الذى يحبون أن يقال لأبنائهم .

وقيل إن الخطاب موجه إلى عموم الناس يأمرهم ربهم باتقائه فى اليتامى من أبناء الناس، وأن يسدِّدوا لهم القـول كما يحبون أن يُفعل مع أبنـائهم، وأن يقولوا لمن حضـروا دُنوَّ أجله أن يبيِّن ما لـه وما عليه لتستوفى حقـوقه لورثته وليؤدى عنـه ما عليه من دين، وأن يـوصى لذوى

قرابته الذين لا يرثون إن ترك أبناءه أغنياء، وأن يلقّنوه شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ينطقونها أمامه دون أمره بها .

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

أولا : الأســــــماء :

الســـــعير: فـى قـولـه تعـالـى «وسيصلـون سعيـرا» هـى النـار إذا سُعـرت بإيقـادها وإلهابهـــا.

ثانيا : التفســــــير:

جملة الآية استئنـاف للحديث فى شأن أموال اليتـامى وما ورد به من أوامـر ونواه، تضمن وعيدا مستترا للذين يستحلون لأنفسهم أكل مال اليتامى بغير حق.

وصفهم سبحانـه وتعالى بأنهـم «الذين يأكلـون أموال اليتامى ظلمـا» فيكون المقصودون بالقول هـم الذين يأخـذون من أموال اليتامـى بغير أن يكون لهم فيهـا حق، فلا يدخـل فيهم الذين يأخذون من أموال اليتامى أجرا ولا الذين يأخذون منها قرضا منتوين ردَّه .

شبَّه تعالى أخذهم المال بغير حقٍّ بأكل النـار، فتكون النار فى بعض بطونهم على ما يبين من قوله تعالى «فى بطونهم»، وقيل إنهم يوم القيـامة تكون لهم مشافر كمشافر الإبل يأخذهم بها من وكِّـل بهم ثم يجعل فى أفـواههم صخرا من نـار فيقذف فى أجوافهم حتـى يخرج من أسافلهم .

وقوله تعالى «وسيصلون سعيرا» مفاده انهم يجزون بأكلهم أموال اليتامى ظلما دخول النار يُلقون فيها ثم يصلونها مستعرة وهو ما يكون بعدم إحراقهم بل بشيِّهم لمقاساة شدة حرِّها.

وهو من معجزاتـه تعالى لأنه يفترض فى الصلـى أن يكون بالتقريب من النـار، وهؤلاء يتم صليهم بالنار وهم داخلها .

يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

التفســـــــــير:

الآية فى تفصيل مـا أجمله قوله تعالى فـى الآية السابعة من السورة «للـرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون».

بدأت بوصف الحكم الـذى وردت به الآية بأنه وصية منه تعالى مـع أنه تضمنه أمر وذلك لبيان أن المراد به منفعة المخاطبين بالنص.

وبيّن أن الـوصية فى شأن الأولاد أولهـم كما يبين مـن «فى» إذ تقبل أن تكون بمعنـى فى «شأن» وتقبل أن تكون بمعنى «اللام».

ثم قـال تعالى ــ فى شأن الأولاد ــ «للذكر مثل حـظ الأنثيين» جاء فيـه التعبير بـ «الـذكر والأنثى» لبيان أنه لا فـرق فى استحقاق الإرث بين الكبير والصغير ـ على مـا كان عليه الحال فى الجاهلية ـ وذُكر الذكر قبل الأنثى لتفضيله فى الإرث بالتضعيف.

ولا يستثنى منْ حكــم وراثة الأبناء آباءهم إلا عــدم وراثة رسول الله ﷺ لقولــه «نحنْ معشر الأنبياء لانورث، ما نترك صدقة» وعدم الوراثة بسبب اختلاف الدين .

وقال تعالى بعد ذلـك «فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما تـرك، وإن كانت واحدة فلها النصف» بمعنى أن الحكم الوارد يتعلق بالحالة التى يكون فيها ما عقب الموروث من الخلفة نساء خلصا ليس معهن ذكر، فيكون الضمير فى قـوله تعالى «فإن كن نساء» عائدا على الأولاد بإطـلاق، أو يكون عـائدا على البنـات الداخلات فـى مطلق الأولاد فيكـون المعنى هـو «فإن كانت البنات نساء خلصا».

والحكم أنه إذا كـان عدد بنات المتوفـى فوق اثنتين فإنهن يـرثن ثلثا ما تـرك، وإذا كانت امرأة واحدة ـ بمعنى أنها ليس لها أخ ولا أخت ـ فإنها ترث النصف مما ترك.

والمعلوم الحكم فى شأن البنات فوق اثنتين هو ذات حكم الاثنتين أخذا بأن معنى النص هو «فإن كن نساء اثنتين فما فوقهما» .

ويجيء قـوله تعالـى «ولأبويـه لكل واحد منهمـا السدس» حكما بتـوريث الأصـول بعد الحكم بتوريث الفروع مقررا أنه يكون ـ فى الحـال المضروبة ـ لكل واحد من الأبوين سدس ما ترك الابن المتوفى أو الابنة المتوفاة، فكأنه قيل يكون لأبويه الثلث ثم فُصِّل ما يستحقه كل منهما ببيان أنه السدس ليكون مجموع نصيبهما الثلث .

ثم إنـه تعالى بيَّـن أن نصيب الأبويـن يتعلق ـ إلـى جانب الحـال المضروبة التـى يكون المورث قد خلـف إناثا فقط ــ يكون هو ذاته فـى الحال التى يكون فيهـا للابن المتوفـى ولد بقطع النظر عن كونه ذكرا أو أنثى، وعما إذا كان واحـدا أو أكثر وذلك بقوله تعالى «مما ترك إن كان له ولد». وولد الابن كذلك.

ويكون الأمـر أنه إن كـان الولد ذكـرا واحدا فـإن الباقـى يكون له؛ وإن كـانوا ذكـورا فـإن البـاقى يكون لهم بالسوية، وإن كانوا ذكورا وإناثـا فإن الباقى يكون لهم للذكر فيه مثل حظ الأنثيين.

فإن كانت بنتا فيكون لها النصف ويكون لأحد الأبوين السدس، أو يكون لهما السدسان، ثم يعود الباقى للأب بطريق التعصيب وليس بالفرض الذى تتناوله الآية.

وإن لم يكن سوى أم وبنت فقط فإنه بعد فرض الأم والبنت يردُّ الباقى عليهما.

وبعد ذلك يجىء حكم من لم يخلف بعده ولدا ولا ولد ابن بقوله تعالى «فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث».

ومضمون الحكم أن يكون لأم المتوفى ثلث ما ترك ويكون الباقى للأب، لم تدع الحاجة إلى ذكره لأنه مفهوم بالضرورة من انحصار الإرث فى الأبوين.

فإن كان مع الأبوين أحد الزوجين فإن ثلث الأم يكون هو ثلث ما بقى بعد إرث أحدهما فرضا ـ على رأى الجمهور ـ وخالف فى ذلك ابن عباس فقال إنه يكون لها الثلث من أصل التركة وليس ثلث ما بقى بعد فرض أحدهما .

ثم أورد تعالى حكم المتوفى الذى له إخوة ـ دون اعتداد بكونهم ثلاثة ـ لدى بيان النصيب المفروض للأم، بقطع النظر عما إذا كان الإخوة ذكورا أم إناثا، وبقطع النظر عما إذا كانوا إخوة من جهة الأبوين أم من جهة أحدهما فقال تعالى «فإن كان له إخوة فلأمه السدس» بمعنى أنه فى الحالة التى لايخلف فيها المورث أبناء وإنما يكون له إخوة فإن نصيب أمه فى الإرث ينتقص إلى السدس بدلا من الثلث.

والجمهور على أن هذا يكون إذا كان الإخوة اثنين، واشترط ابن عباس أن يكونوا ثلاثة ليحجبوا الأم حجب نقصان وليس حجب حرمان .

والمعلوم أن الإخوة يحجبون الأم حجب نقصان وإن كانوا محجوبين بالأب حجب حرمان، ليعود السدس التى حجبوا الأم عنه إلى الأب.

فكأن خلاصة القول أنه كما يكون الأمر فى شأن من لم يكن له ولد وورثه أبواه إذْ يكون لأمه الثلث ويكون الباقى للأب، فإنه يكون الأمر فى شأن من كان له إخوة وورثه أبواه إذْ يكون

لأمه السدس ويكون الباقى لأبيه .

وقولـه تعالـى ـ بعد مـا سبق بيـانه ـ «مـن بعد وصيـة يوصى بهـا أو دين» يفيـد أن اقتسام الميراث يكون مـن بعد قضاء الديـن وتنفيذ وصية المتوفـى. جاءت «أو» بين الوصيـة والدين لبيان تساويهما فى الوجـوب وفى تقدمهما على القسمة وجاء ذكر الوصية قبـل ذكر الدين مع أنه مقدم عليهـا لإظهار وجوب الاهتمام بتنفيـذها وعدم التفريـط فيها نظرا لأن تنفيذهـا يشقُّ على الورثة .

ثم يجىء قوله تعالى «آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا» والخطاب فيه يقبل أن يكون للورثة ويقبـل أن يكون للمورثين. فهو فى حـال مخاطبة الورثة يقول إنهـم فى شأن مورثيهم من الأصول والفروع لا يعرفون أيهم كان أقـرب لهم نفعا بفعله، هل كان الذين أوصوا من تركتهـم لغير الورثة قـد أورثوا ورثتهم ثواب الآخـرة لقيامهم بتنفيذ وصـا ياهم فكانـوا هم الأقرب لهم نفعا، أم أنه كان الأقرب لهم نفعا هم الذيـن لم يوصوا لغيرهم فآلت إليهم التركة كاملة فكفوهم الحاجة ووفروا عليهم عرض الدنيا.

ومن شأن تـدبر معنى القول ألا يجـدَ الورثة على المورثيـن الذين أوصوا لغيـرهم مظنة أن يكون فى ذلك خيرهم، وأن يكون منهم الحرص على تنفيذ الوصايا.

والقول فى حال توجيهـه إلى المورثين فإن مفاده أنه إن كانوا يرون فـى تقسيم التركة على النحو المذكور ما يخالف مصلحة يرونهـا فى غيره، فإنهم لا يعلمون أين تكون المصلحة وأى الوجهين هـو الذى يحققها، فيكون من شأن القـول أنه يردُّ نفوسهـم إلى السكينـة وأن يدفعهم إلى الرضا بما قسمَ سبحانه وتعالى .

ثم تختتـم الآية بقـوله تعالـى «فريضة مـن الله» جاء فيـه لفظ «فريضـة» ـ وهـى مصدر ـ موصوفـة بأنها من الله مـؤكدةً فعل المصدر، لتكـون حقيقة الأحكام أنها فـرض وليست مجرد وصية منه تعالى، ممـا يتعين معه التزامها وعدم مخالفتها، وانتفاء وجـود سبب لتردُّد الورثة أو المورثين فى قبولها.

وصف تعالى ذاته فى تقديرها بأنه العليم الحكيم «إن الله كان عليما حكيما» فهو العليم بالمصالح أين تكون والعالم ما لا يعلمه أحد، وهو الحكيم يقضى بحكمته، ومما حكم بعلمه وبحكمته ما أنزل من أحكام المواريث فوجب على العباد القبول والطاعة والإيمان بأنها الخير العظيم .

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

أولا : الأســـــماء :

الكلالــــة: فى قوله تعالى «وإن كان رجل يورث كلالـــة» مصـــدر من الفعـــل «كلَّ ـ يكلُّ». كـلالا وكلالة . والمـــراد بها فى معنى الآية ـ على ما شاع استعمـالها فيه فى الشـــرع هو القرابـة عن غير جهة الوالد والولد. والذى يورَث كلالـة هو من لا يكون له والد أو ولد يرثه .

ثانيا : التفســـــير :

الآية الشريفة فى بيان الأنصبة المفروضة لباقى الورثة، بدأت ببيان أنصبة الأزواج فى تركة أزواجهم المتوفين بدأت بتحديد نصيب الزوج الرجل فى تركة زوجته المتوفاة فقال تعالى «ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد».

والمعنى أنه إذا ماتت الزوجة المعقود عليها ـ يتساوى فى هذا أن يكون الزوج قد دخل بها أم لم يدخل ـ ولم يكن لها ولد ـ ذكرا كان أم أنثى، من الزوج الوارث أم من غيره ـ بمعنى أنها لم تعقب خلفا. فإنه يكون للزوج نصف تركتها.

ويلاحظ فى هذا الشأن أن وجود ولد من صلب ابن الزوجة المتوفاة أو ولد ابن لها يعتبر بمثابة وجود ولد لها يمنع من تطبيق حكم النص، فلا يكون للزوج الوارث نصف التركة، لأن ابن الولد يعتبر حكمًا ولدًا فى معنى النص.

ثم يقول تعالى فى ذات الشأن ـ أى فى بيان نصيب الزوج فى تركة زوجته المتوفاة ـ «فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن، من بعد وصية يوصين بها أو دين».

وهذا النص يورد حكم الحالة التى يكون فيها للزوجة المتوفاة ولد حيٌّ. وفيها يكون نصيب الزوج الوارث هو ربع التركة، وتكون باقى التركة لباقى الورثة من أصحاب الفروض والعصبات، أو ذوى الأرحام، أو لبيت مال المسلمين إن لم يكن لهن وارث آخر.

ويلاحظ أن قوله تعالى «من بعد وصية يوصين بها أو دين»، ومعناه أنه يكون نصيب الزوج فى تركة زوجه المتوفى من بعد سداد ديون المورث أو التركة ومن بعد تنفيذ وصيته، يسرى فى الحالين، أى فى حال كون الوارث هو الزوج الرجل فى زوجه، وحال كونه المرأة الوارثة فى زوجها.

ثم يبين سبحانه وتعالى ما يكون من أنصبة المتوفى الذى يورث كلالة، أى الذى لم يرثه

والد ولا ولـد، فيقول تعالى «وإن كـان رجل يورث كلالـة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكـل واحد منهما السدس».

ومن النص يبين أن الحكم يتعلق بالحالة التى يكون فيها المتوفى لم يترك وارثا من ولد أو والد سواء أكـان المتوفَّى رجلا أم امرأة، وذلـك لعطف «امرأة» فى النص علـى «رجل» بحرف العطف «أو»، والمعنـى أنه إذا كان للمتـوفى إخوة ــ من الأم ـ واحـد أو اثنان ـ دونمـا اعتداد بكونـه أو بكونهما مـن الذكور أو الإنـاث ـ فإنه يكـون نصيب الأخ الوارث فـى تركة أخيـه هو السدس، يتساوى فى هذا الذكور والإناث من الإخـوة. وفى هذا الشأن يلاحظ أن حكم النص يتعلق بـالحالـة التى يكـون فيها إخـوة المتوفـى المورث مـن الأم، وذلك لأن أحكـام الإخوة الأشقاء ـ وهم بنـو الأعيان ـ والإخوة من الآباء ــ وهم بنو العلات ـ قد وردت فـى آخر السورة، فيكون الحكم متعلقا بالإخوة من الأم ـ وهم أولاد الأخياف ـ وحدهم .

وباقى حكـم أنصبة الإخوة من الأم فى تركـة أخيهم المتوفى دون أن يرثه ولـد أو والد وهو المتعلق بحـالة كون الإخوة أكثـر من اثنين ورد بـه قوله تعـالى «فإن كانـوا أكثر من ذلـك فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار»، والمعنى أنه يكون لهؤلاء الإخوة ثلث التركة يقتسمونه بينهم بالتساوى «فهم شركاء فى الثلث» ويكون باقى التركة لباقى الورثة من أصحاب الفروض والعصبات. ويبين النص أن توزيـع الأنصبة على هذا النحو يكون بعد أداء ديون المورث أو دين التركة وبعد تنفيذ وصيته من غير ضرار أى أنه يفترض أن يكون الوفاء بدين حقيقى غيـر وهمىٍّ فلا يقرُّ المورث قبل مـوته، ولا يشهد شهود شهادة زور بأنـه كان عليه دين ليستوفى من تركته إضرارا بالورثة، كما يفترض ألا تكون الوصية بأكثر من ثلث التركة، فإن كانت فلا تنفـذ فى حق الورثة إلا فى حـدود ثلث التركة، إلا إذا أجاز الورثـة وإلا كان فى ذلك إضرار بالورثة منهى عنه .

تنويـــه : وقع خطأ مادى فى السطر الحادى عشـر من الصحيفة رقم ٦٠١ ـ بالعدد الثامن ـ بـإضافة اسم «إبـراهيم» فى جملـة أبناء رسول الله ﷺ مِـن السيدة خديجة رضـى الله عنها. وأوضح ما جاء فى السطرين الحادى والعشرين والثانى والعشرين من الصحيفة رقم ٦٠١ أن إبراهيم أنجبه رسول الله ﷺ من مارية القبطية.

ثم يجىء قـوله تعالى ــ فى ختام الآية «وصيـة من الله، والله عليم حليم» والمـراد به أن ما ذكره تعالى من أحكام فـى شأن ميراث الكلالة هو بمثابة وصية يوصى بها ــ مع كونها فرضا ـ لبيان أنها ـ مـن حيث الرعاية واستحقاقهـا ـ أدنى من أحكام ميراث الأولاد، ثـم بيَّن سبحانه وتعالى أن فى كل منهما الخير للعباد بما يوجـب الالتزام بها لكونه العليم بمصالح العباد أين تكون وبـالمضار كيف تتلافـى وتُتقى، وأنه بحكم كـونه حليما بـالعباد لا يعجل لمن خـالف أحكام الميراث عذابهم.

فلا يحسبنَّ مخالـفٌ أنه ناج من العذاب، فيكون القول دافعا إلـى التزام أحكام الميراث، ومتوعدا من يخالفها بالجزاء لا يخلص منه وإن أمهل فيه .

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾

أولا: الأســـماء :

حدود الله : سبق بيـان معناها، والمـراد بها ـ فـى معنى الآية ــ الأحكام الواردة فـى شئون اليتـامى وفـى المواريـث، وخصهـا البعض بـأحكام المـواريـث. شبهت بـالحدود بمعنـى العقوبات المحدَّدة منه تعالى لطائفة الجرائم المعروفة بجرائم الحدود، لبيان وجوب التزامها وعدم الخـروج عنها، شـأن هذه العقـوبات التى لا يستطيـع ولى الأمـر ـ شـرعا الامتنـاع عن إيقاعها إذا توافرت شروط ذلك، والتى لا تقبل فيها شفاعة .

ثانيا : التفســـير:

يشير الله تعالى إلى أحكـامه التى أنزلت فى شئون اليتامى وفى المـواريث بـ «تلك» لبيان سموِّهـا، وهو سموٌّ فوق سمـوِّها بنسبتها إليه تعـالى «حدود الله»، وفـى قوله جاء اسـم الإشارة

«تلك» مبتدأ، وخبره هو «حدود الله» فبيَّن أنها أحكامـه جلَّ وعلا، وهو ما يفيد وجوب التزامها وطاعتها .

ثم بيَّن سبحانه وتعالى جزاء من يطيعها بقـوله «ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار» جاء فى شكل جملة شرطية تقرِّر ـ بجواب الشرط ـ أن جزاء من يطيع أوامره تعالى وأحكامه هو دخول الجنة أو الجنات الموصوفة بأن الأنهار تجرى فيها.

ويبيِّن أن الأحكـام المشار إليهـا داخلة فى عمـوم الأوامر التى يجـازى عنها بهـذا الجزاء، وأنها لأهميتها استحقت إعادة بيان أو إعادة ذكر جزائها.

والطاعة تكون بقول «سمعنا وأطعنا» وتنفيذ الأمر أو الحكم عملا .

ثم إنـه تعالـى وصف حـال المطيعين أوامره وأوامـر رسولـه، وعطف «رسـوله» علـى لفظ الجلالـة لبيان أن طاعة الـرسول هى طـاعة لله، فلا يقـال «يطيع الله بالتزام القـرآن وحده دون سنَّته ﷺ»، وحالهم المذكورة هى الخلود فى الجنة.

ووصف هذا الجزاء وحال الطائعين حين ينالونه بأنه فوز عظيم «وذلك الفوز العظيم» أشار إليه باسم الإشارة «ذلك» لبيان علوِّ قيمته لأنه ليس ظفرا مثل الظفر به .

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾

التفســـــــــير:

بعد ذكره تعـالى جزاء الذيـن يطيعونه ويطيعون رسـوله ﷺ فإنه تعـالى ـ فى الآيـة ـ يبين جـزاء الذيـن يعصونـه بعـدم التزام أوامـره وأحكامـه ومنها مـا أورد فـى شئون اليتـامى وفـى

المواريـث، وبعدم اجتنـاب نواهيـه بجملة الآية، وهـى جملة شـرطية فعـل الشرط فيهـا هو عصيانـه تعالـى وعصيان رسـوله ﷺ «ومـن يعص الله ورسـوله»، وتعدّى حـدوده تعـالى «ويتعدَّ حدوده»، وفيـه عطف تعالى «رسـوله» علـى لفـظ الجلالة فبيَّـن أن عصيـانه ﷺ هو عصيـانه تعالـى، وهو ما يبيـن منـه مقروءا مع قـوله تعالـى «ويتعدَّ حدوده» أن تفصيـل ما أجمل مـن الحدودوالأحكـام بسنَّة رسـول الله ﷺ منسوب إلـى الله تعالـى وأنه مـن أحكامـه تعالى.

وجزاء من يعصى الله ورسـوله على النحو المذكور والذى قـد يكون بتعدِّى حدود الله، ورد به جواب الشرط فى الجملة «يدخله نارا» أى أنه تعالى يجعل مصيره دخول نار، جاءت نكرة، ومفردة لبيان مدى عظمها، مقارنة بذكره تعالى «جنات» فى الآية السابقة بصيغة الجمع، لأنه كما تكون غـاية التمتع فى الآخـرة هى التمتع بالجنان التـى قد تعظم كل منهـا أختها فيكون فـرط التمتع، فـإن غايـة العذاب وأوجُـهُ الذى لا يكـون متصورا بعـده عذاب يكفـى له نـار واحـدة.

ثم يبيِّن سبحـانه وتعالى حال العـاصى الذى يدخل النـار فيذكر أنه الخلود فيهـا «خالدا فيها»، وقد يكون المراد بالعاصى ـ فى هذا المقـام ـ هو العاصى منكرا حكمه تعالى، أو الذى ينكر أنه خيـرٌ؛ لأنه يكون كافرا أو غير مـؤمن بكماله تعالـى فيكون مشركا به من يضـع أحكاما أفضل مـن أحكامه فى زعمـه ـ وذلك لمـا عرف من أنـه لا يخلد مؤمن فـى النار ـ وقـد يكون المراد به هو العاصى الذى لم يتب، والذى لم يعف عنه .

ثم إنه تعالى يبيِّـن أنه يكون لهذا العاصى المخلد فى النار عـذاب مهين خُصَّ به، وذلك بقوله تعـالى «وله عذاب مهيـن». بمعنى أنه يذله ويخـزيه، ليكون مع عـذاب الجسد عذاب النفس.

■■■■■

وَٱلَّـٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾

التفســــــــير:

الآية من آيات الأحكام المتعلقة بالجرائم والعقوبات، تضمنت بيان الجريمة، ووسيلة إثبات وقوعها ونسبتها إلى مقترفها، ثم بيان العقوبة، وتضمن بيان الجريمة وذكر العقوبة أن العقوبة المحدَّدة بالنص خاصة بالإناث، بما يوحى أن لذات الجريمة عقوبة أخرى إذا كان الفاعل ذكرا .

أوضح النص تعلقه بحال كون فاعل الجرم أنثى باسم الموصول «اللاتى» وهو جمع «التى»،وذكر الجريمة بأنها «إتيان الفاحشة» بمعنى «المجىء بها» أو ارتكابها، والفاحشة هى القبيح من الفعل ومن القول. وقيل إن المراد بها ـ فى معنى الآية ـ «الزنى». هذا جميعه هو ما يبيِّنه قوله تعالى «واللاتى يأتين الفاحشة» .

ووسيلة إثبات الجريمة هى شهادة أربعة رجال على وقوع الفعل من المرأة المنسوب إليها ارتكاب الفاحشة. دلَّ على اشتراط كونهم رجالا لفظ «منكم» وما دلَّت عليه السنَّة من عدم قبول شهادة النساء فى الحدود، وقيل فى اشتراط كونهم أربعة أنه لما كان مشترطا فى الشهادة أن تكون من اثنين، وكان الزنى لايقع إلا بين اثنين، بما يستوجب أن يكون على كل منهما شاهدان، فقد تعيَّن أن يكون عدد الشهود أربعة. ومضمون الشهادة يشهد بها الأربعة أن الشاهد رأى ذكر الرجل الزانى بها فى فرجها مثل الميل فى المكحلة ـ بمعنى أنه أولج عضوه فيها ـ.

والعقـــــوبة المقررة بالنـص إذا تم إثبات حصول الزنـــى هى حبس النساء فـى البيوت حبـس عقوبـة إلى أن يتـوفـاهن الله «فـإن شهدوا فـأمسكـوهن فـى البيـوت حتى يتـوفاهـن المـــوت».

وقوله تعـالى «أو يجعل الله لهن سبيلا» قيل فـى معناه أنهن يبقين محبوسـات فى البيوت إلى أن يقضى الله بشأنهن أمرا آخر.

قيل إنه آية حدِّ الزنى فى سورة النور، وقيل إنه قـــــوله ﷺ بوحى من ربِّه: «خـــذوا عنى قد جعـل الله لهن سبيـلا، الثيب جلد مـائة ورجم بـالحجارة، والبكـــــر جلـد مائة ثـم نفى ســـنة».

ومعنى ما قيل إن حكم الآية قد نسخ بآية الحدِّ فى سورة النور، أو بسنَّته ﷺ. والرأى عندنا ـ والله أعلم ـ أن الجريمة التى ورد حكم الآية فيها ـ المـوصوفة بالفاحشة ـ ليست هى الزنى، فلا يكون حكم الآية منسوخا.

وإنما هى جريمة أخرى هى «السحاق» يكون بين المـرأة والمرأة، ولذلك جاء قوله تعالى متحدثا عن جمع النسـوة «واللاتى» مع أن الزنى لايكون إلا بين امـرأة ورجل، وأن حكم الآية لم ينسخ بآية سورة النور ولا بسنَّته ﷺ الفعلية ولا القولية.

والرأى عندنا أيضا أن علة اشتراط وجود أربعة شهود هى الحرص على ستر الفاحشة حتى لا تشيع فى مجتمـع المسلمين لأن عدم شيوع الفاحشـة مصلحة ترجح المصلحة فـى معاقبة مرتكب الفـاحشة أو مرتكبتها، وذلـك لأنه ـ مع صعـوبة تصور وجود أربعـة شهداء يشهدون الفعل ـ فإنـه لن يجرؤ كثيرون على الاتهام بالجـريمة لما يترتب على ذلـك عند عدم الإثبات بالشهود الأربعة من تطبيق «حد القذف» على مـن ادَّعى وقوع الفاحشة من المدعى عليها أو المدعى عليهن .

وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾

التفســـــير :

قيل إن المـراد باللذيـن يأتيانهـا فى قوله تعـالى «واللذان يـأتيانها» همـا الزانى والـزانية البكران اللذان لم يحصنا.

وأنه لهذا كانت عقوبتهما أخف من عقوبة الحبس المؤبد.

والرأى عندنا ـ والله أعلم ـ أن المراد بهما الـذكران اللذان يرتكبان اللواط. إذ يعود الضمير المتصل فى «يأتيانهـا» على ذات الجريمة التى ارتكبتها النساء موضـوع حكم الآية السابقة. أى نفس الفاحشة وهى الاتصال الجنسى على نحو شاذ، تناولت الآية السابقة حكمه إذا كان بين أنثيين، وتتناول الآية حكمه إذا كان بين ذكرين.

وعقوبـة الفعل هـى «الإيذاء»، يفترض أن يكـون بعد ثبـوت وقوع الجريمـة من المـدعى عليهما بارتكابها بذات وسيلة الإثبات المذكورة فى الآية السابقة وهى شهادة أربعة شهود.

وقيل فى معنـى «الإيذاء» إنه يكون بـالتعيير والتوبيخ. وقيل إنـه يكون ـ معهما ـ بالضرب بالنعـال. والذى نراه ـ والله أعلم ـ أن المـراد بالإيذاء غيـر المحدَّد بالنـص أنه يكون عقـوبة تعزيـرية يختارها ولـىُّ الأمر ويوقعهـا القاضى، لأنـه لما كانت «الحـدود» عقوبات حـدَّدها الشارع الحكيم سبحانه وتعـالى، وكان «القصاص» فى النفس وما دونها وفيـه التساوى، فإنه تعالى جعل «التعـزير» عقوبة للفعل الذى لايكـون فيه قصاص، ولم تتوافر فيـه شروط تطبيق الحد، وفـى كل فعل يضـرُّ بمصلحة عامـة أو عامة وخـاصة ولم ينـزل الشارع الحكيم بشـأنه عقوبـة محددة، وليـس أدلُّ على اعتبـار «اللواط» جـريمة مـن تقريـره تعالـى أنه يستـوجب

المعاقبة «فآذوهما»، ولما كان النص لم يجـدِّد ماهية «الإيذاء» المنصوص عليه، فإن العقوبة تكون عقوبة تعزيرية.

وقولـه تعالى «فـإن تابا وأصلحـافأعرضـوا عنهما» معناه أنـه إذا تبيَّن ـ لكـم أى لمجتمع المسلمين ينوب عنهم فـى ذلك ولىُّ الأمر أو من يعيِّنه ــ أنهم قد تابوا عن مقـارفة ما أوذوا به وأقلعوا عنه، وزادوا على ذلك بـأن عملوا صالح الأعمال، بما يدل على أن التـوبة كانت عن عمل السيئات عموما وأنهما رجعا إلى الله فاتبعوا أوامره وانتهوا عن نواهيه، فليكن منكم إنهاء العقوبـة المفروضة عليهمـا. فكأن العقوبـة تكون مـؤقتة إلى الأجـل الذى يتبيَّن فيـه حصول الإقلاع عن الفعـل المستقبح وعمل الصالحات، أو تكـون مؤبدة مع «العفو الشـرطى» ينهى العقوبة بتحقق الشرط وهو حصول التوبة وفعل الصالحات.

وقد تبدو علة التفرقة بيـن عقوبة اللاتى يأتين الفاحشة أو يرتكبـن السحاق ـ وهى مؤبدة ـ وبين عقوبة الذين يـرتكبون الفاحشة أو يرتكبون اللواط ـ وهى مؤقتـة بتحقق التوبة مع العمل الصالح ــ أن فى خروج المرأة من محبسهـا فى بيتها ما يتيـح لها مخالطة النساء، مـع ما هو معلوم من استتارهـن عن الجموع مما يتيح لها ممـارسة ذات الفعل مع أخريات فـى سترهن آمنات أن يكشـف أمرهن، مـع كون البقاء فـى المنزل بـالنسبة للنساء أمـرا هيِّنا وقعه بـالنسبة لكثيرات، على حيـن يسهل التحقق من توبة مـرتكب اللواط وصلاحه، كمـا يسهل اكتشاف أمر عودته إليه فيما لو عاد بحكم مباشرة الرجل عمله بين مجاميع الناس مما يسهل معه معرفة من لم تكن توبته توبة صحيحة ومن لم يصلح عملـه، فتكون عودته إلى ما عوقب به من قبل، لا تعتبر عقـوبة على جـريمة جديـدة يستوجب إثبـاتها شهادة أربعـة شهود، بل تكـون نتيجة لافتقاده شرط العفو عنه، فيعود لما كان فيه من العقاب .

وتختتم الآية بقوله تعالى «إن الله كان توابا رحيما» بعد أمره بالعفو عند التوبة مع الصلاح،

بيانا لأن العفو يكون بتوبته على المخطىء ليدخـل فى رحمته ومنها إنهاء عقوبته عما اقترف قبل التوبة، وحثًّا لأولى الأمر على العفو عن المسىء إذا ما تاب وأصلح .

إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **التـــــوبة** : هى الرجوع عن الذنب ، وهى «المتاب» .

٢ ـ **الســـوء** : هو «الشر عموما»، والمـراد به ـ فـى معنى الآية ــ المعصية عمومـا سواء أكانت صغيرة أم كبيرة .

٣ـ **الجهـــالة** : فى قوله تعالى «يعملون السوء بجهـالة» هى «الجهل»، وليس المراد بها ـ فى معنى الآية ـ عـدم العلم، وإنما المراد بها هو التهور، أو عدم تبصر العواقـب، والرعونة مع العلم. وذلك لأن عدم العلم لا يستوجب توبة.

٤ ـ **القريـــــب** : فى قـوله تعالـى «من قـريب» هو الـدانى، أصله فـى معنى المسـافة، واستعير للزمـان. والمراد به ـ فى معنـى الآية ـ هو الزمـان القريب بمعنى القريـب من حضور الموت ـ أى قبـل مجىء الموت، وقيل إنــه يكون إلى ما قبل الغـرغرة. وقيل إنه مـا بين المرء وبين نظره ملك الموت.

ثانيا : التفســــير :

بعد أن تحدث سبحانه وتعالى عن توبة الذين يرتكبون الفاحشة، فإنه تعالى بيَّن فى الآية ماهيـة التائبيـن الذيـن تقبل توبتهـم وأثر إعـلانهم توبتهـم باللسـان مع اطمئنـان القلب أو

إضمارهـا. فقوله تعـالى «إنما التـوبة على الله للـذين يعملـون السوء بجهالـة ثم يتوبـون من قريب» تعلق بـالتوبة عن الذنب، قد تكـون عن ذنب بعينه أو خطيئة بعينها قـارفها التائب ثم شعر بالنـدم على مقارفته إياها فتـاب منها منتويا عدم الـرجوع إلى مثلها، فتكون توبـة خاصة بذنب معين يتصور معها أن يكون مقيما على غيره من غير ذات نوعه.

وقد تكون عن جميع المعاصى فتكون توبة عامة.

ومعنى قولـه تعالى «على الله» مفاده أن قبولهـا منه تعالى محقَّق الحصـول، ولا نقول قول البعض إن قبـولها ــ متى تحققـت شروطهـا ـ واجـب عليه تعـالى، فـلا يعنى وجـود «على» الوجوب عليه تعالى، وإنما يعنى أنه أخبر أنه يفعل ووعد به ووعده تعالى هو الحق .

ويأتى بيان الـذين يستفيدون من الوعد فتقبل تـوبتهم بقوله تعالى «للـذين يعملون السوء بجهالـة» جاءت «اللام» فـى لفظ «للذيـن» مبيِّنةً أنها تكون لهـم بوعده تعـالى. وهم الـذين عملـوا السوء، أى الـذين عملـوا بالمعـاصى، جـاء التعبيرــ فى القـول ـ بـالفعل المضـارع «يعملون» لبيان أنهـا تقبل عن الذنـوب المرتكبة من التـائب منذ تكليفه وإلى لحظـة توبته، وهى المرتكبة بجهالـة، أى مع العلم بأنها من المعاصى، استخفافا بهـا أو بسوء تقدير واتباع لشهوة.

ثم يجىء بيـان الشرط المتعلق بلحظة التـوبة، أو القيد الذى يـرد على إطلاقها، يبيـن من قوله تعـالى «ثم يتوبون مـن قريب» والمعنى هو إلى الـزمن القريب من المـوت، ويشترط فيه بقاء التكليف وهـو لا يكون إلا مع القدرة على التكاليـف؛ ولما كانت هذه القـدرة تنتهى عند غرغرة الموت أو عند معـاينة ملك الموت فإنه يكون انتهاء أجل قبول التـوبة هو وصول المرء إلى هذه اللحظة، فلا تقبل منه توبة يبديها أو يضمرها إذا بلغ هذه اللحظة .

وبعد ذلك يوضح سبحانه وتعالى النتيجة المترتبـة على توبة الذين ارتكبوا السوء بجهالة من قريب ــ على المعنى السابق إيضاحه ــ بقوله تعالى «فأولئك يتـوب الله عليهم» أشار فيه

إلى التائبين بـ «أولئك» لبعد ذكرهم فى النص لكـونه فى بداية القول، ولبيان علو مرتبتهم بما ترتب على توبتهم. ونتيجـة توبتهم هى عطفه تعالى عليهم ـ على مـا يبين من «على» الواردة فى قوله تعالى«يتوب عليهم»، وعطفه تعالى عليهم تمثل فى قبوله تعالى توبتهم.

وتختتم الآيـة بقوله تعـالى «وكان الله عليمـا حكيما» مفيـدا أن قبوله تـوبة التائبيـن يكون للتائب بقلبه الذى يعلم تعالى مكنونه، وأنه تعالـى يقبل بحكمته توبة التائب عن الذنب فلا يعارض هذا فرضه عقوبـة دنيوية على مرتكب الذنب توقع لـدى مقارفته إياه، كما لا يعارض تقريره عقاب العصاة فى الآخرة .

وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾

التفســـــير:

بعد أن بيَّـن سبحانه وتعالـى ماهية التوبـة المقبولة وممَّن تكـون فى عبارة توضـح شروط قبولها فإنه تعالى تحدث فى الآية عن حـدث يأخذ شكل التوبة ولا يعدُّ منها، فقـوله تعـالى ـ فـى مبتدأ الآية ـ «وليسـت التوبة» معنـاه يقبل أن يكون «إنهـا لا تعدُّ توبة» أو «إنهـا لا تُقبل توبةً»، ويـؤكد هذا المعنى وصفه تعالـى إيَّاها بأنها محـض قـول من قائلها بقولـه «قال إنى تبت الآن».

والذى لا يعدُّ توبةً بهذا المعنى أو الذى لا يقبل من الله توبةً هو إعلان العاصى توبته عندما يحضره الموت وينقطع أمله فى الحياة، وصف سبحانه وتعـالى من يكون منهم بأنهم «الذين

يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن» فبيّن سبحانه وتعالى أنهم عصاة المؤمنين الذين يُرجئون التوبة ويسوفون إلى أن يحضرهمْ الموت ويشعرون أنهم ملاقون الله فيقول أحدهم بلسانه ـ إن استطاع ـ وفى نفسه إنه لم يقدر إنه تاب، فلا يكون قوله إلا محض قول منه لا يتوب به الله عليه .

ومثل هؤلاء العصاة المسوفين الذين لا يُقبل منهم توبة قولهم عند معاينة الموت إنهم تابوا، توبة الكافرين الذين أصروا على الكفر إلى أن ماتوا عليه. قيل إن توبتهم هى توبة يبدونها فى الآخرة فلا تقبل منهم، وقيل إنها توبتهم التى يبدونهاعند معاينتهم الموت.

ويبدو أن هذا هو المراد بقوله تعالى «ولا الذين يموتون وهم كفار» عُطفوا على المسوفين لاشتراكهم فى الفعل غير المقبول وهو إعلان التوبة عند معاينة الموت، وفى النتيجة وهى عدم قبول فعلهم أو توبتهم، يؤكد هذا أن فرعون موسى كان كافرا وأنه أبدى توبته عندما عاين الموت وأعلن إيمانه فلم يقبل الله تعالى توبته وقال له «ءالآن وقد عصيت قبل».

فبيَّن سبحانه وتعالى أن علة عدم قبول توبته أنها وقعت عندما أدركه الغرق، أى عندما عاين الموت.

وجاء ذكر عصاة المؤمنين الذين يتأخرون فى التوبة إلى أن يحضرهم الموت قبل ذكر الكافرين لبيان جسامة خطئهم وشدته فوق خطأ الكافرين فى تأخير التوبة .

ثم إنه تعالى يبين مصير هؤلاء العصاة الذين أخروا توبتهم إلى أن تساوت وعدمهاالحصولها عند معاينة الموت. وهؤلاء الذين ماتوا كافرين لم تتغيَّر صفتهم من الكفر بتوبتهم عند معاينة الموت بقوله تعالى «أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما» ومعناه ـ والله أعلم ـ أنه تعالى قد أعدَّ لهم وهيأ عذابا أليما، يقبل أن يكون جزاء على المعاصى التى لم يتب عنها المؤمن العاصى توبة مقبولة ، وعلى الكفر الذى لم يتب منه الكافر توبة مقبولة، ويقبل ـ فى رأينا ـ أن يكون جزاء على تأخير العاصى توبته لما فى ذلك من كفران النعمة، وعلى تأخير

الكافر إيمانه لما فيه من إصرار على الكفر.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾

التفســـــــير:

الآية الشريفـة عود إلى أحكام المعاملات أو استئنـاف لها، فمن بعد سنّه تعـالى الأحكام المتعلقة بأنفـس اليتامى وأموالهـم، يسُنُّ للمؤمنين فى الآيـة أحكاما فى شـأن أنفس النساء وأموالهن، جاءت بإبطال ما كان العرف قد جرى عليه من أيام الجاهلية.

فقوله تعالـى «يا أيها الذين آمنوا لايحلُّ لكـم أن ترثوا النساء كرها» هـو خطاب للمؤمنين عامة بإعلامهم حكمه تعالى، أما من يقع عليه تنفيذه فيفصح عنه باقى قوله تعالى فى جملة الآية، ومنه يستفاد أنهم أوليـاء الرجل المتوفى وأقاربه الأقربون ـ فـى مقام ـ وأنهم الأزواج فى مقام ثان.

فالمخـاطبون بـه للعلم وللتنفيذ معًـا هم أولياء الـرجل المتـوفى الذى تـرك أرملة وأقـاربه الأقربين، جاء قوله تعالى مُعْلِمًا إياهم عن نفى الحلِّ عما تعارفوا عليه من أنه إذا مات الرجل وترك زوجة كان أقرب أقـربائه يلقى عليها ثوبه فيعنى هذا أنها قـد صارت له، يتزوجها إن أراد أو يزوجها آخر ويأخـذ صداقها. أو تفتدى منه نفسها بالمال، أو تبقـى رهن تصرُّفه لاتملك أن تتزوج إلى أن تموت فيرثها، فجاء النص بنفى الحلِّ عن هذا العرف بما يعنى تحريمه.

فيكون معنى وراثة النساء هـو امتلاك أمرهن بسبب وفاة أزواجهن شأنهن ــ فى هذا ـ شأن الأموال تتملك بالإرث، ويكون معناه أيضا تملك أموالهن بوراثتهن من بعد موتهن ترتيبا على امتلاك أمرهن بوفاة أزواجهن .

وبيَّن سبحانه وتعالى أن هذه الوراثة تكون «كرها» جاء اللفظ ـ وهو مصدر ـ حالاً يبيِّن هيئة المفعول به (النساء) اللاتـى يكن مكرهات على هذا كارهات له، أو يبيـن هيئة الفاعل (أولياء المتوفى) الذين يُكرهون النساء على الرضوخ لهذا العرف .

وبعد ذلـك يجىء قولـه تعالى «ولا تعضلـوهن لتـذهبوا ببعض مـا آتيتموهن إلا أن يـأتين بفاحشة مبينـة» وهو نهى عن عضـل النساء لسبب ذكره النـص هو الإذهاب بما سبـق إعطاؤه لهن عند الزواج بهن ـ كله أو بعضه ـ فيكون الموجَّه إليهم النهى ـ بالنسبة للنساء اللاتى توفى عنهن أزواجهن ـ هم أولياء الزوج المتوفى وأقاربـه الأقربين الذين كانوا يمنعون النساء اللائى توفـى عنهن أزواجهن الـزواج ويحبسونهن فـى البيوت، مستهدفيـن بذلك أن تفتـدى النساء أنفسهن ـ لينقضـى ما فُرض عليهن من الحبس ومـن المنع من الزواج ـ بإعطـاء أولياء الزوج المتوفى وأقاربه الأقربين ما سبق أن أخذوه من الصداق.

ويكون النهى موجها ـ بالنسبة للنساء الـلاتى فى عصمة أزواج ـ لهؤلاء الأزواج الذين كان منهم من يحبـس المرأة التى زهد فيهـا كزوجة ولا يطلقها بقصـد إجبارها على اختـلاع نفسها بمهرها.

فجاء قوله تعالى ناهيا الفئتين عن الفعل ـ وهو عضل النساء ـ بغرض الحصول منهن على مال، وجاء التعبير عن أخذ المال من النساء بقوله تعالى «لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن» وليس «لتأخذوا» للتعبير عن كون المأخوذ من أموالهن بمثابة ضياع للمِلك، وفيه إشارة لانعدام حق العاضل فى المال الذى استهدف أخذه .

ثم إنه تعالى أورد استثنـاء على هذا النهى بقوله تعالى «إلا أن يأتيـن بفاحشة مبينة» ومعناه

انتفاء النهى و إباحـة المنهى عنه من العضل، أى الحبس والتضييق بقصـد استرداد المهر كله أو بعضه ـ لأن المهر أو الصداق ليس جميع ما يعطى الرجل امرأته ـ وقيل إن المراد بالفاحشة المبيَّنة هو الزنى، وقيل إن المراد بها الفاحش مـن الفعل والقول يبيِّن حال ناطقه أو فاعله، أو يكون معلنـا أو مسموعـا فيفضح فـاعله أو قائلـه والموجَّـه إليه، والنشـوز. والمخاطـب بهذا الاستثناء أو صاحب الحق فى العضل بقصد إسترداد بعض الصداق هو الزوج.

ويجىء قوله تعالى «وعاشروهن بالمعروف» أمرا إلى الأزواج أن تكون معاشرتهم زوجاتهم بما يوافق الشرع ولا تنكـره المروءة فى كل مناحى المعيشة فيشمل القسمـة بين الزوجات ـ إن تعدَّدن ـ والإنفاق عليهن والإحســان إليهن بالقول أو بالفعل، ومنه أن يظهر الـزوج لامرأته كما تحب وليس كما تكره.

وهـذا القول مـن قبيل الإيصـاء أو النصح جـاء فى صيغـة الأمر لإظهـار أهميته ووجـوب مراعاته والتزامه.

ويؤكد هذا إرشاده تعالى المؤمنين إلى وجوب التروِّى قبل فصم عرى الزوجية بقوله تعالى «فإن كـرهتموهـن فعسى أن تكرهـوا شيئا ويجعـل الله فيه خيـرا كثيرا» مما يبيـن منه أن قـوله «وعاشـروهن بـالمعروف» قـد تغيَّا المحافظــة على كيـان الأسرة، وأن يكـون كل زوج سكنـا لزوجه.

فيبين استهـداف المحافظة على استمـرار الحياة الزوجيـة بإيضاحـه تعالى أن ما قـد يرى الرجل معه أن استمرار الحياة الزوجية يسيئه فيرغب معه فى إنهائها، قد يكون منه الخير الكثير يصيبه.

فالقول يتضمن توجيها إلى وجوب التـروِّى وعدم التسرع فى إيقاع الطلاق، وحثًّا على ألا يكون الإحســاس بعدم الحب تجـاه المرأة أو كراهـة معايشتها سببـا للطلاق، لأنه قـد تكون الألفة بين الزوجين مـن بعد الكراهة، وقد يكون من الزواج الأبناء الصـالحون وصلاح الدين.

والقول فى مجموعه توجيه بألا يكون أمر الطـلاق هوى النفس، لأن علاقة الزوجية أسمى من أن تعصف بها أنواء الهوى .

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **البهتــــان** : فى قـوله تعالـى «أتأخذونـه بهتانا» هـو الكذب الذى يبهـت المكذوب عليه، والمـراد به ـ فى معنـى الآية ـ الكـذب على الزوجـة بالادعاء عليها بـالباطل ارتكـابها الفاحشة ليجبرها على افتداء نفسها بالمال يأخذه منها ليتزوج به أخرى أو لينفقه عليها.

ثانيا : التفســـير:

الخطاب فـى الآية الشريفة مـوجَّه إلى الـرجال الذيـن نهاهم سبحانـه وتعالى فـى الآية السابقة عن عضـل النساء بقصد أخذ بعض صدقـاتهن أو مهورهن، ينهاهم سبحـانه وتعالى عن وسيلة أخرى آثمة يتمكنوا بها من الحصول من زوجاتهم على مهورهن أو ما أعطوهم هى الكذب والافتـراء بالباطل. وينهـاهم عن أخذ شـىء مما أعطوا نسـاءهم أو فرضوا لهـم بغير سبب الفاحشة.

فقوله تعـالى «وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتـم إحداهن قنطارا فلا تـأخذوا منه شيئا» ورد بحكم عام وإن كـان قد جاء لإبطال عرف سيء كان متفشيا فـى الجاهلية واستمر بعد الإسلام مضمونه أنه عنـدما كان الرجل يريد مفارقة امرأته للزواج بـأخرى، أنه كان يدَّعى عليها كذبا ارتكـابها الفاحشة لتضطر خشية الفضيحـة إلى افتداء نفسها بما أعطاهـا، يأخذه ليتزوج بـه الأخرى أو لينفقه عليها، فيكـون معنى قولـه تعالى «وإن أردتم استبـدال زوج مكان

زوج» هو «إذا أردتم تطليق من هى تحتكم من النساء، بمعنى الزوجة والزواج بأخرى».

وقوله تعالـى «وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخـذوا منه شيئا» هو نهى صريـح عن أخذ شىء مما أعطى للـزوجة إذا ما رغب الـزوج أن يطلقها للزواج بأخـرى، وجاء بيان قطعية النهـى فى التعبير عمـا سبق أن أعطاه الـزوج لزوجته بـالقنطار للتدليـل على المال الكثيـر أو الشىء ذى القيمة الكبيرة، والتعبير عما نهـى عن أخذه بالشىء «شيئا» لبيان قلة شـأنه وقيمته، وفى ذلك بيان لقطعية النهى.

وقوله تعالى «أتأخذونه بهتانا و إثما مبينا» هو استنكار للأخذ وتوبيخ للآخذ. فالسؤال عن أخذ الشـىء من مـال المطلقة الذى سبـق إعطاؤهـا إياه هو استنكـار للفعل المستفهـم عنه وتوبيخا لفاعله على ما يبين من وصف حال آخذيه بكونهم باهتين آثمين.

وهـو يتناول هـؤلاء الذيـن يكذبـون على زوجـاتهـم و يفترون بـادعائهـم عليهن ارتكـاب الفاحشة ليأخذوا مما أعطوهن شيئا.

و يتناول أيضا ـ فيما نرى ـ والله أعلم ، كل من يأخذ عند طلاقه امرأته ليتزوج بأخرى ـ وفقا للنص ـ شيئـا مما أعطاها من مهـر أو فى أثناء فترة الزوجيـة.على ما يبين من النهـى الوارد فى قوله تعالى «فلا تأخذوا منه شيئا».

ووصفه تعـالى الآخذيـن حال أخذهـم بالباهتيـن الآثمين إنما كـان ترتيبا علـى خلوص ملكية المال للزوجة مما يكون معه سلبها إيَّاه بغير سبـب يبيح ذلك هو أخذ بالباطل «بهتانا»، والأخذ بالباطل هو إثم بلا خلاف ـ فيكون النهى عاما غير مقصور على الحالة التى كان عليها الاعتياد فى الجاهلية، ويكون أخذ ما سبق إعطاؤه للـزوجة بغير علة ارتكابها الفاحشة هو أخذ بالباطل فيكون إثما.

وهو ما يبين علَّته قوله تعالى فى الآية التالية :

وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾

التفســـير:

الخطاب في الآية موجّه إلى الأزواج الذين يأخـذون من زوجاتهم عند تطليقهــن ما سبق أن أعطوهن ـ من بعد نهيه تعـالى عن ذلك ـ ووصفه الفعل المنهى عنـه بالباطل سببـه بما يشكّل إثمـا ـ جاءت جملـة الآية لبيان انعـدام وجود السبب الصحيـح للأخذ، وبيـان علـة النهى .

فالاستفهام عن كيفية الأخذ «وكيف تأخذونه» هو إنكار ثان للفعل بعد الإنكار له الوارد فى الآية السابقـة لتأكيد معنى استهجانـه ـ وقوله تعالـى «وقد أفضى بعضكم إلى بعـض وأخذنا منكم ميثاقا غليظا» هو بيان لعلة النهى عن الأخذ و إظهار لانعدام سببه.

فمفاد قـوله تعالى أن وقـوع الجماع بين الـزوجين أو نومهمـا معها فى لحاف واحـد «وقد أفضى بعضكم إلى بعـض» هو ـ فى حد ذاته ـ سبـب لدى من لديه مروءة يمنعـه من أخذ ما سبق أن أعطاه من كان هذا منه معه.

وأنه فضـلا عن هذا فإن الـزوجات قدأخـذن من أزواجهن ميثـاقا غليظا أى عهدا شـديدا والمراد بهذا أنهن تزوجـن من أزواجهن على أحكام الزواج فى الإسلام، وفيـه يكون من الزوج الإمساك بمعروف أو التسريح بإحسان.

وليس من الإحســان أخذ مال المرأة الذى آل إليهـا بالزواج أو بسببه من الـزوج بغير سبب يسيغه شرعا رغم إرادتها .



وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾

التفســــير:

الآية فى ذكر نوع خاص من المحرمات ورد بشأن تحريم الزواج منهن نص الآية مستقلا عن بيانهن فى نص الآية التالية لخصوصية انفرد بها المنهى عنه هى الشيوع مع المقت، على حين لم يكن معتادا مألوفا لدى العرب الزواج بباقى المحرمات .

فقوله تعالى «ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف» هو نهى صريح عن نكاح المرأة التى سبق أن نكحها الأب. ويدخل فى معنى الأب الجدُّ و إن علا.

والراجح أنه تحرم المرأة على الابن ـ بالنص ـ بمجرد عقد الأب عليها فى عقد صحيح، فإن لم يكن عقد أو كان العقد فاسدا تعيَّن أن يكون الأب قد وطأها أو كان منه معها ما يقوم مقام الوطء فى التحريم من مسٍّ أو تقبيل بشهوة . ومفاد النهى أنه بنزول قوله تعالى بالتحريم أصبح الفعل ذنبا كبيرا وعصيانا، ولذلك فإن قوله تعالى «إلا ما قد سلف» لا يعنى سوى رفع إثم ما وقع من نكاح نساء الآباء قبل نزول النص، لكنه لا يعنى شرعية استمرار الإمساك بهن لمن كان متزوجا من امرأة أبيه من قبل نزول النص، إذ كان متوجبا عليه مفارقتها؛ دليل ذلك وصفه تعالى الفعل بكونه فاحشة ومقتا وساء سبيلا، وقد كان ـ على اعتياده فى الجاهلية ـ فعلا ممقوتا لدى العرب يسمونه «نكاح المقت» ويسمى الولد المولود فيه «المقتىَّ»، ووصفه تعالى زيادة على ذلك بالفاحشة وبأنه بئس الطريق طريقه، ومفاد هذا عدم تصور الإذن باستمرار ما كان قد أبرم منه قبل نزول الآية، لأن كل لحظة استمرار له هى أداء فعل منهى عنه.

وقد قيل فـى تفسير الآية إن المنهى عنـه بالنص هو عقد النكـاح بالهيئة التى كـان يتم بها عقد النكاح فـى الجاهلية، وأن معنى قـوله تعالى «إلا ما قـد سلف» هو «إلا من تـوفِّين منهن» لبيان قطيعـة النهى لاستحالـة الزواج مـن امرأة متوفـاة. والذى نراه والله أعلـم ابتعاد هـذا عن المستفاد من عبارة النص .

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **الربـــــائب** : فى قوله تعالى «وربائبكم الـلاتى فى حجوركم» جمع «ربيبة» وهى ابنة امرأة الرجل من غيره يربِّيها عنده أو فى حجره.

٢ ـ **الحجـــور**: فى قوله تعالى «اللاتى فـى حجوركم» جمع «حجر»، هو حضن الإنسان، والمراد به كون البنت فى كنف زوج أمها وتحت رعايته.

٣ ـ **الحلائل** : فى قولـه تعالى «وحلائل أبنائكـم»، جمع، مفرده «الحليلـة»، المـــراد بهن ـ فى معنى الآية ـ الزوجات أحلَّ لأزواجهن جماعهن وما دونه.

ثانيا : التفســـير :

الآيـة فى بيـان من يحـرم على الـرجال الـزواج بهـن، ويفهم منـه أنه يحـرم على النسـاء المذكورات بالنص الزواج ممن حرم عليهم بالنص الزواج منهن .

بدأت الآية بقوله تعالى «حرمت عليكـم» والمفهوم من القول أن الذى حرَّم هو الله تعالى، وورد الفعل فـى صيغة المـاضى لبيـان أنه فى أم الكتـاب يسرى منـذ نزول النـص إلى غـاية المستقبل، والأمر المحرَّم هـو نكاح المذكورات، لأن التحريم لا يقـع على الأشخاص وإنما على الأفعال، وحذف المعلوم جائز فى اللغة .

وبدأ تعالى ذكر المحـرم نكاحهن بالقريبات على عمود النسب «حـرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعمـاتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت». فذكـر تعالى الأمهات، ويـدخل فيهـن الجدَّات مـا علون فهـن أصول، وتـلاه ذكـر البنات وهـن مولـودات الرجـال وبناتهن، فهـن فروع، ويدخل فيهن البنـات من الزنا ومـن الزواج الفاسد، وخالـف فى ذلك البعض فقال «إن الزنا لا يثبـت نسبا» وهذا غير صحيح لأن المخلوقة من مـاء الرجل هى بنته سواء أكـان الماء فى حلال أم فـى سفاح، وتلا ذلك ذكـر العمات والخالات، ويدخـل فيهن مولـودات الأجداد والجدات وإن علوا وكـذا عمة الجدِّ وخالتـه، وعمة الجدَّة وخالتهـا سواء أكانت لأب وأم، أم كانت لأب أو أم .

ثم ثنَّى تعـالى بذكر المحرم الـزواج منهن بحكم الرضاعـة فقال تعالى«وأمهاتكـم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم مـن الرضاعة» والأم بالرضـاعة هى المرأة التى امتص الصغيـر ثديها فى وقت مخصـوص قيل إنه ثلاثـون شهرا، وقيل إنه سنتـان لقوله تعالـى «وفصاله فى عـامين»، والمراد بالرضاعـة هو وصول اللبن من ثدى المرأة إلى جوف الصغير سـواء عن طريق الفم أم عن طريق الأنف، وسـواء أكان بمصِّ الصغير الثدى أم كان بالإملاج مـن الأم تدفع اللبن فى فم الصغير بالضغـط على ثديها. وتحرم الأم بالرضـاعة على من أرضعته بغير تفـرقة بين قليل

الرضاع وكثيره، ودون اشتراط عدد معين للرضعات. وتحـرم الأخت بالرضاعة على من اجتمع معهـا من الـذكور علـى ثـدى، والظاهـر من النـص أنه لا يشتـرط للتحـريم عـدد معين مـن الرضعـات، وقال الشـافعى إنـه لا يثبت التحـريم إلا بخمـس رضعات استنـادا إلى حـديث منسوب إليـه ﷺ أنه قـال «لا تحرم المصّـة ولا المصتان، ولا الإمـلاجة والإمـلاجتان». فقـال الشافعى إن القول ينفى التحريم على أربع فلزم أن يثبت بخمسٍ.

والثابت أنه يحرم بالرضاعة ما يُحرم بالنسب بحديث رسول الله ﷺ .

ثم ذكر تعالـى المحرم نكاحهن ترتيبا علـى المصاهرة وعلى الزواج بقولـه تعالى «وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسـائكم اللاتى دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذيـن من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف».

فبيَّن تحريمه تعالـى نكاح أم الزوجة، والمراد بالزوجة من عقد عليهـا فى عقد صحيح ثم طلقت أو مـاتت، فإن كان العقـد فاسدا تعيَّـن أن تكون قد وطئـت لتحرم أمها على مـن عقد عليها بالعقد الفاسـد، فأما إن كان العقد على الابنة صحيحا فتحـرم أمها على زوج الابنة ولو لـم يدخل بها.

وبيَّن تعالى تحريمه نكاح ابنة الزوجة المـدخول بها المطلقة أو المتوفاة ، فإن لم تكن الأم مدخولا بها بعد عقد صحيح فإنه لا يحرم نكاح ابنتها على من عقد عليها، وقد اشترط البعض لتحريم نكاح ابنة المعقود عليها مع الدخـول أن تكون ربيبة زوج الأم، فإن لم تكن ربيبته بأن كانت قد تربَّت بعيدة عنه فإنها لا تحرم علـى زوج أمها، وذلك لرواية منسوبة إلى الإمام على بن أبى طـالب كرم الله وجهه، والجمهور على عـدم اشتراط ذلك قولا منهم بـأن وصف بنات الزوجات بـالربائب إنما كان للمعتـاد من بقاء الابنة مـع أمها بعد طلاقها أو بعـد وفاة زوجها وإن تزوجت الأم.

كذلك بيَّن تعالى تحريمه نكاح من سبق لـلابن نكاحها على الأب بعد طلاقها من الابن أوبعد وفاته عنها، ويكفى للتحريم أن يكون الابن قد عقد على المرأة فى عقد صحيح ولولم يحصل فيـه وطء لأن العقد يحلُّه، واشتـرط فى الأبناء أن يكونـوا أبناء الصلب، أو إنـه ذكرت صفتهـم هذه لاستبعـاد زوجات الأبنـاء بالتبنـى ـ قبـل النهى عنـــه ـــ من نطـاق المحـــرم نكاحهـن .

وبعد ذلـك جاء بيانه تعـالى تحريمه الجمـع بين الأختين سـواء كانتا أختين بـالنسب أم بالرضاعة، وقد كـانت العرب فى الجاهلية لا تحرمه، كما أنه لم يكـن محرما فى زمن يعقوب عليه السلام الذى تـزوج أختين هما: ليئة، وراحيل؛ ولذلـك جاء قوله تعالى فـى شأن تحريم الجمع بيـن الأختين «إلا ما قد سلـف» لبيان أنه ـــ وقد أصبح ذنبـا اقترافه بنزول النـص الذى حرَّمه ـ بمـا يعنى استحقاقه العقاب، فإنه معفـىٌّ عن مؤاخذة الذين جمعـوا بين الأختين قبل ذلـك، ولا يعنى هـذا إباحـة استمرارهـم على الجمـع بين الأختيـن، وإنما يعنـى فقط عـدم المؤاخذة على الفعل السابق منهم، مع وجوب مفارقـة إحداهما، ولهذا جاء قوله تعالى ـ بعد ذكر هذا التحريم ـ «إن الله كان غفورا رحيما» مبينا غفرانه ما كان من سبق الجمع بين الأختين بواسع رحمته .

۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **المحصنـــات** : جمع مـؤنث، مفـرده «المحصنة» وهـى ـ فـى معنى الآيـة ـ المـرأة المتزوجة تكـون محصنة ـ بمعنى متعففـة ـ أو عفيفة، تعففت بـالزواج عن الزنـى، وأحصنت فـرجها عـن غير زوجهـا. ويستعمل «الإحصـان» فـى أربعة معـان: هى الإسـلام، والحريـة، والتزوج، والعفة .

٢ ـ **المحصنـون** : فـى قـوله تعـالـى «أن تبتغـوا بـأمـوالكم محصنيـن»، جمـع، مفـرده «المحصَن» وهو المتعفف، حصَّنَ نفسه من الوقوع فى المعاصى.

٣ ـ **المسافحون** : فى قوله تعـالى «محصنين غير مسافحين» جمع، مفـرده «مسافح» هو الزانى، وقيل هو الزانى الذى لا يمتنع عن واحـدة، كما أن المسافحة هى الزانية التى لا تمتنع عن أحد، فإن مارست الفعل مع شخص واحد قيل لها «ذات خدن».

٤ ـ **الفريضـــة** : المراد بها فى قـوله تعالى «فآتوهـن أجورهن فريضة» أنها مفـروضة منه تعالى. والمراد بها فى قوله تعالى «من بعد الفريضة» هو المهر فُرِض للمرأة على الرجل.

ثانيا : التفســـــير :

الآية الشـريفة فى بيان فئـة أخرى من النسـاء يحرم نكاحهـن، وفى ذكر حكم مـن أحكام المعاملات المالية المتعلقة بالزواج.

فقوله تعـالى «والمحصنات من النساء» جـاءت فيه واو العطف عاطفـة «المحصنات من النساء» على من سبق ذكـرهن المحرم نكاحهن، والمراد بالمحصنات مـن النساء ـ فى معنى الآية ـ المتـزوجات، أُحصِنَّ بالزواج، أفاد النـص أنه يحرم نكاحهن. وقيل إن مفـاد النص هو تحريم الزواج من الحـرائر بعد الأربع، قولا بأنه تعالى أحلَّ الزواج بـأربع فى أول السورة، وأنه حرَّم بالآية نكاح كل محصنة ـ بمعنى حرَّة ـ بعد الأربع .

ثم إنه تعالى أورد استثناء على حكمه بتحريم نكاح المحصنات بالزواج ـ أى صاحبات الأزواج ـ جاء به قوله تعالى «إلا ما ملكت أيمانكم» فأفاد حِلَّ نكاح المحصنات بالزواج ـ من الإماء «ملك اليمين»، وقيل إن المراد بهن السبايا يكون دخولهن فى المِلك بسبب السبى سببا للتفرقة بينهن وبين أزواجهن يبيح نكاحهن، وقيل إنهن عموم ملك اليمين يكون فى دخولهن فى الملك سبب للتفرقة بينهن وبين أزواجهن يبيح نكاحهن .

. وبعد ذلك يبيِّن سبحانه وتعالى أن حكمه بتحريم نكاح المذكورات هو ما كتبه تعالى على المؤمنين وفرضه عليهم «كتاب الله عليكم»، وفى بيانه تعالى أن حكمه بالتحريم هو كتاب منه تعالى حثٌّ للمؤمنين وإغراء على التزامه وفى بيان فرضيته على ما يبين من لفظ «عليكم» بيان لاستحقاق مخالفه العقاب لكونه مخالفا حكما مفروضا واجب الاتباع.

ثم إنه تعالى بيَّن أن ذكر المحرم نكاحهن من النساء قد ورد على سبيل الحصر فلا يحرم نكاح غيرهن «وأحِلَّ لكم ما وراء ذلكم» بمعنى أنه يحل لحكم أيها المؤمنون نكاح ما سوى المذكورات.

وأتبع تعالى بيان ذلك ببيان شروط صحة الإباحة أو شروط صحة نكاح من أحل نكاحهن من النساء فقال تعالى «أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين» فأوضح تعالى أن استحلال البضع من المرأة يكون بأداء مال لها أى بدفع مهرها، وأن تكون الغاية من دفع المال هى الإحصان بمعنى التعفف عن الحرام، فيكون دفع المال فى زواج، وهو ما أكدَّه قوله تعالى «غير مسافحين» أى ألا تكون الغاية من دفع المال هى الزنا مع أى امرأة أو الزنا مع المسافحة التى تقبل أن يزنى بها أى رجل مقابل مال يؤديه إليها.

ثم أورد تعالى حكما فى شأن المعاملات المالية المتعلقة بالزواج فقال تعالى «فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة»، جاء قوله تعالى من بعد بيانه أن أداء المال

للمرأة يكون بالزواج منها وليس للزنى بها، مبيِّنًا أمرين :

أولهما : أن المهر يؤدى إلى المرأة مقابل الاستمتاع بها.

وثانيهما : هو استحقاق المرأة كامل مهرها بمجرد الدخول بها، أو بمجامعتها ولو لمرة واحدة؛ ولهذا عبَّر عن المهور بلفظ «الأجور» تشبيها لها فى استحقاقها للعامل ووجوبها على صاحب العمل بقيام العامل بعمله فتكون المهور مقابل منفعة حصَّلها الزوج، ولهذا أيضا أوضح سبحانه وتعالى فرضيتها «فآتوهن أجورهن فريضة» لبيان أنها مفروضة للنساء على الأزواج منه تعالى.

وبعد أن ذكر تعالى فرضية المهور واستحقاق النساء إيَّاها أوضح تعالى أنه إنما شرع ذلك لصالح الزوجين أو لصالح النساء مما يحقُّ معه لصاحب المصلحة أن يعدل ـ من بعد تنفيذ الفرض ـ فى شروطه، فقال تعالى «ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة» .

فبيَّن أن متى ثم فرض المهر فى العقد على الزوج وأداء ما استحق أداؤه منه فإنه يكون للزوجين تعديل قيمة المهر بالزيادة أو النقصان، أو بالإبراء دون أن يكون فى فعلهما هذا إثم عليهما.

وقد استند الإمامية ــ وهم فرقة من فرق الشيعة ـ إلى هذا النص لإباحة زواج المتعة، قولا منهم أن مضمون قوله تعالى «فما استمتعتم به منهن» يراد به الاستمتاع بالنساء إلى الأجل المحدد فى زواج المتعة، وأن التعديل الذى لا إثم فيه هو الموافقة على زيادة مدة الاستمتاع بالمرأة مقابل الزيادة فى أجرها، والذى عليه أهل السنة هو تحريم زواج المتعة.

وتختتم الآية بقوله تعالى «إن الله كان عليما حكيما» تذكيرا للمؤمنين بأنه تعالى فيما يشرع لهم من الأحكام يفعل ذلك بحكم علمه بما يحقق مصالحهم فى الدنيا والآخرة وبحكمته التى لا تدرك لقصور العقول عنها، بما يستوجب الطاعة .

وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **الطـــول** : فى قوله تعالى «ومن لم يستطع منكم طولا» ضد القصر، والمـراد به ـ فى معنى الآيـة ـ القدرة على الـزواج وأخصُّها القدرة الماليـة، فيكون بمعنى الغنى والسعـة ينيل المرء النكاح فيطوله به .

٢ ـ **المحصنـــات** : فى قولـه تعالى «أن ينكح المحصنات»، جمـع المحصنة، والمراد بها ـ فى معنى الآية ـ الحرَّة، فيكون المراد بالمحصنات هو «الحرائر» .

٣ ـ **الفتيـــات** : فى قوله تعالـى «فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكـم المؤمنات» جمع، مفرده «الفتاة» وهى المرأة فى مبدأ الشباب، والمراد بـالفتيات ـ فى معنى الآية ـ الإماء، دُعى المؤمنون إلى عدم مناداة ملك يمينهم بالعبد والأمـة ومناداتهم بفتى، وفتاة، على ما وصف به القرآن العظيم مملوك موسى عليه السلام بأنه فتاهُ .

٤ ـ الأهــــل : فى قولـه تعالى «فانكحوهن بـإذن أهلهن» المراد بهم ـ فـى معنى الآية ـ أرباب الإماء مالكوهن .

٥ ـ الأخـــــدان : فى قـوله تعالـى «ولا متخذات أخدان» هم الأصـدقاء على الفـاحشة، تمنحه المرأة نفسها بغير أجرٍ تكرى به نفسها. واللفظ جمع، مفرده «خدن».

٦ ـ العنـــــت : أصله انكسار العظـم. واستعير لكل ضرر يصيب المرء بعـد صلاح، ومنه مقارفة الإثم، فيكون المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الزنا يخشى المؤمن الوقوع فيه .

ثانيا : التفســـير:

بعد أن بيَّن سبحانه وتعالى أنه أحلَّ للرجال الزواج من غير من حرم نكاحهن، جاءت الآية فى شأن من ليست لديـه القدرة المالية على الزواج من حرَّة بتوجيهه إلـى ما يكون منه، فقال تعالى «ومن لم يستطـع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن مـا ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات» ، عبَّر فيه عمَّن ليس لديه سعة من المال تنيله الزواج من حرة بأنه غير المستطيع طولا. «ومن لم يستطع منكم طولا» لأن المال هو الذى ينيله الزواج من حرة، إذ منه يدفع صداقها ويعدُّ المسكن الذى يضمهما .

وجاءت جملة الآية شرطية، فعل الشرط فيها عدم القدرة على الزواج بحرَّة، وجوابه جاء به قوله تعالى «فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات« والمعنى أنه ليكن منه الزواج من الإماء المؤمنات المملوكات لكم أيها المؤمنون».

ويلاحظ أن النـص قد اشترط فى الأمة التى يتـزوجها المؤمن الحرُّ ـ الـذى لا يجد القدرة على الـزواج من حرة ــ أن تكون مؤمنـة مما معناه عدم جـواز الزواج من أمـة غير مؤمنـة، كما يلاحظ أنه وصف الإماء المباح الزواج منهن بأنهـن فتيات المؤمنين المخاطبين بالنص، فدلَّ ذلك على عدم إجازة تزوج غير القادر على الزواج من حرة من أمته هو، وقيل أيضا إنه يبين من

النص عدم إباحة الزواج من أَمةٍ لمن يقدر على الزواج من حرَّة .

ثم جاء قوله تعالى «والله أعلم بإيمانكم» ـ بعد إباحة الزواج من الإماء لغير القادرين على الزواج ـ بالجرائر ـ لإزالة النفرة من الزواج من الإماء ـ من جهة ـ لما قد يكون من إيمانها إيمانا أكمل من إيمان الحرة، ومن جهة أخرى لبيان أنه يكفى للاستيثاق من توافر شرط الإيمان لدى الأمة أن تعبِّر عن ذلك بالقول أو بالإشارة إن كانت خرساء، دون البحث فيما فى القلوب مما يعلمه وحده تعالى؛ وربما لهذا جاء قوله ـ من بعد ـ «بعضكم من بعض» مفيدا تساوى الزوج الحرِّ والزوجة المملوكة فى نعمة الإيمان .

وبعد ذلك يجىء قوله تعالى ببيان شروط الزواج بالإماء، فيقول تعالى «فانكحوهن بإذن أهلهن» اشترط إذن مولي الأمة ليصح الزواج، وهذا تطبيق لمبدأ «عدم جواز نكاح العبد أو الأمة بغير إذن مولاه أو مولاها»، وإذا كان يصح لمولى العبد أن يجيز زواجه الذى تم بغير إذنه، فإنه لا تقبل إجازة المولى زواج الأمة لأن «نقصان الأنوثة» يمنع انعقاد العقد، فيكون إذن السيد شرطا لانعقاد العقد، ثم يقول تعالى ـ فى بيان شرط آخر ـ «وآتوهن أجورهن بالمعرروف»،

فبيَّن وجوب دفع المهر إلى الأمة المتزوج بها وكونها صاحبة الحق فيه ومالكته، تكون قيمته ويكون أداؤه إليها بما جرى به العرف الموافق للشرع؛ ولذلك وصف تعالى الإماء حال إيتائهن أجورهن بالمحصنات غير المسافحات ولا المتخذات أخدان «محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان» فيكون أخذهن المال بصفتهن زوجات وبصفة المال مهرا، ثم ورد تفصيل ذلك بأنهن لا يأخذن المال باعتبارهن مسافحات زانيات يواقعن أى رجل مقابل مال، ولا باعتبارهن متخذات خدنا يواقعنه من دون الرجال، فيكون ما يأخذنه من المال ليس بعلة الزنا أو المخادنة، وهذا تأكيد على صفته أنه مهر أو صداق .

ثم أنه كان منه تعالى من بعد إظهاره إباحة الزواج بالإماء وتقريره تعالى شروط صحة الزواج

وحقهن في المهور تؤدى إليهـن، جاء بيان ما يتوجب عليهن من الالتـزام بما تلتزم به الحرائر من عدم مقارفة الزنى، وذلك ببيان عقوبة الـزانيات من الإماء المتزوج بهن، فقال تعالى «فإذا أُحصنَّ فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب» .

جـاء القول فـى صيغة جملـة شرطيـة، فعـل الشرط فيهـا يتمثل فـى الإحصان وارتكـاب الفاحشـة ـ والمراد بهـا الزنى ـ مـع الإحصان. والإحصان المقصـود هو الإحصان بـالزواج أو بالزواج من حرٍّ، وليس هو الإحصان بالإسلام كما قيل ـ فيما نراه والله أعلم.

وذلك لأن الزواج إنما كان بأمة مسلمة، والزنى كان تاليا للزواج فيكون الإحصان المراد من النص هو الإحصان بالزواج.

وجواب الشرط «فعليهن نصـف ما على المحصنات من العذاب» جاء بذكـر عقوبة الأمة المحصنة بالزواج على الزنى.

حدَّدها النص بـأنها نصف عقوبة الحرة، وقـد استوجب هذا أن تكون العقوبـة هى الجلد لأنه يقبل ـ لكـونه معدودا ـ التنصيف، ولا تكون الموت رجما، لأنـه لا يقبل التنصيف؛ ولهذا قال البعض أى المراد بـ «المحصنات» اللاتى تكـون عقوبة الأمة المحصنة نصف عقوبتهن إذا زنين أنهن الحرائر الأبكار. وسيأتى تفصيل ذلك فى موضعه مع الرأى فيه .

وبعد ذلـك ذكر تعالى شـرطا آخر يتطلب فيمـن يستفيد من نـص إباحة الزواج مـن الإماء وأتبعه بتوجيـه أو بنصح، فقال تعالى «ذلـك لمن خشى العنت منكم، وأن تصبـروا خيرٌ لكم» فأوضح أن استعمـال هذا الحق أو المستفيد من هذه الإبـاحة هو من يخشى أن يقـارف الزنى لعدم الزواج، وهو من قويت رغبته فى معاشرة النساء وغلبت عليه شهوته.

أما التـوجيه فهو بـالتعفف عن مقـارفة الزنى بـوسائل منها الصـوم وشغل النفس بـالعمل الصالح و إجهاد الجسـد بالعمل وممارسة الريـاضة، والاستغناء بهذا عن نكاح الإمـاء لكونه

أفضل من الزواج منهن ومن مظاهر دونية الزواج بـالأمة عن عدم الزواج والصبر على العزبة أن ابن الزوج الحـر يصير عبدا مملوكا، وأن مولـى الأمة الزوجة يملك تشغيلها فـى أى مكان ولو بعد عن الزوج، كما أنه يملك أن يبيعها، وهذا مما يشق على الزوج الحر .

ثم يجىء قولـه تعالى - فى ختام الآية ــ «والله غفور رحيم» مبينا أنه تعالـى يغفر لمن تزوج من أمةٍ عدم صبـره على العزبة وعدم استرشاده بتـوجيه الله تعالى وإشارته إلـى خيرية الصبر على الـزواج من أمـة، والقول يتضمن تشبيـه الزواج مـن الأمة بـالذنب لأنـه الذى تكـون فيه المغفرة للتنفير منه، ومبينا أنـه تعالى إنما أباح الزواج من الإماء عنـد عدم القدرة على الزواج من الحرائر رحمة منه بالمؤمنين .

يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

التفســــــير:

بعد إيراده تعالـى ما شرع للمؤمنين من أحكام فـى الآيات السابقة فإنه تعـالى أوضح أنه إنما أحلَّ للمؤمنين مـا أحلَّه لهم وحرَّم عليهم ما حرَّم لأجل بيان وجـه الحق لهم وبيان إرادته فى الشرع، فقوله تعالى «يريد الله ليبيِّن لكم» يفيد أنه تعالى شرع لهم من الأحكام ما يبيِّن لهم من أمر دينهم الذى أراده لهم .

كما بيَّن تعـالى أنه أراد من تشريعـه ما شرع من الأحكـام هداية المؤمنين بتعـريفهم سنن الذين كانوا من قبلهم «ويهديكم سنن الذين من قبلكم» فهو يعرفهم ما كان عليه فعل الأنبياء السابقين والصالحين ممَّـن اتبعوهم ليكونوا لهم أسوة حسنة، ولا يعنـى هذا أن الأحكام التى أوردها تعالـى هى ذات ما كانـت عليه سنن السابقيـن من الأنبياء والصالحيـن، وإنما الذى

كانـت عليه سنتهم هـو طاعته تعـالى فيما أنـزل من أحكام لا تختلـف فى شأن العقيـدة وقد تختلف فـى شئون المعامـلات، كما يعرفهـم تعالى مـا كانت عليـه فعال السابقيـن ليمتثلوا الصالح منها ويتبعوه ويتجنبوا الطالح منها وينبذوه .

وبيَّن سبحانه وتعالى أنه أراد من سنِّه هـذه الأحكام أن يتوب على المؤمنين، لأنه بإرشاده المؤمنين إلى الصالح من الأعمال بعد بيانه مـا جرى تحريمه مما كانوا عليه مما ينكره الطبع السليم مثـل نكاح زوجـة الأب ومثل الجمـع بين الأختيـن، وعفوه عمـا سلف مـن فعله مـع إيجاب الانتهاء عن الاستمرار فيه فـإنه تعالى يكون قد تاب على المؤمنين مـن إثم كانوا عليه وعفا عما قارفوه من قبل، وهذه توبة .

وتختتم الآية بقولـه تعالى «والله عليم حكيم» وهو تـأكيد لما سبق إيضاحه مـن أنه تعالى يشرع لكل أمـة ما يناسب علمه بأحـوالها ليكون فيه مصلحة العباد دون أن يشـقَّ عليهم، وأنه إنما يكون منه ذلك بمقتضى حكمته تعالى التى قد يغفل عنها الغافلون .

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾

التفســـــير :

قولـه تعالى تتمة لبيـان مراده من تشـريع ما شـرع للمؤمنين، أعاد ذكـر إرادته التوبـة على المؤمنين، بمعنى أن يطيعوه فيما أمر وما نهى مع الانتهـاء عما نهوا عنه فيكون منه تعالى قبول توبتهم.

ثم أوضح تعالى للمؤمنين أن الذين يتبعون الشهـوات ـ وهم طوائف من غير المؤمنين ـ لا يريدون للمؤمنين اتباع شرعه تعالى فيمن يحـرم نكاحهن ويريدون لهم أن يتبعوا ما يقولون به

من إباحة المحارم، وفى ذلك قال قائلهم ـ فى إباحة زواج الأب من ابنته والاعتراض على تحريم البنت على أبيها :

ألیس البـــذار لمن بثَّــــه * ورِوَّاه فى يومـــه المجدِب
فكيف حللت لذاك الغريب * وصرت محـــرَّمـــةً للأبِ

فبيَّن تعالى أن هؤلاء المحرضين على عصيانه تعالى إنما يريدون أن يكون المؤمنون على شاكلتهم بعيدين عن الحق مائلين عنه ميلا عظيما .

يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾

التفســـــير :

بعد أن أباح سبحانه وتعالى للمؤمنين الأحرار الزواج بالإماء المؤمنات عند عدم القدرة المالية على الزواج بالحرائر، فإنه تعالى ـ فى الآية ـ أوضح أنه أراد بهذا التخفيف عنهم فى التكليف فى شئون النساء، ثم بيَّن تعالى علة ذلك وهى ضعف الرجال أمام الرغبة فى النساء واشتهائهن، فكان من رحمته تعالى أنه لم يلزم غير القادر على الزواج بالحرائر بالصبر عن جنس المرأة فأباح له الزواج بأمة مؤمنـــة .

ويقبل قوله تعالى هذا ـ فى رأينا ـ أن يكون من المراد به أنه تعالى فيما شرع للمؤمنين من أحكام فى شأن الزواج وبيان المحرم الزواج بهن وما شرع من أحكام فى شأن مرتكبى الفاحشة قد خفف على المؤمنين، ومن ذلك أنه كان معاقبا على أفعال الشذوذ الجنسى فى التوراة بالقتل، فجاءت أحكامه فى النصوص السابقة بما هو دون ذلك، ومنه أنه لم يحرم من نكاح النســاء إلا ما يأبى الطبع السليم نكاحهن، ومنه أن ما سَنَّ من عقوبات من شأنه أن يحقق إصلاح مرتكبى الفاحشة وإقلاعهم عن ارتكابها فيكون فى ذلك تخفيف عن مرتكبها

بعدم عودتهم إليها وارتكابهـم الذنب يعاقبون به فى الدنيا والآخرة. وقـد كان ذلك منه مراعاة لما جبل عليه الإنسان من ضعف عن مقاومة رغبته الجنسية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩﴾

التفســـير:

الآية فى أحكـام المعاملات والأفعال المتعلقة بالنفـس، جاء قوله تعالى.فيهـا فى صيغة النهى، والخطـاب موجَّـه إلى جميـع المؤمنيـن نهاهم تعـالى عـن أن يأكلـوا أموالهـم بينهم بالبـاطل، بمعنـى أن يستولى بعضهـم على مال آخـرين بغيـر الحق مثل القمـار ومثل الـربا، والبخس فى الثمن، واستغلال الطيش، والإيهام بغير الحق.

عبِّر عن الاستيـلاء على مال الغير بالأكل لأنـه مما ينفق فيه المال وتشبيها لـلأخذ والضمِّ للملك بالأكل يدخل فيه الطعام جوف الطاعم .

ثم إنه تعالـى استثنى من المنهى عنه التجارة عن تراض «إلا أن تكـون تجارة عن تراض»، والمعنى أن التجارة التى تتم بغير تراض أى بغير توافر الإرادة الصحيحة لدى البائع والمشترى تكون مـن قبيل البـاطل الـذى تؤكـل به الأموال والمنهـى عنه، ولـو لم يكـن فيها غبـن لأحد طرفيهـا، إذْ يفهم من اشتراط التـراضى أن يكون ركنا مـن أركان عقد البيع لا يصـح العقد إذا افتقد، فيكـون أخذ الشـىء المبيع أو المـال المدفـوع ثمنا مـن قبيل الغصـب وهو مـن قبيل الباطل، ومنه إكراه صاحب المال على بيعه بالقوة أو الترهيب، يكون أخذ المال معه من قبيل

الغصب ولو دُفع فيه ثمن مثله .

وتضمن نصُّ الآية نهيا عن فعل آخر هو قتـل النفس «ولا تقتلوا أنفسكم» وهو نهى عن كل قتل بغيـر حق فيشمل قتـل المرء نفسه وهـو الانتحار، ويشمل قتـل نفس الغير بغيـر قصاص، ويشمل قتل النفس بارتكـاب المعاصى يعاقب بها الإنسان فى أخراه ويفقـد بها قواه واتزانه ورجاحة عقله فى دنياه كشأن شاربى الخمر والمنغمسين فى شهوة الجسد.

وتختتم الآية بقوله تعالى «إن الله كان بكم رحيما!»، مفـاده أنه إنما نهاكم عما نهاكم عنه . رحمة بكم، ففيه رحمة بمن تكون أموالهم مطمعـا للغير، وفيه رحمة بالمنتهين عن أكلها بعدم معاقبتهم بـإثم ما يفعلون، وفيـه رحمة بمن انتوى قتلهـم، ورحمة بمن انتهوا عـن القتل بعدم تعذيبهم به .

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ ﴿٣٠﴾

التفســــير:

بعد أن نهى سبحانـه وتعالى عن أكل أموال الغير بـالباطل وعن قتل النفس فـإنه تعـالى أتبع ذلك، ببيـان أن فعل ذلك عدوانـا وظلما يستوجب تصليـة نار جهنم، وهو أمـر هيِّن عليه تعالى.

جاءت عبارة الآية فـى جملة شرطية، أداة الشرط فيها «من» وفعل الشـرط هو فعل المشار إليه باسم الإشارة «ذلك» وهو قتل النفس ـ فـى مقام أول ـ لكونه أقرب الأفعال المنهى عنها، وإن كان يقبـل أن يكون هـو وأكل النـاس بالباطـل، ويقبل أن يكـون جميع مـا نهى عنـه فى الآيات السابقة معهما.

وجواب الشـرط جاء به قولـه تعالى «فسوف نصليـه نارا» بمعنى أنـه تعالى سيعاقـب من يفعل ما نهى عنه بإدخاله النار وإحراقه فيها صليا أو شيًّا .

ثم يبين سبحانه وتعالى أن معاقبته من فعل المنهى عنه على هذا النحو هى أمرٌ هيِّنٌ عليه، فهو ملك يوم الدين، لايملك أحد من دونه شيئا ولا شفاعة إلا من بعد أذنه .

إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾

أولا: الأســــماء :

١ ـ الكبـــائر : فى قوله تعالى «كبائر ما تنهون عنـه» قيل فى تعريفها إنها المعصية التى أوجبت حدًّا ـ بمعنى عقوبة من عقوبات الحـدود، وقيل هى المعصية التى توعـد الله تعالى مـرتكبها بـالعذاب الشـديد، وقيـل إنها كـل ما ورد تحـريمه ــ من الفعـال والأقوال. بلفـظ التحريم. وقيل إنها المعصية التى لم يذكر لهـا حدٌّ ، وقيل إنها السبع الموبقات وهى: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التى حرَّم الله إلا بالحق، وأكـل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولِّى يوم الزحف. وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات . وقيل إنها أكثر من ذلك.

٢ ـ الكــريم : فى قوله تعالـى «مدخلا كريما» المراد به ـ فى معنـى الآية ـ هو الجيد، الحسَن، بمعنى «الجنة» .

ثانيا : التفســير:

الخطاب فى الآية موجَّه للمؤمنين الذين نهـوا عما نهوا عنه بنصوص الآيات السابقة جاء قوله تعالى ـ فى الآية ـ حاثًّا إياهم ـ بطريق الإغراء ـ على تمثل نواهيه وعدم مخالفتها بمقارفة

المنهى عنه. فقوله تعالى «إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم» معناه أنه إذا ما تحاشى المخاطبون بالنص الاقتراب من الأفعال الموصـوفة بالكبائر ولم يحوموا حولها ـ وهو معنى يـزيد على مقارفتهـا ـ فإنه تعـالى يكفر عنهـم ـ بهذا الاجتناب ــ ما اقترفوا مـن صغائر الذنوب يجـىء فيه الحث على عـدم مقارفة المنهى عنه جميعـه بإخفاء الكبائر وعـدم بيانها ليكون من المرء تجنب جميع المنهى عن ارتكابه لعدم علمه بما يعدُّ منها من الكبائر، ويبين فيه الاغراء بإعلام المخـاطبين بالنص أن من شأن تجنب الكبائر التكفيـر عن الصغائر فيكون الحرص على تجنب الكبائر لكسب غفران السيئات .

ثم إنه تعـالى يذكرـ مـن بعد بيان الأثر الأول المترتـب على تجنب الكبائرـ أثـرا آخر هو إدخال مجتنبى الكبائر مُدخلا كريما، بمعنى أنه تعالى يدخلهم مكانا حسنا، هو الجنة ـ على المعلوم ـ وقد يكون مكانا فيها لمجتنبى الكبائر.

وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾

التفســــير:

بعد أن نهى سبحـانه وتعالى عن أكـل أموال الناس بالباطـل، وكان ـ من قبل ــ قد أظهر حكمه فى المـواريث، وكان المنهى عنه، والصادر فـى شأن حكم من الأفعال، فإنـه تعالى ـ فى الآية ـ تعرَّض للنفـوس التى تحب المال بقصد تطهيرها. فقال تعـالى «ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكـم على بعض» وهو نهـى عن اشتهاء مـا تفضل به تعـالى على الغير مـن النعمة وتمنِّيها أو تمنِّى مثلها، ومعنـى النهى هو ردُّ النفس عن مثل هذا التمنى وصـرفها عنه، ويشمل

النهى الحسد ـ مـن باب أولى ـ لأنه يتضمن ــ إلى جانب التمنى التنعم بـالنعمة المنعم بها على الغير ـ زوالها عنه. و إذا ما كان صرف النفس عن مثل هذا التمنى، فإنه يكون مؤدى هذا هو عدم العمل على سلب الغير نعمته المنعم عليه بها بالباطل.

مثال ذلك أنه إذا ما أعجب شخص ما بمالٍ مملوك للآخر وتمناه لنفسه، وانتوى الحصول عليه منه بالباطل بأخذه فى مقامرة أو بطريق إكـراهه على بيعه، فإنه يكون ـ فى نهيه نفسه عن تمنى هذا المال ـ عدم إقباله على الفعل الذى يؤدى إلى انتقال ملكه إليه.

ويشمل نهى النفـس عن تمنى ما لدى الغير نهـى الوارث نفسه عن تمنى مـا حصل عليه وارث آخر فى التركة، ومنه ما قد يكون من بعض النساء الوارثات من تمنى الحصول على مثل نصيب الـذكور فيها أو اقتسـام النصيب بينهما بـالتساوى. والظـاهر أن قولـه تعالى «للـرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن» قد أريد به الإفصاح لهؤلاء النسوة ولأمثالهن ممن تمنوا أن يشـاركن فى الجهاد ليكون لهن فـى الغنائم نصيب شأن الرجـال، أن لكل من الذكور والإناث حظه ونصيبه المقدر منه تعالى فيما اكتسب من المال بالجهاد أو فيما حصل عليه من تركة قريبه المتوفى ـ عبر عنه بـالكسب لأن فيه زيادة ماله ـ وقد سبق بيان أن أحكامه تعالى فى مثل هذه الأمور هى من مقتضيات حكمته تعالى التى لا يدرك العباد منها شيئا .

ثم يجىء توجيهـه تعالى المؤمنين أن يكون منهم سؤال الله مـن فضله، أى أن ينعم عليهم بما يكـون فيه خير دينهم ودنيـاهم، والقول يتضمـن النهى عن سـؤاله تعالى التفضـل عليهم بمثل ما تفضـل به على غيرهم. ومعنـى سؤالهم الله من فضلـه هو أنه تعالى ينعـم عليهم بما يرى التفضل به عليهم من نعمه دون تحديد. وقد يكون مؤكدا هذا المعنى قوله تعالى «إن الله كان بكل شىء عليما».

لأن المرء إذا تمنى مثل ما لدى الغير فإنه يتمنى ما يرى ـ فى حدود علمه ـ أن فيه صالحه، وقد لا يكون ذلك صحيحا، ولا يجـوز تصور غير الحق فى علمه تعالى وهـو العليم بكل شىء،

فإذا ما استجاب تعالى لدعوة الداعى أن يتفضل عليه بما فيه صالحه كان المنعم به عليه كذلك بلا شك .

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾

التفسير:

بعد أن بيَّن سبحانه وتعالى نصيب كل وارث فى تركة المورث. ونهيه عن تمنى بعض الورثة مثل نصيب غيرهم منها، جاء قوله تعالى ـ فى الآية ـ ببيان وحكم متعلق بالمواريث وبأموال التركات .

فقوله تعالى «ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون» هو قول تقريرى يفيد عدَّة معانٍ، كل منها صحيح، منه أنه تعالى قد جعل لكل شخص موروث ورثة تركهم، فيكون المراد بـ «الموالى» هم الورثة تركهم وراءه المورث فى الحياة الدنيا، وهم مما ترك لأنه ترك معهم أقارب غير ورثة وترك أموالا تورث.

ثم يكون بيان التارك ورثة وأموال (فاعل الفعل: ترك) بقوله تعالى «ترك الوالدان والأقربون» لأن الموروث إما أن يكون أحد الوالدين للوارثين، أو أحد أقاربهم من غيرهما. ومنه أنه تعالى قد جعل لكل إنسان موروث ورثة يرثونه، تركهم وراءه فى الحياة الدنيا كما ترك أمواله الموروثة، وأن هؤلاء المتروكين هم الوالدان والأقربون، لأن الورثة إما أن يكونوا والدى المتوفى أو أقرباءه . وعلى الحالين فإن المراد بالموالى يكون هو الورثة. ويكون الوالدان والأقربون هم المورثين ـ فى حال ـ وهم الوارثين فى الأخرى .

وبعد هذا القول التقريرى يجىء قوله تعالى «والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم»

وهو حكم ورد فى صيغة أمر، مضمونه أن يقوم الموالى ـ وهم الورثة ـ بإعطاء موالى الموروثين الذين أقسموا معهم بيمين على التوارث «والذين عقدت أيمانكم» ما انعقدت عليه الأيمان، ذلك أن الرجـل كان يعاقد الـرجل فيقول: «دمى دمـك، وثأرى ثأرك، وترثنـى وأرثك»، فكان للحليف منهما السدس فى ميراث حليفه. فجاء قوله تعالى آمرا بإعطاء الورثة حلفاء مورثيهم ما انعقدت عليه الأيمان بين موروثيهم وحلفـائهم، وأن يعطوا حلفاءهم أنفسهم نصيبهم من المال الموروث لكونه مالهم الذى انعقدت أيمانهم على أن يكون مـال حلفائهم .

وقيل إن الحكم بإعطاء الحلفاء نصيبهم من التركة قبـل تقسيمها قد نسخ بقوله تعالى فى سورة الأنفال «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض» .

ثم يجىء قولـه تعالى ــ فى ختـام الآية : «إن الله كـان على كل شـىء شهيدا» مبينـا أنه تعــالى شهد الأيمان وأنه مجازٍ من أعطى بها وأطـاع أمره حسنا، ومجازٍ من منع معرضا عنها وعصى أمره بحسـب إثمه وذنبه. وفى القول وعيد لمـن لم ينفذ عهده باليمين والعـاصى أمره تعالى.

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾

أولا: الأســـماء:

١ ـ القوامون: فى قوله تعالى «الرجال قوامـون على النساء»جمع، مفرده «القوام» وهو من يقوم على أمر غيره يرعاه ويتدبر أمره ويكون له عليه حق الطاعة .

٢ ـ القانتات : فى قولـه تعالى «فالصالحات قـانتات» جمع مفرده «قانتـة» بمعنى مطيعة ربِّها، خاشعة له.

٣ ـ الغيب : فى قوله تعالى «حافظات للغيب»، المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو غيبة الزوج وعدم تواجده.

٤ ـ النشـــوز : فى قـوله تعالـى «واللاتى تخـافون نشوزهـن»، هو «النشز» بمعنـى المكان المرتفع من الأرض. والمراد به ـ فى معنى الآية ـ تعالى المرأة على زوجها وعدم طاعته .

ثانيا : التفســـــير:

جاءت الآيـة من بعد ذكره تعـالى فيما سبـق من آيات أنـه قسم للذكر فـى تركة المتـوفى ضعف مـا قسم للأنثى فجـاءت الآية فى جـزء منها ببيان سبـب اختلاف نصيب الذكـر عن نصيب الأنثى وهى كـونه المكلف بالإنفاق من مـاله على المرأة مع تفضيل الله الـذكور على النساء فى بعض الخصائص والصفات .

فقوله تعالى «الرجـال قوامون على النساء» هو حكم تقريرى بأنه تعـالى جعل الرجال هم القائمين علـى شئون نسائهم والذيـن يتدبرون أمورهـن، ومؤدى ذلك هو التزام النســاء بطاعة الأزواج فيما لا يخالف شرعا.

ثم جاء تعالى ببيان سبـب تقريره أن يكون الرجال قائمين على شئون نسـائهم بقوله تعالى «بما فضل الله به بعضهـم على بعض» جاءت فيه «الباء» لبيان السبب هـو تفضيل الله الرجال بصفات وخصـائص ليس للنســاء مثلها، وهى صفـات وخصائص استحق بهـا الرجـال هذا التفضيل.

وقولـه تعالى هذا الـذى تضبمن «بعضهم علـى بعض» يشيرإلـى أن الذين توافـرت فيهم الخصائص والصفات التى كان بهـا تفضيل الرجال ليسوا هم جميع الرجـال، وأنه من النساء من يفضل من لم تتوافرفيه هذه الخصائص والصفات من الرجال.

ثم أورد تعالـى سببا آخرلهذا التفضيل هو قيـام الرجال بالإنفاق على النسـاء «وبما أنفقوا من أمـوالهم» جـاء القول معطـوفا على مـا قبله وجـاءت «الباء» لبيـان السـبب وهـو الإنفاق، ويفهم من النص أن الالتزام بالانفاق يقع على عـاتق الرجل، وأن المرأة غيرمكلفة بالإنفاق. وإنما تكون ملزمة بواجب الطاعة .

ثم أورد تعالى وصـف النساء اللاتى يقع عبء الإنفاق عليهن علـى أزواجهن، الملتزمات بطاعة الأزواج فقال تعـالى «فالصالحات قانتـات حافظات للغيب بما حفظ الله»، فـذكرأنه يكون منهن الصـالحات وهؤلاء يكون شـأنهن إطاعة الله وإطـاعة أزواجهن، وحفظ مـا يكون بينهن وبيـن أزواجهن ممـا لا يصح الكشف عنـه وإطلاع الغيرعليـه، وحفظ غيبـة أزواجهن عنهـن وعن دورهـم، بالمحـافظة علـى أنفسهن وعلـى أعراضهـن والمحافظـة على أمـوال أزواجهن، يفعلـن ذلك بحفـظ الله إياهن وبحفظـه تعالـى حقوقهن فـى المهوروفـى النفقة. وهؤلاء لـم تذكرالآيـة فى شـأنهن أمرا يكـون من أزواجهن، فـلا يكون غيـرما سبق ذكـره من واجب الإنفاق، وحسن العشرة، مع شكرالله.

ثم ذكرالله غيـرهؤلاء الصالحات فى عبارة تضمنـت ما يتبعه الرجال معهن، فقـال تعالى «واللاتى تخافـون نشوزهن فعظوهن واهجروهـن فى المضاجع واضربوهـن» والمراد بتخوف النشوز هو العلم به، أوظهورالدلائل عليه، وهوالتعالـى على الزوج وعدم طاعته. شرع تعالى للأزواج أن يكـون منهم ـ بقصد إصـلاح حال الزوجات ـــ نصحهن ووعظهن، فإذا لـم يسفر النصح والـوعظ عن نتيجة، يكـون الهجرفى المضاجـع فلا يكون مـن الرجل جماع امـرأته، وربما يكون منـه عدم النوم معها فى لحاف واحـد، أوالنوم معها موليها ظهره. فـإذا لم يصلح هذا من شأنها كان للرجل أن يضرب امرأته الناشزوالمراد بالضرب هو الضرب الخفيف الذى

لا يؤذى، فلا يقطع لحما ولا يكسر عظما .

ثم يبين تعالى ما يكون من الرجل إذا أدَّى فعلـه معها من الوعظ أو الهجر فى المضاجع أو الضرب إلـى صلاح حالها وعـدولها عن النشـوز فقال تعالـى «فإن أطعنكم فلا تبغـوا عليهن سبيلا» والمعنى أنه متى حدث صلاح حال المرأة فلا تسيئوا إليها بقول ولا تتلمسوا سبيلا إلى إيذائها أو التعدى عليها .

وتختتم الآيـة بقوله تعـالى «إن الله كان عليـا كبيرا» وهـو تذكير للـرجال أنه الأعلـى منهم والأعظم قـدرة من قدرتهـم على من تحـت أيديهم من النسـاء، وأنه بحكم كـونه كبيرا فـإنه يتجاوز عن الصغـائر يرتكبونها. والقول بهذا المعنـى يتضمن حثًّا للرجال علـى الإحسان إلى نسائهم وعـدم ظلمهن بتكليفهن فوق طاقتهن، وعلـى العفو عما يقع منهن مـن أخطاء هينة، وفيه نهى عن الانتقام ممن صلح حالهن بعد نشوز .

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾

التفسـيـر:

جاءت الآية الشريفة من بعد توجيهه تعالى الزوج الذى يجد فى زوجته نشوزا إلى ما يتبعه معها لإصلاحها، ومن بعد ما يكون منه إذا ما صلح حالها. ذلك أنه قد لا يؤدى فعل الزوج مع الزوجة إلى عـدولها عن نشوزها الذى يـراه، وقد لا ينتهى ما بينهما من خـلاف، فجاءت الآية لبيان ما يكون فى هذه الحال .

فقولـه تعالـى «وإن خفتم شقـاق بينهما فابعثـوا حكما مـن أهله وحكمـا من أهلهـا» هو خطاب مـوجَّه إلى من يعنيـه أمر الزوجيـن، فهو للحاكـم أو ولى الأمر ـ فـى مقام أول ـ لكـونه المسئول عـن صالح مجتمـع المسلمين وقوامـه الأسرة الصـالحة المستقرة، يقـوم بمضمون التكليف بنفسه أو بـواسطة من يفوضه فـى ذلك. وهو ـ فـى مقام ثان ـ إلى أهـل كل زوج من الزوجين يهمهم المحافظة على الزواج وعدم وقوع الفرقة بين الزوجين .

ويبين من عبارة النص التى وردت فى شكل الجملة الشرطية. أن شرط التكليف هو خوف الشقاق بين الزوجين «فإن خفتم شقاق بينهما» ومعنـاه هو العلم بوجود اختلاف بين الزوجين يتخوف منـه أن يقع بسببه انفصـال بينهما بطلاق. والتكليف مضمـونه أن يطلب المخـاطب بالنص ويختار رجلين عدلين يحسنان التصرف والنظر فى الأمور يكون أحدهما من أهل الزوج والآخر من أهل الزوجـة ليكونا حكمين فى الأمر بين الزوجين، وعلة اختيـارهما من الأهل، هو افتراض علم الأهل بأسبـاب الخلاف بين الزوجين، وعدم تحرج الزوج مـن الإفضاء بما لديه إلى مـن هو من أهله، ثـم افتراض توافـر الحرص على إصـلاح ذات البين بين الزوجيـن لدى الأهل .

وقد اختلف فى سلطة هذين الحكمين، والمقطوع به أن لهما الإصلاح بين الزوجين وذلك لقوله تعالى «إن يـريدا إصلاحا يوفق الله بينهما»، ويكون لهما فى سبيـل ذلك إظهار صاحب الحق منهما والمخطىء من بينهما، واقتراح شروط التصـالح، والمختلف فيه هـو حقهما فى إيقاع الفرقة بين الزوجين، فقيل إنهما يملكان ذلك، وتكون تفرقتهما بين الزوجين طلاقا بائنا، وقيل إنهما بعثا ليصلحا وليشهدا على الظالم بظلمه، وليس بأيديهما الفرقة. وهذا هو ما نــراه ـ والله أعلم ـ علـى ما يستفاد من ذكر النص تـوفيق الحكمين بين الزوجين دون ذكـر تفريقهما بينهما، مما يعتبر إشارة إلى سلطتهما فيما بعثا فيه.

ومعنى قـوله تعـالى «إن يـريدا إصـلاحا يـوفق الله بينهمـا» يفيد أنـه إذا ما اتجهـت إرادة

الحكمين إلى الإصلاح بين الزوجين فإنه تعالى يوفق الزوجين إلى ذلك فيزيل من نفسيهما البغضة ويحبب إليهما الصلح، وهو ما يمكن تفسيره عملا بأن كل حكم سيسعى إلى الزوج الذى هو من أهله، بما يزيل من نفسه النفرة من زوجه ويحبِّبه إليه فتكـــــون منه الاســــتجابة، ويفيد أيضا أنه إذا ما اتجهت نية الزوجين الخالصة إلى التصالح و إصلاح ما بينهما، فإنه تعالى يوفق الحكمين إلى الاتفاق على ذلك. وهذا يفسَّر عملا بأن الزوج الذى خلصت نيته إلى التصالح مع زوجه المختلف معه لا يتعنت فى شروط الصلح، ويقبل ما يعرضه عليه حكم زوجه مادام مقبولا ـ من غير شطط ـ فيكون تمام التوفيق بين الزوجين بإذنه تعالى.

وقوله تعالى ــ فى ختام الآية ـ «إن الله كان عليما خبيرا» معناه أنه تعالى قد شرع هذا الحكم لعلمه بالظاهر ــ ومنه الخلاف بين الزوجين ـ والباطن ـ ومنه ما انطوت عليه القلوب من حب ومن بغض، ومن رغبة فى الاستمرار فى الزواج أو انصراف الرغبة عنه. وأنه لكونه تعالى الخبير بالأنسب ـ من الوسائل ـ لتحقيق الغاية وهى صالح الزوجين الذى قد يكون فى تصالحهما، وقد يكون بالتفرقة بينهما، شرع لهما نظام التحكيم مرحلة تسبق الطلاق والفرقة للخلاف.

○ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾

أولا : الأســــماء :

١ ـ ذوالقـربى : فى قولـه تعالى «وبذى القـربى» هو صاحـب القرابة، وهو أيضـا الأقرب مكانا فى الجوار.

٢ ـ الجنب : فى قولـه تعالى «والجار الجنـب» هو البعيد، بمعنى مـن ليس له قرابـة، من «الجنابة» وهى ضد «القرابة»، وهو أيضا ـ فى معنى الآية ـ الجار البعيد مكانا .

٣ ـ الصاحـب بالجنب : هو الصـاحب الـذى اقترب من صـاحبه راجيـا نفعه، وهـو رفيق السفر.

٤ ـ المختال : فى قوله تعالى «من كان مختالا فخـورا» هو المتعالى على الناس يتيه بنفسه على من عداه .

٥ ـ الفخــور : فى قوله تعالى «من كان مختـالا فخورا» هو من يفتخر بنفسه وبما أنعم الله به عليه من النعم من صحة ومال وعلم وغير ذلك، فيعدِّدها متباهيا مفتخرا بها على من يشعر أنه دونه فيها .

ثانيا : التفســــير:

الآية الشـريفة فى بيـان بعض حقوق الله وحقـوق العباد والإرشـاد إلى محاسِـنِ الأخلاق. فقوله تعـالى «واعبدوا الله ولا تشركـوا به شيئا» هو أمـر للناس بأداء حق مـن حقوقه تعالـى هو عبادته والخضوع له، جـاء بعده أمره بعدم الإشراك به لبيان أن عبادته تعالـى إنما تكون كاملة لأنه وحـده المستحق إيـاها وهـو ما يستـوجب أن تكـون خالصـة مخلصة مـن مخلص فـى الإيمان، وللنهى عن التوسل إليه تعالى بأحد مـن الناس أو بأحد الهياكل يعتقد أنه يقرب إليه تعالى زلفى لكون ذلك منطويا على إشراك بـه تعالى، وللنهى عن طاعة المخلوق فى معصية الخالق لكون ذلك إشراكا به تعالى كما كان من اليهود الذين أعلوا تعاليم أحبارهم على أوامر

الله تعالى ونـواهيه فأطاعـوهم وعصوا ربهم. فالأمـر أمر بتوحيد الله، و إظهـار حقارة أى معبود سواه على ما يبين من التعبير عنه بالشىء «به شيئا» .

وتلى ذلك بيان حقوق العباد، بـدأ هم بالوالدين فقال تعالى «وبالوالـدين إحسانا» فأظهر حق الأبوين على الأبناء فى أن يحسنوا إليهمـا، والإحسان إليهما يكون بسلوك سلبى وبسلوك إيجابى، فمن السلبى عدم رفع الصوت عليهما، وعدم الإغلاظ لهما فى القول. والامتناع عن كل ما يغضبهما أو يقلل من الاحترام الواجب لهما، ومن الإيجابى طاعتهما ورعايتهما والقيام على شئونهما والإنفاق عليهما بحسب القدرة .

ثم إنه تعالـى ذكر من بعد الوالدين حقـوق غيرهما من العباد فقال تعالـى «وبذى القربى واليتامى والمساكين والجـار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنـب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم» فأظهـر أن على المؤمنين واجب الإحسان إلى المعدوديـن فى النص، بعدم الإساءة إليهم وبـأداء ما يحتاجون ممـا هو فى القدرة. وأصحـاب هذه الحقوق هم ـــ بترتيب ذكرهم فى النص ـ الأقارب من بعد الوالديـن، من إخوة وأعمام وأخوال ومن غيرهم، واليتامى الذين هم مـن غير الأقارب لدخول يتامـى الأقارب فى عموم ذوى القربى، والمسـاكين وهم الذين يضطرهم فقـرهم إلى السكون والدعة، والجيران القريبون مكانـا من المرء، ثم الجيران البعيدون مكانا، وأبناء السبيل وهم المسافـرون فى الطرق والضيوف، وما ملكت الأيمان وهم العبيد والإماء .

وبعد أن ذكر تعالى حقوق هؤلاء العباد قـال تعالى «إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا» نهى فيه عن الكبر والخيـلاء والتعالى على الناس، وصلة القول بذكـر حقوق العباد واضح لأن ذا الكبر المختال قـد يتعاظم على الناس فلا يُحسـن إليهم فلا يحبه الله لعصيانـه أوامره، وقد يؤدى إليهم حـاجتهم مع المن عليهم أو التعاظـم، فيسىء إليهم بهذا، فلا يكـون عطاؤه لهم عطاء إحسان و إنما عطاء تعاظم فلا يحبه الله ولا يؤجره به .

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧﴾

التفســـير:

بعد أن ذكر تعالى بعض حقوق العباد فى الآية السابقة التى اختتمها بقوله تعالى «إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا» ، فإنه تعالى أخبر عن هؤلاء الذين لا يحبهم بقوله تعالى «الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله»، فجاءت جملة «الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل» خبرا لمبتدأ محذوف تقديره «هم». والذين يبخلون هم الذين يمتنعون عن أداء ما أوجب الله فى مالهم، فهم الذين لم يؤدوا حقوق المذكورين فى الآية السابقة ولم يحسنوا إليهم، وهم الذين ينصحون الناس بالبخل وبعدم أداء ما أوجب الله أداءه للناس فى أموالهم، وقد قيل إن سبب نزول الآية أنه كان أناس من الأنصار يتناصحون فقال بعضهم لبعض لا تنفقوا من أموالكم على غيركم فإنكم لا تدرون ما يكون»، فنزلت الآية. ثم هم أيضا الذين يخفون ما أنعم الله به عليهم من النعم وأخصها المال حتى لا ينفقوا منه على من أوجب تعالى الإحسان إليه على القادرين .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا» يفيد أنه تعالى أعدَّ للذين كفروا ما أنعم به عليهم من نعمة المال فأغناهم بجحدهم حقوق العباد فيها عذابا يناسب فعلهم، لأنه لما كان بخلهم ينطوى على إهانة للنعم التى أنعم بها تعالى عليهم، فقدناسب ذلك أن يكون ما أُعد لهم من العذاب منطويا على إهانتهم.

وقد قيل إن «البخل» المراد ـ فى نص الآية ـ هو البخل عن إظهار ما جاء فى التوراة والإنجيل من تبشير برسول الله ﷺ ومن ذكر صفاته، وأن الكتمان هو كتمان هذا، وأن الكافرين

هم الكافرون علـى الحقيقة . والذى يبدو لنا ـ والله أعلـم ـ أنه ليس هذا هو المـراد بنص الآية على ما يبيـن من موضعها بين الآيـات السابقة عليها والـلاحقة عليها المتحدثة فـى موضوع حقوق العباد فى المال.

﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾

التفســـــير:

الآية فى ذكر باقى الذين لا يحبهم الله لعدم أدائهم حقوق العباد فى أموالهم بإحسان. جاء اسم الموصول «الذين» معطـوفا على «الذين يبخلون». وقوله تعالى «والـذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يـؤمنون بالله ولا بـاليوم الآخـر» يفيد أن المقصوديـن بالقول هـم المنافقـون فى الإحسان، ينفقون رئاء الناس، والرياء من النفـاق، لايبتغون بما ينفقون وجه الله، و إنما يبتغون أن يرى الناس إنفاقهم أو أن يعلموا به ليتحدثوا به وعنهـم. وصفهم تعالى بأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر تشبيها لهم بحال الكافرين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، لأنهم لو كانوا يؤمنون بالله تعالى إيمانا صحيحا لا بتغوا بإنفاقهم وجهه تعالى فحرصوا على إخفاء إنفاقهم، وتجنبوا المراءاة. ولـو كانوا يؤمنون باليـوم الآخر لسعوا إلى أن يكون لهم فيـه الثواب، وامتنعوا عن تحصيله فى الدنيا من الناس حديثا بذكرهم وبما أنفقوا .

وفى ختام الآية بيـن تعالى أن صاحب هؤلاء المـرائين المنافقين الذى نصحهم فـأطاعوه فأبطل صدقاتهم هو إبليس الملعون وأعوانه من الجن ومن الناس، رافقهم فى الدنيا وهو بئس الرفيق، ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا». أما كون الشيطان بئس الرفيق، فلأنهم اتخذوه رفيقا فدعاهم إلى المعصية، فاستجابوا له، فأوردهم النار.

وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾

لتفســـير:

الحديث فـى الآية عن الذين سمعوا أمـره تعالى بعبادة الله وعدم الإشراك بـه وبالإحسان إلى الناس، فكان منهم مخالفة ما أمروا به أو الخـروج غن مقتضاه، جاء قوله فى الآية توبيخا لهم، و إظهارا لإفسادهم حال أنفسهم ومصائرهم باختيارهم .

فقوله تعالى«ومـاذا عليهم» معناه «وأى ضرر كان يعود عليهم». وقوله تعـالى «لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهـم الله» معناه هو : لو كانوا قد أطاعـوا الله فعبدوه وحدوه وأنفقوا فى الإحسان إلى العباد مبتغيـن وجهه تعالى طالبين ثواب الآخرة. فيكون مفـاد قوله تعالى أن الذين بخلوا فلـم ينفقوا من أموالهم، والذين تنـاصحوا بالبخل، والذين أخفـوا ما أنعم الله به عليهم ليجنبـوا الإنفاق منه علـى الناس، والذيـن انفقوا رئاء الناس لـم يبتغوا وجهه تعـالى، جميعهم رافقوا الشيطان وارتضوا صحبته وأطاعوه وعصوا ربهـم فكانوا كالكافرين بالله واليوم الآخر. كانت عـاقبة أمرهم من فعلهم لأنـه لم يكن يضيرهم شيئا ولا يضـرهـم أن يطيعوا الله ما أمرهم فيكـون منهم الإيمان المخلص الصحيح ويكـون منهم الإنفاق بإحسان مـن أموالهم. لكن ما أضرهم وأوردهم النار هو اختيارهم مصاحبة الشيطان .

وقوله تعالى ـ فـى ختام الآية ـ «وكان الله بهم عليما» هو تكرار لمعلوم مضمـونه أنه تعالى يعلم مـا يكون من خلقه ومنهـم من عصوا أوامـره، يعلم أفعالهـم ويعلم بواعثهم عليهـا مما أخفوه فـى صدورهـم، والقول علـى هذا يتضمن وعيـدا لهم بمجـازاتهم علـى ما فعلـوا وما كتموا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٤٠﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ **المثقال:** فى قولـه تعالى «لا يظلم مثقال ذرة». هـو «الثقل» يوزن به، كـان يطلق على ثقل معلوم المقـدار فى الجاهلية والإسلام قدره أربعـة وعشرون قيراطا. والمراد به ــ فى معنى الآية ـ مطلق المقدار، أو «الوزن» .

٢ ـ **الـــذرَّة :** فى قـوله تعـالى «مثقـال ذرة» هو أصغـر جزىء مـن المادة. وقيـل ـ وفقـا للمعلوم وقت القول ـ أنها «رأس النملة»، وقيل هى ذرة التراب. وقيل هى.الخردلة

ثانيا : التفســـــير:

جاءت الآية من بعد ذكره تعالى ما يكون من العباد فى تنفيذ أوامره ومنها الإحسان إلى من أمر تعالى بالإحسان إليهم، وذكره سوء مصير العصاة الذين اتبعوا شياطين الجن والإنس فكان. عذابهـم بخطئهم وبسـوء اختيارهم. جـاءت الآية بنفـى أنهم يزاد لهـم العذاب ظلمـا لهم، وببيان الفرق بين حسابهم على عصيانهم وبين حساب الطائعين على طاعتهم .

فقوله تعـالى «إن الله لا يظلم مثقال ذرة» هـو تقرير لواقـع، مفاده استحالة وقـوع الظلم منه تعالى جاء التعبير عن الاستحالة بالمبالغة فى قدره فذكر تعالى أنه لا يكون منه ظلم قلَّ ما قلَّ ولو كان وزنه ـ على التشبيه ـ وزن الذرَّة التى هى أصغر جزىء للمادة .

ثم بيَّن تعـالى أنه إذا كان هذا شـأنه تعالى عند المساءلـة على الذنوب والمعاصـى، فإنه شأنه تعـالى فى المجازاة على الحسنات يكـون بخلاف ذلك، فقال تعالـى «وإن تك حسنة يضاعفها» والمراد أنه تعـالى يضاعف ثواب الحسنة، أو وزنها أو مثقالهـا ـ باعتبار أن الضمير

المستتر فى الفعل «تكن» يعود على المثقال ـ ومعنى أنه تعالى يضاعف الحسنة أو يضاعف ثوابها هو أنه تعالى يضاعف ذلك أضعافا كثيرة، قيل ـ فى ذلك ـ إنها تضاعف إلى ألفى ألف حسنة. وقيل إنها تضاعف بحسب المدة أو بتطاول الزمن .

وبعد ذكره تعـالى كيفية المحاسبة علـى السيئات، والمجازاة على الحسنـات للمؤمنين، فإنه تعـالى بيّن أنه ـ مـن بعد المحاسبة بالأعمال ـ يزيد لمن أراد الثواب تفضـلا منه، فقال تعالى «ويؤت من لدنـه أجرا عظيما»، ولا يتعارض وصفه تعالى ما يزيده للطـائعين بالأجر مع كونه تفضلا منه تعالى، وذلك لسبق وعده تعالى المؤمنين الذين عملوا الصالحات به، فصار ـ بوعده تعالى ـ هذا الفضل بمرتبة الحق، فكان تشبيهه بالأجر لهـذا السبب. ومعنى أنه «من لدنه» أنـه من عنده، يكون مـن الحاضر لديـه، القريب منه، علـى ما يفهم من معنـى «الدن»، وذلك للإعلام بحتمية الحصـول على الجزاء المتفضل به، الذى وصفه تعالـى بالعظم لبيان زيادة قدره .

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ أمـــة : المراد بها ـ فى معنى الآية ـ أهل الملل والنحل والعقائد والدين .

٢ ـ شـــهيد : المراد بـه ـ فى قولـه تعالى ـ «مـن كل أمة بشهيـد» هو نبى الأمة أو إمـامها الذى اتبعـوه، فيكون منهم أنبيـاء الله ورسله، ويكون منهـم الذيـن اعتبرهم أصحـاب النِّحل الوضعية بمثابة أنبيـاء مثل كونفشيوس، والبراهما جوتاما، وبـوذا، وزارادشت، ومانو. والمراد به فى قوله تعالى «على هؤلاء شهيدا» هو رسول الله ﷺ .

ثانيا : التفســـير:

الآية الشريفة فى بيان هـول يوم الدين ومـا يلقاه الكافـرون وأصحاب الملل الزائغـة من الخزى فيه، فبدأ قوله تعالى بـ«فكيف» هـو استفهام أريد به التهويل والتفخيم على المستفاد منه، والمعنى هو «كيـف يكون حـال هؤلاء الكـافريـن يوم القيـامة»، وهـذا الحال هـو حال المجىء بنبىٍّ كلِّ طائفـة منهم أو بمن اتخذوه نبيـا ليشهد عليهم، فيثبـت أنهم لم يتبعـوا ما أمرهـم به، وأنهم انحرفـوا بتفسيراتهم عمـا دعاهم إليـه، أو يتبرأ منهم إن كانَ مـن الأنبياء أو الصالحين أو المصلحين، أو يكون منـه ـ إن كان من المفسدين الداعين إلـى العقائد الزائغة الزائفة ـ التبرأ مـن تحمل وزر اتباعهم إيَّاه، ملقيا به عليهم فيقول إنه مـا كان منه إلا أن أمرهم فاتبعوه . وحال هؤلاء وهؤلاء يكون فى ذلك اليوم هو الخزى العظيم .

وقوله تعالى «وجئنا بك على هؤلاء شهيدا» يفيـد عدة معانٍ، كل منها مقبول. فهو يفيد أنه تعالى يجىء برسوله ﷺ شاهدا على صدق الأنبياء بما شهدوا به، بحكم كونه خاتمهم الذى أعلمه تعالى ما كان منهم، وهو يفيد أنه تعالى يجـىء برسوله ﷺ شاهدا على الكافرين وعلى أصحاب العقـائد الزائفـة بالكفـر، ويفيد أيضـا أنه تعالـى يجىء بـرسولـه ﷺ شاهـدا على المؤمنيـن بأنهم أتبعوا الحـق على ما جاء بقـوله تعالى «لتكـونوا شهداء على النـاسْ ويكون الرسول عليكم شهيدا». ولمـا كان مفاد شهادته ﷺ والأخذ بها شهادة حـق من رسول الحق، أنه يكون للكـافرين عذاب الجحيـم ويكون للمؤمنين ـــ جزاءً ـ النعيم فـإنه يكون للكافـرين يومئذ خزى عظيم.

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾

التفســــير:

الآية فـى بيان حال الكـافرين والعصـاة يوم القيـامة أو استئناف لبيـان حالهم، جـاء فيها وصف ما يدور فى خلدهم، فذكر تعالى أن الكافـرين ـ ويدخل فيهم الذين كفروا رسلهم فلم يؤمنوا لهم، والذين انحـرفوا برسالاتهم بالتحريف والتبديل، ممـن شهد عليهم رسلهم الذين أرسلوا لهم بذلك، كما يدخل فيهم الذين كفروا بـرسول الله ﷺ فلم يؤمنوا لدعوته ـ يودون فى ذلك اليوم لو تسوى بهم الأرض، وأن الذين عصوا الرسل يودُّون ما يودُّه الكافرون ـ ويدخل فى عداد الذيـن عصوا الرسل هـؤلاء الذين عصوا مـا أمرتهم به رسلهـم بأدائه من الطاعـات وما نهوهم عنه من المعاصى، ويدخل فيهم الذين عصوا رسول الله ﷺ، يودون لو دفنوا فى الأرض فسويت عليهم، أو صاروا تـرابا كالبهائم تصير ترابا يوم القيامة، بعـد أن ظهر كذبهم وافتضاح أمرهـم بشهادة الـرسل فكـان لهم الخـزى، وكانت معـرفتهم بـأنهم مـواقعوا العـذاب فتمنوا الخلاص منه بالدفـن فى الأرض. يودون لو كان ذلك يكون لهم بدلا عن كتمـانهم أمرهم عن ربهم حين قـالوا «والله ربنا ما كنا مشركيـن» إذ فضحتهم جوارحهم بشهادتها عليهـم بما كان منهم، وهذا بيان لأنه يكون منهم الندم على ما كان منهم يوم لا ينفعهم الندم .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ سكارى: جمع، مفرده «سكـران» وهو من شرب الخمـر ففعلت فيه فعلها، مـن الفعل «سكر ـ يسكر» بمعنى سدَّ فيكون السكارى هم الذين انسدت عقولهم وتحيرت .

٢ ـ الجنـــب : فى قوله تعالى «ولا جنبا»، هو من بـه جنابة، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ هو من أنزل منيَّه، وقيل هو من جامع ولو لم يُنزل .

٣ ـ الغـائط : أصله ـــ فى اللغة ـــ ما انخفض من الأرض، كـانت العرب تقصـده لقضاء الحاجة فيه استتارا من الناس، ثم سمى به الإخراج من الإنسان .

٤ ـ الصعيد : فى قوله تعالى «فتيمموا صعيدا طيبا» هو وجه الأرض، وقيل إنه المراد به فى معنى الآية شريطة أن يكون عليه شيء من التراب يعلق باليد عند ملامسته.

ثانيا : التفســـــير:

الآية الشـريفة من آيـات الأحكام فى شأن العبـادات جاءت فى الـربط بين الخشـوع فى العبادة وبين ما يقضـى به الخلق القويم من حال يكـون عليه العابد الخاشع لـدى وقوفه بين يدى الله .

وخطابه تعالى فى مبتدأ الآية موجَّه إلى المـؤمنين ، بدأ بنهى عن فعل مع بيان سببه، فقال تعالى «يا أيها الذيـن آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقـولون»، وقد نزلت الآية قبل تحـريم الخمر، وقيل إن سبـب نزول الآية ما روى عـن على بن أبى طـالب كرم الله وجهه أنـه قال إن عبد الـرحمن بن عـوف دعاهم إلـى طعام وسقاهـم خمرًا فأخـذت منهم، وحضرت الصلاة فأمَّ القـوم وقرأ قوله تعالى «قل يـا أيها الكافرون» فأخطأ فيهـا فقال «أعبد ما تعبدون» فنزلت الآية.

والقول نهـى عن أداء الصـلاة المعروفـة حال السكـر، عبِّر عـن الأداء بالقـرب للمبالغـة، والمراد بالسكر هو الحال التى تُعمل فيها الخمر عملها بالعقول، ومعنى النهى أنه كان متوجبا على المرء أن يتحقق من إفـاقته وعدم تأثره بالخمر أو من زوال أثرهـا قبل الشروع فى الصلاة. ثم إنه تعالى بيَّن علة النهى، وهى وجوب استحضار العقل عند أداء الصلاة ليتحقق الخشوع، وإلا كانت الصلاة محض حركات وترديد آيات مع عدم الإدراك، وأنه لما كان السكر يذهب استحضار العقل ويؤثر على الوعى، فقد تعين ألا يكون المصلى فى حالة سكر.

كذلـك فإنه تعـالى نهى عـن أداء الصلاة حـال الجنابة، والمـراد بها الإنزال ــ فى رأى ـ والتقاء الختانيـن ـ فى رأى آخر ــ واستثنى من النهى عن الصـلاة حال كون المرء فـى طريق سفر فـأبيح لـه أن يصلى بشروط ستفصـح عنها الآيـة، تتمثل فى عـدم وجود المـاء ووجوب التيمم. وجاء النهى عـن الصلاة للجنب محددا بغاية فيكون له أن يُصلـى متى بلغها، وذلك علـى ما يبيـن من قـوله تعـالى «حتـى تغتسلوا» فيكـون حد النهـى عن الصـلاة هو حصـول الاغتسال.

ثم أعقب ذلـك سبحانه وتعالى بـإباحة التيمم بـديلا عن استعمال الماء فيمـا يجب فيه التطهر بالمـاء، عند عدم وجود الماء، فقال تعـالى وإنْ كنتم مرضى أو على سفـر أو جاء أحد منكم من الغـائط أو لامستم النساءفلم تجـدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبـا فامسحوا بوجـوهكم وأيديكم». ذكـر تعالى بعض الحالات التى تسيـغ عدم إيجاب التطهر بالماء فيمـا يجب فيه التطهر بالمـاء أو الوضوء. وهى: المـرض، وإن كنتم مرضى، والمـراد بالمرض هو مـا يضر فيه استعمال الماء أو مـا يتعذر فيه وصول الماء إليـه لوجود جبيرة أو رباط، ومنهـا حال السفر «أو على سفـر» والمراد به السفـر مع عـدم وجود الماء. ومنهـا حال قضاء الحـاجة إذ ينقـض بها الوضوء «أو جـاء أحد منكم من الغـائط» وفيها جاء التعبير بقـوله تعالى «أو جـاء أحد منكم» لبيان أن المرء يكـون وحيدا مستترا عن الأعين عنـد قضاء حاجته، ومنها الجنـابة «أو لامستم

النساء» قيل إن المراد بملامسة النساء فى النص ـ هو الجماع وأن التعبير عنه بالملامسة لاستهجان التصريح بالجماع،وقيل إن المراد به هو ملامسة البشرة من الرجل بشرة الأنثى. فهى تنقض الوضوء، وقيل إن المراد به اللمس بشهوة

وبعد ذلك بيَّن تعالى علة عدم إيجاب التطهر بالماء فى مثل هذه الحالات بقوله تعالى «فلم تجدوا ماء» فبيَّن أنها عدم وجود الماء، فدل بذلك على أن الحالات المذكورة قد وردت على سبيل المثال وليس الحصر، فيقاس عليها أى حال يتواجد فيها المرء بعيدا عن الماء لا يجده أو يمتنع عليه استعماله أو يصيبه من استعماله ضرر يتأذى به، فيكون له ألا يستعملْ الماء.

ثم جاء بيان ما يكون بديلا عن استعمال الماء فيما أبيح فيه عدم استعماله فقال تعالى «فتيمموا صعيدا طيبا» ومعناه هو: ليكن منكم التوجه إلى سطح الأرض، جزء يكون لا نجاسة فيه، واشترط البعض أن يكون عليه تراب ولو قليل يعلق بيد لامسه، ثم جاء بيان ما يفعل للتطهر بقوله تعالى «فامسحوا بوجوهكم وأيديكم» وهو ما يعنى وجوب استيعاب هذين العضوين بالمسح، والراجح فى شأن اليدين أنهما من أطراف الأصابع إلى المرفقين، يكون المسح من المرفقين إلى الكفين على منابت الشعر من ظاهر وباطن.

وقد اختلف فى شأن طهارة التيمم من الجنابة فقيل أنه لا تكون به طهارة من الجنابة ولا من حيض ولا من نفاسة، وإنما هو طهارة للمحدث فهو بديل الوضوء، والراجح غير ذلك على ما يبين من عبارة الآية:

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «إن الله كان عفوا غفورا» يفيد تعليله تيسيره على العباد بما شرع لهم، فهو بصفته العفو قد عفا عما كان من المصلين حال سكرهم، وغفر لهم ما كان منهم بصفته الغفور، وبصفتيه هاتين عفى تعالى عما ألزم به من أن يكون التطهر بالماء وأباح لهم التيمم بدلا منه، وغفر للجنب عدم اغتسالهم عند عدم وجود الماء .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾

التفســـير:

الآية الشريفة نزلت فى شأن أصحاب شـريعة تأكدوا أن رسول الله ﷺ هو النبى الذى بشر به فى كتابهم يأتى بشريعة يكون بها كمال الدين وتمام الشريعة. فساءهم هذا فكان منهم كل معوج من التصـرفات، وهم اليهود، كان منهـم فى المدينة رفـاعة بن زيد ومالـك بن دخشم، كانا إذا تكلم رسول الله ﷺ لويا لسانهما وعاباه ثم قالا: لا نفهم ما تقول، وكان العالمون منهم يعلمون أنـه ﷺ هو النبى المذكـور فى التوراة يأتـى من أبناء إسمـاعيل ويحزنهم الإيمـان له فكانوا يتمنون أن يرتد المؤمنون عن دينهم ليصيروا مثلهـم على ضلالة، فنزلت الآيةوما بعدها لتعجيب المؤمنين من حالهم ولإعلامهم بنواياهم .

والخطاب فى الآية موجه إلى رسول الله ﷺ بصفته رأس الأمة وللمؤمنين، بدأ بقوله تعالى «ألم ترإلـى» بمعنى «ألم تنظرإلـى»؛ ولذلك تعدَّى الفعل إلـى المفعول به بـ «إلـى»، وتأتى أيضا بمعنى «ألـم ينته علمك إلى». والمتعجب منهـم هم «الذين أوتوا نصيبـا من الكتاب» وهم اليهود أوتوا التـوراة كتابا من الله، وصفهم تعالى بـأنهم له فيه نصيب لبيان أنـه فى مرتبة الحق يفترض أن يحافظ صاحبه عليه ولا يضيعه وهو خلاف ما فعلوه إذ أضاعوه بإخفائهم ما جاء فيـه من تبشير برسـول الله ﷺ وما جاء بأوصـافه، وهو أمر يتعجـب منه، وقد أوجز تعـالى فعلهم المثير للتعجب بقوله تعالى «يشترون الضلالة» فهم يتخلون عن الحق الذى فى كتابهم وهو الهـدى ويقبلون بدلا منـه الضلالة، فهم مثـل المشترى كان معهـم الحق ـ فيمـا ورد فى كتابهم ـ كما يكون مـع المشترى ماله. ودفعوا ما معهم وتخلوا عنه وقبلوا مكـانه كتابا محرفا، أو تحريفهم الكتاب، فكـانوا كالمشترى يدفع المـال ويأخذ به البيع. وقد كـان ما اشتروا هو

الضلال، والقول فى شأن علماء اليهود الذين حرفوا التوراة مقابل مصالح دنيوية .

ثم يظهر النص هدف المتعجب من أمرهم ـ وهم اليهود ـ بقوله تعالى «ويريدون أن تضلوا السبيل»، والمعنى أنهم ـ لعلمهم الحق وتيقنهم من أنفسهم أنهم منكرون له وأنهم على ضلالة ـ لا يحبون للمؤمنين أن يكونوا على الطريق المستقيم فيريدون إضلالهم ليكونوا مثلهم فلا يفضلونهم عند الله .

وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴿٤٥﴾

التفســـير :

القول استئناف لمخاطبة المؤمنين مضمونه أن الذين يتمنون الضلالة للمؤمنين أعداؤهم، وأنه تعالى متى قال ذلك فهو الحق، لأنه أعلم من المؤمنين ـــ ومنهم المذكورون ـــ من المؤمنين أنفسهم، ومضمونه أيضا أنه تعالى ولى المؤمنين يتولى أمورهم وينصرهم ويدفع المكاره عنهم. ثم إنه لمن توكل عليه كافيه شر أعدائه.

والقول فيه حث للمؤمنين على التوكل عليه وبعث للثقة فى نفوسهم أنهم المنصورون بإذنه تعالى.

تم بعون الله المجلد الأول من: النفيس فى معانى الأسماء وبيان الأعلام بتفسير القرآن

ويليه إن شاء الله المجلد الثانى وأوله ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾

الآية ٤٦ من سورة النساء ـــــ أعان الله على إتمامه

■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرسة المجلد الأول من

النفيس فى معانى الأسماء وبيان الأعلام بتفسير القرآن

تمت الفهرسة